جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

إسـهام المـرأة المغربيـة فـي حضـارة المغـرب الإسلامي منذ النصـف الثـاني مـن القـرن السـادس إلـى نـهايـة التاسع للـهجرة الثـاني عشر ـ الخامس عشر الميلاديين

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي.

إعداد الطّالبة:

نبيلة عبد الشكور.

تحت إشراف الأستاذ:

الدّكتور/ صـالح بـن قربة .

السنة الجامعية: 1428 /١٤٢٩هـ

٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م



يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم مـن نفـس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيـرا ونساء، واتقوا ا   الذي تساءلون بـه والأرحام إن ا   كان عليكم رقيبا.

الآية:١ من سورة النساء.

الإهداء

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا
الآيـــة مـــن ســـورة النساء.

إلى والدتـــــــــــي .

الحبيبة والعزيزة والغالية.

أظلتنـــي بجميـــل رعايتهـــا، وأولتنـــي بجزيـــل نعمتهـــا، أوسعت لي فسحة

صدرها، وتعهدتني بأحسن العون وأصدق الود، وخير البر...

حفظها الله وأجزى صنيع عطاؤها.

الإهداء

- إلى رفيق الدرب زوجي، السيد حساني شهاب الدين الذي لولا تضحياته وفسحه المجال أمامي للتفرغ للبحث ما تمكنت من إنجاز هذا العمل.

- أحبائي ومهج قلبي: أحلام، أسماء وأسامة، لما أعربوا عنه من صبر ومن رحابة صدر، مع صادق اعتذاري عن تقصيري في حقهم طيلة سنوات البحث.

شكر وتقدير

وبهذه المناسبة الكريمة أتقدم بأسمى عبارات الامتنان والتقدير والشكر إلى الأستاذ الدكتور صالح بن قربة على ما أحاطني به من رعاية وتوجيه علمي وتشجيع، وما تفضل به من عناء الإشراف على هذا البحث ومتابعته العلمية الدقيقة وما لمسته فيه طوال مدة إنجاز هذا البحث من أريحية ورحابة صدر وروح تعاون...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

إسهام المر[illegible]ة الم[illegible]ربية
[illegible] الاس[illegible] [illegible] الم[illegible]ر [illegible]ارة ح[illegible] [illegible]
منذ الن[illegible] [illegible] الثان[illegible] من القرن السا[illegible]س
إل[illegible] نهاية ال[illegible]اس[illegible] لله[illegible]ري
الثان[illegible] ع[illegible]ر / ال[illegible]امس ع[illegible]ر المي[illegible]يين

[illegible]

[illegible]: [illegible]:

[illegible] [illegible]

السنة ا[illegible]امعية: ١٤٢٨/١٤٢٩ هـ

٢٠٠٧/٢٠٠٨ م



المقدمة



المقدمة:

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، والصلاة والسلام على رسول الله الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

إن الحديث عن دور المرأة وإسهاماتها في مختلف مجالات الحياة يتصدر أهم قضايا المجتمع،والتي تشكل فحوى موضوع دراستنا ، يعود ذلك بطبيعة الحال إلى أهمية موقعها في المجتمع، وعظم أدوارها في الحياة وقوة تأثيرها في سعادة الجيل وشقائه وهزيمته وانتصاره، فقد صدق الشاعر أحمد شوقي حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق.

إن الحديث عن المرأة يعني البحث عن أفضل السبل والأهداف التي تكفل لها السعادة والحياة الكريمة، ونيل حقوقها الشرعية، وتكفل للمجتمعات الرقي والتقدم والازدهار. ولقد أخذنا اهتمام شديد بالموضوع وما فيه من جديد، بناء على ما تحصل لدينا في هذا المجال من رصيد، بعد أن اشتغلت بتدريس وحدة المغرب الإسلامي،وبدأ اهتمامي يزداد يوما بعد يوم بحضارة المغرب الإسلامي عامة، ودور المرأة فيه بصفة خاصة، وقد لاحظت أنه للإجابة على إشكاليات الموضوع وملابساته كان يقتضي مني دراسة الموضوع من جوانب عدة:

١ـ إشكالية البحث:

كان من بواعث اختياري لهذا الموضوع إيماني القوي "بإسهام المرأة في حضارة المغرب الإسلامي"،ولما كانت الفترة الزمنية طويلة،فقد حددت الموضوع من النصف الثاني للقرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة / الثاني عشر ـ الخامس عشر الميلاديين، لعدة أسباب يمكن حصر أهمها في:المبرر الأول الذي دفعني للاهتمام بهذا الموضوع، هو معايشتي له منذ مدة، حيث كان التاريخ الحضاري محور إهتماماتي الشخصية والعلمية، إذ لامست بعض جوانبه الاجتماعية والثقافية في العهد الزياني أثناء إعداد رسالة الماجستير من خلال البحث موضوع **"القضاء القضاة** في **عهد الدولة الزيانية"**، والقضاء، الذي يشكل أحد قنوات العدالة الاجتماعية، من أجل تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، وأحد وسائل الترقية الاجتماعية آنذاك .

والمبرر الثاني: فقد تراءى لي حين قرأت كتاب "أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام"
للأستاذ عمر رضا كحالة[١] ،الذي كان بالنسبة لي همزة وصل بتاريخ النساء عامة، فوقفت عليه وقوفا دقيقا، من خلال المصادر والمراجع التي توفّرت عن الموضوع، وما حققته المرأة كما أبدعته في مختلف العصور، فطففت أقرأه

وأستعجله مأخوذة برقة عاطفتها وصدق فنّها. كما لفت انتباهي في هذا المؤلف غياب دور "المرأة المغربية" غيابا يكاد يكون تاما، ورحت أتساءل مع نفسي لماذا هذا الإجحاف في حقها ؟،خصوصا أن المصادر المغربية تذكر لنا أسماء عديدة عن دور المرأة وتأثيره في المحيط الاجتماعي والثقافي وفي المجال المغربي ـ الأندلسي،كانت هذه الأسئلة وغيرها تجذبني إليها رغبة في البحث ووصولا إلى إعطاء إجابات علمية مقنعة، لذلك بادرت بالقراءة المتأنية في المصادر لعلني أقتنع بالموضوع وأسجله عنوان بحث لنيل الدكتوراه ، خصوصا أن مثل هذه الموضوعات لم تنل حظا من الدراسة والبحث من قبل الباحثين والمهتمين بقضايا تاريخ المرأة في المغرب الإسلامي، باستثناء بعض المحاولات القليلة التي اهتم أصحابها بإلقاء الضوء على تاريخ المرأة عموما خلال مراحل زمنية معينة.

وبعد القراءة والتفحص في الموضوع تبين لي أنه مازال الموضوع بكرا يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، فشدني إليه أكثر توفر المادة المصدرية المتناثرة هنا وهناك، ومما زادني رغبة في الموضوع تشجيع الأستاذ المشرف الذي أعجب به وأقترح علي تسجيله كموضوع لأطروحة الدكتوراه، فإليه يرجع الفضل في إثارة انتباهي إلى موضوع" المرأة المغربية وإسهاماتها في حضارة المغرب الإسلامي".

أما المبرر الثالث، هو علمي يرتبط بأفاق ما وصل إليه البحث العلمي والدراسات التاريخية برحاب الجامعات المغرب العربي،إذ تراكمت الدراسات والأبحاث في التاريخ الاجتماعي المغرب الإسلامي خلال العقود الأخيرة،وتمت تغطية جل العصور التاريخية منذ العصور القديمة حتى التاريخ المعاصر، وقد حظي العصر الوسيط بالعناية والدراسة من طرف ثلة من الباحثين المغاربة، الذين تمكنوا من سد القصور الكبير الذي كان ملاحظا فيه. فالفترة الممتدة بين القرن الأول إلى غاية عهد الموحدين، قد غطتها دراسات عديدة منها الدراسة المفصلة والقيمة للأستاذ مولاي هاشم العلوي القاسمي[2]، كما تزخر مكتبتنا التاريخية بتغطية العهد الفاطمي خلال منتصف

(١) عمر رضا كحالة:**أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة ،ط٢،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٢) هاشم العلوي القاسمي :**مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن ٤هـ/١٠م** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة،المحمدية،١٩٦٦، جزآن .

القرن ٤هـ/١٠م لأستاذنا المقتدر الدكتور موسى لقبال[1]، أما فترة العهد المرابطي خلال القرن الخامس الهجري للأستاذ الباحث إبراهيم القادري بوتشيش الذي وسع دراسته اعتمد فيها على الفتاوي الفقهية لدراسة المجتمع بالغربي لتشمل المجتمع المغربي والأندلسي[2].

أما فترة نهاية العصر الوسيط فقد عالجها الدكتور مختار حساني في أطروحته القيمة تحت عنوان:"الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الزيانية"[٣]، ثم أضافت إليها دراسة قيمة للدكتور عبد العزيز فيلالي تحت عنوان: "تلمسان في العهد الزياني"[٤]، وأضاف أستاذ برانشفيك روبير في أطروحته القيمة بالفرنسية الصادرة سنة ١٩٨٢[٥]، وصدرت أخيرا دراسة علمية رصينة للدكتور محمد فتحة تحت عنوان: "النوازل الفقهية والمجتمع"[٦]، غطت الفترة الممتدة من القرن السادس إلى التاسع الهجري / الثاني عشر - الخامس عشر الميلاديين ، اعتمد فيها على الفتاوي الفقهية لدراسة المجتمع بالغربي الإسلامي، كما نوقشت مؤخرا أطروحتان تهمان التاريخ الاجتماعي في المغرب الوسيط ، منها أطروحة محمد ياسر الهلالي التي تناولت بعض مفاهيم التراتبية الاجتماعية أواخر العصر الوسيط[٧]، وتناولت أطروحة الأستاذ حسن محمد:"المدينة والبادية في العصر الحفصي القرن٨ هـ/١٤م"[٨]،وبظهور هذه الدراسات التاريخية
الاجتماعية، تكون فترة ما أصطلح عليه العصر الوسيط قد درست جل فتراتها بتفصيل ماعدا موضوع المرأة خلال القرن السادس إلى غاية القرن التاسع الهجري،ويعد موضوع "المرأة في العصر

---

(١) لقبال موسى:**دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، ١٩٧٩.

(٢) بوتشيش إبراهيم القادري :**المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع،الذهنيات،الأولياء)** ط١، دار الطليعة بيروت .

(٣) حساني مختار:**الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الزيانية** ،ماجستير ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر، ١٩٨٧.

(٤) فيلالي عبد العزيز:**تلمسان في العهد الزياني**، دكتوراه دولة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر،٢٠٠٠.

(٥) برانشفيك روبير :**تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣إلى نهاية القرن١٥م،** الدكتوراه، تونس،

(٦) فتحة محمد :**النوازل الفقهية والمجتمع ، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن ٦-٩هـ/١٢-١٥م)،** منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الدار البيضاء ،١٩٩٩ .

(٧) الهلالي محمد ياسر : **مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين ٨و٩هـ/١٤/١٥م** ، مساهمة في دراسة بعض مصطلحات التراتيب الاجتماعي "العامة والخاصة،الطبقة المرتبة"، دكتوراه، كلية الآداب ،الرباط،٢٠٠٠.

(٨) حسن محمد:**المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي** ،دكتوراه دولة ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس،١٩٩٥

المرابطي"[١]،الذي ناقشته الطالبة حميدي مليكة لنيل رسالة ماجستير، أول بحث في التاريخ قدم تحت إشراف الدكتور صالح بن قربة، وهو ما يشكل فراغا علميا يتعين سده وتداركه بدراسة تاريخية اجتماعية، مما يجعل دراسة

هذه الفترة ملحة وضرورية في الوقت الحالي، لأن موضوع المرأة في المغرب الإسلامي، لم يدرس حتى يومنا هذا، وهذا ما يعطي أهمية أخرى لكل دراسة تحاول سد هذا النقص في التغطية حتى تكتمل لنا الصورة عن حياة المرأة المغربية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية خلال العصر الوسيط، والتمكن من رصد المتغيرات والثوابت في هذه المرحلة المتميزة من تاريخنا .

والمبرر الرابع إن أي عمل علمي لايخلو من صعوبات يعرفها الباحثون وأهمها التي واجهتني هي المنهجية، كيفية التغلب على ما تطرحه المصادر من مشاكل كالثغرات العديدة التي تتخللها من كل صنف، كيف يتم سدها هل بالرجوع إلى المقارنة مع القرن التاسع عشر الميلادي ؟ أم بالرجوع إلى المقارنة مع التاريخ المشرقي باعتبار أن المرجعية واحدة .

وكان الهدف من هذه الدراسة هو الوصول إلى تقديم معطيات جديدة وتصحيح مفاهيم كانت سائدة ذلك أن الفترة المقترحة من النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة / الثاني عشر - الخامس عشر الميلاديين، كانت ممتدة على ثلاثة قرون تبرر استمرارية الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعوامل المتحكمة فيها، فضلا على رغبتي الأكيدة في التجول في عالم المرأة في حيز زمني أطول، لتتبع بعض الظواهر التي مازالت مستمرة إلى يومنا هذا، وقد ابتعدت أحيانا عن زمن البحث قبله أو بعده، للبحث عن أصول بعض الظواهر في الماضي، وللكشف عن استمراريتها في الحاضر،حتى تتضح صورة المرأة.

- دحض الأفكار التي اتهمت الماضي النسوي بكونه حريميا محضا، والتي انتهكت ما قامت به المرأة من أعمال جليلة، فرضت نفسها على بعض المؤرخين لتلك الحقبة سواء منهم المغاربة أو الأجانب.

- تقديم معطيات تاريخية وحضارية جديدة ، و محاولة تسليط الضوء على نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب، ثم إن إسهامها هذه لتعدو أن تكون أكثر من بداية لجيل جديد من

(١)حميدي مليكة:"المرأة المغربية في عهد المرابطين"، **ماجستير**، جامعة الجزائر ،٢٠٠١ - ٢٠٠٢.

- إبراز شهيرات النساء، اللواتي خطون خطوات ثابتة في درب الحياة، واللائي تحدّين كل العراقيل التي اعترضت سبيلهن، فتجاوزت الأسوار التي نصبت بين عالمهن وعالم الرجال.

٢ - محتويات الرسالة ومنهجها :

تطلب التلازم الوثيق بين الدراسات الأكاديمية والميدانية في البحث في موضوع دراستي، وضع منهج يكفل أولا التنسيق بين المادة العلمية على أبواب

وفصول تكفل للبحث الخطوات اللازمة للوصول إلى أهداف ، مع تسجيل النتائج التي توصلت إليها في الوقت المناسب .

واشتملت الأطروحة في ضوء هذا المنهج وقواعده على خمسة أبواب وستة عشر فصلا، ومقدمة وخاتمة، وارتأيت أن أصدر البحث بتمهيد أقدم فيه موجز لواقع المرأة المغربية عبر التاريخ، مع عرض بعض ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية .

الباب الأول:قد خصصته لـ"تاريخ المرأة في المغرب الإسلامي من الفتح حتى القرن التاسع الهجري"،بصورة شاملة ووافية، فاستعرضت في **الفصل الأول،**" المرأة المغربية من منتصف القرن الثاني إلى نهائية النصف الأول من القرن السادس الهجري"،ليشمل أوضاعها أولا: في عصر الإمارات المستقلة حدث أقبلت المرأة في عصر الرستميين على العلم والمعرفة، كما اشتهرت المرأة القيروانية بحقها في أن تشترط على زوجها إبان العقد" ألا يتزوج عليها وإلا فلها حق تطليق من يتزوجها"، وهذا بفضل معرفتها لحقوقها التي اكتسبتها إثر تشجيع علماء تونس على تعليم بناتهم شأن العالمان أسد بن الفرات والإمام سحنون،فكانت قدوة حسنة لبنات جيلها،ثانيا:" أما المرأة في المجتمعات الفاطمي الزيري والحمادي"، كانت أكثر ظهورًا في مجال الحياة العامة، فقد تمتعت بالحرية، واقتنت الثروات،واستطاعت أن تقوم بالأدوار الكبيرة في الوساطة السياسية بفضل المصاهرة والزواج التي عادت بالمنفعة الكبيرة على السلطة بالدرجة الأولى، وهذا بفضل اعتراف دعاة هذه الدول بمقامها في ظل الشريعة الإسلامية ومبادئ الدعوة الشيعية، وتعرضت في **الفصل الثاني** إلى:المرأة الأندلسية خلال حكم الإمارة والخلافة وعصر ملوك الطوائف"، إلى تبيان ما ترتب على وجود اختلاف وتنوع في أصول المرأة الأندلسية، وما نجم عن ذلك من الآثار الإيجابية، ونبوغ عديد من النسوة في كافة منحي الحياة في الأندلس سياسية وعلمية، وإسهامهن في إرساء دعائم الحضارة الإسلامية فيها، كما تعرضت في **الفصل الثالث** إلى: " المرأة المغربية منذ العصر المرابطي وحتى نهاية حكم المرينيين"، قصدت من خلال هذا الفصل مواصلة إعطاء لمحة

تاريخية لمسيرة المرأة المغربية منذ عصر المرابطين وحتى سقوط حكم بني مرين، وسأبين أن إسهامها في البناء الحضاري يرتبط أساسا بالظروف البيئية والاجتماعية، والأفكار الدينية والسياسية التي فتحت بها مجال المشاركة في الحياة، وحاولت اكتشاف أوجه الاختلاف والتشابه بين نساء المغرب والأندلس طيلة هذه الفترة.

والباب الثاني :بعنوان" دور المرأة السياسية والعسكرية والدبلوماسية " تضمن ثلاثة فصول:أولها تدعيم وترسيخ الحكم وذلك بتكتمها من بعض الأمور حتى تجنب الدولة اضطراب سياسي مؤكد وقوعه، وحرصها على ربط

العلاقات الحسنة بين الدول بسلسلة من المصاهرات والزيجات إيمانا منها بالدور الخالد في تدعيم أواصر القربى والمودة بين الجماعات والشعوب، أما **الفصل الثاني** تضمن الدور العسكري سواء كمقاتلة ومشجعة أو مقدمة لمؤن للجيش، أو باعتبارها سببا في إعلان وإخماد الحروب، وتذكر المصادر التاريخية بعض أسماء النساء اللائي جاء ذكرهن في ثنايا سرد الأحداث وتركت أخريات،أما **الفصل الثالث** تضمن دورها في الوساطة والاستشارة السياسية، ويظهر ذلك عندما أبدت مشورتها في بعض القضايا السياسية وتدخلها في المصالحة السياسية.

وقد عالجت في موضوع **الباب الثالث:**"المرأة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية"،**فالفصل الأول:**" مكانة المرأة في الحياة الاجتماعية" يتناول دور المغربيات الاجتماعي الذي ظلّ متأثرًا بإلزامية الرّجل لم تكن تأخذ الشكل نفسه في جميع طبقات مجتمعات المغرب الإسلامي،لأن نساء القصور كن أكثر حظًا،إذ توفرت لهن حياة ناعمة،فشاركن في الاحتفالات،والمناسبات،التي كانت تقام بالقصر،فضلا عن ذلك ظهور بعض أمهات أولاد وبنات الخلفاء اللائي لعبن أدوارًا مهمة في القصر، كذلك تميزهن عن العاميات باتخاذ الألقاب والعلامات، كما أن ثراء الخلفاء والسلاطين قد أتاح لهن الفرصة في أن ينفقن الكثير في تشييد بعض المنشآت ، لاسيما الدينية منها .

والصف الثاني:" مشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية" فيتناول أحوال المرأة المغربية من حيث حصولها على حقوقها وحريتها،وكان عمل المرأة في عصر الموحدين محدودًا لتشدّد ابن تومرت ورفضه خروجها،الشيء الذي أصبح مألوفا في العصور اللاحقة،فقد كانت البدويات تقمن بحرث الأرض، حصد الزرع ودرسه وجمعه، ورعي الماشية والدواجن، وهي بذلك تساهم في تنمية

تومرت ورفضه خروجها، الشيء الذي أصبح مألوفا في العصور اللاحقة، فقد كانت البدويات تقمن بحرث الأرض، حصد الزرع ودرسه وجمعه ،ورعي الماشية والدواجن، وهي بذلك تساهم في تنمية دخل الأسرة. في حين كانت الحضريات اللواتي تملكن الأراضي، تتخذن وكلاء لنفس الغرض. كما شاركت المرأة المغربية في مهن تناسب طبيعتها كالغاسلة والمعلمة ومتقبلة الفندق والمراقبة والماشطة والقابلة والدلالة....؛ والمعلوم أن المصادر تناولت الموضوع بإشارات مقتضبة وشحيحة. **أما الفصل الثالث** يتناول"العادات والمعتقدات": تعددت السلوكات والممارسات التي كشفت عن إيمان المغربيات بعادات ومعتقدات وتمسكها بها،منها العادات المرتبطة بالخروج مثل: زيارة أضرحة الأولياء الصالحين، الذهاب إلى الحمام، أما المعتقدات فهي تكشف عن ذهنية محافظة على بصمات الجاهلية كالسحر والشعوذة ، التطير والفأل، والملاحظ أنهن مولعات بها، ومتشوقات لها حتى أن بعضهن جعلنها آية

لثبوت ولاية الولي، ومنهن من التزمت بها التزاما كبيرا لدرجة أنهن لا يقدمن على عمل ما، حتى تستشرن الكهنة والعرافين.

بينما **الباب الرابع:**" المرأة في الحياة الثقافية"، فقد تضمن أربعة فصول، **فالفصل الأول:** "المرأة المتعلمة"، يحتوي على أربع نقاط، الأولى اختلف جمهرة العلماء والفقهاء في مسألة حق المرأة في التعليم، وانقسمت آراءهم إلى قسمين: رأي يقول بتعليم المرأة وعلى رأسهم مهدي الموحدين، ورأي معارض. والثانية دور المرأة في إنشاء المدارس، فقد أسهمت بعض الأميرات المغربيات في إنفاق الأموال الكثيرة على حبسها لمشاريع خيرية اجتماعية وثقافية، والثالثة مراكز تعليم، اعتاد المغاربة في المدن والبوادي على إرسال الفتيات منذ نعومة أظافرهن إلى الكتاب، بل تعداه إلى المنازل فكثيرا ما كان يقوم أهل الفتاة بتعليم ابنتهم لتصل إلى درجة معينة من التعليم، وبعض الفتيات يتلقين العلوم في المدارس، كما جعلت بعضهن من منزلها ناديا علميا،والرابعة الإجازات، امتاز العصر الموحدي بانتشار الإجازة التي تتعلق بعلم معين أو جملة علوم معينة كإجازة قرآنية وإجازة حديثيه، والجدير بالذكر أن المجاز في علوم القرآن يحمل لقب المقرئ ويسمح له بالانضمام إلى هيئة تدريس القرآن وقد حظيت بعض العالمات بها، مثل الإجازة التي منحتها فاطمة بنت عبد الرحمان القرطبي لأبي القاسم ابن الطلسان، وإجازة أب عبد الله بن إبراهيم الطالبة زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن في علم الكلام، وإجازة العالمة أمة الرحمان الغرناطية لطالبتها خديجة ابنة ابن عزوز، وإجازة الشاعرة عائشة البجائية لطالبها الغبريني ...الخ . والخامسة اهتمام السلطة بالمرأة، فقد حظيت النساء العالمات برعاية السلاطين، كالشاعرة حفصة الركونية، والطبيبة عائشة بنت محمد الجيّار وغيرهن. والسادسة علاقة الزمالة العلمية بين العالمات والعلماء، كانت المرأة العالمة المغربية آخذة ومعطاءة، فهي تمنح الإجازة العلمية وتمنحها، تتعلم وتعلم، تتبادل الرسائل العلمية والأدبية والشخصية مع العلماء، إنها مؤشر أخوة وصداقة وزمالة، مما يدل على بلوغ المرأة المغربية مرحلة من ازدهار في العلم، خاصة إذا نظرنا إليها بمنظار عصرها. والسابعة شهيرات العالمات،لقد أسهمت المرأة في الحياة الثقافية في جميع مناحي العلوم، لكن الحظ حالف بعض منهن وسجلن أنفسهن في التاريخ الحضاري الإسلامي،منهن المهاجرات من المشرق والوافدات إلى المغرب . **والفصل الثاني:**" أثر المرأة في العلوم الدينية والأدبية"، ففي فترة نشوء الدولة شاركت المرأة في الاستماع إلى ابن تومرت ونصائحه، وأصبحت بنات الأمراء القدوة الصالحة لبنات العامة في الإقبال على العلم، فقد تعودت الكثير منهن حضور المجالس العلمية والاستماع إلى نصائح وإرشادات الشيوخ، ولاسيما النساء اللواتي ينتمين إلى الأسر الحاكمة و الأسر العالمة التي حرصت على تلقين بناتها علوم الدين، وبرزت في الساحة الثقافية كثير من

العالمات في العلوم المختلفة، **والفصل الثالث:**"وظائف المرأة في المجتمع"،فقد شجع سلاطين دول المغرب الإسلامي على توظيف العالمات، وقد اشتغلن في مناصب عديدة من بينها الكتابة،والتعليم والطب،وكن قدوة للمرأة المثقفة المسلمة. أما **الفصل الرابع:**"إسهامات المرأة في التراث الشعبي"، كان الجواب من خلال بعض النماذج من الشعر سواء الشعر الأمازيغي أو شعر العامي، حن بصدد البحث في التراث الشعبي يجدر بنا إعطاء لمحة موجزة عن منظور الشعر الغنائي الأمازيغي للمرأة باعتباره سابق الشعر بالعامية وبالعربية لتتضح الصورة عن مختلف مناحي بلاد المغرب الإسلامي، وكذا الموشح والزجل ، كما تعمقنا إلى بحث عن الأمثال الشعبية التي قيل بلسان المرأة المغربية، وقد تبين أن الأمثال الشعبية ثمن الحياة الاجتماعية بكل أبعادها، كالأبعاد الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية، وقد توقفنا على البعض من الدلالات الاجتماعية التي تضمنتها الأمثال أو حافظت على بقائها واستمرارها وأهمها ما يتعلق بالمرأة في المجتمع وعلاقتها تتصل بالعائلة، كالعلاقة بين الزوجين وتدعيمها لمسألة الزواج ومظاهره (الزواج المبكر، دفع المهر، وجوانب أخرى تتعلق بأهمية الإنجاب ...إلخ) وحسن وجمال المرأة المغربية وغيرها من أمور تخص المرأة كإنسان أو زوجة أو أم أو ابنة.

على حين خصصت **الباب الخامس** عن:"اللباس والتزوق عند المرأة المغربية"، وتضمن ثلاثة فصول، **فالأول:** " اللباس"، كانت الأقمشة التي تصنع منها الملابس في الغالب مغربية ذات جودة عالية سواء أكانت حريرية أو كتانية، وكانت الملابس تحلى بخيوط ذهبية دليلا على الترف الذي عم البلاد، ومع الأجزاء الكثيرة التي تشملها ملابس المرأة ، تناولنا كل منها على حدة من أغطية الرأس المختلفة والملابس سواء الداخلية أو الخارجية والحجب، ثم أنواع تسريحات الشعر، التي شاعت في تلك الفترة،**والثاني:**"الحلي"، وهي بأنواعه المختلفة من خواتم وأقراط وأساور والمعادن المصنوعة منها سواء الذهب أو الفضة والأحجار الكريمة، **والثالث:**"أدوات الزينة"،التي استعملتها المرأة في هذا العصر،كما تعبر عن المستوى الحضاري،الذي وصلت إليه بلاد المغرب الإسلامي، هذا إلى جانب المكاحل والعطور والمرايا،...وأخيرا، السمات العامة التي كانت تميز جمال المرأة في ذلك الوقت. ويعتبر هذا الفصل الأخير خاتم المطاف والثمرة العملية لهذه الدراسة...

ونظرا لطبيعة البحث الذي تحتاج إلى تقصي النوازل واستقراء المصادر و تحليل ما جاء فيها ومقارنتها ببعضها، فإن المنهج المتبع كان منهجا استقرائيا وصفيا تحليليا مقارنا .. وفي تعاملنا مع المعطيات والنصوص رأينا ضرورة الالتزام بما يلي :

ـ تفادي الإكثار من المختصرات عند توثيق المعلومات والإحالة إلى المصادر، منعا للغموض والالتباس.

ـ اعتمدت على كتب النوازل والمناقب والتراجم وتكرارها في مجالات مختلفة، ليس لملء الفراغ وإنما لتواجد أعلام النساء فيها.

٣ ـ الصعوبات:

وفي النهاية، أحمد الله على أن العوائق التي واجهتني لم تكن ذات شأن كبير مقارنة بأهمية الموضوع، ومن يعرف المطلوب يحقر ما بذل، وأيضا لأنني تلقيت دعما مشكورا من بعض أساتذتي الكرام، الذين لم يألوا جهدا في مساعدتي كل حسب جهده واختصاصه،إلا أنني أذكر بعض الصعوبات التي اعترضت طريقي أثناء إعدادي لهذا العمل، فمنها:

ـ صعوبة قراءة بعض المخطوطات خاصة التي تضمنت بعض العبارات الفقهية، والتي عبثت بها يد الزمن وتآكلت بعض أوراقها.

ـ شح المعلومات المتعلقة بالنساء في كتب المصادر، مما اضطرني إلى تتعبي صفحة صفحة وسطرا سطرا، لعلي أعثر في ثناياها على إشارة مقتضية عن المرأة.

ـ التنقيب عن النساء في التاريخ ليس بالأمر الهين، لاسيما وأن الفترة الزمنية التي حددتها للدراسة طويلة.

ـ التنقل إلى المكتبات الكبرى المنتشرة في مختلف أنحاء بلاد المغرب العربي للبحث عن معلومات جـ يـ ة تغني البحث .

ـ صعوبة الوصول إلى كثير من آثار النساء خاصة المخطوطات الموجودة سواء في مكتبات العامة أو في مكتبات الخاصة التي لا تفتح أبوابها للباحثين.

ـ إعادة في ذكر أسماء العالمات اللواتي لهن إسهامات متعدد في العلوم الكثيرة، مما يجعل أسماء منهن مكررة في صفحات كثيرة من الأطروحة.

ـ عدم تنسيق بين الفصول في عدد الصفحات، يعود هذا إلى توفير المادة في البابين الثالث والرابع (الحياة الاجتماعية والثقافية) وعدم توفيرها في الأبواب الأخرى.

ـ وقد واجهت أول صعوبة في كون الموضوع له طابع ميداني ويعني بمنطقة غير متجانسة سياسيا وغير مؤتلفة في أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إذ يميز منطقة المغرب الإسلامي تميز وتنوع تكاد أن تكون حادة بين الحضريات والبدويات الشيء الذي يوقفنا على فسيفساء ثقافية واجتماعية تتنوع

وتتمايز فيها العادات والتقاليد رغم وحدة الانتماء إلى روح الشريعة الإسلامية والوفاء للتقاليد والتشبث بها.

لكن كل هذه الصعوبات لم تثن عزيمتي ولعل الفضل يعود فيها إلى تشجيع وتوجيهات الأستاذ الدكتور المشرف صالح بن قربة،لهذه الأسباب كلها مفينا قدما في إنجاز هذا البحث وإتمامه. وفي الأخير خاتمة عامة للبحث وتضمن مجموعة من الاستنتاجات.

وفي الختام أنوه بالمساعدات القيمة التي قدمت لي أثناء بحثي وجمعني للمادة، كل من عمال وموظفي المكتبة الوطنية، المكتبة الجامعية بالجزائر، المكتبة الوطنية بتونس، والخزانة العامة بالمغرب الأقصى، ذلك أنّ مساعدتهم جعلت هذا البحث أسهل بكثير، فلهم مني جزيل الشكر وأعمقه.

كما أتقدم مرة أخرى بجزيل شكري وامتناني لأستاذي الدكتور صالح بن قربة، الذي تكبد مشقة الإشراف ومتابعة هذا العمل، منذ كان فكرة إلى أن أنجزت فيه الأطروحة، متابعة امتازت بالحزم السديد، وبإرشاداته العلمية الصائبة والموفقة، وإلى الأستاذ الدكتور القدير مختار حساني الشكر والتقدير لما قدمه لي من تشجيع ومنح لي بعض مخطوطات نادرة ساعدتني في البحث، والأستاذ القدير حسين بوخبزة الذي قام بطبع الأطروحة، وكم كان صبورا معي في التصحيح، ولا أنسى حسن استقبال أسرته الكريمة لي في منزله.

وأخيرا أتوجه إلى الله تعالى بالحمد والثناء على ما تكرم به وأنعم، وأسأله قبول العمل والتجاوز عن الزلل، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

٤ ـ نقد المصادر والمراجع:

يطرح البحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب في العصر الوسيط ، جملة من المشاكل والصعوبات، لها علاقة بالخلفية المصدرية والمرجعية التي يمكن الاعتماد عليها، وبنوعية وطبيعة المنهج الذي يمكن في إطاره توظيف ما تيسر ضبطه والوقوف عليه من معلومات تاريخية.

وعلاوة على الغياب شبه الكلي إن لم نقل المنعدم للمصنفات التي اهتمت بالمرأة في المغرب الإسلامي، فإن عددا من مصادر أخرى تعرضت للضياع، ووصلت إلينا أجزاء أخرى مبتورة وناقصة، والمتوفرة تبقى الاستفادة منها مرتبطة بما تقدمه من وصف تفصيلي لبعضهن، ولا يعني ذلك تلمسا للأعذار، وأن الدراسة ستكون محكومة بالعموميات بل حافزا قويا، وإنذارا، وركوب

قافلة الزمن في متعة السائح المتلذذ بالتراث، ولكنه المحروم من المشاهد الحية، والذي هو أيضا في حاجة ليس إلى آلة تصوير، بل إلى سلاح يصحبه من النقد والتفحص والتمحيص، وكذا إلى خيال متوازن لا يفرط فيه فيشوه معالم الماضي، ولا يبخل به،فتأتي صورة باهتة ليس لها مكانها من الأعراب، ولن يكون ذلك متيسرا إلا بالاعتماد على ما تبقى من مصادر على اختلاف أنواعها وألوانها وكذا الاستئناس بما سبق أن أنجز من دراسات حول موضوع المرأة بوجه عام.

وهكذا اهتمت بعض المصادر على قلتها بمسألة المرأة، لكن درجة اهتمامها اختلف باختلاف أنواعها، فكتب التاريخ مثلا انصب اهتمامها على صنف خاص من النساء ممن كان لهن دور في توجيه بعض الأحداث التاريخية، أي اللواتي ساهمن بطريقة أو بأخرى في صنع الحدث السياسي بالخصوص، ولم يأت ذلك إلا لبعض نساء الأسر الحاكمة. أما نساء باقي الشرائح الاجتماعية فلم تعرها أي اهتمام رغم أنها شكلت وما زالت تشكل القاعدة العريضة للهرم المجتمعي.

أما كتب التراجم والمناقب والوفيات على تعددها، فقد أولت فائق اهتمامها بالرجال المتصوفين، والعلماء والفقهاء، ورجال السياسة، ولم تشر إلا نادرا إلى بعض أعلام النساء، وربما أوردت بعض أخبارهن عرضا في ثنايا تراجم بعض مشاهير الرجال لكننا وجدنا ضالتنا، وما أشفى غليلنا كتب الرحلات، والنوازل الفقهية، ونقد المجتمع، والأمثال الشعبية، والأزجال سواء بالعربية أو الأمازيغية مصدرا معينا لنا في هذا الموضوع.

أوّلا: المخطوطات.

تكون بالرغم من قلتها المصدر الأوّل الذي زوّد فصول الرّسالة بمادة علمية قيمة وجديدة، ذلك أن أصحابها كانوا ممن عاشوا فترة دراستنا، وعمدوا إلى تأريخ الأحداث التي جرت في حياتهم أشبه باليوميات أو بالمذكرات الشخصية.

ونذكر منها المناقب والنوازل وقد ازدهرت ابتداء من القرن السادس الهجري، وهي التي تصوّر لنا ذهنية مجتمعات المغرب الإسلامي، وقد تناولت مخطوطات المناقب شخصيات بارزة في تاريخ المغرب الإسلامي لشهرتهم

وأثرهم على النّاس، ومنها تلك التي تناولت وضعية المرأة وأحوالها في كل من المغرب والأندلس ما يلي:

ـ مناقب عائشة المنوبية: لمؤلف مجهول، يضم هذا المخطوط ستة وثلاثين ورقة، والمخطوط متوفّر بعدد كبير من النسخ في دار الكتب الوطنية بتونس تحت أرقام: ١٨٢٢١،١٧٩٤٥،٤٢٢٨ وغيرها،وقد اعتمدت على نسخة رقم١٨٢٢١، ويعتبر المصدر الوحيد والأساسي في المغرب الإسلامي وربما في المشرق كذلك، إذ لا نعثر في المناقب المغرب الإسلامي المتصلة بفترة دراستنا إلا على شذرات عرضية تخص النساء المتصوّفات والواليات لا تحضر فيها تقاطيع سيرتهن إلا إشارات عابرة، بحيث تكاد المناقب النسائية تنحصر على هذا الصعيد في شخصية **عائشة المنوبية**، وهو المصنف الوحيد الذي يفرد كامل صفحاته لامرأة، ليس على مستوى تونس فحسب بل على نطاق الحركة الصوفية المغاربية برمته.

والمخطوط الذي اعتمدنا عليه يحتوي على محورين أساسين: مناقب الولية في حياتها، ومناقب بعد مماتها، ويبدو أن محرر هذا المصنف يحمل اسم"حسن بن عبد الله"، ترى هل هو صاحب التأليف لهذا المخطوط؟، ومهما يكن من أمر فإن القيمة التاريخية والسوسيولوجية لهذا الأثر كبيرة فضلا عن الأضواء التي يسلطها على مكانة المرأة المتدينة والمتصوّفة في بلاد المغرب الإسلامي، وهو نموذج من نماذج كثيرة لم تظهر بعد.

ـ الفائق في أحكام الوثائق: لمحمد بن عبد الله،ابن راشد القفصي المتوفي (٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م) يوجد المخطوط في عدّة نسخ في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم٣١٠٤، ويعتبر من المصادر المهمة في القضاء لصلة التوثيق بحقوق الناس وهو أمر تولاه العدول الذين كانوا تحت نظر القاضي،وهو السبيل إلى تحقيق العدالة بين الناس عند التقاضي بينهم إذ صلاح التوثيق هو صلاح القضاء،و يعرض ابن راشد في الكتاب الأحكام الفقهية متبعا أبواب الفقه، وكانت استطراداته مهمة للغاية لأنّها عبرت عن الواقع المعاش، فكان يذكر قضايا المرأة والمجتمع في مواضيع شتى.

ـ جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام: للشيخ أبي القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني،البرزلي،المتوفي (٨٤١ أو

٨٤٣هـ /١٤٣٧ أو ١٤٣٩م) والكتاب مازال مخطوطا في عدّة نسخ في دار الكتب الوطنية التونسية، منها النسخة التي رجعنا إليها وهي الموجودة تحت رقم ٤٨٥٠، والكتاب هام جدّا لأنّه يرجع إلى العصر الحفصي، رغم كونه يذكر وقائع من فترات سابقة وقدم لنا صورا عديدة عما يجري في تلك الحقبة والآراء الفقهية الخاصة بموضوعنا حول الزّواج والطلاق وما يتعلّق بهما .

ـ **المجموع أو الديوان**:للعلامة أبي عبد الله محمد الخطيب المتوفى (٧٨١هـ/١٣٧٩م) ، وهي مجموعة من النوازل، توجد نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم ١٣٤٢، وردت به بعض المعلومات حول أحوال المرأة الشخصية وعلاقتها بالمحيط الأسري، وعاداتها سواء المقبول أو المرفوض منها، كما شكل بالنسبة لموضوعنا حجر الزاوية لما تضمنه من أخبار عن نساء بني زيان،فقد ذكر بعض أسماء العالمات والفقيهات .

ـ **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**: للقاضي أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني المتوفي(٨٨٣هـ /١٤٧٨م) يقع المخطوط في نسختين في المكتبة الوطنية بالجزائر،تحت رقم ١٣٣٦، ١٣٣٥،والكتاب هام جدا لأنه يرجع إلى العصر الزياني، عالج فيه صاحبه مجموعة من النوازل تتعلق مباشرة بشؤون المرأة الشخصية والاجتماعية والاقتصادية، وكانت الاستفادة منه في كل ما يتعلق بمسائل الزواج والطلاق،والإرث، وخروج المرأة،وهروبها من القبيلة إلى أخرى،الخ.. وأحوالها الشخصية. قام بتحقيقه الدكتور حساني مختار، بجامعة الجزائر، ٢٠٠٤.

اطلعنا من خلال هذه النوازل على مجموعة من المشاكل التي كانت تعاني منها المرأة كالزواج والطلاق، وما ارتبط بواقعها ما كان مقبولا ومنها ما كان مرفوضا عند فقهاء العصر، ومنها ما أثار جدل الاختلاف بينهم، ورغم ما اتهمت به المرأة في هذا المؤلف من ضعف وركون، كشفت بعض نصوصه عن حضورها الكبير في شتى المجالات الحياتية، وأبرزت لنا نوع العلاقة الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك بين الرجل والمرأة، والتي تمثلت في علاقة سيد بمسدود، وقد تضمن هذا الكتاب أحوال النساء بصفة عامة في المغرب والأندلس.

ـ ثانيا: المصادر.

١ ـ الجغرافيا والرحلات والموسوعات:

يشكل هذا النوع من المؤلفات مصدرا هاما لدراسة التاريخ الحضاري، لما تكنزه من معلومات جد هامة فلما يجدها الباحث في غيرها من المؤلفات،

لأن أصحابها كانوا في أغلب الأحيان شاهدي عيان أما وصفوه فجاء وصفهم دقيقا ومفصلا، ومن كتب الرحلات التي اعتمدنا عليها:

- **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب :** لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م)،وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، حققه و نشره البارون دي سلان الذي نقله إلى الفرنسية بعنوان Description de l'Afrique septentrionale ، الجزائر، ١٩١١،الطبعة الثانية،١٩١٣، تبدو معلوماته عن المغرب واسعة، فقد توفر على مصادر لم يطلع عليها الآخرون، فرغم عدم زيارته للمنطقة، إلا أنه كان قريبا منها، فقد عاش بالأندلس، وانكباب على القراءة الواسعة وسؤال الزوار والرحالة والتجار مكنه من تأليف كتابه، ولم يصل إلينا منه إلا الجزء الذي يشتمل على وصف الأندلس وإفريقيا الشمالية وبلاد السودان، يفيدنا كتابه في معرفة بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمغرب الإسلامي، لكن معلوماته كانت شحيحة حول المرأة، فلم يتعرض في مؤلفه لذكر النساء إلا في سياق حديثه عن دولة برغواطة، وعن نساء سوس وأغمات بالمغرب الأقصى، فقال:"وأهل السوس وأغمات يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب، يشتغلن في غزل الصوف ويعملن منه كل حسن بديع من ألأزر"، كما ذكر بعض إشارات عن الملابس كالكساء، وعادة اللثام عند المرابطين.

- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:** لمحمد بن عبد الله الحسني السبتي المعروف بالشريف الإدريسي المتوفى (٥٦٤هـ/١١٦٠م)، طبع الكتاب ونشر كله بمطبعة بريل في ليدن،١٨٦٦، بمبادرة المعهد الجامعي الشرقي لنابولي في إيطاليا، ثم أعيد طبعه عدة مرات، وقد اعتمدت على نشرة هنري بيريس، جامعة الجزائر،١٩٥٧،أقام الإدريسي مدة بالمغرب قبل أن يلتحق"ببلرم" لتلبية دعوة " روجر الثاني" ملك صقيلية، حيث سيقوم بتأليف كتابه هذا، ويورد معلومات قليلة ولكنها هامة عن نساء منطقة سوس من المصامدة، وأشار كذلك للملابس.

- **معجم البلدان:** لشهاب الدين بن عبد الله الرومي البغدادي، المشهور ياقوت الحموي المتوفى (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)،اعتمدت على طبعة القاهرة،١٩٠٦،تحتوي على (٢٠)جزء متسلسلة، هو معجم جغرافي بالأساس، يمتاز بترتيب مواده حسب حروف الهجاء، لكن يؤخذ عليه عدم التزامه الدقة في تعريف بعض الأقاليم الجغرافية، وخاصة المغربية، وينفرد المصدر بذكر بعض شخصيات نسويه ، عندما ذكر قطعة منسوبة إلى الشاعرة "ابنة ابن السّكان المالقية"، لم نعثر لها على أثر في غيره من المصادر.

ـ **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار:** لأبي عبد الله محمد الطنجي اللواتي ابن بطوطة المتوفى (٧٧٣ هـ /١٣٧٧م)، اعتمدت على تحقيق علي المنتصب،بيروت، الطبعة ٤، ١٩٨٥م، عرف الكتاب برحلة ابن بطوطة، ينفرد الكتاب بمعلومات وشهادات قيمة عن عادات وتقاليد المجتمع المسوفي عندما قام بزيارة مضارب قبائل صنهاجة سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٥م، منطلقا من سجلماسة إلى ولاته ـ واستقر بها مدة غير قصيرة ـ وقد لاحظ أن أغلب سكان المدينة المذكورة ينتمون إلى قبيلة مسوفة إحدى أهم القبائل الصنهاجية الكبرى والمشهورة في الصحراء منذ العهد المرابطي ولمس عن قرب، خلال المدة التي قضاها بالمدينة، عاداتهم الاجتماعية وتقاليدهم، وما أثار استغرابه منها واندهاشه المكانة التي تتمتع بها المرأة هنا، إذ يقول: " وأكثر السكان بها من مسوفة، ونسائها الجمال الفائق، وهن أعظم شأنا من الرجال، وشأن هؤلاء القوم عجيب وأمرهم غريب.."،كما يحتوي الكتاب على معلومات حول الجهات التي زارها ابن بطوطة، ومنها التي تذكر الزواج والأعراس والولائم.

ـ **وصف إفريقيا:** للحسن بن محمد الوزّان الفاسي المعروف بالأسد الإفريقي المتوفى (٩٥٩هـ /١٥٥٢م)، كتبه مؤلفه بالعربية،وضاع النص العربي، وإنما عرف بواسطة النسخة المكتوبة بالايطالية ،حيث نشرت في حياة المؤلف سن٩٥٧هـ/١٥٥٠م ـ في ثلاث مجلدات. ومن الايطالية ترجمة إلى عدة لغات، وعن الفرنسية أيضا نقل الكتاب إلى العربية،واعتمدنا على بترجمته محمد حجي ومحمد الأخضر،ط ٢ ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،١٩٨٣. لقد اعتمدنا على هذا المؤلف اعتمادا كبيرا لما تضمنه من ظواهر اجتماعية مختلفة لمناطق مغربية متعددة، استنبطنا منها ما تعلق بالمرأة في كافة أرجاء بلاد المغرب الإسلامي، وبالخصوص حواضر تونس، تلمسان، فاس، وأشاد الوزّان بما كانت تتمتع به المرأة من حرية ومكانة طيبة في المجتمع، هذا إلى أنّ مشاهداته لم تقتصر على أحوال المرأة في حاضرة فاس بالمغرب الأقصى، وإنّما تناول المرأة بالدراسة في مدن وقرى بجميع أرجاء المغرب الإسلامي، التي امتدت إليها رحلته، فقدّم لنا مختلف ممارسات الحياة اليومية للمرأة التي تهمنا في بحثنا.

٢ ـ التاريخ.

نذكر من بينها كتبا حاولت أن تحيط بتاريخ كل الأمم في مقدمتها دولة الموحدين ومن أهمها:

ـ **كتاب أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين:** لأبي بكر بن علي الصنهاجي المكني بالبيدق المتوفى (أواخرق٦هـ/١٢م)،اعتمدت على

تقديم وتعليق وتحقيق عبد الحميد حاجيات،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، طبعة،١٩٨٦م، ساهمت معلوماته في تتبع الحملة التي دشنها ابن تومرت ضد بعض المظاهر السلوكية المرفوضة، فمن بجاية إلى تينمل طريق عودته إلى المغرب الأقصى، لم يفت البيدق الإشارة إلى مواقف زعيم الموحدين، وردود أفعاله كلما ظهرت له عادة من عادات الناس المخالفة للشرع، كاختلاط النساء بالرجال عند سقاية الماء، وفي المتنزهات،و حينما يتعلق الأمر باستهجان زينة النساء وملابسهن في يوم العيد، وخروجهن للصلاة أو حين يبعن اللبن في الأسواق والبيوت وهن مزينات مكحلات.

ـ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب:** لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي المتوفى (٦٢٥هـ / ١٢٢٨م)،ألفه ببغداد استجابة لرغبة للخليفة العباسي ـ لم يذكر اسمه ـ ينقسم الكتاب إلى قسمين:الأول، خاص بالأندلس ،أما قسم الثاني فيتناول الدولة الموحدية منذ تأسيسها على يد ابن تومرت إلى عهد الأمير يوسف الثاني عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م،نشر الكتاب عدة مرات واعتمدنا على الطبعة التي أصدرتها شركة النشر المغربية بسلا، بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي، سنة١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، وكذا طبعة القاهرة بتحقيق الأستاذين سعيد العريان ومحمد العربي العلمي عام ١٩٤٩، معلومات هامة عن الدولة الموحدية، تطرق المؤرخ للطور الأخير للدولة المرابطية وبداية الدولة الموحدية، وقد أفادنا في إبراز تدخل النساء المرابطيات مباشرة في شؤون الحكم خصوصا في مرحلة الضعف،كما أشار إلى معلومات متشعبة شأن اعتقاد النساء بعقيدة المهدي ابن تومرت، وعن لباس المميز الذي فرض على اليهود خلال العصر الموحدي، وإنعام رجال دولة المرابطين باللباس.

ـ **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان:** لحسن ابن علي بن محمد الكتامي المعروف بابن القطان (كان بقيد الحياة حتى النصف الثاني من ق ٧هـ/١٣م)،يعود الفضل في تحقيقه إلى الدكتور محمد علي مكي، ثم نشره بالمطبعة المهدية بتطوان، في ٢٤٦ صفحة سوى التقديم والفهارس،يعد الكتاب من المصادر الهامة في العصر الموحدين، سجّل لنا بعض الأحداث الهامة أواخر الدّولة المرابطية وبداية الدعوة الموحدية، كذكر أسماء بعض النساء ، عندما أشار إلى الأمراء والقادة الذين اقترنت أسماءهم بأسماء أمهاتهم، كذلك استفدنا بمعلومات التي وضعت في الهوامش هذا الكتاب التي وضعها المحقق محمد علي مكي.

ـ **الكامل في التاريخ:** لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير المتوفي (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) وهو مصدر مشرقي،بدأه المؤلف منذ فجر التاريخ المعروف، وحاول أن يكون جامعا لأخبار دول المشرق والمغرب إلى أواخر حياته سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م،يقع الكتاب في ١٢جزءا تكرر نشرها.اعتدنا

عليه في مواضيع شتى ،منها على سبيل المثال :" ذكر بعض احتفالات الزواج الضخمة لحكام المغرب الإسلامي.

ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:** لأحمد بن محمد المراكشي المعروف بـ ابن عذاري (استمر بقيد الحياة إلى عام ٧١٢هـ/١٣١٢م)،نشر الكتاب عدة مرات بعناية الهولندي دوزي،في ليدن،الجزء الأول عام ١٨٤٨،والثاني ١٨٤٩،ثم أعاد نشرهما معا الأستاذان: كولان و بروفنسال في ليدن،الجزء الأول عام ١٩٤٨،والثاني ١٩٥١،والثالث طبع في باريس بعنوان:"تاريخ الأندلس من حين انقراض الدولة الأموية إلى آخر ملوك الطوائف"،عام ١٩٣٠،بتحقيق بروفنسال، واعتمدنا على نفس التحقيق، ط٣، ١٩٨٣دار الثقافة، بيروت، يبدأ الكتاب من الفتح الإسلامي إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري، يشتمل على خمسة أجزاء، واستفدنا بالمعلومات الكثيرة أثناء سرد المؤرخ للأحداث السياسية،حيث توقف عند أهم شخصيات نسوية في دول المغرب الإسلامي ولو أنه لم يطل الحديث عنهن،كما أورد لنا معلومات مفيدة حول الزواج في الطبقة الحاكمة، وانفرد ضمن كتب التاريخ بالإشارة إلى لباس الجلابية.

ـ **المسند الصحيح الحسن، في مآثر مولانا أبي الحسن:** لمحمد بن أحمد بن محمد العجيسي التلمساني،ابن مرزوق الخطيب،المتوفى(٧٨١هـ/١٣٨٠م) يتناول الكتاب سيرة السلطان أبي الحسن المريني من جهة محاسنها،فيرصد في ٥٥ باب مآثر السلطان في شتى الميادين الحياة، مع الإشارات إلى دور زوجاته ومحضياته ،وتدخل البعض منهن في شؤون السياسة الدبلوماسية،وقد قامت بتحقيقه ماريا خيسوس،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،بالجزائر، ١٩٨١.

ـ **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية:** لمؤلف مجهول (عاش في أواخر القرن ٨هـ / ١٤م) تحدث الكتاب بعرض موسع عن تاريخ المرابطين والموحدين،ويختم بإلمامة سريعة بسلاطين الدولة المرينية إلى عصر المؤلف،وأشار في عدة مناسبات إلى ذكر نساء بني مرين،قام تكرر نشر الكتاب،واعتمدنا على الطبعة الثالثة هي التي صدرت عن دار الرشاد

بالبيضاء، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، بتحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة.

ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لعبد رحمان بن محمد بن محمد الحضرمي الاشبيلي التونسي،المتوفى (ت ٨٠٨هـ /١٤٠٦م) عميد مؤرخي العصر الوسيط، كانت إسهاماته جد مفيدة، فقد تعرّض لتاريخ المغرب الإسلامي. يحتوي الكتاب على مقدمة وسبعة أجزاء، وأما بقية الأجزاء فتناولت أخبار العرب وأجيالهم منذ البدء إلى غاية عصره وأخبار البربر وأجيالهم ودولهم بديار المغرب، وأهم ما ركزنا عليه من أجزائه السادس والسابع ، حيث تحدّث عن الحياة الاجتماعية، بكل جوانبها وذكر العادات والتقاليد التي شاهدها وعاصرها أثناء زيارته لكل من فاس وتلمسان وتونس، وأيضا أشار ابن خلدون إلى موضوع المصاهرات الحاصلة في طبقة الحكام وإلى أغواصها ونتائجها، كما تحدّث عن بعض مراحل إتمام الزواج بدءا من الخطبة إلى البناء مثل زواج أبي الحسن المريني بابنتي السلطان الحفصي وتأكد اهتمامنا بالسفرين الأخيرين من الكتاب باعتبارهما قد تناولا الفترة الزمنية التي تهمنا بالدراسة.

واحتوت المقدمة على معلومات ونظريات مكنتنا من دراسة بعض الظواهر المتعلقة بالزواج وما يتعلق به مثل الحديث عن البدو والحضر والعلاقات الزوجية والحديث عن دور القابلة وغير ذلك من المواضيع الهامة، كما انفرد في تدقيق أسماء بعض أمهات أولاد سلاطين بني زيان. وكانت أول طبعة كاملة للكتاب هي التي صدرت عن مطبعة بولاق بالقاهرة، ١٢٨٤هـ/١٨٦٨م، في ٧ مجلدات.

ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الؤلؤي التونسي المعروف بالزركشي المتوفى (٨٩٤هـ /١٤٨٨م) أفادنا بمعلومات هامة عن الحركة الموحدية وقيام الدولة، ثم انتقل إلى عهد بن حفص وصولا إلى السلطان أبي عمرو عثمان،وينفرد الكتاب بتدقيق أسماء أمهات سلاطين بني حفص، وهذا مهم بالنسبة لنا إذ علمنا أن أغلبهن أمهات أولاد من أصل غير عربي(روميات وسلجوقيات).

٣ ـ النوازل:

علاوة على وظيفتها الفقهية، تشكل كتب النوازل مستندا قيما، يمكن العودة إليه سواء فيما يهم الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي،إنها إذن مرجعا للفقيه، والمؤرخ، والسوسيولوجي لما تدخره من معلومات جد هامة، قلما توجد في مؤلفات غيرها،ولا يمكن للباحث الاستغناء عنها،وقد تشكلت بالنسبة لموضوعنا حجر الزاوية لما تضمنته من أخبار عن النساء، وأحوالهن، وتاريخهن، وعاداتهن سواء المقبول والمرفوض منها وخلفت لنا أفكار فقهاء العصر ونظرتهم إلى هذا العنصر، ومن المصادر النوازلية التي اعتمدنها:

ـ **تحفة الناظر وعينة الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**: لأبي عبد محمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني المتوفى(١٨٧١هـ /١٤٥٧م) حققه علي الشنوفي،ونشره في Bulletin d'étude orientales,Institut de France à Damas, ,tome 19,année 1965,1966 ; وردت في هذا الكتاب معلومات هامة من خلال مجموعة من الفتاوى تتعلق بالأحكام المعاملات لكل ما يخص بالحياة اليومية والاجتماعية للمرأة، كخروجها إلى الأسواق وذهابها إلى الحمامات، كما أشار إلى مسألة فقهية تخص زواج المسلمات بالمسيحيين على سبيل المثال..

ـ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب**[1]: لأحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى (٩١٤هـ/١٥٠٨م)، أخرجه جماعة من العلماء بإشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الرباط،اعتمدنا على طبعة١٩٨١ ،١٣جزء ، يتضمن هذا الكتاب معلومات كثيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية خصوصا وأن مجتمع المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ميزه حرصه الشديد على وضع إطار شرعي لسلوكه اليومي، وبشكل أوضح في القضايا التي لا يعرف موقف الشريعة منها، وقد أشار المؤلف إلى طريقته وغايته في تأليف الكتاب فقال في مقدمة تأليفه:" جمعت فيه من أجوبة متأخر يهم العصريين ومتقدميهم ما يفسر الوقوف على أكثره في أماكنه، واستخراجه من مكامنه لتبدده وتفريقه، رغبة في عموم النفع به ومضاعفة الأجر بسببه، ورتبته على الأبواب الفقهية ليسهل الأمر على الناظر وصرحت بأسماء المفتين إلا في اليسير النادر"، وتتعدى قيمة المعيار الجانب الفقهي، لتشمل أيضا الجانب التاريخي بمختلف مظاهره فهو مرجع أساسي لدراسة المجتمع المغربي الأندلسي، فالمعيار احتوى الكثير من الإشارات إلى أحوال المرأة في هذه المنطقة، من عادات وتقاليد في الأفراح والأقراح، والزواج والطلاق والمسائل المتعلقة بهما، وطريقة كسب الرزق والأكل والملبس وما إلى ذلك، الأمر الذي يجعل منه مصدرا وثيقا للمؤرخ والاجتماعي مثلما هو للفقيه والقاضي.

٤ ـ كتب نقد المجتمع:

اهتمت كتب نقد المجتمع بموضوع المرأة باعتبارها محدثة البدع، فمن الفقهاء من شد الخناق عليها وجعل جسدها، وصورتها، عورة وأفتى بقعودها في دارها، وظل ينادي بعدم خروجها. منهم من قيد الخروج بشروط ومنهم من تعاطف معها، ونصفها من الحيف الذي تعاني كانت تعاني منه. ومن كتب البدع ونقد المجتمع التي اعتمدنا عليها:

ـ **المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انحلت وبيان شناعتها وقبحها:** لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي، المشهور بابن الحاج المتوفى(٧٣٧هـ/١٣٧٨م)،اعتمدنا على طبعة١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م ، وتوجد نسخة من المخطوط بمكتبة جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، تحت رقم ١١٣٦١ ، لقد خص ابن الحاج في مؤلفه هذا فصلا عن بدع النساء، موضحا بعض ممارستهن التي حادت بهن عن الشريعة الإسلامية، وتعتبر معلوماته بخصوص المرأة بالغة الأهمية من حيث المادة التي تقدمها لباحث عن طبيعة المعتقد الشعبي عند المرأة خلال هذه الحقبة، مادة كشفت عما لم تستطيع مؤلفات أخرى الخوض فيه، كما خلفت لنا تصورات رجل فقيه متشبع بتعاليم دينه، عن أحوال عصره.

٥ ـ كتب التراجم والأنساب والمناقب:

نبدأ بالإشارة إلى كتاب:

ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك:** للقاضي عياض اليحصبي السبتي المتوفى(٥٤٤هـ/١١٤٩م) واضح من العنوان أن الكتاب موضوع للتعريف بالأعلام الملتزمين لمذهب هذا الإمام،فيعرض المؤلف تراجم من إمام المذهب حتى عصر القاضي عياض في حوالي١٥٦٩ ترجمة، عنيت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية على نشره بأجزائه الثمانية كاملا،تعرف الباحث بأعلام منطقة المغرب الإسلامي،ولكنه أهمل تراجم العالمات.

ـ **كتاب الصلة:** لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري القرطبي ،ابن بشكوال المتوفي (٥٧٨هـ/١١٨٣م) من أعظم علماء الأندلس، يعتبر الكتاب تكملة لما ألفه ابن الفرضي صاحب" تاريخ علماء الأندلس" وتضمن كتاب الصلة حوالي ترجمة لنساء، ورتبها حسب الترتيب الأبجدي، قام بنشره عزت العطار،القاهرة،١٩٥٥م..

ـ **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس:**لأحمد بن يحي بن أحمد الضبي الأندلسي ، ابن عميرة،المتوفى (٥٩٥هـ/١٢٠٣م)،الكتاب موسوعة

التراجم،فقد أحصى حوالي ١٥٩٥ ترجمة، منها ١٥ترجمة العالمات والشاعرات وغيرهن، وسار في بقية التراجم على ترتيب الأسماء حسب المعجمية المشرقية.اعتمدت على **طبعة١٩٦٧ تحقيق، إبراهيم الأبياري،الهيئة المعربة العامة للكتاب، القاهرة.**

- **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي:**لأبي يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى التادلي المعروف بابن الزيات المتوفى (٦٢٧هـ/١٢٢٩م)، واعتمدت على نسخة حققها الأستاذ أدولف فورفي بالرباط،١٩٥٨،في٤٧٩ ص، وأهمية الكتاب تأتي من ترجمة الأعلام الذي بلغ عددهم حوالي ٢٧٧ متصوف من بينهم ستة ١٠امرأة، فكانت استفادتنا منه بشكل كبير، حيث يكتسي أهمية خاصة في تاريخ التصوف في عصري المرابطي والموحدي، فضلا عن إبراز المؤرخ العلاقة التي تربط النساء بالمتصوفين والمتصوفات، مما جعلنا نحدد التوجه الفكري لنساء المنطقة، ولم تخل تراجمه من استطرادات مهمة وقيمة تحتوي على عادات وخرافات لها علاقة بالمرأة والحياة الاجتماعية.

- **التكملة لكتاب الصلة:** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، المعروف بابن الأبار المتوفى(٦٥٨هـ /١٢٦٠م) تمم المؤلف بها تدوين التراجم التي لم ترد أو وردت ناقصة في كتابي " تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي و"الصلة" لابن بشكوال ، ووردت بها أسماء الأديبات والشاعرات، واستخلصنا حياة بعضهن اللواتي شاركنا في السياسة الداخلية. اعتمدت على الكتاب التي قام بتحقيقه عبد السلام الهراس، دار المعرفة، المغرب، د، ت.

ـ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء:** لأحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي الشامي، المشهور ابن أبي أصيبعة،المتوفى(٦٦٨هـ/١٢٧٠م) ترجمة فيه للأطباء القدامى والمحدثين، وخصص الباب الثالث عشر لطبقات الأطباء المغاربة، كما انفرد في ترجمت أسرة" ابن زهر"، ذكر ٢ ترجمة طبيبة في التوليد وأمراض النساء، اللتان اشتغلتا بالأندلس أيام الموحدين،واعتمدت على طبعة بيروت، بدون تاريخ.

- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان:** لأبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن علي الأنصاري القيرواني،الدباغ،المتوفى (٦٩٩هـ /١٤٣٥م) يضم الكتاب تراجم علماء وصلحائها القيروان منذ نشأتها إلى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، ومنها أخذنا المعلومات التي تبدو ضرورية في دراستنا، فهو يخبرنا عن تنقلات العلماء وطرق عيشتهم مما جعلنا نقتبس عدة معطيات تهمنا مثل اختيار الزوجة، والتزوج بأكثر من واحدة، والمصاهرة بين العائلات الحاكمة، وبعض مسائل أخرى تخص المرأة التي يقع ذكرها عرضا لكنها

تمكننا من إكمال معلوماتنا في نواحي مختلفة من البحث،نشرت منها ثلاثة أجزاء:الأول،بتحقيق الأستاذ إبراهيم الشبوخ،نشر مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٦٨،والثاني بتحقيق الشيخ محمد ماضور، والأستاذ الأحمدي أبو النور، نشر مكتبة الخانجي بمصر والمكتبة العتيقة بتونس، ١٣٢٠هـ،وقد اعتمدنا عليهما.

ـ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة:**لمحمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي المتوفى (٧٠٣هـ/١٣٠٣)كتابه أكبر موسوعة مغربية في التراجم،استدرك المؤلف هفوات الذين سابقوه كـ:"صلة " لابن بشكوال و"تاريخ علماء الأندلس"لابن الفرضي و"التكملة"لابن الأبار،ويذيل على المؤلفات الثلاثة بالتراجم التي استدركها عليها، وجاءت أهمية الكتاب في ذكر إسهام المرأة الأندلسية في الحياة الثقافية والفكرية، فقد ورد ذكر حوالي ٢١٤ نساء أندلسية منهن أديبات وشاعرات وعالمات،اعتمدنا على طبعات التالية: تحقيق وتعليق محمد بن شريفة ، سفر ١،وتحقيق،محمد بن شريفة، ط١،دار الثقافة، بيروت، د.ت، والأسفار ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ تحقيق، إحسان عباس،ط١،دار الثقافة،بيروت١٩٦٤ ـ ١٩٧٣، سفر٨،تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ١٩٨٤.

ـ **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية:** لأبي العباس أحمد بن محمد البجائي،الغبريني المتوفي (٧٠٤هـ /١٣٠٤م)، ترجم فيه لأكثر من مائة وأربعين من رجال القرن السابع هجري/ ١٣م، من بينهم الشاعرة " عائشة البجائية"، وهو كتاب هام ثري بالمعلومات عن الحياة الثقافية والاجتماعية بمنطقة بجاية خاصة والمغرب الأوسط عامة. وقد نشر مرتين،أولهما المطبعة الثعالبية،الجزائر، ١٣٢٨هـ،ثانيهما بتحقيق وتعليق الأستاذ عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر،بيروت، ط١، ١٩٦٩وط٢، ١٩٧٩دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ـ **نفخ الطيب في غض الأندلس الرطيب:** للعلامة ابن العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى(١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م) تتضمن هذه الموسوعة تاريخا لحياة ابن الخطيب وآثاره العلمية والأدبية والتاريخية، لكن المقري لم يقف عنده فحسب، بل فضل أن يؤرخ بإسهاب لتراجم من حيث تعرضه إلى شاعرات الأندلس، وخصص لهن فصلا هو الجزء الرابع من كتابه وذلك في إطار إبراز "الشخصية الأندلسية "أمام المشرق فقد ذكر هؤلاء الشاعرات كي يعلم أن البراعة في أهل الأندلس كالغريزة لهم، حتى في نسائهم وصبيانهم"[١]،وقد خصص المؤلف حيزا مهما

من كتابه لشواعر العرب في الأندلس، فذكر منهن أربع وعشرين شاعرة ، فنلاحظ أنّه حضور مقيد ، في كمّه وكيفه، فعلى سبيل المثال تعرض المقري إلى الشاعرة "زينب بنت إسحاق النصراني" في سياق ترجمته لرضيّ الدين الشاطبي[٢]، الذي كانت لها به صالة، ووجدنا شاعرات أخريات ذكرن خارج الجزء الرابع،وقد تم ذلك أيضا عرضا،أثناء الافتخار بمدينة من المدن كما فعل مع"أنس.القلوب"[٣] أو أثناء حديثه عن طائفة من الطوائف منا فعل مع

(١) **النفح**، ج٤، ص٢٨٧.
(٢)نفسه، ج٤، ص١٦٦.
(٣) ذكرها المقري عند حديثه عن مدينة "الزهراء"،ج٤،ص١٢٦ .

"قسمونة"[١] وقد يفعل ذلك أثناء وصف مجلس كما فعل مع "متعة"[٢]أو حديثه عن شخصية رجالية كما فعل مع" نزهون"[٣] . وقام بتحقيق الكتاب إحسان عباس، ونشره بدار صادر، بيروت سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٧ ـ **الأدب:**

زيادة على ما ذكرنا، اعتمدنا على كتب الأدب لاستخراج أسماء النساء الشواعر اللواتي ساهمن في الحركة الأدبية، وتزخر القصائد الشعرية بمعلومات حول الحرية والعزة والسيادة، وقد حظيت الأندلس بنصيب وافر من هذا النوع من الكتب فقد احتفظ لنا التاريخ بالكثير من تراثها الأدبي والعلمي، لكن كتب بلاد المغرب أقل حظوة، لأنّ أكثرها تعرض للتلف والضياع ،وفيها نقرأ جملة من النصوص الشعرية والنثرية تعرفنا بحقبة معينة من تاريخ هذه المنطقة، ومن كتب الأدب نذكر: **ـ كتب الزجل و الأمثال الشعبية:** ومن أبرز ما اعتمدنا عليه:

ـ **أمثال العوام في الأندلس**:لأبي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي المتوفى(٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)تمكن هذا الأديب من جمع حوالي ٢٢٠ مثلا من الأمثال المسموعة في عصر الموحـــدين، فأفاد في التعريف، كما أفادنا أكثر،شرح وتعليق الأستاذ محمد بن شريفة، ومقارنته لأمثال العوام بالأندلس بالأمثال الشائعة بالمغرب، استنبطنا منها ما تعلق بالمرأة المغربية، طبع ١٣٩١ -/١٩٧١م.

ـ **الأمثـال المغربيـة أوأصـالة المغـرب عبـر أمثالـه:**للأسـتاذين محمـد الشرادي الفاضلي، ومحمد القباج،استخلصنا منها بعض ملامح صورة المرأة المغربية،خزانة باب شالة،الرباط،مخطوط رقم،E٣٨٩٥.

ـ **الأمثـال الشـعبية الجزائريـة:**للأسـتاذ مرتـاض عبـد المالك،قـام بجمـع أعداد كثيرة من الأمثـال الشعبية المنتشـرة فـي مختلف منـاطق بـلاد الجزائـر، وجلها تصـور أحـوال المـرأة الاجتماعيـة فـي منـاحي الحيـاة ، نشـر عـن ديـوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢.

ـ **منتخبـات مـن الأمثـال العاميـة التونسـية:** للأسـتاذ الخميـري الطـاهر ، جمع الأمثال الشعبية الخاصة بـالمرأة التونسية الحضـرية والبدويـة ،نشـر الـدار التونسية للنشر، ١٩٦٧

---

(١) ذكرها ووالدها عند حديثه عن طائفة اليهود بالأندلس،ج٤، ص١٣٥.
(٢) ذكرها عند وصفه لمجلس من مجالس الأمير عبد الرحمان بن الحكم ،ج٣،ص١٢٥.
(٣) ذكرها في الجزء الأول عند حديثه عن المخزومي الأعمى،ص٢١٤

ـ ثانيا: المراجع والدراسات الحديثة.

تمثل والدراسات الحديثة عنصرا هاما من عناصر البحث في موضوع بحثنا ويأتي في مقدمتها:

ـ **شـهيرات تونسيات:** للأسـتاذ حسـن حسـني عبـد الوهـاب، هـي دراسـة محليـة لتـونس، تـرجم المؤلـف لشـهيرات تـونس منذ بدايـة الفـتح الإسـلامي إلـى غايـة الوجـود العثمـاني،وهو بحـث تـاريخي أدبـي فـي حيـاة النسـاء طبـع الكتـاب بمكتبة المنار تونس،القسم الأول،١٩٦٤م.

ـ **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي:** للأستاذ عبد الهادي التـازي، ضـمن الكتاب تراجم لنساء المغرب الأقصـى، إضـافة إلـى الموريتانيـات والسـودانيات خـلال العصـر الوسـيط إلـى غايـة العهـد الاحـتلال الفرنسـي بالمنطقـة،وذكر المصنف مائتين واثنين وخمسين عن أسماء الشـهيرات، وقـام بتصـنيفهن حسـب الاختصـاص،كالطبيبات، الأديبـات، المتصـوفات والدبلوماسـيات..الـخ، وطبـع الكتاب بدار البيضاء، ط ١،١٣١٤١٤هـ/١٩٧٤م.

ـــــ **المغـــــرب والأنـــــدلس فـــــي عصـــــر المـــــرابطين (المجتمع،الـدهنيات،الأولياء):** للأسـتاذ تطـرق فيهـا إلـى الأحـوال الاجتماعيـة

للمـرأة المرابطيـة، وتحـدث عـن بعـض الأزيـاء فـي عصـري المـرابطين والموحدين، طبع الكتاب بدار الطليعة، بيروت ١٩٩٣.
ـ **العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحدين**:للأستاذ محمد المنوني،كانت دراسته خير معين في استكمال بعض جوانب البحث،أشار في هذه الدراسة إلى اهتمام سلاطين الموحدين وتشجيعهم على تعليم المرأة كحق مشـروع،مع ذكـر أسـماء مـن العالمـات والأديبات،نشـر الكتـاب بـدار المغرب،الرباط ، ١٩٧٧.
ـ **شاعرات الأندلس**: لجارولو تيريسا، هي أحدث دراسة اطلعنا عليها،وقد ذكرت فيها أخبارا وأشعارا لعدد من شهيرات الشواعر في الأندلس مع دراسة نقدية وتحليلية،قام بترجمة أشرف علي دعدور، ومراجعة علي محمود مكي،طبع بدار نهضة الشرق، القاهرة،١٩٩٦.
كما عدنا إلى الدرّاسات الحديثة الأخرى، ووجدنا معظمها متشابهة في البحث والتحليل، وتضاربت فيها الحقائق عند ذكر الشاعرات سواء عند تقدير الفترة التي عاشت فيها، وعند تحقيق المادة الشعرية المنسوبة إليها،ككتاب **دور المرأة في الحياة الأدبية بالأندلس**،لبلحاج فرج رشيدة ، وقد جمعت قصائد ومقطعـات لشـواعر مـن الأنـدلس أشـرف عليـه محمـود طرشـونة،كلية الآداب،منوبة،تونس،**والدر المنثور في طبقات ربات البيوت**،لزينب بنت يوسف فواز زينب، ط١،بولاق،١٨٩٤، ولقد ذكرت الباحثة عددا من أسماء النساء الشواعر وغير الشواعر من العربيات والأجنبيات في القديم والحديث، لقد مزجت الأخبار والتراجم بالأشعار، فكان عملها مجرد جمع لاغير. **والشعر النسوي في الأندلسي**، للريسوني محمد المنتصر، وهو بحث أدبي في حياة النساء الشواعر بالأندلس، طبع في دار مكتبة الحياة،بيروت،د،ت.
ولم يتم إهمال بعض الدراسات المنجزة على مستوى ماجستير أو درجة دكتوراه، مثل موضوع الماجستير للأستاذ مختار حساني القيمة الذي قدمه بعنوان **"الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد الدولة الزيانية"**،ذلك أن ما قدمه يعد أول عمل أكاديمي خاص بـ بني زيان، وقد حاول فيه إبراز دور الدولة الزيانية في مستويات عديدة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وساهم

الأستاذ في توضيح عدد هام من الرؤى، خصوصا في شؤون المرأة ودورها في الأسرة وفي السياسة الداخلية كتعيين الأمير أبي تاشفين الزياني النساء كجاسوسات في شؤون الدولة، وقد استفدنا من البحث كثيرا وفي مختلف أبواب بحثنا . كما قدم الدكتور عبد العزيز فيلالي في أطروحته القيمة تحت عنوان: **"تلمسان في العهد الزياني"**، وأضافت هي الأخرى معلومات مهمة عن شهيرات نساء بني زيان، أما أستاذ برانشفيك روبير فقد قدم في أطروحته القيمة بالفرنسية الصادرة سنة ١٩٨٢، وصدرت أخيرا دراسة علمية رصينة للدكتور محمد فتحة تحت عنوان:**"النوازل الفقهية والمجتمع"**،غطت الفترة الممتدة من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري /١٢ -١٥م اعتمد فيها على الفتاوي الفقهية لدراسة المجتمع بالمغربي الإسلامي.

ومن أصحاب الدراسات الأوروبية، وممن اهتموا بهذه الفترة: camps Gabriel وكتابه : **Afrique du nord aux féminine** ، طرق المؤلف إلى أشهر نساء شمال إفريقيا في مختلف العصور التاريخية، وأخذت هذه الدراسة طابع التراجم أكثر منها تحليلي، وقد استفدت منها بشكل كبير، وقدم Golvin (L) **دراسة بعنوان: le Maghreb central à l'époque des Zirides** تحدث بإسهاب عن دور المرأة في الحكم، والمكانة التي تحتلها في المجتمع الزيري ، مع ذكر أسماء الأميرات اللواتي كان لهن شأن في الدولة، نشر البحث عن لجنة Recherches d'archéologie et d'histoire, Paris, 1957

كما خصص الأستاذ pierre Guichard دراسة بعنوان: **S tucunas sociales orientales dans l'Espagne musulmane** وفيه تعرض للأوضاع الاجتماعية للمرأة ببلاد الأندلس.

ـ أما الدراسات التي اهتمت بموضوع اللباس والحلي فهي متنوعة ويغيب عن محتواها الإطار التاريخي للباس، نذكر منها البحث القيم الذي تضمنته الموسوعة الإسلامية **Eencyclopédie de l'islam** حول كلمة " لباس"، وإلى جانب عناية المقال ببعض مظاهر الزي في جميع أنحاء العالم الإسلامي، تضمن ببيوغرافياهامة، غير أنه فيما يخص لباس المغرب الإسلامي تم الإشارة إلى بعض أنواع الملابس المتأخرة من الناحية الزمنية.

كما اهتم الباحث ليفي(levy(h، ببعض الملابس والدراسات المنجزة حول اللباس في العالم الإسلامي، ضمن مقاله المنشور باللغة الانجليزية تحت عنوان:**Notes on costume from Arabic sources** الوارد في: Journal of de Royal Asiatique Society" سنة ١٩٣٥م.

ودراسة دوزي (Dozy(R في معجمه حول أسماء الملابس العربية

Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes

وكذا معجمه الإضافي المعروف ب: **supplément aux dictionnaires Arabe** وهناك دراسة بعنوان:**le Costume Musulman d'Alger** لمارسي (Marçais(G ، في ١٣٤ صفحة صادرة في باريس ١٩٣٠م، يتناول فيها مدة زمنية طويلة، يبدأ بوضع الإطار الجغرافي ويفرق بين مظاهر اللباس قبل التدخل التركي وبعده، وكذا اختلاف اللباس على مستوى الشرائح الاجتماعية، فنجده يفرق بين البربر والعرب، فاعتبر البرنس ذا أصل روماني، ورد الجلابية إلى أصل مشرقي، والدراعة إلى الأندلس، ودعم بحثه بمجموعة من الأعمال لها صلة بالرحلات والمنجزات الغنية.

كما اهتم الدكتور صالح بن قربة بدراسة بعض الملابس في المغرب الإسلامي،وقد قدم دراسة بعنوان:**" مقدمة لدراسة الملابس المغربية**،نشرت بمجلة تاريخ المغرب العربي،التي يصدرها ندوة المؤرخين المغاربة،عدد ٢٠٠٠،ص ص ٥٨ ، ٤٣ ، كما للدكتور دراسة حول الأزياء العسكري في العهد الزياني،تحت الطبع.

وإضافة إلى ذلك، اهتممنا ببعض الأعمال الفنية المستوحاة من الحياة اليومية لتونس والجزائر والمغرب الأقصى في القرن١٩م ، وبداية القرن الحالي، واللجوء إليها نابع من كون بعض الأزياء والزينة والحلي استمر استعماله إلى سنوات متأخرة من العصر الحالي، بل وإن بعضها ما يزال سائدا، خاصة في القرى والبوادي، وأصحاب هذه الدراسات إما رحالة،أو بعض موظفي الجهاز الإداري والعسكري الفرنسي ممن كلفوا بمهمات علمية وثقافية، فكانت رسومهم ولوحاتهم، خير معين في توثيق بعض الأزياء

كالبرنس، العباءة، الملحف، التشمير، الحيك، الزينة وأدواتها وموادها،الحلي باختلاف المعدن والشكل، بالإضافة إلى بعض صور النساء ترتدين ملابس متنوعة حسب جهات البلاد، وكذلك صور للحياة اليومية للنسوة وهن قاصدات الأولياء الصالحين،أوفي المقبرة،أومن تنجزن أعمال منزلية..، وسيمكن إضفاء جزء من الطابع الواقعي على هذه الدراسات، بالنظر إلى غياب الشواهد المادية.

كما نجد عدة أبحاث، وأعمال فنية لمؤلفين في المغرب العربي باللغة الفرنسية بالخصوص ساعدت على استكمال بعض، وغيرها من الدراسات التي لايسع المجال إلى تناولها بالتفصيل، مثال ما صدر في مجلة Hesperis ،Revue Africaine،الغنية بالمواضيع الأثروبوجيا و الاجتماعية والفنية .

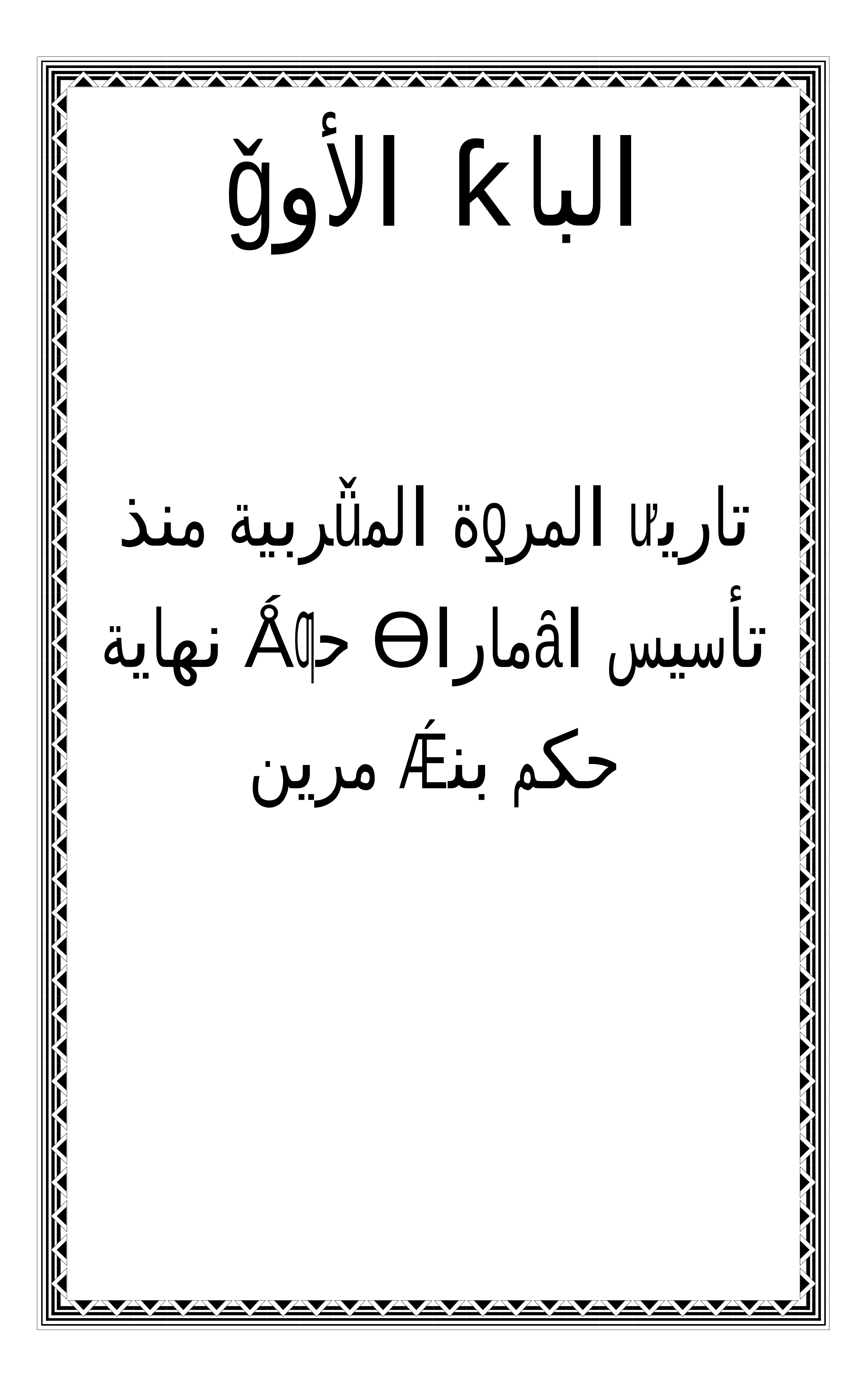
ثالثا ـ الدّراسات الميدانية:

تمثل الدراسات الميدانية الجانب الأكاديمي في ميدان البحث، والوجه الذي لا يمكن أن يقدر بدونه الوجه الآخر للدراسة، وهو الوجه العملي، وما دار حولها من وصف آثار لعمائر التي شاركت فيها المرأة كالزوايا والمساجد المنتشرة في أماكن متفرقة من بلاد المغرب العربي الكبير،كان الوصول إليها عملا مكلّفا وعسيرا، ولاسيما من أجل الوقوف على توصيفها المعماري وتصوير بعض التحف كالملابس والحلي في المتاحف.

وصار التكامل بين الجانبين الميداني والأكاديمي في دراسة موضوعنا هوالمنهج الذي سار عليه البحث،مع الموازنة بين هذين الجانبين،حسبما تتطلبه مقتضيات العرض للمادة العلمية،مع التعزيز بالملاحق،الجداول، والصور ...

وخلاصة القول أن هذه المصادر والدراسات الحديثة التي استعرضناها، لا تشكل سوى جزء من كل غلب فيه الجانب المصدري على الجانب المعاصر، وقد اعتمدنا الرجوع إلى أغلب المصادر المرتبطة زمنيا بمرحلة الدراسة على الأقل، لأن اعتمادها كان من معلومات أفادت في معرفة جزء من الواقع التاريخي للمغرب الإسلامي، ولأنها كانت تحمل في طياتها العديد من الإفادات الدفينة التي لازال البحث التاريخي لم ينتبه إليها.

إن كل ما قدمنا هنا ليعد سوى جزءا من كل، وذلك غاية الجهد أردت، وكل مجتهد نصيب، فإن كنت قد وفقت، فذلك ما أطمع عليه من المساهمة في مد جسور البحث العلمي، وإذ كان قد نال عملي هذا بعض القصور فذلك ما أتركه للجنة المناقشة مع تقديم فائق احترامي وتقديري وشكري للجميع.



الباƙ الأوǧ

تاريƴ المرƍة المǔربية منذ تأسيس âامارا Ɵ حɋǺ نهاية حكم بنǼ مرين

مدخل تمهيدي

عانت المرأة البربرية بصورة عامة أوضاعا اجتماعية ظالمة في فترات تاريخية متعاقبة قبل ظهور الإسلام، فقد كانت متاعا تابعا للرجل تتعرض لسوء المعاملة والتّسلّط، كما كانت تمثل الخط السيئ في مجتمعات الجاهلية بشكل عام [١].

ولما جاء الإسلام وعمّ بنوره أرض المغرب فإنه أرسى حقوق وواجبات مشروعة للمرأة، وجعل التفاوت في مسائل توزيع العمل بينها وبين الرّجل أمرا تحتمه طبيعة تكوين كل منهما ودوره داخل مجتمع الأسرة.وظهرت للمرة الأولى مبادئ العدل والحرية والمساواة بين الناس وتكافؤ الفرص بنهم كمبادئ نادى بها الإسلام[٢]،ولو أن تطبيقها في أرض الواقع لم يتماش مع روح الإسلام السمحاء وعدالته في كثير من الأحيان.

ولقد بنيت حقوق المرأة في الإسلام على مجموعة من الأسس نص عليها القرآن الكريم[٣] وسنة محمد صلى الله عليه و سلم و هي:

أولا: المساواة بين الرجل والمرأة باعتبارهما بشرا ولا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، قال تعالى:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " [٤] وقال أيضا عز وجل:" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا " [٥].

وقد حفلت سنة النبي صلى الله عليه وسلم بالكثير من الأحاديث التي تخاطب المرأة بشكل مباشر، أو تطالب الرجل بأن يتعامل مع المرأة ضمن مجموعة من الأحكام التي تنظم العلاقة بين الرجال و النساء.

---

(1) Bel (A) **: La religion musulmane en Berbèrie**, Paris, 1938, p p 64,65.

(٢) الغزالي محمد: **مائة سؤال عن الإسلام،** دار ثابت، القاهرة، ١٩٨٤،ص ص٢٥٣،٢٦٠.

(٣) وقد عرض القرآن الكريم لكثير من شؤون المرأة في أكثر من عشر سور منها سورتان، عرفت إحداهما بسورة النساء الكبرى، وعرفت الأخرى بسورة النساء الصغرى، وهما:سورتا **النساء والطلاق**، وعرض لها في سور: **البقرة، المائدة، النور، الأحزاب، المجادلة، الممتحنة، والتحريم،** ينظر القرآن الكريم .

(٤) الآية ١٣ من سورة **الحجرات**.

(٥) الآية ١ من سورة **النساء**

كان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يجلس وسط أصحابه وإذا بالصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد الأنصارية[١] تقبل عليه قائلة:« يا رسول الله، إني رسول من ورائي جماعة نساء المسلمين، يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء، مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، وموضع شهوات الرجال وحاملات أولادكم، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت النبي - صلى الله عليه وسلم - بوجه مشرق إلى أصحابه وقال لهم: أسمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه ؟ فقالوا: لا، يا رسول الله، فقال -عليه الصلاة و السلام- :« انصرفي يا أسماء، وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته،وإتباعها لموافقته تعدل كل ما ذكرت » فانصرفت أسماء و هي تهلل و تكبر استبشارا بما قاله لها رسول الله[٢].

وسألت أم المؤمنين أم سلمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قائلة:« مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟»[٣].فصمت رسول الله وإذا بالوحي ينزل وتسمع النبي في المسجد يقول: يقول الله في كتابه:"إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما "[٤].

ثانيا: وإن أؤتمنت المرأة على الأسرة فذلك لطبيعتها، ولكن ذلك لا يسقط حقها في العلم والعمل ،و لا يؤثر ذلك في التكاليف الشرعية التي كلفت بها كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأدية الأمانة وخدمة الأسرة والمجتمع، قال تعالى:"فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل ———————

(١) هي صحابية جليلة أسماء بنت زيد الأنصارية، تكنى أم سلمة، وكانت من ذوات العقل والدين، ينظر، ابن حجر العسقلاني:**الإصابة في تمييز الصحابة**،تحقيق علي أحمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١،١٣٢٨،ج٤، ص٢٨٣.

(٢) ابن عبد البر:**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، المطبوع بهامش الإصابة لابن حجر،مطبعة السعادة بمصر، ط١، ١٣٢٨،ج٤، ص٢٣٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني: م،س،ج٤،ص٣٠١.

(٤) الآية ٢٥ من سورة **الأحزاب**.

عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض[١] وقال أيضا جل جلاله:"والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم " [٢].

وأكد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن من حق المرأة أن تتعلم وتعلم، فهذه السيدة " أم سلمة " تسأل والنبي يجيب بالوحي :يغزو الرجال وما نغزو، ولنا نصف الميراث فقط لماذا ؟ فيرد الحق جل وعلا على لسان رسوله[٣]:"ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما" [٤].

وجاء وفد من نساء المسلمين إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وطالبته بأن يخصص لهن حديثا خاصا بهن: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال صلوات الله و سلامه عليه:« اجتمعن في يوم كذا و كذا في مكان كذا وكذا »[٥].

وقد حفظت النساء العلم عن النبي- صلى الله عليه و سلم- و كن أمينات على سنة رسول الله.

يقول الإمام الذهبي:« لم يؤثر عن امرأة أنها كذبت في حديث »![٦]، و قد أثمرت التعاليم النبوية في النساء فصرن واثقات من أنفسهن، يتصرفن بعقلانية و إحساس بالمسؤولية تجاه مجتمعهن من النساء والرجال، و لذا أقر رسول الله- صلى الله عليه و سلم-الخطوة التي بادرت باتخاذها ابنته السيدة زينب عندما أجارت زوجها الكافر و أعطته حق الأمان الذي كان مقصورا على الرجال »[٧].

---

(١) الآية ١٩٥ من سورة **آل عمران**.
(٢) الآية ٧١ **من سورة التوبة**.
(٣) البخاري: **صحيح الإمام البخاري**، و معه فتح الباري لابن حجر، رقم كتبه و أبوابه و أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح تجاربه محمد الدين الخطيب، مراجعة محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ، القاهرة، ص٢٩٤.
(٤) الآية ٣٢ من **سورة النساء** .
(٥) البخاري: م، س، ص٢٩٥.
(٦) الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٤٥٠.
(٧) البخاري: م، س، ص١٧٧.

ثالثا: إن مساهمة المرأة في الحياة العامة لا تقل أهمية عن مساهمة الرجل بل إن الإسلام فتح الباب واسعا للمرأة للمساهمة في ميادين الحياة المختلفة، فشاركت المرأة الرجل الصلاة في المساجد وإن خصصت لها الصفوف الخلفية،ونقلت الحديث وبرعت في مجال الدعوة، وسارت إلى ميادين القتال للسهر على راحة المقاتلين،وامتهنت صناعة التوليد،وساهمت في معظم الميادين التي كانت حكرا على الرجال(١).

كما دعاها الإسلام إلى ممارسة جميع حقوقها المشروعة في الحياة و في العمل بل شاركت في بيعه العقبة الكبرى وشاركت في بيعه الرضوان تحت الشجرة (٢).

إلا أن المرأة، وكما مجدها الإسلام، كإنسان مستقل وفاعل وقادر على العمل وتحمل المسؤولية، قادر على الإبداع، فقد برزت مجموعة من النساء اللائي نبغن في مجموعة من العلوم والفنون الأدبية ومن بينهن: السيدة عائشة - رضي الله عنها- التي كانت راوية الحديث والأدب، واهتمت بالتاريخ وعلم الفلك(٣)،وإلى جانبها نجد مئات الصحابيات التابعات والراويات للحديث، فضلا عن الشاعرات والمحاربات(٤).

وانطلاقا من هذه اللمحة التاريخية العامة هناك مجال آخر للمرأة في بلاد المغرب على وجه الخصوص خلال فترة الولاة، حيث كانت لها إبداعات خاصة و مشاركات فعلية في المجتمع، وهذا ما نسعى إلى تبيينه .

غير أن مما يثير الملاحظة والانتباه خلال هذه الفترة بالذات هو طبيعة التأريخ لها،إذ نجد أن المؤرخين قد اهتموا كثيرا بتدوين الأحداث والفتوحات التي قادها المسلمون في المشرق والمغرب، في حين نجد غياب التأريخ لطبيعة حياة المرأة وإسهامها داخل المجتمع، فلم نعثر إلا على بعض المعلومات والشذرات المتفرقة بين ثنايا المصادر! ومن غير شك، فإن حياتها آنذاك، كانت تتأثر تأثرا كبيرا بأوضاع الفاتحين الذين كان شغلهم الشاغل هو نشر الإسلام وتمصير البلاد و تبصير الناس بمبادئ الإسلام السمحة، ولم تكن المرأة بمعزل عما يجري في البلاد.فقد عاشت ـــــــــــــــــ

(١) الغزالي: م،س،ص٢٦٢، ينظر كذلك، عبد الحميد اسماعيل الأنصاري: **قضايا المرأة بين تعاليم الإسلام و تقاليد المجتمع**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ص٥،٦،٧.
(٢) عصام محمد الشريف: **مواقف نسائية خالدة-** دروس و عبر- دار الإيمان، اسكندرية ، ٢٠٠٠، ص ٧٥
(٣) ابن كثير: **البداية و النهاية**، مكتبة المعارف، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج٧، ص٢٣٠.
(٤) عصام محمد الشريف: م،س،ص ص٥٠،٦٤،٧٤،٧٨،٨٢،٨٥.

هذه الطفرة التاريخية التي نقلت المجتمع المغربي من حياة البداوة إلى حضارة إسلامية قوامها العدل والمساواة، وفي هذا التطور التاريخي الجديد، ظهرت نساء مغربيات على مسرح التاريخ أثرن على مجرى الحياة السياسية والعسكرية ووقفن موقفا معاديا في بعض الأحيان للفاتحين،وكانت في مقدمتهن زعيمة الأوراس " الكاهنة "[١]. التي شكلت نموذجا للمرأة المغربية البربرية التي فرضت وجودها كعنصر فعال داخل المجتمع المغربي داخل خلال عصر الولاة، وأظهرت أن كفاءتها لا تقل عن معاصريها من الرجال، لقد برزت هذه المرأة المقاومة خلال المراحل الأولى للفتح ، متزامنة مع ولاية حسان بن النعمان الغساني على افريقية والذي يعتبر« أول من دخل افريقية من أهل الشام في زمن بني أمية »[٢].

فبعد أن تمكن حسان هذا من تصفية الوجود البيزنطي والقضاء على ملك قرطاجة، عزم على القضاء على زعيمة الأوراس، وعلى ما يبدو أن حسّانا لم يكن قد سمع بأمرها،حيث أنه سأل عن أعظم ملوك افريقية فدلوه على امرأة بجبل الأوراس بقولهم:« ليس بإفريقية أعظم قدرا ولا أبعد صيتا ولا أشد حربا من امرأة يقال لها الكاهنة وهي في جبل الأوراس، وجميع من في إفريقية يخافها والروم سامعون لها، فإن قتلتها يئس الروم والبربر من إفريقية فإنها لهم ملجأ»[٣] ودارت الحرب بينهما على أشده، وسقطت القائدة البربرية في مكان يعرف باسمها - بئر الكاهنة - سنة (٧١-٧٢هـ/٧٠٠-٧٠١م)، وبموتها استطاع حسان أن يروض المغاربة أنصار الزعيمة التي انتصر عليها[٤] .

و الملاحظ أن العديد من المصادر والمراجع أبرزت مشاركة هذه المرأة البربرية ،وذلك نظرا للدور البطولي الذي قامت به في التّصدي لغزو الفاتحين على المستويين السياسي والعسكري، ___________

(١) بن قربة صالح: " **حسان بن النعمان و دوره في نشر الإسلام بالمغرب** "، **مجلة الأصالة**، عدد خاص، رقم٦٤، ص ص٥٨،١٠٥.

(٢) محمود شيت خطاب، **قادة فتح المغرب العربي**، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط٢،١٩٧٣، ج١،ص١٧٦.

(٣) الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله و علق عليه الشوخي، تصحيح و تعليق ابراهيم شوخ، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨، ج١،ص٦١.

(٤) عبد الحميد سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي**، مطبعة الشاعي، ١٩٧٩،ج١،ص١٨٣، موسى لقبال: **المغرب_الإسلامي- منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج-** ش.و.ن.ت، الجزائر، ١٩٨١،ص ص٦١،٦٨.

وذلك من خلال بنائها لإستراتيجية دفاعية خاصة بها، وشحد همم قومها على مواجهة ما يحذق بهم من أخطار حتى غدت شخصية هذه الكاهنة التي تمثل تاريخ المرأة المغربية البربرية موضوع تضارب آراء الباحثين في أربع مسائل:

١-**إسمها:** دِهيا[١] Dihya أو داهيا[٢] Dahya أو داميا Damya أو دامِيا[٣] Damiya، والظاهر أنه صفة أو لقب، لوصفها بالدهاء، وهذه الصفة أساسية عند الحرة والمشعوذين[٤]، وأما الكاهنة (El kahina) هو ليس اسم امرأة وإنما هو لقب أطلق عليها لخبرتها بالسحر وفراستها في التنبؤ بما يقع من الأحداث[٥]، وقد أطلق عليها كذلك اسم ملكة البربر (Reine des Bèrbères)[٦].

٢ - **نسبها:** ابنة "تاتيت" Tatit أو ماتيا Matiyer,Mathieu,Mathias ابن تيفان Tifan,Théophane،أي ابنة تاتيت بن تيفان[٧]،وهل هي بربرية الأصل أم مولدة ! كما كان لها ثلاثة أبناء إبنان من أب بربري و آخر من أب يوناني، وكيف أن مسألة النسب كان لها تأثير ايجابي في الحكم ! ويبدو أنها فرضت نفسها على القبائل البربرية وحلفائها من البيزنطيين في المغرب بفضل الزواج السياسي[٨]!.

٣ - **ديانتها:** لم تفصل مسألة الدين عن شخصية الكاهنة فهي تارة على دين الوثنية، وتارة أخرى يهودية، شأن قبيلتها " جراوة " (بطن من زناتة من البتر) كانت يهودية، وهي

---

(١) البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**، نشره البارون دي سلان، الجزائر، ١٩١١،ص٣٠، ابن عبد الحكم:**فتوح إفريقية والأندلس**، حققه عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،بيروت، ١٩٦٤،ص١٥.

(٢) البلاذري: **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان، القاهرة،١٩٣٢،ص٢١٣، المالكي: **رياض النفوس**، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١،ج١،ص ص٣٦،٦.

(٣) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، القاهرة،١٩٣٨،ج٤،ص٣١.

(٤) محمد الطالبي: **المغرب من الفتح إلى أواخر الربع الأول من القرن الثاني**، بحث ضمن: أعمال ندوة الذاتية العربية بين الوحدة و التنوع، تونس، ١٩٧٩،ص٢١١.

(٥) محمد بن عميرة:"موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي"،**مجلة الدراسات التاريخية**، ع٢،سنة ١٩٨٦،ص ص٢٣،٢٤.

(6) Fantar (M) : **La Kahina, Reine des Bérbères** (R.E.P.P.A), 1987, T 3, p 172.

(٧) ابن الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية و المغرب**، تحقيق، الكعبي، تونس، ١٩٦٨، ص٥٥، ينظر أيضا،

Mercier (E) **: Histoire de l'Afrique septentrionale**, Paris, 1888, T1, pp 222.

(8) Gautier (E,F) : **Le passé de l'Afrique du Nord**, Paris, 1952, p270.

في الأخير مسيحية (عندما تحولت قبيلة جراوة إلى المسيحية كغيرها من القبائل البربرية إلى الديانة المسيحية في عهد الغزو البيزنطي)[١]

وهي بين هذه الازدواجية الروحية والعقائدية ،تبدو وهذا هو الأهم أنها كانت صائبة الرأي، مسموعة الكلام في قومها، مهيبة الجانب بين ذويها، لأنها كانت تهيمن على جماعتها وأتباعها عقائديا وروحيا - شأنها شأن كل زعيم أو قائد أو رئيس في تلك الحقبة التاريخية القديمة - و هو ما أدمج مضمون شخصيتها السحرية في الأمور السياسية و العسكرية.

٤ - **وفاتها:** لا نعلم سبب موتها؟! هل قتلت في معركة الوغى أم تراها رمت بنفسها في البئر الذي احتفظ بذكراها و عرف باسمها، بئر الكاهنة والذي يوجد بسفح جبل نشار على بعد ٥٠ كلم شمال مدينة طبنة - حاليا ولاية خنشلة بالجمهورية الجزائرية - لكننا نرى أن الجميل في موت الكاهنة داهيا أنها عندما أدركت بقوة فراستها وأن اقتراب جيوش حسان منها ينذر بنهايتها حيث قالت لابنيها:« إني مقتولة وأرى رأسي تركي تركض به الدواب يمضي به إلى المشرق من حيث تطلع الشمس ،وأراه موضوعا بين يد الملك ،ملك العرب الأعظم الذي بعث إلينا بهذا الرجل » فقال لها يزيد بن خالد وولداها « فإذا كان الأمر هكذا فارحلي وخلي له البلاد، فقالت وكيف أفر وأنا ملكة والملوك لا تفر من الموت ،فأقصد قومي عار إلى آخر الدهر» فقالوا لها: ألا تخافين على قومك الموت؟ فقالت:« إذا أنا مت فلا أبقى الله منهم أحدا في الدنيا » فقال لها يزيد بن خالد وولداها فما نحن صانعون ؟ فقالت:« أما أنت يا يزيد فستنال ملكا عظيما عند الملك الأعظم، و أما أولادي فسيدركون ملكا بإفريقية مع الملك الذي يقتلني» ثم قالت لهم «اركبوا واستأمنوا إليه[٢] ».

و هكذا أرسلت الكاهنة ولديها مع خالد بن يزيد عند حسان ليأخذ لهما الأمان، في حين لم ترض لنفسها بالاستسلام أو طلب الأمان حيث رأت أنه من العار فعل ذلك ،ففضلت القتل

(١) البكري: م،س،ص٣١. ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار إقريقيا و المغرب**، تحقيق ج،س كولان، و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ج١،ص٣٥. ينظر أيضا، هاشم العلوي القاسمي: **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن ٤ هـ / منتصف ق ١٠م** ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٩٥ ، ج١، ص ص ١٥، ١٦.

(٢) الدباغ: م، س، ج١، ص٦٦.

حفاظا على شرفها و شرف قومها، وقد رأى بعض المؤرخين أن «الكاهنة أثارت في البلاد روحا وطنية[١] » .

هذا وقد لعبت بعض النّساء البربريات في فترة الولاة دورا مهما في مجتمع المغرب الإسلامي، في مجالات متعددة و منها:

أ- المجال العسكري:

اهتمت نساء المغرب خلال هاته الفترة بوسائل متعددة في المجال العسكري بحيث كن يرافقن الجنود لتشجيعهم وحثهم على القتال وكان منهن من يحرضن أزواجهن على إشعال نار الفتنة في البلاد مثل زوجة إلياس بن حبيب التي حرضت زوجها على قتل أخيه بقولها له: « قتل أختانك وأنت صاحب حربه وصاحب سيفه، وجعل العهد من بعده لحبيب ولده، فهذا تهاون بك »[٢].

وفي ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي قامت معارك كبيرة مع الخوارج الصفرية بزعامة عكاشة الصفري وعبد الواحد بن يزيد الهواري اللذان كان من مبادئهما«استحالة دماء المسلمين وسبي ذرا ريهم و نسائهم»[٣].

وخلال معركة حنظلة مع عبد الواحد الهواري والتي انتهت بهزيمة الأخير، يذكر« أن نساء القيروان خرجن يوم المعركة فعقدن الألوية وأخذن معهن السلاح وعزمن على القتال واستبسلن للموت مع الرجال،وحلفن لأزواجهن لئن انهزم أحد منكم إلينا موليا عن العدو لنقتلنه»[٤]، و هكذا نستخلص أن النساء البربريات كن يشاركن في أحداث مجتمعهن في الحرب لتحريض المقاتلين على الاستبسال، باستثارة نخوتهم و تشجيعهم حتى يظفروا بالنصر.

إلا أنه رغم الدور البارز الذي قمن به إلى جانب رجالهن دفاعا عن قبائلهم، فإنهن قد عانين كثيرا من انتشار ظاهرة السبي في ذلك العصر،نظرا لكثرة المعارك والحروب التي كن يواجهنها،حيث أثار العديد من المؤرخين تنافس ولاة المغرب في جمع السبي حيث عرفت

---

(١) حسين مؤنس: **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص٢٤٦

(٢) سعد زغلول، م،س،ج١،ص٢٢٩.

(٣) الدباغ: م،س،ج١،ص٢٢٩.

(٤) الرقيق القيرواني، م،س،ص٨٤.

عندهم المنطقة بوفرة السبايا الجميلات منذ الحملات الاستكشافية الأولى التي قادها عمرو بن العاص إلى المغرب و يشير البلاذري أن« عمرو سار في جنده يريد المغرب حتى قدم برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه»(١)،ولعل من بين هؤلاء الأبناء الذين بيعوا إناثا، ويؤيد ذلك ما كتبه الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز في حق اللواتيات « إن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها أو فليرددها إلى أهلها »(٢).

هكذا إذن حظي العنصر النسوي بطلب الولاة والقادة الفاتحين، نظرا لما يذره من أموال وفيرة واستجابة لرغبات الخلفاء و المسؤولين بدمشق.

ويعتبر عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري أحد القادة العسكريين في عهد عثمان بن عفان حيث دخل بجيشه إفريقية سنة ٢٧ هـ /٦٤٧ م، فلقي القائد الرومي جرجير الذي كان برفقة ابنته بسبيطلة ويذكر الدباغ في روايته أن جرجير وعد جيوشه بقوله:« لا يقتل عبد الله بن سعد رجل منكم إلا زوجته ابنتي وسقت إليه ما معها من الخدم والحلي،وأنزلته المنزلة التي لا يطمع فيها أحد عندي »(٣)، لكن عندما سمع عبد الله بن أبي سرح تحريضات جرجير نادى في معسكره هو الآخر بقوله:« و حق محمد بن عبد الله لا يقتل رجل منكم جرجير إلا نفلته ابنته وما معها »(٤)، و كان في النهاية النصر للمسلمين وانهزمت القوة البيزنطية بمقتل جرجير على يد عبد الله بن الزبير واتخذ هذا الأخير ابنته غنيمة له فأصبحت أم ولد له(٥). وبانهزام جيوش جرجير حوصرت قرطاجة من قبل عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى أن فتحت « فأصاب فيها من السبي و الأموال ما لا يحيط به الوصف »(٦).

وفي الوقت نفسه أرسل القائد العربي معاوية بن حديج رويفع بن ثابت الأنصاري إلى طرابلس،الذي قام بحملة قصيرة عبر بها البحر إلى جربة ففتحها وعاد سريعا وأصاب فيها ـــــــــــــــــــــــــ

(١) البلاذري: **فتوح البلدان**، حققه و شرحه و علق على حواشيه عبد الله أنيس الطباع و عمر أنير الطباع، منشورات مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٨٧، ص٣١٤.
(٢) نفسه ،ج١، ص ٣١٦.
(٣) نفسه ،ج١،ص١٣٧.
(٤) نفسه .
(٥) ابن عذاري: م،س،ج١،ص١٢.
(٦) نفسه ،ج١،ص١٢.

سبيا كثيرا إذ قال حنش بن عبد الله الصنعاني:« غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصاري المغرب ففتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة فقام فينا خطيبا قائلا أيها الناس لا أقول فيكم إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول فينا يوم خيبر قام فينا رسول الله فقال: لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ما زرع غيره،يعني إتيان الحبلى من السبي»[١]، وقبل استخلاص بعض الملاحظات لا بأس من ذكر شخصية عقبة بن نافع الفهري الذي دخل إلى السوس الأقصى أثناء ولايته الثانية للقيروان (٦٢-٦٣ هـ/ ٦٨١-٦٨٢ م) فقاتل سكانها وأصاب نساء لم ير الناس في الدنيا مثلهن مثيل، فقيل « إن الجارية منهن كانت تبلغ بالمشرق ألف دينار أو نحوها »[٢]. وهذا ما يفسر لنا أن سبي البنات البربر والروم شكل بضاعة رائجة بالأسواق المغربية والمشرقية خلال عصر الولاة.

ويعتبر حسان بن النعمان أحد القادة الفاتحين الكبار لبلاد المغرب حيث تميزت حملاته المنظمة بوفرة الغنائم والسبي ويذكر أنه لما قدم على أمير مصر عبد العزيز بن مروان « أهدى إليه مائتي جارية من بنات ملوك الروم و لبربر »[٣].

وأما عن السبي في عهد موسى بن نصير فيقال بأنه « لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام »[٤]، فقد سجل موسى في هذا المجال أرقاما مأهولة كانت تعد بمئات الآلاف سواء في الحملات التي قادها بنفسه على إفريقية ونواحيها أو تلك التي أرسل إليها أبنائه، فقد نقل أبو إسحاق إبراهيم أن موسى بن نصير:« لما فتح سقوما كتب إلى الوليد بن عبد الملك لأنه صار له من سبيها مائة ألف رأس ،فكتب إليه الوليد ويحك إني أظنها من بعض كذباتك فإن كنت صادقا فهذا محشر الأمة»[٥]، و يحكى أيضا أن موسى بن نصير قبل رحيله إلى المشرق كان يتباهى بما معه:« من جواري مختلفات كأنهن البدور الطوالع من بنات ملوك الروم والبربر عليهن الحلى و الحلل»[٦]، حيث كان يعتبرهن ملكا له، إلا أنه فرقهن على قواده بعد أن لفت نظره علي بن رباح اللخمي إلى خطورة استحواذه عليهن جميعا.

---

(١) البكري : م، س، ص ١٩.

(٢) الرقيق القيرواني: م،س،ص١٥.

(٣) ابن عذاري: م،س،ج١،ص٤٩.

(٤) نفسه، ج١،ص٤٣.

(٥) الرقيق القيرواني: م،س،ص٤٥.

(٦) ابن عذاري: م،س،ج١،ص٤٤.

وبعد ذلك ظهر ولاة ساروا على نهج سابقيهم في عملية السبي مثل الوالي عبد الرحمن بن حبيب وعبيدة بن عبد الرحمن السلمي و عبيد الله بن الحبحاب الذين كلفوا بسبي نساء البربر وإرسالهن لخلفاء المشرق:« فقد كان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها إلى عامل إفريقية فيبعثون لهم البربريات السنيات »[١].

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن الخلفاء العباسيين لم ينظروا نظرة ازدراء إلى الجواري لأن كثيرات من أمهاتهم كن إماء، وهو ما يؤكده ابن حوقل بقوله:« فأما يجهز من المغرب إلى المشرق فالمولدات الحسان الروقة كالتي استولدهن بنو العباس وغيرهم وأكابر رجالهم وولدن غير سلطان عظيم كسلامة البربرية أم أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقراطيين أم أبي جعفر منصور محمد القاهر بن المعتضد »[٢].

وأخيرا فإن كانت لعملية السبي هاته نتائج إيجابية بالنسبة للفاتحين فإنها شكلت أزمة إنسانية لما حدث من شرخ وتصدع وفراق بين الأهالي إضافة إلى ما حدث من تفسخ اجتماعي كان سببه سلوك الولاة العرب تجاه الرعية عموما والأسرى بصفة خاصة.

وقد تحدث أبو العرب القيرواني عن ذلك بقوله:« حدثني فرات، قال سمعت عبد الله بن أبي حسان يقول: كان إسماعيل بن عبيد المعروف بتاجر الله يوجه المولدات والأحمال إلى المشرق فخرج يشيعهم إلى قصر الماء فسمع بكاء فقال: ما هذا فقيل له المولدات اللائي وجهت، يبكين مع أبائهن وأمهاتهن وأخواتهن، فبكى إسماعيل وقال إن دنيا بلغت بي أن أفرق بين الأحبة، إنها لدنيا سوء، أشهدكم أن كل ما لها أب أو أخ أو أخت في هذه الرفقة فهي حرة، فقال عبد الله بن أبي حسان فأنزل من المولدات سبعين مولدة »[٣].

وصفوة القول أن المرأة المغربية في عصر الولاة عانت من بعض التعسفات والإضطهادات على إثر سبيها، رغم ما حظيت به من احترام وتقدير داخل قبيلتها، وما قامت به من أدوار على المستويين السياسي والعسكري .

---

(١) ابن عذاري: م،س،ج١، ص٥٢.

(٢) ابن حوقل: **صورة الأرض**، مطبعة بربل، لندن، ط٢، ١٩٣٨، ج١، ص٢٩.

(٣) أبو العرب القيرواني: **طبقات علماء إفريقية و تونس**، تحقيق علي الشباني و نعيم حسن الياقي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط٢، د.ت، ص ص٨٥،٨٦.

ب - المجال الاجتماعي:

مازال الغموض يشوب أوضاع المرأة الاجتماعية، خلال فترة الولاة، بالرغم من الإشارات المتناثرة في أبحاث الدارسين لتاريخ المغرب، فقد استطعنا معرفة بعض مظاهر حياة المرأة المغربية في تلك الفترة .

وتجدر الإشارة إلى أن المرأة المغربية كانت لا تقل احتراما ومقاما عن الرجل،بدليل « أن كثير من النساء البربريات صالحات، يقمن إلى اليوم مقام الأولياء الرجال ويتكهن، ويستبشرهن الناس ويحجون بالزيارة والدعاء إلى أضرحتهن »(١)،ويتبين مما سبق أن المرأة، كانت تحظى بالتبجيل والتبرك من قبل الفئات الاجتماعية على اختلافها،خاصة الكاهنات والمشعوذات منهن.

وبالإضافة إلى ذلك كله فقد اشتهرت نساء البربر برجاحة العقل، وهن مطبوعات على الطاعة،نشيطات للخدمة،يصلحن للتوليد:« وتستحق المرأة البربرية أن تخبأ في الجفون وتوضع على العيون »(٢)، وهن مخصوصات بالجمال الفائق و الحسن الرائق خاصة نساء البصرة.

وفيهن يقول حسن التيهرني في قصيدة مدح بها أبا عيسى الحسني:

ما حاز كل الحسن إلا قنية بصرية في حمرة و بياض

الخمر في لحظاتها والورد في وجناتها هيفاء غير مفاض(٣)

ومّما كان يزيد من جمالهن أنهن كن يتزين بالحلي، ولقد وردت إشارة إلى أن «البربر يتزينون نساء ورجالا،فالرجال يضعون أقراطا في آذانهم والنساء خلاخل في أرجلهن،وكان جميعهم يحملون أسورة و قلائد (٤)»، وساد استعمال المرأة المغربية للكحل والحناء للتزين، وورثت ذلك عن الفترة القرطاجية(٥).

ومن عادات المرأة البربرية أنها سافرة لا تعرف الحجاب، في الوقت الذي كان يتلثم فيه الرجل في بعض قبائل صنهاجة الصحراوية أصحاب اللثام، كما هو الحال عند الطوارق(٦).

---

(١) حسين مؤنس: م،س،ص٢٤٥.

(٢)حسن ابراهيم حسن:**تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي**،مكتبة النهضة،مصر،ط٧، ١٩٦٥ج٣،ص ٤٨٠.

(٣) ابن عذاري: م،س،ج١،ص١٠٣.

(٤) شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط١٩٧٨،٣،ج١،ص٧٧.

(٥) إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط١٩٩٣،٣،ج١،ص ص٣٨،٣٧.

(٦) البكري: م،س،ص١٥.

أما بالنسبة لحالة الأسرة البربرية، فيبدو أنها مستقرة تقوم على الأسرة التي تعتبر الخلية الأساسية للمجتمع القبلي، والتي يحكمها الرباط الشرعي بين الرجل والمرأة وفقا لتشريعات وقوانين يحددها المجتمع، ووصف " قزيل Gsell " الأسرة بقوله:« إن الأسرة البربرية ربها الرجل، تقوم على الزواج... وتعدد الزوجات مباح، والنسب يحسب من حيث الأب، أعني زوج الأم، والأسرة تستمر من ذكر إلى ذكر، والبنات يخرجن منها بالزواج وأحفادهن يستبعدن منها، والأموال الشخصية تتوارث من ذكر إلى ذكر، وليس للزوجات والبنات نصيب في الميراث [١]».

وتجدر الإشارة أيضا إلى كون بعض الجماعات في المجتمع المغربي ظلت محافظة على بعض العادات والتقاليد القديمة، التي لم يستطع الإسلام أن يقتلعها من جذورها العميقة، فمن الأشياء الغريبة التي كانت تمارس عند قبائل غمارة عادة المواربة التي تعني إمساك شباب القبيلة، والمرأة عن زوجها على قدر جمالها و الرغبة فيها [٢].

ومن رواسب المعتقدات الوثنية التي ظلت عالقة وراسخة لدى البربر رغم إسلامهم:« زيارة " المزارات" و " الحويطات " خاصة من قبل النساء، حيث كن يضعن نذرا من مواد خزفية، وقطع النسيج، ويحرقن البخور و يوقظن القناديل والشموع »[٣].

ورغم اختلاف الفقهاء والمسلمين حول حقيقة السحر،فإن البربريات قمن بممارسته،ومثال ذلك ما أورده الكتاب عن ملكة جبل الأوراس المعروفة بالكاهنة التي تثير الرهبة بفعل الأعمال التي قامت بها، ففي حالة الإلهام كانت تنشر شعرها وتدق على صدرها، وهي تتفوه بأنباء ما سيكون من الأحداث، ومثالا على ذلك عندما أرسل خالد بن يزيد بأخبار الكاهنة في خبزة جعلها زادا للرسول، خرجت الكاهنة تقول:« يا ويلكم يا معشر البربر ذهب ملككم فيما يأكله الناس »[٤].

ومن التقاليد التي مارستها النساء البربريات في المغرب مسألة الرضاع حيث أن هذه العملية ينتج عنها التوارث بحكم الرضاعة، وهو ما أشرنا إليه سالفا.

---

(١) ألفرد بل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣ ، ١٩٦٩ ،ص٥٠.

(٢) البكري: م،س،ص١٠٢.

(٣) سعادة الشيخ: المجتمع المغربي في عصر الولاة، **رسالة ماجستير**، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، ظهر المهراز، ١٩٨٧ ،ص٢٧٣.

(٤) ابن عذاري: م،س،ج١،ص٣٧.

وأخيرا ظلت المعتقدات والممارسات السحرية حية وسارية بين البربر ولا سيما في جبال غمارة حيث يشير البكري غلى المتنبئ حاميم بن من الله و عمته الكاهنة وأخته دجو الساحرة حيث أن:« الناس كانوا يستغيثون إليها في كل حرب وضيق ويزعمون أنهم يجدون نفعا »(١).

وتعتبر الزوجة الشرعية في المجتمع القبلي،ومازالت إلى حد الآن، ملكا لزوجها اشتراها من أهلها مقابل سعر اتفق عليه، و الزوجة لا تستطيع حتى طلب الطلاق، والذي يطلق زوجته يمكنه أن يطالب باسترجاع ثمن الشراء من الأب أو من الزوج الجديد، ولا يسمح للزوجة بالزنا لأن الزوج « لا يريد أن يمتزج دم أجنبي بدم أبنائه، لأن قوام الأسرة هو رابطة الدم »(٢).

وكان لتعدد الزوجات المباح لدى البربر ما يعلل لنا كثرة الولادات الخارقة للعادة(٣)، حيث وصفت أمم البربر من الكثرة كسائمة النعم(٤).

وإلى جانب هذا النمط من الأسرة البربرية الأبوية،نجد لدى الطوارق أوضاعا مشرفة للزوجة والأم،إذ عند هؤلاء تسند السلطة إلى الأم، وينسب الولد إلى قبيلة أمه لا إلى قبيلة أبيه، وهو ما جعل المرأة سيدة الأسرة عكس النظام الأبوي، فعلى سبيل المثال يرجع النسابة أسماء عدد من القبائل البربرية إلى أسماء جداتها، فقبيلة صنهاجة ولمطة في قول ابن الحزم من أبناء امرأة اسمها " تيزكي" أما اسم أبيهما فغير معروف(٥)،وباستثناء سكان الطوارق فإن الأسر البربرية القديمة والحديثة أبوية النسب .

صفوة القول أن المرأة المغربية في عصر الولاة، كانت قد حظيت بمكانة مشرفة داخل القبيلة وقامت بدورها الأسري، طبقا لتقاليد وأعراف حكمت مسار حياتها.

ج - المجال الاقتصادي:

أما عن مظاهر الحياة الاقتصادية في المجتمع المغربي، فكان الاعتماد على الفلاحة، بالدرجة الأولى منذ القدم، بجميع أشكالها و صورها كمورد أساسي للعيش، وساهمت المرأة المغربية فيه بأعمال قيمة في المجال الزراعي إلى جانب الرجل،ويلخّص أحد الباحثين بعض

---

(١) البكري: م،س،ص١٠٠.
(٢) ألفرد بل: م،س،ص٥٢.
(٣) شارل أندري جوليان: م،س،ج١،ص٨٠.
(٤) ابن عذاري: م،س،ج١،ص٢٦.
(٥) سعد زغلول: م،س،ج١،ص٦٣.

الأعمال التي تقوم بها المرأة في هذا الميدان ، بقوله:« إن النساء يساهمن في الأعمال الزراعية بالبذر، وتنقية الأرض من الحشائش الضارة وطرد الطيور وجمع المحصول»[١]،ويظهر من خلال هذه الأعمال أن المرأة كانت لها خبرة مهمة في مجال الزراعة، فضلا عن الاحترام والمكانة المرموقة التي تحتلها لدى الرجل لكونها تقوم إلى جانب رعاية بيتها وأطفالها معظم العمل الزراعي[٢]، ويجب الإشارة إلى أن المعلومة ليست مصحوبة بفترة زمنية معينة، بل هي معلومة تعبر عن مهام المرأة داخل المجتمع القبلي الزراعي بصفة عامة، ويبدو أنه لم يطرأ أي تغيير على هذه الأعمال التي تقوم بها المرأة على مر العصور.

ويذكر بعض الدارسين كذلك إلى أنه:« بجبل نفوسة إشارات من القرن ٢هـوحتى ٨م، تهم اشتغال الإماء بالاحتطاب والسقاية وهو عمل تقوم به الحرائر أيضا[٣]»، وفي السياق نفسه يذكر البكري أن:« من سكان أود غشت، طباخات سودانيات محسنات، تباع الواحدة منهن بمائة مثقال وأكثر، تحسن عمل الأطعمة الطيبة من الجوزنيقات والقطايف وأصناف الحلويات»[٤].

فهذه الرواية بدورها ربما تدل على كون هؤلاء السودانيات يقمن بالخدمة لدى حكام وأثرياء البلاد،فإن كان الأمر كذلك فهذا في حد ذاته يعتبر مظهرًا من مظاهر الكسب،وهناك إشارة أخرى كذلك عند البكري تفيد:« أن أهل سوس وأغمات أكثر الناس تكسبا وأطلبهم للرزق، يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب »[٥].

وهناك ما يفيد بتعاطي المرأة الحرف وأنها تهتم أكثر من الرجل بزخرفة آنية الخزف ونسيج الزرابي[٦]،ويذكر بعض المحدثين إلى ممارسة المرأة المغربية للنسيج قائلا: أن أبا ذر ابن وسيم النفوسي أفتى في بعض المسائل التي تخص النساء،ورخص لهن غسل فقط أياديهن عوض إعادة الوضوء إذا علمن أو لمسن غزلا قد صبغها يهودي[٧] .

---

(١) محمود سلام زناتي: **الإسلام و التقاليد القبلية في إفريقية**، دار النهضة العربية، بيرزت، ١٩٦٩، ص ص١٠٥،١٠٦.

(٢) محمود سلام زناتي: م،س،ص١٠٨.

(٣) عبد الإله بلمليح: الرق في بلاد المغرب و الأندلس خلال القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢ م، **أطروحة لنيل دكتوراه الدولة**، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، ظهر مهراز، فاس، ٢٠٠٠،ج١،ص٧٤.

(٤) البكري: م،س،ص١٥٨.

(٥) نفسه ، م،س،ص١٦٣.

(٦) شارل أندري جوليان: م،س،ج١،ص٧٧.

(٧) الحبيب الجناحي: **دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٦،ص ص٢٠٠،٢٠١.

وهكذا يتضّح لنا مما سبق أن المعلومات التي تهم مساهمات المرأة في المجال الاقتصادي خلال عصر الولاة قليلة، وهو ما لم يسعف على الكشف عن دورها بشكل واضح، إلا أن ما قدم من إشارات يعتبر صورة إجمالية عن وضع المرأة و دورها المباشر و غير المباشر في هذا المجال.

د - المجال الثقافي:

وإذا كانت الحياة الثقافية الإسلامية في بلاد المغرب قد طبعت بطابع متميز ساعد على نشاطها عدة عوامل تتجلى في العقيدة الإسلامية التي حثت المسلمين على طلب العلم دون تمييز، إضافة إلى دور المساجد في التعليم والفتوحات الإسلامية، لكن السؤال الذي يطرح نفسه ما هو حظ المرأة المغربية من هذه الثقافة خلال عصر الولاة ؟.

والباحث عن مساهمة المرأة الثقافية في مغرب عصر الولاة لا يعثر إلا على النزر اليسير من الشذرات المبعثرة في بعض المصادر والتي توضح مدى اهتمام المرأة المغربية بلغتها قراءة وكتابة، حيث تشير بعض الكتابات إلى اهتمام النساء بكتابة " تيفيناغ "[١] وإن كان ذلك بشيء من الصعوبة والخلط، وفيما يخص استعمال اللهجات البربرية والتي مازالت إلى يومنا هذا في كثير من مناطق بلاد المغرب، ولكن هذه اللهجات تستخدم في نطاق الأسرة، خاصة بين النساء، أما خارج الأسرة والبيت فاللغة العربية هي السائدة .

ويرى البعض أن نساء الطوارق إذا أقامت علاقة مع رجل فإنها تطرز على لثام فارسها أو درقته أبياتا من الشعر في مديحه أو تمنياتها له بالخير[٢]، والمرأة المغربية كانت فنانة في غالب الأحيان فهي التي تزخرف آنية الخزف و تنسج الزرابي، كما أسلفنا سابقا، وكان الفن البربري يستمد نماذجه من الطبيعة، ولعل النساء هن اللواتي حافظن على تقاليد الفن المنزلي العريقة التي لم تأت عليها الاضطرابات والغزوات[٣].

وباحتكاك المرأة المغربية بالعرب الفاتحين،كان مفروضا عليها أن تتأقلم مع البيئة الجديدة،وخير نموذج على ذلك الإماء في المجتمع المغربي « فقد تم جلب الرقيق،سواء عن طريق ــــــــــــــــ

(1) Foucauld (ch): **Dictionnaire touareg – Français,** Imprimerie National, 4 vol, 1951, Paris, Cortade (J.M) Essaie de grammaire Touareg- (dialecte de l'Ahaggar), Université, d'Alger, 1969, Alojali (G H) : Lescique touareg – Français , Awgalel- Tamajeg Tafransit, Copenhague, AKademis Forlage 1980.

(٢) محمود سلام زناتي: م،س،ص٢٨.

(٣) شارل أندري جوليان: م،س،ج١،ص٧٧.

التجارة أو عن طريق السبي من بيئات مختلفة،حملوا معهم منها ثقافاتهم ،على الأقل كما استوعبوها من خلال وضعياتهم هنالك،غير أن وجودهم في بيئة مختلفة بشكل واضح سوف يدفع بهم نحو التأقلم مع البيئة الجديدة عبر التخلي عن بعض عاداتهم وتقاليدهم،لصالح ثقافة البيئة الجديدة، وطقوسها،وذلك من خلال العناية بتعليمهم وإعدادهم لاحتلال مناصب إدارية وسياسية أو أداء خدمة داخل البلاط »[١].

إذن لاشك أن المرأة البربرية قد ساهمت مساهمة متواضعة في الحركة الثقافية،استحسنها المجتمع في عصر الولاة، وهذا يدل على اندماجها التدريجي في الحياة الإسلامية العامة شيئًا فشيئًا .

---

(١) عبد الإله بلمليح: م،س،ج١،ص٩٨.

الفǨdž الأوǧ

المرǪة المǛربية من منǬdž ǜ القرن الثانǼ إلǺ نهاية النdž ǜ الأوǧ من القرن الساǮس الهǰري

(ǉǈǇ ـ ĕĔđ/ـǵĐďĒ ـ ǈđċ)م

ǪولاǍ: عdžǢر اǙمارات المسǪقلة

(ǉĕēĐ ـ ĔĔđ / ـǵ ǇĔĐ ـ ǈđċ)م

ǈ ـ اǙمارة الرسǪمية (ǈđċ ـ čĔđ ǵـ /ĔĔđ ـ ĔċĔ) م

č ـ اǙمارة اǮريسية (ǈĔč ـ ǇĔĐ ǵـ/ Ĕēē ـ ǉĕēĐ)م

Ǉ ـ اǙمارة الأǛلبية (ǈēď ـ čđĔ ǵـ /ēċċ ـ ǉĔċē)م

ǫانيا: الǛdžǢر الفاǻمǼ والǭيري ـ الǺماǮي

(ǉǈǇ ـ čĔĒ ǵـ ĐďĒ / ـ Ĕǈċ)م

ǈ ـ الدولة الفاǻمية (čĔĒ ـ ǇĔǈ ǵـ / Ĕǈċ ـ ǉĔĒǈ)م

č ـ الدولة الǭيرية (Ǉđǈ ـ ďċĐ ǵـ / ĔĔč ـ ǉǈċǈď)م

Ǉ ـ الدولة الǺماǮية (ďċĐ ـ ĐďĒ ǵـ / ǈċǈď ـ ǈǈĐǇ) م

تمهيــد :

لقد احترم وقدّر سلاطين عصر الدول المستقلة مكانة المرأة ، لذا فقد تمتعت المرأة المغربية بمنزلة كبيرة في هذه المجتمعات الإسلامية، فكان ذلك له أثر كبير في الدور الذي قامت به المرأة المغربية بصفة عامة من خلال مشاركتها في الحياة العامة ومطالبتها بحقوقها وحريتها .

ومن المعتقد أن الدور الذي قامت به المرأة المغربية في ذلك الوقت، لم يكن مستندًا إلى مبادئ معينة سعت المرأة لتحقيقها شأن العصثور الحديثة، وإنما يرجع ذلك إلى الظروف التي واجهتها بما يتلاءم مع الروح السائدة لهذا العصر.

كان حضور المرأة المغربية في السياسة لزامًا عند الضرورة، خصوصا نساء الطبقة الحاكمة اللواتي كان يجب عليهن أن تقفن إلى جوار أزواجهن وأبنائهن حتى تساندهن في الحكم والاستشارة، وسيأتي ذكر ذلك لاحقا...

شاركت المرأة المغربية أيضا في الحياة العامة من خلال المهن التي مارستها، فقد كان عمل المرأة خلال منتصف القرن الثاني إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثامن إلى غاية الثاني عشر الميلاديين شائعًا إلى حدّ ما، ولكنه أصبح مألوفًا في العصور اللاحقة، حسب ماجاء في المصادر.

وكانت معظم النساء العاملات في المغرب الإسلامي من العامة، هذا إلى جانب نساء الطبقات الفقيرة اللواتي كنّ لا يملكن شيئًا، ولا يستطعن المكوث في البيت وانتظار الإحسان، لذلك كان لزاما عليهن أن يخرجن إلى الطريق العام ويكشفن وجوههن ليحصلن على الحد الأدنى لمتطلبات الحياة اليومية، وكانت هذه الأعمال بالطبع تناسب طبيعة المرأة، لذا فإن معظمها تمثلت في كل ما يحيط بالمظاهر الاجتماعية للمجتمع المغربي.

أولا: عصر الإمارات المستقلة: (١٦٠ ـ ٣٧٥ هـ / ٧٧٦ ـ ٩٨٥م)

١ ـ الإمارة الرستمية: (١٦٠ ـ ٢٩٦ هـ /٧٧٦ ـ ٩٠٩ م)

ظهرت الإمارة الرستمية في المغرب الأوسط سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م واستمرت حتى سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م[١]،وقد تأسست هذه الدولة على يد عبد الرحمان بن رستم[٢] وهو فارسي الأصل خارجي المذهب، وتميز نظام الحكم الرستمي بالبساطة في العيش والزهد في الحياة.

أقبلت المرأة في عصر بني رستم على العلم و المعرفة خصوصا بأمور دينها فكانت تشارك في الحلقات في المساجد و الكتاتيب[٣] وقد تزامن ذلك مع بداية انتشار المذهب الخارجي الإباضي في المغرب الأوسط من طرف علماء و مشايخ الإباضية الذين كانوا متشبهين بسيرة الخلفاء الراشدين[٤].

وقد وردت في المصادر أربع إشارات تؤكد وجود بعض عادات الأسر الأميسية أو بعض بقاياها على الأقل،لدى هذه الإمارة،الأولى أن ستة من شيوخها عرفوا بأسماء أمهاتهم،الأول

(١) بحاز إبراهيم: **الدولة الرستمية**، ط١، لافوميك، ١٩٨٥، الجزائر، ص،ص ١٥،٧، جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، م، و، ك، الجزائر، ١٩٨٤، ص ص ٤٠، ٢٣.

(٢) ذكر ابن خلدون أنه: « من ولد رستم الأمير الفارسي الذي قاد الفرس في معركة القادسية، قدم إلى إفريقية بعد إسلامه مع طلائع الفتح الإسلامي فاستقر بها، و اعتنق المذهب الإباضي بعد وصولها إلى إفريقية» **العبر**، ج٦، ص٢٤٦. ينظر أيضا بحاز إبراهيم: **عبد الرحمان بن رستم**، م، و، ك، ١٩٩٠، الجزائر، ص ص ١١، ٤.

(٣) بوبة مجاني: دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من ق ٣- ٦ هـ/٩- ١٢م، **مجلة الحياة**، عدد٢، جمعية التراث، قرارة، غرداية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ص ١٦٣،١٥٥.

(٤) حول موضوع الإباضية ينظر: أبو زكريا يحي بن أبي بكر: **سير الأئمة و أخبارهم**، تحقيق، إسماعيل العربي، ط١، مطبعة أحمد زبانة، ١٩٧٩، الجزائر، ص ص ١٢،٢، بكلي عبد الرحمان: **فتاوى البكري**، المطبعة العربية، غرداية، ١٩٨٢،جزءان، علي أمعمر: **الإباضية- دراسة مركزة في أصولهم و تاريخهم**- المطبعة العربية، د.ت، غرداية، لجزائر، الدرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، حققه و قام بطبعه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، د.ت، قسنطينة، ج١، ص ص٤٠،٤١،٤٧. ينظر أيضا، بلحاج محمد: **مميزات الإباضية، نشأة و تأصيلا و تفريعا و سلوكا**، مطبعة دار البعث، ١٩٩١، قسنطينة، ص ص ١٥،٤.

والثاني الشيخ عروة[١] وأخيه الشيخ أبو بلال مرداس[٢] ابنا أدية[٣]،الثالث والربع الشيخان أبو روح وأخيه مازن ابنا كنانة[٤] والخامس الشيخ أبو خزر يعلى بن زلتاف[٥]، ثم السادس وهو الشيخ عمر بن دمو الحمدانية بنت درجو[٦]- امرأة- يمكتن كذلك عرف أحد أحفاد الإمام عبد الرحمان بن رستم باسم أمه وهو الأمير المدراري الشهير بابن أروى[٧]بنت عبد الرحمان بن رستم.

والثانية تدخل المرأة في الشؤون العامة وتأثير الأم على أبنائها وتوجههم، إذ ترعرع عبد الرحمان بن رستم في القيروان، فحفظ القرآن و تعلم اللغة العربية ومبادئ الإسلام، تحت رعاية أمه وزوجها[٨]،كما شجعته أمه على التوجه إلى البصرة[٩] حيث مدرسة الإمام « أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي » فالتقى بمن هو على شاكلته- عند الإمام « أبي عبيدة » بوفد من المغرب في نفس العام (١٣٥هـ/٧٢٥م)[١٠]، وكم كانت هذه المنشورة مفيدة بالنسبة إليه وحازا له على التعلم ومناظرة المذهب الإباضي.

والثالثة أن المرأة الإباضية لا تكره على الزواج ممن لا ترضاه لنفسها وخاصة نساء بيت الإمامة، ذلك لأن المذهب الإباضي الذي يعتنقه أهلها،يُحتّم موافقة المرأة على من يتقدم للزواج منها، ــــــــــــــ

(١) أول من نادى< لا حكم إلا لله > في حفين، رفع السيف لضرب- الأشعث- الذي يدعو إلا وقف الحرب في حفين ووقع السيف على عجز بغلته. قاما في العراق على عبيد الله بن زياد أيام- يزيد بن معاوية- اشتهر بالتقوى والزهد والشجاعة،(ت٥٨هـ/٦٧٨م)،ينظرالدرجيني:م،س،ج١،ص٧،الشماخي:**كتاب السير**،ط حجرية ،١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م ، قسنطينة، ص٦٧.

(٢) هو مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعي الحنظلي التميمي و هو أخو عروة، (ت٦١هـ/٦٨٠م)، تابعي، عالم، وزاهد، لا يخاف لومة لائم، صاحب الكرامات و الأقوال المأثورة، عارض بالحجة و الدليل وبشجاعة المتطرفين، ثابت على مبدئه، ينظر الدرجيني: م،س ج١، ص٧، الشماخي: م،س،ص٦٦، ٦٧.

(٣) وهي أمها وقيل جدتهما، الدرجيني: م،س،ج١،ص٧.

(٤) الدرجيني: م،س،ج١،ص٧.

(٥) وهي أمه، وهو ابن أيوب، الدرجيني: م،س،ج١،ص٨.

(٦) من مدينة- إيفاطمان- الواقعة بين الحرابة والرحيبات من جبل نفوسة من أجلّ علماء الإباضية، تقي، زاهد، مجاهد وهو أول من علم القرآن بجبل نفوسة، الشماخي: م،س،ص١٤٢،١٤٣، عوض محمد: **نشأة الحركة الإباضية**، ط مطابع دار الشعب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، عمان،ص٥١.

(٧) ابن عذاري:**البيان المغرب** ، ج١،ص١٥٧.

(٨) بحاز: **عبد الرحمان بن رستم**، ص٩، ينظر أيضا، علي أمعمر: م،س،ج٤،ص١٣٥.

(٩) الشامخي: م،س،ص١٢٣، محمود إسماعيل: **الخوارج في المغرب الإسلامي**، مطبعة دار العودة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، بيروت، ص١٠٨.

(١٠) بحاز: **الدولة الرستمية**، ص٩٥.

فقد قصدت دوسر بنت اليقظان الإمام يوسف وهي تشكو إلى أبي عبد الله الشيعي[١] غدر الإمام اليقظان بن أباها، ووعدته بالزواج إذا ما تأثر لأبيها، فقبل أبي عبد الله الشيعي بها- وربما يبدو أنها كانت جميلة كذلك إلى جانب كونها ذكية وشجاعة لهذا القرار الذي اتخذته- فأحضر أبو عبد الله الشيعي يقظان وتمثل بين يديه،سأله عن اسمه فأجاب:« أنا يقظان، فقال،بل أنت حيران، ما الذي دعاكم إلى قتل أميركم فسلبتم ملكه،وأطفأتم نور الإسلام بغير سبب،وألقيتم بأيديكم إلينا بغير قتال »[٢]. ثم قتله أبو عبد الله الشيعي بفظاعة[٣] وأثارت دوسر لأبيها، ولكنها لم تنتصر على الرجل الذي أحبها وأرادها كزوجة، وعندما طلبها، علم أنها فرّت مع عمّها يعقوب بن الإمام خفية منه نحو مدينة وارجلان[٤]، فتبعها بجيش « وعندما دخل المدينة، انتهبها وانتهك حرمتها وقتل أهلها وكل بيت الإمامة من الرستميين »[٥] سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م) وعلى أية حال فقد كان استشهاد- دوسر- رمزا لسيرة المرأة الإباضية الصالحة، الثائرة لأبيها، والرفض لزوج لا ترضاه لنفسها، وهو أنموذج لما وصل إليه مستوى المرأة في المجتمع الرستمي من البذل و العطاء و التضحية.

و الرابعة أن المرأة في المجتمع الرستمي قامت في مجال العلم بدور معتبر بالنسبة إلى عصرها كحفظ القرآن الكريم بقراءته و رواياته و رواية الحديث، و دراسة مبادئ المذهب الإباظي

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد، لقب بالمعلم، نشر دعوة العبيديين بالمغرب، أصله من اليمن، أرسله عبيد الله إلى المغرب ليجمع له الأنصار لتحقيق أهدافه، و استطاع أن يؤثر في قبيلة كتامة و يحملها على مبايعة سيده المهدي سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م)، و اتخذ من قلعة إيكجان حصنا له، قبل أن يزحف على ميلة ثم القيروان و بذلك مهّد العرش لعبيد الله، و في سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) قتله المهدي في رقادة خوفا على مستقبل ملكه، ينظر، القاضي النعمان: **إفتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات البشراوي، ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦، ص ص ٣٠،٤٠،٤١،٩٨.

(٢) الدرجيني: م،س،ج١،ص٩٤.

(٣) نفسه، ج١،ص٩٥.

(٤) هي واحة كبيرة بها مدينة قديمة، و هي أهم مركز إباظي ابتداء من القرن (الثاني الهجري/الثامن الميلادي)، يحد هذه المنطقة شرقا أطراف- الصحراء الجزائرية- وجهات الزاب، و غربا منطقة وادي ميزاب، و جنوبا مدينة- إسدراتن- التي أنشأت بعدها، و شمالا صحراء و واحات و مدن مثل- توقرت- و- وادي أريغ- و- أسوف- و عرف وارجلان بعدة أسماء مثل:- واركلا- ،- وارقلا- ،- واقلان- الإدريسي: **القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣، ص ص٤٣،١٩٧.

(٥) الدرجيني: م،س،ج١،ص٩٤.

والأمور الفقهية، وتناولت البعض منهن الشعر كأم يحي[١]،والبعض الأخريات كامرأة معافرية من ذرية أبي الخطاب المعارفي،أخبرنا الدرجيني[٢] أنها:«عندما توفي قالت وهي تبكيه:(لما مات أبو الخطاب،مات الحق،فبقيتم يا زواعة هامة ببطون كالأخرجة،وعائم كالأبرجة،ونعال مبلجة، وأحكام متعوجة) وأضاف الدرجيني قائلا إنما عبرت بقولها مات الحق عن فقد من يحكم الحق من آل أبي الحطاب».

كما اشتهرت الفقيهة الإباظية[٣] أخت عمروس بن فتح النفوسي[٤] بالعلم والتدين وقد أملت على أخيها عمروس كتاب "مدونة"،أبي غانم الخراساني فكتبها كلها.وهي من النساء الفقيهات العاقلات،اللاتي يحسن التصرف في المواقف الحرجة،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على رجاحة عقلها و حسن تدبرها.

ومن ذلك أنها لما خرجت مع بعض نسوة « نفوسة» في موقعة « مانو» أخذت أسيرة معهن من طرف جيش الأغالبة فخشيت على شرفها فأفتت لهن بما يصونهن فأمرت أن تستخلف كل واحدة منهن عن نفسها من يزوجها لمن أرادها بسوء[٥]. وهو من كمال عقلها وعلمها وفقهها في الدين.

وكان منهن مدرسات ومعلمات شغلن مقاعد التدريس،وأهتمين بأمور التلاميذ والاعتناء بهم مثل ما كان في عهد الإمام أبي القاسم يزيد بن مخلد حيث كانت له زوجة صالحة ومجتهدة تدعى «الغاية»[٦]، وكانت تساعده في أمور التربية والتعليم وأمور النفقة والإيواء على الطلبة،بل كان أئمة الإباضة يستشيرون بعض العالمات في الدين والفقه، وقصد العامل أبو عبيدة

---

(١) كانت **أم يحي** شاعرة ،حفظت ثمانين بيتا من الشعر بسماع واحد، ينظر،الشامخي:م،س،ص ص، ٧٢، ٧٣ ، ٨٧، ١٠٧، ١١٠ ، أبو زكريا: م،س،ص١٧٩.

(٢) الدرجيني: م،س،ج١،ص١١٥.

(٣) الشماخي: م،س،ص١٠٦.

(٤) عالم إباضي، ورع، مجتهد، قاض إمام الرستميين «عبد الوهاب» على جبل نفوسة، فهو من أهل الخمسين الثانية من المائة الثالثة، هكذا ذكره الدرجيني: م،س،ج١،ص٨،ينظر صالح بن عمر اسماوي: العزابة و دورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، **رسالة ماجيستير**، ٢٠٠١، جامعة الجزائر، ق١،ص٣٠٧.

(٥) اسماوي: م،س،ق١،ص٣٠٧.

(٦) الدرجيني: م،س،ج١،ص ص١٢٠،١٢١.

عبد الحميد الجناوي[١] إلى عجوز[٢] نفوسة التي كانت مشهورة بالعلم والدين والصلاح فاستشارها في مسألة قبول أو عدم قبول المنصب الذي كلفه بها الإمام عبد الوهاب، فقالت له:« هل تعلم في بلادك من أهل زمانك أقوم منك بما كلفت به وأحق بتقليدها ما تقلدت؟ قال: أما في أمور الرجال فلا، قالت: فادخل إذا فيما قلدك الإمام، وإلا فإني أخشى أن تهشم عظامك في نار جهنم، فقد قامت عليك الحجة»[٣] فرجع إلى أهله و قبل المنصب و أحسن.

كما حضرت أو شاركت بعض النساء في مجالس الجدل أو النقاش التي كانت تعتقد حلقاتها من حين لآخر،" فأخت الإمام أفلح" برعت في علم الحساب والفلك والتنجيم[٤]، واشتهرت امرأة أخرى تدعى " بهلولة "[٥] بالعلم حتى أصبح بيتها مزارا للعلماء الذين كان من بينهم أبو ذر ابن وسيم ولم يكن أئمة الإمارة الرستمية فيما يتعلق بتعليم المرأة وتربيتها، والعناية بتكوينها مقتصرة على الحرات فقط، بل شمل حتى الإيماء، وهذا ما يفهم مما ذكره البعض بأن إيماء " نفوسة" في ذلك العهد إذا خرجن إلى الحطب والبساتين لا يرجعن حتى يذكرن جميع مسائل " كتاب ماطوس"[٦]، ونستنتج من هذا النص أن الأئمة الرستميين كانوا يوجهون عناية كبيرة لتربية المرأة سواء كانت حرة أو أمة لأن الاعتناء بها يؤدي لا محالة إلى إصلاح المجتمع، لأن المرأة كما يقال نصف المجتمع فكلما صلحت المرأة صلح المجتمع.

والخامسة هي مشاركة المرأة في المجتمع الرستمي في المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، كقيامها بنشر الدعوة السرية لصالح المذهب الإباضي في جبل نفوسة قبل قيام الإمامة الرستمية،حيث ناضلت في هذا المضمار إلى جانب أخيها الرجل بحسب إمكاناتها وكفاءتها، فقد كان الإباضيون في طورهم الأول (فترة الدعوة) يعقدون مجالسهم السرية

(١) و هو عامل جبل نفوسة في عهد الإمام الإباضي الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، الدرجيني: م،س، ج١،ص١٢١.

(٢) هو لقب تشريفي يطلق على المرأة المسنة ذات كلام مسموع و رأي عند جماعتها و قبيلتها، وعادة ما تكون متدينة ومتعلقة لأمور دينها الحنيف.

(٣) الدرجيني: م،س،ج١،ص ص٧٠،٧١.

(٤) عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١، ج١،ص٢٧٥.

(٥) الشماخي: م،س،ص٢١٧، امعمر علي يحي: م،س،ص٢٣٢.

(٦) عالما و فقيها و عاملا في مدينة طرابلس، وقد رتبه الدرجيني في الطبقة الخامسة، فهو من علماء النصف الأول من القرن الثالث الهجري، ينظر: الدرجيني: م،س،ج٢،ص٣٠١.

في بيوت النساء الإباضيات، وكذلك كن يساهمن في الدعوة بجمع الأموال والهدايا والتبرعات. ومن أشهرهن "هند بنت المهلب" و "عاتكة " و "سعيدة المهلبية "[١] و غيرهن .

وقد اشتهرت في المجال السياسي نساء كثيرات مثل زوجة أبي يوسف حجاج بن وفتين الذي اشترك في مؤامرة دبرها "خلف بن السمح" للخروج على طاعة الدولة الرستمية، ولما عاد بيته صاحت هذه الزوجة في وجهه قائلة له: « إليك عني يا بائع دينك»[٢] كما استطاعت زوجة أبي اليقظان أن تؤثر على زوجها وترغمه على إسناد ولاية العهد إلى ابنها أبي حاتم كما استطاعت "دوسر بنت أبي حاتم"[٣] أن تلعب دورا واضحا في الأحداث السياسية الأخيرة التي أدت إلى سقوط الدولة الرستمية- كما سلف الذكر-

وإلى جانب هذا أسهمت المرأة الرستمية بدور كبير في المجال الاجتماعي،وهذا بفضل أخيها الرجل الذي اعترف بمكانتها و حقها حسب ما نصت عليه تعاليم الإسلام.

فاهتم بشأنها أئمة الإباضية وشيوخ العزابة وسنّوا للمرأة قوانينا لحمايتها وبما يصون كرامتها وحقوقها، فكان لها حق في التملك ولها حقّ التصرف في مالها وما تملك،ويحرم الوقف إذا كان سيسلبها حقها الشرعي في الميراث[٤].

و يذكر أحد الباحثين:« أن نظام العزابة، أنشأ هيئة نسوية خاصة تتولى شؤون المجتمع النسوي و رعايته و تنظيمه ضمن القوانين الشرعية، وكل ما يخص مجالات التربية وإعداد البنت الإباضية و الزوجة الصالحة و أم المستقبل»[٥].

انتظمت هذه الهيئة في مجلس نسوي معروف بـ « الغسالات » أو « الغاسلات »، و يعرف بالأمازيغية باسم « تِمْسِيريدينْ »[٦]، بمعنى أنهن يقمن بغسل الأموات من النساء والأطفال دون

---

(١) بوبة مجاني: م،س،ص١٥٦.

(٢) الشامخي: م،س،ص١٨٤، علي يحي معمر: م،س،ص٣٢١.

(٣) موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، منذ تأسيسها إلى منتصف (ق٥هـ/١١م)**، مطبعة أحمد زبانة، ١٩٧٩، الجزائر، ص٣٤٢.

(٤) بوبة مجاني: م،س،ص ص١٥٥،١٦٢.

(٥) اسماوي: م،س،ق١،ص٣٠٧.

(٦) تمسيريدين: ج (بكسر التاء و سكون الميم و كسر السين و الراء ممدودة و الدال ممدودة و سكون النون) مفرد " تامسيرَتْ " (بفتح التاء و سكون الميم و كسر السين ممدودة و فتح الراء و سكون التاء) أنظر اسماوي: م،س،ق١، هامش ص٣٠٨.

البلوغ أو سن سبع سنين، و ما زالت هذه الهيئة النسوية تزاول هذا العمل بمنطقة وادي ميزاب إلى يومنا هذا [١].

ومنهن أيضا يتكون « المجلس الديني للنساء » ويصل عدده إلى اثنتي عشر امرأة[٢]، ويتم انتقاء هؤلاء النسوة من مختلف عشائر[٣] البلدة من صالحات الأسر بشروط معينة، أي أن يكنّ متعلمات حافظات للقرآن ومن ذوي الأخلاق الكريمة والسمعة الطيبة فضلا عن حضورهن لدروس الوعظ والإرشاد في الحلقة أو في المسجد.

أما عن طريقة تعيين إحداهن كعضوة جديدة في الهيئة ! فبعد أن يتم اختيارها تتجه الغسالات بأجمعهن إلى دار شيخ العزابة، فيناقشن معه الأمر بوساطة محارمه أو تتولى أكبرهن سنا الحديث معه من وراء حجاب، أو يتفاوضن معه في القضية، وفي الأخير فإن القرار يعود إلى رئيس مجلس العزابة وأن تقبل الغاسلات بذلك الحكم.

كذلك الأمر بالنسبة لاتخاذ مجلس الغاسلات للقرارات المتعلقة بالزواج والأعراس والمآتم أو أية قضايا أسرية واجتماعية أخرى،ويبقى رئيس العزابة هو المرجعية الأساسية لمجلس الغاسلات وهن مخلصات و أمينات له[٤].

ويعين على رأس هذا المجلس النسوي رئيسة تعرف في بعض القرى "بماما شيخة"[٥] وفي مناطق أخرى بـ " كـبـيرة الغاسـلات ".

---

(١) اسماوي: م،س،ق١،ص٣٠٨ .

(٢) و يرى الباحث اسماوي:" أن عدد العضوات يزيد و ينقص حسب المهام و الحاجة و لكن نادر ما ينقص "م،س، ق١،ص٣٠٨.

(٣) مفرد عشيرة، وهي مجموعة الأسر التي تنتمي إلى جد أعلى لها.

(٤) اسماوي: م،س،ق١،ص٣٠٩.

(٥) ومن أشهر " شيخات " مجاهدة مشهورة في- ميزاب- بمواقف الثورية إبان الاحتلال الفرنسي لميزاب سنة (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م) و هي "ماما بنت سليمان" ولدت في مدينة غرداية سنة (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) و نشأت في جو عائلي محافظ متدين، حفظت نصف القرآن عن ظهر القلب و تلمت أصول الدين و اللغة و مبادئ المذهب الإباضي، مزدوجة اللغة (العربية و البربرية و الكتابة بها)، جاهدت في سبيل إعلان الحق الحق و الدفاع على البلاد، فتحت منزلها كمدرسة لتعليم القرآن و الحديث، و قامت بترشيد النساء و وعظهن، و في سنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) عينت " ماما شيخة " رئيسة المجلس النسوي خلفا للمرحومة الشيخة " ماما بنت الحاج " و كانت لا تخاف لومة لائم، كما انتهجت طريقة الكفاح السلمي ضد الاستعمار الفرنسي و ذلك بقطع المنتوجات الفرنسية و تشجيع خدمة الصوف و نسج الملابس الصوفية و اعتبرها الباحث أنها أسبق من " غاندي " ينظر، اسماوي: م،س،ص٣١٠.

وأما مقر المجلس فيكون في إحدى أجنحة المسجد(١)،وهو يُبنى خصيصا لهن بمكان مجلس التلاوة بالمسجد ويفصله عنه جدار خفيف تعلوه تحت سقف الجناح كواة صغيرة جدا، أصبحت الآن مغطاة بقطع صغيرة من الزجاج بشكل مائل لينفذ منه الضّوء والصوت من داخل المسجد دون أن يرى أي طرف آخر حيث يسمعن كل ما يدور في المسجد من صلاة وأدعية وأذكار أو من تلاوة للقرآن، ودروس في التوجيه والوعظ والإرشاد(٢).

وتساهم المرأة الرستمية بقسط وافر في تطوير المجتمع اقتصاديا بالإضافة إلى القيام بالأعمال المنزلية ودورها الكبير في خدمة البيت وتربية النشئ، فهي تشارك في صناعة الأواني التقليدية الفخارية والخشبية والمنسوجات الصوفية التي كانت تشارك بها في التجارة والإنتاج المحلي، وازدهار الأسواق بالصناعات اليدوية النسائية، وهذه الظاهرة مازالت حاضرة إلى حد الآن في وادي ميزاب بجنوب الجزائر،إذ تقوم المرأة الميزابية- حاليا- بدور هام في مجال الحفاظ على الصناعات التقليدية كنسيج الزرابي والقشاشيب و غيرها(٣).

الخلاصة،أن المرأة في المجتمع الرستمي كان لها حق اختيار الزوج، لا تكره على الزواج ممن لا ترضاه لنفسها، وذلك لأن المذهب " الإباضي" الذي يعتنقه أهلها يحتم موافقة المرأة على من يتقدم للزواج منها، كما أنه يعطيها حقها في التملك، فلها حق التصرف في مالها وما تملك، ويُحَرّم الوقف إذا كان سيسلبها حقّها الشرعي في الميراث.

و كانت المرأة الرستمية محجبة وفق الشرع، و لكن الحجاب لم يمنعها في المشاركة في الحياة العامة، و استطاعت بذلك أن تساهم بقسط هام في ازدهار المجتمع على جميع مستوياته.

٢ ـ الإمارة الإدريسية: (١٧٢ ـ ٣٧٥ هـ/ ٧٨٨ ـ ٩٨٥م)

ظهرت إمارة الأدارسة بالمغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م وهي أول دولة شيعية علوية جسدت المعارضة الشيعية للعباسيين والأمويين من قبلهم(٤)،ويعود الفضل في تأسيسها إلى أحد

---

(١) و هو أنموذج في مساجد ميزاب، اسماوي: م،س،ص٣١٠.وينظر أيضا،
Goichon (A.M): **La vie Féminine au M'Zab**, librairie orientaliste, 1927, Paris, pp 7,9,16.

(٢) ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين،** تحقيق و تعليق محمد ناصر، بحاز إبراهيم، المطبوعات الجميلة، ١٩٨٦، الجزائر، ص ص٣٥، ٤٨، ٥٦، ١٠٧، ١٦٦.

(3) Goichon (A.M) : op cit, pp 43,45,46.

(٤) ابن أبي الزرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس،** الرباط، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، ص١١٧.

العلويين الشيعة وهو إدريس[٢] بن عبد الله الكامل الذي بايعته قبائل المغرب الأقصى أميرا عليها.

وكان نظام الحكم فيها وراثيا، فقد تولى إدريس الثاني[٣] بن إدريس الأول الحكم بعد وفاة والده، وإليه يعود الفضل في تأسيس العاصمة الجديدة مدينة فاس سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م[٤].

أولى الأدارسة عناية خاصة بالمرأة تعليما وتكريما،ويتجلى ذلك من خلال بصمات عادات الأسر الأميسية، بل إن تلك العادات هي ما تسهم جزئيا في تفسير وفهم بعض وقائع من تاريخ إمارة الأدارسة، وعلى الأقل في بداية نشأتها الأولى، عندما قدم إدريس بن عبد الله من المشرق لم تكن تربطه بقبيلة أوربة أية صلة قرابة، ثم استقبل كما يستقبل أي متزوج غريب من القبيلة، اندمج في هذا الوسط بتزوجه امرأة تدعى " كنزة " من قبائل البربر وأشرافهم[٥]،ثم استقراره فيما بينهم، مثلما كان يستقر الأزواج الغرباء عند أصهارهم في القبائل الأمازيغية. كل هذا لا يتنافى مع أعراق و تقاليد الأسر الأميسية و احترام إدريس لهذه التقاليد كذلك حين اكتفى بزوجة واحدة، أو حين لم يتيسر له على ما يبدو، إذ لم تذكر المصادر حسب علمنا شيئا عن ذلك.

إن وفاة إدريس المفاجئة و دون خلف يرثه سوى جنين في بطن أمه، و لم يمض سوى ثلاث سنوات على تأسيس هذه الإمارة و لكن ذلك لم يؤثر على مصير الكيان السياسي الناشئ الذي خلفه، إذ لم يتعرض لهزة سياسية بسبب هذه الوفاة المباغتة. و بما أن المجتمع الأميسي قد فقد بانتظار التحالف القبلي المبايع لإدريس حتى تضع كنزة مولدها، بل و انتظر مدة ستة

---

(١) فرّ إدريس بن عبد الله العلوي من معركة "فخ" الواقعة بين مكة و المدينة، من مذابح العلويين في عهد الخليفة العباسي الهادي، و قد مرّ إدريس بمصر ثم القيروان و المغرب الأوسط، و استقر بطنجة بعد ذلك، و قادته المصادفة إلى منطقة تنزل بها قبيلة مغربية بربرية هي" أوربة" و تدعى " وليلى"، و قد رأت هذه القبيلة في إدريس بن عبد الله الشخص الذي يمكن أن يتخذ خليفة و أن تؤيده، فبايعته قبائل البربر في إقامة أول إمارة علوية و هي الإمارة الإدريسية التي نسبت إليه إمارة الأدارسة. ينظر، ابن عذاري: **البيان**، ج١،ص٢١٠، ابن أبي الزرع: م،س،ص١١٨.

(٢) هو المؤسس الحقيقي لإمارة الأدارسة، واتخذ لإمارته عاصمة جديدة هي مدينة فاس ، ابن أبي الزرع: م،س،ص٢٤. ابن عذاري: م،س،ج١،ص ص٢١٠،٢١١. ابن خلدون: م،س،ج٤،ص٢٧،ج٦،ص٢٤٤. البكري: م،س،ص١٢٣.

(٣) التازي عبد الهادي: **جامع القرويين، المسجد و الجامعة بمدينة فاس**، ج١،ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢م، ص ص ٢٢،٢٣.

(٤) ابن أبي الزرع: م،س،ص١١٨، ابن خلدون: **العبر**، ج٦،ص٢٤٤.

عشر سنة إلى أن بلغ المولود سن الرشد، وكانت أمه كنزة تدبر الأمور بمساعدة أشياخ أوربة خلال هذه المدة، وذلك حسب ما جرت به العادات السياسية والدينية لقبيلة أوربة، منها عادة تربية الابن في حضانة أخواله،كما أسهم وضعه الديني كحفيد للرسول (صلعم) في تسهيل مهمتها(١). ومع ذلك كلّه فإنه يبدو أن تقاليد الأسرة الأميسية لم تثبت عند الأدارسة، فرغم وراثة إدريس الثاني الزعامة السياسية وتوطيدها بمكانته الدينية، إلا أن هذه السياسة الدينية بالذات كانت هي التي فرضت عليه أن يتخلى عن التقاليد المحلية المنظمة للأحوال الشخصية،وأن يتبنى الأسرة الأبيسية بحيث تزوج العديد من النساء واتخذ الجواري بدليل أنه خلف من الأبناء ١٢ ولدا دون الإناث، وقلده أبناؤه وأحفاده في هذا الشأن(٢).

ومن بقايا العادات الأميسية في تاريخ الإمارة تدخل المرأة في الشؤون العامة لهذه الإمارة كدور الأم " كنزة " خلال فترة الوصاية على ابنها القاصر،وكذلك عندما أشارت على أحفادها بتقسيم الإمارة فيما بينهم(٣)، كما قامت السيدة " عاتكة بنت علي " بدور سياسي كبير في إنقاذ زوجها من ثورة أهل فاس عليه، وأهم ما ذكر البكري(٤) ثلاث عادات مشهورة،الأولى، نجد في الأدارسة من « ينتسب لأمه ميالة المعروف أيضا بأبي العيش » ويظهر أن هذه العادة قد استمرت إلى القرن السادس الهجري كبيت بني لبابة في عهد مغراوة(٥).

والثانية عادة المواربة التي تفتخر بها نساؤهم وهي أن الشباب المجاورين للمرأة الحديثة العهد بالزواج يأخذونها بعد دخول زوجها بها،ويمسكونها عنه لمدة شهر أو أكثر،وربما يكررون حجز تلك الزوجة مرارا حسب جمالها و رغبتهم فيها(٦). وقد أكد الإدريسي قضية المواربة في منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي(٧). إذن فماذا تعني هذه العادة الغريبة التي ذكرتها المصادر؟

---

(١) ابن عذاري: م،س،ج١،ص٢١٠،٢١١، ابن خلدون: **العبر**، ج٤،ص٢٧، و ج٦،ص٢٤٤، البكري: م،س، ص١٢٣، ابن أبي الزرع: م،س،ص٢٤. و انظر كذلك،

Brignon et autres : **Histoires du Maroc**, Hatier, Paris, 1967, p 62.

(٢) البكري: م،س،ص١٣٢، وينظر أيضا، محمد داود: **تاريخ تطوان**، مكتبة كريماديس، ط٢، تطوان، ١٩٥٩، ج١،ق١،ص٦٤.

(٣) ابن عذاري: م،س،ج١،ص ص٢١٠،٢١١، ابن خلدون: **العبر**، ج٤،ص٢٧، ابن أبي الزرع: م،س،ص٥١.

(٤) البكري: م،س،ص١٣٢.

(5) Gautier (E.F) : Opcit, p 370.

(٦) البكري: م،س،ص١٠٢.

(٧) الإدريسي: م،س،ص١٣٢.

والعادة الثالثة،هي تنبؤ المرأة " كتانجيت" عمة حاميم التي كانت هي وأخته "دجو" كاهنتين ساحرتين، إذ كانت قبيلة مجكسة تستغيث بهما في الحروب وعند كل ضائقة أو أزمة « ويزعمون أنهم يجدون نفعا »[١].

وعرفنا أن أغلب النساء المشهورات في الغرب الإسلامي ينعتن بالكاهنات بدءا بـ " كاهنة الأوراس" وانتهاء بـ " زينب بنت إسحاق النفزاوية " في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

٣ ـ الإمارة الأغلبية: (١٨٤ ـ ٢٦٩ هـ/٨٠٠ ـ ٩٠٨م):

نجح إبراهيم بن الأغلب أحد ولاة العباسيين أيام الخليفة هارون الرشيد في تأسيس إمارة الأغالبة في المغرب الأدنى (إفريقية) سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م، متخذا من القيروان عاصمة لدولته الفتية[٢].

أقام الأغالبة حكما وراثيا انحصر في عائلة بني الأغلب وقد تمتعت هذه الدولة بالاستقلالية الفعلية في إدارة شؤونها لكنها أبقت على ولائها المعنوي للدولة العباسية التي حاولت أن تجعل منها سدا أمام حركة الانفصال و المعارضة الخارجية و الشيعة[٣].

أقبلت المرأة في عصر بني الأغلب على العلم و المعرفة، وكان العلماء يشجعون ذلك متخذين أنفسهم نموذجا فقد قاما كل من العالم والمجاهد أسد بن الفرات والعالم،الإمام سحنون بتعليم بنتيهما حتى تستطيع أن تُعلما بدورهما نساء العامة. هذا و قد وردت في المصادر أربع إشارات تؤكد وجود بعض عادات الأسرة الأميسية أو بعض بقاياها على الأقل لدى هذه الإمارة.

الأولى أن المرأة القيروانية قد تغيرت عن غيرها في المغرب الإسلامي[٤]، بعادات وتقاليد، أضفت عليها قيمة اجتماعية،وأكسبتها سمعة حسنة،وهي الطرقة القيروانية في الزواج التي تظهر ـــــــــــــــــــ

(١) البكري: م،س،ص١٠٠.

(٢) النويري: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب " **نهاية الأرب في فنون الأدب** " ،تح، مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دت،ج٢،ص ص٦٤،٦٥، ابن الخطيب: **الأعمال**، ج٢،ص٤٣٤، ابن عذاري: **البيان**، ج١،ص٩٢،ابن الأبار: **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، ش، ع، ط، ن، القاهرة، ١٩٦٣، ج١،ص٢٢٩.

(١) محمد الطالبي:**الدولة الأغلبية**، تر،المنجي العيادي،دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٥، ص ص ١٠٢،١٧٢.

(٢) و حسب علمنا فإن هذه العادة القيروانية في الزواج تعد الوحيدة في شؤون الأسرة بالمغرب و المشرق العربي و الإسلاميين

في الصداق و ذلك أن للمرأة القيروانية الحق في أن تشترط على زوجها إبان العقد « ألا يتزوج عليها و إلا فلها حق تطليق من يتزوجها »(١).

وقد بدأت هذه العادة باشتراط امرأة كان قد تزوجها والي القيروان عبد الرحمان بن حبيب بن عقبة بن نافع الفهري، على أنه إذا تسرى عليها بغيرها كان لها حق مغادرته واستمرت هذه العادة حتى أنه قلما تجد رجلا تعددت زوجاته بمدينة القيروان(٢).

من ذلك ما وقع لأبي جعفر المنصور عندما لجأ هاربا من بني أمية إلى إفريقية(٣)،وتزوج من أروى والمعروفة بأم موسى القيروانية(٤) ابنة منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري،وكانت قد اشترطت على أبي جعفر المنصور: « أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى »،وأضاف ابن الأبار قائلا: « وكتبت عليه بذلك كتابا فعذب بها عشر سنين في سلطانه ثم أتته وفاتها فأهديت إليه في تلك الليلة مائة بكر ». وهذه حجة على مدى حرص المرأة القيروانية على تدعيم الزواج الأحادي، وهي عادة مازالت حية طيلة العصر الوسيط.

والثانية عادة تدخل المرأة في الشؤون العامة وتأثير الأم على ولدها و توجهه ومشاركته في الحكم فكانت "جلاجل"وهي والدة الأمير زيادة الله الأول حيث يذكر ابن الأبار(٥) قائلا: «والليث وهب له جلال- جلاجل- أم ابنه زيادة الله، فخرج بها من مصر حتى وصل الزاب ». ويبدو أن جلاجل هذه كانت أفضل خادمة عند الفقيه الليث(٦)،فاختارها دون غيرها وزوجها لتلميذه إبراهيم بن الأغلب فأنجبت له الأمير زيادة الله الأول،كما يظهر أن شأنها قد بدا واضحا وبخاصة في عهد ابنها حيث كانت وراء تولية ابنها زيادة الله الأول يوم٦ ذي الحجة ٢٠١هـ/٢٥

---

(١) محمد البهلي النيال: " قصة الصداق القيرواني و منزلته من التاريخ و الفقه" ، **مجلة الندوة**، عدد ٤، ١٩٥٤، ص١٦،١٧.

(٢) حسن حسني عبد الوهاب :**شهيرات التونسيات**، مكتبة المنار، ط٣، تونس، ١٩٨٥، ص٢٣.

(٣) إن هذا النوع من الزواج و المصاهرة مكن من تحالف بين بغداد و القيروان وأنجب الخليفة محمد المهدي، ينظر،(ح،ح) عبد الوهاب: "المصاهرة بين العراق و إفريقية التونسية"، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ١٩٥٦، ص ص٢٥،٣٠.

(٤) ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ت، ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٤٨،ص١٩.

(٥) ابن الأبار: م،س،ج١،ص ص١١٩،١٢٠،١٢١.

(6) Brunschvicg (R) : « Polémiques médiévales autour du rite de Malik » dans **Al-Andalus**, XV, fasc, 2, 1950, pp377-387.

جوان ٨١٧ م فضلا عن وقوفها إلى جانبه عندما أهاج عليه شقيقه من الأب عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب[١]،وعندما انهزم الأمير زيادة الله الأول في سبخة تونس سنة (٢١هـ / ٨٢٥ م) ذعر لهول الكارثة وفداحة الخسائر[٢]،« وقد خاف منها على ملكه ».

ولأنه كان شاعرا،فلذلك أودع أفكاره وقلقه في أبيات،خاطب بها أمه ومستشاريه في الحكم، إذ تضمنت وصفا دقيقا للأسى الذي تسببت فيه فداحة تلك الهزيمة ومنها:

أفنت سبيبة كل قوم باسل ... ومن العبيد جماجما أبطالا
فإذا ذكرت مصائبا بسبيبة ... فأبكى جلاجل و اندبي أعوالا
يا ويح نفسي أركب غاديا ... بالقيروان تخالني مختالا
في فتية مثل النجوم طوالع ... وتخالفني بين النجوم هلالا
فاليوم أركب في الرعراع ... ولا أرى إلا العبد ومعشرا أنذالا[٤]

والثالثة تتمثل في مشاركة بعض النساء في الأعمال الخيرية في سبيل الله، فتركت بصماتها في التاريخ الحضاري في المغرب الإسلامي، (أنموذج فاطمة الفهرية): وهي امرأة ثرية من أهل القيروان تدعى"فاطمة بنت محمد الفهري "[٥] وتكنى" أم البنينن"،ذهبت مع أسرتها إلى فاس واستقرت بعدوة القرويين على عهد إدريس الثاني،وبعد مدة مات زوجها وأخوتها فورثت منهم مالا،حبسته لسبل الخيرات، فأخذت على عاتقها تأسيس جامع القرويين[٦] عام (٢٤٥هـ/٨٥٩م)،وأخبرنا صاحب الاستقصا[٧] عن الطريقة التي تم بها بناء الجامع فقال:« أنها ـ" فاطمة الفهرية"ـ التزمت أن لا تأخذ التراب وغيره من مادة البناء إلا من نفس الأرض التي اشترتها دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها، فحفرت كهوفا في أعماقها وجعلت تستخرج الرمل الأصفر الجيد والحجز الكذان والجص وتبني

---

(١) الطالبي محمد: م،س،ج١،ص١٨٢.
(٢) المكتبة،ص٢١٠.
(٣) ابن الأبار: م،س،ج١،ص٢٥٥.
(٤) نفسه ،ج١،ص ص٢٥٥،٢٥٦، الطالبي محمد: م،س،ص٢١٠.
(٥) محمد بودينة:**مشاهير التونسيين**،دار سيراس للنشر، ط٢، تونس،١٩٩٢، ص٤١٠.عبد الوهاب(ح،ح): **شهيرات التونسيات**، ص٤٢، الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، المطبعة العربية التونسية، تونس، ١٣٢٠هـ، ج٦، ص١٧٣.
(٦) الهادي التازي: **جامع القيروان** ، ص١٢.
(٧) الناصري، ج١، ص ٢٦.

به،تحرّا منها أن لا تدخل شبهة في تشييد المسجد،ثم أنها انبطت بصحنه بئرا حلوة للبناء والشراب». ولم تزل فاطمة القيروانية صائمة من يوم شرع في بنائه إلى أن تمّ،وصلّت فيه شكرا لله تعالى وامتنانا لفضله الكريم الذي وفقها لأعمال الخير والأنفاق في سبيل الله وذلك يوم السبت فاتح رمضان من (سنة ٢٤٥هـ/ م). قال ابن خلدون[١]: « فكأنما نبهت عزائم الملوك من بعدها» ولما كانت فاطمة الفهرية هذه صورة،سخية ومعطاءة أنفقت وصدقت ولم تكن تنتظر الفضل، بل عملت بقول الرسول (ص):« الصبر جُنّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار[٢]». كما كانت " لأم البنين " شقيقة تسمى "مريم " أم القاسم فبذرة الإنفاق والسخاء في طبعها أيضا، قال ابن أبي زرع[٣]:« هما أختان فاطمة أم البنين ومريم أم القاسم بنتا محمد الفهري القيرواني،بنت فاطمة ـ جامع القرويين ـ وبنت "مريم" ـ جامع الأندلس ـ من مال حلال طيب مورث عن أبيهما وأخوتهما،فلم يزل المسجدان على ما بنتهما الأختان بقية أيام الأدارسة حتى تقضت أيامهم ».

والرابعة،أنه بلغت الكثير من النساء في المجتمع الأغلبي المنزلة العالية،فكان منهن الفقيهات والصالحات والأديبات والشاعرات،مثل الفقيهة "أسماء"[٤] بنت أسد بن الفرات، حفّظها وأسمعها أبوها وكانت تحضر مجالسه العلمية في داره وتشارك في المناظرة حتى اشتهرت بالفقه و رواية الحديث.

كما لعبت بعض المتصوفات دورا مهما في المجتمع، وتجلى ذلك في محاولة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن بينهن العالمة الفاضلة "خديجة"[٥] بنت الإمام سحنون بن سعيد التنوخي (ت٢٧٤هـ/٨٨٤م)،لقد رفضت الزواج و اهتمت على انشغال حياتها بما يرضى الله من عبادة وإفادة ونصيحة حتى ماتت وهي بكر،ودفنت بجوار أبيها وأخيها بمقبرتهم المشهورة بهم خارج مدينة القيروان.

---

(١) ابن خلدون: **العبر** ، طبع بولاق، ج٤، ص ١٥، (ح،ح) عبد الوهاب **شهيرات التونسيات،** ص ٤٤.

(٢) البخاري : صحيح ، ص ٢٩٠.

(٣) ابن أبي الزرع: م،س،ص٣٣.

(٤) بودينة محمد: م،س،ص١٢٦،(ح،ح) عبد الوهاب **شهيرات التونسيات،** ص٤٥.

(٥) نفسه، ص١٩٨.

وهذا مؤشر ذو دلالة وتضحة على أن العلماء هم أول من قدروا مسؤولياتهم التربوية تجاه أفراد أسرتهم وخاصة البنات منهم.

ومن الكاتبات اللواتي برزن في العصر الأغلبي نذكر الحافظة والكاتبة "فضل"[١] مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد،فقد وجد مصحفا جليلا بخطها يعود تاريخه إلى سنة (٢٩٥هـ/٨٠٧م)، ورقوقة محفوظة بمكتبة جامع ابن عقبة بن نافع بالقيروان.

كما اشتهرت الأميرة "مهرية"[٢] بنت الحسن بن غلبون التميمي (ت٣٠٢هـ/٩١١م) التي نشأت بمدينة رقادة بتونس في عزّ ورفاهية، وتلقت العلوم حتى أتقنت العربية ونبغت في القريض، فاشتهرت في زمانها بالأدب، ومن شعرها ترثي أخاها الأديب أبي عقال هذه الأبيات:

ليت شعري ما الذي عاينته بعدد طول الصوم مع نقي الوسن

مع غروب النفس عن أوطانها والتخلي عن حبيب وعن سكن

يا شقيق ليس في وجد به غلة تمنعي من أن أجن

وكما تبلى وجوه في الثرى فكذا يبلى عليهن الحزن

علما بأن أخاها هذا قد مات غريبا عن الوطن سنة٢٩١هـ/٩٠٣م،كما اهتم نساء القصر الأغلبي بتعليم بنات المقصورات في الدور والقصور،ووجدت معلّمات من فضليات النساء كنّ يهذّبن ويعلّمن الأميرات والجواري، فقد ورد في كتاب ابن سحنون[٣] أن الأمير إبراهيم الثاني بن أحمد ابن الأغلب دخل يوما على أمه " أتراب"، فقامت إليه ورحبت به ودعت بطعام، فتناول منه، فلما رأته انبسط قالت:« أن عندي جاريتين أدبتهما لك وادخرتهما لمسرّتك، وهما تحسنان القراءة بالألحان، فهل لك أن أحضرهما للقراءة بن يديك؟ فقال: افعلي، فأمرت بإحضارهما فأحضرتا، فأمرتهما بالقراءة، فقرأتا أحسن قراءة، فقالت له: فهل ترى أن تنشداك الشعر؟ فقال: نعم، فأمرتهما ففعلتا، فقالت له: هل لك في الغناء؟ قال: نعم: فأمرتهما فغنّتا ارتجالا، ثم قالت فهل لك في أن تغنيا بالعود؟ قال: نعم، فأمرتهما، فغنتا بالعود و الطنبور أبدع غناء [٤]».

---

(١) محمد بن سحنون: **كتاب آداب المعلمين**،تح،عبد الوهاب،ط٢،مطبعة المنار، تونس،١٩٧٢م،ص ص ٣٨،٣٩.

(٢) الدباغ: م،س،ج٢،ص١٤٤،(ح،ح) عبد الوهاب: **شهيرات التونسيات**، ص٤٩، محمد بودينة: م،س،ص٦٥٤.

بن سحنون: م،س،ص ص٤٠،٤١.

(٣) بن سحنون:م،س،ص٤١.

(٤) نفسه ،ص ص٤٠،٤١.

ومن استعراضنا لهذه النماذج من النساء العالمات في المجتمع الأغلبي يتبين لنا مدى المكانة التي حظيت بها المرأة بشكل عام وعند العلماء والأمراء بشكل خاص،مما سمح لهن إبراز كفاءتهن العلمية و الأدبية و التربوية.

ثانيا: العصر الفاطمي والزيري ـ الحمادي (٢٩٧ ـ ٥٤٧ هـ/ ٩١٠ ـ ١١٥٣م):

١ ـ الدولة الفاطمية (المرحلة المغربية) (٢٩٧ ـ ٣٧١ هـ/ ٩١٠ ـ ٩٧١م) **:**

ظهرت الدولة الفاطمية خلال القرن الثالث الهجري (٢٩٦هـ/٩٠٧م) في المغرب الأوسط والأدنى ثم امتد نفوها إلى المغرب الأقصى،ثم وجهت أنظارها إلى المشرق فضمت مصر وبنت فيها عاصمتها الجديدة القاهرة[١].

تأسست هذه الدولة بمبايعة عبيد الله الشيعي من طرف قبائل كتامة وصنهاجة وذلك بعد نشاط منهجي قام به داعية الفاطمين في المغرب عبد الله الشيعي الذي احتضنته قبيلة كتامة في جيجل وسطيف ثم قبيلة صنهاجة في تونس وقد بنى عبد الله مدينة المهدية على ساحل شرق تونس عاصمة له،وفي عهد المعز لدين الله نقلت العاصمة إلى القاهرة سنة ٣٥٧هـ/٩٦٩م[٢] وفي عهد هذه الدولة حضيت المرأة بعناية خاصة حيث كانت أكثر ظهورًا في مجال الحياة العامة وأعظم نفوذا،فقد تمتعت بالحرية،واقتنت الثروات،وشاركت في الأمور الهامة،إذ يقول القاضي النعمان[٣]:« وكان منهن عجائز كتامة سمعن ذلك ممّن قد بلغ حدّ الدعوة، وكنّ يشهدن المجالس،ويسمعن الحكمة،وكن كذلك يخدمن المؤمنين،ويعاجلن المرضى،ويواسين الجرحى على نيّات وبصائر لما كنّ يسمعن الذِكّر والحكمة، وقُوِّمن عليه من الأدب والسياسة ».

وما كانت تسطيع المرأة في المجتمع الفاطمي أن تقوم بهذه الأدوار لولا اعتراف دعاة الفاطميين الأوائل بمقامها في ظل الشريعة الإسلامية ومبادئ الدعوة الشيعية،وهو ما أشار إليه

---

(١) ابن عذاري: **البيان المغرب،** ج١،ص ص١٥٨،١٥٩، بن حماد: **أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم،** نشره فون درهايدان، الجزائر، ١٩٢٧، ج١،ص١٦.

(٢) المقريزي: **المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط و الآثار**، بولاق، ١٢٧٠هـ، ج١،ص٣٥٢، حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الدولة الفاطمية**، مطبعة لجنة التألي و الترجمة و النشر، القاهرة، ١٩٥٨، ص ص٣٣،٣٦، صالح بن قربة:"المسكوكات الفاطمية في حضارة المغرب الإسلامي"، **مجلة الثقافة** ، ع١١٤، الجزائر، ١٩٩٧، ص ص٥٣،٥٤،٥٥.

(٣) القاضي النعمان: م،س،ص١٣٢.

القاضي النعمان[1] عند حديثه عن الداعية أبي عبد الله الشيعي:وذلك في قوله ‹ أن الداعي أبا سفيان صاحب المهدي أبي عبد الله الشيعي عندما نزل بقرية زراعية في ناحية مرماجنّة يقال لها " تالا "، حيث ابتنى مسجدًا ، وتزوج امرأة بربرية واشترى أمة وعبدا، فيقال إنه كان يعمل مع عبده، ويأمر امرأته فتعمل مع أمتها ›،وإنه لتصرف إنساني وسلوكك متحضر ومسعى لتحقيق عدالة اجتماعية.

وقد لعبت "زوجة[2] يحي بن يوسف " المعروف بابن الأصم الأجان - و« كان من أصحاب الداعي الشيعي - دورا مهما في نشر المذهب الشيعي،وكان يحي بن يوسف قد أدّبها وعلمها التشيّع و الولاية ».

وقد اعتبرت هذه المرأة نفسها صاحبة الرسالة، فكانت لا تهنأ و لا تهدأ إلا بالالتزام التام بالدعوة في نفسها،وفي بيتها ومع الناس،وعندما أدرك يحي بن يوسف أن أجله قد قرب،أحضر ماله وقدمه لزوجته فقال لها:« إن هذا المال ما كنت أعددته إلا لما كنّا نسمعه من الحلواني من أمر المهدي، وأنه يطأ بلدنا، وكنت أعددت هذا المال للنفقة في الجهاد بين يديه أو بين يدي داعيه، فليكن عندك بأمانة الله فأخرجيه، فأنفقيه ! و مات[3] ».

وتأتي زوجة يحي بن يوسف هذه لتضرب المثل و القدوة الحسنة لنساء المسلمات ولعل في مثلها ذكر القرآن الكريم و قال الله تعالى:(فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله)[4].

استمرت امرأة يحي بن يوسف بعد وفاته بشخصيتها المؤمنة الواثقة بنفسها حتى أصبحت تجالس أبي عبد الله المهدي و أعطته المال الذي حفظته له و « أخبرته بما كان من وصية زوجها إليها[5] » ثم واصلت جهادها في سبيل نشر الدعوة و أنفقت المال الكثير من أجل ذلك، بل كانت تضع بيدها الطعام للمجاهدين و ضعفاء المؤمنين.

---

(١) القاضي النعمان:م،س،ص٢٧، ينظر، فرحات العشراوي:**الخلافة الفاطمية بالغرب**، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٤، ص٧٨،٧٩.

(٢) نفسه ، م،س،ص١٣١.

(٣) نفسه، ص ص١٣١،١٣٢.

(٤) الآية ٣٤ من سورة **النساء** .

(٥) القاضي النعمان: م،س،ص ص١٣٢.

أمّا أم "موسى[١]" بنت الحلواني فكانت هي الأخرى داعية عالمة،أخذت العلم عن أبيها وقد بلغت هي وغيرها من عجائز البربر درجة الدعوة[٢]،ويبدو أن النساء في المجتمع الفاطمي كنّ على مذهب الشيعي،وكثيرا ما كانت تصرخ أثناء الولادة بعبارات « يا محمد،يا علي»،صحيح أن هذه العادة نشأت مع نساء الفاطميين في المغرب وانتقلت معهنّ إلى مصر،لكن ابن أبي الضياف يرى:«أن هذا لا يكفي للتأكيد على شيعة هاته النسوة،فإن هذا الحديث ثابت لدى أهل السنة، وربما ترجع روح العلوية فيهن إلى حب المغاربة بشكل عام لآل البيت وكل من هو علوي »لهذا فهو يرى أن حتى النساء المالكيات يقلن و يرددن نفس العبارة عند الولادة ! لكن هذا لا ينفي أن النساء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب كنّ شيعيات.

ويحكى عن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أنه خاطب جماعة من شيوخ كتامة قائلا لهم:« وأقبلوا بعد الأعمال على نسائكم،وألزموا الواحدة التي تكون لكم،ولا تشرهوا إلى التكثر منهن والرغبة فيهن، فينغص عيشكم، وتعود المضرة عليكم، وتنهكوا أبدانكم، وتذهب قوتكم،

وتضعف نحائزكم فحسب الرجل الواحد الواحدة [٣] ». وكذلك أكد آدم متز[٤] بأن الشاعر أبو العلاء كان يستحسن ألا يشرك الإنسان مع المرأة سواها و يقول:

متى تشرك مع المرأة سواها   فقد أخطأت في الرأي التريك
فلو يُرجى ! مع الشركاء خيرٌ   لما كان الإله بلا شريك

ولنساء الأمراء والقادة الفاطميين سلطة واسعة و نفوذًا كبيرًا واشتهر كثير منهن بالثراء والبذخ، خاصة بعد رحيل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١هـ-٣٦٥هـ/ ٩٥٢ م-٩٧٥ م) من المغرب إلى مصر وحمله الأموال الكثيرة و النفائس الثمينة معه ،وذكر المقريزي[٥] أن بنتين للمعز لدين الله

(١) القاضي النعمان: م،س، ص١٣١.

(٢) حول موضوع " الدعوة الفاطمية في الدور المغربي "، ينظر، ابن عذاري:م،س، ج١،ص ص١٥٨،١٥٩، ابن حماد، **أبو عبد الله محمد بن علي: أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم،** نشره قون درهايدان (Vonderheyden)، الجزائر، ١٩٢٧،ج١،ص١٦، حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الدولة الفاطمية** ،ص ص٣٣،٣٦، صالح بن قربة:**المسكوكات المغربية** ، ص ١٦.

(٣) المقريزي: م،س،ج١،ص٣٥٢.

(٤) آدم متز: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦،ج٢،ص٦٠٧.

(٥) المقريزي: م،س،ج٢،ص٢٧٦.

قد تركت إحداهما وتدعى "رشيدة" ما قرب من مليون ونصف من العملة الذهبية (١٧٠٠٠٠٠ دينار أي ¾ مليون جنيه)،وتركت الثانية واسمها "عبدة"، كثيرا من خزائن الحلي والصناديق التي تحتوي على خمسة أكياس من الزمرد، وثلاثمائة قطعة فضية، وثلاثين ألف ثوب صقلي، وغير ذلك من الذخائر.

وأسهمت الملكة " تغريد" زوجة الخليفة المعز بأموالها الخاصة في بناء " قصر القرافة " بالقاهرة،وكان يتصل به بستان و حمام،وقد وصف المقريزي هذا القصر فقال:« إنه كان قصرا فخما يسر الناظرين، تردد عليه أهلوه طلبا للراحة،وبه قنطرة مقامة على قبو يستظل به المسافرون من الشمس[١] ».

كما بنت الملكة " تغريد " منازل العز،وهو قصر فخم على شاطئ نهر النيل،واتخذه ابنها والخلفاء الفاطميون من بعده للتنزه[٢].

٢ ـ الدولة الزيرية: (٣٦١ ـ ٤٠٥ هـ / ٩٧٢ ـ ١٠١٤م) :

ينتسب الزيريون إلى قبيلة صنهاجة التي آزرت الفاطميين و ساندتهم على بسط نفوذهم ببلاد المغرب، فأحرزت صنهاجة بذلك مقاما رفيعا لدى الدولة الفاطمية. ولما عزم الخليفة المعز على نقل سلطته إلى القاهرة واتخاذها عاصمة لدولته عهد بإمارة المغرب إلى بلكين بن زيري وفوض إليه أمور البلاد في سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م،وقد اتخذ الزيريون من مدينة أشير عاصمة لدولتهم[٣].

كان نظام الحكم وراثيا في عائلة بني زيري،وكان الأمير الزيري يصدر أوامره إلى عامة الناس بوصفه نائبا عن الخليفة الفاطمي بمصر، لكن هذا الارتباط السياسي القوي بين الفاطميين والزيريين لم يدم طويلا،عندما أقدم المعز بن باديس على قطع الخطبة للفاطميين وإعلان الطاعة للعباسين وكان ذلك نهاية للدعوة الفاطمية بالمغرب سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩ م.

تميزت الحياة الاجتماعية أيام الفاطميين بالرفاهية والتطور،وحققت المرأة بفضله نفوذًا كبيرًا الأمر الّذي مكنها من خوض غمار الحياة العامة، بحيث تمتعت بحرية نسبية أتاحت لها المشاركة في الحياة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

---

(١) يعتبر المؤرخ المقريزي أول من قام بوصف " قصر قرافة " و ملاحقه، م،س،ج٢،ص٣١٨.

(٢) نفسه ،ج١،ص٤٨٦.

(٣) ابن عذاري: **البيان**، ج١،ص٦٢.

نجد من الأسماء النسوية التي تذكرها المصادر في الدولة الزيرية السيدة أم ملال[١]، وهي أخت ثالث أمراء الزيريين باديس بن المنصور[٢] (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م)،وامتازت هذه المرأة بسعة رأيها فأشركها أخوها في تدبير أمره، و انتصح برأيها في سياسة الدولة.

عندما خرج باديس بن المنصور لمحاربة بني حماد،وأثناء تواجده بتادمايت سنة (٤٠٦هـ/١٠٥٦ م) وصله نبأ وفاة ابنه المنصور،وكتب إلى أخته في المهدية ليتأكد من صحة النبأ، وفي هذا الصّدد يقول ابن عذاري [٣]:« وكتب إلى السيدة يسألها عن ذلك فورد كتابها بوفاته والتعزية عنه »،من خلال هذه المراسلة تتضح لنا مدى الثقة و المكانة التي كانت تحتلها هذه السيدة لدى أخيها.

كما أسهمت أم ملال من جهة ثانية في تثبيت الحكم على الصعيد الداخلي،وذلك عندما أخفت عن أخيها خبر وفاة ابنه إلا بعدما راسلها ليتأكد من ذلك فقد:« ... كتم عن نصير الدولة أمره خوفا أن يبدو منه جزع يكون فيه وهنا على الدولة فيما هو بسبيله من مقابلة عدوه » على حد قول ابن عذاري[٤]، وكذلك لعبت دورا دبلوماسيا عظيما على الصعيد الخارجي فاستغلت فرصة بعث أخيها باديس بهدية إلى الخليفة الفاطمي بمصر الحاكم بأمر الله[٥] (ت٤١١هـ /١٠٢٠م) ،كما أرسلت هي أيضا هدية عظيمة سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤ م) إلى أخت الحاكم ست الملك[٦]، وكان الهدف من الهدية هو توطيد العلاقة وإحكام الصلات الحسنة مع الخلافة بمصر، كما أنها تعبر عن استمرار الولاء والتبعية للفاطميين[٧].وكما قامت بالوصاية عن ابن أخيها الأمير المعز الذي ولي الإمارة و عمره ثماني سنوات،واستمرت في تدبير إلى أن بلغ المعز سن الرشد تولى مقاليد الأمور بنفسه[٨].

---

(١) ابن أبي الدينار: **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، تح، محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط١٣٨٧،٣هـ /١٩٦٧م،ص٧٩

(٢) هو باديس بن المنصور بن يوسف بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي و كنيته أبو مناد، تولى ملك إفريقية بعد وفاة أبيه المنصور سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦م)، ابن أبي الدينار: م، س، ص ٧٩.

(٣) ابن عذاري: **البيان**، ص٥٣.

(٤) نفسه ،ج١،ص٢٦٣.

(٥) هو أبو علي منصور بن العزيز بالله أبي المصور نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد، تولى الخلافة سنة (٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) المقريزي: م،س، ج٢،ص٣ ، وابن خلكان: **وفيات الأعيان**، القاهرة، ١٩٤٩، ج٢،ص١٥٣.

(٦) المقريزي: م،س،ج٢،ص٤١٥.

(٧) حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين**، ص ص٢٥،٢٦.

(٨) ابن عذاري: م،س،ج١،ص٢٦٧، بن عامر أحمد: **الدولة الصنهاجية**، تونس، ١٩٧٠،ص ص٦٢،٦٣.

يضاف إلى ذلك نجد غيرها من أميرات البيت الزيري يقمن بدور اجتماعي بارز: فأم يوسف "زليخة" زوجة المعز بن باديس اشتهرت بالعطف على المعوزين ومساعدتهم،فعندما أصاب إفريقية وباء سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٣ م) وأصاب الحواضر والبوادي وأفنى عددا كبيرا من السكان، تصدقت الأميرة زليخة بستين ألف كفن لموتى الفقراء[١]،كذلك فاطمة حاضنة باديس التي اعتنقت الإسلام وصلح إيمانها وأهدت إلى جامع عقبة بن نافع بالقيروان الكتب النفيسة والمؤلفات النادرة التي مازال بعضها محفوظا إلى يومنا هذا[٢].

بيد أنه تخضع النساء المقربات للأمراء في البلاط الزيري بإفريقية للاحتجاز، والدليل على ذلك أنه في سنة(٤١٤هـ/١٠٢٣م)عندما"اعتلت السيدة أم ملال بنت عدة العزيز بالله أياما،والأمير شرف الدولة يصل إليها في كل يوم عائدا ومفتقدا، فيجلس عندها و يأذن لرجاله وعبيده يدخلون إليها ثم ينصرفون، فلما كانت ليلة الخميس من شهر رجب قبضها الله وصلى على جنازتها بالبنود والطبول والعماريات،واليدتان الجليلتان الوالدة والأخت بحال من التشريف لهذه الجنازة،ولم يقم المعز لها هذه الجنازة إلا تعظيما لمقامها،وذكر فضلها و جميلها[٣].

لم تكن السيدة أم ملال بنت عدة العزيز بالله الوحيدة التي خصّها بجنازة عظيمة،بل سبق وأن أقام مثلها باديس نصير الدولة سنة (٤١٢هـ/١٠٢١م)،ويصف ابن عذاري[٤] هذه الجنازة بقوله:« وفيها توفيت السيدة زوجة نصير الدولة، وكفنت فيما لم يذكر أن ملكا من الملوك كفن في مثله،فحكى من حضره من التجار أن قيمته مائة ألف دينار، وجعلت في تابوت من عود هندي، وقد رصع بالجوهر، وكانت لها جنازة لم يرَى مثلها، دفنت بالمهدية، وكانت مسامير التابوت بألف دينار ».

وقد ورد ذكر نفس الجنازة عند ابن أبي دينار[٥] على أنها لجدّة المعز، وليس لزوجة أبيه

(١) عمر رضا كحالة:**أعلام النساء**، ج٣،ط٣، بيروت،١٩٧٧، ص ص٣٦،٣٧. المنجي الشملي:نقد لكتاب (شهيرات التونسيات) (ح،ح) عبد الوهاب ، **حوليات الجامعة التونسية**، عدد٣ ، تونس، ١٩٦٦، ص٢٩٠.

(٢) (ح،ح) عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية**، ج٣، تونس، ١٩٧٢،ص ص٣٩٢،٣٩٣، المنجلى الشملى: م،س،ص٢٩٠.

(٣) ابن عذاري: م،س،ج١،ص٢٧٢.

(٤) نفســه ، ج١،ص٢٧٠.

(٥) ابن أبي دينار: **المؤنس**، ص٨٣.

إلا أننا نستبعد هذه الرواية كون أن ابن عذاري اقتبس مادته التاريخية من المؤرخ الرقيق القيرواني، و هو من أوائل المؤرخين للدولة الزيرية بإفريقية، في حين أن المصدر الثاني متأخر عن الفترة التاريخية التي أرّخ لها،كما أنه لم يذكر المصادر التي اعتمد عليها.

نلمس من هذا كله مكانة المرأة داخل هذه الدولة حينما تورد المصادر أسماء بعضهن ولو إشارة كما جاء عند ابن عذاري(١) في ذكر أحداث سنة (٤٣٣ هـ/١٠٤١م) حين يقول:« وفيها نكب محمد بن محمود بن السكات، وكان متولي لأشغال أم المعز،واستولى بها على دولته »، يبدو أن هؤلاء الأميرات قد نلن من اهتمام الأمير بهن وأحاطهن بالرعاية التامة، وأم ملال أصدق دليل على ذلك.

وقد عرفت قصور بني زيري في المنصورية عددا كبيرا من الغلمان الجواري، نجد بينهن عدد من النساء اللائي كن يؤثرن في سياسة الدولة وفي قرارات الأمير نفسها، ولاسيما في دولة الأمير الأديب تميم بن المعز(٢) الذي اهتم بنظم الشعر و حياة القصور من تسيير شؤون الدولة(٣).

روى لعماد الأصفهاني في جريدته أن تميم بن المعز قال يخاطب نصرانية في حرمه:

أليس الله يعلم أن قلبي ... يحبك أيها الوجه المليح
وأهوى لفضلك العذب المفدى ... إذ درس الذي قال المسيح
أظاهر غيركم بالود عمدا ... وودكم هو الود الصحيح
وفيكم اشتهى عبد النصارى ... وأصواتا لها لحن فصيح(٤)

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض نساء الطبقة العامة اللواتي اشتهرن بأدبهن وفصاحة شعرهن ومن بينهن الأديبة والشاعرة "خديجة المعافري" التي تعرف باسم "خدوج الروصفية"(٥) ،وقد اشتهرت بأدبها و فصاحتها و شعرها الرقيق.

---

(١) ابن عذاري: م،س،ج١،ص٢٧٦.

(٢) حكم ما بين (٤٥٤هـ-٥٠١هـ/١٠٦٢م-١١٠٨م) و توفي سنة (٥٠١هـ-١١٠٨م) خلف من الأولاد الذكور ما جاوز عددهم المائة، ابن عذاري: م،س،ج١،ص٣١٣.

(٣) ابن عذاري: م،س،ج١،ص٣١٣.

(٤) الجنحاني الحبيب: **القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي**،م،س،ص١٥٣.

(٥) هي خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافري، أديبة فصيحة من عائلة كريمة، ينظر،(ح،ح) عبد الوهاب: **شهيرات التونسيات**، ص ١٢٠.

ومن مختاراتها:

فرقوا بيننا فلما اجتمعنا مزقونا بالزور والبهتان

ما أرى فعلهم اليوم إلا مثل فعل الشيطان بالإنسان

لهف نفسي عليك بل لهف نفسي منك إن بنت يا أبا مروان

ومن هذه الأبيات يتضح أن الشاعرة خدوج كانت مغرمة بحبيبها المدعو "أبو مروان"، ووشوا بهما الحاسدين الوشاة، ولما ذاع خبرهما بين الناس فرق إخوتها بينها وبين حبيبها، ولم تكن لترضى بذلك، وراحت ترسل إلى أخيها الأكبر في كتاب تقول فيه:

أأخي الكبير و سيدي ورئيسي ما بال حظي منك بخيس؟

أبغي رضاك بطاعة مقرونة عندي بطاعة ربي القدوس

يا سيدي ما هكذا حكم النهي حق الرئيس الرفق بالمرؤوس

و إذا رضيت لي الهوان رضيته ورأيت ثوب الذل خير لبوس

٣ ـ الدولة الحمادية: (٤٠٥ـ ٥٤٧ هـ / ١٠١٤ ـ ١١٥٣ م):

تعتبر الدولة الحمادية هي ثالث دولة إلامية مستقلة ظهرت بالمغرب الأوسط سنة ٤٠٥هـ /١٠١٤م وهي تنتسب إلى حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي الذي انفصل عن دولة عمه باديس الزيرية في المهدية بعد أن تم له القضاء على تمرد قبيلة زناتة غرب المغرب الأوسط متخذا من القلعة التي بناها قرب مسيلة بالمغرب الأوسط عاصمة لدولته[١]،ثم انتقلت العاصمة إلى بجاية التي سميت بالناصرية تجنبا للخطر الهلالي من جهة و الاهتمام أكثر بشؤون البحر المتوسط من جهة ثانية.

أولى الحماديون اهتماما كبيرا بالحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية،وكان نصيب المرأة حظا وفيرا فيها،ومن الأسماء النسوية التي تذكرها المصادر في الدولة الحمادية السيدة

---

(١) ابن خلدون: **العبر**، ج٦،ص٣٥٣، وينظر كذلك،

De Beylre (Général) **: La Kalaa des Bani Hammad, une capitale Berbère du II siecle** ; Paris, 1908,pp6,7,8.

ابن خلدون: م،،ج٦،ص٣٥٤، ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ق١،ج١،ص ص١٥٩،١٦٠، إسماعيل العربي: دولة **بني حماد- ملوك القلعة و بجاية-**_ش،و،ن،ت، الجزائر،١٩٨٠،ص١٧٣.

"تنميرات"[١] وهي زوجة مقاتل بن محمد بن حماد،التي اتهمها أخو زوجها الأمير بلكين بن محمد بن حماد[٢] بقتله !، كان قد مات بطريقة مفاجئة،والمعروف عن بلكين أنه يشك في كل من حوله حتى نساء البلاط، وصمم على أن ينتقم لأخيه منها، و قتلها[٣]،و" تنميرات "هي ابنة عمه علناس،وأخت ابن عمه الناصر بن علناس،وقد أثارت هذه الفاجعة حفظة أخيها الناصر بن علناس[٤]الذي دعاه إلى العودة من حملة فاس في أول شهر رجب سنة(٤٥٤هـ/١٠٦٢م) وراح هو الآخر ينتقم لأخته تنميرات، وفاجأ الناصر بن علناس بلكين في منطقة " تسالة " وقتل الناصر بلكين، ثم أعلن نفسه ملكا على الدولة الحمادية في يوم ١٤ شعبان سنة ٤٥٤هـ الموافق ١٠٦٢م[٥] كما راحت زوجة المنصور بن الناصر[٦] ضحية الفتنة بين قبيلة زناتة والحماديين، فهذه سيدة زناتية بنت ماخوخ زعيم بني مانو،كان قد تزوج بها المنصور بن الناصر كما فعل أبوه من قبل[٧]، لكن أباها ماخوخ تحالف مع المرابطين، فثارت الفتنة بين زناتة والحماديين ،ودخل المرابطون مع حليفهم ماخوخ أرض الحاديين[]، ولما انتهت الفتنة غزاهم المنصور لكنه هُزم أمامهم، وارتدّ إلى بجاية، فدفعه الحمق إلى قتل زوجته " بنت ماخوخ " التي كانت تمثل بالنسبة له مجرد عنصر يضمن ولاء ماخوخ و زناتة فقدت بخيانة أبيها ماخوخ، مكانتها و محبتها عند المنصور، بل وصل به الأمر إلى قتلها[٩].

---

(١) وردت "تانمرت"،"تاضمرت"،"ناميرت"، عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد،** ط١، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠، ص١٢٢، ينظر كذلك:

De Beylie (G) : op cit , pp 7,20

(٢) وصل بلكين إلى الحكم، ليبقى فيه سبع سنوات (٤٤٧-٤٥٤هـ/١٠٥٥-١٠٦٢م)، ابن أبي ضياف: م،س، ج١،ص١٣٩،صالح بن قربة: **المسكوكات المغربية- من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد-** ط١،م،و،ك،الجزائر، ١٩٨٦، ص ص٥٠٣،٥٠٦.

(٣) ابن خلدون: **العبر،** ج٦،ص٣٥٣.

(٤) انتقل الحكم عند آل علناس منذ عهد الناصر إلى سقوط الدولة الحمادية في سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م)، و حكم الناصر طيلة سبع و عشرون سنة (٤٥٤-٤٨١هـ/١٠٦٢-١٠٨٨م)، عبد الحليم عويس: م،س،ص ص١٢٤،١٣٨.

(٥) ابن بسام:م،س،ق١،مجلد١، ص ص١٥٩،١٦٠، ابن الخطب: **أعمال الأعلام،** تحقيق العبادي و إبراهيم الكتاني، طبع دار الكتب، الدار البيضاء، ١٩٦٤، ج٣،ص٨٩، إسماعيل العربي: م،س،ص١٧٣.

(٦) حكم المنصور بن الناصر ما بين (٤٨١هـ/١٠٨٨م) إلى سنة (٤٩٨هـ/١١٠٤م) عبد الحليم عويس: م،س،ص١٣٨.

(٧) ابن خلدون: **العبر،** ج٦، ص٣٥٩.

(٨) نفسه، ج٦،ص١٧٥، إسماعيل العربي، م،س،ص ص٢٠١،٢٠٢.

(٩) ابن خلدون: م،س،ج٦،ص٣٥٩.

ونستنتج من الحادثين السابقين أن المرأة في البلاط الحمادي كانت هي الضحية الأولى لأزمات تقع بين بعض الأطراف السياسيةالمتصارعة.
يبدو أن حادثة مقتل " السيدة الزناتية " زوجة المنصور، قد شجعت الأميرات الأخريات على أخذ زمام الأمور بأيديهن فهاته الأميرة " أم باديس " هي التي سمت "باديس" وقتلته قبل أن يستكمل سنة من حكمه،إذ توفي في السنة الأولى التي ولي فيها، ثلاث عشر من ذي الحجة (٤٩٨هـ/١١٠٥م)[١]،وسبب ذلك أنها رأت ابنها الأمير باديس كان:« شديد البأس فظا سريع الغضب[٢] » فهو لم يكد يعتلي عرش بني حماد حتى بدأ يقتل أصحاب أبيه- المنصور بن الناصر- بل ونكب أخاه العزيز، الذي كان واليا على الجزائر،بل واصل يهدد أمه،التي دبرت مكيدة[٣] قتله بالسم،مات باديس في القلعة[٤] واعتلى العرش أخوه العزيز الذي راح يصلح ما أفسده باديس وراح يعيد السلام بين القبيلتين صنهاجة وزناتة بالمصاهرة،وتزوج العزيز بنت ماخوخ و كان زمانه كما يقول ابن خلدون[٥] « هدنة و أمنا ».
كذلك لعبت بعض النساء الحماديات دورا كبيرا في الوساطة السياسية بفضل المصاهرة والزواج والتي عادت بالمنفعة الكبيرة على السلطة بالدرجة الأولى، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى الذكاء والوعي والحنكة اللائي تمتعن بها.
فبعد مضي ست عشرة سنة من تسلم الأمير الزيري تميم بن المعز و الأمير الحمادي الناصر بن علناس[٦]مقاليد الحكم في دولته،حان الوقت لدفن خصومه شقى أسرة بني زيري ومنافستهما التي كانت مصدر ضعف لكلتا الدولتين،ولكن في سنة (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) عادت العلاقات بين الدولتين و ذكر ابن خلدون[٧] أن الاتفاق تعزز، بتزويج تميم الناصر بابنته " بلارة " التي زفها ومعها هدية قيمتها ٣٠ ألف دينار من الذهب وفي رفقتها قوة عسكرية شرفية وعدد كبير من ــــــــــــــــــــــــ

(١) مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، مكتبية النهضة الجزائرية، ١٩٦٣،ج٢،ص٢٠٠.
(٢) ابن خلدون: م،س،ج٦،ص٣٦١، ابن الخطب: م،س،ج٣،ص٩٧.
(٣) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ج٣، ص٩٨.
(٤) حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين** ، ص ص٢٠٤،٢٠٥.
(٥) ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص١٧٦.
(٦) علناس: لقب و يعني علاء الناس أي أعلى الناس، ينظر، عبد الحليم عويس: م،س،ص١٢٤.
(٧) العبر، ج٦، ص١٧٤

الحيوانات النادرة،وقد أبى الناصر بن علناس، من جانبه،أن يكون أقل إسرافا وبخلا من ابن عمه،فبعث إليه بمبلغ ٣٠ ألف دينار ـ صداقا ـ[١] ولكن تميم اقتصر على تناول دينار رمزي واحد وأعاد الباقي إلى الناصر،وقد نجح هذا الزواج نجاحا نادر المثال[٢]، وبلغ من حب الناصر للأميرة "بلارة"،أنه بنى لها قصرا في القلعة وقصرا آخر في بجاية وسمى كلا القصرين باسم الأميرة[٣]،وقد ولدت "بلارة" للناصر عدة أولاد، وفي مقدمتهم المنصور الذي تربع على عرش بجاية بعد أبيه[٤].

و قد ذكر الشاعر محمد بن محمد بن حماد الصنهاجي[٥] "قصر بلارة" عند رثاء قلعة بني حماد، ومن قوله :

ان العروسين لاسـم ولا طلل فانظر ترى ليس إلا السهل و الجبل

و" قصر بلارة " أودى الزمان به فأين ما شاد منها السادة الأول[٦]

وكان مصير الأميرة "بدر الدجى"بنت الملك الحمادي العزيز بن المنصور(ت٥١٥هـ/١١٢١م) كغيرها من أميرات البلاط الصنهاجي،فقد زفت إلى الملك الزيري يحي بن تميم (ت٥٠٩هـ/١١١٦م) ودخل عليها سنة (٥٠٩هـ/١١١٥م)، وبفضلها عمّ السلم والأمن بين البلدين[٧].

يبدو أن طيلة الفترة التي حكم فيها كل من الناصر بن علناس والمنصور والعزيز قد حاولت أميرات البلاط الجمادي تعميق علاقات السلم بين أبناء عمومتهم الزيريين بفضل زواجهن بهم.

وأسهمت المرأة الحمادية بنصيب لا بأس به في ميدان الثقافة،ورغم شح مادة المصادر في

---

(١) ابن خلدون: م،س ،ج٦،ص١٧٤، ينظر كذلك ، إسماعيل العربي: م،س،ص١٧٣.
(٢) نفسه ، ج٦،ص١٧٤.
(٣) ابن عذاري: م،س،ج١،ص٤٣٠.
(٤) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج١٠،ص١٦٦.
(٥) مؤرخ و شاعر الدولة الحمادية، ولد و نشأ في برج حمزة قرب البويرة، و درس في القلعة ثم بجاية الحمادية، و تولى القضاء في الجزيرة الخضراء- بالأندلس- و في المغرب كذلك، توفي في سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، من مؤلفاته: أخبار ملوك بني عبيد، و الدباجية في أخبار صنهاجة، ينظر إسماعيل العربي: م،س،ص١٦٧.
(٦) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ج٣،ص١٠٥.
(٧) ابن الأبار: م،س،ج٢،ص١٨٩.

ذكرها،ويبقى الغبريني[١] صاحب عنوان الدراية المصدر الوحيد الذي ترجم لشاعرة حمادية وتدعى " الشريفة عائشة " بنت الفقيه والقاضي سيدي أبو الطاهر عمارة الشريف بن يحي بن عمارة الشريف الحسيني[٢]،وكانت أديبة فصيحة وخطاطة ماهرة،قال الغبريني[٣]:« رأيت كتاب الثعالبي بخطها في ثمانية عشر جزء وهي نسخة عتيقة ما رأيت أحسن منها ولا أصح وقد رأيت منها نسخا كثيرة منتقدة إلا هذه النسخة ولقد يجب أن تكون هذه النسخة أصلا لهذا الكتاب حيث كان، وقع التصحيح منها »،وفي خاتمة كل سفر منه قطعة من الشعر من نظم والدها عمارة الشريف، وقد ذكر أبوها:« أنها تكتب القطعة بخطها ».

وهذه النسخة من جملة الخزانة السلطانية ببجاية، واستغرب الحفناوي[٤] لوجود هذا الكتاب في سفر واحد فقال:« رأيته بحاضرة قسنطينة عند إمام جامع قصبتها المحروسة و هو لا بأس به ».

ومن مختارات شعرها:

صدني عن حلاوة التشييع اجتنابي مرارة التوديع
لم يقم خير ذا بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع[٥]

ولها في معنى المداعبة وقد خطبها رجل من الأشراف،كان أصلعًا فلم تجبه إلى مراده، وقالت هذه الأبيات تداعب صاحبتها من الفتيات:

عذيري من عاشق أصلع قبيح الإشارة والمنزع
يوم الزواج بما لو أتى يروم به الصفع لم يصفع
برأس حويج إلى كية و وجه فقير إلى برقع[٦]

---

(١) الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء ف المائة السابعة ببجاية**، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٣٢٨هـ، ص٤٧،أحمد حماني: "عباقرة من رجالنا تزهي بهم عواصمنا الصنهاجية "،**مجلة الأصالة**، عدد خاص، رقم ١٩مارس١٩٧٤ ، الجزائر، ص ص٢٤١،٢٥٧.

(٢) الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، ١٩٩١، ج٢،ص ص١١٤،١١٦.

(٣) الغبريني: م،س،ص ص٤٧،٤٨.

(٤) الحفناوي: م،س،ج٢،ص١١٧.

(٥) نفسه ،ج٢،ص١١٧.

(٦) نفسه، ج٢، ص١١٨.

وقد كتب للشاعر ابن الفكون[1] من نظمها شعرا في بيتين و قالت له:عارضها أو زاد عليها:

أخذوا قلبي و ساروا و اشتياقي أودعون
لا عدا إن لم يعودوا فاعذروني أو دعوني

فكتب إليها معتريا عن الجواب: الاقتصار عليها هو الصواب[2].

كذلك تمتعت المرأة في عهد بني حماد بنوع من الحرية الاجتماعية، فقد كانت غير محجبة تسفر عن وجهها،وتختلط بالرجال،وقد أشار ابن الخطيب[3] أن الأمير الحمادي التاسع والأخير كان له ثلاث أخوات:تقسوط وأم ملال وشبلة كن يجلسن أبدا بين يديه وكن جميلات وهن في « زي العرائس والحلي واللباس »،وأضاف ابن خلدون[4] بأن يحي كان:« مستضعفا مغلبا للنساء ».

* **المرأة الهلالية :**

والجذير بالذكر أنه في هذا العصر كانت القبائل العربية كثيرة الإنتشار في المغرب الإسلامي، أهمها قبيلة بني هلال التي يعود الفضل لها في الحفاظ على بعض مظاهر الحضارة العربية الإسلامية كاللغة العربية، ولم تكن المرأة الهلالية أقل شأنا من المرأة المغربية فقد كانت نساء العرب الهلالية الذين استوطنوا إفريقية، لهنّ أثر بارز في مجتمعاتهن،فقد تمتعن بالحرية والكرامة،واحتلت الزوجة مكانة كبيرة في هذاالمجتمع، كانت أشد تأثيرا في الرجال والحوادث، وأصرح في التعبير عن عواطفها الخاصة نحو زوجها،لأن القبائل الهلالية كانت تبيح ذلك وتشجعه،كما كان يسمح للنساء بالمشاركة في القيادة وحل المعضلات إذ عرفن بقوة الشخصية والقدرة على التأثير[5].

وتذكر المصادر أن القيادة في قبائل بني هلال التي دخلت المغرب الأدنى في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ق١١م،كانت منقسمة بين ثلاثة أشخاص هم:حسن بن سرحان، ________________

(١) ينظر ترجمته عند: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨،ج٢، ص١٥٤.
(٢) الحفناوي: م،س ، ج٢،ص١١٨.
(٣) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ج٣، ص٩٥.
(٤) ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ص٣٣٥،٣٣٦.
(٥) عبد الحميد يونس: **الهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي**، القاهرة،١٩٥٦، ص١٦٥.

وهو سيد قبيلة بني رياح التي شكلت العنصر الغالب لقبائل بني هلال[١]، وأخته "جازية "[٢]، و زوجته "شيخة "، وعليه كان للمرأة الثلثان في حكم القبائل[٣]، فشيخة كانت تشارك زوجها في اتخاذ القرارات،كما ساهمت في استنباط الخطط، وتسير الأحداث كاملة،وتعد نفسها مسؤولة عن مصير القوم بأجمعهم، وتعرض في سبيل إسعاف القوم بأعز ما تملك[٤].

تعتبر جازية الشخصية البارزة في السيرة الهلالية،حيث استطاعت بقوة شخصيتها، وذكائها فض النزاع الذي جرى بين قبائل بني هلال حول تحديد الطريقة المثلى في دخول بلاد المغرب،ذلك عندما قرر أبو زيد صهر حسن بن سرحان الدخول بطريقة سلمية،قرر ذياب بن غانم شيخ قبيلة زغبة[٥]الدخول بالقوة،فأيدت جازية الرأي الأول،وأبعدت الثاني إلى غدامس[٦]، وبعدما توالت الهزائم على بني هلال،استدعت ذياب لينقهم باستعمال القوة و العنف[٧]،وبذلك تعتبر " جازية الهلالية " صاحبة القرارات الحاسمة عندما تكون الأوضاع خطيرة،وكان لها الدور الرئيسي في استنباط الخطط التي أدت إلى استقرار قبائل بني هلال بالأرض المغربية[٨]،ومنذ تلك العصور اعتاد التونسيون ضرب المثل بصورة جازية، فمتى أرادوا تشبيه امرأة جمعت بن الحسن الباهر و العقل الوافر قالوا: " هي جازية في الكمال و التفكير، وفي الرأي و التدبير[٩]".

---

(١) و كانت هذه القبيلة من أعز قبائل بني هلال، و أكثرهم جمعا عند دخولهم إفريقية، و هم فيما ذكره ابن الكلبي رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، و كانت رئاستهم حينئذ لمؤنس بن يحي الفيري من بطون مرداس بن رياح، ثم صارت للدواودة أبناء مرداس بن رياح، ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ص٣٩،٣٨.

(٢) كانت زوجة لصاحب الحجاز الشريف بن هاشم و يدعى شكر بن أبي الفتوح، و لما حدثت مغاضبة بين الحسن أخ "جازية" و زوجها، أجمعوا على الرحلة من نجد إلى إفريقية، فتحيلوا في استرجاع جازية منه، ابن خلدون: م،س،ج٢، ص٢٢.

(٣) أحمد أمين و أخريات: **بنو هلال، سيرتهم و تاريخهم**، أعمال ملتقى دولي المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل_التاريخ، الانترولوجيا و التاريخ، الجزائر، ١٩٩٠، ص١١٢.

(٤) نفسه، ص١١٣.

(٥) هذه القبيلة إخوة رياح، و ذكر ابن الكلبي أخ رياح زغبة أبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، كانت لهم عزة و كثرة عند دخولهم إفريقية و تغلبوا على طرابلس و قابس ثم نزعت زغبة إلى الموحدين، ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ص٤٨،٤٩.

(٦) قال ياقوت الحموي: « ... بأنها بربرية فيما أحسب و هي مدينة بالمغرب ثم في جنوبيه ضاربة في بلاد السودان بعد زاقون »، **معجم البلدان**،دار المأمون، بيروت ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م ، مج٤، ص١٨٧.

(٧) أحمد أمين و اخريات: م،س،ص١١٤.

(٨) نفسه، ص١١٤.

(٥) (ح،ح)عبد الوهاب: **شهيرات التونسيات**، ص٩٣.

وبصفة عامة إن النساء الهلاليات شاركن الرجال في تحمل المسؤولية،واتخاذ القرارات ومواجهة المصير، وقد يكون دورهن في بعض الحالات أهم و أنفذ من دور الرجال[١].

وعلى كلّ حال فإن المرأة المغربية لعبت دورًا بارزًا في هذه الفترة فنبغت العالمات والفقيهات، كما أظهرت براعة في إدارة شؤون سياسية حتى أصبحت بعض النساء مستشارات لأزواجهنّ الأمراء والسلاطين، وقد استطاعت في بعض الظروف أن تدبر ما لا يستطيع تدبيره الرجل منفرد أو مجتمعًا .

وإذا كان هذا نصيب المرأة المغربية، فما هو شأن المرأة الأندلسية ودورها في الحضارة الإسلامية .

---

(١) أحمد أمين و أخريات: م،س، ص١١٥.

الفǨdž الثازÆĵ

المرǫة الأندلسية خğÊ حكم اâمارة

واƱÊəة الأموية وعdžر ملوēæ الǎواƕù

(ǀĎē ـ ǵďĚĎ /ـ ĒĐĐ ـ ĚĚċǀم)

ǫولا: خğÊ حكم اâمارة و اƱÊəة الأموية

(ǵǀĎē / ـ ĒĐĐم إǀǯ ǵďčč / ـ Ďċǀم)

ƥانيا: عdžر ملوēæ الǎواƕù

(٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م إلى ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م)

تمهيد :

كان حضور المرأة في الأندلس منذ الفتوحات الإسلامية الأولى باعتبارها الرفيقة والمجاهدة إلى جوار الرجل،وأشار ابن الأثير إلى أن عقبة ابن نافع قد اصطحب النساء مع الفاتحين ،و« رأى أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم،ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد،قصد موقع القيروان»[١].

كما اصطحب موسى ابن نصير في حملته على الأندلس أسرته[٢]،ويؤكد ابن الأثير في موضع آخر من أن أبا الأسود محمد بن يوسف الفهري الثائر على عبد الرحمن الداخل عاد إلى قتال الأمير الأموي في سنة ١٦٩ هـ/ ٧٨٥م فلما أشبك معه انهزم أبو الأسود وأصحابه« فأخذ عياله،وقتل أكثر رجاله» [٣]،وعلى نص آخر لابن عذاري أشار فيه إلى أن عبد الرحمان الداخل أثناء مطاردته لأبي الأسود محمد بن يوسف الفهري سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م) بلغ مدينة قورية،ولكن محمدا فر أمامه،وأدركت الخيل عياله وأصحابا له،فقتل من أدرك وأحرقت دوره [٤].

كما حافظت النساء الفهريات على تقاليد الأسرة العربية المسلمة في الأندلس، بل وعلى أصولها وأنسابها، ويشر صاحب " أخبار مجموعة " أن يوسف الفهري زوج ابنته " أم موسى " من أحد الفهريين داخل نطاق القبيلة [٥]. وينسب نفس الشيء على بنات يوسف الآخريات اللائي تزوجن جميعا أو قمن ما أزواجهن في طليطلة أو ماردة [٦].

وهكذا نلاحظ بداية التأقلم مع البيئة الأندلسية الجديدة، حيث أصبحت المرأة العربية أحد العناصر النسوية الرئيسية في المجتمع الأندلسي، وبالإضافة إلى ذلك يذكر ابن عذاري أن أرملة أبي الأسود محمد بن يوسف الفهري تزوجت بعد وفاة زوجها من القاسم بن يوسف أخي أبي الأسود [٧].

---

(١) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ،** ج ٣، ص ٤٦٥.

(٢) ابن القوطية القرطبي: **تاريخ افتتاح الأندلس،** نشر خوليان ريبيرا، مدريد، ١٩٢٦ ، ص ١٦.

(٣) ابن الأثير: م، س ، ج ٦، ص ٧٩.

(٤) ابن عذاري : **البيان** ، ج٢، ص ٥٧.

(٥) مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس،** نشر لافويتني، القنطرة، مدريد، ١٨٦٨، ص ٧٢

(٦) مجهول : ن، س ، ص ٩٦.

(٧) ابن عذاري: م، س، ج٢، ص ٥٠.

ولكن ظاهرة المحافظة على الأرحام، سوف تتلاشى تدريجيا باختلاط العناصر العربية مع العناصر الأندلسية لتشكل فيما بعد، ما يسمى بالمرأة الأندلسية، التي سوف تبرز كظاهرة مجتمعية متميزة ؛من ذلك مثلا حدوث زيجات مختلطة [1]. وهو نموذج ثاني للأسرة العربية المسلمة بالأندلس وتنسب هذه الظاهرة على من دخل الأندلس مع أسرته أو كان فرديا في بعض الحالات ،ومن الأمثلة التي تدعم رأينا هذا "سارة القوطية "، وهي ابنة بن غيطشة التي تزوجت من الفاتح عيسى بن مزاحم وبعد وفاته في سنة (١٣٨ هـ / ٧٥٥م)، تزوجت من عمير بن سعيد، وقد ولدت له سارة ولدا اسمه حبيب ، ينسب إليه على الأقل أربعة فروع هم بنو حجاج وبنو مسلمة وبنو سعيد وبنو جرز [٢].

وبدأت تتفشي ظاهرة التوليد والتزايد من جراء هذا التصاهر والتزاوج، مما سيترتب عنه عنصرًا بشريًا جديدًا جراء هذا التلاقح بين العنصر العربي الوافد، والعنصر الأندلسي القار، ومن الأمثلة على ذلك أحد أحفاد "سارة القوطية" المؤرخ اللغوي الفقيه أبو بكر بن القوطية [٣].

ورغم ظاهرة الاختلاط هذا فقد تعجبت الباحثة سحر عبد العزيز سالم: « بأن معظم ولد عمير بن سعيد كانوا يعتزون، بعد مضي نحو قرنين من الزمان من الفتح للأندلس،بانتمائهم العربي إلى لخم بالرغم من أنهم ينحدرون من أصول إسبانية قوطية » [٤]، وأننا نراه اعتزازا بأصولهم العربية و يتغاضون عن أصولهم الإسبانية .

ولم يقتصر زواج المسلمين من إسبانيات فحسب،بل تقلده أمراء البلاط وخلفائهم وتحتفظ المصادر العربية على شهيرات من نساء البشكنس والسلاجقة ممن يقعن في أيديهم سبيا ـ كجواري وإماء ـ [٥] بسبب الحروب المتواصلة وهو ما جعل حسين مؤنس يعتقد بـ :« أن البيت الأموي مولدا،بل وأن الأمراء في كثير من الأحيان نتاج هذا الزواج المختلط و هم يعتزون بأصولهم ويتغاضون عن أصولهم الإسبانية »[٦].

---

(1) Dufourcq (ch, E) **:La vie quotidienne dans L’Europe médiévale sous domination arabe**, collection, Hachette, Paris, 1978, PP 202, 203 .

(٢) ابن القوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٦٠.

(٣) نفسه، ص ص ١، ٥.

(٤) سحر عبد العزيز سالم: **الجوانب الإيجابية و السلبية في الزواج المختلط في الأندلس (دراسة سياسية، أدبية، اجتماعية)**، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، ط ١، رقم ٤٨، سنة ١٩٩٥، ص ٣٣، و ما بعدها.

(٥) ابن حزم: **طوق الحمام في الألفة والالآف**، ضبطه بالشّكل وفسّره سعد محمود عقيل، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩٧، ص ١٧.

(٦) حسين مؤنس: فجر الأندلس، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٣٧٦ و ما يليها.

وإذا كانت هذه نظرته حول عنصرين اثنين هما العرب وأهل البلاد فكيف يكون الحال عندما يندمج عنصرًا بشريًا ثالثًا في المجتمع الأندلسي،ونعني بذلك البربر فقد كان دخول ،دخول البربر الفاتحين الأندلس،ومعهم زوجاتهم البربريات وذراريهم [١]. من أهم الظواهر البشرية التي تستحق الدراسة والبحث ،كنموذج ثالث للأسرة البربرية المسلمة بالأندلس،يتضح ذلك من تعدد أسماء القبائل البربرية المنتشرة بالمناطق الأندلسية،ونذكر على سبيل المثال لا الحصر اسم" نفزة " القبيلة البربرية لموقع يعرف بـ Nepza في مدونة البلدة (Chronicon Albeldense) [٢]،وأن تمركز هذه القبائل البربرية في أماكن مختلفة من بلاد الأندلس مثل: قبيلة " مكناسة " التي استقرت في منطقة فحص بلوط،وفي قورديه، ومارده، ومادلين، ولا يزال يحتفظ الموقع باسمها ما بين طلبيرة وقاصرش [٣]، و قبيلتان بربرية من " مغيلة " و" زناتة " عاشت في بطليوس وفي إقليمها ولا يزال اسما هاتين القبيلتين يطلق على مناطق في إقليم بطليوس وهما " Gineta "، نسبة إلى " زناتة " و" Maguilla "، نسبة إلى " مغيلة " [٤]، وهناك قرية تعرف باسم ـ قسولة ـ في إقليم بطليوس لعلها منسوبة إلى قبيلة جزولة البربرية [٥].

وقد حافظت هذه الأسر على النظام القبلي في الأندلس، ومما يدل على ذلك شهرة اسم امرأة تدعى جميلة بنت عبد الجبار الموصدي [٦] البربري التي اشتركت إلى جانب أخيها محمود في الثورة على عبد الرحمان الأوسط [٧] بماردة في سنة (٢١٤ هـ / ٨١٤ م) بعد وقوعها في أسر ملك جليقية من أحد قوامسة [٨]، وفي ذلك ما يدل على تواجد الأسرة البربرية برجالها ونسائها في الأندلس.

---

(1) Guichard (P) : Op-cit,PP. 200, 201.

(٢) سحر عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس الإسلامية و غرب الأندلس في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٨٨، ج ١، ص ص ٢٩٨، ٣٠٣.

(٣) سحر عبد العزيز سالم:**مظاهر الحضارة في بطليوس الإسلامية**، دكتوراه ،الإسكندرية،١٩٨٧، ج١ ، ص ١٨٥.

(٤) نفسه، ج ١، ص ١٨٦، حاشية ٢.

(٥) نفسه، ج ١، ص ١٩٢.

(٦) ابن القوطية: المصدر السابق، ص ٢٧، ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص ٥٠١، ابن حيان: **المقتبس من أبناء الأندلس**، تحقيق، محمود علي مكي مع دراسات و تحقيقات، بيروت، ١٩٨٣، ص ٦٧٤، ٦٧٥. سحر عبد العزيز سالم: **تاريخ بطليوس و غرب الأندلس في العصر الإسلامي**، ج ١، ص ٢٣٣.

(٧) حكم عبد الرحمان الثاني (الأوسط) ما بين:(٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ/ ٨٢٢ ـ ٨٥٢ م)،ابراهيم بيضون: **الدولة العربية في اسبانيا(من الفتح حتى سقوط غرناطة)**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ص ٢٤٥، ٢٧٢.

(٨) سحر عبد العزيز سالم: **الجوانب الإيجابية و السلبية في الزواج المختلط في الأندلس** ص ٣٨.

ويبدو أن البربريات قد اشتهرن بممارسة الحرف اليدوية التي أبدعن في العمل الحرفي المتمثل في الخزف ذو الطابع البربري من الأواني المطبخية وغيرها، باعتبارها من أدوات الحياة اليومية للأفراد [١].

وقد ترتب على تعدد أصول المرأة الأندلسية آثارا إيجابية و سلبية، انعكست على المجتمع الأندلسي بصفة عامة، وعلى حياة المرأة بشكل خاص ،ومن أمثلة الآثار الإيجابية في المجتمع نبوغ العديد من النسوة في كافة مناحي الحياة في الأندلس السياسية والعلمية، وإسهامهن بذلك بدور كبير في إرساء دعائم الحضارة الإسلامية في الأندلس.

أولا: خلال حكم الإمارة والخلافة الاموية(١٣٨هـ / ٧٥٥م إلى ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م)

تبدأ هذه المرحلة منذ دخول عبد الرحمان الأول الذي حكم (١٨٠هـ/ ٧٩٦م إلى ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م) إلى وفاة عبد الرحمان الثالث في سنة ٣٥٠ هـ/ ١٠١٩م،ويمكن اعتبار عهد الحجابة مع المنصور بن أبي عامر تابعًا لهذه الفترة [٢]. كانت مكانة المرأة في هذه الفترة كأمة تباع وتشترى في الأسواق،أو كجارية كان الملوك يزينون بها القصور الأنيقة التي ولعوا بزخرفتها فأحاطوها بالرياض والغناء، والبرك المرمرية، وملؤها بأفخم الأثاث، والتحف وكذلك بأجمل القيان والجواري اللواتي كنّ يعتبرن عنصرًا من عناصر الزينة والترفيه على أسيادهنّ بالعزف والغناء والشعر [٣]،لذلك اشترطوا أن تكون الجارية جميلة تسرّ من يراها وتزيد القصر جمالا، كما اشترطوا أن تكون حسنة الصّوت وحافظة للشّعر [٤]، وهذه المقاييس لا تختلف كثيرًا عما اشترطه المشرقيون في القينة [٥] .

---

(١) سحر عبد العزيز سالم: م، س، ص ٤٦.

(٢) أبو الخشب،إبراهيم علي:**تاريخ الأدب العربي في الأندلس**، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٦، ص ص١٥،١٧.

(٣) أحمد بدر: **دراسات في تاريخ الأندلس وحضاراتها من الفتح حتى الخلافة**، ط٢، دمشق، ١٩٧٢، ص ص ٣٦، ٣٧ ، ٣٧. وينظر، إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة**، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٦٩، ص ٦٩. أحمد هيكل: **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١، ص ص ١٢، ١٣.

(٤) السيوطي: **المستظرف من أخبار الجواري**، تح ، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت، ١٩٦٣، ص ص ٥ وما بعدها.

(٥) وقد ورد للجاحظ حديثًا مطولاً في " رسالة القيان " عن الشروط التي كانت تشترط في الجارية فيقول: " ... إنهنّ يجمعن لإنسان من اللذات ما يجتمع لشيء على وجه الأرض، فللعين النظر إلى القنّة الحسناء، وللسمع منها حظّ الذي لا مؤونة عليه،وللمسّ فيها الشهوة والحنين إلى الباهي، والحواس كلها روّاد للقلب وشهود عنده، وإذا رفعت القينة عقيرة حلقها تغنّي، حدّق إليها الطرق وأصغى نحوها السّمع، فيتوقيا (يقصد السّمع والبصر) عند حبّة القلب، فيفرغان ما وعياه فيتولّد منه السرور مع حاسة اللّمس ، فيجتمع له في وقت واحد ثلاث لذات لا تجمع له في شيء قطّ ، فيكون في مجالساته للقنّة أعظم الفتنة " **الرسائل**، تح، عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٥، ص ص ١٧٠، ١٧١.

لهذه الأسباب كانوا يغالون في أسعار الجواري إذا جمعت الواحدة منهنّ هذه الصّفات وحذّقت فنونًا متنوعة من خطّ وأدب وشعر[1].

وقد بلغ اهتمام الأندلسيين بالقيان مبلغًا كبيرًا إلى درجة أنّ عبد الرحمان الأوسط قد أفرد لعنّ دارًا كانت ملحقة بقصره سمّيت " دار المدانيات" وضع فيها القيّان التي كان يستوردهنّ من المشرق ومن التحديد من المدينة المنوّرة بعد تلقيهنّ أصول العزف والغناء ليساهمن بقسط وفير في حياة اللّهو بما فيها من رخاء وخمر وغناء وليكن عنصرًا من عناصر مجالس الأنس يستجبن لرغبة أسيادهن [2].

وقد كان الحكم أكثر أمراء بني أميّة عناية بالغناء، فقد ضمّ قصره عددًا كبيرًا منهنّ نذكر عزيزة ومهجة وبهجة وفاتن وغيرهنّ .

ومن هنا نستنتج مدى حضور المرأة في عالم الرّجل الّذي لم يكن ينظر إليها نظرة مادّية بحتة ،لتلهمه الشّعر اللّطيف وتساعده على قضاء أحسين الأوقات، لذلك كان دور المرأة سلبيًا في الحياة الأدبية .

ويحقّ لنا أن نتساءل هل تشمل هذه الفكرة مختلف أوضاع المرأة ؟ أم هناك بعض النّساء اللائي استطعن فرض أنفسهنّ في بعض الميادين الأخرى ؟.

لقد كان لبعض النّساء شأن في الحياة السياسية بالأندلس نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما كان للأميرة " عجب " [3] من سلطان واسع في أيام هشام بن عبد الرحمان وفي عهد ابنها عبد الرحمان كذلك ولا ننسى ما كان للأميرة " صبح " أم المؤيد من النفوذ فقد استطاعت أن تتدخل في شؤون الدولة رغم قوة زوجها الحكم،وعينت وصية عل ابنها هشام عندما بويع بالخلافة وكان عمره عشر سنوات فزادها ذلك شأنا،ولمّا ظهر ابن أبي عامر اتخذته كاتبا لها ثم رئيسا للزكاة والمواريث ثم عينته حاجبا و أطلقت يده في الحكم فتسلّم كل أعمال الخلافة [4].

---

(١) ابن الآبار: **التكملة لكتاب الصّلة** ، تح، عبد السلام الهرّاس، دار المعرفة، المغرب، د.ت، ص ١٥.

(٢) المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تح، إحسان عبّاس، دار صادر للطباعة والنّشر، ط١، بيروت، ١٩٦٨، ج٣، ص ١٤٠.

(٣) إحسان عبّاس: **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص ٢٥.

(٤) ابن سعيد: **المغرب في حلي المغرب**، تح، خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص ٤٩.

ومن أهم الأمثلة على ذلك ما قاله ابن سعيد في حقّ أمّه:« وكانت أمّه هي التي أظهرت المنصور بن أبي عامر » [١]،وفضلاً ذلك فهناك ينبغي أن يكون الكلام شاملاً لكل فئات النّساء في هذه المرحلة ،ومن النساء البارزات مثل " رسيس " فقد قربها عبد الرحمان الناصر حتى « رافقته في موكبه وهي تلبس قلنسوة و تتقلّد سيفا، وشق قرطبة على هذه الحال حتى بلغ الزهراء » [٢] وفي هذا دليل على بروز المرأة الأندلسية ووصولها إلى منزلة راقية ،فتولّت بعض المناصب والوظائف الإدارية ، فقد اتخذ الخليفة الحكم بن عبد الرحمان " لبنى " كاتبة له وقد كانت جميلة الخط، نحوية وشاعرة وعالمة بالحساب والعروض [٣]، كما اتخذ الخليفة الناصر لدين الله " مزنة " كاتبة له لحذقها في الخط [٤] ،وكان لزكريا بن عبد الله الكاتب بنت تدعى " فاطمة " عملت كاتبة لإتقانها فنّ الخط [٥].

ولم يقتصر دور المرأة الأندلسية في الحياة السياسة فحسب،بل اهتمت البعض منهن بشؤون القضاء،وقد انتقد الناس القاضي محمد بن زياد لأنه كان يستشير امرأته " كفات " في بعض القضايا وهذا في نظرهم خضوع لها [٦]، بل تجاوزت كلّ ذلك إلى رواية الحديث نخص بالذكر منهن "غالية "بنت محمد و"**فاطمة**" بنت يحي بن يوسف المغامي و التي كانت عالمة فقيهة [٧].

كما أشار ابن حزم إلى وجود نساء طبيبات و معلمات فقال:« ومن النسوة كالطبيبة والكاهنة والمعلمة » [٨]، غير أنه لم يفصح عن أسمائهنّ وزمن ظهورهنّ، وكيف اقتحمن هذه المجالات الهامّة.

---

(١) ابن سعيد: **المغرب** ، ج١ ، ص ١٩٥.
(٢) إحسان عباس: م، س، ص ٢٥.
(٣) ابن بشكوال: **الصلة** ،نشره، عزّت العطّار، القاهرة، ١٩٥٥، ج ٢، ص ٦٩١.
(٤) الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**،تح، إبراهيم الأبياري، الهيئة المعربة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٧ ص ٥٤٦.
(٥) ابن بشكوال: م، س، ج ٢، ص ٦٩١.
(٦) الخشني: **قضاة قرطبة**،الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ص ٩٠.
(٧) ابن بشكوال: م، س، ج ٢، ص ٦٩٢.
(٨) ابن حزم: **طوق الحمام**، ص ٣٤.

بل نجد هناك من الإشارات إلى النّساء كنّ يشاركن في الحياة الأدبيّة بقول الشعر منذ عصر الإمارة ، وقد بلغ عددهنّ ست شاعرات، أربع جوار وهنّ:" العجفاء "[1] و"عزيز"[2]. و"قمر"[3]. و" متعة "[4] ، مقابل حرّتين هما: " حسانة "[5] و " زينب "[6].

---

(۱) لا يعرف لهذه الشّاعرة اسم ولا نسب، وهي تقدم عند الأصفهاني، وكذلك عند المقري بثلاث صفات: أنها " جارية "، " عجوز"، " عجفاء " ينظر ترجمتها **توجيهات بالأغاني**،، تح، عبد الكريم العزباوي وعبد العزيز مطر، النهضة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٤،ج٢٤، ص ١٣٢. **نفخ الطيب** ج٣، ص ١٤٠. أهمنا **معجم النساء الشّاعرات في الجاهليّة والإسلام** ، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٠،ص ١٧٨، فوّاز: **الدرّ المنثور في طبقات ربات الخدور**، المطبعة الأميرية ،ط١، بولاق،١٨٩٤،ص ٣٣٠، كحالة: **أعلام النّساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة**، ط ٣ بيروت، ١٩٨٨، ج٣، ص ٢٥٦.

(٢) انفرد الأستاذ إحسان عبّاس في كتابه:" **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة** "بذكر الشّاعرة الجارية عزيز، ص ٥٣ ويشير في الهامش إلى وجودها بالنفح دون تحديد للجزء والصفحة، وبعودتنا إلى هذا المصدر لم نعثر على ترجمة لعزيز هذه.

(٣) تعرف هذه الجارية الشاعرة بنسبها إلى بلدها الأصلي بغداد فيقال:" قمر البغداديّة"، وقد جلبها إلى الأندلس إبراهيم بن حجاج اللّخمي، وهي " كالبدر المنير، ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والغناء "، ينظر أخبارها ابن الآبار: **التكملة لكتاب الصّلة**، تح، عبد السلام الهرّاس، دار المعرفة، المغرب، د.ت، ج٤، ص ٢٤٦، ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تح،ج، س. كولان، و أ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٧، ج٢، ص ١٢٥، المقري: م، س،ج٣،ص ١٤٠.أهمها: م،س ص ٢١٥.البستاني كرم: **النّساء العربيّات**،مكتبة صادر،بيروت،ص ٢٢٠.

(٤) هي جارية لزريات، المغني الشهير وفد على الأندلس بدعوة من الحكم الربضي الذي حكم من ١٨٠ هـ/ ٧٩٦م إلى ٢٠٦ هـ/ ٨٢٢م، وقد أكّد المقري اهتمام زرياب بها: فقد " أدّبها، وعلمها أحسن أغانيه، حتّى شبّت " ينظر أخبارها المقري: م، س، ج٣، ص ١٣١ . ابن الآبار، **التكملة**، ج٤، ص ٢٤٣ . كحالة: **أعلام النّساء**، ج٥، ص ١١٥، جارولو تيريسا: **شاعرات الأندلس** ، تر، أشرف على دعدور، مراجعة علي محمّد مكي، دار نهضة الشرق، القاهرة ١٩٦٦،ص ٩٨.

(٥) هي حسانة بنت أبي المخشي الشاعر، ولدت بالأندلس، ولابد أنّها عاشت بإلبيرة في غرناطة وهذا مستفاد مما كان لها من مشاكل مع والي" إلبيرة " جابر بن لبيد، وقد شكته إلى عبيد الرحمان الثاني تعتبر حسّانة أول شاعرة حرّى ظهرت بالأندلس،ينظر أخبارها **التكملة**:ج٤،ص ٢٤٠، ابن عبد الملك المراكشي:**كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** : س١، تح، محمد بن شريفة ط١، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ج٨، ص ٤٨٤. **النفخ**، ج١، ص ١٦٧. **معجم النّساء الشاعرات**، ص ٥٤ : شاعرات الأندلس ص ٨٧، **الدر المنثور**، ص ١٧٤.

(٦) هي زينب بنت فروة المرية ـ نسبة لمدينة المرية ، وهي إحدى كودة إلبيرة من أعمال الأندلس، ويقال أنها كانت عاشقة لابن عم لها يقال له المغيرة وقالت فيه الشعر ، ينظر ترجمتها القالي: **كتاب الأمالي**، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة ١٩٢٦،ج٢، ص ٨٥، المراكشي: **الذيل والتكملة**، ج٨، ص ٤٨٧، المقري: **النفخ الطيب**، ج٤، ص ٢٨٦، أهمنا: معجم النّساء الشاعرات ص، ١١٦، جارولو : شاعرات الأندلس، ص ١٣١، فوّاز: الدر المنثور، ص ٢٨٨، كحالة: أعلام النّساء، ج٢، ص ١٠٢.

وإذا انتقلنا إلى عصر الخلافة ، فإننا لن نجد اختلاف كبير في عدد الشاعرات الأندلسيات، فقد بلغ عددهن إلى سبع وهن:" أنس القلوب " [1] و" حفصة الحجازية "[2] و"صفية" [3] و"عائشة القرطبية "[4] و" الغسّاني"[5] و " مرجان "[6] و" مريم بنت أبي يعقوب"[7]

(١) هي جارية المنصور بن أبي عامر، الذي عمل حاجبًا للخليفة هشام الثاني، ينظر ترجمتها في المقري: **نفخ الطيب**، ج١، ص ٦١٦، جارولو: **شاعرات الأندلس**، ص ١٢٣.. كحالة : **أعلام النّساء**، ج١، ص ٩٧.

(٢) هي حفصة بنت حمدون بن حيوة، من أهل وادي الحجارة، وهي من أهل المائة الرابعة، ولما كانت فخر بلدها بها، ينظر ترجمتها في ابن الآبار: **التكملة** ، ج٤، ص ٢٤٨ . المراكشي: **الذيل**، ج٨، ص ٤٨٤، ابن سعيد: **المغرب في حلي المغرب**، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج٢، ص ٣٨ . أهمنا: م، س، ص ٥٨، جارولو: م، س، ص ٦٩، فوّاز: م، س، ص ١٦٥، كحالة: م، س، ج١، ص ٢٧٦.

(٣) صفية بنت عبد الله الرّيّي ، شاعرة من إقليم مالقة، وهي من شواعر القرن الخامس الهجري، وتوفيت سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٢٧م، واشتهرت بالقطعة الوحيدة التي ذكرت لها ففيها تعبر عن إعجابها بخطها، وترد على امرأة عابته عليها فهي تقول: وعائبة خطي ! فقلت لها: أقصري ، فسوف أريك الدُّر من نظم أسطري، ينظر ترجمتها د: الحميدي: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تح، محمّد بن تاوليت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ط١، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٣٨٨، ابن بشكوال: **الصلة**، ج٢، ص ٦٥٤. الضبي: بغية ، ج٢، ص ٧٩٩ ، جارولو: م، س، ص ١١٠، الريسوني: **الشعر النسوي في الأندلس**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص ٦٦.

(٤) عائشة بنت أحمد بن محمّد بن قادم القرطبية، أنظر ترجمتها في: ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٦٥٤. جارولو: م،س، ص ٥٩، الريسوني: م، س، ص ٥٩.

(٥) لا نعلم لهذه الشاعرة إسما، فقد عرفت في المصادر بلقبها وبنسبتها إلى بلدها " بجانة "، فيقال:" الغسانية البجانية" ينظر ترجمتها في: الحميدي: **الجذوة**، ص ٣٨٩، ابن بشكوال: **الصلة** ج٢، ص ٦٥٧، الضبي: ج٢، ص ٧٣٠، ابن سعيد: **المغرب**، ج٢، ص ١٩٢، المقري: **نفخ الطيب** ، ج٤، ص ١٧٠، أهمنا: م، س، ص ١٩٩، جارولو: م،س، ص ٦٦، الريسوني: م، س، ص ٦٢.

(٦) وتدعى مرجانة أو مرجان، هي زوج الخليفة الأموي الأول عبد الرحمان الثالث، وأم ولده وولي عهده الحكم الثاني، ينظر ترجمتها في : المقري:م،س،ج١، ص ٣٦٠. ابن حيان: **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، المثنى بنصره ب ، شالميتنا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورنطي و م، صبحي وغيرهما المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب، الرباط، مدريد، ١٩٧٩، ج٥، ص ٧، المقري: م، س، ج١، ص ٣٦٠.

(٧) هي مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري الفيصولي الشِلّبي، وأقدم ترجمة نجدها عند الحميدي في " **الجذوة** " ولا تضيف المصادر التي تلته شيئًا إلى ما ذكر عنها، عُرِفَتْ مريم بتعليمها النّساء الأدب، فهي أديبة، شاعرة، مشهورة، كانت تعلّم النّساء والرّجال الأدب، ينظر ترجمتها في: الحميدي: الجذوة ص ٣٨٩، ابن بشوال: **الصلة**، ج٢، ص ٦٥٦، الضبي: **البغية**، ج٣، ص ٧٢٩، المقري: ج٤، ص ٢٩١، المقري: جارولو: م، س، ص ٩٤، الريسوني: م، س، ص ١٦٩، فوّاز: م، س، ص ٥١٠.

في حين نلاحظ في عصر الخلافة ، تفوقًا في عدد الشّاعرات الأندلسيات الحرائر على الشّاعرات الجواري: ففي مقابل خمس شاعرات حرائر، لم نجد سوى جاريتين ثبت أن إحداهما زوج خليفة، وأم ولي عهده.

ورغم أن عدد هؤلاء الشواعر من القلة بحيث أن ما قلناه من الشعر لا يرقى إلى المستوى المطلوب، ومع ذلك فهذا القليل ينهض دليلاً على ما وصلت إليه المرأة من درجة ثقافة عالية وهامة .

وهذا معناه، في نظرنا، أن معالم حركة الشعر النسوي قد أخذت تتشكل، وتتجذر أكثر في المجتمع الأندلسي بمختلف طبقاته، وفئاته، وشرائحه (١).

ولم يقتصر نصيب المرأة في هذه الفترة على هذا المجال المذكور فحسب، وإنما أسهمت أيضا في الأعمال العمرانية والخيرية وذلك بتصديق من أموالها وممتلكاتها تقربًا إلى الله تعالى بفعل الخير والإحسان.

قامت نساء عبد الرحمان بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ ـ ٨٥٢ م) ومحظاباته وقد تأثرن بالزيادة التي أحدثها في مسجد قرطبة (٢) فأردن تخليد أسماؤهنّ ببناء عدد من المساجد تنافسن في تشييدها وهو ما أشر إليه الرازي بقوله : " ... حقبة منسوبة غليهن متعرفة بأسمائهن،كمسجد طروب،ومسجد فخر،ومسجد الشفاء،ومسجد متعة،وأشابههنّ يكثر عدّه (٣).

ومن المساجد الأخرى التي ذكرها أسماءها الرازي أثناء تأريخه لبعض الأحداث أو خلال ترجمته لبعض الأعلام، نذكر مسجد البهاء المنسوب إلى البهاء ابنة الأمير عبد الحكم بن الحكم ــــــــــــــ

(١) جارولو: **شاعرات الأندلس**، تر،أشرف علي دعدور،مراجعة علي مكي،دار نهضة الشرق،القاهرة،١٩٩٦،ص ٦٩، الريسوني: **الشعر النسوي في الأندلس**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص ٦٠.

(٢) جاء في كتاب: **"ذكر بلاد الأندلس"**، لصاحبه مؤلف مجهول أن: " الأمير عبد الرحمان بن معاوية الداخل هو الذي بنى المسجد الجامع بقرطبة، وأتحفه وأنفق في بنائه (....)، ثم زاد فيه وحسن بناءه ولده هشام وحفيده الحكم، وفي سنة ٢٣٤هـ/ ٨٣٤م، وسع الأمير عبد الرحمان بن الحكم المسجد بحيث اشتملت على إضافة " بهوين " من كل جانبيه معًا، إلى أبهاء المسجد التّسعة الأولى، فاكتملت أحد عشر بهوًا كما أضاف أثناءها إلى المسجد بناء سقيفة بداخله للنساء " مخ، خ، ع، الرباط، رق ٨٥، ج٢، و ٣.

(٣) الرازي: برواية ابن حيان، م، س، ج٣، ص ١٠٠.

بإحدى ضواحي قرطبة، ثم مسجد الدالية بمدينة قرطبة أيضا، وهذا المسجد لم يشر غليه أحد من المؤرخين الآخرين فيما وقفنا عليه [١].

ولم يقتصر إسهام المرأة على الأعمال المعمارية الدينية فحسب، بل تعداها أيضًا إلى مجال وقف بناء المقابر في سبيل الله، وذكر ابن حيّان بعض أسماء المقابر التي كانت بمدينة قرطبة ومنها: مقبرة أم سلمة ومقبرة متعة [٢] ،ومقبرة حلال[٣].

وفي الأخير ،نستنتج أن المرأة في فترتي الإمارة والخلافة بقدر ما بدأت تهتم بشؤون السياسة وتبدي برأيها، بقدر مازالت مشاركتها في الحياة الثقافية والأدبية ضعيفة، وفي الوقت الذي كان فيه الإنتاج الأدبي عمومًا كبيرًا ، وإذا كان حالها على ما هو عليه ! فكيف هو في عصر ملوك الطوائف ؟ .

---

(١) الرازي برواية ابن الآبار: **التكملة** ،ج٤، ص ص ٢٣٤، رقم ٦٧٥، ص ٢٤٤. رقم ٦٧٨، ص ٢٤٥،رقم ٦٧٩، ص ٢٤٥، رقم ٦٨٠.

(٢) ابن حيّان برواية ابن بشكوال : **الصلة** ،ج١، ص ص ٣١٤، ٢٢٣.

(٣) ن، م، ج١، ص ٣٨٥.

ثانيا: عصر ملوك الطوائف (٤٢٢هـ / ١٠٣٠م إلى ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م)

شهد البلاط الأندلسي خلال النصف الأول من لقرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ظهور المرأة كطرف في معالجة بعض الأمور السياسية العالقة، كان هذا مع المعتصم العامري[(١)] حيث " ضمّ إلى نفسه الرجال مستعينا على ذلك بأموال عظيمة خلصت لأمه، كانت تمده بها إلى أن ظهر على أمره "، من المؤكد أن دافع أم المعتصم هو إعادة مجد العامريين.

ومن النساء اللواتي عملن على إفساد الأمور بالبلاط تلبية لصالحهن وفرض وجودهن نذكر "بنت سكرى المرورية" زوجة آخر الخلفاء الأمويين بقرطبة المستكفي بالله الذي بويع سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م) و الذي تميز بالضعف و الاستهتار، ونتيجة ضعفه سيطرت عليه زوجته[(٢)]،لم تذكر المصادر التاريخية نوع هذه السيطرة وما انجر عنها سوى أنها عرفت بخبثها ومكرها[(٣)].

ولم يقتصر نفوذ النساء على بلاط الأمويين ،بل إنه امتد إلى الفترات التاريخية اللاحقة من حكم ملوك الطوائف، لاسيما ما شهده قصر غرناطة في ظل حكم بني زيري، و تحديدا فترة باديس بن حبوس[(٤)] (٤٢٨ ـ ٤٦٥هـ/١٠٣٧ ـ ١٠٧٢م)،وابنه بلقين وهو ما أشار إليه مؤرخ الدولة:" ومما أعان على الفساد قبل ذلك أن أبانا[(٥)] كان مع أمهاته اللاتي ربين ولده المعز[(٦)] أخانا على ضد من الأمن لإفراغهن المال على ابنه طفلا صغيرا،ومنعه هو منه،فاحتاج إلى اليهودي عن المال،وكانت أمهاته يطالبنه ويمنعنه عن صحبة اليهودي حتى شعر بذلك،واتفق رأيهما على مطالبة النساء عند الرئيس،وتجريحهن بسرقة المال،وإرساله إلى البلاد، فلما وقف

---

(١) المعتصم هو محمد بن المظفر عبد الملك بن محمد المنصور بن أبي عامر،وهو من بقايا العامريين،استقر في كورة "حيان "، ثم منحه خيران العامري ما يملك: أوريولة ومرسية، بعدما غلب عليه مجاهد العامري صاحب دانية، إلا أنه وقع ما أفسد الأمر بين خيران و المعتصم ففر الثاني إلى مرسية، ثم فرّ مجددا إلى أريولة، ثم التحق بمجاهد العامري، ثم استقر بحصن دارة إلى أن توفي بمرض الجدري سنة (٤٢١هـ /١٠٣٠م) ،ابن خطيب لسان الدين: **أعمال الأعلام**،ج٢،ص ص١٩٤،١٩٣.

(٢) ابن بسام :**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**،تح، إحسان عباس،دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩،ج١، ص٤٣٣.

(٣) ماريا.ج.بيغيرا م س، ج٢، ص١٠٩.

(٤) هو باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي التلكاتي،تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة (٤٢٨هـ /١٠٣٧م)، ابن عذاري : م س، ج٣، ص ٢٦٢.

(٥) المقصود به بلقين بن زيري المتوفى سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٤م). ابن عذاري: ن م، ج٣، ص ٢٦٣.

(٦) هو أبو تميم المعز بن بلقين صاحب " مالقة ". ابن عذاري:ن م س، ج٣، ص ٢٦٣.

جدنا[١] على المقالة وقد وقعت المفاسدة بينهن صار ملوما من الأب والنساء، وتحيل النساء على أن يبرأن أنفسهن مما قذفن به، ودعت الضرورة لسيف الدولة أن يتصالح مع النساء لرجوع أبيه معهن وردت القصة في رأس اليهودي[٢].

نستشف من النص السابق أن المربيات داخل قصر بني زيري بغرناطة كن يتلاعبن بأموال خزينة الدولة لخدمة أغراضهن الخاصة، ورغم إدراك باديس بن حبوس لأمرهن إلاّ أنّه لم يستطع اتهامهن أو إبعادهن بل عمل على مهادنتهن خشية من تفاقم كيدهن.إذ ما تتبعنا تدخلات المرأة ببلاط بني زيري بغرناطة نجدها دائمة الحضور والمشاركة في بعض الأمور السياسية، فهذا يوسف بن إسماعيل بن النغرلة[٣] الذي انتهج سياسة والده بعدما استخلفه في منصبه الوزاري في تعيين اليهود على الأقاليم[٤]، فزاد نفوذه في الدولة،" واستغل ضعف باديس بن حبوس فبث عليه في القصر عيون النساء والفتيان[٥] "،ولا توجد أية إشارة لأسماء هؤلاء النسوة،ولا إلى وضعهنّ بالتحديد داخل البلاط باستثناء"أم ماكسن بن باديس" حيث «كانت تترك معاملة الوزير الذي ألقى يده فيه،وتميل إلى خاله اليهودي يعرف بأبي الربيع الماطوني،وكان قابض الوجيبة فتخاطبه أبدًا، و تطلب منه مالا باسم السلف»[٦]. وحتى هذه العبارة نفسها؛لم تفصح عن الدور الذي كانت تقوم هذه المرأة داخل البلاط .

---

(١) مقصود به باديس بن حبوس المتوفي سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م)،ابن عذاري:م س، ج٣، ص ٢٦٣.

(٢) عبد الله بن بلقين: **كتاب التبيان**، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٩٥، ص٧٥.

(٣) هو من بيت مشهور في اليهود بغرناطة، و كانت له سيطرة كبيرة على دولة باديس بن حبوس من خلال منصبه الوزاري، كما أنه كان وراء قتل بلقين بن باديس بسبب أنه كان منحرفا عنه، و دائم التنبيه لوالده باديس من خطره ـ اليهودي ـ و آل أمره إلى القتل من قبل صنهاجة من دون أمر الأمير، و قتل يومها الآلاف من اليهود، و ذلك سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م) و قيل سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م)، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ج٢، ص ص٢٣٣،٢٣١.

(٤) فراد محمد أرزقي: **القوى المغربية في الأندلس**،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، بدون تاريخ ، ص٦٩.

(٥) ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ،ج١، ص٤٤٨.

(٦) عبد الله بن بلقين: م س، ص ٨٠.

يبدو أن أبا الربيع الماطوني،خال يوسف بن النغرلة كان قد عهد إليه بجباية ومراقبة الإيرادات من ضياع الأمير الخاصة « مستخلص الأمير » التي لا بدّ أنها كانت واسعة بحيث تمكن قابض الوجيبة من تغطية المصروفات اليومية لأسرة الأمير، ومن توفير قروض لوالدة ماكسن(١)، إلا أننا نستبعد أن تكون الأموال التي كانت تأخذها أم ماكسن ملك خاص لابنها، لأنها في هذه الحالة يكون لها حق التصرف فيها، وعبارة "تترك معاملة الوزير وتلجأ لخاله" توحي أن الأموال لم تكن لزوجة الأمير أو لأمه ولم تكن محجوبة عن الوزراء، بل كانت على اتصال مباشر بهم.

وبخلاف ما أوردناه، نجد حالة مغايرة مع " أم العلو " ابنة عم ماكسن،التي كانت لها حظوة في البلاط يدل على ذلك أنها" كانت مطاعة في قومها وقد استمالت أكثر نساء الجند(٢)، وسعت إلى المحافظة على مكانتها أو على الأقل الرفع منها بحرصها على الزواج من ابن عمها ماكسن لما ولي الحكم سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م)،غير أن هذا الأخير رفضها زاعما أنها لا تصلح له، ولو تزوجها لكان مصيره غير الذي عرفه. ويذكر عبد الله بن بلقين من جهته أن من سوء حظ ماكسن و نحسه عدم تزوجه من ابنة عمه(٣)، و هو بذلك يعترف بحنكة وخبرة أم العلو.

إن إظهار أم العلو الرغبة في الزواج من ابن عمها حرّك نساء أخريات في البلاط لمنعه لما فيه من خطورة على وضعهن، ومن بينهن "كريمة" باديس،وهذا حتى لا تجعل منها أم العلو حاشية،وفضلت زواجه من صبية كانت تولت تربيتها،حتى تجعل من نفسها حاكمة على داره، وأخبرت الأمير باديس بوفاة هذه الصبية حتى لا يطلبها وشقّ ذلك على ابنة عمه،فراحت تسعى عليه مع نساء البربر(٤).

إن هذه الرواية تلقي بعض الضوء على دسائس النساء،والمنافسة القائمة بينهن في الحصول على حظوة هامة لدى الحكام حتى يتمكن من التأثير عليهم من وراء الستار. وعلى ضوء ما سبق ـــــــــــــــــــــ

(١) عبد الله بن بلقين :م س، ص٢١٩.
(٢) نفسه ، ص٩٥.
(٣) نفسه، ص ص٩٥، ٩٦.
(٤) نفسه .

يمكن القول أن البلاط الغرناطي عرف منافسة نسوية كبيرة من أجل الحصول على حظوة لدى الحكام للمشاركة في تسيير الحكم مع ما يخدم مصالحهن(١).

ولم تسلم إمارة بني عباد بأشبيلية هي الأخرى من تدخل النساء إلا أن تدخلهن أخذ أشكالا وأهدافا أخرى خطيرة ،كما حدث مع "الرميكية"(٢) زوجة المعتمد بن عباد التي أمرت زوجها ليقتل الوزير أبا بكر محمد بن عمار(٣) بسبب هجائه لها،في هذين البيتين :

لأحي بالغرب حيّا جلالا ... أناخوا جَمَالاً و حازوا جمالا
تخيّر من بني الهجيــن ... رُميكيـة ما تساوي عِقَــالا(٤)

وإن كنا نعتقد أن ذلك لم يكن السبب الحقيقي في قتله،بل كانت هناك أسباب سياسية أدت إلى ذلك،كاستغلال أبي بكر مكانته الرفيعة لدى المعتمد فحاول اقتسام ملكه عندما وثب على مرسية بعدما استرجعها ابن عباد، وهو الأمر الذي أقلق " الرميكية " ورفضته، فقتله ابن عباد بأمر منها(٥).

الواضح أن "الرميكية" كانت متفهمة الوضع مع زوجها، فنبهته إلى الخطر الذي أحدق به، وهو العمل على اقتسام ملكه، وفي هذا دليل كاف على احتلالها مكانة بارزة بالبلاط في حياة المعتمد خاصة و أنه كان شديد الميل إليها، حتى لقب نفسه بالمعتمد لينتظم اسمه حروف اسمها(٦)، كما أنها اضطلعت بالدور الأول في حياته،فتسببت في أقوى العوامل في إيغار صدره على ابن عمار(٧).

لم تلق الرميكية استحسانا من قبل الفقهاء بالإمارة، وأشار رينهرت دوزي(٨) أن المتدينين كانوا لا ينطقون اسمها إلا مستعيذين بالله،ويعدونها أكبر عقبة في سبيل هداية زوجها،وهي ـــــــــــ

(١) عبد الله بن بلقين :م س، هامش رقم ١٩٦، ص٢٢٤.
(٢) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج٢، ص٦٣.
(٣) هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار المهري الأندلسي الشلبي الشاعر المشهور المتوفى (٤٧٧هـ / ١١١٠م) ، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، م س،ج٤، ص٤٢٥.
(٤) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج٢، ص٦٣.
(٥) ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلي المغرب** ،تح، خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧ج١، ص ٣١١، ابن بسام : م س، مج١، ص٣٧١.
(٦) ابن الآبار: م س، ص ٦٢.
(٧) نديم مرعشلي: **المعتمد بن عباد**، دار الكتاب العربي، مطبعة الجهاد، بدون تاريخ، ص١٥.
(8) Dozy (R) : **Histoire des Musulmans d'Espagne**; E -J- Brill leyde, 1932, T2, pp 9,10.

التي تدفع به للانغماس في اللهو والملذات،وإذا ما رأو المساجد غير عامرة بالمصلين يوم الجمعة نسبوا إليها انصراف الناس عن الصلاة،ولو أننا لم نعثر في المصادر التي بين أيدينا ما يثبت ذلك. ورأي هذا المستشرق لا يتناسب وطبيعة الحياة الدينية عند المسلمين، فالمرأة المسلمة هي جزء من هذه الحياة تمتثل لأوامر الدين شأنها في ذلك ، شأن بقية المسلمين رجالاً كانوا أم نساء؛ وبالتالي فنحن لا نشاطره هذا الرأي الذي لا يستند إلى دليل.

وعن المشاركة السياسية لنساء الطبقة الحاكمة ببلاد الأندلس فإنها لا تشكل إلا حالة استثنائية فيما اضطلعن به من أدوار رئيسية في الأحداث المهمة والحاسمة في المسرح السياسي، ذلك عندما يؤثرن في أعمال أزواجهن وأنشطتهم مثلما لاحظنا مع الرميكية[1]. وهي أمثلة قليلة جدًا إذا ما قورنت بمسرح الأحداث عامة .

ونسجل تدخلا آخر مماثلاً في هذه الدولة للأميرة **"فاطمة"** التي كان لها الدور الكبير في الثأر العائلي، وذلك في سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م بحيث سمّت زوجها الحسن بن يحي أسفا على أخيها يحي بن إدريس[2].

لم يخلو البلاط الزيري في عهد باديس بن زيري (٤٢٨هـ - ٤٦٥هـ/١٠٣٧م - ١٠٧٢م) من سيطرة النساء ومحاولاتهن في الحصول على حظوة لديه،في هذا السياق يقول عبد الله بن بلقين[3]:«إن الخنزير لعنه الله لما رأى طغيان النساء، وكل فرقة منهن تريد ولاية من تربيه من أبناء السلطان». فإن كانت هذه رغبة الجواري اللواتي يؤتى بهن لتربية الأولاد،فالحال نفسه لا يختلف عند النساء المقربات من الحكام؛حيث تدخلن في تولية الحكام،كما هو الحال بأمر تولية ماكسن سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) حيث «اتفق رأي الجميع مع أهل قصره من النساء أن يدخل عليه مع ابنه و يخلع من أجله»[4].كما سبق أن أشرنا إلى ذلك.

---

(١) ماريا، ج، بيغيرا: **أصلح المعالي عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس**، ج٢، ص١٠٠٩.

(٢) عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح، محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، ط٧، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٧٨، ص٩٧.

Seybold, Cristain Federico – revista del centro de estudios de Granada y su reino, 1911, p12 .

(٣) **التبيان**، ص ٨٣.

(٤) عبد الله بن بلقين: م س ، ص٩٤ .

الواضح أن هؤلاء النسوة كُنَّ من قرابة باديس بن حبوس، كما أن هذا الأخير كان بين أيدي مصير النساء من جهة،وكذا الوزير اليهودي من جهة أخرى،وهما المقصود بهم"رأي الجميع".

وعلاوة على ذلك ظهرت ببلاد الأندلس امرأة فريدة عملت على تقسيم الدولة الواحدة بين حاكمين من نفس الأسرة في منطقتين مختلفتين،يحدث هذا في دولة بني حمود[١]،(٤٠٧-٤٤٦هـ/ ١٠١٦ -١٠٥٥م)،وذلك لما توفي الأمير الحمودي حسن المنتصر سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م وكان له ابنا في سبتة، فأجاز به نجا الصقلبي قائد أبيه إلى الجزيرة الخضراء[٢] حيث ابنا القاسم بن حمود، فأراد إخراجهما منها فخرجت إليهم "سبيعة" أمها، وقالت له:« يا أبا الفوز أتقطع مواليك وتكشفهم عن البلاد ؟ ما هذا بحسن، فاستحي منها وانصرف إلى مالقة»[٣].

إن كان هذا هو السبب الحقيقي في رجوع نجا الصقلبي إلى مالقة،يعني هذا أن للمرأة كلمة مسموعة ومطاعة، وهو دليل على شخصيتها القوية والمؤثرة في حياة البلاط،غير أن عبد الواحد المراكشي يرى أن السبب لا يعود إلى تدخل " سبيعة " بل لفتور البربر وعدم تحمسهم لمقاتلة محمد بن القاسم صاحب الجزيرة الخضراء،لذا قرر العودة إلى مالقة لإعادة تنظيمها بالاعتماد على الصقالبة والحد من نفوذ البربر[٤]. ونرجح الرواية الثانية،إذ ليس من المعقول أن يتراجع أبو الفوز إلى مالقة حياء من سبيعة، بل لأنه لم يكن له سند و دعم قوي.

ولقد عرفت بلاد الأندلس أيضا نساء كان لهن وظيفة الاستشارة والوساطة،ونلاحظ هذا مع والدة الأمير عبد الله بن بلقين التي كانت متنفذة في حياة ابنها السياسية،ففي سنة ٤٨٣هـ /١٠٩٠م عندما أجاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس كان في استقباله الأمير عبد الله بن بلقين

---

(١) هي من الإمارات البربرية التي قامت على أنقاذ الخلافة الأموية و مرت بمرحلتين أولها كانت بقرطبة و ثانيها بمالقة، حكمها تسعة أمراء أولهم على الناصر بن حمود و آخرهم محمد الثاني المستعلي، و ينحدر هؤلاء من أدارسة المغرب التي تشتت أمرهم على يد الفاطميين، محمد فراد أرزقي: م، س، ص ص٣٥، ٣٦.

(٢) مدينة مشهورة بالأندلس " من أشرف المدن و أطيبها أرضا "، ياقوت الحموي: م س، ج٢، ص١٣٦.

(٣) ابن عذاري: **البيان المغرب** ، ج٣، ص٢١٦.

(٤)عبد الواحد المراكشي : **المعجب**، ص ٩٨.

ووزيره أبي جعفر القليعي،وضرب هذا الأخير بخيامه قرب موقع يوسف بن تاشفين مما جعل الأمير عبد الله يشك في ولائه وإخلاصه له،فسجنه وقام بضربه بعد رجوعهما إلى غرناطة[١]، وكان أبو جعفر القليعي وهو بسجنه يتلو القرآن بصوت جاهر،ولما سمعته والدة الأمير عبد الله طلبت من ابنها فك سجنه،ففعل ثم فرّ الوزير مما جعل الأمير يندم عل فكه،وعاد باللوم على والدته[٢].

وقد سبق لها أن تدخلت في فض النزاع بين ابنها عبد الله وتميم،ففي سنة ٤٦٦هـ /١٠٧٣م، حارب الأمير عبد الله أخاه الذي كان واليا على مالقة وهزمه لكن لم يشأ إبعاده عن الوطن، وأمه على قيد الحياة، وفي هذا الصدد يذكر عبد الله بن بلقين[٣] قائلا:« ثم لم تر زوجها في الإلحاح عليه فربما أخرق وسيرها إلى سوانا فتكون مصيبة للبلدة، وعارا عظيما من توليج أخينا وشقيقنا إلى غيرنا وتغريبه في البلاد، وأمه قيد الحياة وبقيت حاله في أفضل الأحوال ما رضيت به الوالدة،وحمده جميع الناس ، فخرجت الأمور خير مخرج وأمَّنَّا جهته بسترة في مكانه،ولم نفجع فيه أمّه»، وكان سبب هذا الصراع أن تميم لم يكن راضيا بانتقال الحكم لأخيه الأصغر عبد الله لذلك أعلن ضده حربًا استفزازية[٤].

بيد إن الأمير عبد الله بن بلقين عامل أخاه تميم بما يرضي أمه مراعيا شعورها،ويبدو أن تدخل الوالدة لم يكن بدافع عاطفة الأم فحسب بل لتجنيب الدولة الصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة.

وبعدما دخل يوسف بن تاشفين الأندلس لنجدة أمرائها الذين استنجدوا به من الأدفنش ملك قشتالة أثناء وجوده بالجزيرة الخضراء سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م فقرر القضاء عليهم نهائيا نتيجة تخاذلهم،ومواقفهم السلبية تجاهه بما فيهم صاحب غرناطة،وذلك عندما توالت عليه الأخبار من الأمير عبد الله بن بلقين بما يغيظه ويحقده، فاستنزل من مالقة أخاه المستنصر تميم بن بلقين وتوجه إلى غرناطة فلقيه المظفر عبد الله بن بلقين وسلم إليه الأمر[٥]، كان خروج عبد الله لملاقاة

---

(١) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج١، ص ص١٥٤، ١٥٥.
(٢) نفسه، ص١٥٥.
(٣) ابن عذاري: م س، ص ص ١١٦، ١١٧.
(٤) فراد محمد أرزقي: م س، ص ٢١.
(٥) مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح، سهيل زكار عبد القادر زملمة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٧٩، ص٣٨.

يوسف بن تاشفين برفقة أمه[١]، ولعل خروجها كان بهدف التشفع له،أو قد يكون فقط للرفقة، خاصة إذا علمنا مدى تعلقه بوالدته، والتي لا نستبعد تأثيرها الكبير عليه طيلة فترة حكمه.

لم يتوقف دور المرأة السياسي والعسكري بالأندلس على ما ذكرناه،بل وظفت كذلك كجاسوسة حالات استثنائية وصاحبات هذا الموقف هن أخوات علي بن مجاهد العامري صاحب دانية، حيث كن فائقات الجمال، فتنافس ملوك الطوائف[٢] على الزواج بهن، فاغتنم والدهن الفرصة، وجعل منهن عونا، وبنى بهن حصونا[٣]، إلا أنه لم يسلم من صهره ابن هود[٤].

هذا عرض وجيز لمعرفة دور المرأة الأندلسة في الحياة السياسية والعسكرية باختلاف النظم السياسية السائدة في تلك الفترة، ويبدو أنه لم يكن أقل شأنا من دورها العلمي والأدبي في عصر ملوك الطوائف. فإلى أي حد أسهمت في بناء صرح العلوم والفنون ؟.

كانت نساء بلاط ملوك الطوائف معظمهن متعلمات وأديبان وشاعرات جمعن بين العلوم الدينية والأدبية، والفضل يعود إلى السلاطين الذين شجعوا العلم والعلماء ، وشملت عنايتهم النساء العالمات والشواعر، فعلا شأن المرأة في عهدهم ووصلت حركة الشعر النسوي أوَجها، سواء في عدد للشاعرات وكمية أشعارهن.

إن عدد الشاعرات الأندلسيات في هذا العصر سيبلغ أعلى نسبة له في تاريخ الأندلس عامة،فقد أحصينا في المصادر التي رجعنا إليها عشرة شاعرات وهن:"المالقية" [٥]،"واعتماد الروميكية"[٦]

---

(١) عبد الله بن بلقين: م س، ص٢٣٥.

(٢) فؤاد محمد أرزقي: م س، ص ص٢٥، ٢٩.

(٣) ابن بسام: **الذخيرة** ، ق٤، ج١، ص٢٦٦.

(٤) ذكر ابن عذاري أنه: "في سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م قام أحمد بن هود الجذامي بمحاصرة علي بن مجاهد بدانية فسلم له هذا الأخير نفسه و ولده و قصره و كل ما يملك فرفع ابن هود عنه القتال و حمله إلى سرقسطة و قطع له إقطاعا يساعده على العيش فكان آخر العهد به"، **البيان المغرب،** ج٣، ص٢٢٨.

(٥) هي ابنة بن السكان المالقية، لم نجد أية إشارة إلى إسمها ولا نسبها فقد غفلت مصادر الأدب الأندلسي عن ذكرها ولا نجد لها ذكرا إلا عند ياقوت الحموي: **معجم البلدان،** ج١، ص٣٠٧ .

(٦) ظهور أخبار هذه الشاعرة في المصادر يحدد بالتقائها بالمعتمد بن عباد، حتى أن تيجاني أقدم مترجم لها وكذلك السيوطي، لا يعرّفاني بها بقدر ما يلحان على هذه المناسبة التي التقت فيها إعتماد بالمعتمد بن عباد . وقد لعبت الصدفة دورا كبيرا في هذا اللقاء التي حولتها من "جارية " تغتسل على ضفاف نهر إلى "زوجة " ملك بني عباد، ينظر،التيجاني، **تحفة العروس ونزهة النفوس،** تح، جليل العطية، مؤسسة رياض الرياس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٢،ص٤٥٢. السيوطي: **نزهة الجلساء في أسعار النساء** ، تح، سمير حسين حلبي، مكتب التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٩،ص٨٧.

و"أم العلاء"[١] و"أم الكرام"[٢]و"بثينة"[٣] و"عاتكة"[٤] و"العبادية"[٥] و"غاية المنى"[٦]و"قسمونة"[٧] و"مهجة القرطبية"[٨].

فإذا تجاوزنا هذه النظرة العددية والكمية للشاعرات الأندلسيات ولشعرهن في هذا العصر، ونظرن إلى كل ذلك حسب نوعيته، نلاحظ أن الشعر النسوي في هذه المرحلة قد انتشر بصورة واضحة، حتى طال فئات مختلفة من المجتمع الأندلسي ليس في الطبقة الخاصة فحسب، وإنما في الأوساط العامة أيضا : فإلى جانب تردد أسماء من بنات الملوك على غرار "أم الكرام بنت صمادح" و"بثينة بنت المعتمد" و"ولاّدة بنت المستكفي" ، نجد أسماء أخرى تنتمي إلى العامة من قبيل " ابن السكان المالقية" و"قسمونة"و"مهجة"[٩].

وقد أفردنا جدولا خاصا بأعلام النساء اللواتي كانت لهن مشاركة فاعلة في الحياة الثقافية والعلمية بالأندلس، من خلال المصادر الأندلسية، والجدول الذي وضعته يوضح أهم المصادر التي وقفت عليها ، حاولت من خلاله الاستدلال على حدود التكامل بين هذه المصادر في تقديم أعلام النساء [١٠].

---

(١) أقدم ترجمة لهذه الشاعرة تلك التي نجده عند ابن سعيد في كتاب **المغرب،** ج٢، ص٣٨، وكذلك أضاف السيوطي بيتين لها في **النزهة،** ص١٩، وأيضا المقري: **النفح** ، ج٤، ص١٦٩.

(٢) هي بنت المعتصم بالله ، أبي يحيى بن أبي محمدبن أبي يحيى بن صمادح التجبي، ملك المرية بالأندلس، وبن سعيد هو أول من ذكره في **المغرب،** ج٢، ص٢٠٢، ينظر كذلك، السيوطي: م س، ص١٨، المقري: م س، ج٤، ص١٧٠.

(٣) أميرة شلبية، بنت المعتمد بن عباد، والشاعرة اعتماد الروميكية، وأول مصدر ذكرها لنا التيجاني: **التحفة،** ٤٥٣، وكذلك المقري: م س،ج٤، ص٢٨٤ .

(٤) هي عاتكة المرية، والإشارة الوحيد التي لدينا عنها عثرنا عليها عند الحصري عندما ذكرها ضمن عنوان: " في وصف ماء" ثم أورد أبيات لها تصف فيها ماء، ينظر، **زهرة الآداب وثمر الألباب** ، تح، علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط٢، القاهرة، ج١، ص٢٢٨ .

(٥) جارية من دانية، أهداها ملك من ملوك الطوائف بشرق الأندلس، يدعى مجاهد العامري، للمعتضد بن عباد ملك إشبيلية، فأصبحت تعرف باسم سيدها "العبادية"، وابن الأبّار هو أقدم من ترجم لها، وهو يؤكد على جمع هذه الشاعرة بين الشعر والظرف، ينظر، **التكملة** ، ج٤، ٢٥١، وينظر أيضا، ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة،** ج٨، ص٤٩٤، المقري: م س ،ج٤، ٢٨٣ .

(٦) جارية وشاعرة من الشواعر القينات، ارتبطت أخبارها بالمرية لعلاقتها بالمعتصم بن صمادح، ملك هذه الديار، ينظر، ابن الأبّار: م س ، ج٤، ص٢٥٣، ابن عبد الملك :م س، ج٨، ص٤٤٨، المقري: م س، ج٤، ص٢٨٦ .

(٧) تصنف هذه الشاعرة من فئات الشعراء اليهود وهي بنت إسماعيل اليهودي، السيوطي: **النزهة،** ص٦٥ .

(٨) كانت أجمل نساء زمانها، وأخفهن روحا، تعلمت على يد الأميرة ولادة بنت المستكفي، ابن سعيد: م س، ج١، ص١٤٣، المقري: م س، ج٤، ص٤٩٣ .

(٩) جارولو:**شاعرات الأندلس،**تر،أشرف علي دعدور،دار النهضة الشرق، القاهرة،١٩٩٦ص ص٥٦،٦٧،٧٧، ١٠٥.

(١٠) ينظر، الملحق رقم ...... ص ...

المؤلـــــــــف	تاريخ الوفـــاة	عدد النساء	المصـــــــــــدر
الحميـدي	٤٤٨ هـ/١٠٥٦م	٢	جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس
ابن خيـــان	٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦م	١٤	المقتبس في أخبار بلد الأندلس
ابن بشكوال	٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م	١٦	كتاب الصلة
الضـــــبي	٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م	١٣	بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس
ابن الزبيـــر	٦٠٨ هـ/١٢١١م	٤	صلة الصلة
ابن الآبـــار	٦٥٨ هـ/١٢٥٩م	٧٢	التكملة لكتاب الصلة
ابـن الآبـار.	٦٥٨ هـ/١٢٥٩م	٤	المقتضب من كتاب تحفة القادم

جدول رقم: ٠١ * أعلام النساء من خلال المصادر الأندلسية .

الفǨdž الثالث

المرǫة المǥربية منذ الǛdžر المرابǎǼ حǫǺ نهاية حكم بنǼ مرين

ǫولا: عǛdžر المرابǎين (ďďē_ ďĐď\ _ǵĐđ/ \ċĐđ ďďđ\م).

ǭانيا: عǛdžر الموحدين (٥٤١ ـ ٦٢٠هـ/١١٤٦-١٢١٦م).

ǭالثا : عǛdžر بنǼ حفDŽ (ďčē_ǵēĎĔ/_ďčĎċ\ďĎĐ\م).

رابǠا: عǛdžر بنǼ زيان (٦٣٣-٧٩٦هـ/١٢٣٥-١٣٩٣م).

خامسا: عǛdžر بنǼ مرين (٥٩١-٩٧٧هـ/١١٩٥-١٥٥٠م).

تمهيد:

قصدنا من خلال هذا الفصل مواصلة إعطاء لمحة تاريخية لمسيرة المرأة بالمغرب الإسلامي منذ عصر المرابطين وحتى سقوط حكم بني مرين، وسنبرز أن إسهاماتها في البناء الحضاري مرتبط أساسا بالظروف البيئية والاجتماعية وبالأفكار الدينية والسياسية التي فتحت لها مجال المشاركة في الحياة العامة، كما نحاول اكتشاف أوجه الاختلاف والتشابه بين نساء المغرب والأندلس طيلة فترة الدراسة .

أوّلا: عصر المرابطين (٤٤٨ـ ٥٤١هـ /١٠٥٦ ١١٤٦م).

سبق لعدد من الباحثين المغاربة وغيرهم أن تنبهوا لتلك الصورة المشرقة التي رسمتها المصادر عن المرأة ومكانتها المتميزة في المجتمع المغربي، خصوصا خلال العهد المرابطي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، إذ تجلت بشكل أكثر وضوحا ولكن اختلفت آراؤهم حول تعليلها وتفسيرها، فبعضهم ردّها إلى تأثير التنظيم القبلي القائم على مبدأ المساواة بين أفراد القبيلة،والبعض الآخر أرجعها إلى البيئة البربرية التي اعتادت فيها المرأة على الحرية والنفوذ[١]، فقد تمتعت بالمساواة التامة مع الرجل واقتنت الثروات، وشاركت في مجلس القبيلة وفي الأمور الهامة، وكان من مظاهر أثر هذا المركز الممتاز الذي تمتعت به المرأة أن الرجل كان ينسب إلى أمه في بعض الأحيان[٢]،وقد أشار النويري إلى هذه الظاهرة[٣]بقوله:**"**جميع الملثمين ينقادون لأمور نسائهم ولا يسمون الرجل إلاّ بأمه فيقولون ابن فلانة و لا يقولون ابن فلان**"**. ولذا نجد أن يوسف بن داود **"**كان من أعظم قواد المرابطين**"** يعرف بابن عائشة[٤]، كذلك القائد عبد الله بن محمد المشهور بابن فاطمة**"**[٥].

----

(١) Lagardère (V) : **Les Almoravides**, L’Harmattan, Paris, 1989, p24.

(٢) البيدق:**أخبار المهدي تومرت و بداية دولة الموحدين**،تح، ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٢٨،عبد الواحد المراكشي: **المعجب** ، ابن أبي زرع: م س، ص١٠٣، ينظر أيضا،عبد الله علام: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي،** القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٤٣، حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين،** القاهرة، ١٩٥٧، ص٥٢.

(٣)النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب،** ج١، ص٨٠.

(٤) هو الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين وأمه عائشة بنت باران بنت تايغشت، ينظر،ابن القطان:**نظم الجمان في أخبار الزمان**،تح،محمود علي مكي،دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٧،طبعة جامعة محمد الخامس،الرباط، ص١٧.

(٥) ابن القطان: نفسه، ص١١٢.

إذن ليس بين أيدينا من الوثائق الرسمية ما تعطي دليلا مقنعا، و ربما هذا الغموض نفسه ساهم في تباين الآراء، وهكذا نجد فريقا ثالثا يفسر هذه الظاهرة بالمكانة الاقتصادية التي احتلتها المرأة،فهذه الحرّة زينب النفزاوية[١]التي ورثت عن أبيها التاجر أموالا طائلة فضلا عما ورثته من ثروة هائلة من زوجها لقوط بن يوسف المغراوي ،ونفس الشيء ينطبق على تميمة [٢]بنت يوسف بن تاشفين التي كانت تملك ثروة هامة، تديرها بنفسها حيث اتخذت لها الوكلاء والكتاب وكانت تحاسبهم وتبرز لهم، وكذا الحرّة حوّاء بنت تاشفين [٣]ومريم بنت إبراهيم [٤] وغيرهن، وقد جمعت بعض النساء الوجهاء هذه الثروات الهامة من أراضي واسعة، ومساكن، ومواشي، ورحى... إلخ. بحيث مكّنتها من احتلال مكانة مرموقة في المجتمع والإسهام في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للدولة[٥]،وبعض النساء الغنيات وخاصة المسنات منهنّ كن يساعدن الفقيرات في تجهيز أنفسهن [٦].

أمّا في الأوساط العامة فقد مارست المرأة عدّة أنشطة، فبرز دورها في الغزل والصناعات النسيجية والقطنية والحريرية [٧]،كما اشتهرت نساء سجلماسة[٨]اللائي كن يسترزقن من غزل الصوف فيبعن الإزار الصوفي بخمسة وثلاثين دينارا فأكثر،فضلا عما يقمن به من وضع الغنارات ويبعنها بالثمن نفسه[٩]،ومن النساء اللاّئي مارسنا صناعة الغزل أيضا،بنات المعتمد بن عباد[١٠]،

---

(١) ابن عذاري:**البيان**، ج٤، ص١٨، ابن أبي زرع:م س، ص٥٣، النويري:م س،ص٣٨٥،ابن خلدون:**العبر**،ج١٢، ص٣٨٢،الناصري:**الاستقصا**، ج٢، ص١٥.

(٢) ابن عبد الله بن عبد العزيز: **معجم أعلام النساء المغرب الأقصى**، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ١٩٧٠، ص ص٧، ٨.

(٣)ابن عذاري: م س،ج٤،ص٢٢.

(٤) ابن خفاجة: **ديوان ابن خفاجة**، تح، كرم البستاني،دار الصحافة، بيروت، ١٩٦١، ص٢٤٥.

(٥) حميدي مليكة:"المرأة المغربية في عهد المرابطين"، **رسالة ماجستير**، جامعة الجزائر،٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢، ص١٤٦.

(٦) ابن حزم: **طوق الحمامة** ، ص٥٠، ينظر أيضا،خلاص صلاح: **اشبيلية في القرن الخامس الهجر ـ دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في إشبيلية**، دار الثقافة، بيروت،د،ت، ص٩٣.

(٧) موسى عز الدين: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن ٦ هـ**، ص ص٢١٢، ٢١٥.

(٨) الإدريسي:**نزهة المشتاق**،نشره هنري بيريس، جامعة الجزائر،١٩٥٧،ص ص ٤،٥، ١٦، ٢٣، ٢٨، ٣٤، ٣٦.

(٩)عز الدين موسى: م، س، ص ص٢١٣، ٢١٥، ٢١٧.

(١٠) عرف المعتمد بن عباد بقصته الشهيرة مع زوجته **اعتماد الرميكية** والتي تعرف "بيوم الطين "، ينظر المقري:**نفح الطيب**،ج٤،ص٢١١.

فكن يغزلن الصوف لبنات عريف أبيهن بالأجرة بمدينة أغمات، وقد جاء في شعر المعتمد بن عبّاد الإشارة إلى بناته عند زيارتهن له في العيد :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورًا فساءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس ما يملكن قطميرا

يطأن في الطين والأقدام حافية كأنّها لم تطأ مسكا وكافورًا[1]

وفي الأندلس اختصت بعض النساء في تربية دودة القز"، فقد أخبرنا الإدريسي بأن: "مناخ الأندلس ملائم لزراعة الفرصاد[1] وقيل أن مدينة جيّان احتوت على أكثر من ثلاثة آلاف قرية تربى بها دودة القز، إضافة إلى وادي آشي وجبل شلبير بكورة الأندلس، والمرية وغيرها.." [2]، لذلك اشتهرت عدّة مدن بالصناعات الحريرية ذات الجودة الرفيعة.وكان ثمن الحلة الموشية من إنتاجها يتجاوز آلاف الدنانير[3].

أما عمل المرأة في طبقات الدنيا فقد تمثّل في مختلف أنواع الأنشطة الاقتصادية، فبعض النساء، يقمن بخبز الدقيق في بيوتهن ثم يأتي من يحمله إلى الأفران ليقوم الخبازون بخبزه [4]، والبعض منهن امتهنت حرفة الحلاقة وجعلتها شرطا في صداقها [5].والأخريات بائعات اللّبن، وهذه "لبانة" أم الشاعر الأندلسي أبو بكر بن اللّبانة [6] الذي اشتهر باسم مهنة أمّه، كما دخلت المرأة غمار السوق كبائعة أو مشترية ودلالة وسمسارة [7] وحتى عونا للمحتسب ـ كأمينة[8] ـ ويخبرنا السقطي بأن:" المرأة شاركت التجار في تجارة الرقيق وعرفت باسم ـ الأمينة ـ التي

---

(١) عبد الواحد المرّاكشي: م، س، ص١٥٥.

(١) تعني أشجار التوت ، ينظر، الإدريسي:م س،٥٦٨،هامش٢.

(٢) **نزهة المشتاق**، ج٢، ص٥٦٨.

(٣)بن قربة صالح: **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، ص١٣٥.

(٤) أبو مصطفى كمال السيد: **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص٦٤.

(٥) الونشريسي: **المعيار**، ج١، ص٨٥.

(٦) الضبي: **بغية الملتمس**، ص١٤٣.

(٧) عز الدين أحمد موسى: م س،ص٣٥.

(٨) ابن عبدون:**ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، نشره ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة، ١٩٥٥، ص٤٧.

كانت توافقهم في الغش وتشهد باستبراء الخدم بمقتضى مراد التجار وبحسب ما يعطي المشترين بقصد التعجيل بالإجماع بهن"[١].

أمّا المرأة الريفية، فهي الأخرى كانت نشيطة، وإلى جانب شغلها بالبيت وتربية الأطفال، كانت المتزوجات ترافقن أزواجهن في الحقول، خصوصا في موسم البذر والحصاد، كما امتلكت بعضهن الأراضي الشاسعة وامتلكت المواشي من بقر وغنم، وكلت عليها من يقوم بخدمتها، في حين كانت النساء الفقيرات تضطرهن الظروف،وربما يقصد بهن الأرامل،العوانس،والمطلقات إلى بيع الخبز والفواكه والخضر والبيض والجبن والحطب على حافة الطريق المعتادة من طرف المسافرين، وعرفن بالنشاط الدائم من أجل الكسب الحلال[٢].

أما بالنسبة لنساء الأمراء والنبلاء والقواد والعمال وغيرهم من المرابطين فكان لهن سلطة واسعة ونفوذا كبيرا[٣]، فكانت **زينب**[٤]بنت إسحاق الهواري زوجة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، واشتهرت **تميمة**[٥] بنت يوسف بن تاشفين بطلب العلم والإشراف على تجارتها بنفسها ومحاسبة من يعملون لديها. كما برزت **حواء** بنت تاشفين[٦] الأديبة الشاعرة التي كانت تحاضر الشعراء. أما الفارسة **" فانو**[٧] بنت عمر بن نيتيان فقد ضربت مثلا في الإقدام والشجاعة عندما حملت السيف ودافعت عن قصر الإمارة بمراكش يوم أن هاجمه الموحدون، و إلى هذا يشير البيدق بقوله:"كذلك ذلك اليوم تقاتل الموحدين وهي في هيئة رجل، وكان الموحدون يتعجبون من قتالها ومن شدة ما أعطاها الله من الشجاعة وهي بكر، فلما ماتت حينئذ دخل القصر ولم يعرف

----

(١) السقطي:في أداب الحسبة، نشر كولان وليفي بروفنسال، مكتبة أرنست لورو، باريس ١٩٣١، ص ص٥٤، ٥٦.

(٢ عز الدين أحمد موسى: م س،ص٣٥.

(٣)حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين**، ص١٩٠، عصمت عبد اللطيف دندش :**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**،ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ص٢٠٠، ٢٠١.

(٤) ابن عذاري:م س،ج٤،ص١٨، ابن خلدون:**العبر**،ج١٢،ص٣٨٢.

(٥) ابن عذاري:ن م،ج٤،ص٥٣.

(٦)نفسه،ج٤،ص٥٦.

(٧) نفسه،ج٤،ص٦٣.

الموحدون هل هي امرأة أم لا حتى ماتت "[١]، كما وازداد تسلط النساء وتدخلهن في شؤون الحكم بعد أن تولى علي بن يوسف الحكم سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م)، ويشير إلى ذلك المراكشي[٢] بقوله:"واختلت حال أمير المسلمين رحمة الله بعد الخمسمائة اختلالا شديدا فظهر في بلاده مناكر كثيرة"، فنجد أن **قمر** زوجة أمير المسلمين تدخلت في عزل تاشفين بن علي عن ولاية الأندلس حتى لا يطغى نفوذه على ابنها سير ولي العهد، ولما مات ابنها سير أرادت أن تنقل ولاية العهد إلى إسحاق بن علي دون تاشفين، ولم تستطع تنفيذ مخططها هذا بسبب إجماع الناس علي تاشفين وصغر سن إسحاق[٣]، وهذا التدخل من المرأة المغربية على عهد المرابطين يفسر، بما ليدع مجالا للشك ممارسة المرأة العمل السياسي وتدخلها القوي في شؤون الدولة، وعلى الرغم من انتقال المرأة المرابطية من البيئة الصحراوية بيئة اجتماعية جديدة بالمغرب والأندلس، قوامها التمدن والتحضر، إلاّ أنّها لم تستطع التخلص كليا من تقاليد وأعراف الأسرة الأميسية، بل على العكس من ذلك استغلت الإمكانيات والفرص التي نعمت بها في بيئتها الجديدة وخصوصا في الحواضروالمدن، لتعزيز مكانتها الاجتماعية السابقة[٤] .

فقد شاركت في كل مجالات الحياة العامة بالمغرب والأندلس، وبرزت مواهبها وكفاءتها في الميادين السياسية والإدارية والثقافية والاقتصادية..الخ

وفيما يلي صورعن بعض المظاهر التي بلغتها في المجتمع وبعض العادات التي تشبثت بها في وسطها الجديد، وذلك حسب ما ذكرته المصادر التاريخية في العهد المرابطي[5].

١ ـ عـادة السفـور:

احتفظت نساء الملثمين (المرابطين) بهذه العادة التي شبت عليها في مواطنهن الأصلية ـــــــــــــــــــ

(١) البيدق: **أخبار المهدي بن تومرت**، تح، عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦، ص٩٤.

(٢) عبد الواحد المراكشي: م س، ص١٧٧.

(٣) ابن عذاري: م س،ج١، ص٩٧.

(٤) Marchesin (P) : **Tribus, et hnies et pouvoir du Mauritanie**, Ep, Karthala, 1982, pp 18-24.

(5)Gaudio (A) : **Le dossier de la Mauritanie**, nouvelles éditions latines, Paris, 1978, pp10, 11,12.

بالصحراء،ولم يتخلّين عنها في جل المدن المغربية والأندلسية التي استقررن بها، على الرغم من الضغوطات الاجتماعية المتمثلة في توسع انتشار ظاهرة حجاب المرأة بجل تلك المدن خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وعلى الرغم من إلحاح أغلب الفقهاء عليه وتشددهم في ذلك، إلى درجة أن الفتاوى الفقهية المغربية والأندلسية لهذا القرن كانت لا تجيز إمامة الرجل الذي يترك امرأته سافرة غير متحجبة[(١)]،غير أنه لم يؤثر عليها، في هذا الشأن سيطرة الفقهاء على مقاليد الأمور في الدولة المرابطية ونفوذهم في المجتمع آنذاك.

ومن الأمثلة المشهورة على تشبثهن بهذه العادة ما وجده المهدي بن تومرت حوالي سنة (٥١٤هـ/١١٢٠م) بمرّاكش بعد رجوعه من المشرق، فبينما هو في بعض الأيام في طريقه، إذ رأى أخت أمير المؤمنين في موكبها، ومعها الجواري الحسان عدة كثيرة، وهن مسفرات، وكانت عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويلثم الرجال، حين رأى النساء كذلك أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن، وضرب هو وأصحابه دوابهن، فسقطت أخت الأمير عن دابتها، ورفع أمره إلى أمير المسلمين[(٢)].

٢ ـ عادة انتساب الأبناء إلى أمهاتهم :

عرف الكثير من وجهاء المرابطين من أمراء، ووزراء وولاّة أقاليم وقادة عسكريين كبار بالانتساب إلى أمهاتهم، وحملت كذلك كثير من البيوتات المرابطية الشهيرة اسم الجدة ، وإذا كانت هذه العادة غير مقبولة في المجتمع الذكوري بمدن الأندلس خاصة، فإن الأرستقراطية المرابطية لا تجد حرجا أو غضاضة في الانتساب للأم لأنه كان من أعرافهم. وقد ذكر لنا البيدق [(٣)]وحده ثلاثة عشر علما من كبار الشخصيات التي انتسبت للأم من قادة عسكريين وولاة على الأقاليم، وانتسبت إليها بيوتات كان لها شأن كبير في تاريخ الدولة المرابطية، ونكتفي هنا بإيراد بعض النماذج من البيوتات المشهورة باسم الجدة[(٤)]ومنها[(٥)]:

---

(1) Terrasse (H) : **Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français,** Atlantide, Casablanca, 1949,p p20, 21.

(Ď) البيدق: Ϊ ΣŬ f f čď ،čē.

(ď) **أخبار المهدي**: f f ŬĎč ŬĎĎ ŬĎē ŬĎĚ ŬĐĚ ŬđČ ŬđĒ ŬĒČ ŬĒđ ŬĒĒ ŬĒē Ŭēď ěď.

(٤) النويري:**نهاية الأرب**،ص ص٣٩٨،٣٩٧، الناصري:**الإستقصا**، ج٢، ص٨١.

(٥) ينظر جدول لبعض أسماء الأعلام المنتسبين إلى أمهاتهم من المرابطين في الملحق رقم ......ص ......

- ابن **عائشة** [١]
- بني **صارة**[٢]
- عبد الله بن **فاطمة**[٣]
- ابن **الأميرة فاطمة**[٤]
- بن **غانية**[٥]

كما اشتهر بعض العلماء بنسبهم إلى أمهاتهم كذلك، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: أبو الحسن بن سكينة [٦]،ونسب الولد إلى أمه أضحى ظاهرة شائعة في **الإخوة**، نذكر منهم:

----

(١) هو داود ابن عائشة ،قائد عسكري وسياسي محنك في الدولة المرابطية ،وقد برز في معركة الزلاّقة الشهيرة سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م ، التي انتصر فيها المرابطون على قوات ملك قشتالة وليون ألفونس السادس، مما أمدّ في عمر الوجود الإسلامي بالأندلس عدة قرون أخرى، كما أسندت له مهمة عزل ملوك الطوائف سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، وكلف كذلك بالدفاع عن الأندلس والإشراف على إدارة بعض الولايات الصعبة بها وذات المشاكل المعقدة ، وقد ورث عنه أولاده وأحفاده الكثير من مهامه العسكرية والإدارية، كما ورثوا عنه اسم جدّتهم كـ "يوسف بن داود بن عائشة"،ينظر،ابن القطان:م س،ص٨٢، ابن أبي زرع:**روض القرطاس**،ص ص١٤٢،١٤٥،١٤٧،١٥٦، ينظر أيضا،
Lagardère(V) : op-cit, pp101, 102, 174.

(٢) اشتهر عند بني صارة ثلاث ولاة وقادة عسكريين أشرفوا على إدارة عدة ولايات منها: تلمسان، سجلماسة وسوس، ينظر، البيذق: م س،ص ص، ٤٨، ٥٢، ٩١.

(٣) نسبة إلى أحد القادة المرابطين البارزين في الأندلس، كان واليا على عدد من مدنها كأشبيلية وبلنسية،ومن أشهر أبنائها القائد محمد بن فاطمة، ينظر، ابن أبي زرع: م س،ص ص١٦٠، ١٦٢.

(٤) نسبة إلى أحد أمراء المرابطين، أمه الأميرة فاطمة زوج السلطان علي بن يوسف بن تاشفين، وقد تقلد منصب القضاء آنذاك،ينظر، ابن عذاري: م س، ج٤، ص٥٦.

(٥) نسب هؤلاء إلى أمهم "غانية المسوفية" ،وقبيلة مسوفة إحدى بطون صنهاجة، وقد برزوا كعمال على بعض المدن الأندلسية كقرطبة وبلنسية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين،وبعد القضاء على الدولة المرابطية نظموا مقاومة الملثمين ضد الدولة الموحدية، وقد استقالوا حينا من الدهر بالحكم في جزر البليار، - جزر الأندلس الشرقية- وهي ميورقة ومنورقة ويابسة،ومنها انطلقوا إلى المغرب فاحتلوا بجاية المغرب الأوسط سنة(٥٨٠هـ/١١٨٤م)، ثم لجئوا بعد طردهم من طرف الموحدين إلى إفريقية، إذ استمرت ثوراتهم على الموحدين إلى غاية سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)،ولم يقض على تمردهم نهائيا إلا الدولة الحفصية هناك،ينظر، عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص٢٦٩.ينظر أيضا،
Bel (A): **Les Banou Ghania**, Paris, 1903, pp3, 5, 6,14

(٦) ابن عبد الملك المراكشي:م س،ج٥،ص ص٥٦٢،٥٦١.

أولاد **مية**،أولاد **الكسيمية**،وفي **الأولاد**،نذكر منهم: أولاد **بنت السيد**، أولاد **بنت** كلاد، وأولاد **امباركة**،أولاد **العالية** ،وأولاد **عيشة**، وغيرهم [١]..، كما ينسب الولد إلى **قبيلة الأم** مثل: هنون العبيدي نسبة إلى **العبيدات** قبيلة **أمه**[٢].

أمّا الميادين التي برزت فيها المرأة المرابطية فإننا سوف نقتصر على ثلاثة منها وهي: المجال الأدبي والحربي ثم السياسي، ففي الأول، برزت المرأة بشكل كبير، ونستطيع القول إنها فاقت فيه البعض منهن رجال صنهاجة، وساوت فيه بعض الفطاحل شمال الصحراء، إذ وجدت بالمغرب والأندلس مراكز نشيطة، لم تتوفر لها في بيئتها الأصلية بالصحراء مثل حواضر تلمسان[٣]، فاس،مراكش وقرطبة وغيرها، إذ أقبلت على العلم والتعلم على عادتها في الصحراء، وحرصت على نشر العلم والأدب برعاية البعض منهن من العلماء والأدباء ماديا ومعنويا. وقد احتفظت المصادر بأسماء نساء شهيرات تألقن في سماء الثقافة والأدب، ونلن من ذلك نصيبا وحظا وافرا من العلم والمعرفة لا يقل عمّا بلغه الرجال، ونشير هنا إلى أربعة منهن خلّدن الشعر مدح الشعراء لهن:

- **تميمة اللمتونية**[٤]: بنت يوسف بن تاشفين،كانت كاملة الحسن،راجحة العقل، مشهورة بالأدب والكرم، سكنت مدينة فاس،ورآها يوما كاتبها فبهت، عرفت ما دهاه، وفطنت لما عراه، فأنشدته:

هي الشمس مسكنها فـي السما   فعز الفؤاد عــزاء جميلا
فـلن تستطيــع إليـها الصعود   ولن تستطيع إليك النزولا[٥]

- **حواء بنت تاشفين**[٦]: بنت أخ ليوسف بن تاشفين من أمه، وزوجة قائد مرابطي مشهور ـــــــــــــ

(١) بن حامد: **موسوعة حياة موريتانيا، الحياة الثقافية**، دار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٠،ج٢، ص١٨٤، مليكة حميدي: م س، ص١٣٥.

(٢) بن حامد: م س ، ج٢، ص١٨٤.

(٣) مع العلم بأن الدولة المرابطية وصلت حدودها إلى مشارق المغرب الأوسط إلا أننا لم نعثر على مصادر التي تتكلم على الأديبات والعالمات بمدينة تلمسان، لسنا ندري كيف نفسر هذا السكوت بحق المرأة التلمسانية في عهد المرابطين !.

(٤) ابن القاضي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، ط دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط، ١٩٧٣، ص ص١٧٤،١٧٣.

(٥) نفسه، ١٧٤.

(٦) ابن عذاري: م س،ج٤، ص٢٢.

هو سير بن أبي بكر الذي ولي أشبيلية مدة أربعة وعشرين سنة، كانت هذه السيدة "أديبة شاعرة
جليلة ماهرة ذات نباهة وبديهية وبراعة، وكانت تعقد المجال الأدبية و يحضرها كبار الشعراء والكتاب في البلاط المرابطي،وتستمع إلى أحاديثهم في الشعر وتنتقد عليهم وتحاضرهم،منهم الوزير والفيلسوف مالك بن وهيب الأندلسي والشاعر الكبير ابن القصيرة وغيرهم من فحول أدباء عصرها،الذين تزخر بهم مدينة مراكش من علماء المغرب والأندلس،كما مدحها شعراء كثيرون منهم الرجال والشّاعر الأعمى التطيلى الذي خصها بقصيدة طويلة[١]، نذكر منها هذين البيتين لدلالتهما في موضوعنا:

أنثى سما باسمها النادي وكم ذكر يدعى كأن اسمه من لؤمه لقب

وقلما قلص التأنيث صاحبه إذا تذكرت الأفعال والنصب[٢]

ـ مريم بنت إبراهيم بن تفلويت[٣]**:** زوجة الأمير أبي الطاهر تميم كانت كثيرة الصدقات والإحسان بالمعوزين،وهي أديبة تحفظ جملة من الشعر. وقد خلدها الشاعر أبو إسحاق الخفاجي حين مدحها بقصيدة مطولة.

ـ رفاء بنت ينتان الطليلية: سكنت مدينة فاس،اشتهرت بالأدب والشعر وحفظ القرآن وبراعة الخط، توفيت بعد سنة (٥٤٠هـ /١١٤٥م) [٤].

وقد تنافست الشاعرات المرابطيات على مدح الشعراء لهن،كما يبدو من قصة القاضي الأديب الذي مدح حواء ـ السابقة الذكر زوجة الأمير سير ـ فغارت زينب النفزاوية من مدح القاضي لها، فما كان منها إلا أن عزلته عن القضاء لمبالغته في مدحها وتفضيلها على سائر النساء بالجمال والكمال، فضلا أن ذلك المدح كان لا يليق بمنزلة القاضي[٥]، فلما علم بها عزمت عليه "زينب النفزاوية "، فاعتذر لها وارتجل:

أنت بالشمس لاحقة وهي بالأرض لاصقة [٦]

---

(١) ابن عذاري: م، س، ج٤،ص ص٥٦،٥٧.
(٢) ابن عبد الملك المراكشي:**الذيل والتكلمة**، س٨، ص٤٩٤.
(٣) نفسه،س٨،ص٤٩٨.
(٤) ابن عبد الملك المراكشي: م س، س٨، ص٤٩٣.
(٥) حميدي مليكة: م س، ص٦٣.
(٦) النويري: **نهاية الأرب**، ص ص٣٨٦،٣٨٥.

وليست "حواء" المرأة المرابطية الوحيدة التي اتخذت لها كاتبا فقد كان لزينب النفزاوية قبلها وكان من الأدباء الكبار وهو عبد الرحمان بن أسباط (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)عندما جاز البحر من الأندلس " تعلق بحاشية الحرة العليا زينب فاستكتبته " وأقره يوسف كاتبا بعد وفاتها [١].

ولا تخفى أهمية ودلالة اتخاذ نساء الطبقة الحاكمة المرابطية للكتاب من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، وهو الأمر الذي لم نعثر عليه عند النساء في فترة دراستنا، حيث اشتهرت المرأة الموحدية على سبيل المثال بإتقانها للخطاطة، وهذا ما سنبرزه لاحقا .

أمافي المجال الحربي، كان للمرأة المرابطية صيت وممارسة عملية عند ما كانت تخوض الحرب عند الضرورة للدفاع عن النفس، ومن البطولات في هذا الصدد قصة الفارسة **فانو** بنت عمر بن ينتان[٢]، التي قاومت الموحدين ببسالة سنة(٥٤١هـ/١١٤٦م) أثناء احتلالهم لمدينة مراكش بعد حصار لها دام تسعة أشهر فكانت تحاربهم عند قصر الحجر،لذلك فلم يستطيعوا دخوله حتى استشهدت تلك الفتاة، وأخبرنا البيدق[٣] فقال:" كانت في ذلك اليوم تقاتل الموحدين وهي في هيئة رجل، وكان الموحدون متعجبون من قتالها، ومن شدة ما أعطاها الله من الشجاعة وهي بكرًا، فلما ماتت حينئذ دخل القصر،ولم يعرف الموحدون هل هي امرأة حتى ماتت ".

والمثال الثاني:هي **تمكونت** [٤]بنت الأمير سير بن أبي بكر، التي وقعت في أسر الموحدين في صحبة ألف وخمس مائة امرأة مرابطية سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) وطالبت مقابلة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي،ذكرته بفضل أبيها سير الذي شفع لمهدي بن تومرت لدى علي بن يوسف بمراكش، فراعى لها المؤمن ذلك وهم بإطلاق سراحها وحدها، لكنها أصرت على أن يطلق معها باقي الأسيرات وإلا فلن تقبل أن تسرح وحدها.وحصل لها ما أرادت، فوصلت مراكش معززة مكرمة مع رفيقاتها، فرد المرابطون هذا الجميل بإطلاق أسيرات موحديات حصلن في أيديهم من ـــــــــــــــــــ

(١) ابن عبد الملك المراكشي: م س، س٤، ص٥٢٣.
(٢) المقاتلة اللمتونية، صاحبة اللثام ،المعروف عند المرابطين أن "اللثام" للرجال، ولكن قصة ارتداء " الفارسة فانو " اللثام كان من أجل تمويه جيش الموحدين بأنها أحد فرسان المرابطين، ينظر، ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٩٩.
(٣) **أخبار المهدي**، ص٦٤.
(٤) الأميرة بنت الأمير سير بن أبي بكر،البيدق:م س،ص٤٩.

تلقاء أنفسهم،لأن أعرافهم الأصيلة تقضي بحرمة المرأة في الحرب حتى إن كانت من نساء الأعداء[1].

أما في المجال السياسي والإداري،فإن المثال البارز الذي يوضح مشاركة المرأة في تسيير الشؤون السياسية والإدارية لمجتمعها،تتمثل في **زينب النفزاوية**[2]المشهورة في المصادر التاريخية، والتي تبدو وكأنها امرأة غير عادية إذ اتهمها ابن عذاري بأنها:"ساحرة وتكلّمها الجن"، ويلاحظ تكرار هذا الاهتمام للنساء البارزات في تاريخ المغرب الإسلامي أنها كانت عموما،ولكن يغيب عن هؤلاء التفسير التاريخي المتمثل في طبيعة المجتمع اللمتوني،الذي يسمح للمرأة بالمشاركة بجانب الرجل في ميادين الحياة العامة، فاستفادت من تلك الفرصة وفرضت نفسها فأثرت في أحداث زمنها،ولم تكن تخرج عن المألوف الاجتماعي في ذلك الأمر[3].

ومن النماذج الدّالة على هذا أيضا أن زينب النفزاوية استفادت كغيرها من المرابطيات بحق التطليق، فقد اضطر زوجها الثالث الأمير أبو بكر بن عمر[4] إلى تطليقها بعد زواج دام ستة
أشهر فيما يبدو [5] ـ حينما قرر الرجوع إلى الصحراء " فجأة " حوالي سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م)، فأبو بكر لم يعمل إلا على الامتثال للعرف الصنهاجي القديم في مثل هذه الحالة، وهو الطلاق، وليس الأمر كما تحاول المصادر أن تبرر طلاقه لها سواء بالإشفاق عليها من تحمل مناخ الصحراء القاسي وشظف العيش بها،وأنه عمل بالمثل المغربي القائل:" للي طلقها ما كايورها دار أباها"، وقد وردت عند ابن عذاري رواية أقرب لما وقع " قيل أنها هي التي طلبت منه بذلك"[6].

ما يمكن استخلاصه من هذه الحادثة هو أن أبا بكر بن عمر عندما طلقته زينب هذه لم يكن رغما منه، فمعنى ذلك أنه قرر أن يرجع إلى الصحراء بصفة نهائية، وأن قرار الرجوع قد ــــــــــــــ

(١) البيدق:م س ،ص٤٩.

(٢) ابن أبي الزرع: **روض القرطاس**، ص٥٣، النويري: م، س، ص٣٨٥،

(3) Terrasse (h) : OP-CIT p p221, 222, 223, 224.

(٤) ابن عذاري: **البيان المغرب**، ج٤، ص١٨.

(٥) اختلفت المصادر المغربية في تحديد تاريخ زواجهما، وطلاقهما فحسب ما ذكره ابن عذاري أن: "دخول أبو بكر معرسا بزينب النفزاوية كان في ذي القعدة من عام (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) "، ص١٨، في حين ذكر ابن أبي الزرع: "أن الزواج لم يدم سوى ٣ أشهر حيث رجع أبو بكر إلى الصحراء في ذي القعدة عام (٤٥٣هـ/١٠٦١م)،أي كان زواجهما في شعبان من نفس السنة "،**روض القرطاس**، ص٨٣، وإذن الفرق الزمني بين المصدرين هو ثمان سنوات.

(٦) ابن أبي الزرع:م س، ج٤، ص١٧٦.

اتخذ بعد التفاهم مع ابن عمه يوسف بن تاشفين. القائد يوسف بن تاشفين الذي كان نائبا عنه بالمنطقة إذن ليس في المسألة غموض، كما ذهب إلى ذلك البعض. ومن جهة أخرى فإن المصادر تنسب لزينب النفزاوية بأنها صاحبة فكرة الانقلاب الأبيض الذي وصل بموجبه يوسف تاشفين السلطة، وذلك بعد أن أوعزت إلى الأمير أبي بكر بالتّخلي عن الزعامة لابن عمّه يوسف بعد رجوعه من الصحراء،و إقناعه بتسليم الأمر له، حيث وضعت خطة مدروسة ومحكمة لهذا الغرض نفذتها بإحكام، معتمدة على معرفتها بنفسية أبي بكر و أخلاقه و ميوله السلمية وتقواه وديانته، إذ أوصت يوسف أن يستعرض قوته العسكرية أمامه،وفي نفس الوقت عرفت كذلك كيف تستمل أنصاره وجنوده بإغداق الهدايا عليهم[١]. وإذ كان يصعب تأكيد و قبول هذه الرواية التي تبدو، للوهلة الأولى أنها مصطنعة وموضوعة، لكنها تبين في الوقت نفسه مدى تأثير هذه المرأة في المجال السياسي،لأن مما لا شكّ فيه أنها شاركت زوجها الجديد في وضع وتنفيذ سياسة فتح المغرب الأقصى،"إذ كانت القائمة بملكه المديرة لأمره، الفاتحة بسياستها أكثر بلاد المغرب،وكانت عنوان سعده "[٢]،في الحقيقة أنه لم يأت مثل هذا الدور السياسي لزينب النفزاوية من فراغ، بل قام بناءً على عادات الأسر الأميسية التي لازالت راسخة لدى المرابطين إلى ما بعد عصر يوسف بن تاشفين، وعلى أية حال، لم تكن المرأة
المرابطية هي الوحيدة التي تدخلت في الشؤون السياسية للدولة فقد احتفظت النساء المرابطيات بنفوذ قوي في تسيير الأمور العامة،لأن رجوع أبي بكر بن عمر للصحراء كان بسبب إصغائه لقول" ممثلة الرأي العام " في قبيلتها، وهي امرأة عجوز وذلك حين قالت:" ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب "[٣].كما نقلت لنا المصادر تدخل بعض النساء في تعيين أو عزل بعض الموظفين، بل بلغ لأمر بإحداهنّ وهي زينب بنت إسحاق الحرة إلى امتحان القاضي عبد العزيز بالأندلس،وما أدراك ما وظيفية القاضي خاصة في هذا العهد الذي كان للفقهاء فيه نفوذ قوي [٤].

---

(١) ابن عذاري: م، س، ج٤،ص ص٢٤، ٢٥،ابن أبي الزرع: م،س، ص٨٤.

(٢) نفسه،ج٤،ص٢٩، ينظر أيضا، عصمت عبد اللطيف دندش: **أضواء جديدة**،ص١٦٨،حسن علي حسن:**الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين**، ط١،مكتبة الخانجي، مصر،١٩٨٠،ص٦١،حميدي مليكة: م س، ص٥١.

(٣)ابن عذاري:م س،ج١،ص ص٢٤،٢٣،ابن خلكان:**وفيات الأعيان**،ج٧، ص١١٣.

(٤)ابن أبي الزرع: م، س، ص١٣٤، ١٣٥،ابن عذاري:نفسه،ج٤، ص٢٢.

وقد نقل لنا عبد الواحد المراكشي في(معجمه) صدى هذا النفوذ الواسع للمرأة الصنهاجية، ربما بشكل قدحي ومبالغ فيه،متأثرا في ذلك بما ترسخ لديه من بقايا الدعاية الموحدية المناهضة للمرأة المرابطية، حين قال:"ظهر في زمانه أي علي بن يوسف[1] مناكر كثيرة وفواحش شنيعة من استيلاء النساء على الأحوال، واستبدادهن بالأمور،ولأن كل شرير من لص أو قاطع طريق ينتسب إلى امرأة قد جعلها ملجأ ووزرا على ما تقدم "[2].

ويضيف في مكان آخر قائلا:"استولى النساء على الأحوال واستبدادهن بالأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور"[3].ولا نخفى أن المراكشي بكلامه هذا، كان يريد أن يحمل المسؤولية كاملة في فساد الوضع آنذاك على عاتق المرأة المرابطية وإسناد الأمور لها، وهو أمر يصعب التسليم به هكذا دون تمحيص ونقد تاريخي، في حين أن أسباب الفساد في أواخر الدولة المرابطية كانت تكمن في طبيعة البنية الاجتماعية ولكن يظهر فقط أن المرأة قد استغلت نفوذها السياسي كما استغله الفقهاء ذوي النفوذ والقادة العسكريين، وذلك بحماية أشخاص جشعين. ومما تجدر الإشارة إليه إلى أن يوسف بن تاشفين لم يجمع قط بين امرأتين تحت عصمته في وقت واحد،على الرغم من أنه عاش مائة سنة، كما لم يتسر إلا بعد احتلال المغرب، وحتى عندما تسرى بأم ابنه علي[4]، فقد كانت وحيدة لديه تزوجها بعد وفاة زينب النفزاوية، وعاملها معاملة الزوجة الحرة، ونتيجة لذلك لم يخلف إلا ثلاثة ذكور وبنتان من زوجاته الأربعة. إذ كانت له في كل مرحلة من حياته وتنقلاته بين المغرب والصحراء امرأة [5]، وهذا هو شأن الطبقة الحاكمة المرابطية.

هكذا لم تغير الحركة الإصلاحية المرابطية، ولا البيئة الجديدة المغربية الأندلسية، كثيرا من عادات المرابطين الاجتماعية، رغم أنها زعزعت أركان الأسرة الأميسية لديهم، فأصبح الإرث في

---

(١) القاضي عياض: **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح، سعد أعراب، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية، ج٨، ص١٦٨.
(٢)عبد الواحد المراكشي:**المعجب**،ص٢٦٣.
(٣) نفسه،ص٢٦٣.
(١) هي أم الولد ،عرفت **بقمر** أو **فاض الحسن**، رومية الأصل، أنجبت له ولي عهده "علي"سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م)،ينظر ابن أبي الزرع: م، س، ص٩٩.
(٢) ابن الأحمر: **بيوتات فاس الكبرى**،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،١٩٧٢، ص٣٠.

الزعامة السياسية يتم لديهم ابتداء من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أي من عهد يوسف بن تاشفين وما بعده ،عن طريق الأب وليس عن طريق الأم[١].

ونستخلص أن مكانة المرأة المرابطية كانت رفيعة ومميزة عن غيرها، حيث كانت تشارك في الحياة العامة، وتجلس مع الرجل لمناقشة قضايا القبيلة، وتدلي برأيها من غير استحياء ولا حرج، وتحترم زوجها،وتبدي زينتها للأقرب والأبعد على السواء[٢]، وهذه الصفات مازالت سائدة في بعض القبائل التارقية المنتشرة في صحراء المغرب العربي.

ثانيًا : عصر الموحدين (٥٤١ ـ ٦٢٠هـ/١١٤٦ـ١٢١٦م).

حرص بعض أصحاب كتب التراجم الإخبارية على ذكر أسماء عدد من أمهات المترجم لهم من أعلام وفقهاء القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي، كعبد الله بن ياسين، واسم أمّه **تين إزيمر**،وتعني بالأمازيغية"عبدة ومملوكة"[3]،وكالنحوي الجزولي،واسم أمه **تين لامان**[٤] وغيرهم،وهذا يعني أن الروّاة الذين أخبروا بتلك التراجم هم الذين ذكروا لهم أسماء أمهاتهم بجانب الآباء، لأن مكانة الأم لا تقل في نظرهم عن مكانة الأب وتستحق أن تذكر إلى جانبه.كما نجد أن أعلاما كثيرين في العهد الموحدي قد انتسبوا إلى أمهاتهم كابن **تاعظيمت**"سليمان أحضري"،كاتب ابن تومرت من أهل العشرة في تنظيمات ابن تومرت[٥]،كذلك اشتهر باسم أمه، أطلقته عليه أخته حسب رواية ابن القطان[٦] وربما أمه[٧]، حسب صاحب المقتبس من الأنساب[٨]، فقال:"فرحت به أمه وسرت،فقالت باللّسان المغربي:"آتومرت إينويسك آييوي"[٩]،

---

(١) السويدي محمد: م س،ص٩٦.

(2) Duveyrier (H) : **Les Touaregs du Nord, Challamel** Aimé, Paris, 1864, p82.

(3)البكري:**المغرب**،ص١١٠.

(4) ابن عبد الملك المراكشي:**الذيل والتكلمة** ،ص٢٤٦.

(5) البيدق:**أخبار المهدي**،ص ص ٣٠ ، ٤١.

(٦) ابن القطان: م س،ص١٧.

(٧) تكنى **أم الحسين**، بنت وابركن المسكالي ،من بني يوسف، أعنست عند أهلها،ولما خطبها عبد الله وكان فقيرا رغب أهلها في مصاهرته،ينظر، ابن القطان،نفسه، ص٣٧.

(٨) مجهول: **المقتبس من كتاب الأنساب**، نشره ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٢٨، ص٤٢.

(٩) أي اللغة الأمازيغية.

ومعناه: "يا فرحتي بك يا بني"، فكانت تكثر من ذلك، وكانت إذا سئلت عن ابنها- هو صغير- تقول باللسان المغربي:" يك تومرت "،معناه "صار فرحا ومسرورا"، فغلب عليه لقب تومرت، وترك دعاؤه باسم عبد الله الذي سمي به أولا عند تسميته".إلا أن ليفي بروفنسال أعرض عن هذا التفسير ليقول:"أن **تومرت** هواسم امرأة يدل على صيغة واضحة التأنيث، هو اسم لأحدى جداته غلب على نسبه"(١).

كما تساءل ليفي عن مدى صحية وجود اسم - تومرت - في اللغة الأمازيغية(٢) ؟، والواقع أن هذا الاسم كان شائعا خلال العصر الوسيط كاسم للمرأة حملته بعض بطون القبائل كـ "بني تومرت"،وهي بطن لقبيلة بني عبد الواد (٣)، وجاء في شجرة أنساب أنه "بطن" من بطون قبيلة هسكورة (٤)،وفي ناحية ورزازات - بالمغرب الأقصى - فخذة تعرف بـ تومرت عند قبيلة إمغران بالمغرب الأقصى أيضا،وعلى كل يطول استعراض من نسبوا إلى أمهاتهم في المجال المصمودي، وقد ذكر ابن الزيات وحده في التشوف حوالي ثلاثة عشر عالمًا نسبوا إلى أمهاتهم (٥).

والملاحظ أنه خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تمكنت الدعوة الموحدية من تحويل نظام الأسرة الأميسية إلى الأسرة الأبيسية، وإذا كان من الصعب تتبع مراحل هذا التحول في نمط الأسرة بدقة،ومعرفة العادات التي سبقت في الاختفاء قبل غيرها،نظرا لقلة المادة المصدرية اللازمة لذلك فإنه مع ذلك يمكن رسم خطوطه العامة من خلال ماهو متوفر من الإشارات التاريخية، وأهم مميزات هذا التحول،**الأولى**، تتمثل في موقف ابن تومرت من المرأة،فقد كان يحرص على تغيير المنكرات والبدع،كعادة الاختلاط بين الجنسين، مثل ما حدث

---

(١) ليفي بروفنسال:**الإسلام في المغرب والأندلس**،تر، عبدالعزيزسالم، ومحمد صلاح الدين حلمي،دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،د،ت،ص٢٦٥.

(٢) نفسه، ص٣١.

(٣) يحي بن خلدون:**بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، تح،حاجيات عبد الحميد،المكتبة الوطنية، ١٩٨٠ ، الجزائر،ج١،ص١٨٦.

(٤) الناصري:**الاستقصا**،ج٢،ص٩٣.

(٥) ابن الزيات:**التشوف**،ص ص١٦٢، ٢٠٧، ٢١٧، ٢٣٤، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤٢٤، ٤٢٧. ينظر أيضا، الملحق رقم .... ص ..... (من الأطروحة).

في " يوم عيد الفطر،عندما ضرب الرجال والنساء المختلطين في الشارع وشتت شملهم"[١]،كما حاول أن ينبه نساء ورجال دشر قلال ـ قبيلة غياثة ـ في بلاد المغرب الأقصى من خطر الاختلاط بين الرجال والنساء، لكنهم لم يستجيبوا له، بل هددوه بأن يمثلوا به وبأصحابه إذا لم يذهب لحال سبيله، وفعلا شعر بالخطر فأقلع حالا من الدشر المذكور"[٢]. وكان أيضا متشددا في مسألة تبرج المرأة وخروجها،حيث" استنكر في قرية صاء [٣] تبرج بائعات اللّبن وغيرهن، وكان يتردد على بعض الفقهاء ويعضهم"[٤]،

وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك، عندما وصل ابن تومرت إلى مراكش قادما من تلمسان، حيث بلغ به الأمر إلى أن تجرأ على نهي الأميرات المرابطيات من أفعال المنكر، "**فقد لقي ذات يوم الصورة أخت علي بن يوسف حاسرة قناعها على عادة قومها الملثمين في زي نسائهم فوبخها"**[٥].

ويبدو أن إصلاح أحوال المجتمع الموحدي كان من أولويات الدولة منذ قيامها، وقد أشار إلى ذلك البيدق في عدة مناسبات،كما فعلوا سنة(٥٢٨هـ/١١٣٣م) خلال الاجتماع الذي عقدوه لأخذ البيعة العامة لعبد المؤمن وحضرته النساء وفصل بينهن وبين الرجال بالركائز"[٦].

وعندما توطدت سلطتهم حرصوا أيضا على تعليم المرأة لقواعد دينها، فلا شك أنهم طبقوا منهج الداعية ابن تومرت في حدود إمكانهم،بالنسبة لظاهرة السفور والاختلاط وغيرهما..، فكانوا متشددين في تطبيق الشرع الاسلامي على الأحوال الشخصية، مثلما يبدو من رسالة الفصول التي نهى فيها عن المنكر بصفة عامة، وركز على بعض مظاهره كبيع الإماء من غير استبراء من طرف بعض النخاسين [٧].

و**الثانية**، تتمثل في مسألة تغيير مسكن إقامة الزوجين، وتنتهي بمسائل اعتبرت معقدة ـــــــــــ

(١) ابن خلدون:**العبر**، ج٦، ص١٧٦.
(٢) البيدق:**أخبار المهدي**، ص٢١،٢٢،٢٣.
(٣) قرية من قرى تاوريرت الحالية بإقليم سجلماسة، ينظر البيدق: نفسه، ص١٣.
(٤) نفسه، ص ص٢٠.
(٥) **العبر**،ج٦،ص٤٦٨،النويري:**نهاية الأرب**،ص ص٣٩٧، ٣٩٨،الناصري: **الإستقصا**،ج٢، ص٨١.
(٦) البيدق: م س، ص٤٥.
(7) Ferhat (H) :" Le livre instrument de savoir et objet de commerce dans le Maghreb médiéval ", **Hesperis, Tamuda, 1994, p66**.

كقضية الإرث، والتكيف مع الوضعية الجديدة المتمثلة في انتقال الزوجة للسكن مع زوجها عند أقارب زوجها، لجأ سكان بعض المدن للتخفيف من حدة هذا التغيير المفاجئ على بناتهم،إلى استحداث عادة جديدة،تتمثل في سماح الآباء لأزواج بناتهن بالإقامة في ملك أزواجهن والتصرف في مالهن،وبررت تلك العادة بـ "الإرفاق "، كما حدث في" إفريقية بمدينة قفصة،والعادة الجارية بزويلة والمهدية، إذ يسكن الزوج مع زوجته في داره"[١]، ونتج عن ذلك ، تغيير تدريجي من عادة الانتساب للأم كالمرابطين إلى عادة الانتساب للأب عند الموحدين، ولكن هذا التحول التدريجي ما لبث أن اصطدم بمسألة الإرث المعقدة !، إذ كانت النبت هي وحدها التي ترث الثروة المادية، ولكن في عهد الدولة الموحدية فرض عليها الوضع الجديد أن تتخلى عن الإرث لعائلتها،وقد أخبرنا الونشريسي أن البنت عندما تتزوج:" تتركه"[٢]،لأنه من العادة ألاّ يقسم الإرث بين الجنسين في عهد الدولة المرابطية، لكن يترك الإرث كله للجنس الذي يبقى مع الأهل،وهو في الحالة الجديدة للذكور، فحرمت منه الإناث، وورث الذكور الثروة، وأضافوها للسلطة التي كانت لهم من قبل، وربما أصبح حرمان البنت من الإرث عادة مستقرة ابتداء من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[٣]،إذ ظهرت هذه العادة لأول مرة في أقدم المناطق احتكاكا بالإسلام،وأكثر المناطق التي استوطنها العرب الفاتحون بشمال إفريقيا، والتي لم تعرف إلاّ المذهب السني ـ باستثناء المذهب الشيعي خلال العهد الفاطمي ـ، فقد توطأ أهل قفصة منذ ذلك القرن على حرمان البنت من الإرث، وظلت تلك العادة مستمرة فيها حتى خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[٤]. يتضح مما سبق أن عادة حرمان البنت من الإرث لم تكن عادة بربرية قديمة لما ذهب إليه جل الباحثين المحدثين[٥]، أما عادة إرث الخال القديمة فقد أجازها الفقهاء في حالة إذا لم يكن له وريث [٦].

---

(١) الونشريسي:**المعيار المعرب والجامع المغترب في فتاوى أهل افريقية والمغرب**،أخرجه جماعة من العلماء بإشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الرباط،ط١٩٨١،ج٩، ص١٥٠.

(٢) نفسه، ج١١، ص٢٩٣.

(٣) عن حرمان البنات من الإرث، ينظر، الونشريسي: نفسه، ج٨، ص٤٤،ج٩، ص١٥٣.

(٤) نفسه:ج١١،ص٢٩٣.

(٥) عبد الله عنان:**عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص٢٤٦.

(٦) ينظر، الونشريسي:م س،ج٩، ص٢٢٧.

أما **الثالثة،** كان مسلسل التحول الاجتماعي هذا قد بدأ بالمدن أولا، ومن المدن الشمالية إلى المدن الجنوبية،ثم السهول والجبال ليصمد بالمناطق الصحراوية إلى يومنا هذا. لا بل إن القبائل العربية التي نزحت خلال الحقبة الوسيطيّة إلى الصحراء،تأثرت هي الأخرى بتقاليد الصنهاجيين في هذا المجال، حسب ما أكدته المصادر التاريخية والمتمثلة في مشاركة المرأة في الحياة العامة عند القبائل الصنهاجية وذلك منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ففي سنة٤٦٠هـ/١٠٦٧م أشار البكرى عنها في مركز تجاري صحراوي بمدينة تادمكا،حيث كانت النساء تقمن باستضافة التجار الواردين إلى المدينة في منازلهم، لعدم وجود فنادق لإيوائهم كما هو الشأن في بعض مدن الشمال، فقال:"وأهلها بربر مسلمون، وهم يتنقبون كما ينتقب بربر الصحراء..، وهن (نساؤهم) يتلقين التجار إذا جاؤوا إلى بلادهم...وهن يبادرن التجار، أيتهن تحمله إلى منزلها"[١]، وفي سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م زارابن بطوطة مضارب قبائل صنهاجة منطلقا من سجلماسة إلى ولاتة، واستقر بمدينة ولاتة مدة غير قصيرة، وقد لاحظ أن اغلب سكان المدينة المذكورة ينتمون إلى قبيلة مسوفة إحدى أهم القبائل الصنهاجية الكبرى والمشهورة في الصحراء منذ العهد المرابطي، ولمس عن قرب، خلال المدة التي قضاها بالمدينة،عاداتهم الاجتماعية وتقاليدهم، ومما اثأر استغرابه منها واندهاشه، المكانة التي تتمتع بها المرأة هناك، إذ يقول:" وأكثر السكان بها من مسوفة،ونساؤها الجمال الفائق، وهن العظم شأنا من الرجال، وشأن هؤلاء القوم عجيب وأمرهم غريب"[٢]، وفي سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م زار الوازن مضارب بعض قبائل صنهاجة فأكدوا استمرار هذه العادة إلى التاريخ المذكور،إذ يقول:" ونساؤهم ممتلئات لحما وشحما..، يتحدثن بظرف يمددن أيديهن عن طيب الخاطر، وقد يسمحن للرجال بلثامهن، لكن تعدي ذلك يؤدي إلى قتال الرجال بضراوة منتهية، فهم في ذلك أعقل منا، لا يقبلون الخدعة في أعراضهم بأي ثمن"[٣].

وجل المعلومات الواردة في شهادة هؤلاء الرحالة مازالت مستمرة عند أحفاد قبائل صنهاجة

---

(١) البكري: م س،ص١٧٥.

(٢)ابن بطوطة:**تحفة النظار في عجائب الأمصار**،تح ،علي المنتصب،بيروت ، ط ١٩٨٥،٤،ص٧٧.

(٣)الوزان: **وصف إفريقيا**،تر، محمد حجي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،الرباط،١٩٨٠،ج١، ص٤٩.

والمتمثلة في المرأة التارقية التي تتمتع بحرية، وقيل أنها لم تتمتع بها المرأة في بقية المغرب الإسلامي، فالمرأة الليبية في فزان، والتارقية في مدينة غات وغيرها...فهنَّ غير محجبات ويشاركن في الحياة العامة، ويجالسن القبائل، ويختلطن بالرجال، فيدلين بآرائهن من غير استحياء ولا حرج،أضف إلى ذلك أنّهن يبدين زينتهن للأقرب والأبعد على حد سواء[١]،كذلك الحال في بلاد الجزائر[٢]، فحرية المرأة التارقية لا حدود لها أبدًا،والرجال يحترمون نساءهم،وإذا رفع الرجل صوته أمام زوجته، فقل يارحمان يا رحيم، فإنه سرعان ما يُطرد من العشيرة، لأنه أساء إلى زوجته، ورفع صوته عليها، وإذا أعجبت الفتاة التارقية بفتى، فإنها هي التي تتقدم لخطبته من أهله، وربما تقطع مسافات طويلة لتزور خطيبها الذي طال اشتياقها إليه، كما تندر عندهم عادة تعدد الزوجات، وكذلك الطلاق،أما حرية المرأة التارقية في بلاد تونس[٣] فهي لا حدود لها أيضا، ومع ذلك كلّه فإنها لاتنسى وقارها أبدًا ،وهذا هو الترابط القوي بين نساء التارقيات بين الأمس واليوم [٤]. والميزة الرابعة، أنه ابتداء من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تعايش النظامان الأسريان معا، بهذه الدرجة أوتلك، وحسب المجال طيلة العصر الوسيط ، كما استمرت بقايا من عادات الأسر الأميسية إلى يومنا هذا، ومنها حسب علمنا إطلاق كلمة "الخال" على كل شخص غريب بالعامية بالمغرب الإسلامي،وبالأمازيغية على السواء، ومنها تسوّق النساء بجبال الريف وإقامتهن لأسواق خاصة بهن ببعض مناطق الأطلس الصغير[٥]، أمافي بلاد السوس بالمغرب الأقصى نجد عرف "تمازالت "التي ترجمها فقهاء المنطقة ترجمة حرفية بـ "السعاية والجارية"، وكما سماه بعض الشمال "حق الشقا "، وتعني في عرفهم حق المرأة التي طلقها زوجها وتوفي عنها، في أن تحصل على نصف الثروة التي اكتسبها الزوجان مدة زواجهما كمقابل لأتعابها [٦].

ومن آثار الإجراءات التي اتخذها الموحدون، تقلص عادة السفور بالمدن، وقلة عدد المنتسبين إلى ــــــــــــــ

(١)محمد كمال غلاب: **عالم النساء في التاريخ**، دار الإيمان، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص١٦٣.

(٢) نفسه، ص١٩٥.

(٣) نفسه، ص١٦٢.

(٤) كان الرجل الترقي قبل اعتناقه الإسلام، لا شيء يمنعه إذا دخل عليه ضيف يريد إكرامه أن يقدم زوجه له، وذلك إظهارا لكرمه، أما إذا رفض الضيف ذلك و ردَّ هذا،فيعد ذلك إهانة لصاحب البيت، وبالتالي يغضب غضبا شديدا، ويُعد إهانة لزوجه وطعنا في جمالها. وبعد الإسلام بطلت هذه العادة القبيحة، محمد كمال غلاب: نفسه، ص١٦٢.

(٥) الوزان:م س، ج٢، ص٧٣.

(٦) الملكي الحسين:"تمازالت "،مجلة **تيفاوت**، عدد٧،جانفي - فيفري١٩٩٦، ص٥٨.

أمّهاتهم بعد القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي،حيث تبدى ذلك لدى العصبية الحاكمة من الموحدين،التي نجحت في تبني أعراف الأسرة الأبيسية في صورتها الإسلامية وبكيفية نهائية، من تعدد الزوجات، والتسري، وتطبيق الشرع الإسلامي على الأحوال الشخصية وغيرها. على كل،فإن دور المرأة الموحدية كان عظيما في مسارها التاريخي والحضاري، وهذا ما سنحاول إبرازه في دراستنا لاحقا.

ثالثا : عصربني حفص(٦٢٨-٨٣٩هـ/١٢٣٠-١٤٣٥م).

امتازت المرأة في عهد الدولة الحفصية دون غيرها من النساء في المغرب الإسلامي بمكانة اجتماعية متميزة ،كحق الزوجة في طلب تفريقها من زوجها، وذلك عند توفرها الشروط التالية: **التفريق لعدم الإنفاق** ، المعلوم بأن النفقة هي ما يدفعه الإنسان لمن يعوله من أقاربه أو مملوكه وزوجته،والنفقة واجبة على الزوج لزوجته بدليل ما جاء بقوله تعالى:**"**أسْكِنوهُن مِنْ حيْثُ سَكَنْتم من وجدكم وَلاّ تضَارُوهن لتضيقُوا عَليْهن وَإن كنّ أولات حَمل فَانْفِقوا عَلَيْهن حتّى يَضَعْنَ حَمْلهنّ فَإنْ أرْضَعْنَ لَكَمْ فَأتُوهُنَّ أجُرَهُنَّ وَأتْمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أخْرَى**"**(١).هذه الآية تدل على وجوب النفقة للزوجة من باب أولى. لهذا فقد أوجب القاضي الحفصي على الزوج نفقة زوجته بقوله:**"** تجب النفقة للزوجة على الزوج من حين العقد **"**،وقد حدد عناصر النفقة وهي ما يلزم الزوج بتوفيره لزوجته وتشمل النفقة الطعام والكسوة سواء كانت شتوية أم صيفية وتهيئة دار السكن والصرف عليها في ما تحتاجه من علاج سواء كان ذلك في أجرة الطبيب أم ثمن الدواء أو غيرها من النفقات الأخرى اللاّزمة للشفاء. كما أن الزوج ملزم بتقديم خادمة لها في حالة وجود خادمة مخصصة لها قبل الزواج(٢).

وبعد أن عرفنا النفقة وما تشمله، نبحث في حق الزوجة طلب التفريق من زوجها لعدم الإنفاق، فقد أكد على ما يلي:**"**للزوجة أن ترفع الدعوى بطلب التفريق من زوجها في الحالتين الآتيتين: امتناع الزوج عن النفقة عليها دون عذر مشروع، وتعذر تحصيل النفقة من الزوج بسبب تغيبه أوفقده واختفائه والحكم عليه بالحبس مدّة تزيد على السنة**"**(٣).

---

(١)الآية ٦ من سورة **الطلاق** .

(٢)البرزلي:**جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**،د،ك،و،تونس ، رقم ٤٨٥٠،و١٤أ،و ١٤ب .

(٣) نفسه،و١٤ب.

نستخلص من هذا النص بأن القاضي قد أعطى الحق للزوجة التي يمتنع زوجها عن تقديم النفقة لها أن تطلب الطلاق بينها وبينه.

وحق الطلاق إذا تزوج عليها: فقد أشارالبرزلي إلى وثيقة جاء فيها:**"** يشهد من يوقع اسمه عقبي هذا الرّسم من الشهداء بمعرفة الزوجين فلان وفلانة المعرفة التامة، وأن فلانا المذكور مؤذ لزوجته فلانة ومضر بها في نفسها أوفي مالها أوفيهما، ومسيء إليها وتكرر بالإضرار عليها من غير ذنب يستوجب به ذلك**"**(١)، مع الأسف، يبدو أنه رغم حرص القوانين الشرعية على حقوق المرأة غير أن البعض تمكن من الإفلات من هذا الشرط، عن طريق الحيلة الفقهية مثل ما عمل به الفقيه البرزلي لما عزم على الانتقال من القيروان إلى تونس، ورفضت زوجته القيروانية الذهاب معه إلى تونس إلاّ بشرط:"وهو أن يفوّض لها كتابيّا حق تطليق أية زوجة أخرى يتزوّج بها، فالتجأ إلى الحيلة - وقد كان يتباهى بها! - وأودع عند شيخه أبي محمد الشبيبي وصديقه أبي عبد الله الفاسي وثيقة استرعاء**"**(٢).

وقضية الأمان لبنات يحي ابن غانية: فقد أشار بن أبي ضياف إلى الموقف الإنساني الذي سلكه السلطان الحفصي اتجاه نساء المسلمين فقال:**"**توفي يحي بن إسحاق ابن غانية سنة (٦٣١هـ/١٢٣٤م) في مدينة مليانة على نهر شلف بالمغرب الأوسط ، بعد أن أرسل بناته إلى الأمير أبي زكرياء يحي الحفصي وأوصاه بتعهدهن،وقد بربهن أبو زكرياء وأسكنهن في بيت خاص، كما عرض عليهن أن يزوجهن فرفضن وبقين عانسات(٣). مثل هذا التصرف النبيل والدبلوماسية المحنكة،اشتهرت تونس بكونه موطن كل جريح، ومأوى كل غريب يبحث عن الأمان، فغدت تونس موطن الأمن والأمان بفضل هذه الحادثة التاريخية.

كما أسهمت النساء العامة في اتخاذ قرارات حاسمة في بعض قضايا سياسية، التي تمس مصير البلاد، كما هوالأمر بالنسبة لعجوز كانت قد دلت على مكان اختفاء الداعي اسمه " أحمد بن مرزوق ابن أبي عمارة المسيلي"،الذي ادعى أنه الفاطمي المنتظر، عندما كان مختفي عند رجل أندلسي من عامة الناس،يقال له أبو القاسم القرمادي في داره قرب الصفارين،فأخرج من الدار

---

(١)البرزلي: نفسه،و١٤ب.

(٢)محمد حسن:**المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى،١٩٩٩،ج٢،ص٧٩١.

(٣) ابن أبي ضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ط٢،دار التونسية للنشر،١٩٧٦،ص٢١٢.

وحُمِلَ للأمير أبي حفص عمر سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م)، فقتله أبي حفص، وأمر بهدم الدار التي اختفى فيها فهدمت في الحين"[١].

واشتهر السلطان أبو زكرياء يحي بخيريته التي أثبتها بإجارته لبنات الثائر"ابن غانية "الثلاث[٢]،في قصر بالعاصمة ـ عرف باب حيه باسم" باب البنات "[٣].وبالإضافة إلى ذلك، فقد ساعد على ترقية مستوى الحياة العائلية في أوساط الأمراء وأقاربهم،وفي أوساط الذين كانت لهم صلة بهم أمهات وزوجات أكثر الأمراء اللائي كن نصرانيات وجلبن معهن كثيرا من التقاليد الطيبة،وأساليب العيش والتربية،ودخلن في الإسلام عن طيب نفس، وأبدلن أسماءهن، نذكر على سبيل المثال لا الحصر،والدة الأمير أبي عمر عثمان(٨٣٩ـ٨٩٣هـ /١٤٣٥ ـ١٤٨٨م)،التي كان اسمها **مارية** فأصبحت تدعى الأميرة **مريم** أو **ريم**[٤]،كذلك نجم عن هذه المصاهرة توافد عائلات الأميرات المسيحيات بصورة كبيرة على تونس،وقد حظيت بمكانة محترمة لدى سلاطين بني حفص الذين اتصفوا بالتسامح الديني، ومنهم نصارى وفدوا على الأمير أبي زكرياء لتهنئته بتقلد الإمارة، فأنزلهم بالعاصمة بمساكن عرف باب حومتها باسم ـ باب العلوج ـ نسبة لهم [٥].

نستنتج أن المرأة الحفصية سبقت غيرها من نساء المغرب الاسلامي في حق اختيار الزوج، وحق الطلاق، كعرف دائم في المجتمع التونسي، ليس في العصر الوسيط فحسب، وإنما مازال هذا الحق وارد إلى يومنا هذا .فكيف هو حال جارتها عند بني زيان؟.

رابعا: عصربني زيان (٦٣٣ـ٧٩٦هـ/١٢٣٥ـ١٣٩٣م).

تتفق جلّ المصادر على أن المجتمع الزياني قد تبنى أعراف الأسرة الأبيسية في صورتها الإسلامية، كتعدد الزوجات، والتسري، وتطبيق الشرع الإسلامي على الأحوال الشخصية، ومع هذا وردت ثلاث إشارات عند ابن خلدون تؤكد بقايا بعض الأسر الأميسية ،**الأولى**، انتسبت بعض أمراء بني عبد الواد إلى أمهاتهم مثل عبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع المشهور

---

(١) عبد الواحد المراكشي:م س،ص١٤٦.
(٢) أحمد بن عامر:**الدولة الحفصية**،دار الكتب،د ت،تونس، ص٤٣.
(٣) ابن أبي ضياف: م س، ص٢٣٧.
(٤) نفسه، ص٢٣٧.
(٥) حومة العلوج بتونس:ما يزال إلى اليوم نهج يسمّى نهج ـ باب العلوج ـ وهو متفرع عن شارع باب البنات الواصل إلى القصبة،ابن أبي ضياف:م س، ص٢٣٧، هامش رقم ٧٢.

بأمه **حنينة** فعرف "بابن حنينة"[١]، أخت السلطان يغمراسن بن زيان، كما نجد "عطية بن موسى" قد نسب إلى بني **تاسرغينت** [٢]- اسم امرأة - كما اشتهرالوزيرعسكر[٣]باسم أمه **تاحضريت** [٤] أي بـعسكر ابن تاحضريت.

والثانية، موقف الأميرة [٥] بنت السلطان أبي إسحاق الحفصي عند وفاة زوجها السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن في سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م) لقد ضربت المثل والقدوة في الصبر على ماأتاها،وكتم السر على الناس حتى يحين الوقت لإعلان على وفاة زوجها السلطان، ويخبرنا ابن خلدون[٦] نقلا عن شيخه "الآبلي"[٧] بهلك السلطان عثمان بن يغمراسن بن زياد، وقد صبّ له سمًّا في اللّبن، فقال:" جاء الخادم إلى قعيدة بيت زوجه بنت السلطان أبي إسحاق ابن الأمير أبي زكرياء ابن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب تونس وأخبرها الخبر"[٨]، وماذا تصنع امرأة في ذلك الموقف أكثر مما صنعت زوجة السلطان عثمان بن يغمراسن آنذاك؟، فقد ابتليت بموت زوجها وصبرت فأحسنت الصبر، وكتمت السر على ناسها وأعدائها خونا من زعزعة عرش بني زيان، وتناحر الورثة على العرش،وحرصا منها على العرش بعثت إلى ابنيه محمد أبي زيان وموسى أبي حمو فعزتهما عن أبيهما".وأحضر مشيخة بني عبد الواد، وعرضوا لهم بمرض السلطان، واندهشوا لمرض السلطان ولم يأمنوا بما سمعوا فقال أحدهم:" فإن يكن قد هلك فخبرونا، فقال له أبو حمو: وإذا هلك فما أنت صانع ؟ فقال:إنما نخشى من مخالفتك،وإلاّ

---

(١) **العبر**،ج٧، ص١٨٢.

(٢) ابنة الشيخ مهيب بن نصر من بني يرناتن إحدى بطون توجين، تزوجت من الشيخ عبد القوي،وأنجبت له أولادا يعرفون بأمهم،ابن خلدون، نفسه، ج٧، ص ص٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١.

(٣)هو وزير سلطان الأندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبي الوليد،ابن خلدون: م س،ج٧، ص٥٤٥.

(٤) نفسه، ٧،ص ص٦٥٦،٦٥٥.

(٥) نفسه، ج٧،ص١٩٧.

(٦)نفسه،ج٧، ص١٩٧.

(٧)هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني (ت٧٥٧هـ/١٣٥٦م) صاحب العبارة الشهيرة: "إنما أفسد العلم كثرة التواليف،وإنما أذهبه بنيان المدارس"، ينظر،عبد الشكور نبيلة:" القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية"،**رسالة الماجستير**،جامعة الجزائر،١٩٩٧ - ١٩٩٨م،ص ص١٢٦،١٢٧،١٢٨.

(٨) ابن خلدون:م س،ج٧،ص ص١٩٧، ١٩٨.

فسلطاننا أخوك الأكبر أبو زيان،فقام أبو حمومن مكانه،وأكب على يد أخيه يقبلها،وأعطاه صفقه يمينه ، واقتدى به المشيخة ، فانعقدت بيعته لوقته،واشتمل بنو عبد الواد على سلطانهم"[١]. هكذا،أبلت الأميرات بلاء حسنا في سبيل البلاد.

أما الإشارة **الثالثة**، تتمثل في مدى حرص نساء بني زيان على الشرف والعفاف والتديُّن، وكن صالحات وحافظات للغيب، يخبرنا عبد الرحمان بن خلدون[٢] نقلا عن شيخه " الابلي " بحالة البلاط الزياني، وبينما السلطان أبو زيان [٣] وأخوه أبو حمو[٤] يفكران في مصير تلمسان و أهلها بعد أن دام الحصار قرابة تسع سنين[٥] "إذ بالخادمة " دعد " قهرمانة القصر بأن بنت السلطان أبي إسحاق حظية أبيهم خرجت من القصر إليهم، فوقفت وحيّتهم تحيّتها وقالت:" تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم، ما لنا وللبقاء، و قد أحيط بكم وأسف لالتهامكم عدوكم ولم يبق إلاّ فواق بكيئة لمصارعكم ؟ فأريحونا من معرّة السبي وأريحوا فينا أنفسكم، وقربونا إلى مهالكنا،فالحياة في الذلّ عذاب والوجود بعدكم عدم، فالتفت أبو حمو إلى أخيه وكان من الشفقة بمكان وقال:لقد صدقتك الخبر فما تنتظر فيهن ؟فقال:يا موسى،أرجئني ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا،ولا تشاورني بعدها فيهن، بل سرح اليهود والنصارى إلى قتلهن وتعال إليّ نخرج مع قومنا إلى عدوّنا فنستميت ويقضي الله ما شاء، فغضب له أبو حمو و أنكر الإرجاء في ذلك وقال: أنا نحن والله، ونتربص المعرة بهن وبأنفسنا وقام عنه مغضبا، وجهش السلطان أبو زيان بالبكاء"[٥].

---

(١) **العبر**، ج٧،ص ص٢٠٠.

(٢)نفسه، ج٧، ص٢٠١.

(٣) هو"أبو زيان" ابن "أبي سعيد بن أمير المسلمين " أبي يحي يغمراسن بن زيان "، ولد سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م)، بويع سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م)،توفي سنة (٧٠٧هـ/١٣٠٧م)،ينظر، يحي بن خلدون : **بغية الرواد**،ج١، ص٢١٠.

(٤)هو أبوحمو ابن السلطان أبي سعيد،وأخو" أبو زيان "،ولد سنة(٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)،بويع سنة (٧٠٧هـ/ 1307م)،توفي سنة (718هـ/1318م)، يحي بن خلدون: م س،ج١،ص ص٢١٤،٢١٢.

(٥) حدد ابن خلدون مدة الحصار:" بثماني سنين وثلاثة أشهر"،**العبر**،ج٧، ص١٩٧، بينما حدده ابن مرزوق بـ:" تسع سنين"،**المجموع**،مخطوط،المكتبة الوطنية،الجزائر،رقم ١٣٤٢و١٥أ ،أما القلقشندي بـ:"دام عشر سنوات"، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،إعداد محمد قنديل البقلي،عالم الكتب ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ،ج٥،ص١٥٠.أما الأستاذ عبد العزيز فيلالي فقد حددها حسب المصادر العامة بـ:" ثماني سنوات وثلاثة أشهر وخمسة أيام "، **تلمسان في العهد الزياني**،ج١،ص٣٧.

(٦) **العبر**، ج٧، ص ٢٠٠.

يبدو من خلال ما ذكر أن نساء البلاط الزياني كن يتصفن بما جاء في قول الله عزّ و جلّ:"الصَّالحَات قَانِتَات حَافِظَات لِلغَيْب بِمَا حَفِظَ الله"[١].فمن طبيعة أميرات بني زيان أنهن حافظات لحرمة الرباط المقدس بينهن وبين أزواجهن في غيبتهم في أسرارهم وأولادهم وأموالهم وأنفسهن وأهلهم وأقاربهن، ولماكان الأمر مستحيلا ضحين بأنفسهن للحفاظ على عزتهن، وشرفهن.

ويأتي الفرج بعد الشدة، لا تظن المرأة الزيانية أن مرارة الابتلاء والشدة ستبقى طويلا دون فرج ونصر من الله. ففي يوم الأربعاء ٧ ذي القعدة سنة ٧٠٦هـ الموافق ١٠ ماي ١٣٠٧ [٢]، تخلّص حينئذ أهل زيان وأهل المدينة من عدوّهم، قال ابن جحاف [٣]: "وأنا بمكاني بين يديه (السلطان) واجم،لا أملك متأخرًا ولا متقدّمًا، إلى أن غلب عليه النوم فما راعني إلا حرسي الباب يشير إليّ أن أذن السلطان بمكان رسول من معسكر بني مرين بسدَّة القصر،فلم أطق أرجع جوابه إلا بالإشارة، وانتبه السلطان من خفيف إشارتنا فزعا، فأدنته فاستدعاه، فلما وقف بين يديه قال له:إن يوسف بن يعقوب هلك الساعة، وأنا رسول حافده أبي ثابت إليكم. فاستبشر السلطان واستدعى أخاه وقومه، حتى أبلغ الرسول رسالته بمسمع منهم"[٤]. وهكذا نال أهل تلمسان الحرية في شهر ذي الحجة من سنة (٧٠٧هـ /١٣٠٧م) [٥]وزال ضيقهم وحبت نفوسهم بانجلاء الحصار، فضرب السلطان نقودا جديدة بهذه المناسبة كتب عليها:"وما أقرب فرج الله"، تبركا وتيمنا بما منّه الله عليهم من الفرج بعد عسر طويل[٦].

خامسا: عصربني مرين(٥٩١-٩٧٧هـ/١١٩٥-١٥٥٠م).

إذا ساهم الموحدون في تغيير الشكل الأسري بالمغرب، فإنهم لم يحالفهم النجاح كثيرا إلا في المدن. أمّا البوادي فقد استمرت فيها بعض عادات الأسر الأميسية، مع اختلاف في ذلك بين ــــــــــــــــــــــ

(١) الآية ٣٤ من سورة **النساء**..
(٢) محمد بن عمرو الطمار: **تلمسان عبر العصور**،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،١٩٨٤،ص١٠٢.
(٣) هو خازن الزرع،ينظر،ابن خلدون:م س، ج٧، ص١٩٩.
(٤) نفسه،ج٧،ص٢٠٠.
(٥) ذكر الأستاذ عبد العزيز فيلالي بأن جمهرة المؤرخين اختلف في سنة رفع الحصار، وفي عهد من ؟ **تلمسان في العهد الزياني**، ج١، ص٣٧.
(٦) بن قربة صالح: **المسكوكات المغربية**،ص١٥٢.

الجهات والناطق المغربية[١]، فالقبائل الزناتية كانت ما تزال تحتفظ ببعض منها، فقد أخبرنا البيدق[٢]:" أن تشفعت عجائز قبيلة كومية لدى عبد المؤمن في الشيخ بوكنون الذي ضمن عشرة أشياخ قرر قتلهم ". كما نلاحظ لدى المرينيين قلة تعدد الزوجات في بداية دولتهم و اتخاذ الجواري. كما انتسب البعض من أمرائهم لأمهاتهم مثل يعقوب بن عبد الحق المشهور بابن تبطويت (نسبة إلى قبيلة بطوية)[٣].

كما أبلت المرأة المرينية بلاء حسنا في سبيل الدفاع عن قبيلتها وأرضها ويذكر ابن عذاري[٤] أنه:" كانت العجائز من نساء المرينيين عندما دخلوا المغرب تتكلف برعاية أسرى الحرب حتى يتقرر مصيرهم، وإيصالهم إلى الخصم، ولوحظ تطبيق هذا العرف بمناسبة أول انتصار لهم على الموحدين سنة (٦١٣ هـ/ ١٢١٦م).

وبقيت المرأة المرينية تتمتع بالحرمة أثناء صراع القبائل فيما بينها حتى بداية القرن العاشر الهجري، يذكر الوزان[٥]: "في نواحي هسكورة لا يستطيع أحد - بسبب الحرب فيها - أن يسير في البادية إلا النساء والعبيد الذين ينتقلون بحرية "[٦].وأضاف كذلك أنه في إقليم حاحة: "إذ أراد أحد الأهالي أن ينتقل من مكان لآخر، فعليه أن يصحب معه بعض رجال الدين أو النساء من فريق خصومه"[٧].وفي جبل سكيم،وضع أسرى الوطاسيين في يد الصنهاجيين فـ "مثلت بهم نساؤهم كعلامة الإذلال، وذلك أن الرجال يترفعون عن قتل الأسرى و يضعونهم بيد النساء "[٨].

وأحسن مثال لتعايش نمطي الأسرة جنبا إلى جنب، وصراعهما في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي تتجلى في حياة الصوفي يعزى المتوفى سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨ م)، إذ وقع الخلاف بين جدتيه حول أمور كثيرة تهم في اختيار اسمه وتربيته ومستقبله، فأصرت جدته من أبيه هي

---

(1)Khanboubi(A):**Les premiers sultans mérinides**,ed, l'Armathan, Paris, 1986, p171.

(٢) أخبار المهدي،ص٥٦.

(٣) النويري:**نهاية الأرب**، ص٤٥٣، ينظر أيضا، هاشم العلوي القاسم:م س، ج٢،ص١٥٢.

(٤) **البيان المغرب**،ص ص١٥،١٤.

(٥) **وصف إفريقيا**، ج١، ص١٣٠.

(٦) نفسه، ج١،ص ص٧٧، ١٤٦.

(٧) نفسه، ج١، ص١٤٧.

(٨) مرمول:**إفريقيا**،تر، محمد حجي،وآخرون،طبعة،١٩٨٨، م س،ج٢،ص ص٦٣، ٦٤.

وأهلها على تسميته "محمد"، وأصرت جدته من أمه هي وأهلها على تسميته" بيعزى" وغلب عليه هذا الاسم، ورجحت كفة الجدة من الأم لأنها هي التي أشرفت على تربيته ودراسته، فأحسنت[١].

كما لعبت المرأة المرينية دورا هاما في الحياة العامة، فقد تمتعت بحرية نسبية، وشاركت في الحياة السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية، بالرغم من فرض الحجاب عليها للحد من حريتها وعزلها عن الرجال ومنعها من الاختلاط بهم، فنجد الأميرة **الحرة مريم**[٢] تشارك زوجها في تدبير شؤون الحكم بتوطيد العلاقة بين المغرب ومصر .

كما قامت أميرات أخريات بدور اجتماعي بارز، منهن من أنفقت في سببيل الإحسان وابتغاء مرضاة الله أموالا كبيرة، وأوقفت ممتلكات لها على بعض المساجد، أوعلى الفقراء والمحتاجين، واستطاعت زمرة نساء العامة من العالمات والمعلمات أن يشاركن الرجال تعليمهم، ونشرهم للفضيلة وتحدين ظروفهن العصيبة، وفرضن أنفسهن على الساحة التعليمية وانتزعن ألقابا كانت من خاصة الرجال كالعالم والفقيه والطبيب، سوف نذكر نماذج من هاته النساء حسب إسهامهن في الميادين الحضارية المختلفة شأن غيرهن من نساء المغرب الإسلامي.

----

(١)التوفيق أحمد: **التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن التاريخ وأدب المناقب،** منشورات جمعية المغربية للبحث التاريخي، ١٩٨٨، ص ص١٠٤، ١٠٥ .

(٢)ابن خلدون:**العبر**،ج٧،ص ص٣٥٢،٣٥٠، الناصري:**الإستقصا**،ج٣، ص ص١٢٧، ١٣١، عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب،** طبعة من ١٩٨٦ إلى ١٩٨٩، ج٧، ص ص،٢١٠،٢١١.

ـ خاتمة الباب الأول:

أبرزت المصادر التي تعاملنا معها في هذا الباب عن صور متعددة للمرأة بالمغرب الاسلامي زمن بحثنا، صور اختلفت باختلاف المسار التاريخي لكل دولة سائدة في تلك الفترة.

إذ قامت المرأة بأدوار مهمة على المستوى السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، فهناك من قادت الجيوش فتركت بصماتها في التاريخ المغربي (أنموذج الكاهنة) وهناك من شحذت همم الرجال خلال المعارك، والبعض منهن قمن بأعمال قصد كسب أرزاقهن فعملن في الأراضي وفي البيوت ونسجن الزرابي، وزخرفت المرأة المغربية الأواني وصنعت بإبداع فائق كل ما تحتاجه لمنزلها، أما على الصعيد الاجتماعي كانت المرأة المغربية تحظى بمكانة احترام وتقدير، وذلك حسب اختلاف الذهنيات السائدة في تلك الفترة.

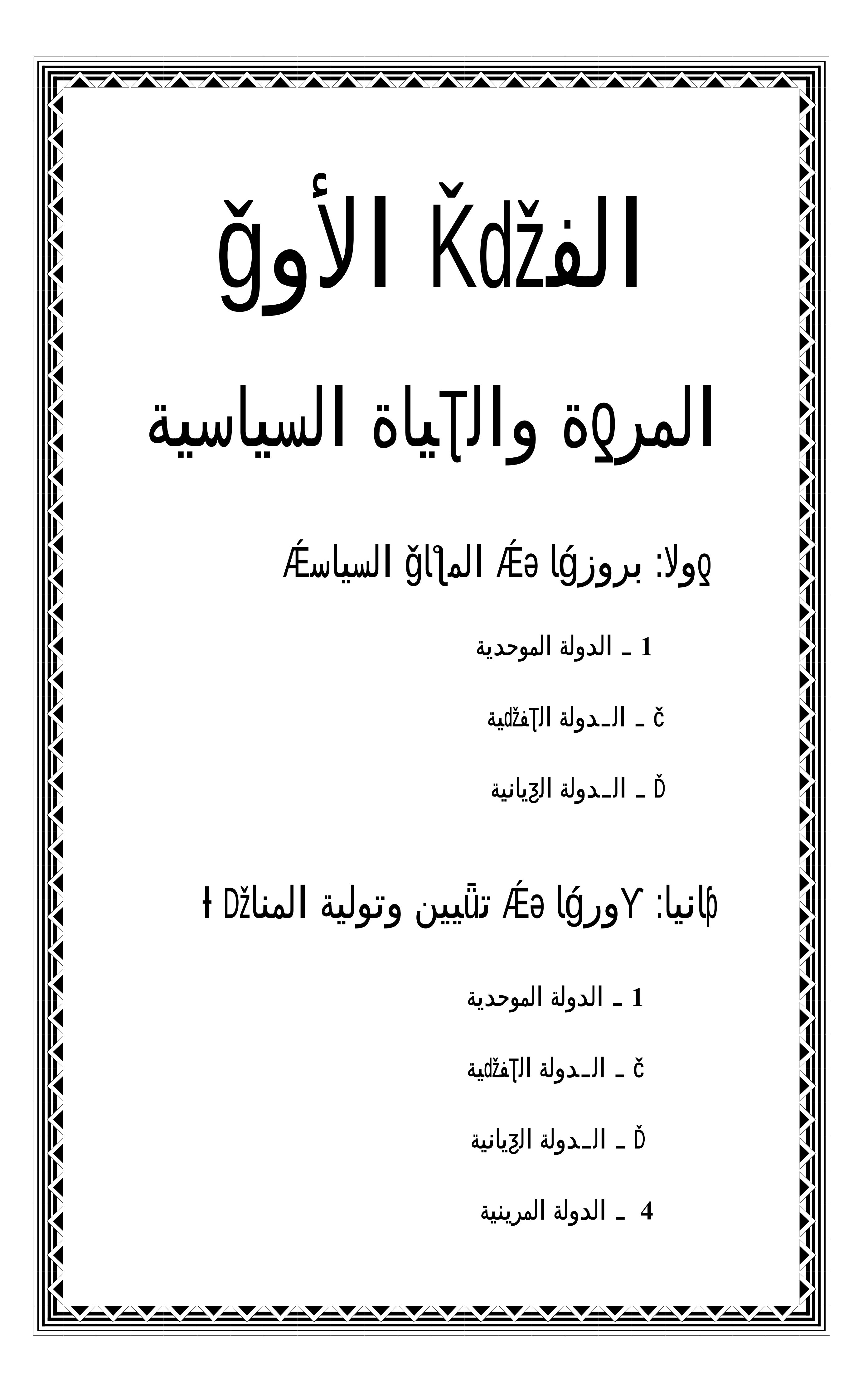
وقد أسهمت المرأة الأندلسية في الحركة الثقافية فنظمت الشعر، وجاءلت العلماء في المجالس العلمية، .

لكن رغم هذه الأدوار التي لعبتها المرأة في المجال المغرب والأندلس في تلك الحقبات، إلا أن المصادر لم تتحدث عنها بإسهاب، ولم تكشف النقاب عن الدور الفاعل التي كانت تشارك به المرأة طوال هاته الفترة، وهذا ما نسعى إليه في الأبواب اللاحقة، حتى نسلط الضوء على إسهاماتها في مختلف مجالات الحياة، ونبين قدراتها وإرادتها في العطاء خلال الفترة التي لم تكن فيها المصادر تتحدث عنها، أي منذ النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وحتى نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي.



الباب الثاني

المرأة والحياة السياسية والعسكرية والدبلوماسية



الفǨdž الأوǧ

المرǤة والǂياة السياسية

ǫولا: بروزǥl Ǽə المǃlǧ السياسÆ

1 ـ الدولة الموحدية

č ـ الـدولة الǂفǆdžية

Ď ـ الـدولة الǄيانية

ǭانيا: Ǘورǥl Ǽə تǈيين وتولية المناDž ƥ

1 ـ الدولة الموحدية

č ـ الـدولة الǂفǆdžية

Ď ـ الـدولة الǄيانية

4 ـ الدولة المرينية

تمهيد:

من خلال استقراء التاريخ السياسي للفترة المدروسة تستوقفنا أسماء لنساء اشتهرن في الميدان السياسي، وخلدن أنفسهن في الأحداث التاريخية المحلية والدولية أيضا،فمنهن من كانت مشاركتها الفعلية،ومنهن من كانت تسدى المشورة،أو حتى بتلطيف جو العلاقات بين أقطار المغرب الإسلامي وباقي بلدان العالم،وهذا ما نعالجه حسب المراحل التالية :

أولا: بروزها في المجال السياسي:

لعبت المرأة المغربية دورًا سياسيًا معتبرًا في التاريخ الإسلامي حيث أسهمت في ترسيخ الأسر الحاكمة،والمحافظة على استمرارها في الواقع لفترات معينة،وهذه المساهمة النسوية تختلف اختلافًا نسبيًا من عصر إلى عصر.

١ ـ الدولة الموحدية:

ومن بين الأسماء النسوية القليلة التي تذكرها المصادر التاريخية[١] في الدولة الموحدية نذكر: **حبابة الرومية**، وهذا هو ما جعل إحدى الدراسات التي تناولت تاريخ هذه الدولة تصرّح بجهلها لنساء وبنات الخلفاء الموحدين باستثناء**"حبابة"** زوجة[٢] المأمون (٦٢٤هـ-٦٢٩هـ /١٢٢٧م-١٢٣١م)، أو الإشارة إلى أن الدولة الموحدية سلمت من تدخل النساء سواء في طور التأسيس أو الازدهار[٣]، ومردّ ذلك إلى تشدد الموحدين تجاه المرأة مثل موقف ابن تومرت في الاختلاط والحرية[٤] في بداية أمرهم أما في طور الضعف والانحلال فقد سجل تدخل واحد لحبابة الرومية هذه[٥].

---

(١) مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح ، سهيل زكار عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،ط١، ١٩٧٩، ص ٢٦٠ ، البيدق :**أخبار المهدي بن تومرت** ، ص ص ٦٩، ٧٠، ابن عذاري: م، س، ق، الموحدين، ص ٢٣٣، ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب** ، ص ٢٥٤.

(٢) لم يكن الأستاذ عفيفي محمود إبراهيم منصفا في حق المرأة الموحدية عندما قال:«بأن المرأة في هذا العهد لم يكن لها أي نفوذ سياسي ...! » **الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب** ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢، ص٢٧٩.

(٣) عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي-تنظيماتهم و نظمهم-** ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص١٤١.

(٤) البيدق: م، س، ص ٤٣.

(٥) عز الدين عمر موسى: م ، س ، ص١٤١.

ولعل ما كان يهم الرايين السابقين هو معرفة دور المرأة داخل هذه الدولة بأنه كان يضاهي إلى حد كبير دور زينب النفزاوية زوجة يوسف بن تاشفين داخل الدولة المرابطية، إلا أن المتتبع لنشاط المرأة ودورها السياسي في الدولة الموحدية سيجده مستمرا طيلة عهدها.

اشتهرت دعوة ابن تومرت[١] بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك امتثالا لقوله تعالى:**"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله "** [٢]، وهو ما ترجمه الحديث النبوي الشريف الذي أورده مسلم في كتابه فيقول: « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »[٣].

وقد شرع ابن تومرت في المنكر منذ عودته من الإسكندرية إلى مسقط رأسه،قبل بيعته، فكسر دنان الخمر والآلات الموسيقية،ومنع النساء من الاختلاط بالرجال،إذ يقول في رسالة بعثها إلى جماعة الموحدين: « وائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، واقطعوا المداهنة وسوء السيرة وجميع عوائد الجاهلية، واللهو، والنياحة والسخط عند المصائب »[٤].

وحينما وصل ابن تومرت هذا إلى مدينة بجاية سنة (٥١١هـ/١١١٨م) قام بمهمة الوعظ وتغيير المنكر،وهو ما أشار إليه ابن القطان[٥]:«ولما حضر عيدا،ورأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء و الصبيان المتزينين المتكحلين مالا يحلّ. فزجرهم و غيّر ذلك عليهم»،أما البيدق[٦] فيصف لنا ما فعله هذا الداعية في مدينة تلمسان قائلا:« أن ابن تومرت ما كاد ينزل بمدينة

---

(١) هو محمد بن تومرت ولد ببلاد السدس الأقصى (ت ٥٢٤هـ/١١٣٠م)، ينظر: رشيد بورويبة: **ابن تومرت**، تر: عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢، ص ص٩، ١٩، المراكشي: **المعجب**، ص١٧٨، ابن القطان: **نظم الجمان**، ص٣٧، ابن الأثير: **الكامل**، ج٨، ص٢٩٤، ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص٤٧٢، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج٤، ص١٣٧، ابن أبي زرع:م، س ، ١١٩، الزركشي:**تاريخ الدولتين**، ص٤، ابن عذاري: م،س، ج١، ص٤٣٥، مجهول: **الحلل الموشية**، ص ص ، ٣٦، ٨٥، وينظر كذلك:

Basset(H) et Terrasse(H) :" sauctuaire et Forteresses almohades",**Hespéris**, t4, 1924, p13.
.Idris(H.R) **: la Berberie orientale sous les Zirides**,paris,1962, T2, p668.
Bourouiba(R) :" A propos de la date de naissance d'Ibn Tûmart **" Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb**, n°1,1967, pp19-55, **Ibn Toumart**, S.N.E.D, Alger, 1974,pp,4,7,10.13.

(٢) الآية ١١٠ **من سورة آل عمران.**

(٣) **صحيح مسلم**، ص ٢١٣.

(٤) البيدق: **أخبار المهدي ابن تومرت**، ص ٤.

(٥) **نظم الجمان**، ص٤١، ٤٢.

(٦) **أخبار المهدي**، ص٤٦، و ينظر أيضا، بورويبة: م، س، ص٤٩.

تلمسان حتى وجد بها عروسا تزفّ لبعلها وهي راكبة على سرج، واللهو والمنكر أمامها، فكسر الدفوف واللهو وغير المنكر،وأنزلها عن السرج» ،وفي مدينة وجدة رأى النساء يستقين، والرجال يتوضّؤون بالقرب منهن،فقال:«أليس هذا منكر،النساء مع الرجال مختلطين ؟ اصنعوا لنا ساقية وصهريجا عند الجامع»[١] ، وهكذا واصل دعوته في المدن التي دخلها.

وبعد الخروج من وجدة، نزلوا بصاء[٢]، فرأى الإمام النساء يبعن وهنّ مزينات محليات، كأنهن قد زففن لبعولتهن[٣]، فغطى وجهه حتى جازهنّ، ولام الفقيه يحي بن يصليتن الذي كان حاضرًا آنذاك وقال له:« أما تتقون الله في تغيير المنكر؟ وإنما يخالفون الله في أفعالهم هلا اعتبروا قوله تعالى:**" و لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها"** [٤].

وقد وردت روايات مختلفة حول لقاء ابن تومرت بعلي بن يوسف في قصر الأمير المرابطي، ويبدو أن أخت علي بن يوسف هي التي اشتكت له وطلبت منه أن يضع حدا لتدخلات ابن تومرت، فقد أشار ابن خلدون[٥] إلى:«أن المهدي قد وعظ أميرة من أميرات المرابطين عندما التقى بها ذات يوم وهي **"الصورة "** أخت علي بن يوسف حاسرة قناعها على عادة قومها الملثمين في زي نسائهم، فوبّخها»، في حين ذكر ابن الأثير[٦]:« أن أمير مراكش استدعى ابن تومرت بسبب سلوكه ومضايقته للأميرة، وذلك أن المهدي لما رأى في المدينة كثيرا من المنكرات،زاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وتعرض يوما إلى أخت الأمير وجواريها، وهن مسفرات،فأنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن، وضرب هو وأصحابه دوابهن، فسقطت أخت الأمير عن دابتها».

وعلى الرغم من التشدد الذي أبداه المهدي بن تومرت إزاء المرأة، إلا أن هذه الأخيرة كانت واعية وعالمة بما يحيط بها، وحافظة لأقوال ابن تومرت ذلك عندما قال: «ليبصرن من طالت منكم حياته أمراء أهل مصر مستظلين بهذه الشجرة، قاعدين تحتها، فلما جلس الغز على الصفة

---

(١) البيدق: م،س ، ص٤٦.

(٢) اسم هذه المدينة "تاوريرت"، أما اسم "صاء "،فهو يطلق خاصة على الوادي الذي يمر بها، ينظر، Levi-Provençal : op cit, p9، و" الصاء" حسب البيدق هي منطقة تقع بضواحي تلمسان، **أخبار المهدي**، ص ٩١.

(٣) البيدق: نفسه، ص ٤٧، ٤٨.

(٤) الآية ٤١ **من سورة النور**.

(٥) **العبر**، ج٧، ص ٣٤١.

(٦) **الكامل**، ج٤، ص ٣٠١.

المتقدمة تحتها، كان ذلك اليوم في تنملل عظيما، اتصل التكبير من جهة، وجاءت النساء يولولن ويضربن بالدفوف، ويقلن ما معناه بلسانهم، صدق مولانا المهدي، نشهد أنه الإمام حقا»[(١)].

وهكذا يتجلّى لنا من حركة ابن تومرت من الإصلاحية مدى مشاركة النساء في السياسة بطريقة غير مباشرة وأنه كان لديهن موقفا لإيجابيًا من المهدوية فيصبحن حريصات على التمسك بها مما يزيد الدولة الموحدية قوة على قوة. فكانت نساء الموحدين خير خلف لخير سلف وقد خص الله عزّ وجلّ بيعة النساء للسول صلّى الله عليه وسلّم في سورة الممتحنة في قوله تعالى: **" يأيّها النبيُّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لاّ يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنّ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ و لا يعصينك في معروف فبايعهنّ و استغفر لهنّ الله إن الله غفور رحيم "** [(٢)].

وقد لجأ المهدي بن تومرت إلى امرأة تدعى **"راحل"** كان قد صادفها في طريقه بملالة، فطلب منها أن تدع ابنها يذهب معه، ثم طلب منها أن تعطيه دابتها لحمل متاعه، فوافقت على طلبه[(٣)]،وما كان موقف **"راحل"**من تقديم ابنها إلى جماعة المهدي للجهاد معه ،إلا دليل واضح على مشاركتها في العمل السياسي من أجل مناصرة دعوة المهدي،الذي كان يحرص على اختيار الرجال، وها هو ابن "راحل" هذه أضحى واحدا من جماعته بفضل قبولها[(٤)] ورضاها.

وعندما توفي ابن تومرت عملت جماعته على كتم أمر وفاته حتى لا يتزعزع صف أتباعه، ويعلم أعداؤه بذلك فلم يعلم بها إلا أهل الدار، وأخته **"زينب"** التي كتمت الخبر عن زوجها[(٥)]، ودليل على حرصها وتقديرها لما سيحدث وينعكس على مصير الموحدين، وبتصرفها هذا عملت على بقاء المذهب الموحدي في طور الستر الذي سيتحول من العمل الدعوي السري إلى قيام الدولة الموحدية.

---

(١) عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص٤١٦، ٤١٧.
(٢) الآية ١٢ **من سورة الممتحنة** .
(٣) البيدق: **أخبار المهدي بن تومرت**، ص ٣٠.
(٤) محمد بن معمر: " عبد المؤمن بن علي في مدرسة ابن تومرت العلمية و الدينية و الحربية " **مجلة عصور**، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، السنة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ع٢، ص١٣٢.
(٥) ابن القطان: م، س، ص ١٧٠.

وبعد الإعلان الرسمي عن وفاة المهدي بن تومرت، قام عبد المؤمن بن علي بإعلان البيعة وجمع الرجال والنساء،طبقا البيدق[1] الذي يقول:" ضم الموحدين وجعل المجلس واستعمل ركائز، وحال بين الرجال والنساء ثم وعظ الناس،وقال لهم في آخر كلامه: بقي عندكم عهد بيعة المهدي رضه ؟ قالوا: نعم، فقعد، ثم وعظ أبو إبراهيم، ثم وعظ عمر أحناج، ثم سائر المشيخة رضي الله عنهم أجمعين، ثم قال لهم: المهدي قد توفي رضي الله عنه، فبكى الناس، ثم قال لهم: اسكتوا فسكتوا، فقال أبو إبراهيم وعمر أضاج وعبد الرحمان بن زجو ومحمد بن محمد لعبد المؤمن:أمدد يمينك نبايعك البيعة التي عقدناها مع الإمام المهدي، فمدّ يده فبايعوه ثم تبعهم سائر الناس حتى إلى الليل»[2].

ويتبين مما تقدم أن هذا الحرص الشديد على وجود المرأة ضمن هذا التجمع لم يكن يهدف إلى الأخذ برأيها في البيعة بقدر ما كان يهدف إلى إبلاغها وتعليمها وإقناعها بالمهدوية لتعيش بداية الحركة عن طريق الوعظ والإرشاد اللذين سبق هذه البيعة ومهدا لها ، وهنا يمكن القول أن المرأة المغربية على الرغم من قلة مشاركتها في الدعوة الموحدية الإعلامية بأعداد كبيرة، إلا أنها عايشت الحدث بكل خلفياته ومسوغاته وإن المتتبع لأطوار الدولة الموحدية يجد أن للمرأة تدخلات بارزة تكاد تعادل تدخلات المرأة المرابطية التي كان لها الحظ الأوفر في المصادر التاريخية التي تعنى بتاريخ هاتين الدولتين.

وربما تستوقفنا في هذه المرحلة ظاهرة مماثلة كان لها على أيام الدولة المرابطية،وهي أن **زينب** بنت علي بن يوسف زوجة يحي بن إسحاق المسّوفي[3] التي قدمت كل ما تملك للأمير عبد المؤمن بن علي عندما دخل مراكش، ولو أن النص التاريخي فيه غموض شديد يخبرنا أنه:"لما استوطن عبد المؤمن مراكش، جمعت زينب المذكورة جميع مالها وذخائرها ورفعت ذلك[4]" والظاهر أن الأموال رفعت للخليفة خاصة و أنه احترمها و لم يبعها مع بقية الأسرى، ولم يجعل دارها بين الفيء أيضًا.

---

(١) **أخبار المهدي بن تومرت**، ص٦٩.
(٢) نفسه، ص ص ، ٦٩، ٧٠.
(٣) ابن عذاري: م، س، ص ص ، ٣٨، ٤٨.
(٤) نفسه، ص ٣٨.

كما عملت **حبابة الرومية** على كتمان خبر وفاة زوجها المأمون الموحدي سنة ٦٢١هـ/ ١٢٣١م، وأظهرت أنه على قيد الحياة لجميع الجنود وعرفت الخاصة بموته،في حين بقي الأمر مكتوما على العامة ، فأجمعوا على بيعة ابنها عبد الواحد الرشيد بيعة خاصة، وذلك في ثان يوم لوفاة والده [١]،وقد اشار ابن عذاري لذلك فقال:" كان المأمون اتفق مع النصارى بما اتفق وانحل ذلك الأمر المنتظم بوفاته وافترق، وقيل أم الرشيد حبابة أرضتهم بمال بعد المأمون فحادوا عن سبيل الحرب وأغلقوا بابه، وسلم الله المسلمين من الروم" [٢]، وهكذا برهنت **حبابة** هذه عن حسن تصرفها عندما وقفت مع مصلحة ابنها، ومن ورائها مصلحة المسلمين، بل وعرفت كيف تخفّف من غضب بني جلدتها النصارى عندما أحرقت لهم كنيستهم ثم عوّضتهم عليها بالأموال.

وفي سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٣م تدخلت **حبابة** مرة أخرى لضبط الأمور بمراكش حيث استدعت ابنها الرشيد من إحدى الغزوات، ووجهت له كتابا تستعطفه وتحثه لتدارك الوضع قبل انخراق الفتن[٣]، ويبدو أن هذه المرأة القوية كان لها نفوذ قوي في البلاط مما جعل الخليفة المعتضد الموحدي الذي تولى السلطة (٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م) يحسبها و يغرمها مالا [٤].

وعلى أية حال فيعتبر تدخل الأميرة حبابة الرومية تدخلا موفقًا في الحالتين فقد ساهمت في إنقاذ الدولة من المطامع والأخطار الخارجية، والوقوع في منعرج الفتن الداخلية التي ستنخر جسمها، ونفي الشيء يقال عن الأميرة **«عزونة»**، أخت الخليفة السّعيد الموحّدي التي لعبت هي الأخرى دورا مهما في الحياة السياسية،فهي التي شاركت في مقتل زوجها بعدما وجدت عنده براءة (مكتوبة) فأوقفت أخاها عليها، وما أن علم هذا الأخير بمحتواها حتى أمر أخته بردها إلى موضعها وأمر بقتله[٥].

وعلى الرغم من عدم الإفصاح عن هذه البراءة إلا إنه يبدو أنها تضمنت مؤامرة سياسية تهدف إلى الإطاحة بالخليفة، الأمر الذي جعل الأميرة **"عزونة"** تقدر خطورتها،وتعلم أخاها

---

(١) ابن عذاري: **البيان المغرب**، ص ١٢٨ ، ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج١، ص ٤٢٥.
(٢) ابن عذاري: ن، م، ص ١٣٠.
(٣) نفسه، ص ص ، ٣٠٥، ٣٠٦.
(٤) نفسه، ص ٣٦٠.
(٥) نفسه، ٣٦٠.

بأمرها، وهذا التصرف يتوقع عقوبته القتل خاصة وأن بلاد المغرب في تلك الفترة بدأت تعرفكيانات سياسية جديدة هدفها الانفصال عن الدولة الموحدية، وقد تكون هذه البراءة تحوي اتفاقا مع إحداهن. و أغلب الظن أن العلاقة بين السعيد وأخته الأميرة **"عزونة"** كانت حميمة وقوية،بدليل أن الخليفة المرتضى[١] (٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م) لما ولي الخلافة قام " بسجن الحرة عزونة هذه أخت السعيد وأغرمها مالا كثيرا وحليا خطيرا "[٢]،وقصد من ذلك الإساءة إلى سلفها.

يتبين مما سبق أن المرأة المغربية قامت هي الأخرى بأدوار مهمة في المجال السياسي سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ونستخلص من الدراسة المقارنة لأحداث التاريخ السياسي نجد أن الأدوار التي قامت بها كل من **حبابة الرومية** والأميرة **عزونة** في الدولة الموحدية تشبه إلى حد كبير دور **زينب النفزاوية** في الدولة المرابطية كما سبق أن أسلفنا، وإن لم تعير المصادر التاريخية المرأة الموحدية الأهمية نفسها التي خصّت بها المرأة المرابطيّة.

أما فيما يتعلق ببعض نساء العامة فقد شاركن هنّ الأخريات في تغيير أمور سياسية داخلية للبلاد وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أخبرنا ابن الأبار عن شاعرة أندلسية تدعى **الشلبية**،فقد كتبت إلى السلطان يعقوب المنصور الموحدي تتظلم من والي بلدها وصاحب الخراج[٣]،فقد ألقيت رسالتها يوم جمعة على مصلى الخليفة المنصور،فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث في القضية، فعرف الحقيقة وأمر للشاعرة الشلبية بصلة[٤].ومهما يكن من شيء فمشاركة المرأة المغربية في الأحداث الداخلية للدولة على الرغم من قلّتها، إلا أنها تفصح بجلاء عن معاناتها في الحياة اليومية للمجتمع الذي تجاذبته المؤامرات والفتن والانقلابات، الشيء الذي ترجم ضعف وتفكك الدولة.

---

(١) هو أبو حفص عمر بن السيد أبي ابراهيم بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن بن علي، ابن عذاري: م، س ،ص٣٨٧.
(٢) نفسه، ص٣٨٩.
(٣) ينظر ترجمة الشاعرة الشلبية في الباب الرابع (الحياة الثقافية)ص .....
(٤) ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة**، ص ٤٩٥.

٢ ـ الدولة الحفصية:

أما عن المرأة في العهد الحفصي(٦٢٨ ـ ٨٣٩هـ/ ١٢٣٠ـ ١٤٣٥م)فقد اهتمت هي الأخرى بشؤون الدولة وأحوال البلاد وأسهمت بعض الأميرات في الجانب الثقافي كتأسيس المدارس التي أضحت مراكز إشعاع ثقافي وحضاري لتونس،مثل السيدة **عطف** وهي رومية الأصل لكنها أصبحت من الأميرات الحفصيات(١)،إذ كانت زوجة لأبي زكرياء الأول ووالدة المستنصر بالله ، وهي التي أنشأت على نفقتها أول معهد علمي مستقل بالحضرة التونسية حيث سميّ **"بالمدرسة التوفيقية "**، أما **الأميرة ريم** فقد أسرها القرصان ثم سيقت إلى تونس مع غيرها، وقد تزوجها الأمير محمد المنصور الذي أنجبت معه ولدًا بويع بالولاية سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م) وكان آخر ملوك بني حفص، وفي عهده وفد عليه جمع من أخواله وأقاربه مهنئين له فأكرم نزلهم وأسكنهم الربض الملاحق للقصبة وعرف ذلك الحيّ باسم **"حومة العلوج"**،وكان هؤلاء العلوج قد تدخلوا في شؤون السياسة الداخلية للدولة الحفصية عن طريق الأميرة ريم هذه(٢).

بالإضافة إلى ذلك أسهمت بعض نساء القرى اللائي أصبح لهنّ شأن معتبر في العهد الحفصي، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر السيدة **زينب أم سلامة**(٣) المعروفة باسم **"غفيرة الساحل"**، وكانت تشارك في حل النزاعات بين الناس داخل القرى وبخاصة النزاع القائم بين القريتين المتجاورتين وهما قرية عروة و ملول بتونس(٤) ،أما السيدة **مريم أم يحي**،القاطنة بمنية الساحل فكان يجتمع عندها بعض المشايخ المرابطين للمشاورة في أمور مختلفة تخص أحوال الناس بالقرية(٥).

---

(١) ابن قنفذ: **أنس الفقير وعز الحقير**،نشره محمد الفاسي وأدولف فور، منشوارت الجامعي للبحث العلمي ، كلية الآداب، الرباط ، ١٩٦٥، ص ص ٨٦، ٨٧حسن حسني عبد الوهاب(ح ح): **شهيرات التونسيات**،ص ص٦٧، ٦٨، محمد العروسي المطوي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**،بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦، ص١٧٦.

(٢) حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص٨١.

(٣) برانشفيك روبير: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**،تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٨، ج١، ص ٢٠٧.

(٤) الدباغ: **مناقب الدهماني**، مخ م،و، ت،ج١، و ٣٣ أ، ٣٩ ب.

(٥) ابن ناجي: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ،تونس ،١٩٩٠، ج٥، ص ص٨٦، ٨٧.

هذه أمثلة قليلة عن دور المرأة مقارنة مع حجم الجتمع التونسي في البادية والحاضرة، إلا أنها تبرز لنا نهوض المرأة بواجبها تجاه الدولة والمجتمع.

٣ ـ الدولة الزيانية:

شهدت الدولة الزيانية في الفترة التاريخية الممتدة ما بين (٦٣٣ ـ ٧٩٦هـ/ ١٢٣٥ ـ ١٣٩٣م)بروزًا نسويًا على الصعيدين السياسي والعسكر حيث أدين أوارًا لا يستهان بها في تثبيت الحكم والاستشارة ومن أبرز نساء الدولة **"سوط النساء"**[١]،وقد أتيحت لها الفرصة لإظهار مواهبها وفرض إرادتها فضلا عن تدخلها في شؤون السياسة والحكم، فعندما استولى أبو زكريا الحفصي على مدينة تلمسان سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وفرّ منها ابنها العاهل أبي يغمراس بن زيان (٦٣٣-٦٨١هـ/١٢٣٥-١٢٨٢م)إلى الصحراء،وفدت الأميرة **"سوط النساء"** هذه على رأس الوفد الزياني لتفاوض أبي زكريا الحفصي، باسم ابنها السلطان يغمراسن، فاستقبلها الأمير،« وأكرم موصلها وأسنى جائزتها وأحسن وفادتها ومنقلبها»[٢]،كما تمكنّت من توقيع معاهدة سياسية مع الحفصين، يعود بمقتضاها ابنها يغمراسن إلى عرشه[٣].

واستطاعت الأميرة **"سوط النساء"** أن تقوم بدورها الوسيط من أجل مناصرة ابنها وفلذة كبدها ليتربع في عرش البلاد أطول مدة ممكنة فأطال الله في عمر حكم السلطان يغمراسن أكثر من ثلاثين سنة، وضربت لنساء بني زيان من بعدها مثالا غاية في الروعة والقمة في تحرير تلمسان من الأعداء،وكانت لها بذلك المكانة العالية والرفيعة في أسرتها ومجتمعها على حدّ سواء.

ومن الملفت للانتباه إشارة ابن خلدون إلى معاناة بعض نساء البلاط الزياني من المحن والمشاكل السياسية الداخلية التي لم تكن طرفا فيها، فقد ابتليت **الأميرة تاحضريت** أخت السلطان أبي سالم ابتلاءً شديدًا ومنيت بخطب جليل عندما قتل أخاها ابنها الرضيع وهو في حجرها فقال:**"** وكان السلطان أبو سالم ضجرًا،وقتل محمد بن أبي يغلوسن ابن أخته تاحضريت وهو في حجرها وحجره، استرابة بما نهي عنه**"**[٤] ، وهذه التصرفات اللاإنسانية التي عاشتها

---

(١) ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ص ٣٤٤ ، ٣٤٥، ج٧، ص ٩٦.
(٢) الزركشي: **تاريخ الدولتين**، ص٢٩.
(٣) ابن خلدون: م، س، ج٧، ص ص١٦٦، ١٦٧.
(٤) نفســه ، ج٧، ص٦٥٦.

المرأة ، تكشف القلاقيل والمؤامرات والفتن التي عاشها المجتمع الزياني. ولسنا نعلم ما حلّ بمصير هذه الأميرة ؟ لكن يبدو أنها وجدت نفسها بين ثلاثة أمور:

- أن تقف مع زوجها وتعادي أخاها الملك كزوجة صالحة.
- أن تناصر أخاها السلطان وتؤيد موقفه السياسي كأميرة.
- أو أن تبكي ابنها المقتول كأم فاجعة.

اختيارات صعبة،وابتلاء شديد،عانت منه هذه الأميرة وهي واحدة من مئات النسوة اللواتي عرفن المصير نفسه في تاريخ المغرب الإسلامي بخاصة، والعالم الإسلامي بعامّة.

بيد أن صاحب المجموع يشير إلى أن السلطان قد اتخذ لنفسه جواسيسًا من النساء الذميات اللائي يتسللن في دور بعض أناس مخصوصين،لنقل ما يحدث فيها، في شكل تقارير تقدم إليه في اليوم التالي،فإذا ما أصبح الخليفة استدعى هؤلاء الناس للمثول بحضرته، فيخبرهم بتفصيل كل ما حدث في دورهم[(١)]،كما اتخذ السلطان الزياني أيضا من النساء للقام بهذه المهمة ليقدمن له تقارير ما يحدث في الطرقات والحمامات ونحوها وحتى إلى بيوت الأمراء في مقابل مرتبات وفيرة[(٢)].

ثانيا: دورها في تعيين و تولية المناصب :

١ ـ الدولة الموحدية:

ومع مطلع القرن السادس الهجري/ق١٢م احتلت المرأة المغربية وظيفة في الاستشارة والوساطة السياسية في الدولة الموحدية ، فكانت لها مشاركة في المجالس السياسية كما حدث مع عبد المؤمن بن علي الذي كان يجلس مع أصحابه في حفافي قبر المهدي،للتفاوض هناك في شؤون الدولة بمحضر أخته **زينب**،وقد انفرد ابن خلدون بهذا الخبر[(٣)]، في حين لم نجد له ذكرًا عند أقرب المصادر التاريخية للدولة الموحدية كالبيدق. ومما يلفت الانتباه هو أن الموحدين كانوا يرفضون الاختلاط[(٤)]ومع ذلك سمحوا بحضور المرأة ضمن مجموعة من الرجال[(٥)].

---

(١) ابن مرزوق: **المجموع**، و٤٢.
(٢) حساني مختار: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الزيانية**، ماجستير،جامعة الجزائر، ١٩٨٧، ص٦٧.
(٣) ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص٢٧٠.
(٤) البيدق: **أخبار المهدي بن تومرت**، ص٤٧، رشيد بورويبة: **ابن تومرت**،تر، عبد الحميد حجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،١٩٨٢، ص٥٠.
(٥) ذكر ابن خلدون:« أن أخت المهدي **"زينب"** كانت ضمن الأشخاص العشرة الذين كانوا يكتمون سر مرضه، و عرفوا بـ **"**أصحاب المهدي**" العبر**، ج٦، ص٤٧٢، ٤٧٣ .

ويبدو أن المكانة التي حظيت بها زينب عند المهدي ودورها الإيجابي في دعم الدعوة الموحدية، بقيت على ما هي عليه حتى بعد وفاته، فمشاركتها في مجلس شيوخ الموحدين على عهد عبد المؤمن بن علي ما هو إلا دليل على وعيها السياسي والعقائدي الذي نشره أخيها ابن تومرت ومدى حرصها على نشرها.

كما ذكر البيذق أن عبد المؤمن بن علي لما افتتح منطقة السوس سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م، قد أحسن معاملة الأسيرات المرابطيات بقوله :" ساق ألفا وخمسمائة امرأة من بينهن **تاماكونت** ابنة سير بن وريبل،كما غنم الأبرتير، وهو قائد رومي في الجيش المرابطي نساء من غيغاية،فيهن **حـواء**[١] زوجة يعزى بن مخلوف[٢]،وكن عند علي بن يوسف بمراكش فلم تستسلم "تاماكونت" لهذا الأسر،بل قابلت عبد المؤمن بن علي و ذكرته بشفاعة والدها في المهدي بن تومرت، فأصدقها قولها وأمر بإطلاقها إلا أنها رفضت أن تسرح لوحدها بل لابد مع النساء اللواتي أسرن معها وبلغ عددهن أربعمائة أو ألف وخمسمائة امرأة "[٣]،وأضاف:" أطلق سراحهن جميعا وبعث بهنّ إلى مراكش،فقابل علي بن يوسف هذا العمل بمثله حيث سرح زوجة يعزى بن مخلوف و من معها من النساء "[٤].

ونستنتج من هذا الحدث أن المرأة المرابطية لم تكن بمعزل عمّا يجري من أحداث سياسية مما جعلها تستغلها كورقة رابحة في الوقت المناسب،كما هو الحال مع **تاماكونت** التي أدركت فضل والدها على المهدي بن تومرت.

كما تدخلت نساء البلاط الموحدي في تولية المناصب، فكان اتخاذ الخليفة لنساء من غير مبالاة بأصلهن،وإن كان معظمهن من جواري الروم والصقالبة،قد تسببّ في إيجاد كثير من الاضطراب في البلاط وفي المناصب الإدارية العليا أيضا،فكانت كل سيدة تحابي من يتصل بها من الأقارب والأولياء،وترفعهم ما استطاعت[٥]،ومن أمثلة ذلك ما أشار إليه ابن الخطيب من سيطرة

---

(١) البيدق: م،س ، ص١٣٥.
(٢) من أهل جماعة الخمسين و أصله من قبيلة هرغة، البيدق: نفسه، ص٨٠، هامش رقم٥.
(٣) البيدق: نفسه، ص٧٤، ١٣٥.
(٤) نفسـه ، ص١٣٥، ١٣٦.
(٥) آدم متز: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ، ج١، ص٢٤٤.

إحدى الأميرات على زوجها الخليفة أبي يعقوب يوسف (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٣-١١٨٤م) فقال : "وكان إعراسه ببنت ابن السعيد ليلة السبت الخامس لربيع الأول من سنة ٥٧٠هـ/١١٧٣م ووَلِع بها، وتغلبت عليه حتى كان الناس يضربون المثل بحب الخليفة **للزرقاء المردنيشية،** واتفق لقومها من البخت بسببها ما لم يتفق لثائر، ولا مخالف ملك من إعادته إلى ملكه"[١].

ولقد تمكنت الأميرة **الزرقاء** هذه من السيطرة على زوجها الخليفة حيث " أنفذ تقديم الأمير أبي الحجاج يوسف بن سعيد بن مردنيش على بلنسية وجهاتها، وقدّم غانم بن محمد وأخيه على أساطيل العدوة بسبتة، وأمسك هلالا بحضرته أثير الرتبة لديه"[٢] ، وبذلك استفاد أبناء مردنيش من هذا الزواج في الحصول على المناصب الراقية،كما استطاع الأمير أن يوفق في أن تؤول إليه أراضي ما كان ليأمل الحصول عليها بدونه[٣].

لم يتوقف دور المرأة الموحدية في تولية المناصب وإن كان بطريقة غير مباشرة على الحالتين السابقتين،بل ظهر تأثيرهن في عهد يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) الذي قلّد منصب والي مالقة بإيعاز من **أم أخيه أبي زيد**،ذلك أن المنصور قتل أخاه المذكور وبعدما ندم على ما فعل،وبعث عجائز كن عنده صالحات مقربات إلى أم أخيه وإلى أم عمه، وقيل إلى زوجة عمه، إلا أن عمه أو زوجته كما قيل رفضت لقاءهن، في حين أن أم أخيه أدخلتهن وأكرمتهن، ثم عرفوها بكلام الخليفة،وأنه راغب منها أن تجعله في حلّ من دم ابنها،فذكرت خبرا،وقالت: " إن كان إبني فهو أخاه،هو أعلم بما عمل في حق المسلمين مني، وقد وهبت له مالي في دمه وغفرت له" [٤].

وبهذا تكون **الأميرة أم زيد** اعترفت ضمنيا بأحقية المنصور في الحكم،وإدراكها لمصالح العامة،والظاهر أن تسامح هذه المرأة وعفوها وكرمها مع الخليفة رجع بالفائدة على أخيها ـــــــــــــــــ

(١) آدم متز: م، س ، ج١، ص٢٤٤.
(٢) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام،** ج٢، ص٢٧١.
(٣) يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،** تر، محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١، ص٦٩.
(٤) ابن عذاري: م، س، ص٢٣٣.

وُليّ مناصب عليا في الدولة، إذ يتضح هذا في قوله:« والله لئن أفجعناها في ابنها لنرينها الأمل في أخيها»[١]،ثم ولى أخاها ولاية فاس وأعمالها والنظر في أشغالها، ثم نقله بعد ذلك إلى مالقة فبقي بها مدة ثلاثين سنة، وأوصى ابنه الناصر بعده، ولم ينتقل من مالقة إلى أن توفي، فكان هذا القرار بمثابة ردّ الجميل و الإحسان لأم أخيه[٢].

كما أن المصاهرة كانت هي الأخرى عاملا أساسيا للاستفادة من تولي المناصب العالية في الدولة، ويبدو أن هذا بقي سائدا طوال العهد الموحدي، فيذكر ابن عذاري[٣]:" أنه في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ق١٣م،ترقى الوزير ابن وانودين في المنصب بعدما تزوج من الأميرة الموحدية ابنة الخليفة يوسف المستنصر بالله (٦١١-٦٢٠هـ/١٢١٤-١٢٢٣م).

وعلى العموم فإن ذلك يختلف من امرأة لأخرى، **فحبابة الرومية** زوجة المأمون الموحدي عملت على تعيين قواد الروم من بني جلدتها[٤]، وكلمتها كانت مسموعة لديهم،ولا نستبعد أنها كانت من وراء تعيينهم كقواد للخبر كذلك، وعليه يظهر أنه كان لهذه المرأة أهداف بعيدة المدى، ولم تكن مساندة قواد الروم في بيعة ابنها كافية إذ كان ينقصها بيعة أهل الحل والعقد من الموحدين، لذلك ما أن بلغ هؤلاء أن المأمون أصبح مريضا حتى ذهبوا إليه، ولما وصلوا أخبرتهم حبابة بوفاته،وخشية أن يولوا أخاه يحي بادرت إلى بذل الأموال لهم،ثم وعدتهم أنهم إذا فتحوا مراكش فستجعلها لهم فيئا[٥]،ولهذا وصفها ابن أبي زرع بالداهية بقوله:"كانت من دهاة النساء وعقلائهن"[٦].فهذا الحدث يشير إلى السلطة والنفوذ اللذين كانت تحظى بهما حبابة الرومية ولا سيما في أوساط الجند، خاصة إذا علما أن هؤلاء من بني جلدتها، فكانت كلمتها مسموعة لديهم.

---

(١) ابن عذاري: م، س، ص٢٣٣.
(٢) نفسه، م، س، ص٢٣٣.
(٣) نفسه، ص٣٥٢.
(٤) هم كانون بن جرمون السفياني و شعيب بن أوقاليط الهسكوري و فرنسيل قائد جيش الفرنج، و كانوا عمدة جيش المأمون، و يركب كل واحد منهم في أزيد من عشرة آلاف من قومه و أعوانه ، ابن عذاري: نفسه، ص٢٤٢.
(٥) الناصري: **الاستقصا** ، ج٢، ص ٢٤٢.
(٦) ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص ٢٥٤.

٢ ـ الدولة الحفصية:

يبدو أن الوضع السياسي في الدولة الحفصية بالنسبة للمرأة يختلف قليلا عن نظيرتها في الدولة الموحدية، إذ أن مشاركة النساء الحفصيات في شؤون الدولة، قد اتخذ منحى آخر أكثر تطورًا من تلك المبادرات التي عرفتها نساء العصر الموحدي من قبله .

فقد حظيت النساء المنتميات إلى العائلات السياسية بأدوار مهمة في مجال التضامن الاجتماعي والاستقرار السياسي، وأشهرهن على الإطلاق هي الأميرة الأولى صاحبة الأعمال الخيرية **عطف** [١] وكانت زوجة مؤسس الأسرة الحاكمة أبي زكريا الحفصي (٦٢٥هـ/١٢٢٨م ـ ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) وهي أم ابنه ووريثه أبي عبد الله محمد المنتصر (٦٤٧هـ/١٤٤٩م ـ ٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م) أسست هذه الأميرة المدرسة التوفيقية وجامع الهواء [٢] الموجودين في حي معقل الزعيم ـ حاليا ـ كان للأميرة موقف إيجابي عندما وقفت إلى جانب زوجها أبي زكريا تارة وابنها تارة أخرى تدعمهما بكل قواها ضد العداء الصليبي على تونس المسلمة ، وقد أفشلت كل محاولات ملك الأرغون وقشتالة جاك الفاتح والبابا قوقوا التاسع في تنصير ابنها الأمير المتنصر [٣].

كما برزت الأميرة **حباب** [٤]. أم أبي حفص عمر، فوقفت إلى جوار ابنها وساعدته في تولية الحكم بعد وفاة زوجها السلطان أبو بكر بن يحي الحفصي فجأة في سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م.

ويبدو أن أم الأمير أبي حفص عمر هاته كان لها الدور الأكبر في تولي ابنها عمر الخلافة، بل وكان يستخلفها في أهله وأموال الدولة، وقد انفرد ابن الشّماخ بذكر رواية مفصّلة حول كيفية فرار الحاجب ابن تافراجين [٥] من تونس بعدما أخذ أموال الدولة من أم السلطان وبعد أن:" بعث من خدمه من يأمر أمه أن تعطيه ما يقول لها، فدخل تونس ووصل القصبة وأخذ من

ابن الشّماع: **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الإفريقية في العهد الحفصية**، تح ، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٤، ص ٩٢.

(٢) نفسه ، ص ٩٣.

(٣) ابن خلدون : **العبر**، ج٦، ص ٣٤١.

(٤) نفسه، ج٦، ص ٣٤٠.

(٥) هو عبد الله بن تافراجين، صاحب الحجابة في عهد السلطان أبي بكر وأبي حفص، ينظر أبو مصطفى كمال السيد: **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، مركز الاسكندرية للكتاب، ١٩٩٤، ص ١٨.

أم السلطان ما أراد، وانصرف إلى رياضه فدخله وركب جواده وخرج من الباب الآخر متوجها إلى المغرب [١].

كما ذكر ابن الشماع أميرة شهيرة بشخصيتها اللامعة وأعمالها الخيرية، ويبدو أن لها تأثير واضح في السياسية الداخلية ، وهي الأميرة الحرّة **فاطمة** أخت السلطان أبي يحي أبو بكر أبو زكريا (٧١٨هـ/ ١٣١٨م ـ ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) مؤسسة المدرسة العنقية بنهج عنق الجمل[٢].

أغلب الظنّ أن هاتين الأميرتين هما في الحقيقة ـ أنموذجين ـ للمرأة الحفصية الحاكمة، اللتان برزتا من خلال بعض المنشآت ذات الصبغة الدينية، وما هو حظ الأميرات الأخريات اللواتي ذكرهن الزركشي في تاريخه [٣] ودورهن في مجال الحياة العامة ! .

وينبغي أن نشير أيضا أن المرأة كانت عامل مهم في الزواج السياسي، لما لها من دور كبير في ربط العلاقة بين أفراد الأسرة الحاكمة وزعماء القبائل، وبين الأسر الحاكمة الحفصية والأسر الحاكمة للدول المجاورة ، وقد أضاف الزركشي أن الأميرتين **فاطمة وعزونة** ابنتين لأبي يحي أبي بكر (718 هـ/ ١٣١٦م ـ ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) وكانت كلتاهما زوجة للسلطان المريني أبي الحسن الذي استولى على تونس سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م ،وسوف نتطرق لهذا الموضوع في الفصل اللاحق في الحياة الاجتماعية.

٣ ـ الدولة الزيانية:

ومع مستهل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، أصبح للمرأة في الزيانية حضورا ومشاركة في الاستشارة والوساطة السياسية،وهو ما أشار إليه ابن خلدون عن تقدم قهرمان البلاط الزياني إلى سيدة القصر وإعلامها بوفاة زوجها السلطان فيل غيرها حتى يكون لها الحق في التصرف واتخاذ القرار الذي تراه مناسبا وذلك حين قال:« هلك عثمان بن يغمراسن[٤] وجاء الخادم إلى قعيدة بيتـه زوجة بنت السلطان أبي إسحـاق ابن الأمير أبـي زكرياء ووقفت عليه واسترجعت وخيمت على الأبواب بسدادها. ثم بعثت عن ابنيه محمد أبي زيان وموسى أبي حمو فعزّتهما عن أبيهما»[٥].

---

(١) ابن الشماع: م، س، ص ٩٢.
(٢) نفسـه ، م، س، ص ٩٣
(٣) الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**،تح، محمد ماظور، المكتبة العتيقة؟، تونس د.ت، ص ص ١٦، ١٧.
(٤) حكم السلطان ما بين ٦٨١ ـ ٧٠٣هـ/ ١٢٨٢ ـ ١٣٠٣م، ينظر حساني مختار: م، س، ص ١٠٤.
(٥) ابن خلدون ، **العبر**، ج٧، ص ١٩٧

كما شاركت المرأة في البلاط الزياني في شؤون الإدارة الخاصة، وهو ما يعرف بجهاز الموظفات اللائي تسيرن الشؤون الخاصة بزوجة السلطان ومن بين هذه الوظائف **قهرمانة** القصر السلطاني أي القائمة بخصوصيات هذا القصر(١)، وهنا لا بد من التساؤل عن تفشي هذه الظاهرة في رسوم الدولة الزيانية، هل يرجع ذلك إلى ضعف الأمراء وانهيار النظام السياسي أم إلى تدهور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ؟ ،

وقد انفرد ابن خلدون بذكر إحدى نساء البلاط وتدعى **دعـد** وهي التي تقدمت بين يدي السلطان "أبو زيان" صبيحة يوم ذلك **الفـرج** في الأربعاء ٧ ذي القعدة سنة (٧٠٦هـ/١٠ ماي ١٣٠٧م)،لتخبره بما اتفقت عليه أميرات بني زيان بطلبهن من السلطان أن يقربهن من مهالكهن خشية ما قد يحصل من السبي والذّل والعار في حالة انهزام جيوشهن أمام العدو من بني مرين(٢)، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون:" ... وإذا بالخادم **دعد** قهرمانة القصر من وصائف بنت السلطان "أبي إسحاق" حظية أبيهم خرجت من القصر إليهم، فوقفت وحيتهم تحيتها وقالت:" يقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم، ما لنا وللبقاء، وقد أحيط بكم واسف لالتهامكم عدوكم ولا يبق إلاّ فواق بكيئة لمصارعكم ؟ فأريحونا من معرّة السبي وأريحوا فينا أنفسكم، وقربونا إلى مهالكنا، فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم" (٣).

وهذا يتفق مع ما ذهب إليه الحسن الوزان الذي يقول:" يخدم الملك في داخل القصر إماء نصرانيات(٤)"، وقد اتخذ السلطان الزياني لنفسه جواسيسا من النساء يندسسن في دور بعض أناس مخصوصين، وكان من واجبهن أن يكتشفن ما يحدث فيها، ثم يقدمن تقاريرهن عن ذلك إليه في اليوم التالي،فإذا ما أصبح الخليفة استدعى هؤلاء الناس للمثول بحضرته،فيخبرهم بتفاصيل كل ما يحدث في دورهم، ولم ينس أيضا أن يتخذ جاسوسات أخريات، مهمتهن أن يقدمن له تقارير بكل ما يحدث في الطرقات والحمامات،وكذا إلى دورالأمراء،وكن من الذميات(٥).

---

(١) ابن خلدون: **العبر** ، ج٧، ص١٩٧.
(٢) نفسه، ج٧، ص١٩٧.
(٣) نفسه ، ج٧، ص١٩٩.
(٤) الوزان: **وصف إفريقيا**، ج١، ص٣٩٧.
(٥) ابن مرزوق: **المجموع**، و ٤٢.

من خلال الروايتين يتضح أن المرأة في عصر بني زيان كانت تحتفظ لنا بأدوار جهادية بارزة ومميزة، فهذه قهرمانة التي استطاعت أن تحرك الهمم وتوفظ العزائم، وتبث روح الكفاح، وتحرس على الانتصار على العدو، وتلك النساء الجسوسات اللواتي أظهرن شجاعة وجرأة كبيرتين في الحفاظ على سلامة السلطان وأمن الدولة.

هذه النماذج من النساء اللائي برزن ومازالت بعض المصادر تحتفظ لنا بإشارات إيجابية عن مشاركها في الحياة السياسية والعسكرية.

٤ ـ الدولة المرينية:

وعلى أيام حكم الدولة المرينية نلاحظ مشاركة نساء البلاط في صنع القرارات السياسية وقمن بأدوار خطيرة في السياسة الداخلية للدولة،ومن الأمثلة على دور المرأة الميرينية وخطورتها في الدولة ما وقع إثر وفاة أبي الربيع سليمان حيث أن الأميرة **غريبة** أخت أبي السعيد عثمان المريني هي التي لعبت الدور الحاسم في مبايعة أخيها،وهو ما أشار إليه ابن خلدون[١] بقوله: **"** ودست أخته **عريبة** إليهم بالوعد، وسربت إليهم الأموال**"** أي إلى المشيخة والوزراء،الأمر الذي جعلهم يبايعون أبا سعيد عثمان خلفا لأبي ربيع سليمان ، ويبعدون عثمان ابن أبي يعقوب الطامع في السلطة[٢].

كما كشف لنا صاحب فيض العباب [٣] النقاب عن دور المرأة في الحركة المرينية إلى منطقة الزاب حيث كانت هذه الأخيرة تحرك الهمم وتبث روح الكفاح، ولم تكن ممارسة المرأة لتقتصر على العهد المريني فحسب، بل استمر دورها بارزًا إبان الفترة الانتقالية الحاسمة ما بين العصر المريني والعصر الوطاسي حيث تظهر شخصية **السيدة الزهراء**[٤] بنت منصور بن زيان الوطاسي التي تتولت زمام الأمر في حاضرة فاس،عندما احتدم الصراع على الحكم بين عبد الحق المريني المخلوع وبين الأمير محمد المدعو بالشيخ،فاصبحت مقاليد الأمور في فاس بيدها، وقد ساعدها على هذه المهمة القائد السكيري الذي عين الأمير محمد المدعو الشيخ الوطاسي في سنة ٨٧٥ هـ/ ١٤٧١م أميرًا [٥].

---

(١) ابن خلدون: **العبر** ، ج٧، ص ص٣٢١، ٣٢٢.

(٢) نفسه، ص ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٣) ابن الحاج النميري: **فيض العباب، وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة** ، ١٩٨٤، ص ٩٢.

(٤) المقري: **نفح الطيب،** ج٥، ص٢٨١.

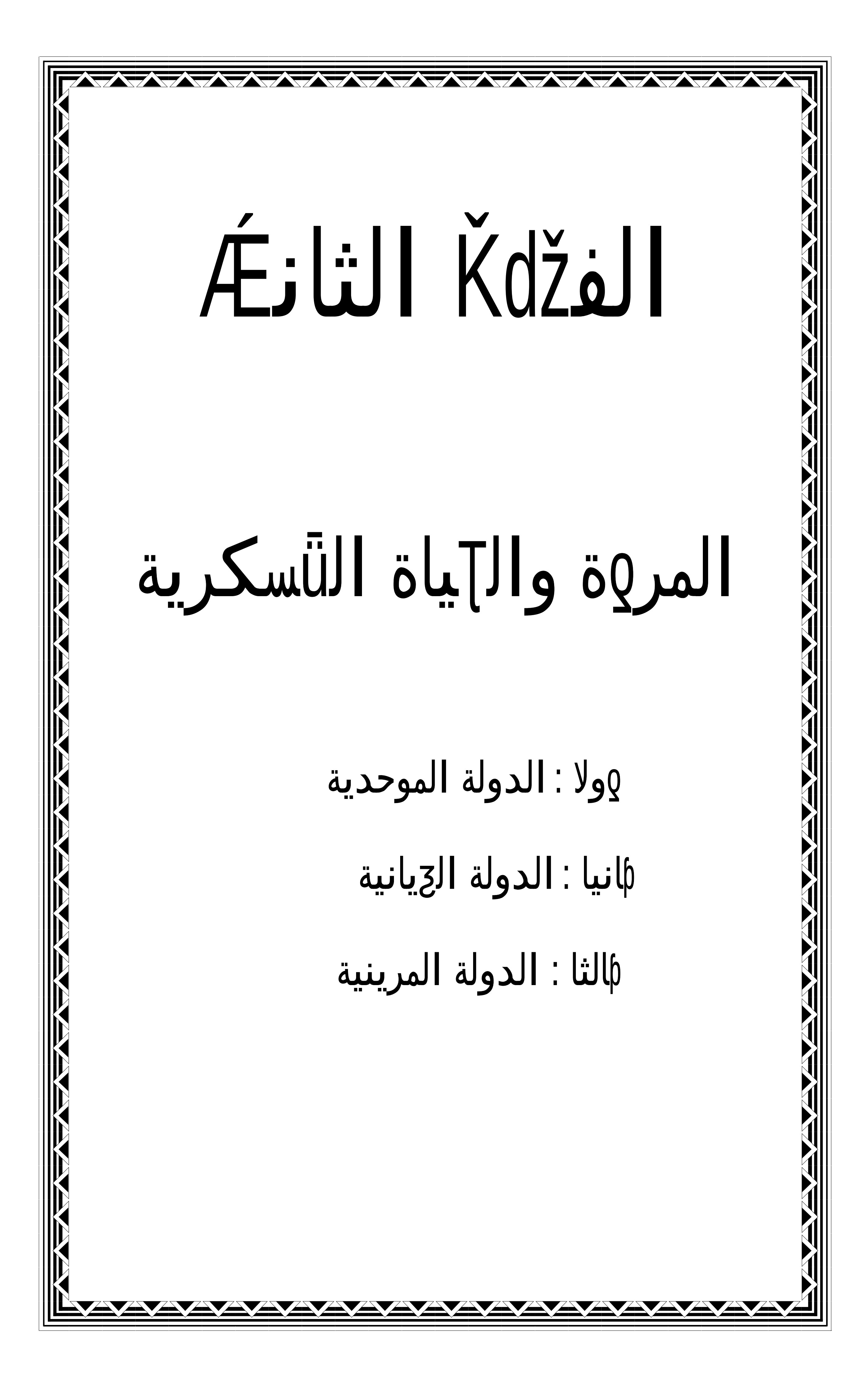
(٥) التازي: **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي،** ط ، ١٤١٩/١٩٩٢، ص ١٠٦.

كذلك برزت السيدة الحرّة حاكمة تطوان،التي تجلت أهميتها في أنها أبنة أمير شفشاون (علي بن راشد) وشقيقه وزير (أبو سالم إبراهيم بن راشد) وزوجة قائد تطوان (محمد المنظري) فأصبحت حاكمة تطوان بعد وفاته، وزوجة السلطان أحمد الوطاسي، لقد ترعرعت هذه السيدة في أسرة الزعامة والقيادة وأصبحت من الحاكمات المشهورات في بلاد المغرب [١].

مهما كانت أسماء النساء اللواتي شاركن في الحكم معدودة على رؤوس الأصابع في العهد المرينين، إلا أنها كانت بارزة في التاريخ السياسي للمغرب الأقصى.

بتصفحنا للتاريخ السياسي لفترة دراستنا توقفنا شخصيات نسوية شاركن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في الميدان السياسي في كل من تونس وتلمسان وفاس والأندلس، فهل اكتفت المرأة بهذه المشاركة فحسب أم تراها تجاوز حدود هذا الميدان وحملت السلاح لمناصرة الرجل وبث روح الكفاح؟.

(١) عبد القادر العافية: **الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، ط، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٩٢.



الفصل الثاني

المرأة والحياة العسكرية

أولا : الدولة الموحدية

ثانيا : الدولة الزيانية

ثالثا : الدولة المرينية

تمهيـــــــد :

كان للمرأة في المغرب الإسلامي على اختلاف طبقاتها مشاركة فعالة مع أخيها الرجل في السرّاء والضرّاء و في السّلم والحرب، وقد أظهرت المرأة المغربية براعة وقدرة وشجاعة في المواقف والمعارك العسكرية لا تقل في ذلك عن الرجل،وهو ضمان الحرية والأمان والاستقرار، وإذا كانت أسماء اللواتي شاركن في الحياة العسكرية محدودة، فهذا لا ينفي دورها الذي سجلته في هذا الميدان،وهكذا ورغم قلة الأمثلة النسوية التي قمن بإحصائها من خلال المصادر ، فإننا سوف نراعي العامل الزمني في ذلك، مبتدئين بالدولة الموحدية .

أولا: الـدولة الموحدية :

لم تتوقف مشاركة المرأة في المغرب الإسلامي ـ كما أسلفنا ـ في الأمور السياسية السلمية فحسب،بل تعدتها إلى الأمور العسكرية،التي كانت في بعض الأحيان سببا في إعلان الحرب مباشرة.

فلما سادت الفوضى والاضطرابات بين لمتونة ومسوفة، أثار مخاوف بعض القادة من هذا الوضع ومنهم يحي بن تاكغت وبراز بن محمد،وصلا عبد المؤمن بن علي واستقر يحي بتلمسان، فخرج إليه القائد المرابطي محمد بن زجو اللمتوني، وضرب رأسه ورأس ابنه وبعث بهما إلى تاشفين بن علي، وبعثهما هذا الإخير إلى سجلماسة حيث أخت يحي المقتول فقالت:" إن كان لنا رجال فسيأخذون بثأرنا إن شاء الله تعالى،فبلغ الكلام عبد المؤمن بن علي(١)،فانتصر لها، ووافقها على رأس تاشفين" (٢).

وفي كثير من الأحيان،نجد المرأة تخوض الحرب عند الضرورة للدفاع عن النفس،ومن البطولات **فانو**(٣)،بنت الوزير عمر بن ينتان المرابطي،التي قاومت الموحدين سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م أثناء احلالهم لمدينة مراكش بعد حصار دام تسعة أشهر،فكانت تحاربهم عند

---

(١) أول خليفة دولة الموحدين، تميزت شخصيته بحنكة سياسية وقيادة عسكرية ناجحة، فقد استطاع توحيد بلاد المغرب والأندلس، توفي سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، ينظر ، ابن أبي زرع: م، س، ص ١١٦، مجهول: **الحلل الموشية** ، ص ١٤٢، ابن عذاري: م، س، ج٤، ص ١٠٠، صالح بن قربة: **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين** ،م،و، ف، م، الرغاية، ١٩٨٥، ص ص ٢٣، ٦٠.

(٢) ابن القطان: **نظم الجمان**، ص ١٩٥.

(٣) فارسة لم توني، رمز الشجاعة والاقدام دافعت على قصر الخلافة المرابطية بمراكش بكل بسالة،قال عنها البيدق:" وهي في هيئة رجل ..، ولم يعرف الموحدون هل هي امرأة أم رجل حتى ماتت، وكان ذلك يوم ١٧ شوال ٥٤١هـ/ ٢٢ مارس ١١٤٧م، **أخبار المهدي** : ص ٦٤.

" قصر الحجر " ولم يدخلوه حتى استشهدت تلك الفتاة، وكانت في ذلك اليوم تقاتل الموحدين وهي في هيئة رجل فارس شجاع، وتعجب الموحدون بقتالها ومن شدّة ما أعطاها الله من الشجاعة وهي بكر ، فلما ماتت حينئذ دخل الموحدون القصر ولم يعرفوا أنها امرأة [١]،وكانت المفاجأة في جانب الموحدين عندما علموا بأن ذلك الفارس الشجاع هو امرأة شابة، لا تقل مهارتها في القتال عن رجل، ولم تكن على قدر كبير من الشجاعة والقوة ،لما انفرد البيدق بذكرها من بين المشاركين في هذه المعركة .

لم يعترض الموحدون على مشاركة المرأة في الحرب مع الرجل،بل نجد داعيتهم ابن تومرت يحرض على ضرورة مشاركتها مستدلا بأقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم[٢]، نذكر منها: **"**عن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه،فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبي صلى الله عليه وسلم،فأقرع بيننا في غزوة غزا فيها، فخرج فيها سهمي،فخرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب**"**[٣]، وعن أنس رضي الله عنه قال:**"**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم و نسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء،ويداوين الجرحى**"**[٤].

ذلك ما ورد عن أحوال المسلمين في مباشرة المرأة للقتال فلها أن تلتحق بالمقاتلين وقت الحرب وتساعدهم في أعمال التمريض والإسعاف ونحوها، ولم ينكر عليها الرسول صلّى الله عليه وسلّم أن تحمل أحيانًا السّلاح في الحرب.

وقد حذا عبد المؤمن بن علي حذو سلفه ابن تومرت في هذه المسألة،ففي سنة ٥٣٥هـ/١١٤٥م قصد عبد المؤمن وهران وتلمسان لفتحهما في جيش عرمرم غازيًا به بلاد المغرب الأوسط، واصطحبته زوجته **العزيزة** [٥]، ورغم أن المرجع لم يحدد لنا دور هذه الأخيرة في هذه الحملة، إلا أن وجودها يبدو أنه كان توجيهيًا معنويًا.

---

(١) البيدق: **أخبار المهدي**، ص ٩٤.

(٢) ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، تح، عمار طالبي ، م، و، ك، الجزائر، ١٩٨٥، ص ٤١٩.

(٣) **صحيح البخاري**، نشر مشترك، موفم للنشر، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة،د،ت، ج٣، كتاب الجهاد والسير، باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه، الحديث رقم ٢٧٢٣، ص ١٠٥.

(٤) نفسه، باب عزو النساء وقتالهن مع الرجال، الحديث رقم ٢٧٢٤، ص ص ١٠٥، ١٠٦. باب مداواة النساء الجرحى في الغزو ، الحديث رقم ٢٧٢٦، ص ١٥٦

(٥) البيدق: م، س، ص ٩٤.

ولربما أضحى خروج **العزيزة** هذه بصحبة عبد المؤمن بن علي في الحروب كان قدوة حسنة اهتدت بها نساء الموحدين فيما بعد للجهاد في سبيل الله،إذ أصبح اصطحاب النساء في القتال أمرًا عاديًا ومباركًا،ففي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م عندما سيّر عبد المؤمن بن علي جيشا كثيفا إلى الأندلس وقدره عشرين ألف فارس لحصار غرناطة والمرية مع أبي حفص عمر الهنتاتي كان قد سيّر نساءهم معهم أيضا، يقول ابن الأثير:" فكن يسرن مفردات عليهن البرانس، وليس معهن غير الخدم، و متى قرب منهن رجل ضرب بالسياط " [١].

ويبدو واضحًا من هذا أن اصطحاب هؤلاء الجند لزوجاتهم معهم،لم يكن إلا لدورهن الكبير في تشجيعهم بغنائهن وكلامهن الطيّب لرفع معنويّاتهم،فضلا عن إسهامهن في تضميد الجراح وشتم الأعداء ونهرهم [٢].

وعندما حاصر المرينيون مدينة فاس سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) "خرج للقائهم ومحاربتهم واليها الموحدي أبو ابراهيم والد المرتضى فهزموا جمعه وأسروه عندهم ثلاثة أيام ثم أطلقوه، وبعثوا به إلى فاس مع بعض عجائزهم مكرما معظما" [٣].

لكن ما نستنتجه من هذه الواية أن هاته العجائز كانت واعية بما يجري من تغيرات سياسية مما جعلها تشارك في الوقت المناسب، كما أن من المؤكد أن بعث الوالي أبو ابراهيم مع عجائزهم بهذه الطريقة له أكثر من دلالة.

وعندما حاصر السعيد الموحدي مكناسة في سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م" برز الرجال وانتظموا مع النساء في صعيد حاسرات منكسرات الطرف من الخشوع ووجوم الذنب والتوسل، فعفا عنهم، وتقبل فيئهم، وارتحل إلى تازا في اتباع بني مرين »[٤]، وهكذا فلم يكن الخليفة السعيد يتراجع مع دخول مكناسة لولا وقوف هؤلاء النسوة أمامه بحال الإذلال الأمر الذي يدعو إلى الشفقة فأثّر في نفسه، وعفا عنهم[٥].

---

(١) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٧٠.
(٢) ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص٤٨، ٤٩.
(٣) ابن عذاري: **البيان المغرب** ، ص٢٦٩.
(٤) ابن خلدون : م، س، ج٧، ص٢٠٨.
(٥) نفسه، ج٧، ص٢٠٨.

فإذا كان هذا حال المرأة في الحياة العسكرية على عهد الموحدين، فكيف يكون حالها عند الزيانيين، وهنا نساءل ما نصيب المرأة في هذا المجال

ثانيا : الـدولة الزيـانية :

لقد أسهمت المرأة الزيانية إسهاما بارزا في النشاط العسكري، وخلال المعارك التي دارت رحاها بين الدولتين المرينية والزيانية، فكن النساء يقفن وراء المتحاربين لحثهم تشجيعهم على القتال(١)، ويذكر يحي ابن خلدون ذلك الدور الذي لعبته المرأة الزيانية خلال الحصار المريني على تلمسان وبخاصة من حثّ الأمراء على القتال(٢) وأضاف صاحب العبر قائلا:" وبرز النساء سافرات الوجوه في سبيل التحريض، يحيين ويعدين ويرغبن"(٣)،وهذا ما يفهم من كلام ابن خلدون أن وجوه النساء في المعارك ليس كمقاتلات وإنما للتحريض ورفع عزائم المقاتلة(٤).

كما كان لنساء البلاط الزياني في آخر يوم من الحصار المريني الطويل،على مدينة تلمسان {الذي دام ثماني سنوات وثلاثة أشهر (٦٩٨هـ-٧٠٧هـ/١٢٩٨-١٣٠٩)(٥)} شأن وأي شأن! وقد عبرن عن موقفهن الشجاع،الداعي إلى مواصلة المقاومة حتى الموت أو النصر(٦)،فالتفت أبو حمو إلى أخيه يغمراسن وقال:لقد صدقتك الخبر فما تنتظر فيهم،فقال:يا موسى! ارجئني ثلاثا، لعل الله يجعل بعد العسر يسرًا(٧)،ولا تشاورني بعدها فيهن، بل سرح اليهود والنصارى إلى قتلهم،وتعال إليّ نخرج مع قومنا إلى عدونا فنستميت، ويقضي الله ما شاء،فغضب له أبو حمّو ونكر الأرجاء في ذلك،وقال:إنا نحن و الله نتربص المعرّة بهن وبأنفسنا، وقام عنه مغطبًا،وجهش السلطان أبو زيان بالبكاء"،قال "ابن حجاف " (٨): وأنا بمكاني بين يديه واجم لا أملك متأخرا

---

(١) ابن أبي الزرع: **الدخيرة السنية** ، ص ص١٣١، ١٣٢.

(٢) يحي ابن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك بني عبد الواد** ،تر، ألفريد بيل،مطبعة قرطانة، الجزائر، ١٨٨٠ ج١، ص٢١٢.

(٣) ابن خلدون: **العبر**، ج٧، ص٣٧١.

(٤) نفسه، ج٧، ص٣٧١.

(٥) ابن مريم:**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**،نشره محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م ص ص٣٨٦ ،٣٨٧،

(٦) ابن خلدون: ن، م، ج٧، ص ١٩٠.

(٧) نفسه ، ج٧، ص ٢٠٠.

(٨) هو خازن الزرع، ابن خلدون: نفسه، ج٧، ص ٢٠٠.

ولا متقدما إلى أن غلب عليه النوم، فما راعني إلاّ حارس الباب يشير إليّ أن أذن السلطان بمكان رسول الله من معسكر بني مرين بسدّة القصر.فلم أطلق أرجع جوابه إلا بالإشارة،وانتبه السلطان من خفيف إشارتنا فزعا،فأذنته واستدعاه،فلما وقف بين يديه قال له:" إن يوسف بن يعقوب " هلك الساعة وأنا رسول حافده "أبي ثابت " إليكم " (١).

نستخلص من هذه المحنة أن نساء بني عبد الواد قد برهن على إخلاصهن وشجاعتهن وشرفهن طلبهن من السلطان أن يقربهن من مهالكهن خشية ما قد يحصل لهن من السبي والذّل والعار إذا ما استشهد أزواجهن وإخوانهن عند ملاقاتهم بمرين ،وعندما هاجم أبو الحسن المريني مدينة تلمسان سنة (٧٣٧ هـ / ١٣٣٦م) شاركت نساء بني زيان في المعارك إلى جانب الرجال خلف الأسوار،وقد اقتربت إحداهن ودنت من مقام السلطان أبي الحسن المريني ورفعت صوتها منادية بني زيان، وأخذت تحثهم على المقاومة والصمود، وكانت في نفس الوقت تهجو بني مرين، وتكيل لهم الشتائم، فرد عليها أبو الحسن بقوله:" الشتم حيلة المغلوب" (٢).

يظهر من خلال النّص أن المرأة الزيانية قد شاركت في الحرب إلى جانب أخيهاالرجل، وسوف يتكرر هذا الموقف مع المرأة المرينية.

ثالثا : الدولة المرينية:

يتبين من أقوال المؤرخين الذين أرخوا لهذه الدولة، أنه عند دخولهم المغرب عقب انتصارهم الأول على الموحدين سنة ٦١٣هـ/١٢١٥م، كانت عجائزهم من النّساء هنّ اللواتي تكفّلن برعاية أسرى الحرب حتى يتقرّر مصيرهم وإيصالهم الخصم(٣).

احتفظت النساء بدورهن القديم أثناء حركة الجيش المريني، والمتمثل في الغناء الذي سماه ابن خلدون بـ **تازوكايت** (٤)، ويتلخص في إنشاد مجموعة من النساء أثناء الحركة أشعارا تذكر بالانتصارات والبطولات والأمجاد السابقة لقومهم،وحث الرجال على الاستماتة في الحرب وبذل النفس دفاعا عن الحمى والحريم أو لطلب الثأر، سواء أثناء الحركة أو أثناء الحرب،كما حدث

(١ ابن خلدون: **العبر**، ج٧، ص٢٠٠.
(٢) يحي ابن خلدون: م، س، ج١، ص ٢١٨.
(٣) ابن عذاري: م، س، ص ٢٦٧.
(٤) **العبر** ، ج٦، ص ٣٢١.

مثل ذلك سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) في حرب المرينيين مع بني عبد الواد في معركة "وادي تلاغ" بين يعقوب بن عبد الحق المريني ويغمراسن الأول، إذ" **اصطفت عيالات الفريقين خلف الجيوش في الهوادج والمراكب والقباب المزينات باديات لوجوه عليهن الحلل وثياب الوشي يحرضن الأبطال على الأبطال وبرزت الغانيات من القباب** " [١].

وكشف لنا كتاب فيض العباب[٢]، أدوار جهادية نسوية بارزة منها دور المرأة المغربية في الحركة المرينية التي كانت تبث روح الكفاح في نفوس المقاتلين، وتحرض بالإنتصار على العدو، وقد أمر الأمير يعقوب المريني جميع قبائل بني مرين أن يخرجوا على الحرب بجميع عيالاتهم[٣]،واستمرت هذه العادة لديهم إلى عهد اتلأمير أبي عنان المريني أثناء حركته عام ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م لإفريقية وبلاد الزاب [٤]، كما وصف الوزان شجاعة المرأة المغربية وتمتعها بالحرمة أثناء الصراع بين القبائل حتى بداية القرن العاشر الهجري، ففي نواحي "دمنات" حاضرة هسكورة لا يستطيع أحد بسبب الحرب فيها أن يسير في البادية أو في الحقول إلا النساء والعبيد الذين ينتقلون بحريّة[٥]، وأضاف يقول أنه :" في أقليم حاحة إذا أراد أحد الأهالي أن ينتقل من مكان إلى آخر، فعليه أن يصطحب معه بعض رجال الدين أو النساء من فريق خصومه[٦]"، أما نساء جبل سكيم (جبال تادلا) تشارك وتناصر الأزواج في الحروب وكان لها أسلوب خاص حيث إذا وقع الأسرى بين ايدي أزواجهن، أخذوهم مغلولين إلى منازلهم فمثّلت بهم نساؤهم كعلامة على الإذلال الشنيع، وذلك لأن الرجال يترفعون عن قتل الأسرى ويضعونهم بين أيدي النساء[٧]. وهنا مرة أخرى لم يفهم الوزاع عادة تكليف النساء بأسرى الحرب، ونعتقد ن ذلك من أجل النكاية بهم وإهانتهم .

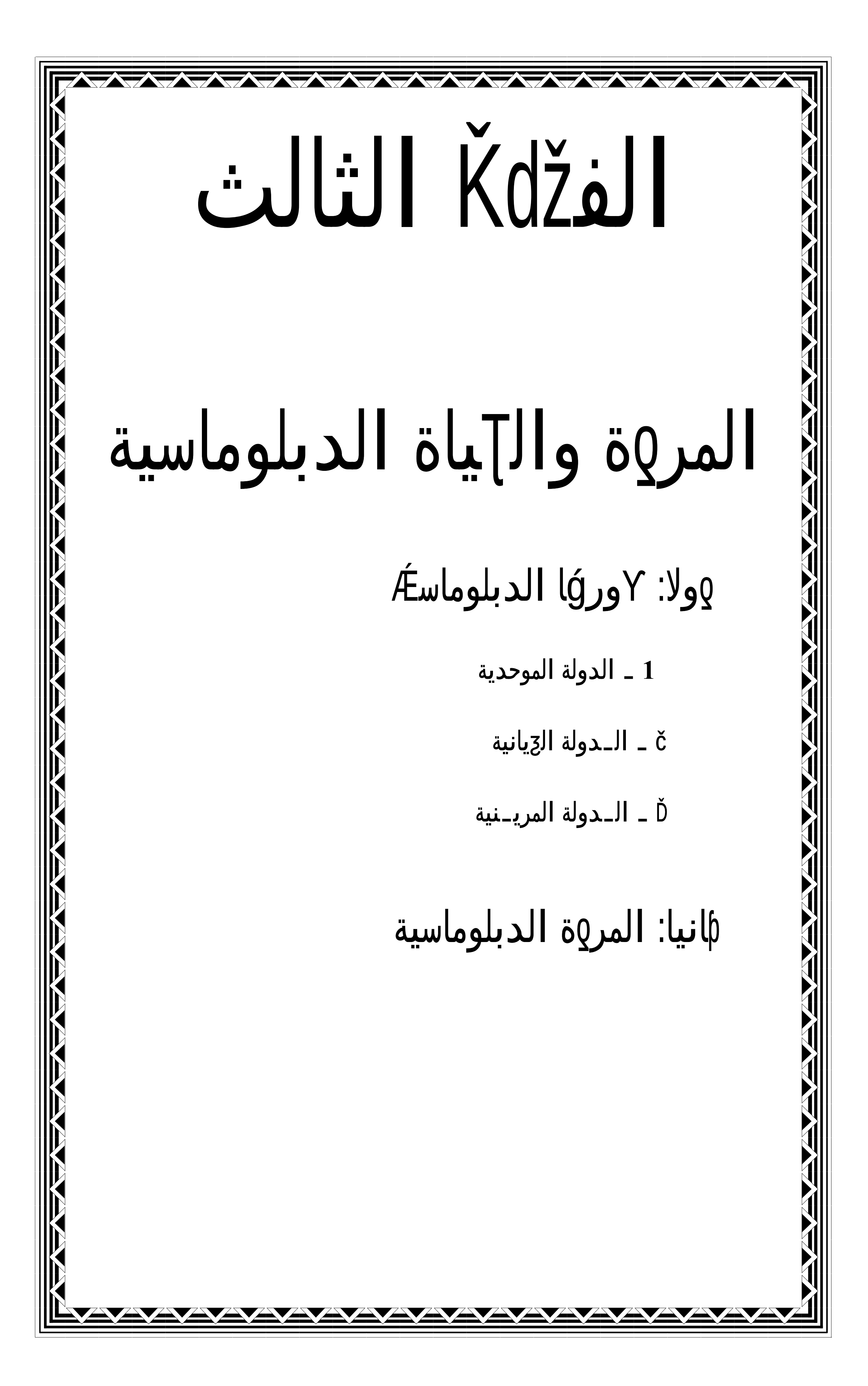
يبدو أن غالبية نساء بني مرين لم تكن أقل شهامة وإخلاصًا لوطنها في الدفاع عنه من غيرها من النساء .

---

(١) بن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ٣٢٣، ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية**، ص ١١٥.
(٢) ابن الحاج النميري:**فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**،طبعة ١٩٨٤، ص٦٧.
(٣) ابن ابي زرع: ن، م، ص ١٢٩.
(٤) ابن الحاج النميري: م،س ،ص ص٦٧،٦٨.
(٥) الوزان،: **وصف إفريقيا**، ج١، ص ١٤٦.
(٦) نفسه.
(٧)نفسه .

من خلال ما تقدم يمكن القول أنه في زمن الحرب تقوم المرأةسي المغربية بأدوار محدّدة، تتكفل بالأسرى ورعايتهم حتى يتحدّد مصيرهم أو يتم إطلاق سراحهم وإيصالهم على ذويهم من طرف **العجائز** وأحيانا تقود الحرب بنفسها كما تشرف على المفاوضات أثناء الحرب وبعد انتهائها.

وسنتطرق في الفصل اللاحق إلى النشاط الدبلوماسي الذي تقوم به المرأة وهو لايقل شأنًا عن الدورين الساسي والعسكري .



الفصل الثالث

المرأة والحياة الدبلوماسية

أولا: دورها الدبلوماسي

1 ـ الدولة الموحدية

2 ـ الدولة الزيانية

3 ـ الدولة المرينية

ثانيا: المرأة الدبلوماسية

تمهيــد :

يسجل التاريخ البدلوماسي أسماء نساء من الطبقة الحاكمة ، ساهمن في الحياة الدبلوماسية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، واستطعن تغيير مجرى الأحداث السياسية المحلية والدولية .

أولا: دورها الدبلوماسي.

١ ـ الدولة الموحدية:

لعبت المرأة في الغرب الإسلامي دورًا مهمًا في سواء كطرف أساسيي أو غير مباشر، وكانت الظروف السياسية هي التي تفرض عليها ذلك.

فهذه الأميرة زينب[١] بنت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن التي شاءت الأقدار أن تقع أسيرة بين أيدي قراصنة البحر، وقد انفرد الباحث عبد الهادي التازي بذكره هذه الحادثة إثر تعرضه للعلاقة الدبلوماسية الثنائية بين الملوك الموحدين و النورمانديين[٢]، فقال: فبعد عشرين سنة من الحقد المتبادل ومن أعمال القرصنة المتوالية بين الطرفين، في سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م، كان ملك صقلية غيوم الثاني الملقب بالطيب (بن غيوم الأول) قد استولى أسطوله الصقلي على سفينة للدولة الموحدية كان على متنها إحدى الأميرات من بنات الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وهي في طريقها إلى تونس لتزف إلى أحد الأمراء الذي قام بخطبتها، وإثر ذلك خطفت الأميرة الموحدية من طرف الصّقليّين وأخذت إلى قصر الملك غيوم في باليرم كأسيرة مع غيرها من النساء اللآتي كنّ برفقتها،وعندما اكتشفت بأنها أميرة عوملت معاملة حسنة تليق بمقامها وأصدر الملك لتوّه أمرًا بإعادتها إلى قصر والدها بالمغرب.

وقد تأثر الخليفة الموحدي من هذه المبادرة، عندما سلمت ابنته الأميرة هذه من القتل والسبي، وبعث مباشرة بوفد كان على رأسه سفير مغربي إلى صقلية من أجل تقديم التشكرات إلى العاهل الصقلي والتفاهم معه بشأن إبرام اتفاقيات الهدنة و الصلح بين البلدين.

---

(١)ينظر ترجمتها ابن الأبار: **التكلمة**، ج٢، ص٧٤٧، ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل و التكلمة**، ج١، ص٢٧١، ج٢، ص٤٨٦.

(٢) التازي، عبد الهادي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، ط من ١٩٨٦ إلى ١٩٨٩، ج٦، ص ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

وبالفعل، عادت العلاقات بينهما إثر ذلك، ففي ربيع الأول ٥٧٧هـ/١١٨١م أبرمت اتفاقية للسلام والتجارة لفترة عشر سنوات في مدينة **باليرم** عاصمة صقليّة(١).

٢ ø الدولة الزيانية:

الحقيقة أن معلومات عن دور المرأة الزيانية في الحياة الدبلوماسية تكاد تكون منعدمة، ونشير هنا إلى السيدة **سوط النساء** التي كانت لها مواقف سياسية ودبلوماسية ، فمن تكون سوط النّساء ؟

أصلها من قبيلة بني علي، أم السلطان يغمراسن الزياني، وابنتة عبد الحق (٢)، ويبدو أنها كانت سيدة عظيمة مارست السياسة في هذه الفترة، إلاّ أن المعلومات شحيحة بخصوصها، فالمصادر التي بين ايدينا لم تسعفنا بتاريخ حياة هذه المرأة وسنة وفاتها .

فعندما قامت الحرب بين الزيانيين والحفصيين، انهزم السلطان أبو يحي يغمراسن بن زيان أمام غزو الحفصيين لها سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م، فرّ بجيشه منها والتجأ إلى الصحراء(٣)، وبعدما تأكد من قوة الدولة الحفصية، اضطر إلى مبايعة السلطان الحفصي بالخرفة، فبعث بوالدته **سوط النساء** إلى أبي زكريا يحي الحفصي سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٢٩م لتقديم مراسيم البيعة نيابة عنه، فقبلها أبو زكريا راضيا عن ولدها (٤)، فاغتنمت والدته **سوط النساء** الفرصة،وبكل دبلوماسية قدمت للسلطان الحفصي اقتراحًا يتضمن طلب العفو لابنها يغمراسن، والسماح له بالعودة إلى تلمسان، تقبل أبو زكريا هذا الصّلح وأذن بعودة الأمير يغمراسن إلى إمارته على شروط بينهما وتم عقد المبايعة على ذلك(٥)، وعاد يغمراسن إلى تسملان أميرًا على أهلها، وأخذ يتصرف في أموالها وجميع مداخلها التي كانت تقدر حسب ابن خلدون بـ" مائة الف دينار سنويًا "(٦).

---

(١) عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي**، ج٦، ص ٢٣٧.
(٢) ابن خلدون: **العبر**، ج٧، ص ١٦٧.
(٣) نفسه ، ج٧، ص ٢٨٧.
(٤) لنا أن نتخيل ما حدث للسلطان يغمراسن، وكيف كانت نفسيته وهو منهزم أمام جيش الحفصيين، وكيف كان خوفه مما ألمّ به عندما بعث أمه إلى إبي زكريا، وكيف كان وضعه وهو مطرود في الصحراء .
(٥) ابن خلدون: م، س، ج٧، ص ٢٨٧.
(٦) محمد المنوني: **ورقات عن الحضارة المرينية**، منشورات كلية الآداب بالرباط ط٢، ١٩٩٦، ص ٤٠.

يبدو من خلال الوقائع التاريخية أن السيدة **سوط النساء** اقترحت على ابنها السلطان المهزوم أن يختفي عن أعين جيش الحفصيين حتى تهدأ الأنفس، ويأمن من القتل، بل وأمرته مرة ثانية أن يبايع السلطان أبي زكرياء الحفصي، فكانت **سوط النساء** تنصح ابنها الأمير وتعده بطلا مغمورًا وحاكما تعتمد عليه دولته وإمارته في أحلك أوقاتها، وتجعله دبلوماسيا ذكيا يحسن التّصرف مع أعدائه، بل ونصبت نفسها امرأة دبلوماسية تدافع عن أميرها وإمارته وتقبل عثرته وتجعله يسير على قدميه يواصل مسيرته في الحكم.

٣ ـ الدولة المرينية:

لقد شاركت الأميرات في العصر المريني في بعث العلاقات الدبلوماسية "بين المغرب والمشرق الإسلامي، و بخاصة مع مصر"[١]، كما نستشف ذلك من قول ابن خلدون:" ولم تزل ملوك المغرب على القدم ولهذا العهد، يعرفون لملوك الترك بمصر حقهم، ويوجبون لهم الفضل والمزية، بما خصهم الله من ضخامة الملك، وشرف الولاية بالمساجد العظيمة، وخدمة الحرمين الشريفين، وكانت المهاداة بينهم تتصل بعض الأحيان، ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من الأحوال"[٢].

ويعود الفضل لمشاركة المرأة في رئاستها لوفد الحجّ ،للسلطان أبي الحسن علي[٣]، أعظم ملوك بني مرين، وأبعدهم صيتًا.

وقد عزّز هذا النّشاط السياسي الجديد للمرأة في طلائع العصر المريني حضور نساء البيت السلطاني المريني في الركب الحجيجي من أجل أداء فريضة الحج، وكذلك لتثبيت العلاقة الأخوية بين المغاربة والمشارقة [٤].

(١) محمد المنوني: **ورقات عن الحضارة المرينية**، ص٤٠.
(٢) ابن خلدون : **العبر**، ج٥، ص ٤٧٩.
(٣) هو السلطان علي بن أبي سعيد عثمان بن يوسف بن عبد الحق المريني، مولده عام٥٩٧هـ/ ١٢٩٧م، وبويع عام ٧٣١هـ/ ١٣٣١م، ثم توفي عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م، بعدما استمرت دولته ٢٣ سنة و ٣ أشهر ويومين، اشتهر بالسلطان الأكحل، الناصري، **الاستقصا**، ص ص، ٥٠، ٥٤.
(٤) المنوني:م،س، ص ١٧٨.

وقد أحصى الأستاذ المنوفي عدد السفارات المرينية ـ المملوكية في عهد السلطان أبي الحسن المريني إلى ٧سفارات، وشاركت الأميرات في ثلاثة منها، وهذا يدل على وعي المرأة السياسي في المغرب الإسلامي.

*** ـ سفـارة عـام (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) :**

وقعت هذه السفارة ضمن ركب مغربي كان بصحبة والدة السلطان أبي الحسن الحرّة الحاجة " **العـنبر** "[١]، وكان القائم بهذه السفارة الشيخ أبو عبد الله محمد بن الجراح، وقد حملت الأميرة معها رسالة، وكانت الغاية منها مخاطبة الملك الناصر فيما عزمت عليه من حج البيت الحرام وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم إعلامه بما كان من أمر تحركاته على تلمسان وتونس، وجهاده بالأندلس[٢].

*** Ø سفـارة عـام (٧٣٨هـ/١٣٣٧م):**

وهي السفارة الثانية[٣]، وكان ضمن صحبة والدة السلطان أبي الحسن الحرّة الحاجة العنبر، الذي لم يشأ القدر أن تحج هذه السنة فقد أخبرنا القلقشندي:" بأن السلطان أبي الحسن كتب برسالة إلى الملك جاء فيها: " فإنا نحيط علم الإخاء ما كان من عزم المولاة الوالدة قدّس الله روحها، ونوّر ضريحها، على أداء فريضة الحجّ الواجبة، وتوفية مناسكه اللازبة، فاعترض الحمام،دون ذلك المرام،وعاق القدر، عن بلوغ ذلك الوَطَر، فطوي كتابها، وعُجِّل إلى مقرٍّ الرحمة بفضل الله ما بها، وعلى الله أجرها،وعنده يحسب دُخرها "[٤]، وهذا يعني أن الحرّة الوالدة قد توفيت قبل أن يحل وقت رحيل السفارة، ومع ذلك كان من المفروض أن يصحب الأميرة المرحومة عددا من نساء الدولة وأحظيائها، ومن بينهن **الأميرة مريم**[٥] حظية والد أبي الحسن

---

(١) ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ٣٢١.
(٢) المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، ١٧٨.
(٣) نفسه، ص١٨٢.
(٤) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج٨، ص١٠٢.
(٥) ابن مرزوق: **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، تح، م، خ، بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١، ص٤٥٢، ٤٥٣. الناصري: **الاستقصا**، ج٣، ص١٢٧، ١٣٠. المقري: **نفح الطيب**، ج٤، ص٤٠٠، ٤٠٣، ينظر أيضًا، **المعلمة**،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،مطابع سلا، ١٩٩١، ج١٠، ص٣٣٦٨.

إلى جانب وجهاء بني مرين من رجال الدين والصلاح، وأعيان العرب، وسار الركب برسم الحج[١]،وكله عظمة خصوصا أنه اصطحب معه نسخة من المصحف الكريم بخط يد السلطان أبي الحسن ليكون وقفا خالصا منه على المسجد النبوي الشريف، ولذلك كله كان هذا الركب موضوع احتفال كبير بالمغرب و المشرق[٢] بالإضافة إلى الهدايا الثمينة إلى الملك الناصر[٣].

وقد أكرم السلطان أبو الحسن الأميرة الحاجة مريم بإعطائها مالاً بقيمة ثلاثة آلاف دينار ذهب،كذلك كلفها برسم من أجل شراء الرباع بالمدينة المنورة، وخصّص لذلك قيمة ستة عشر ألف وخمس مائة **دينار ذهبي،** لتكون وقفا مؤبدا على القراء في الربعة الكريمة،وعلى غيرهم من المالكية[٤].

وصلت الحاجة بركبها لمصر في ٢٢ رمضان ٧٣٨هـ، فاستقبلهم الملك الناصر أحسن استقبال، حسبما تصف ذلك رسالته لأبي الحسن التي جاء فيها:" ثم نقلت الحرة إلى الميدان بهن معها (وفرقهم- الناصر- في منازله، وأنزلهم دار كرامته، وقد هيئت بالفرش والماعون)، ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلواء والفاكهة في كل يوم ـ بكرة وعشية ـ ما عمهم وفضل عنهم، فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف أردب أرزا، وقنطار حب رمان، وربع قنطار سكرا،وثمان فانوسيات شمعا، وتوابل الطعام، وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعون ألف درهم، وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستون ألف درهم، ثم خلع جميع من قدم مع الحرة ، وحمل إلى الحرة من الكسوة ما يجل قدره، وقيل لها: أن تملي ما تحتاج إليه و لا يعوزها شيء، وإنما تريد عناية السلطان إكرامها وإكرام من معها حيث كانوا، فتقدم السلطان إلى **النشو**[٥]،وإلى الأمير أحمد أن يبعثا بتجهيزها اللائق بها، فقاما بذلك واستخداما لها السائقين والضوئية، وهيئا كل ما تحتاج إليه في سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبجماط، ــــــــــــــ

(١) المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين،** ص١٨٣.
(٢) الناصري: **الاستقصا،** ج٢، ص٦٢.
(٣) ينظر تفاصيل الهدية عند ابن خلدون: **العبر،** ج٧، ص٢٦٥.
(٤) المنوني: المرجع السابق، ص١٨٣.
(٥) هو شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله المعروف بالنشو، ناظر الخاص الشريف، و المقتول عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة،د،ت، ج٩، ص١٣٩.

وطلبا الحمالة لحمل جازها وأزودتها، وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولي الجيزة، وأمره أن يرحل بها في مركب لها بمفردها قدام المحمل، ويتمثل كل ما تأمر به، وكتب لأميري مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة "(١).

*** ø سفارة عام (٧٤٥هـ/١٣٤٤م):**

وقادت الركب فيها **الأميرة مريم** أخت السلطان أبي الحسن بصحبة عدد من نساء البلاط وأحظيائه،إلى جانب وجهاء بني مرين وأعيان العرب ورجال الدولة،ومنهم الكاتب أبي الفضل بن أبي مدين (٢) ، وقد بعث السلطان أبو الحسن رسالة على يد أخته الأميرة مريم و هي تتضمن رغبة السلطان في أن يدعو له الخطباء يوم الجمعة وأهل الصلاح والخير بالنصر على عدوهم،وأن يكتب لأهل الحرمين الشريفين بذلك، وقال المقريزي: "وفي منتصف شعبان من سنة ٧٤٥هـ قدمت الحرة أخت صاحب المغرب، وعلى يدها كتاب السلطان إبي الحسن يتضمن السلام(٣)،وأفادنا الناصري:أن رسالة العاهل المغربي التي بعد التعزية حملت ما يكنه أبو الحسن من ود وتقدير لملك مصر، ولأبيه الراحل، وأطلعه على مستجدات الأحداث بينه وبين نصارى الأندلس،وقد حظيت هذه الرسالة بالإكرام وتقدير الذي يليق بالأميرات(٤)، وعلّق المقريزي على هذه السّفارة قائلا:"والظاهر أن الشرق استجاب لنداء الغرب "(٥).

ومن حقوق المرأة السياسية في مجتمع المغرب الإسلامي أنها إذا أجارت أمنت أحدًا من الأعداء المحاربين نفذ ذلك،عملا بما هو معمول به في عصر الإسلام،يعني تجير على المسلمين(٦)، وهذه الشيخة **" شمسي القايدة "**(ē) أو قائدة بني يزناسن من بني عبد الصمد، كانت زعيمة،

---

(١) المقريزي:م، س، ج٢، ق٢، ص ص٤٤٧ ، ٤٤٨.

(٢) الناصري: **الاستقصا**، ج٣، ص١٤٧.

(٣) المقريزي: م،س ، ج٢، ق٢، ص٤٤٨.

(٤) الناصري: **الاستقصا** ، ج٣، ص١٤٧.

(٥) نفسه، ج٣، ص١٤٠. المنوني: **ورقات**، ص٢٠٦.

(٦) ففي فتح مكة قالت أم هاني للنبي (ص) وهي بنت عمه أبي طالب:" إنني أجرت رجلين من أحمائي" فقال (ص): قد أجرنا من أجَرْتِ يا أم هاني"، حديث صحيح متفق عليه. وفي معناه عن عائشة أم المؤمنين قالت:" إن كانت امرأة لتجير على المؤمنين فيجوز"، ينظر خالد عبد الرحمان الكعاك، **شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة** ، دار المعرفة ، ط١، بيروت، ٢٠٠١، ص ٢١٧

(٧) ينظر ترجمتها ابن خلدون: **العبر**، ج٧، ص ٥٤١، الناصري: م، س، ج٣، ص ص ١٣٣، ١٣٨، عبد الوهاب التازي: **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي**، ط، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، ص ص ٢٥٥، ٢٥٦.

وبطلة مقتدرة، ذكرها ابن خلدون عند حديثه عن تمرد ابن هيدور الجزار على الحكم، ولجوئه إليها مدعيا أنه ابن السلطان أبي الحسن المريني (ت٧٥٢هـ/١٣٥١م)" فآوته وقامت بأمره، وشمرت عزائمها لإجازته، وحملت قومها على طاعته، وشاع في الناس خبره "[١] ولما أدركت كذبه و تمويهه نبذت عهده وخرج عنها إلى بلاد العرب.

ويشير ابن قنفذ في مشاهداته إلى أن إسهام المرأة في الحياة السياسية لم يقتصر على نساء المدينة و حسب و إنما امتدّ إلى سائر نساء البوادي و القرى، فيقول عن زيارته لبوادي المغرب الأقصى:" ورأيت بالمغرب الأقصى في طرق سكسوية من جبال درن بموضع يقال له القاهرة عزيزة السكسوية و هي متوجهة في الصلح بين فئتين عظيمتين،ولها أتباع من الرجال وأتباع من النساء وهي فصيحة جدًا في أجوبتها وأوامرها ركب إليها الرئيس الشهير صاحب مراكش عامر الهنتاتي وجلس معها كثيرًا وقال لي بعد أن انفصل عنها: يا فقيه ما رأيت أنفذ من حجتها فيما تحتج به علي وكان عامر هذا من الأذكياء الفصحاء وهو من العظماء ورؤساء الدنيا وكان قاصدًا الحصار السكسوي في جبله ليدخل تحت طاعته، فأمرته عزيزة بالرجوع والتزمت له بطاعة السكسوي فرجع وجاءه كتابه بخدمته وطاعته"[٢].

ثانيا: المرأة الدبلوماسية :

شهد هذا العصر الذي نحن بصدد دراسة بعض أعلامه ، عددًا لابأس به من النساء اللائي فرضن أنفسهن على مستوى العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والمشرق الإسلاميين، نذكر من بينهن على سبيل المثال لا الحصر:

ـ **الأميرة العنبر**[٣]**:** والدة السلطان المريني أبي الحسن، وكانت سيدة ذات أخلاق عالية، فقد تحدث صاحب[٤] **" المسند "**عن بعض أخلاقها قائلا:" فكان فيها من الرأفة والرحمة والشفقة على الخليقة ما قضى منه العجب، فكم جهزت من يتامى،وكم زوجت من أيامى،وكم بذلت من صدقات، وكم أجزلت من صِلاَتِ "[٥] .

---

(١) ابن خلدون: **العبر**، ج٧، ص ٥٤١، الناصري: م، س، ج٣، ص ١٣٤.

(٢) ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص ص ٨٦، ٨٧.

(٣) ابن الأحمر: **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تح، عبد الوهاب ابن منصور، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، ١٩٩٢، ص ١٣٠.

(٤) ابن مرزوق: **المسند الصحيح**، ص ١٥٣.

(٥) المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، ص ١٧٨.

وقد برهنت الأحداث كيف أنها كانت دبلوماسية رفيعة، حيث خدمت بلديها المغرب ومصر في إطار توثيق أواصر العلاقة بين المشرق والمغرب من جهة، ثم حجّت البيت الحرام وقامت بزيارة قبر الرسول صلى الله عليه و سلم من جهة ثانية.

وهكذا ورغم مكانة هذه المرأة لم يذكر ابن مرزوق تاريخ وفاتها،الذي نرجح أنه كان ـ حسب رأي محمد المنوني ـ بين عامي (٧٣٦هـ و٧٣٧هـ/١٣٣٥م و١٣٣٦م) فقد كانت زمن هذه السفارة (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) لا تزال على قيد الحياة،بينما سفارة عام (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) تنعاها للملك الناصر[1].

ومهما يكن من شيء،فقد سجلت هذه الأميرة اسمها في أحداث التاريخ المغربي، الذي تلوّن بألوان المرأة ونشاطها السياسي والدبلوماسي وقد حاولت تلطيف المناخ السياسي بين ابنها أبي الحسن المريني وأمراء الزيانيين عند احتدام الصراع بين الدولتين،فطالبت بفك الحصار عن الزيانيين،وتشفعت لهم رغبة في حصولها على ثواب الله ومرضاته[2]،وقد أخبرنا ابن مرزوق عن إشفاق والدة السلطان على الخليفة أبي الحسن نفسه فقال:"دخلت عليها يوما فكلمتني في شأن أهل تلمسان وإعفائهم من الحصار، قال: وكانت تكثر علي في ذلك، فأردت أن أبرمها، فقلت لها: إنهم يشتمونك وأردت أن ينقطع عني كلامها بذلك فقالت لي:يا ولدي، هذا أحرى بي أن أتكلم فيه لأن يكون كلامي فيهم خالصا لوجه الله ورغبة في ثوابه، قال فقلت إن الشرع أمرني بهذا وبينت لها ذلك لطريق شرعي فحينئذ أمسكت" [3].

وهذا يبين لنا مدى نفوذ والدة السّلطان أبي الحسن في الحكم، وأسلوبها في التعامل مع الأحداث السياسية والدبلوماسية.

ـ **حنان جارية أبي العلاء:** كانت جارية للخليفة الموحدي أبي العلاء

إدريس المأمون، وهي أم ولد السلطان عبد الواحد بن المأمون،وهي من أصل إسباني،ذات دهاء وشخصية قوية طبقا لما ذكره صاحب"الأنيس المطرب"[4] عند حديثه عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد الرشيد.

---

(١) المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، ص١٧٨.

(٢) ابن خلدون: **العبر**، مجلد٧، ص ص٣٥٠، ٣٥٢. الناصري: **الاستقصا**، ج٣، ص ص١٢٧، ١٣١.

(٣) ابن مرزوق: م،س، ص ١٤٧.

(٤) ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص ٢٥٤.

ولما توفي الخليفة المأمون في حصار مدينة سبتة، كتمت موته بالاتفاق مع ثلاثة من قواده وهم (كانون بن جرمون السفياني وشعيب أخو قاريط الهسكوري ومرقسيل قائد الروم) حتى أخذت البيعة لولدها يوم الإثنين غرة محرم ٦٣٠هـ الموافق ١٨ أكتوبر ١٢٣٢م.

وهذا يبين لنا بجلاء مدى صلابة المرأة وقوتها في التعامل مع الأحداث الداخلية التي تخص مصير الدولة والمحافظة على وراثة الحكم .

وإلى هذه الجارية، ظهرت على الساحة أسماء نساء غير معروفات، كان لهن نصيب في الحياة السياسية والدبلوماسية، تأتي في طليعتهن :

- **الأميرة المغراوية:** التي تنتمي إلى قبيلة مغراوة،فهي حفيدة الأمير ثابت بن منديل المغراوي،الذي زوّجها لسلطان المغرب سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م، فكان لهذا الزواج أثره الطيب على العلاقات بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى[١].

- **الأميرة الزيانية:** التي مازال يكتنف تاريخ حياتها الغموض إذ نجهل أصلها من جهة، ومن جهة ثانية يبدو أنها كانت زوجة أخ السلطان الزيّاني ألا وهو يغمراسن بن زيان، وهو ما أشار إليه ابن الخطيب بأنها: " سبقته إلى اعتلاء أريكة الحكم "[٢].

ومع ذلك، فإننا، لا نعرف الدور الذي لعبته هذه الأميرة في البلاط الزياني وهذه الظاهرة نفسها، نجدها عند الأميرة الحفصية الآتي ذكرها.

- **الأميرة الحفصية:** كانت أميرة حفصية في بداية حياتها ،ثم أصبحت أميرة زيانية بعد زوج بالأمير عثمان يغمراسن حيث يذكر ابن خلدون أنها كانت " **قعيدة عثمان** "وجمعت الأعيان لأخذ البيعة لولدها محمد بن عثمان، وهذا الأمير هو قاوم حصار أبي يعقوب يوسف بن أبي يعقوب لتلمسان ،ولولا اغتياله في ٧ ذي القعدة سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) لاستسلمت البلاد[٣].

ـ أما نساء بني زيّان وحرمهن فقد كنّ مثالاً للطهارة والعفاف والتّديّن وكان موقفهن مشرفا حينما طلبت من السلطان أبي زيان محمد الأول[٤] أن يتخلص منهن،وذلك لما نزل بتلمسان من

---

(١) ابن خلدون: **العبر**، ج٧،ص ص١٣٨، ١٣٩.

(٢) ابن الخطيب: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨، ص٣٤.

(٣) ابن خلدون: م،س، ج٧، ص١٩٧.

(٤) تولى الحكم سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٤م)، الطّمار : **تلمسان عبر العصور**، م،و،ك، الجزائر، ١٩٨٤، ص ١٨١.

الحصار المريني وما نكبهم من الرزايا والفجائع والآلام، فتحمل عبء كل ذلك أبو زيان و تزعم قومه مجمعا رأيه على الكفاح والمقاومة إلى النهاية فإما ملك أو هلك !،وصرخ في قومه إثر مبايعته بكلمته الخالدة:" تعالوا نخرج في قومه فنستميت[١]! ".

قال ابن خلدون[٢]:" وحدثني شيخنا محمد بن ابراهيم الآبلي[٣] قال جلس السلطان أبو زيان صبيحة يوم الأربعاء في خلوة من زوايا قصره حائرا وعاجزا لأمره ،فالتفت أبو حمو إلى أخيه وكان من الشفقة بمكان وقال قد صدقتك الخبر فما تنتظر بهن؟! فقال السلطان: يا موسى ارجئني ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورني بعدها فيهن، بل سرح الهود و النصارى إلى قتلهن! وتعال إليّ نخرج مع قومنا إلى عدّونا فنستميت ويقضي الله ما يشاء، فغضب أبو حمو وأنكر الارجاء في ذلك، وقال: إنما نحن والله نتربص المعرة بهن وبأنفسنا. وقام عنه مغضبا وأجهش السلطان أبو زيان بالبكاء[٤]"،لم يطل ابتلاء بنات زيان و حرمهنّ طويلا حتى جاءهن الفرج،وحتى داعبتهن أجنحة السعادة بما لا تتوقعن أبدًا. قال ابن خلدون:" ففي صبيحة اليوم دخل رسول من معسكر بني مرين مستبشرا باغتيال السلطان أبي يعقوب المريني على يد خصي من العبيد يوم الأربعاء (٧ ذي القعدة ٧٠٦هـ/١٠ ماي ١٣٠٧م)[٥] ".

وكتب الزيانيون على سكتهم" ما أقرب فرج الله" استبشارًا وتعجبًا وشكرا لله![٦].

والخلاصة،فإن المرأة في المغرب الإسلامي قد عرفت بإخلاصها وصبرها لقبيلتها وقومها والدفاع عن أرضها في أحرج المواقف وأشد نكسات الحرب،وقد ظلت وفية لبلاها طوال مدّة الحصار.

---

(١) الطمار، م، س، ص ١٨١.
(٢) ابن خلدون: م، س، ج٧،ص ١٩٧.
(٣) هو الفقيه الجليل أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني، الشهير بالآبلي، المتوفي سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م، ينظر عبد الشكور نبيلة: م، س، ص ١٢٦.
(٤) ابن خلدون: م، س، ج٧، ص ١٩٧.
(٥) نفسه، ج٧، ١٩٨.
(٦) ابن مرزوق: **المجموع**، و١٤ أ ، التنسي: **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيّان**، تح،محمود بوعيّاد، م،و،ك، الجزائر ١٩٨٥، ص ١٣٥.

خاتمة الباب الثاني :

يتصفحنا للتاريخ السياسي والعسكري لفترة دراستنا توقفنا أسماء نساء سطعن في هذا الميدان وفرضنا أنفسهنّ على السّجلاّت التاريخية الوطنية والدولية فمنهنّ من شاركت مشاركة مباشرة ومنهنّ من كانت مشاركتها بمشورة أو بتشفّع أو ما قامت به من أدوار لتوطيد العلاقة بين المغرب والمشرق الإسلاميين، ورغم إهمال المصادر التاريخية للمرأى، إلاّ أن هذا لم يمنع من بروز بعض أسماء النساء التي بصمت كلّ واحدة في عصرها وموطنها ببصمات عريضة مثل: السيدة زبني الموحدية، والسيدة سوط النّساء ، والحرّة مريم، وغيرهنّ كثيرات.

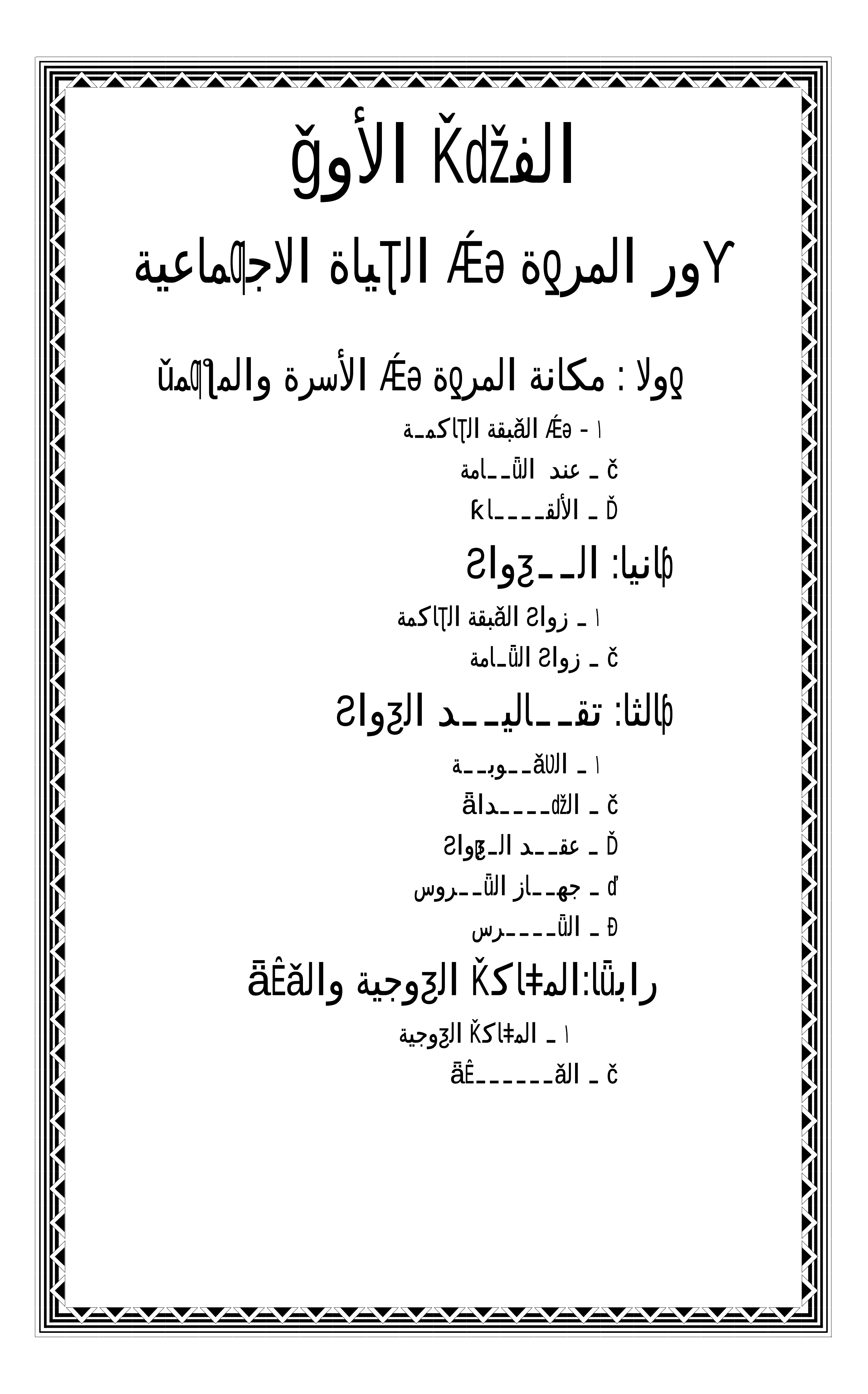
ورغم الحصار الذي ضرب على المرأة الحضرية في المدن، ورغم الانتقادات التي وجّهت إليها في البوادي، فإن تاريخ المغرب الإسلامي لم يخل من إشارات إيجابية عن النشاط النسوي في جميع ميادين الحياة... فما هو دورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ؟



الباƙ الثالث

Yور المرϘة Ǽə الƮياة الاجɑماعية

والاقɑždlYية.



الفǆžǨ الأوğ

Ƴور المرǫة Ǽǝ الǂياة الاجƢماعية

ǫولا : مكانة المرǫة Ǽǝ الأسرة والمƴƢمŬ

ا - Ǽǝ الǘبقة الƩاكمـة

ƅ ـ عند الǠـامة

Ƴ ـ الألقـــــاƢ

ƥانيا: الـǃواƱ

ا ـ زواƱ الǘبقة الƩاكمة

ƅ ـ زواƱ الǠـامة

ƥالثا: تقــاليـــد الǃواƱ

ا ـ الǂƼـوبـــة

ƅ ـ الǐـــــداǫ

Ƴ ـ عقـــد الـǃواƱ

ƣ ـ جهــاز العـروس

ƀ ـ العـــــرس

رابǠا:المƬاكل الǃوجية والǖǚǫ

ا ـ المƬاكل الǃوجية

ƅ ـ الǖǚǫـــــــــــ

تمهيـد :

على الرغم من الدور المهم الذي كانت تلعبه المرأة في الحياة السياسية والعسكرية والدبلوماسية،إلا أن مكانتها ودورها الاجتماعي ظلّ متأثرًا بإلزامية تبعية المرأة للرجل كأداة، واستمتاع أو شريكة له في الحياة .

ومن المؤكد أن العلاقة بين المرأة والرّجل لم تكن على وثيرة واحدة في جميع طبقات مجتمع المغرب الإسلامي، لأن أسلوب حياة الطبقة الحاكمة كان متباينا تمامًا عنه عند الطبقة العامة لعدة أمور سنأتي إليها فيما بعد .

وسنعرض حياة المرأة الخاصة التي كانت تعيشها في المغرب الإسلامي في كل وسط اجتماعي عبر جميع المستويات.

أولا : مكانة المرأة في الأسرة والمجتمع :

لقد بلغ من عناية ابن تومرت الموحدي بتعليم النساء وحسن تربيتهم عند البلوغ عملاً بقول الرّسول صلى الله عليه وسلم " أيّما رجل كانت عنده وليدة فعلّمها فأحسن تعليمها ،وأدّبها فأحسن تأديبها، ثمّ أعتقها وتزوّجها فله أجران" [١] فقرن ثواب التعليم والتأديب بثواب العتق الذي كان يرغب فيه كثيرًا، فوق ما شرعه الله تعالى فيه من أسباب تحريره وعتقه، وكان حظّ النساء في عصر الموحدين كبيرًا في مجال التعليم فقد اشتركت النساء مع الرّجال في اقتباس العلم على نهج النبي (صلعهم) وبرزت منهن راويات للأحاديث النبوية والآثار ،والأديبات والشاعرات والمصنفات في العلوم والفنون المختلفة ،وكان خلفاء الموحدين يعلمون جواريهم وقيانهم كما يعلّمون بناتهم [٢].

وكانت المرأة في عصر الموحدين متعلمة وعالمة لحقوقها وواجباتها، وقد أبرزتها المصادر المغربية بأنها كانت تتمتع بحق الملك بأنواعه والتصرف بأنواعه المشروعة، وحق الوصية والإرث مثل الرّجل، وحق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغير ذلك، ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن حالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضي وغيره من الأعمال المشروعة[٣]، كل ذلك عملاً تارة بالشريعة وتارة أخرى بالعرف على نحو ما جرت العادة في المجتمع المغربي، وسوف تتضح لنا بجلاء عندما نعرضها كل على حدة .

---

(١) البخاري: **صحيح البخاري**، ص٣١٥، رقم الحديث٥٠٨٠ .

(٢) مؤلف مجهول:**مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، اعتنى بإصدارها ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، ١٩٤١، ج١٠، ص١٣٢ .

(٣) نفسه، ج٩، ص٦٤، ج١٠، ص ص ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩.

١ - الطبقة الحاكمة :

كان أول تغيير طرأ على حياة المرأة في المغرب الإسلامي في العصر الموحدي هو دخولها دائرة التطور الذي شهده نظام الحريم في البلاط الأندلسي إذ لم يعد نظام الحريم كما كان من قبل مجرد ظاهرة اجتماعية فحسب، وإنما أصبح كذلك ظاهرة سياسية [١]، لها رسومها ومعالمها وطغيانها أيضًا في السياسة العامة خصوصًا في الدول الحفصية والزيانية والمرينية والفهرية .

والحريم لغة لها مدلولان:هما الممنوع والمقدس، ثم صار مصطلحًا اجتماعيًا إعلاميًا يعني نساء المنزل باعتبارهن الشيء المقدس والمحرم على غير الاقتراب منه أو النظر إليه، عدا ربّ الأسرة وبعض الأقارب والأطفال، وتألف الحريم من زوجة أو أكثر، وذلك بما لا يزيد عن أربعة، طبقًا للشريعة الإسلامية، ثم عدد من الجواري [٢]، البيض والسود ، ومن عدد آخر من العبيد [٣] الخصيان [٤] السود والبيض ، وذلك حسب ما يتفق وثراء الأسرة ومكانتها، وصار وضع الحجاب لنساء الحريم من التقاليد التي توارثتها مجتمعات المغرب الإسلامي، واحتجاب النساء وراءه سمة من أبر سماتها ومعالمها [٥]، حتى غدا اسم " الحريم " علما على نساء الأسرة وكذلك على مكان أقامتهن ومعيشتهن داخل المنازل والقصور .

---

(١) محمد الهادي العامري: **تاريخ المغرب في سبعة قرون، بين الازدهار والذبول**، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤، ص ص،٩٦ ، ٩٨.

(٢) الجارية في الشريعة الإسلامية هي كل امرأة أخذت أسيرة في الحرب، أو نقلت قسرًا من بلاد العدو، بشرط أن تكون غير مسلمة، لأنه لا يجوز لأي سبب من الأسباب أن تسبى المسلمة وتسترق، وتكون الجارية أيضًا ابنة " أمة مملوكة " وأبوها عبدًا،أو هي التي تؤخذ شراء من أسواق الرقيق حيث يبيعها النخاسون ،ينظر المنصف بن حسن، **العبيد والجواري**، سراس للنشر، تونس ١٩٧٤، ص ص، ١٥، ٢٢.

(٣) كان نظام الرق عند ظهور الإسلام متغلغلاً في حياة المجتمعات باعتباره نظامًا اجتماعيًا واقتصاديًا صعبًا، وعلى عادة الإسلام رسم للمجتمعات في أناة ، خطوات إلغاء نظام الرق، فأغلق جميع أبواب الرق عدا رق الحرب، ثم أتاح للمجتمعات في الوقت نفسه التخلص شيئًا فشيئًا من هذا النظام، وذلك عن طريق قواعد مقررة منها: أن جعل كفارة كثير من الجرائم والأخطاء تحرير الرقيق، ومن ثم فإن الإسلام لم يقر الرق في صورة مطلقة، وإنما أقره في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج دون حدوث أي خلل بالمجتمع، ينظر المنصف بن حسن: م س، ص ص، ٢٢، ٢٤.

(٤) كان العبيد الخصيان يتم إلحاقهم بحريم السلطان لخدمته وحراسته في الوقت نفسه، المنصف بن حسن:م، س، ص١٤.

(٥) محمد جميل بيهم: **المرأة في التاريخ والشرائع** ، بيروت، ١٣٣٩ هـ / ١٩٢١م، ص ص، ١٩٤، ١٩٥.

واحترم الخلفاء الموحدون،منذ بداية حكم عبد المؤمن الموحدي إلى نهاية الدولة، هذا التقليد الإسلامي الخاص بنظام الحريم، ولاسيما مسألة الزواج واقتناء الجواري وإعداد المساكن لهن، فتزوج أولئك الخلفاء مثنى وثلاث و رباع(١) .

ويضم هذا النمط من النّساء نوعين اثنين هما: الحرائر والإماء أو الجواري القائمات على الخدمة .

أ- الحرائر: من نساء لم يقعن طيلة حياتهن في الأسر،أو خطفهن تجار الرقيق،ولم يحصل الأمير عليهن أيضًا عن طريق الشراء بالمال أو الهدايا،وفضلاً عن ذلك تم الزواج من هؤلاء النّساء الحرائر بعقود زواج شرعية،وكانت كل زوجة تأخذ حجمها الطبيعي فقط كزوجة للخليفة أو الأمير بمعنى أنها لم تتدخل في شؤون الدولة أو تمارس سلطانًا على كبار رجال الحكم والإدارة(٢).

ولم تكن المرأة الحرة (سواء التي تنتمي للطبقة الحاكمة أو الطبقة العامة) راضخة دائمًا لوضعيتها وقابلة إياها بصفة سلبية بل كانت تفرض على الرّجل أحيانًا إرادتها ،ومثال ذلك ما وقع للفقيه والعالم البرزلي الذي أورد أنه لما عزم على الرّحيل من القيروان إلى تونس أبت زوجته أن ترحل معه إلاّ إذا كان بيدها طلاق كل من يتزوّج عليها (٣)،وهو ما يعرف في أحكام الأنكحة بالطريقة القيروانية كما سلف الذكر،وهناك صيغة أخرى تسمح للمرأة بأن يكون طلاقها في يدها إذا ما تغيّب زوجها أكثر من مدّة معينة (٤)، ورغم إمكانية عدم انتشار هذه الحالات خارج القيروان فإن ذلك الدليل على ما يمكن أن تتمتع به المرأة من حقوق ضمنية أقرتها مجتمعات المغرب الإسلامي دون معارضة تذكر.

وجرت العادة ما بين القرن السادس هـ /١٢ م إلى التاسع هـ/ ١٥ م ،أنه لا يمكن تزويج البنت التي لم تبلغ سن العاشرة قسرًا بدون إذن القاضي(٥)، وهكذا يتضح لنا أن المرأة المغربية

---

(١) قال تعالى:" فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة، وما ملكت أيمانكم، ذلك أدنى ألاّ تعدلوا"، الآية ٣ من **سورة النساء** .

(٢) الناصري: **الإستقصا**، ج٢، ص ص، ٢٤١، ٢٤٢ .

(٣) البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، مخ، ج٢،و٤١ .

(٤) نفسه، ج٢، و٤٦، و٤٠ .

(٥) الونشريسي: **المعيار**، ج٣، ص١٩٥ .

بصفة عامة والمرأة الحفصية كانت تحظى بعناية خاصة تتنافى والصورة التي نعرفها عن المرأة في المجتمعات الإسلامية ،ولعل أحسن دليل على هذا ما رواه البرزلي عن شيخه الشبيبي عن أحد قضاة الأنكحة من معاصريه ،أتته امرأة تشكو وجع يديها من العجين، فأمر زوجها بأن يسخّر لها خادمًا تخدمها [١]، وهذه الحادثة تقيّم المرأة ككائن اجتماعي لها من الحقوق ما يحفظ كرامتها ويكون زواجها أكثر إنسانية، غير أن هذا المكسب لا ينطبق إلا على المرأة الحضرية فقط، فنفس القاضي المذكور أتته امرأة بدوية تشكو من شدّة خدمتها فأمرها بأن تبقى مع زوجها مدّعيًا بأن نساء البوادي عملن بذلك، مما جعل البرزلي يتساءل إن كان هذا الحكم يعتبر اجتماع النكاح والإجارة ؟[٢] ،ونفهم من وراء تساؤله هذا انعدام اجتماعها بالنسبة للمرأة الحضرية السالفة الذكر التي تبدو أكثر حظًا وحرية .

ذلك أن المرأة الحرة في هذا الوسط لم تكن مجبرة على القيام بأي عمل، فكل الأعمال المنزلية، كانت تقوم بها الجواري، أو الإماء ومكانتها الرفيعة لم تسمح لها بالعمل خارج البيت،مما يجعلنا نطرح تساؤلا في هذا الإطار وهو: ما هي إذن مشاغلها ؟ .

وإذا كانت المرأة عازبة (غير متزوجة) فما عليها إلاّ أن تنتظر فارس الأحلام ،وإن طال انتظاره فسيؤدي هذا حتمًا إلى نتائج نفسية وخيمة عندها ، أو يؤثر على سلوكها وتصرفاتها، أما إذا تزوجت فسيكون همها الوحيد هو العمل على كسب قلب زوجها وجعله لا يرى في الدنيا سواها، وتتثبت في ذلك بمختلف الوسائل، لكن الدين والعرف الاجتماعي يقف عائقًا بينها وبين تحقيق غرضها ،فالإسلام يشرّع للزوج أن يتزوج بأربع نساء إذا توفرت له الإمكانيات، ويستطيع أيضًا أن يمتلك من الجواري ما شاء له أن يملك، فطريق المرأة للوصول إلى غايتها المنشودة محفوف بالأهوال والمخاطر، وللمرأة هنا حلين، إما أن ترحب بالفشل والانهزام إذا تعلق قلب زوجها بأخرى، وإما أن تستمر في حبه، وعطفها له مع تواصل علاقته مع نساء أخريات، وهنا تحظى المرأة بحب زوجها رغم اتصاله بنساء أخريات فتشعر دون شك بالرضي، والاغتباط إذا لم يكن في زوجها ما ينفرها منه، ولكنها في الغالب تخوض معركة مستمرة للحظوة به،والاحتفاظ ــــــــــــــ

(١) الونشريسي: **المعيار**، ج٣، ص١٩٥ .
(٢) البرزلي: م س، ج٣، و١٣ .
(٣) نفسه، ج٣، و١٤ .

بحبه لئلا يهرب منها إلى زوجة ثانية، أو جارية أخرى [١].

ومن هنا نصل إلى أن الوازع الوحيد الذي كان يشغل المرأة الحرة هو الحب الذي يقودها ويوجه مشاعرها، ويحتل المكانة الكبرى في جلّ انشغالاتها حتى يتقدّم بها العمر[٢] ،أما رعاية الأطفال فلم تكن أبدًا من اهتماماتها، فقد كانت تترك ذلك للجواري والإماء اللاتي يقمن بذلك، ويقول ابن حزم :" إنّهنّ متفرغات البال من كلّ شيء إلاّ من الجماع، ودواعيه، والعزل وأسبابه، والتألق ووجوهه لا شغل لهنّ غيره، ولا خلقن لسواه " [٣]، نرى أن هذا الحديث هو بطبيعة الحال حديث رجل عاش مع نساء البلاط ولكنه لا يفهم عقلية النساء.

ذلك أن المجتمع الإسلامي لم يكن يعلّم أبناءه احتقار الجسد، أو سحق الشعور الجنسي، وإن كان يحاول تقييده بقيود تلتئم مع تكوينه الاقتصادي والاجتماعي، ومع ذلك لم يعن في ميدان العلاقات الجنسية بالمرأة الأرستقراطية قدر عنايته بالرّجل، بل إنّه أهملها إهمالاً يكاد يكون تامًا، واكتفى بفرض القيود عليها على عكس ما فعله مع الرّجل، ومن هنا نستنتج أنه كانت هناك حياة عاطفية قوية لدى النّساء في هذا الوسط أكثر بكثير من تلك التي تضع حدودها القوانين والعرف [٤] .

وسوف نتعرض لبعض النساء اللواتي كان لهن شأن في المجتمع ،سواء منهن الحرائر أو الجواري ، ومن بين الحرائر اللاتي تنتمي إلى الطبقة الحاكمة نذكر منهن على سبيل المثال لا الحصر:

ـ **زينب**: أخت المهدي بن تومرت ، وتكنى أم عبد العزيز، كانت أخت شهمة وحافظة السّر، فقد كتمت سرّ موت أخيها المهدي طيلة ثلاث سنوات على زوجها وأهلها وقبيلتها [٥].

ـ **زينب الموحدية:** ابنة الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ابن علي، ولدت بالأندلس وتزوجها ابن عمّها أبو زيد عبد الرحمن ابن أبي حفص بتونس،أخذت عن القاضي أبي عبد الله

محمد بن إبراهيم المهري المعروف بالأصولي، علم الكلام وغير ذلك من العلوم التي برزت

---

(١) صلاح خلاص: **اشبيلية في القرن ٥ هـ** ، ص٩٥.
(٢) أمين أحسن إصلاحي: **مقام المرأة في الإسلام (إسلامي معاشره مين عورت كامقام)** طبعة باكستان،د، ت، ص ص٣٥، ٣٧ .
(٣) ابن حزم: **طوق الحمامة** ، ص،٨٠.
(٤) صلاح خلاص: م ،س، ص،٩٥.
(٥) البيدق: م س، ص٧٩ .

فيها كأصول الفقه والعلوم الفلسفية وكانت عالمة صائبة الرأي معروفة الشغوف على تساء زمانها متحدثًا بنباهة شأنها [١].

وفي سنة ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م وقعت الأميرة زينب الموحدية أسيرة الأسطول الصقلي الذي استولي على سفينة مغربية حيث كانت توجد الأميرة على متنها في طريقها إلى تونس لتزف إلى خطيبها الأمير أبي زيد عبد الرحمن ،وقد تم هذا في الوقت الذي كان فيه الخليفة يقوم بعملية تأديب لابن الرند في قفصة ،في عهد الملك "كيوم الثاني"الملقب "بالطيب" ،وأخذت الأميرة الموحدية إلى قصره، وعندما اكتشفوا أنها أميرة عاملوها معاملة تليق بمكانها، وأصدر "كيوم الطيب " أمره بإعادتها فورًا إلى قصر والدها [٢]،وقد تأثر الخليفة من هذه المبادرة وبعث بوفد على رأسه سفير مغربي إلى صقلية من أجل تقديم الشكر إلى ملك صقلية والتفاوض معه لتطلع في العلاقات بين البلدين ،فأخبرنا أحد الدارسين:" وهكذا شاهدنا ميلاد اتفاقية للسلام والتجارة بتاريخ ربيع الثاني ٥٧٧ هـ/ ١١٨٠م تستمر لفترة عشر سنوات وقعها الطرفان في مدينة "باليوم" حيث يقيم المبعوث المغربي" [٣].

ـ سوط النساء: زوجة السلطان عبد الحق المريني وأم السلطان يغمرا سن الزياني (٦٣٣ هـ/ ١٢٣٦م) [٤].

ـ فاطمة: بنت الأمير علي بن زياد، وزوجة الأمير أبي يحي، وتوفيت في سنة(٦٣٣ هـ/١٢٦٤م)[٥].

ـ أم العز :بنت محمد بن حازم العلوية من بني علي بن عسكر، قال صاحب الإستقصا [6]:" توفيت في ٢٧ رمضان ٦٨٣ هـ ١٢٨٤م الحرة أم الخير "، وهي أم السلطان يوسف، بمدينة

رباط الفتح، فدفنت بشالة، وفي هذه السنة كان بالمغرب قحط شديد لم ير الناس قطرة ماء[7] .

---

(١) ابن الأبار: **التكملة**، ص٧٤٧، ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة**، ج١، ص٢٧ ، ج٢، ص ٤٨٦.

(2)Le Compte de maslatrie : **traites de paix et de commerce**,1868,pp51, 52 .

(٣) عبد الهادي التازي:**المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي**،ط١٤١٣هـ/١٩٩٤م، ص٥٣ .

(٤) ابن خلدون، **العبر**، ج٧، ص٣٤٩.

(٥) ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية**، ص١٢٤ .

(٦) الناصري: **الاستقصا**، ج٣، ص٥٧ .

(٧) نفسه، ج٣، ص٥٩ .

. **زينب العقباني**: الحرّة الجليلة بنت العلامة أبي العباس أحمد بن أبي يحي العقباني[١]، وهي من عائلة العقباني التي اشتهرت بالعلم وممارسة التدريس والقضاء والفتوى في تلمسان الزيانية على مرّ السنين واحتلت بفضل ذلك مكانة مرموقة واعتلت مناصب علمية عالية في المملكة، وكونت لها سمعة طيبة تحظى بالتقدير والاحترام من طرف سلاطين بني زيّان في تلمسان [٢]، كانت وفاة هذه الحرّة في بداية فترة حكم أبو ناشفين عبد الرحمان الثاني في أوائل رمضان ٧٩١ هـ/ ١٣٨٩م .

ـ **العالية :** الحرة المكرمة العالية بنت الأمير عمر بن السلطان أبي حمو حفيدة السلطان أبي حمو الثاني، توفيت العالية في غرة ذي القعدة عام ٨١٣ هـ/ ١٤١٠م [٣] ،أي بعد وفاة أبيها بنحو عشرين سنة أيام حكم أخيها أبي مالك عبد الواحد (٨١٤ هـ/١٤١١م) [٤].

ـ **تاحضريت الزيانية** : بنت السّلطان أبو حمو بن أمير المسلمين أبي يعقوب،تكنى بالحرة[٥]وهو اسم أمازيغي محلي كان شائعًا في ذلك الوقت، ولم يعد مستعملا في وقتنا الحاضر، ويبدو أن اسم تاحضريت تحول مع الوقت إلى اسم **حضرية** الذي يستعمل في منطقة الأوراس ـ جبال شرق الجزائر ـ وربما هو تحريف لذلك الاسم أو شكل من أشكال التعريف ،على أن ما يؤكد أمازيغية الاسم هو ما ذكره ابن خلدون: "أن السلطان أبو الحسن أنكح ابنته تاحضريت العزيزة عليه، عليًا منهم المكنى بأبي يفلوسن ولا نعلم فيما إذا كان هذا الاسم مازال متداولاً في المغرب الأقصى أم عرف نفس المصير الذي عرفه في الجزائر [٦] ،ويذكر بروسلار[٧] أن:" تاحضريت توفيت عن عمر لا يقل عن ثلاثين سنة عاشت في فترات عصيبة في ظل حكم سبعة من إخوتها من أبي تاشفين وأبي زيان وتوفيت في أيام حكم أخيها أبي مالك عبد الواحد،وذلك في أوائل جمادي الأول عام ٨١٩ هـ / ١٤١٦م .

---

(1) Brosselard (c): "Mémoire épigraphique et histoire sur les tombeaux des émirs Beni zeiyan et de Bouabdil" **J,A**. Janvier – Février, 1876, pp 190, 194.

(٢) عبد الشكور نبيلة : م س، ص ١٨٥.

(3) Brosselard (c) : Ibid, p 175.

(٤) عبد الحق معزوز والأخضر الدرياس:**جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر**، مطبعة سومر، الجزائر،٢٠٠١، ج٢، ص ص ٣٤، ٣٥.

(٥) ابن خلدون: **العبر**، ج٧، ص ص ٦٥٥، ٦٥٦.

(٦) نفسه ، ج٧، ص ٦٥٥.

(7) Brosselard (c) : Ibid, 194.

- **بنت العرب** : الحرّة الجليلة بنت أحمد بن محمد بن علي بن محمد ابن يوسف، وتكنى" بسّيدة العرب"[١]، لأنها تنتمي إلى إحدى القبائل العربية الهلالية والسليمانية التي كانت تقيم بضواحي تلمسان والتي كان لها دورا مهما ، فحسب ابن خلدون [٢]: " لعبت دورا في السياسة التلمسانية تارة بالسند والموالاة وأخرى بالعداء" ،وأما تاريخ وفاتها فقد توافق مع رجوع ملك تلمسان إلى أبي عبد الله محمد بن أبي ناشفين عام ٨٣١ هـ بمساعدة السلطان الحفصي أبو فارس سلطان تونس [٣]، في حين توفيت" ست العرب" ليلة الجمعة في ١٤ رجب عام ٨٣١ هـ/ أفريل ١٤٢٧م.

ـــ **ملوكة** [٤]: بنت الشيخ عثمان بن مشعل، الحرّة الجليلة زوجة السلطان أبي عبد الله محمد، الذي تولى زمام الحكم سنة (٨٦٦ هـ/ ١٤٦٢م)،توفيت ملوكة في شهر رجب عام ٨٦٧ هـ/ ١٤٦٢م أي عام بعد تولي زوجها السلطان الحكم [٥].

_ **العالية**: بنت مولاي محمد، و تلقب بالسيدة [٦]، ونظن أنها أميرة بنت أمير، بالنظر إلى اللقب الذي يحمله أبيها ، توفيت السيدة في عهد السلطان أبو عبد الله محمد السابع في شهر شوال عام (٨٨٦ هـ/ ١٤٨١م).

وقد أدرجنا أسماء أخرى للحرائر حسب الترتيب الهجائي ، لأننا لا نعلم تاريخ
وفاتهن :

- **أم اليمن**:الحرّة الزكية المباركة أم اليمن بنت مُحْلِي البطوئي الزناتي، أم الأمير يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني، كانت من عقلاء النساء[٧]،يروى أنها رأت في منامها وهي بكر

---

(١) الفرد بل:" شاهد قبر تلمساني من القرن ١٥م" ، **المؤتمر الأول الفدرالية، جمعيات العلماء**، الجزائر، ١٩٣٥، ص ص ٢٣٩، ٢٥٥.

(٢) ابن خلدون: **العبر**، ج٧ ، ص ٦٥٥.

(3) Bargès (R): **Histoire des Beni zeiyan rois de Tlemcen** ,Paris,1852 p 123.

(٤) معزوز ودرياس: م، س، ج٢، ص ص ٥٠،٥١.

(٥) Brosselard (C) : op-cit, pp 54,56 .

(٦)ibd , pp 77,78.

(٧) ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية** ، ص ٩٥.

كأن القمر خرج من قُبُلها فعلي وصعد حتى استوي في السماء وأشرف نوره على الأرض فقصّت رؤاها على والدها فصار على الشيخ الصالح أبي عثمان الورياكلي فقصّ عليه رؤاها،فقال له:"إن صدقت رؤيا هذه الجارية فإنها تلد ملكا عظيما مباركًا فاضلاً يعم المسلمين خيره وتشملهم بركته"، فكان كذلك، ولما تزوجها الأمير أبو محمد بن عبد الحق قال له والدها مُحْلِي [١] :"بارك الله لك فيها، أما والله إنها ناصية مسعودة مبارك لم تزل الخيرات والنعم تتوالى علينا منذ نشأت في بيتنا وإنك لتعرف بركتها وستلد لك ملكًا عظيمًا يكون عزًّا وفخرًا لك ولقومك إلى آخر الدهر"،ويبقى ابن الأحمر المؤرخ الوحيد الذي نعتها " بالحاجة الصالحة أم اليمن"[٢].

ـ **آمنة** [٣]**:** بنت السلطان أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن (ت ٧٨٦ هـ/١٣٨٥م)، كانت تلقب بالحرة ، كان مربيها حاجب أبيها القائد فارح بن مهدي [٤] وكانت تبدي له وجهها في حالي صغرها وكبرها، فكانت له بذلك مزية لم تكن لغيره ،كما قامت بإنشاء بستان بالقصر الملكي في فاس الجديد [٥] ، دفنت بمقبرة ملكية والتي تعرف بقباب بني مرين واشتهرت قبتها باسم "القلة " [٦].

ـ **تاحضريت:** ابنة أبا الحسن المريني،تكنى " لالة تاحضريت" [٧] ذكرها ابن خلدون [٨] : "بالعزيزة عليه"،وتزوجت بالأمير علي ابن السلطان أبي علي المريني المكني بأبي يفلوسن،

---

(١) ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية**، ص ٩٥.

(٢) ابن الأحمر: **روضة النسرين**، ص ٥٢.

(٣) نفسه، ص ٥٢.

(٤) هو الحاجب، مولى من **موالي** ملوك بني زيان، علجية الأصل اصطنعه بنو مرين لأنفسهم بعد فتوحهم لتلمسان، قال عنه ابن القاضي:" لم يكن من أهل العلم، لكنه كان شيخًا مجربًا للأمور، مجيدًا في التدبير، قد أعطى الرياسة حقها والخطط مستحقها، كان ممسكًا عنانه، فلا يميل مع نفسه ولا يسحب أردانه، ولا يوحش سلطانه، موسومًا عند الخلافة بالأمانة، ملحوظًا لديها بعين المروءة والصيانة، كان السلطان أبو سعيد المريني يعتني به لكبر سنّه، توفي سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م"، **جذوة الاقتباس**، ص ٧٣.

(٥) الناصري: **الاستقصا**، ج٤، ص ٨٩.

(٦)المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، ص ٧١

(٧) الفتحي المراكشي: **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية** ، ط٢ دار الطباعة الحديثة البيضاء، د،ت،ص ٣٠.

(٨) **العبر**، ج٧، ص ٦٥٥.

وأنجبت له ابنان هما "محمد" الذي قتله خاله السلطان أبو سالم ، وهو مازال طفل في حجر أمه الأميرة "تاحضريت"و "عبد الرحمان" أيضًا لا نعلم تاريخ وفاتها،ولكنها دفنت" بدرب الرّماد" في مراكش[١] .

ـ **حـــرة** [٢]**:** لسنا نعلم هل هو اسم أم لقب ؟ وهي بنت أبي محمد السبائي،وزوجة السلطان أبي سالم بن أبي الحسن،وأم السلطان المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن .

ـ **حنينـة الزيانية** : أخت يغمراسن بن زيان وكانت قد تزوجت من قبيلة بنو مكن ـ ببلدة مستغانم ـ وكان لها ابن يدعى عبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع المشهور "ابن حبيبة" ، في سنة (٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م) ولاه خاله يغمراسن حاكما على إحدى العمالات ،وأخبرنا ابن خلدون بذلك فقال: " وكان يغمراسن بن زيان كثيرًا ما يستعمل قرابته في الممالك ويوليهم على العمالات" [٣] ، لا نعرف تاريخ وفاة الأميرة حنينة .

ـ **رقيـة**:هي الأميرة الحرّة بيت السلطان أبي عنان ، تزوجها ابن عمّها السلطان أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن المريني، وهي أم السلطان المنتصر بالله أبي زيان محمد بن أبي العباس[٤].

ـ **شمسي** : لا نعرف هل هو اسم أم لقب ؟،كانت أميرة قومها ،وكان لها عشرة أولاد من بني عبد الصمد، وأشار ابن خلدون عن" شمسى" عندما تحدث عن قبيلة "بني راتن " فقال:" إن رئاستها كانت لبني عبد الصمد من بيوتاتهم وقد كان فيمن ترأس عليها زمن تغلب السلطان أبي الحسن المريني على المغرب الأوسط شيخة أو زعيمة شمسى فاستفحل شأنها بهم وملكت عليهم أمرهم، ولقبت بالرئيسة [٥].

---

(١) العباس بن إبراهيم: **الإعلام بمن حلّ مراكش وآغمات من الأعلام**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٥، ج٣، ص ٧٩.
(٢) الناصري: م، س، ص ٦١.
(٣) ابن خلدون: **العبر**، ج٧، ص ص ١٧٦، ١٨٢.
(٤) الناصري: م، س، ص ٧١.
(٥) ابن خلدون: م، س، ج٧، ص، ١٢٨.

ـ **عائشة المغيلية** [1] : عائشة بنت الوزير أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الكناني المغيلي، قال عنها المقري هي :" السيدة الفضلى ،الحرّة العربية ،وتكنى أيضا بأم العباس، كانت عائشة على نصيب من الذكاء وقوة الشخصية، تزوجت قاضي الجماعة الشيخ "أبي البركات محمد بن محمد بن إبراهيم ابن الحاج البلفيقي" الذي كان ورد على خامس سفيرًا عن غرناطة ليقدم التعازي والتهاني لأمير المسلمين أبي بكر السعيد ابن السلطان أبي عنان ".

ـ **عريبة**[2]:أميرة مرينية أخت أبي سعيد عثمان ، كانت حدقة في السياسة، لعبت دورًا حاسمًا في مبايعة أخيها في الحكم ضد السلطان عثمان بن أبي يعقوب ،وتكسب أنصارا له، وقد أشار ابن خلدون بأنها:" دست أخته عربية إليهم بالوعد، وسربت إليهم الأموال"،لا نعرف تاريخ وفاتها ، ولكنها كانت حيّة عندما تولى أخيها الحكم خلفًا لأبي الربيع سليمان .

ومن الحرائر اللاتي تنتمي لطبقة العلماء، نذكر بعضهن أمثال:

ـ **شمسة** [3] : بنت الفقيه مؤمن الزواعي، وتلقب بالحرّة ، يبدو من خلال هذا لقب الذي ألحق باسمها ،أن لها علاقة بالعائلة المالكة ،ويرى بروسلار:" أنها لا تنحدر من عائلة بني عبد الواد ولكنها تقرب إليهم بالنسب مما أهلها لأخذ لقب الحرّة الخاص ببنات العائلة الملكية فقط، وكانت وفاتها أيام حكم السلطان أبو حمو موسى الثاني ،أوائل ذي الحجة من عام (٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨م)" ،ولسنا نعلم ما هو دليل بروسلار في ذلك ،وعليه نرى ضرورة البحث حول أعلام النساء الدولة الزيانية ،الذي مازال في طيات النسيان! .

أما عن الحرائر اللاتي تنتمي للطبقة العامة، نذكر بعضهن أمثال:

ـ فا**طمة** [4]:بنت الشيخ عبد الله بن خالد، لم تقف عن ترجمة هذه المرأة ولا لأبيها، وتوفيت في شهر شوال عام ٨٩٩ هـ/١٤٩٣م، ودفنت بمقبرة سلاطين بني زيان [5].

---

(١) المقري: **نفح الطيب**، ج٥، ص ص ٤٧٩، ٤٨٠.
(٢) ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ص ٣٢١، ٣٢٢.

(3) Brosselard (C) : op-cit, pp 184,187.
(4) Ibid, p 166.
(5) Ibid, p 166.

ـ **ملوكـة**: سيدة بنت الشيخ يعقوب، ولا نعرف عنها معلومات أخرى، غير أن وفاتها كان في عهد حكم السلطان الزياني أبو عبد الله محمد السادس(٨٧٣ ـ ٩١٠ هـ/ ١٤٦٨ ـ ١٥٠٥م). حسب ما يظهر من شاهد قبرها، توفيت عام (٨٧٥ هـ/١٤٧٠م) (١) .

نستشف من خلال هذه الإطلالة هذا السرد الكبير للنساء اللواتي كانت تنتمي إلى الطبقة الحاكمة أو العامّة، ورغم ذلك فإن المعلومات حولهنّ تبقى مجهولة.

ـ الإماء والجواري:

نقصد بها المرأة المملوكة التي دخلت في نظام الرّق (٢)،وتعرف بالجارية وأمة ووصيفة وخادمة وسريّة، وهي كلّها عكس المرأة الحرّة، وتباع مع العبيد كما يتم تحريرها بعتقها ،كما تستعمل كلمة أم الولد للجارية إذا أنجبت (٣)، وفي القرآن استعملت ملك اليمين للتعبير عن كل هذه الكلمات المذكورة آنفا ،قال تعالى:" وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النّساء مثنى وثلث ورُبع فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا" (٤).

---

(١) معزوز ودرياس : م، س، ج٢، ص ص ٥٠، ٥١، ٥٢.

(2) De champs (H): **Histoire de la traite des noirs de l'antiquité à nos jours**, **l'histoire sans frontières**, fayard, Paris 1972, p29.

(٣) يصنف أبو عبد الله محمد السقطي عن أهم مواطن الإماء في العصر الوسيط ويذكرهن حسب شهرة كل واحدة بـ "الخادمة البربرية للذة، والرومية لحيطة المال والخزانة ، والتركية لإنجاب الولد، والزنجية للرضاع، والمكية للغناء، والمدنية للشكل، والعراقية للطرب والانكسار ،والبربريات أصبع الخلق على الطاعة وأنشطهم للعمل وأصلحهم للتوليد واللذة، وأحسنهم للولد، وبعدهن اليمنيات ويشبههن العرب، والنوبيات أكثر الخلق إذعانًا للموالي، وكأنما فطروا على العبودية وفيهم السرقة وقلة الأمانة، والهنديات لايصبرن على الذل ويرتكبن العظائم وسهر عليهن الموت، والزنجيات أشد خلق الله وأجلدهم على الكدّ وفيهن صنان يمنعن في الغالب من اتخاذهن، والأرمينيات الحسن والبخل وقلة الانقياد وخاصة القرصيات تعود البنت كالبكر "، **في آداب الحسبة**،ص ص ٤٩، ٥٠.

(٤) الآية ٣ من **سورة النساء**.

وسنتبع خلال هذا العنصر المفردات الدالة على الجواري حسب انتمائها في مختلف أرجاء بلاد المغرب الإسلامي، وظلت قائمة حتى فترة الدراسة (٦ ـ ٩ هـ/١٢ـ١٥م)[١]،ثم أدلينا بنماذج تخص ظاهرة التسري في طبقتي العلماء والحكام ،مع الإشارة إلى تناقص الأمثلة في باقي الطبقات الاجتماعية.

وقد تحدث ابن الزيات[٢] عن زواج المتصوف أبي مدين من جارية حبشية،حصل عليها هدية من تاجر من بجانة الأندلسية،وأنجب منها ولدًا،ثم زهد فيها، ورغبة من أحد تلاميذ ته ، عبد الرزاق الجزولي في التخفيف عنه، اقترح عليه أن يتزوجها هو ويتكفل بابنه، فكان ردّ أبي مدين " أو تفعل ذلك ونكاح الحبشية عند المصامدة عار؟ غير أن التلميذ ألح عليه فاستجاب له " [٣].

يشيد الإدريسي [٤] بنساء النوبة وجمالهن عن نساء غانة وكانم والبجة والحبشة والزنج بمواصفات جمالية وجسمانية خاصة، بلغت حد تنافس ملوك مصر في اتخاذهن " أمهات أولاد لطيب متعتهن ونفاسة حسنهن ".

---

(١) تحدثنا المصادر المغربية بإسهاب عن أصول الإماء والجواري كإحدى المبادلات التجارية التي كانت تتوارد بين مختلف جهات بلاد المغرب الإسلامي خلال القرون ٦ ـ ٩ هـ/ ١٢ـ ١٥م ابتداء من، ابن حوقل: **صورة الأرض**،ص ٣٥، والمقديسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تقديم وفهرسة محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٦ والبكري: **المسالك والممالك**، تح، A.Ferre ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢، ج٢، ص٥٤ ،و الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تح، مجموعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاموس، د.ت ،ص ٦٥، ابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، تح، إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٢٦ ، ابن بطوطة : **رحلة ابن بطوطة**، ص١١٢، العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ،تح، مصطفى أو ضيف أحمد، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،١٩٨٨، ص ٧٤، والوزان: **وصف إفريقيا**، ج١، ص ٧٤،وأول دراسة حديثة :

Philips (W) : **Histoire de la esclavitud en Espana traduction leopoldo fornes Bonavia,** editorial playor, Madrid, 1990, p126.

(٢) **التشوف**، ص٦٤.

(٣) نفسه، ص ٦٤.

(٤) الإدريسي: م، س، ص ١٢٦.

أما في الأندلس، فقد اتخذ أحد الوزراء إحدى النوبيات جارية له، وكلف بها كلفا شديدًا، فقد كان " مولعًا بها بخيلاً بمفارقتها، ويذكر أن شراءها عليه مائتان وخمسون دينارًا من الدنانير المرابطية "[1] ولعل السّر في ذلك كونها " مع تمام محاسنها وبديع جمالها إذا تكلمت أسحرت سامعها لعذوبة ألفاظها وحلاوة منطقها لأنها ربيت بمصر فكانت بذلك تامة الصفات" [2].

ورغم جاذبية الجواري النوبيات، لم نعثر على إشارات تفيد بوجودهن في بلاد المغرب الإسلامي خلال فترة الدراسة، ولسنا نعرف سبب ذلك؟

وإلى جانب التجارة التي انتقلت عبرها الجواري الإفرنجيات إلى بلاد المغرب الإسلامي، تبرز الهدايا التي كان يتسلمها أمراء الدول المغرب والأندلس والمتمثلة بالخصوص الروميات والصقلبيات، فيذكر أحد الباحثين أن "المعتمد بن عباد" خلف في قصوره بإشبيلية قبل نفيه إلى آغمات، ثمانمائة امرأة بين أم ولد وخليلة ومعتقة، والأكيد أن هذه الجواري كن من أصل صقلبي، فقد كان معظم رقيق البلاط الإشبيلي في القرن ٥ هـ/ ١١م من الصقالبة [3]وفي القرن ٧ هـ/ ١٣م وجدت الجواري الإفرنجيات في البلاط الموحدي، فقد كانت حبابة جارية إفرنجية لدى المأمون الموحدي، وهي أم ولده الرشيد [4] ،وقد اشتهرت الجارية الرومية بجمال الجسم والأخلاق، " فكانت الروميات بيض شُقر، سباط الشعور، زرق العيون، عبيد طاعة وموافقة وخدمة ومناصحة ووفاء وأمانة،يصلحن للخزن لضبطهن وقلة سماحتهن ، ولا يخلو أن يكن يألفن صنائع دقيقة [5].

---

(١) الونشريسي:**المعيار**، ج١، ص٣١.

(٢) نفسه، ج١، ص٣١.

(٣) دخلت كلمة صقالبة إلى القاموس العربي كما دخلت إلى القاموس الأوربي، حيث أصبح لفظ Esclave الفرنسي يعني عبد أو رقيق والدلالة نفسها في لفظ Eslavos الإسباني و Slave الإنجليزي، ينظر :أحمد مختار العبادي: **الصقالبة في إسبانيا**، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٥٣، ص٨ ،في حين يرى ياقوت الحموي:" أن الصقلاب هو الرجل الأبيض أو الرجل الأصفر، **معجم البلدان** ، ج٣، ص،٤١٦ .

(٤) الناصري: **الاسقصا**،ج٢، ص ص٢٤١، ٢٤٢ .

(٥) ابن عبد ربه: **العقد الفريد** ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،ط٣، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥،ج٣، ص١٦٥، ج٥، ص٢٠٣ .

وقد أشار ابن حوقل إلى صادرات المغرب من الرقيق الأبيض إلى المشرق حيث نص على أن ما يتجهز به إلى المشرق من المغرب " الغلمان الروقة الروم "(١).

وفي إفريقية والمغرب الأوسط نجد إشارات في نوازل الفترة إلى " رجل اشترى خادمة رومية في المهدية " (٢)، وآخر " وصيفة رومية "(٣).

كما ورد على مدينة بجاية في القرن ٧ هـ/١٣ م عبيد بيض من الجزر الرومانية ،كانوا من الوفرة حتى كان "يباع بيضاوان من الروم بسوداء من الوخش"(٤).

أما عن الجواري العرابيات التي وفدت من الشرق الإسلامي ،فقد كانت على نطاق محدود ،وقد وصفت رسالة ابن بطلان بعض خصائص نساء المشرق(٥).

ويشير المقريزي (٦) إلى وفود جارية من المدينة على الأندلس تدعى " عابدة المدينة أم ولد حبيب بن الوليد المرواني المعروف بدحون،وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة،حالكة اللون"، ويستفاد من ذلك أنها جارية إفريقية الأصل - حبشية أو نوبية أو زنجية - عربية الوطن.

ولعل في شهادة ابن بطوطة (٧) عن وجود جارية عربية دمشقية لدى أحد أمراء السودان الماليين، خلال أواسط ق ٨ هـ/ ١٤م، استمرار لتسرب الرقيق العربي المشرقي إلى بلاد المغرب، وتجاوزه إلى بلاد السودان .

---

(١) ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ١٠٦.
(٢) الونشريسي: **المعيار**، ج٣، ص ١٥٧.
(٣) نفسه، ج٣، ص ٣٠٧.
(٤) الوخش معناه : رذالة الناس وصغارهم ،ينظر، ابن منظور، م س ،مجلد ٦، ص ٤١٣ .
(٥) وجاء في **الرسالة** :" المدنيات سمر الألوان معتدلات القوام، قد اجتمع فيهن حلاوة القول، ونعمة الجسم، وملاحة دلّ وحسن شكل وبشر، لا غيرة فيهن على الرجال، قنوعات بالقليل لا يبغضن ولا يصخبن، ويصلحن للقيان ، والمكّيات مخنثات مؤنثات لّينات الأرساغ ألوانهن البياض المشرب بسمرة، قدودهن حسنة، وأجسامهن ملتفّة، وثغورهن نقية باردة وشعورهن جعدة، وعيونهن مراض فاترة، والطائفيات سمر مذهبات مجدولات، أخف خلق الله أرواحًا وأحسنهم فكاهة ومراحًا، لسن بأمهات أولاد، يكسلن في الحبل، ويهلكن عند الولادة، والتركيات قد جمعن الحسن والبياض والنعمة، وعيونهن مع صغرها ذات حلاوة، وقدودهن ما بين الرُبع والقصير، والطول فيهن قليل، وهن كنوز الأولاد ومعادن النسل،قل ما يتفق في أولادهن وحش ولا ردي التركيب "،م س،ص ص٣١٤، ٣١٥ .
(٦) المقريزي: م س، ج٥، ص٣٦٢ .
(٧) ابن بطوطة:م س، ص١٧٦ .

غير أن وفود جواري من المدينة المنورة وبغداد ودمشق لا يبدو في نظرنا كافيًا للقول بوجود تجارة رق بين بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين فالأمر لا يعدو كونه حالات خاصة تهم أمراء وأعيان ،إما أرسلوا في طلب جواري لهم في المشرق، أو اصطحبوهن إلى المغرب، ويبقى أبرز مثال

لذلك الوالي العباس بإفريقية روح بن حاتم الذي كانت له " جاريته القندهارية،وكانت حظية عنده ،لجمالها وحسنها وأدبها وعلمها "[١] وإذا علمنا أن روح بن حاتم عمل واليا في المشرق قبل التحاقه بالمغرب، استطعنا تحديد مصدر الجارية، فضلاً عما تدل عليه نسبتها إلى " مدينة قندهار وهي من قواعد بلاد الهند " [٢].

إن حضور الجواري والإماء في بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة كظاهرة اجتماعية ملفتة للانتباه من حيث الأهمية والعدد، فقد كانت للجواري البيض،الغلبة للصقلبيات، فالروميات،أما الجواري المجلوبات من المشرق الإسلامي،فقد كانت حالة خاصة وليست ظاهرة اجتماعية ذات تأثير في الحياة المغربية.

ومن الأمور الملفتة للانتباه ،بروز أسماء نساء ،كان لهن الشأن العظيم في تاريخ البلاط الزياني والمريني ،وإن كانت معلوماتنا عنهن شحيحة، فقد تمكنا من إحصاء قائمة بأسماء هؤلاء الأمهات ،تأتي في طليعتهن:

- أم زيان [٣]: زوجة السلطان عبد الحق المريني، لا تعرف تاريخ ازديادها ووفاتها .

- أم الفرج [٤]: زوجة السلطان عبد الحق المريني، لا تعرف تاريخ وفاتها.

- تاملالت [٥]: هي أم ولد، والدة السلطان المتوكل على الله - أبي فارس موسى - بن أبي عنان بن أبي الحسن .

- تاغزونت [٦] : بنت أبي بكر بن حفص، أخت السلطان السعيد، وزوجة السلطان عبد الحق.

- تاحضريت [٧] : ابنة السلطان أبي الحسن، وتزوجت مع علي المكنى بأبي يفلوسن .

---

(١) الرقيق القيرواني:م س، ص،١٣٩ .

(٢) ابن سعيد: م س، ص:١٣٣ .

(٣) ابن خلدون: **العبر** ج٧، ص٣٤٥.

(٤) نفسه ج٧، ص ص ٣٤٩، ٤٥٠.

(٥) الناصري:**الاستقصا**، ج٤، ص ٦٩.

(٦) ابن خلدون:م س، ج٧، ص٦٥٦ .

(٧) نفسه ج٧، ص٦٥٥.

- **جوهرة** [1]: أم ولد،تزوج بها السلطان أبي العباس بن أبي سالم، فأنجبت له ثلاثة سلاطين وهم المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز بن أبي العباس بن أبي سالم، والسلطان المستنصر بالله أبي عامر [2] عبد الله بن أبي العباس، والسلطان أبي سعيد عثمان [3] بن أبي العباس بن أبي سالم.

- **رزيكة** [4]: أم السلطان علي ،وزوجة السلطان أبي يعقوب، لا نعرف تاريخ وفاتها.

- **شمس الضحى** : رومية الأصل ،أم السلطان (المتوكل على الله أبي عنان)، وزوجة فارس بن أبي الحسن،توفيت ليلة السبت ٤ رجب سنة ٧٥٠ هـ /١٣٤٩م[5]، ودفنت إثر صلاة الجمعة وحضر لدفنها أعيان المشرق والمغرب "[6] وقبرها بشالة معروف إلى اليوم بمدينة الرباط،.

- **عائشة** [7]: بنت قائد الجيش المريني ويدعى القائد فارح العلج، وهي أم السلطان الواثق بالله ابن زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن المريني.

- **عسيلة** [8]: أم السلطان الواثق بالله بن زيان محمد أبي الفضل بن ابي الحسن.

- **فضة** [9]: أم ولد السلطان المتوكل على الله أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمان يعقوب بن أبي الحسن المريني.

- **مريم** [10]: أم السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن.

- **ميمونة** [11]: أم السلطان أبي عمر تاشفين الموسوس بن أبي الحسن المريني .

---

(١) الناصري: م س، ج٤، ص٧٩.
(٢) نفسه، ج٤، ص٨١.
(٣) نفسه، ج٤، ص ٨٦.
(٤) ابن خلدون: **العبر**، ج٧، ص ٤٩٤.
(٥) الناصري: **الاستقصا**،ج٣، ص١٨١.
(٦) نفسه، ج٣، ص ١٨٢.
(٧) نفسه، ج٤، ص ٦٠.
(٨) نفسه، ج٤، ص ٧٢.
(٩) نفسه، ج٤، ص ٤٤.
(١٠) الناصري :م س، ج٤، ص ٥٢.
(١١) نفسه ، ج٤، ص ٥٣.

ـــــ **الياسميـن**[١]:أم السلطان السعيد بالله أبي بكر بن أبي عنان بن أبي الحسن المريني.
ـــــ **عطف**[٢]: من أصل نصراني ،زوجة أبو زكريا الحفصي، وأم السلطان بلله الحفصي .
ـــــ **قرب الرضا**[٣]: زوجة أبوبكر الثاني ،وأم ولد السلطان أبو إسحاق إبراهيم الثاني .
ـــــ **الأميرة المجهولــة** [٤]:السلطان أبي حمو الزياني وأخت تاحضريت ،كانت وفاتها في(٢٨ من شهر صفر عام ٨٢١ هـ/١٤١٨م) ، في عهد حكم أخيها أبي مالك الزياني.

وقد وضعنا مجموعة من الجداول توضح وضعية المرأة في المجتمع المغرب الإسلامي منها :

ـ جدول أمهات أولاد الحكام الموحدين .
ـ جدول أمهات أولاد الحكام بني حفص .
ـ جدول أمهات أولاد الحكام بني مرين .
ـ جدول التسري في طبقة العلماء (من القرن ٦ إلى ٩ هـ / من ١٢ ـ ١٥م) .

---

(١) الناصري:م س، ج٤ ، ص ٣.
(٢) الزركشي: **تاريخ الدولتين**، ص١١٢ .
(٣) نفسه، ص٩.
(4) Brosselard (C) : op-cit, pp 193,194.

اسمها وأصلها	صاحبها	المصدر
زينب عربية حرة	أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص٣٠٨
ساحر رومية	أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن	نفسه، ص٣٣٦
زهر رومية	أبي عبد الله محمد بن يوسف	نفسه، ص٣٨٦
قمر رومية	أبي يعقوب يوسف بن محمد	نفسه، ص٤٠٤
مريم الصنهاجية	أبي محمد عبد العزيز بن أبي يعقوب	نفسه، ص٤١١

جدول رقم : ٠٣ * أمهات أولاد الحكام الموحدين

اسم وأصلها	صاحبها	ولدها	المصدر
عطف نصرانية	أبو زكريا الحفصي ٦٢٥ ـ٦٤٧ هـ ١٢٢٨ ـ١٢٤٩م	المستنصر بالله الحفصي ٦٤٧ ـ ٦٧٥هـ ١٢٤٩ ـ١٢٧٧م	ابن الشماع: **الأدلة**،ص ٦٣. الزركشي: **تاريخ الدولتين**، ص ٣٣. ابن خلدون: **العبر**،ج٧، ص٥٠٧.
رويدا	أبو زكريا الحفصي	أبو إسحاق إبراهيم الأول ٦٧٨ ـ ٦٨١هـ ١٢٧٩ ـ ١٢٨٣ م	الزركشي:ن.م، ص٤٣
ظبية عربية	أبو زكريا الحفصي	أبو حفص عمر الأول	الزركشي:ن.م، ص٥٠
ضرب تدعى طرفة عند ابن الشماع رومية	المستنصر بالله الحفصي	أبو زكريا يحي الثاني الواثق ٦٧٥ ـ ٦٧٨هـ ١٢٧٧ ـ ١٢٧٩م	الزركشي:ن.م، ص٤١. ابن شماع:ن.م،ص ٧٤
جارية	الواثق ٦٧٥ـ ٦٧٨هـ ١٢٧٧ ـ ١٢٧٩م	أبو عبد الله محمد أبو عصيدة ٦٩٤ ـ ٧٠٩هـ ١٢٩٥ ـ ١٣٠٩م	ابن الشماع:ن.م،ص ٨٣.
أملح الناس رومية	أبو إسحاق إبراهيم الأول ٦٧٨ـ٦٨١هـ/١٢٧٩ـ١٢٨٣م	أبو بكر الثاني ٧١٨ـ٧٤٧هـ /١٣١٨ـ ١٣٤٦م	الزركشي:ن.م،ص ٦٦
حبابة	أبو بكر الثاني ٧١٨ـ٧٤٧هـ/١٣١٨ـ١٣٤٦م	أبو حفص عمر الثاني ٧٤٧ـ ٧٤٨هـ/١٣٤٦ ـ١٣٤٧م	نفسه،ص ٨٠
سعد السعود رومية	أبو بكر الثاني	أبو العباس أحمد والي قفصة	نفسه ،ص ٨١
عطف رومية	أبو بكر الثاني	أبو العباس أحمد الفضل ٧٥٠ ـ ٧٥١هـ/١٣٥٠ـ١٣٥١م	نفسه ،ص ٨١
قرب الرضا	أبو بكر الثاني	أبو إسحاق إبراهيم الثاني ٧٥٠ـ ٧٧٠هـ/١٣٥٠ـ ١٣٦٩م	نفسه ،ص ٩٢
عطف رومية		أبو العباس أحمد الثاني ٧٧٢ـ ٧٩٦هـ/١٣٧٠ـ ١٣٩٤م	نفسه ،ص ١١٢

جدول رقم : ٠٤ * أمهات أولاد الحكام بني حفص .

اسمها	السلطان	تاريخ حكمه	المصدر
عنبر حبشية	المنصور بالله أبو الحسن علي	٧٣١ ـ ٧٤٩هـ/ ١٣٣١ - ١٣٤٨م	ج٣،ص ١١٨
شمس الضحى رومية	المتوكل على الله أبو عنان	٧٤٩ ـ ٧٥٩هـ/ ١٣٤٨ - ١٣٥٨م	ج٣،ص ١٨١
الياسمين	السعيد بالله أبو بكر بن أبي عنان	٧٦٠ ـ ٧٦١هـ/ ١٣٥٨ - ١٣٥٩م	ج٤،ص ٣
قمر رومية	المستعين بالله أبو سالم إبراهيم	٧٦٠ ـ ٧٦٢هـ/ ١٣٥٩ - ١٣٦١م	ج٤،ص ٧
ميمونة	أبو عمر تاشفين الموسوس	٧٦٢هـ/ ١٣٦١م	ج٤،ص ٤١
فضة	المتوكل على الله أبو زيان محمد	٧٦٢ ـ ٧٦٨هـ/ ١٣٦١ - ١٣٦٧م	ج٤،ص ٤٤
مريم	أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن	٧٦٨ ـ ٧٧٤هـ/ ١٣٦٧ - ١٣٧٢م	ج٤،ص ٥٢
تاملالت	أو فارس موسى المتوكل على الله	٧٨٦ ـ ٧٨٨هـ/ ١٣٨٤ - ١٣٨٦م	ج٤،ص ٦٩
عُسيلة	الواثق بالله أبو زيان محمد	٧٨٨ ـ ٧٨٩هـ/ ١٣٨٦ - ١٣٨٧م	ج٤،ص ٧١
جوهر	المستنصر بالله أبو فارس عبد العزيز الثاني	٧٩٦ ـ ٧٩٩هـ/ ١٣٩٩ - ١٣٩٧م	ج٤،ص ٧٩
جوهر	المستنصر بالله أبو عامر عبد الله	٧٩٩ ـ ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧ - ١٣٩٨م	ج٤،ص ٨١
جوهر	أبو سعيد عثمان بن أبي العباس	٨٠٠ ـ ٨٢٣هـ/ ١٣٩٨ - ١٤٢٠م	ج٤،ص ٨٦
علجية	عبد الحق بن أبي سعيد	٨٢٣ ـ ٨٦٩هـ/ ١٤٢٠ - ١٤٦٥م	٩٥

جدول رقم :٠٥ * أمهات أولاد الحكام بني مرين من خلال كتاب الإستقصا للناصري

صاحب الجارية	خاصية الجارية	صفته	العصر	المكان	المصدر
أبو محمد عبد الحق الاشبيلي (ت٥٨١هـ/١١٨٥م)	وصيفة سمراء	قاضي	ق ٦هـ/١٢م	بجاية	الغبريني: **عنوان الدراية**،ص ٤٣
أبومدين شعيب (ت٥٩٤هـ/١١٩٨م)	حبشية	متصوف	ق ٦هـ/١٢م	بجاية	ابن القنفذ:**أنس الفقير**،ص٣٥
أبو محمد بن ينصارن الماجري	حبشية	من أتباع أبي مدين	ق ٦هـ/١٢م	بجاية	ابن القنفذ:ن م،ص٣٥
أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي (ت٦٣٨هـ/١٢٤١م)	اسمها كريمة	فقيه غير ميسور الحال	ق ٦هـ/١٢م	بجاية	الغبريني:ن م،ص١٤٨
أبو محمد عبد الله البلوي	جارية مع أربع زوجات	فقيه	ق ٨هـ/١٤م	القيروان	ابن ناجي: **معالم الإيمان**،ج٤ ،ص٢١٨
عبد الباسط بن خليل	اسمها أم الفتح شكر باي	رحالة مصري	ق ٩هـ/١٥م	تونس، تلمسان ٨٦٦هـ/١٤٦٢م	Brunschvig(R) : **Deux Récits..**, pp32,42
عمر بن علي الجواري الراشدي	سمراء	فقيه جمع مناقب ابن عروس	ق ٩هـ/١٥م	تونس	الراشدي: م س، ص٥٠٨

جدول رقم :٠٦ * التسرّي في طبقة العلماء
من القرن ٦ إلى القرن ٩ هـ/ ١٢ - ١٥م

٢ ـ عند العـامة :

أفادتنـا كتـب النـوازل وضـعية المـرأة فـي الوسـط الشـعبي التـي تميـزت منزلتها الاجتماعية وتباينت بحسب الظروف المادية التي عاشتها مع أهلها في الحواضر والبوادي على السواء وهذا ما جعل أحد الباحثين يرى بأنـه " خطـأ تعميم الأحكام عليها" [١]،دون مراعاة هذه الأسباب.

وعـادة مـا تقـوم المـرأة علـى خدمـة بيتهـا مـن طـبخ وغسـل وغـزل وحياكة،وجلب الماء من الآبار والعيون،وجلب الماعز والأغنـام ومـا يتعلـق بهـا ورعي الأغنام عند الحاجة، فتقوم المرأة بالعمل اليدوي والأعمال المجهدة.

ونلاحظ أن بيوت العامة من الناس في الغرب الإسلامي لم تكن تحتوي على الخدم لأن أجر الرّجل لم يكن يسمح له بشرائها،وذلك لغلاء أثمانها، ولهذا أهميـة كبـرى فـي احـتلال المـرأة مكانـة رفيعـة فـي بيتهـا،والمحيط الـذي تعيشـه وخاصة في علاقتها بزوجها إذ فلم تكن هنـاك نسـاء تنافسـنها فـي حبـه لهـا،ولم تكن الفتاة من الطبقـة العامـة تسـتمتع بحريـة كاملـة فـي أن تحـب،وأن تعبـر عـن مشاعرها وعواطفها بإخلاص،وإنما كانت هناك حواجز،وضعها العرف والدين حدًّا من هذه الحرية،ولكن رغم ذلك عثرنا على بعض الحالات الاستثنائية[٢] .

أما عن دور الأم في المغرب الإسلامي، فقد سكتت المصـادر عـن ذكـر شيئٌ ما عنهـا،سـواء فـي العلاقـة بـين الـزوجين،أو فـي تربيـة أولادهـا،ومع أنهـا شـريكة الرجـل فـي هـذه المسـؤولية الكبيـرة،إلا أن نصـيبها أوفـر وأهـم مـن الرجل،وذلـك لأن الأم هـي التـي حملـت ثـم وضـعت ثـم أرضـعت حملتـه كُرْهـا ووضـعته كُرْهـا[٣] ،فضـلا عـن وجودهـا مـع أولادهـا وقتًـا أكبـر مـن الرجـل[٤] ،وأحيانًا كانت المرأة تحاول بشتى الطرق أن تدافع عن أولادها،إذا ما تعرضـوا للقهر والظلم فكانـت تتـودّد وتستشـفع لـه حتـى لا يمسـه أي ضـرر،ويسـهل عليـه كسب عمل للاسترزاق أو طلب العلم بالمجان،ومن الأمثلة علـى ذلـك الفقيهـة **أم البنين** التي كانت تحضن حفيدها أحمد زروق [٥] .

---

(١) بوتشـيش إبـراهيم القـادري: **المغـرب والأنـدلس فـي عصـر المـرابطين،"المجتمـع والـذهنيات والأولياء"**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٩٣، ص ٤٧.

(٢) راجع حكاية ابن ترجمان مع ابنة جاره عند الونشريسي: م س،ج٣، ص١٩٩.

(٣) الونشريسي: م س، ج٣، ص ٣٢٢، ج٤،ص ص ٢٥، ٣٨، ج٤، ص ص ٢٢، ٢٣.

(٤) نفسـه ، ج٤، ص ص ٤٥، ٤٦.

(٥) ابن مريم: **البستان،** ص ٤٥.

كما لقيت أرملة الحمّال معونة عند أصحاب زوجها "الحمالين" الذي كان يشغل معهم بفاس،وقاموا بمساعدتها وتكفلوا بأولادها إلى أن تتزوج مرة ثانية إذا رغبت في ذلك،واهتموا بعطف وحنان الأولاد إلى أن يبلغوا السن الذي يمكنهم من القيام ببعض الأعمال [١].

كما برزت عادة اجتماعية عند النساء في ق ٧ هـ/ ١٤م تتمثل في التعاون والتضامن فيما بينهن تعرف بالتويزة [٢]،" وهي خروج النساء لمجالس تجمعهن كما يفعل عندنا في مجتمع يسمونه التويزة يغزلن عند امرأة واحدة في منزلها ما تدعوهن بغزله من كتّان أو صوف إعانة ورفقًا "[٣]،وهذا السلوك الاجتماعي التضامني كان قصرًا على هذه الطبقة ولم يكن موجودًا عند نضيرتها في الطبقة الحاكمة وهذا ما يدعونا إلى التساؤل عن حالة المرأة وتصرفها:كيف كانت تتصرف ؟ ،إن القيود الاجتماعية العديدة التي كانت تكبل المرأة في الوسط الشعبي لم تمنعها من التصرف بصفة طبيعية فهي قبل كل شيء امرأة تعرف أن الرّجل في حاجة إليها رغم ما يظهره لها من احتقار.

ولم يكن المجتمع خاليًا من النساء اللاتي تمردن على هذه القيود **كهروب المرأة** مثلا فقد كانت نساء قسنطينة يفّرن إلى الجبل إذا لم يرضين بأزواجهن،وتترك المرأة الهاربة أولادها، وربما اتخذت زوجًا آخر في الجبل الذي تقصده ،وذلك ما يسبب الخصومات،لكن غالبًا ما يقع الاتفاق إمّا بأداء مبلغ من المال وإمّا بمبادلة أخرى،كأن يُزوج الرّجل الذي أخذ الهاربة إحدى بناته أو أخواته لزوج المرأة الهاربة [٤] وهكذا، تلاحظ تفاقم هذه الظاهرة في كل البلاد تقريبا،وهي تعبّر عن غضب المرأة وعدم رضاها بهذا السلوك المنافي للشرع الإسلامي.

وأشار الوزان إلى تفشّي مثل هذه الظاهرة في أقصى المغرب وذلك عند كلامه عن جبل مرنيسة الذي تعودت نساؤه الهروب من بيوتهن إذا ما أصابتهن إهانة من أزواجهن مهما كانت

---

(١) الوزان: م س ، ج٢، ص١٨٥.

(٢) يعرفها **صاحب البستان** بأنها " الأرض الذي يتعاون الفلاحون في حرثها وزرعها وحصدها بدون مقابل، ابن مريم، ص٢٢٥.

(٣) العقباني : **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**،تح علي الشنوفي، نشره في.B,E,O,I,F,a Damas, T19,Année 1965, 1966،ص١٣٦.

(٤) الوزان: م س ، ج٢، ص١٠٣.

ضئيلة،"لقد كنّ يلجأن إلى الجبال المجاورة،مما كان يتسبب في صراعات عنيفة بين الرجلين"[١]، ويمكننا إرجاع أسباب الهروب إلى ثلاثة أمور هي:إرغام الفتاة على التزوج من رجل ترفض الزواج منه،واختطافها إثر غارة مسلحة من تدبير عشيقها،أو عن طريق إهانة الأزواج لزوجاتهم .

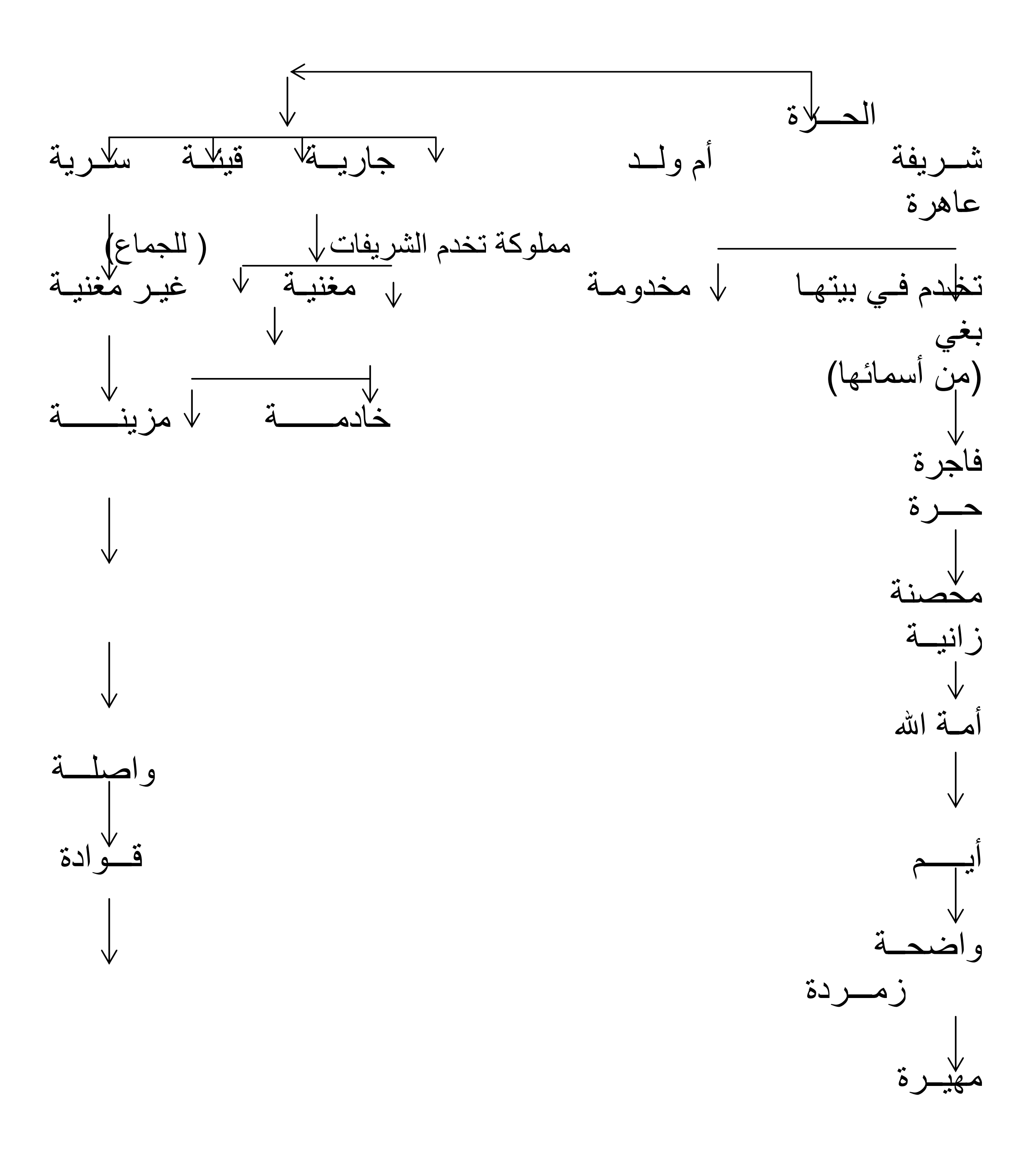
يتبين لنا أن نساء المغرب الإسلامي قد عانين من هضم حقوقهن،وكان من ظلم المجتمع لهن،أنهن لم تجدن أمامهن وسيلة سوى الهروب، ومازالت هذه الظاهرة موجودة في بعض مناطق بلاد المغرب العربي إلى يومنا هذا .

كما انتشرت **الخيانة الزوجية** ببعض مناطق بلاد المغرب الإسلامي،إلى جانب البؤس الذي أدى بالكثير من النساء إلى الاتجار بمفاتنهن بأبخس الأثمان،وقد أفادنا الوزان "أن تجار قسنطينة يبذرون معظم ما حصلوا عليه في إنفاقه على النساء والعاهرات بتونس" [٢] ،وكشف بعض العبارات الصريحة عن خيانة النساء لأزواجهن في بعض مدن المغرب الأقصى" كتقديم النفس عن طيب خاطر،والتستر الكامل،فقال: "ونساء المدينة في غاية الجمال والبياض،ويقدمن أنفسهن عن طيب خاطر للغرباء حتى أمكنهن ذلك،وفي تستر كامل" [٣]،وأضاف يقول:" أنه في جبل بني منصور ليس فيهن واحدة وفيّة لزوجها "[٤]،وفي جبل درعة:" النساء الجميلات، اللطيفات أكثرهن عاهرات" [٥].

إن حديثنا عن هذا الجانب من حياة وتصرف المرأة لا يعني أنها كانت دائمًا تلعب دورًا سلبيًا في المجتمع،بل كانت لها مشاركة إيجابية إلى جانب الرّجل في المجالات الأخرى .

---

(١) الوزان: م س، ج٢، ص ص٦٥ ، ٦٦.
(٢) نفسه، ج١، ص ١٢٠.
(٣) نفســه، ج١، ص ١٦٥.
(٤) نفسـه، ج١، ص ٣٣٠
(٥) نفسـه ، ج٢، ص ١٢٠.



المرأة
شريفة
أم ولد
جارية
قينة
سرية
عاهرة
مملوكة تخدم الشريفات
(للجماع)
تخدم في بيتها
مخدومة
مغنية
غير مغنية
بغي
(من أسمائها)
خادمة
مزينة
فاجرة
حرة
محصنة
زانية
أمة الله
واصلة
قوادة
أيم
واضحة
زمردة
مهيرة

جـدول رقـم: ٠٧   * التدرّج الاجتماعي للمرأة المغربية
من عمل الطالبـــة

ويتبين مما تقدم استعراضه عن حياة المرأة كيف مارست حياتها زوجة وخادمة وشريفة،حيث فرضت نفسها جنبا إلى جنب مع الرجل،على الرغم من الصعاب التي واجهتها وعكّرت صفو عيشها حتى انتهت هذه النهاية المأساوية،وإذا كان هذا حالها فما هي الأسباب والألقاب التي أطلقت عليها:

٣ ـ **الألقـــاب** :

أما عن الألقاب التي تميزت بها النساء في فترة دراستنا هذه،فهي شبيهة إلى حد ما بالألقاب التي كانت متداولة عند الحكام والسلاطين بصفة عامة الذين اهتموا باتخاذ الألقاب، التي كانت من مراسيم الخلافة والسلطة،وهكذا نجد أنّ ألقاب الحفصيين والزيانيين والمرينيين ماهي إلاّ امتدادًا للألقاب ،التي شاع استعمالها في الدولة الموحدية،كلقب "أمير المؤمنين" والسلطان[١]،وكذلك الألقاب التي استعملت للوزراء الموحدين،مثل لقب "الوزيرالكبير" [٢] وكان يلاحظ على ألقاب الموحدين أنها كثيرة ومرتبة،واستمر العمل بها في عهد الدول الثلاث [٣] .

أما الألقاب الخاصة بالمرأة فقد اقتصرت على المرأة الموحدية فقط مثل زوجات الخلفاء وأمهاتهم وبناتهم وعماتهم ولقد استمرت هذه الألقاب إلى غاية النصف الثاني من القرن٩ هـ/١٦م ويدل تنوعها على المكانة التي حازتها المرأة،وكانت أحيانًا المرأة الواحدة تتلقب بعدّة ألقاب نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

- **الجـاريـــة** :هذا اللقب قد أطلق على النساء غير الحرائر،وتعرف بالإماء أيضًا،كن يخدمن الشريفات، ويخدمن في القصور وكنّ في منزلة دانية،والجارية تباع وتشترى،قيل أن الجد الكبير لعبد الرحمان بن خلدون كان قد أهدى جارية جلقية للأمير أبي بكر زكريا الحفصي،أيام ولايته على اشبيلية وأنه: " اتخذها أم ولد وكان له منها ابنه أبو يحي زكرياء " [٤].

---

(١) ابن خلدون:**العبر**،ج٧، ص٣٢٠،ابن مرزوق:**المسند الصحيح**،ص٢٤٧، يحيى بن خلدون:**بغية الرواد**،ج٢، ص ص٢١٥، ٣٤٢.

(٢) التنسي: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان** ، ص ص١٢٧، ١٣٥، ١٥٤.

(٣) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج٢، ص ص٢٤، ٦٧، ١٠٣، ج٤، ص ص١٠٣، ٢١٠.

(٤) ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون**، ص ص٨، ٩ .

- **الحـــرّة** : وهـي نقيض الأمة،ومنـه حـديث عمـر رضــي الله عنـه، قـال للنســاء اللاتــي كـن يخـرجن إلـى المسـجد:" لأَرْدُ تَكُنّ حرائـر" أي لا لـزمنكن البيوت فلا تخـرجن إلـى المسجد، لأن الحجـاب إنمـا ضـرب علـى الحرائـر دون الإماء [1]،وهذا اللقب قد أطلق على "أم العز" بنت محمد بن حازم العلـوي التـي توفيت في سنة (٦٨٣ هـ/١٢٨٤م) ودفنت بشالة بمدينة رباط الفتح [2].

- **الجليلــة** : كان هذا اللقب يسبق الاسم العلم للمرأة ويطلـق علـى نسـاء الطبقـة الحاكمـة ذات أصـول شـريفة، مثـل زوجـة السـلطان الزيـاني "الجليلـة ملوكـة" بنـت الشـيخ عثمـان بـن مشـعل[3]، وبنـت السـلطان الزيـاني أبـي عبـد الله محمد الملقبـة بــ "الحـرّة الجليلـة عائشـة" [4]و"الحـرّة الجليلـة فاطمـة" بنـت أميـر مولاي محمد بن سليمان الأندلسي[5].

- **السيـــدة** :لقب عـام أطلـق علـى النسـاء مـن أميـرات قصـر الخلافـة مـن زوجـات وأمهـات وأخـوات وكـرائم وعمـات الخلفـاء وكـذلك بعـض نسـاء شـيوخ القبائل،وكمثـال علـى هـؤلاء " السـيدة الفضـلى عائشـة المغيليـة " بنـت الـوزير محمـد بـن إبـراهيم الكنـاني المغيلـي [6] و"السـيدة ملوكـة " بنـت الشـيخ يعقـوب المتوفاة عام (٨٧٥ هـ/ ١٤٧٠م) [7] و"السيدة المنوبيـة المتصـوفة" [8] و"السـيدة مغنية المتصوفة" ،وغيرهن[9] .

- **الشريفـــة**: هـذا اللقـب مـن الشـرف،ولقد ظهـر فـي الدولـة الإسـلامية ويطلق على أقرباء النبي وأهل بيتـه بصـفة عامة،ولقد صـار لقبًـا عامًـا فـي كـل عبـاس فـي بغـداد وعلـوي فـي مصـر والمغـرب[10]،ولقـد اسـتمر هـذا اللقـب يـدل على أبناء فاطمة (رضـي الله عنـها) حتـى وقتنـا هذا

---

(١) ابن منظور:م س، ص١٨١.
(٢) الناصري: م س، ج٣، ص٨٩.
(٣)معزوز ودرياس: م س، ج٢، ص ص ٥٠، ٥١.
(٤) نفســه، ج٢، ص ص٢٤٧، ٢٤٨.
(٥) نفسه، ج٢، ص ص ١٠٠، ١٠١.
(٦) المقري: **نفح الطيب**، ج٥، ص ص ٤٧٩، ٤٨٠.
(٧) نقسه، ج٢، ص ص ٥٠، ٥١.
(٨) مجهول: **مناقب السيدة عائشة المنوبية**، مخ ،مكتبة الآباء البيض، تونس، عدد١٣،رقم٦٦٩،و١أ ومابعدها.
(٩) القاضي عياض:**ترتيب المدارك**، ج٨، ص٦٨، ومابعدها.
(١٠) القلقشندي: **صبح الأعشى**،ج٦، ص١١٧.

وأما النساء الشريفات،فكن يتصفن بالتقوى والزهد،وليس أدل على ذلك من حياة السيدة المنوبية.

ولقد وجدت شواهد قبور لنساء بني زيان ،في متحف تلمسان وكانت بعضها من الرخام،مما يدل على ثراء بعضهن،أو على الأقل قد تلقين رعاية من الحكام كما كن يتميزن بميلهن للعبادة والتقوى[١]، وكان لقب " الشريفة " يطلق على كل نساء الطبقة العليا والمتوسطة أيضًا،ذات أصول آل البيت مثل الأميرة "الشريفة تاحضريت" بنت السلطان أبي حمو الزياني(ت٨٢١ هـ/١٤١٨م) [٢].

- **الحــاجــة**:وهذا اللقب أطلق على السيدة التي أدت فريضة الحج،سواء تنتمي للطبقة الحاكمة أو العامة،حيث كانت تأدية فريضة الحج تعتبر من دواعي الاعتزاز والمدح لمن قام بتأديتها ومن بينهن:الحاجة ست الجميع ابنة علي بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن عيسى بن ناصر الأول القرشي العبدري الشيبي، زوجة قاسم المغرب ، (ت٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م) ظنًّا غريقة شهيدة في البحر بين ينبع وجدة عند رجوعها من الحج [٣]، و"أم أيمن" زوجة السلطان عبد الحق المريني و"رابحــة" ابنة المرابط زوجة أبي عبد الله بن أبي فارس صاحب إفريقية،وكانت قد حجت مرارًا في أيام الأمير المملوكي جقمق، وزارت بيت المقدس وعظم شأنها، توفيت في أوائل سنة (٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦م) [٤]،والأميرة "مريم" زوجة السلطان أبي سعيد المريني،التي ترأست الركب الحج المغربي الذي وجهه السلطان أبو الحسن سنة (٧٣٨ هـ/١٣٣٧م)، مرفقًا وإياها الرّبعة التي كتبها بخطه من المصحف الشريف وأهداها للحرم المكي، وأرسل معها إلى السلطان الملك الناصر بن قلاوون بمصر، هدية عظيمة تشتمل على كمية وافرة من المجوهرات النفيسة والسيوف المحلاة بالذهب والسروج بركاب ومهاميز الذهب [٥].

ويبدو أن "الحاجة" لقب استمر تداوله عند نساء هذا العصر ولم يعد مقتصرا على نساء الطبقة الغنية فقط .

---

(١) معزوز ودرياس: م س، ج ١، ص ص٩٢، ٩٣.

(٢) نفســه، ج٢، ص ص ٤٠، ٤١.

(٣) السخاوي: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**،القاهر،١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ص٥٤.

(٤) ابن خلدون: **العبر**، ج٧، ص ص ٣٥٠، ٤١٥.

(٥)ابن مرزوق: **المسند الصحيح** ،ص ص ٤٥٢، ٤٥٣.

- **أم ولـد**:وهذا اللقب قد أطلق على الجارية أو الأمة التي أنجبت من سيدها ولدا ثم أعتقها وتزوجها،ويقال حررها ولدها وتسمى بـ "أم ولـد"[١]،وجمع صاحب الاستقصا[٢] أسماء" أمهات أولاد السلاطين بني مرين"،ونذكر كمثال على ذلك: "فضـة" أم السلطان المتوكل علـى الله المرينـي،و"شـمس ضـحى" أم السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن المريني.

- **الحّرة المكرمــة** : هذا اللقب يسبق الاسم العلم للمرأة،ويستخدم لنساء الطبقة الحاكمة والعليا،واشتهرت به" الحرّة المكرمة العالية "[٣] بنت الأمير عمر بن السلطان أبي حمو موسى الثاني.

- **الزكيــة المباركـة**: هذا اللقب يسبق الاسم العلم للمرأة ويطلق على نساء الطبقة الحاكمة والعليا وقد اشتهرت بـه " أم اليمن"[٤] بنت محلى البطوي الزياني.

- **قهرمـانة**:هذا اللقب هو من ألقاب التشريف الخاصة بصاحبات العصمة من عليـة النسـاء، تكريمًـا لهـن ،ولكننـا عثرنـا علـى اسم أشـهر قهرمانـة القصر الزيـاني فـي عهد السلطان أبـي سعيد عثمـان بن يغمراسن، وتدعى "دعد "[٥] وكانت قائمة بخصوصيات القصر،ولا نعلم كيف ظهر هذا اللقب ومـا هـي عوامل انتشاره وتداوله من قبل نساء العصر الزياني؟

- **أهــل**: وهذا اللقب يدل على الزوجة،قال الونشريسي:" قد بنـى فلان بأهله "[٦] ،وأهل الرّجل إذا تزوّج،والمرأة مأهولة، وآهلة: أي زوجة [٧] .

– **حـريم** :والحريم النساء، وحرم الرّجل نساؤه وعياله وأهله،وما تحميه وتقاتل عنـه [٨]،قيل : " لما انتصر الأمير يغمراسن الزياني على جيش الموحدي، استولى على الملكة أما حرم السعيد

---

(١)ابن منظور:**لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص١٥٦.

(٢) الناصري:م س،ج٤، ص ص٣ ، ٤٤.

(٣) ابن أبي زرع:**الذخيرة السنية** ، ص٩٣.

(٤) معزوز ودرياس:م س،ج٢،ص ٣٤.

(٥)ابن خلدون: **العبر**،ج٧ ،ص ١٦٧.

(٦) الونشريسي:**المعيار**،ج٣،ص٣٠٧.

(٧) ابن منظور: م س، (أ هـ ل) ص٣٠١.

(٨) نفسه، ص١٢٥.

الموحدي فقد تقدم إليهن يغمراسن وأعرب لهن عن تأسفه على ما وقع وألحقهن بالمغرب آمنات سالمات" [١] .

- **النســـاء**: يقال نسوة ونساء: إذا تأخر حيضها ورجي حبلها [٢]،والنِّسوة والنُّسوة بضم النون وكسرها،والنساء والنِّسوان جمع المرأة من غير لفظه [٣] ،والنّساء:جمع نسوة إذا كثرن [٤]،وأفادنا صاحب الذخيرة السنية:" أن أهل الجمال من النساء الفقيرات تجب عليهن الصدقة مخافة فسادهن وأن القبيحات لا يتصدّق عليهن بشيء حتى يستغنى الملاح"[٥]، وأفادنا ابن عبد ربه إلى طبقات النساء بتفصيل[٦] أما الوزان فقد ذكر أن " نساء نكاوس جميلات بيض البشرة سود الشعر اللامع،لأنهن يتردّدن على الحمام،ويعتنين بأنفسهن"،وكذلك نساء تونسيات،وغيرهن.[٧]

- **البِكْـرٌ**:التي لم تفتض،وجمعها أبكار،والبكر من النساء التي لم يقبرها رجل،وكذلك لم يقرب امرأة،والبكرُ:العذراء [٨].

- **صبيـــة**: كان هذا اللقب يسبق الاسم العلم للبنت الغير البالغ،ويطلق على من لا يتجاوز عمرها سبع سنوات، وقد كشفت الدراسات الحديثة أسماء بعض الصبيات من خلال اكتشاف شواهد قبورهن [٩].

- **أخــت** :شقيقة الأخ من أبويه،ج،أخوات والتاء فيها ليست للتأنيث[١٠] وأخبرنا البيدق أن: "زينب أخت ابن تومرت،كانت شهمة وحافظة السّر "[١١]،وأضاف ابن خلدون:" أن الأميرة حنينة أخت السلطان يغمراسن بن زيان"[١٢].

---

(١) ابن خلدون:**العبر**،ج٧ ، ص ص ١٨٤، ١٨٥.

(٢) ابن منظور: م س،ص ١٦٨.

(٣) نفســه، ص٣٢١.

(٤) عبد المنعم سيد عبد العال:**الشامل لجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية**، مكتبة غريب،ط١، ١٩٨٢،ج٣، ص٤٧٠

(٥) ابن أبي زرع:**الذخيرة السنية**، ص ٣٢.

(٦) ابن عبد ربه:م س،ص٢٢٤.

(٧) الوزان: م س، ج١، ص ص٤٧، ٥٦ ، ٦٠ ،ج٢، ص ص٣٨، ٥٣.

(٨) ابن منظور، م س، ص٧٨،الونشريسي:م س، ج٣،ص ص٣٨٥، ٣٨٦

(٩) عزوز ودرياس: م س، ج٢، ص ص٩٠ ،١١٢.

(١٠) ابن جني:**سر صناعة الإعراب** ، تح ،حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١،١٩٨٥،ص ص١٤٩،١٥٠.

(١١) البيدق: **أخبار المهدي ابن تومرت**، ص ٧٩.

(١٢) ابن خلدون:م س، ج٧، ص ص ١٧٦ ، ١٨٢.

- **العجــوز** :الشيخة الهرمة ج: عُجُزٌ وعُجْز وعجائز، وقيل هي المرأة الكبيرة المسنة[١].

- **عــروس** :نعت يستوي فيه الرّجل والمرأة ج عرائس وهو اسم لهما عند دخول أحدهما بالآخر مأخوذ من العُرس، وهو إعراس الرجل بأهله إذا بنى عليها ودخل بها [٢].

- **زوجــة** :الزوج:الفرد الذي له قرين،والزوج: الإثنان،وزوج المرأة بعلها، وزوج الرّجل:المرأة ج. أزواج وزوجة [٣]،قال الكساني أن أكثر كلام العرب بالهاء قولهم هي زوجته [٤]،وقد وردت في القرآن الكريم بغير هاء " أسكن أنت وزوجك الجنّة " [٥].

- **الأرملـة** : التي مات عنها زوجها ، ج، أرامل وأرمِلة، وهو من المجاز من الاحتقار وفناء الزاد ومنه الأرملة، ولا يقال أرملت المرأة إلا مع الحاجة "[٦].

- **الأم**: الوالدة المرضع من الآدميات،ج، أمهات، ومن البهائم أُمّـات[٧]،والوالدة وامرأة الرجل المسنّة،ومن كل شيء أصله وعماده [٨].

- **العـانــس**: التي جازت فتاء السن ولما تعجز، فيقال : عنّست، وتستعمل للجنسين وأكثر ما يستعمل في النساء، ويقال:معنّسة، إذا كبرت وعجزت في بيت أبويها حتى خرجت من عداد الإبكار[٩]،وأخبرنا الأستاذ بورويبة أن:"والدة ابن تومرت قد أعنست فلمّا خطبها والد ابن تومرت وكان فقيرًا رغبوا في مصاهرته "[١٠].

---

(١) ابن منظور:م س، (ع ج ت)، ص٣٢٠.
(٢) نفسه،(ع ر س) ، ص١٣٥.
(٣) عبد المنعم سيد عبد العال: م س، ج٢، ص ص٢٠٧ ، ٢٠٨.
(٤) ابن منظور:م س،(ز و ج) ، ص ١٤٠.
(٥) الآية ٣٥ من **سورة البقرة** .
(٦) عبد المنعم سيد عبد العال: م س، ج٤، ص ١٧٤.
(٧) ابن منظور: م س، (أ م م) ص ص٢٨، ٣١.
(٨) ابن قتيبة: م س، ج١، ص ٢٥٩ .
(٩) ابن منظور:م س،ص ٢٩٨.
(١٠) رشيد بورويبـة: **ابن تومرت**، ص١٨.

ثـــانيـــا: الـــزواج

إن مما امتازت به الشريعة الإسلامية في تكريم النساء،أنها فرضت على الرجل أن يدفع لمن يقترن بها مهرا مقدما على البناء بها، فقد فرض الله عزّ وجلّ على الرجل فرضا حتما، وحرّم عليه أن يأكل شيئا منه بعد الزواج، حيث قال في حق الزوجات:" ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم" (١)، وقال في باب العشرة بين الزوجين:" إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان"(٢)، وقال:" وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" (٣) وفي نفس السورة يقول:" وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير"(٤).

وعليه لا بد من دراسة فقهية ،اجتماعية وتاريخية توضح حركة تفاعل المجتمعات المغربية مع هذه الآيات القرآنية،واهتدائها بفتاوي الفقهاء والعلماء في مختلف النوازل التي عرضت لأفرادها ومجتمعاتها.

وما تجدر الإشارة إليه أن معظم ما ورد في قضايا المرأة المغربية وأوضاعها خاصة ما يتعلق بالنكاح والعلاقات الزوجية مستمدة من النوازل الفقهية التي كانت موضوع دراسة قيّمة لباحثين معاصرين(٥)، وعليه نتساءل هل كان زواج المرأة المغربية يتحدد بانتمائها لطبقة اجتماعية معينة؟

١ - زواج الطبقة الحاكمة:

يعمد الحكام شأنهم شأن باقي أفراد المجتمع إلى إبرام عقود زواج تجمع بين ابن العم وابنة العم، وذلك إتباعا لتقليد اجتماعي، وتحقيقًا لمصالح سياسية بالإضافة إلى الرغبة في تحقيق وحدة العائلة الثرية والكبيرة (٦)،ووجدنا هذه الظاهرة منذ العهد المرابطي وتواصلت بعده (٧).

---

(١) الآية ٢٢٨ من **سورة البقرة** .

(٢) الآية ٢٢٩ من **سورة البقرة** .

(٣) الآية ١٩ من **سورة النساء** .

(٤) الآية ١٢٨ من **سورة النساء**.

(5)Idriss (H, R):" Le mariage en occident musulman, analyse dés fatuas Médiévales" **in Studia islamica** , 1970, pp 157 , 167.

(6)Guichard(P):**Structures sociales orientales et occidentales dans l'époque musulmane**, Paris, 1977, p 74.

(٧) بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين**، ص٢٥.

وفي العهد الموحدي وجدنا مثالين للمصاهرة بين أبناء العمومة: الأولى زواج زينب ابنة أبي يعقوب بن عبد المؤمن من ابن عمها أبي يزيد بن أبي حفص [١]،والثانية عند بني غانية الثوار المرابطين الذين دخلوا إفريقية وحاولوا افتكاكها من الموحدين،وبعد شعورهم بالهزيمة أمام جيش موحّدي قوي بقيادة أبي زكرياء الحفصي هربوا إلى الصحراء وائتمن زعيمهم بناته عن أبي زكرياء المذكور الذي أصبح واليًا عليهن وأقرّهن في قصر خاص بهنّ، ومرت الأيام حتى تمت خطبتهن من ابن عمّ لهنّ،لكن البنات أبت الزواج لكونهنّ يعشن بعيدًا عن وطنهنّ وعائلاتهنّ [٢].

أما بعد العهد الموحدي،وجدنا نماذج المصاهرة بين أبناء العمومة عند بني حفص وبني زيان وبني مرين:في عهد السلطان أبي عمرو عثمان أحد أبرز الدولة الحفصية والذي زوّج ابنه أبي عبد الله المسعود من ابنة شقيقه المنتصر الذي حكم قبله،وتم الزواج سنة ٨٥٥ هـ/١٤٥١م واقترن الزواج بطول مدة الاحتفالات التي تواصلت حوالي الشهر [٣].ونضيف أن الزواج من ابنة العم كان موجودًا عند بني مرين،إذ ارتبط أبو الحسن المريني بابنة عمه أبي يحي يعقوب كما ارتبط بعدة زوجات أخريات، وعندما قتلت ابنة عمه في معركة طريق ضد النصارى بالأندلس سنة ٧٤١ هـ/١٣٤٠م من جملة نسوة أخريات قتلن أيضًا ومنهن زوجته فاطمة ابنة السلطان الحفصي أبي يحي بن أبي بكر [٤]. كما وجد هذا الزواج في الأندلس كذلك عند بني الأحمر، فقد زوج ابن الأحمر ابنته إلى ابن عمه الرئيس أبي سعيد بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ووعده بولاية مالقة في سنة (٦٦٤ هـ/ ١٢٦٥م) في الأندلس [٥].

*** الزواج بين العائلات الحاكمة: تعقد الطبقة الحاكمة جملة من المصاهرات من الزواج القرابي الذي يزيد في أحكام الرابطة فيما بينها ويقويها ويحافظ على هيبتها ويسيطر على أنواع المصاهرات في هذه الطبقة الرغبة في تحقيق نصالح سياسية وهو ما يعرف بالزّواج السياسي[٦].**

---

(١) ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة** ، ق١، س٨، ص٤٨٦.
(٢) حسن حسني عبد الوهاب : **شهيرات التونسيات**، ص ص١٠٣، ١٠٤.
(٣) ابن مرزوق: **المجموع** ،مخ رقم ٢٠، و ٢٦ أ.
(٤) الزركشي: **تاريخ الدولتين**، ص٧٦.
(٥) ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية**، ص ١٢٥.
(٦) ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ص ٥٠٨ ، ٥٠٩.

ويهدف الزواج السياسي إلى ربط مصالح الطرفين حتى لا يحصل اعتداء متبادل، كما حصل بين العائلة الحاكمة الموحدية في فترات مختلفة من تاريخها، أو بين العائلات الحاكمة لكل من الحفصيين والزيانيين والمرنيين، وذلك لكسب الصداقة واتقاء الأخطار الخارجية أو لفرض الهيمنة على الدولة الأخرى في حالة الشعور بالقوة والرغبة في التوسع،وتلاحظ أن ظاهرة الزّواج للمصلحة السياسية متشابهة ومتواصلة طيلة فترة دراستنا للموضوع.

وبنفس هذه المقارنة نذكر حالات من الزّواج في الطبقة الحاكمة في مناطق متنوعة في بلاد المغرب الإسلامي.

أ ـ بين العائلات الحاكمة في عهد الموحدين :

كانت ظاهرة اختيار القرين من بين أفراد العائلة الحاكمة ظاهرة جدّ شائعة في عهد الموحدين،والتي تزيد في ربط مصالح الطرفين وتجمع بينهم السّلطة والماء من جهة،والرّغبة المشاركة في تماسك الأسرة الحاكمة وبالإضافة إلى الزّواج من بنات العمّ والأقارب هناك زواج بين عائلات الشخصيات السّياسيّة.

يستوقفنا مثال زواج بين أفراد العائلات العربية بالمغرب الإسلامي وهو خبر مصاهرة بين العائلة الحفصيّة الحاكمة وعائلة من عائلات شيوخ الموحّدين، وبالتّحديد بين الحاكم الحفصي أبي إسحاق إبراهيم الثاني (٧٥٠ ـ ٧٧٠ هـ/ ١٣٥٠ ـ ١٣٦٩م)، وحاجبه الشّيخ أبي محمّد ابن تافراجين (ت، ٧٦٦ هـ/١٣٦٤م) [(١)]. لقد شغل الشّيخ منصب الحاجب بصفة متقطعة بين (٧٤٧ - ٧٦٦هـ/ ١٣٤٦ ـ ١٣٦٤م)،أي فترة تقارب العشرين سنة من عمر الدّولة الحفصيّة، والتي مرّت بهزّات سياسيّة أهمّها الغزوة المرينيّة بقيادة الحسن ثمّ بقيادة أبي عنّان،ولم يكن دور ابن تافراجين سلبيًّا في الهزّات السّياسيّة الّتي شملت إفريقية في عهده، فهو الّذي أحدث فتنة الخلاف على الحكم بعد موت السّلطان أبي بكر الثّاني سنة ٧٤٧ هـ/١٣٤٦م، إذ استحثّ أبا حفص عمر على أخذ الحكم وافتكاكه من وليّ المعهد أبي العبّاس فحصلت الحروب بين الطّرفين[(٢)]، وفرّ ابن تافراجين إلى المغرب واستحثّ الحاكم المريني أبي الحسن على الدّخول إلى إفريقية واصطحبه حتّى دخلا تونس"وطمع أن يفوّض إليه أمور إفريقية كما كان مع المولى

---

(١) ابن الشماع: **الأدلة البينة**،ص ص ٨٧ ،١٠٦، ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ص ٥٠٨ ،٥٤٨.
(٢) ابن خلدون: م س، ج٦،ص ص٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠.

أبي بكر فلم يحصل على غرضه"[١] ، فتنكّر للحاكم المريني وانضمّ أوّلاً إلى الأعراب الثّائرين ثمّ التحق بالإسكندرية سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م وبعدها ذهب إلى الحجّ حيث التقى زعماء أبي اللّيل، وعاد إلى إفريقية وأقصى الحكم الحفصي أبي العبّاس عن الحكم وأقرّ طفلاً حدثًا في السّلطة هو أبو إسحاق إبراهيم الثّاني الذي لم يناهز الحلم، وكان ذلك أمرًا مهمًّا بالنّسبة لابن تافراجين حيث انفرد بالأمر " وقام بتدبير الدّولة وكان له في ذلك باع طويل" وأخضع الأعراب الثّائرين وتحكّم في البلاد،وفشلت وقته محاولة أبي عنان في السّيطرة على إفريقية وأصبح هو الرجل الأول في البلاد.

إن مكانة ابن تافراجين العالية هي الّتي قد تفسّر لنا المصاهرة بينه وبين الحاكم الحفصي أبي إسحاق [٢]،الّذي كان يرغب في كسب ثقة وموالاة ابن تافراجين بكلّ الوجوه،كما كان ابن تافراجين يطمح إلى تأكيد مكانة شيوخ الموّدين في الدّولة واستطاع فعلاً أن يلمّعها ويبرزها.

وتحدّثت المصادر عن هذه المصاهرة الّتي جمعت بين السّلطان الحفصي وابنة الشّيخ الموحّدي والّتي تمّت سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م أي قبيل وفاة الشّيخ ابن تافراجين، واحتفل بذلك وقرأ الإمام ابن عرفة (٨٠٣هـ/١٤٠١م) نصّ الصّداق الّذي كتبه محمّد بن أحمد بن مرزوق الّذي عاش في تونس في تلك الفترة [٣].

ونصّ العقد على مهر مرتفع القيمة ذكره ابن الشّمّاع بما يلي:" وعدد الصّداق اثنا عشر ألف دينار من الذّهب،ألفين وثلاثون خادمًا مولّدات وأعجميّات"،لكنّ ابن خلدون لم يفصّل هذا المهر واقتصر على ذكر المصاهرة عند حديثه عن الشّيخ ابن تافراجين بقوله:"ثمّ أصهر إليه السّلطان في كريمته فعقد له عليها وأعرس السّلطان بها "[٤].

بعد احتفالات الزّواج الضّخمة بين العائلتين مات الشّيخ ابن تافراجين بسبب داء الطاعون الّذي أصاب المجتمع، وقد مات ابن تافراجين وقد تقدّمت به السّن، وأهمّيّته تكمن في كونه استطاع أن يؤكّد المكانة الّتي أصبح يلقاها شيوخ الموحّدين في صلب الدّولة الحفصيّة والّتي لن تتواصل كثيرا في المستقبل بعد أن ضعف دورهم في القرن التاسع الهجري /١٥م.

---

(١) ابن الشماع:م س، ص ص١٠٥، ١٠٦.

(٢) نفسه،ص ١٠٥، ابن خلدون **العبر**، ج٦، ص ٥٤٨ ، ابن أبي دينار: **المؤنس**، ص ١٥٠.

(٣) أحمد بابا التنبكيتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، دار الكتب العلمية ، بيروت، د ت، ص ٤٥٠ .

(٤) ابن الشماع: م س، ص١٠٦.

وبموته أظهر السّلطان الحفصي الحزن العميق على حاجبه ابن تافراجين، إلا أنه استفاد من ذلك وأصبح هو المتصرّف الأول في الدّولة،"وكان فيها كمحجور أطلق يده وحيّة " (1)،ومثلت المصاهرة معه مثالا آخر لأحكام ترابط المصالح السّياسيّة في الدّولة.

ب ـ زّواج العائلات الحاكمة بعد الموحدين :

يشير الجدول المرفق إلى وجود علاقات زواج بين دول المغرب الإسلامي الثلاث بني حفص بإفريقية وبني عبد الواد بالمغرب الأوسط وبني مرين بالمغرب الأقصى،وهذه العلاقات، وإن تمت في فترات متباعدة وحملت أعراضا سياسيّة واضحة فيبدو أن المرأة الحفصية هي التي تلقى دومًا الحظوة اللازمة في الدولة المضيفة لها، ولسنا ندري لما العكس غير صحيح ؟

الزوج	الزوجة	موطن الزوج والزوجة	التاريخ	المصدر
أبو سعيد عثمان بن يغمراسن	الأميرة الحفصية ابنة ا أبي إسحاق إبراهيم	تلمسان/ تونس	٦٨١هـ/ ١٢٨٢م	ابن خلدون:العبر،ج٦، ص٤٤١
أبو الحسن المريني	فاطمة ابنة السلطان أبي بكر الحفصي	فاس/ تونس	٧٣٠هـ/ ١٣٤٧م	ابن خلدون :م،س، ج٦ ص ص٤٩٧، ٤٩٨. الزركشي:تاريخ الدولتين،ص٦٨
أبو الحسن المريني	عزونة ابنة السلطان أبي بكر الحفصي	فاس/ تونس	٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م	ابن الشّماع: الأدلة،ص٥٩،ابن خلدون:ن.م،ج٦،ص٥٢٢ ابن القنفذ:الفارسية،ص١٧١.
أبو عنان	ابنة أبي يحي الحفصي	فاس/ تونس	٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م	التنبكتي:نيل الابتهاج،ص٤٥١ ابن القنفد:ن.م، ص ص ١٧٤،١٧٥
أبو إسحاق الحفصي	ابنة شيخ الموحدين ابنة تافراجين	تونس/ تونس	٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م	ابن الشّماع:ن.م،ص١٠٦ ابن القنفد:ن،م، ص ١٧٦.
أبو عبد الله الحفصي	ابنة السلطان أبي حمو موسى الثاني	بجاية/تلمسان		يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج١، هامش ٢، ص ٤٥.

جدول رقم :٠٨ * **المصاهرة بين العائلات الحاكمة في المغرب الإسلامي (القرنين ٧-٨هـ/ ١٤-١٥م)**

ـــــ٣) ابن الشّمّاع: م س، ص ص١٠٥، ١٠٦، ابن القنفذ: **الفارسية**، تح، محمد الشاذلي النيفر، تونس، دار التونسية للنشر،١٩٦٨، ص ١٧٦.

ـ **مصاهرات الزيانيين والحفصيين :**

كانت العلاقات الحفصيّة الزيّانية غير مستقرة وطغت عليها الرّغبة المزدوجة في التّوسّع وانتظار الظّروف الملائمة لذلك. وخبر المصاهرة الذي بين أيدينا يهمّ فترة انتقالية تحوّلت فيها العلاقة من تبعيّة تلمسان لتونس إلى علاقة متوتّرة بعد أن تقوّى بنو عبد الواد وثاروا على الحفصيين وقت ضعفهم وهاجموا قسنطينة وبجاية سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م . وذلك لنا ابن خلدون خبر هذا الزّواج بقوله : " الخبر عن صهر السّلطان مع عثمان بن يغمراسن "، فالأمير الحفصي أبو إسحاق إبراهيم القادم من الأندلس حطّ الرحال بتلمسان في طريق عودته إلى إفريقية على عهد ابن أخيه السّلطان الواثق (٦٧٥ ـ ٦٧٨هـ/١٢٧٧ ـ ١٢٧٩م) واستقبله يغمراسن بن زيّان وتقدّم إليه " ببيعته على عادته من سلفه لمّا علم أنّه أحق بالأمر " أي أحقّ بالملك الحفصي، وقدّم له المعونة الكافية . ونقول أن الحاكم الزّياني راهن بذلك على الأمير الحفصي ليكون حاكما جديدًا للدّولة الحفصيّة . ولمزيد التقرّب منه وإحكام التّبعية له خطب منه ابنته ووليّ عهده أبي سعيد عثمان، و" أصهر إليه في إحدى بناته المقصورات في خيام الخلافة بابنه عثمان تشريفا..."

فكان يغمراسن " يلحّ بذلك على تعزيز العلاقات الأدبيّة القائمة بينهما بواسطة المصاهرة "[1] "وازدادت هيبة الأمير الحفصي بتلك المصاهرة " وكان لهذا الزّواج مصلحة مزدوجة لبني عبد الواد وبني مرين في نفس الوقت .

وصلت الأميرة الحفصيّة مبجّلة مكرّمة إلى تلمسان واستقبلها يغمراسن بنفسه في مليانة وهو في أيام حكمه وقد تقدّمت به السّنّ، وتوفّي بعد ذلك بقليل وهو في طريق عودته يوم ٢٩ ذو العقدة ٦٨١هـ/٢٨ فيفري ١٢٨٣م .

واعتبر ابن خلدون أنّ هذا الزّواج " من مفاخر الدّولة " الزّيّانية ولاسيما وأنّ أبا سعيد عثمان صهر الحفصيّين أصبح حاكما لدولة بن عبد الواد (٦٨٢ ـ ٧٠٣ هـ/١٢٨٣ ـ١٣٠٣م) وستنجب له الأميرة الحفصيّة سلطانين من سلاطين بني عبد الواد هما أبو زيّان محمّد وأبو حمّو موسى [2].ووطّدت هذه المصاهرة ربطت العلاقات بين الدّولتين،وأرادها يغمراسن مظهرا من مظاهر

---

(١) برانشفيك: **تاريخ إفريقية**، ج١، ص ١١٥

(٢) ابن خلدون : **العبر**، ج٧، ص ص ١٢٧ ، ١٢٨.

التّبعيّة، لكن ذلك لم يتواصل مع خلفه أبي سعيد عثمان الذي قاد بنفسه هجومات على قسنطينة وبجاية في وقت ازداد فيه ضعف الدّولة الحفصيّة وانقسامها.

ـ مصاهرات المرينيين والحفصيين :

من أمثلة المصاهرة في العهد المريني يستأثر بها حاكمان مرينيان هما أبو الحسن المريني وابنه أبي عنان، والمثال الأول يتعلق بخبر مصاهرة أبي الحسن المريني مع السّلطان الحفصي أبي بكر الثاني (٧١٨ ـ ٧٤٧هـ/١٣١٨ ـ ١٣٤٦م) في ابنتيه فاطمة وعزّونة، والزواج الأول يتعلق بالأميرة فاطمة التي تزوّجتها أبو الحسن في عهد والده أبي سعيد، والزّواج الثاني كان بالأميرة عزّونة وهو سلطان مريني يشعر بالقوّة ويطمح إلى تحقيق وحدة كامل بلاد المغرب ، وعرفت الدّولة الحفصيّة في عهد السّلطان أبي بكر الثاني ثورات داخلية طويلة وتواصلت حروبه لبني عبد الواد المساندين لخصومه [١]، وهي الحروب التي استغرقت " المدّة الطويلة التي تزيد على عشر سنين " [٢]. حتى أنّه طلب من السّلطان المريني أبي سعيد عثمان (٧٠٣ ـ٧٣١هـ/١٣١٠ ـ ١٣٣١م) المعونة للقضاء على حاكم تلمسان وأرسل لهم وفدا في ذلك، وهذا الوفد هو الّذي خاطبه السّلطان المريني لطلب يد الأميرة الحفصيّة فاطمة للأمير أبي الحسن ، وهذه هي المرّة الثانية التي تقع فيها خطبة الأميرة فاطمة من أبيها وكانت المرّة الأولى قبيل ثورة ابن أبي عمران المذكور.

وبالاعتماد على نصّ عبد الرّحمان بن خلدون[٣] في قصّة المصاهرة بين الأميرة الحفصيّة فاطمة والأمير المريني أبي الحسن يمكن تبويبها حسب الأعوام كالتالي:

* عام ٧٢٩هـ/١٣٢١م، السّلطان الحفصي أبو بكر ينهزم ويفرّ إلى بجاية ويطلب المعونة من المرينيّين ويرسل لهم وفدًا في ذلك، والسّلطان المريني أبو سعيد يعيد طلب يد ابنة السّلطان الحفصي ويعيّن نيابة عنه في الخطبة إبراهيم بن أبي حاتم العزفي ويصرفه مع الوفد.

---

(١) ابن القنفذ ، **الفارسية**، ص ١٦٠.

(٢) ابن خلدون: **العبر** ، ج٦، ص ٤٩٦ ، ٤٩٧

(٣) نفسه م، س، ج٧، ص ص ٣٣٣ ، ٣٣٥، ٣٤٧، ابن القنفذ: م، س ، ص ١٦١.

* عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م،السّلطان الحفصي أبو بكر يسترجع مدينة تونس ويوافق على تزويج ابنته إلى الأمير المريني أبي الحسن [١].

* عام ٧٣١هـ/١٣٣١م،السّلطان الحفصي زفّها في أساطيله وأنفذ لزفافها من مشيخة الموحّدين أبا القاسم بن عتّو ومحمّد بن سليمان النّاسك " فنزلت على وثير من الغبطة والعزّ ".

ويتّضح من هذا الخبر أنّ مدّة الخطوبة طالت كثيرًا بين ٧٢١و٧٣٠هـ /١٣٢١ ـ١٣٢٩م فهل كان ذلك يعني تملّص السّلطان الحفصي من ربط علاقات مع المرينيين خوفا منهم ومن نفوذهم ؟ أم أن الأحداث الحاصلة بإفريقية من اضطرابات وتدخّلات خارجيّة جعلته يرجي الموافقة مدّة من الزّمن ؟ المهمّ أن حاجته لمواجهة بني عبد الواد جعلته يوافق على تزويج ابنته لأبي الحسن الّذي أصبح حاكما للمرينيّين . ومن سوء حظ أبي الحسن أنه انهزم في معركة طريف سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م ضدّ النّصارى ومات عدد من جنده ومن بينهم مجموعة من الأميرات رافقن جيشه وكانت زوجته فاطمة إحداهنّ قد قتلها القائد المسيحي فرناندو مارتن Fernando Martin [٢]، فرغب بعد ذلك الحاكم المريني في التّصاهر مرّة ثانية مع الحفصيّين والتّزوجّ بعزّونة البنت الأخرى للسّلطان الحفصي أبي بكر الثاني، أي أخت الزوجة المتوفّاة فاطمة، وأتى هذا الزّواج في وقت بلغت فيه الدّولة المرينيّة أوجها وهي تستعدّ لتوحيد كامل بلاد المغرب، فهل يمكن اعتبار الرّغبة في مصاهرة الحفصيّين تأكيدا لطموح أبي الحسن الشّخصي في التّوسّع وبالتّالي استخلاف دولة الموحّدين من حيث القوّة والامتداد الجغرافي[٣].

ودخل أبو الحسن فعلا تلمسان سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م ، ثم دخل تونس سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م، وكان دخوله إلى إفريقية في وقت احتدم فيه الصّراع داخل العائلة الحفصيّة ولعب الحاجب الموحّدي ابن تافراجين طورا بارزا وكان ممّن حرّض أبا الحسن المريني على دخول إفريقية، وقد يكون التّقارب الزّمني بين الخطبة والهيمة على تونس دليلا على رغبة التّوسّع المريني وبسط النّفوذ على الحفصيّين وكانت المصاهرة منطلقا ، فكانت الخطبة سنة ٧٤٦هـ/

---

(١) الزركشي: **تاريخ الدولتين**، ص ٦٨، الناصري: **الاستقصا** ، ج٣، ص ص ١١٦، ١١٧.

(2) Camps (G): "Fatima, princesse hafside et reine mérinide 1325-1340", In **L'Afrique du nord au féminin**, p.176.

(٣) برانشفيك: **تاريخ إفريقية**، ج١، ص: ١٩٥.

١٣٤٦م [١].والتّوسّع سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وممّا يؤكّد هذه الفكرة أيضا هو خلوّ الدولة الحفصيّة
من حاكم قويّ بعد موت أبي بكر الثّاني في وقت كانت الأميرة عزّونة في طريقها إلى زوجها بالمغرب الأقصى، وأصبح أبو الحسن بالتّالي لا يتحرّج من مشاكسة أصهاره الحفصيّين وتقدّم على تونس وضمّها إلى نفوذه. ولم يكن لأبي الحسن أن يهنأ طويلا بحكم إفريقية إذ واجه ثورة العرب قرب القيروان وانهزم شرّ هزيمة ولم يعد على إثرها إلى العاصمة تونس وبارح إفريقية سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م بعدما بقي فيها حوالي العامين والنّصف، لكنّ حظّه كان أتعس وهو في الطّريق لمّا علم باستيلاء ابنه أبي عنان على الحكم المريني.

ونعود إلى قصّة الزّواج بين العائلتين الحفصيّة والمرينيّة الواردة بالمصادر[٢]. فقد كف أبو الحسن المريني جماعة من خاصّته ليتولّوا مهمّة خطبة الأميرة الحفصيّة عزّونة ومنهم ((عريف بن الحسن المريني بن سويد من زغبة ... وصاحب الفتيا بمجلسه أبو عبد الله السّطّي ، وكاتب دولته أبو الفضل عبد الله بن أبي مدين وأمير الحريم عنبر الخصيّ..." واستجاب السّلطان الحفصي لطلب أبي الحسن المريني وقضى حاجته و" أسعفه ... وعقد له على حظيّته عزّونة ". وكلّف السّلطان الحفصي ابنه الفضل ليرافق شقيقته عزّونة ويزفّها إلى الحاكم المريني أبي الحسن وكان ذلك في وفد أبرز من كان فيه " أبو محمّد عبد الواحد بن الجمّاز من مشيخة الموحّدين"، ولقي الوفد الحفصي المكانة اللائقة من الحاكم المرّيني نفسه " الذي تقبّلهم بقبول حسن، ورفع مجلس الفضل". واستفاد الفضل من ذلك فيما بعد إذ استولى المرينيّون على إفريقية ومحو رسوم الموحّدين في الحكم واستثنوا الفضل الذي بقي واليا على بونة وروعيت له " ذمّم الصّهر وسابقة الوعد ". وهكذا مثلت هذه المصاهرة مصلحتين سياسيتين، الأولى دلّت على رغبة بني مرين في احتواء الحفصيّين ثم ضمّهم إلى النّفوذ، والثّانية دور عامل الصّهر والقرابة في تحقيق مكاسب سياسية وهي التي تمتّع بها الفضل كما رأينا .

والمثال الثاني عن المصاهرة(أو رغبة المصاهرة) الحفصيّة المرينية كان مع أبي عنان ابن أبي الحسن (٧٤٩ ـ٧٥٩هـ/١٣٤٨ ـ ١٣٥٧م) الذي افتكّ الحكم من والده وحاول أن يتتبّع ________________

(١) كلف السلطان أبي الحسن للخطبة كل من الفقيه أبي الفضل بن أبي مدين وأمير بني زغبة " عريف السويدي"، المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، ص ١٩٧.

(٢) ابن خلدون: **العبر**،ج٦،ص٥٢٢، ج٧،ص ص ٣٥ ، ٣٥٥ ، ٣٦٦، ابن الشماع: **الأدلة البينة** ،ص ٩٥، ابن القنفذ: **الفارسية** ، ص ١٧١.

خطاه في توحيد كامل بلاد المغرب ومن ذلك لجوؤه إلى التّوسّع على إفريقية وكذلك محاولته مصاهرة الحفصيّين، ولعله كان يرغب في ودّهم أو يذكّرهم بالقرابة التي كانت تربط والده بهم وأرسل[١]، أبو عنان انطلاقا من تلمسان أحد كبار علماء المغرب الفقيه المحدث ابن مرزق الحفيد ليقوم له بمهمّة خطبة الأميرة الحفصيّة التي ذكرها صاحب نيل الابتهاج بأنها بنت أبي يحي وكان ذلك سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م، أي في عهد السّلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم الثّاني (٧٥٠ ـ٧٧٠هـ/١٣٥٠ ـ ١٣٩٦م)،والملفت للنّظر هو رفض خطبة أبي عنان، وكأن العائلة الحفصيّة ما.

وهكذا يبدو أن ظاهرة الزواج السياسي كانت عاملاً أساسيًا في ربط أواصر العلاقة بين الأسر الحاكمة في المغرب الإسلامي، ووضعنا جدولاً يبرز لنا نموذجًا منها .

---

(١) ابن خلدون:**العبر**،ج٧، ص: ٥٣٠، ابن القنفذ، **الفارسية**، ص ١٧٤، التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص٤٥١، الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج١، ص ١٦٢.

اسم الــزوج	اسم الزوجــــة	المكـــان	ملاحظات	المصـــــدر
أبـو يزيـد بـن أبـي حفص	زينــب ابنـــة أبـــي يعقــوب بـــن عبـــد المؤمن	فــــاس	ابن عمها	ابـــن عبـــد المالــــك المراكشـــــي: **الـــــذيل والتكملة**،ص٤٨٦
أبي عبد الله مسعود	ابنــة أبـي عبـد الله محمـــــد الثالـــــث المنتصر الحفصي	تونــس	ابنة العم	نفسه ، ص ٤٨٧
أبـو حمـو موسـى الأول	ابنــــة يعقـــوب الهواري	تلمسان	ابنة عمّته	ابـــــــــــــــــن مـرزوق:**المجمـوع**،و٢٦ أ.
أبو الحسن المريني	ابنــة أبـــي يحـــي يعقوب	فــاس	ابنــة العـم	الزركشـــــي: **تـــــاريخ الدولتين**، ص٧٦
موسى بن رحمون بن عبد الله بن عبد الحق	ابنــــة الســــلطان يوسف بـن يعقوب المريني	فــــاس	الـــزواج العــربي	ابن خلدون:،**العبر**،ج ٧، ص ٧٨٣.
أبو سعيد بن إسماعيل بن يوسف بن نصـر	ابنة ابن الأحمـــر	مالقـــــة	ابنة العـم	ابن أبي الزرع **:الذخيرة**، ص ١٢٥

جدول رقم : ٠٩ *** نماذج من المصاهرات المتبادلة بين سلاطين المغرب الإسلامي**

٢ ـ زواج العـامة:

انفردت كتب النوازل دون غيرها من المصادر في ذكر أمثلة مختلفة من حالات الزّواج عند العامة وفي مختلف الطبقات الاجتماعية، ولأنه من الصعب تحديد هذه الحالات، من حيث زمان ومكان وقوعها، إلا أن هذا لا يقف عائق أمام معرفة مجريات الوقائع في هذه المسألة الخاصة بالزّواج وأنواعه وظروفه، خصوصا أن حكم الزّواج الشرعي هو نفسه طيلة الفترة الممتدة ما بين القرن السادس الهجري/ ١٢م إلى غاية القرن التاسع الهجري/ ١٥م، وفي هذا التشريع تحقيق للاستقرار الحقيقي للرجل والمرأة، فتجد المرأة في الزّواج من يعولها ويتكفّل بها فتسعى مطمئنة لرعاية زوجها وبيتها وأولادها، وتؤدي دورها المنوط بها شرعا على أحسن وجه لأنها راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعايتها ، كما يجد الرّجل في ظل هذا التشريع السكن والمودة والرحمة، قال تعالى:" هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها"(١).

وعلى هذا نذكر بعض نماذج الزواج السائدة آنذاك عند العامة بما فيه زواج الأقارب والزواج الاغترابي. .

أ ـ زواج الأقارب:

لم تكن أية قبيلة في المجتمع المغربي تسمح بتشتت أفرادها من الرجال أو النساء، وتفضل ألا تترك الفتاة الجماعة عند الزّواج وإنما تبقى فيها، وتختار زوجها عادة من داخل الجماعة نفسها، وبقاءها داخل الجماعة عند الزّواج يزيد من تماسك القبيلة التي تزيد إحكاما بالزّواج من القريب وخاصة من ابن العم فتزداد الأواصر مع الأعمار وبذلك تترابط المصالح وتتشابك لفائدة قوة الجماعة (٢) ،والحرص على تماسك الجماعة يتجلى من خلال رغبة الآباء في تحقيق استقرار العائلة وتقليص اضطرابها بالطلاق، فالآباء يسعون لإبقاء البنات قريبات منهم ويبحثون عن معاملة حسنة لهن داخل عائلة يعرف أفرادها بعضهم بعضا ، وقد أشار الونشريسي في أحد النصوص هدف الزّواج من ابن العمّ وهو تمتين العلاقة بين الأقارب والمحافظة على نقاوة الدّم في

---

(١) الآية ١٨٨ **من سورة الأعراف**.

(٢)علياء شكري: **الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢، ص ٤٣.

نفس العائلة، فقد صرّح أحد أولياء الزوجة أنّه " أنّما أراد أبوها أن يصل به رحمه ويحفظ بها دمه " (١).

ب - الزّواج من ابنة الخـال:

وهو نوع آخر من الزّواج القرابي، حيث تبحث الأم عن فتاة لابنها من بين قرابتها وبالتحديد من بنات إخوتها. وهذا النّوع يكرر زواج الذكر من عائلة الرجل بتكرار الأنثى من عائلة المرأة مع الفارق بجيل من الزمن، ويدل هذا النّوع أيضا على استمرار الرابطة بين العائلتين المتصاهرتين مدة جيلين على الأقل.وأشار الونشريسي إلى هذا النوع في بلاد المغرب [٢].

- الزّواج من ابنة العمّـــــة:

تبحث أن الشاب على زوجة لابنها في بنات أخت زوجها (العمة)، ومن الأمثلة الواردة في المصادر ما أورده الونشريسي عن بعض الفقهاء [٣]أن زوجا التزم لزوجته ألاّ يتزوّج عليها ولا يتسرّى، ثم أراد الزّواج من ابنة عمّته فلم ترض زوجته بذلك لحرّم ابنة عمّته على نفسه وغيرها من النّسوة وحصلت المسألة التي بين أيدينا التي استفدنا منها في اختيار ابنة العمّة كقرين زواج.

ومن موضع آخر في المعيار عرضت على بعض الفقهاء رغبة في الزّواج من ابنة العمّة، وهي تدل على الزّواج من القريبة وبالتحديد بنت العمّة [٤]، كما عرضت على الفقيه إمام جامع الزيتونة أبي القاسم الغبريني(ت.٧٧٢هـ/١٣٧٠م) مسألة [٥]، شاب طلب يد ابنة عمّته، وهو كفء لها في المال والدّين والحسب، لكن والدها الغائب كان قد " حلف حين خرج أن لا يأخذ من أولاد خال الصبية ولا يعطي،" وحصل الإشكال لما طالت غيبة والدها في المشرق مدة خمس سنوات إلى أن بلغت سنّ الخامسة والعشرين، ولحقها بذلك الضرر. وأفتى الغبريني بضرورة تزويجها للضرر الحاصل لها من غيبة والدها.

---

(١) الونشريسي: **المعيار**، ج٣، ص ١٩٦٢.
(٢) نفســه ، ج٤، ص ٤٠٠
(٣) نفسـه ، ج٤، ص ١٠٢.
(٤) نفسـه ، ج٤، ص ص ٤١٨ ، ٤١٩.
(٥) نفسـه، ج ٣، ص ٢٨٦.

المتزوّجـــة	سن الزّواج	الفترة الزمنية	الملاحظات	المصـدر
بنـت	١٢ و ١٤ سنة	عهد المازري ت 1141/536	زواج مبكر	المازري: **فتاوي**، ١٣٥. الونشريسي:م،س،ج٣،ص٢١٩
امـرأة	٢٢ سنة	عهد المازري	زواج متأخر	المازري:**فتـاوي**،ص ص١٣٥، ١٧٩ الونشريسي:م،س،ج٣،ص٣١٧
بنـت	١٠ أو١٣ سنة	عهد أبي العباس المزري القرن٦/١٢؟	زواج مبكر	الونشريسي:ن،م، ج٣،٢٩٠
امرأة من تونس	٢٠ سنة	عهد القاضي ابن أبي البركات ت1285/684	زواج عادي	الجـدميوي: **رفـع الإزار**، 36,9267 ب
مريضة بالحصبة تزوجت ١٠ سنين من مرضها	حوالي ١٥ سنة	ابنة الشيخ أبي علي سالم الفخار ق١٣/٧	زواج مبكر	**:مناقب الصالحين**، رقم 7863, و ١٣٢أ.
بكر غاب عنها والدها خمس سنوات في المشرق تقدم أحد أقاربها لخطبتها	٢٥ سنة	عهد الغبريني ت1371/772	زواج متأخر	الونشريسي:ن.م،ج٣،،٢٨٦
بنت بكر	قبل ٧ سنين	عهد الونشريسي ت/1508/914	زواج مبكر	الونشريسي:ن.م،ج٣،٣٥٢

جدول رقم : ١٠ * سنّ الزواج عند المرأة.

ب - زّواج العلمــاء:

ليس من اليسير تتبع كل حالات الزّواج داخل طبقة العلماء، وإنما عثرنا على بعض الأمثلة دالة على وجود هذا النوع من الزّواج داخل الطبقة الواحدة وهي الطبقة المتعلمة والمثقفة.

وتمدنا المصادر المستعملة بأمثلة من المصاهرات داخل الطبقة المتعلمة أثبتناها في الجدول اللاحق وهي تؤكد فكرة اختيار الزوج من نفس الطبقة التي تنتمي إليها الفتاة في أغلب الأحيان . ثم أن هناك ظاهرة أخرى شدّت الانتباه هي أنّ حالات الزّواج المتوفرة أبرزت فكرة تزوّج الفتاة أو ابنة المعلم من تلميذه، ولا يمكننا مطلقا أن نقطع بأن الزّواج داخل طبقة المتعلمين يتم دائما داخل نفس الطبقة ، فالمعلومات المتوفرة لا تؤكد ذلك .

ومع ذلك تبقى ظاهرة تزوّج الفتاة (ابنة المعلم أو الشيخ) من تلميذه قد وردت مرات عديدة،وصوّرت التزوّج من نفس الطبقة.

ومن أمثلة الزّواج من نفس الطبقة المثقفة والمتعلمة ما وجدناه في حياة ابن القنفذ القسنطيني (ت810هـ/ ١٤٠٧م) الذي تحدث عن أسرتيه للأب وللأم، وفي حديثه ذكر قرابته التي تعرفنا من خلالها على زواج تم في نفس الطبقة المثقفة. وينتمي ابن القنفذ إلى عائلة كبيرة مثقفة من جهتي الأب والأم اكتسبت مكانة داخل المجتمع وتقاربت من السلطة الحفصية التي استعملتها في الوظائف وفي عدة مهام سياسية داخلية وخارجية.

وقد تولى جد ابن القنفذ كما تولى أبوه من قبله بالخطابة مدة طويلة من الزمن . ثم أن جده من الأم كان من كبار المتصوفين وهو يعقوب يوسف بن يعقوب الملاري (ت ١٣٢٦/٧٤٦م). وتتلمذ عدد من الناس على الشيخ الملاري هذا منهم والد ابن القنفذ حسن بن علي (ت٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) الذي أعجب به شيخه وزوّجه ابنته، وبذلك حصل الترابط مرة أخرى بين المدرس وتلميذه وينتمي كلاهما إلى نفس الطبقة[١] .

أما العالم الرصاع(ت٨٩٤ أو٨٩٥هـ/١٤٨٨ أو ١٤٨٩م) قد تزوّج من نفس طبقته ثلاث مرات، وفي الحالات الثلاث كان يختار ابنة شيخه الذي يعلّمه، تزوّد الرصاع مرة أولى ابنة شيخه في العلوم العربية الإمام أبي عبد الله محمد الرميلي وذلك في معرض حديثه عن شيخه البرميلي :" وقد ألف لي الشيخ المذكور" مقدمة في علم العربية برسمي لأنه كان بيني

---

(١) ينظر الجدول اللاحق ص ١٨٣.

وبينه نسب صاهرته وعقدت النكاح على ابنته وختمت عليه الألفية في زمن قريب "[١].

وفي المرة الثانية تزوّج الرصاع ابنة أبي عبد الله محمد الزنديوي، أحد شيوخه أيضا وكان يحضر دروسه بالمدرسة العثمانية المولوية، وتزوّج ابنته بعدما ماتت زوجته الأولى[٢]، وفي المرة الثالثة تزوّج الرصاع من ابنة أحد شيوخه أيضا وهو الشيخ أبو عبد الله محمد البطرني، تلميذ ابن عرفة [٣]، وذلك أن هذه الفتاة كان قد زوجها أبوها وعلم يوم إعداد زواجها أن تلميذه الرصاع توفيت زوجته فتحسر على ذلك، وأبدى رغبة تصور قيمة الزّواج من نفس الطبقة وقال: " سبحان الله لا علم لي ولو كان عندي علم لزوجته هذه البنت لأني أحببت أن يكون زوجها رجلا من أهل العلم "، وتشاء الظروف أن تترمل ابنته سريعا بموت زوجها ويبادر الرصاع إلى الزّواج منها وهي التي أنجبت له الأولاد مما يدل على بقائها معه مدة طويلة يكون إلى الوفاة.

ومن بين حالات الزّواج من نفس الطبقة نذكر خبرا ورد في عهد الإمام بن عرفة (ت.٨٠٣/١٤٠١م)، وذلك أن العالم الآجمي تزوّج ابنة الشيخ الفقيه قاضي الجماعة أبي علي بن قداح الهواري(ت.٧٣٤هـ/١٣٣٣م) [٤]، وكان الآجمي قد ترقى في الخطط حتى أنه عيّن قاضي الجماعة في تونس، وارتباطه بابنة أحد الذين تولوا هذه الخطة(ابن قداح) يدخل في نفس سياق التزوّج من طبقة واحدة وهي طبقة المتعلمين الذين يشتغلون بالتدريس أو الخطابة أو القضاء أو غير ذلك .

ومن أمثلة التزوّج من نفس الطبقة المتعلمة كذلك ما يخص الرحالة ابن بطوطة (ت.٧٧٩هـ/١٣٧٧م). وذلك أنه دخل تونس وبقي بها مدة في انتظار استعداد الركب للتحول للحجاز واختير قاضي الوفد[٥]، واختياره في منصب القاضي يدل عل مكانته العلمية. وهذه المكانة جعلته يحظى بالاحترام أنّى حلّ ويسهل عليه ربط علاقات مصاهرة، وقد تزوّج مرتين في طريقه من تونس إلى مشارف الإسكندرية ، في فترة زمنية تعتبر قصيرة بين أواخر شهر

---

(١) **فهرست الرصاع**، تح، محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٧، ص ١١٩.

(٢)نفسه ، ص ١٤٠.

(٣) نفسه ، ص ١٧٥.

(٤) الآبي : **إكمال الإكمال**، ج٥، ص ٢٤٤.

(٥) ابن بطوطة: **تحفة النظار**، ص، ٢٠.

ذي القعدة (عام ٧٢٥هـ) الذي فارق فيه تونس وأول شهر جمادي الأولى (عام٧٢٦هـ) الذي وصل فيه الإسكندرية. ففي مرة أولى عقد على بنت بعض أمناء تونس بصفاقص وكان معه في الوفد، ثم تزوّج بها بطرابلس بعد عيد الأضحى(١).

وفي مرة ثانية وهي التي تزوّج ابن بطوطة من طبقة علمية فارتبط بابنة أحد المتعلمين من فاس وقال في ذلك:" وتزوّجت بنتا لبعض طلبة فاس" (٢)، والمقصود بالطلبة هم المتعلمون الذين كانوا يشدون الرحلة للمغرب والمشرق للتعلم والالتقاء بالشيوخ والمدرسين، وكان البناء بالزوجة والاحتفال بعرسها بمكان يدعى قصر الزعافية، وقد أَوْلَمَ ابن بطوطة وليمة حبّس لها الركب وأطعمهم . وهذا المثال يبين أن الإنتماء للطبقة المثقفة هو المحدد في اختيار شريك الزّواج، وكان زواجه الأول سريع الفشل لأنه تزوّج من ابنة أحد الأمناء الذي يبدو له علاقة بالأمين الذي يسهر على الحرفة وحسن تنظيمها.

وهكذا يبدو الزّواج من داخل نفس طبقة العلماء والمتعلمين موجودًا ومتكرّرًا في عهد بني زيّان، ويؤكد مبدأ اختيار القرين من داخل الطبقة التي تتقارب في مستوى وطريقة العيش،ويرى أحد الباحثين " أن الأسرة العريقة تتقدّم إلى مثيلتها في الجاه والمال والعلم مثل أسرة المرازقة ، التي كانت تربطها علاقة المصاهرة، مع بيوتات تلمسانية كأسرة المقري، وأسرة ابن النجار، وأسرة زاغو وأسرة التنسي "(٣).

تزوج الفقيه أبي العباس أحمد بن مرزوق بابنة الشيخ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم التنسي(ت.٦٨٠هـ/١٢٨١م) المدعوة " خديجة "كما حظي الفقيه أبي العباس أحمد بن مرزوق بعطف السلطان يوسف بن يعقوب المريني، عند احتلاله تلمسان الزيانية، وكان قد أكرمه وأهداه مبلغا من المال قدره أربعمائة وثمانين دينارا ذهبا وأهدى لها فرسا ثمن صداق زوجته خديجة (٤).

---

(١) ابن بطوطة:م س، ص ١٢.
(٢) نفســه ، ص ٢.
(٣) عبد العزيز فيلالي:**تلمسان في العهد الزّياني**، ج١، ص ص٨٨ ، ٢٨٩.
(٤) ابن مرزوق:**المجموع** ، و، ١٩.

وتزوّج الفقيه أبو عبد الله محمّد بن مرزوق جد العلامة ابن الخطيب، بابنة الفقيه أبي عبد الله الكتاني والمدعوة " فاطمة "[١]. وقدّم لها صداقا محترما من الحلي والفرش وغيرها[٢].

كذلك حظي المؤرخ أبي العباس أبن القطان بزواج من ابنة آل عامر، وكان أبوها أبي عامر أحد الأولياء الصالحين بتلمسان [٣].

وتزوّج الأديب إبراهيم بن أبي التلمساني (ت.٦٦٥هـ/١٢٦٣م) من أخت الشاعر والأديب مالك بن المرحل، وأنجبت منه أولادًا[٤].

ولما ملك السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة (٧٦٠هـ/١٣٥٩م) تلمسان من يد بني مرين استدعى الشريف [٥] من فاس ، عاد وتلقاه أبو حمو وأكرمه وأصهر له في ابنته، فزوجها إياه، وبنى له المدرسة الشهيرة باسمه سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٢م) وجعل في جوانبها مدفن ابنه وعمه، وأقام الشريف يدرس العلم إلى أن توفي سنة(٧٧١هـ/١٣٧٠م) [٦].

الحقيقة أن زواج العلماء كان معروفًا ومنتشرًا في المغرب الإسلامي في هذه الفترة،ربما يعود أسباب ذلك إلى عوامل اجتماعية ومعنوية ومادية للطالب والعالم معًا ، فالطالب كان يهدف زواجه من ابنة أستاذه التقرب منه حتى يتسنى له أن يرتقي في العلم ونيل المراتب العليا في المناصب، في حين يهدف الأستاذ من زواج ابنته لأحد تلاميذه عندما يدرك أنه يتحلى بصفات أخلاقية وحسن السلوك ويعلم أيضا أن له مستقبل زاهر وسيرتقي إلى الدرجات العليا في المناصب، فكلا الطرفين منتفع بالآخر، وكثيرا من الأحيان تكون الفتاة راضية بهذا الزواج المناسب.

---

(١) ابن مرزوق: **المجموع**، و ٩.
(٢) نفسه ، و ١٧.
(٣) نفسه ،و ٦.
(٤) الحفناوي : **تعريف الخلف برجال السلف**، ج١، ص ص ١٢ ، ١٣.
(٥) إمام المغرب العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد علي الشهير بالشريف التلمساني والمعروف بالعلوي ولد سنة (٧١٠هـ/ ١٣٧٠م)،ينظر: ابن مريم، **البستان**، ص ص ١٨٤،١٦٤.
(٦) نفسه، ص ١٨٣.

الــــزوج	الزوجـــــة	العصـــر	ملاحظات	المصـــــدر
رجل من أصحاب الشيخ الدهماني	**نعيمة** بنت أبي زكرياء كانت زوجة الشيخ الدهماني	ق٧هـ /١٣م	زوجة من أرملة شيخه	ابن ناجي: **معالم الإيمان**، ج٣، ٢٢٤
أبو السرور ميمون بن زيد الكرفاح الوائلي من بني وائل.	**ملوكة** بنت عبد الوهاب (أحد صلحاء المغرب)	ق٧هـ /١٣م		ابن ناجي: ن،م،ج٤ ،ص ١٠٨
الآجمي،قاضي الجماعة ت.٧٤٩هـ/١٣٤٨م	**ابنة** الفقيه قاضي الجماعة أبي علي بن قداح	ق٨هـ /١٤م		الزركشي: **تاريخ الدولتين**،ص ٨٨.
والد بن القنفذ (ت ١٣٤٩/٧٥٠)	**ابنة** أبي يعقوب يوسف بن يعقوب الملاوي .	ق٨هـ /١٤م		ابن القنفذ: **الوفايات**،ص ٣٦٢
ابن بطوطة ت.٧٧٩هـ/١٣٧٧م	**ابنة** أحد طلبة فاس	ق٨هـ /١٤م	زواج من ابنة شيخه (لم يتم)	ابن بطوطة: **الرحلة**،ص ٢١
ابن ناجي ت.٨٣٩هـ/١٤٣٥م	**ابنة** أحد الشيوخ من أصحابه.	ق٩هـ /١٥م		ابن ناجي:م،س،ج٣، ص١٢٠
أبو عبد الله الأنصاري الرصاع ت.٨٩٤ هـ /١٤٩٥م	**ابنة** شيخه أبي عبد الله محمد الرميلي	ق٩هـ /١٥م	زواج من ابنة شيخه	الرصاع:**الفهرست**،ص ١١٩.
الرصاع	**ابنة** أبي محمد عبد الله الزنديوي	ق٩هـ /١٥م		الرصاع: ن،م،ص١٤٠
الرصاع	**ابنة** شيخه أبو عبد الله محمد البطرني، تلميذ ابن عرفة.	ق٩هـ /١٥م		الرصاع:ن،م،ص١٧٥

جدول رقم : ١١ * زواج العلماء .

ابن مرزوق أبو العباس أحمد	**خديجة** بنت أبي إسحاق التنسي.	ق٨هـ /١٤م		ابن مرزوق:**المجموع**،و١٦ .
إبراهيم بن أبي التلمساني	**أخت** الشاعر مالك بن الموحل	ق٧هـ /١٣م		الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف** ج١،ص ص١٣،١٢
ابن مرزوق أبو عبد الله محمد	**فاطمة** ابنة الفقيه أبو عبد الله الكتاني	ق٧هـ /١٣م		ابن مرزوق:**المجموع**،و٩ ١٧،
محمد الثالث بن مرزوق الخطيب	**ست الملوك** بنت يعقوب الهواري	ق٨هـ /١٤م		نفسه،و٢٦.
الشريف التلمساني أبو عبد الله محمد	**ابنة السلطان أبو حمو موسى2**	ق٨هـ /١٤م		ابن مريم:**البستان**،ص١٨٣

جدول رقم : ١٢ * تابع زواج العلماء .

جـ - زّواج الاغتــــراب:

إذا كان الزّواج ببنات الأقارب هو المفضّل في مجتمع المغرب الإسلامي فلم يكن هو السّائد دائما، لانتشار الزّواج الاغترابي يعني عدم الزّواج من القرابة، أي زواج البنت من مدينة أخرى أو قرية أخرى أو موطن آخر غير الأصل، أمّا عن أسباب الزّواج فتبدو حسب إطلاعنا على كتب النوازل أنّها متنوعة، وقد اخترنا نماذج منها حسب المواضع :

- كل تجد قرينها : عرضت مسألة على الإمام ابن عرفة صورة زواج رجل من مشاطة، واشترطت المرأة عند زواجها المحافظة على شغلها، ووافق زوجها على ذلك ثم تراجع بعد بنائه بها في ما التزم به،وأجاب الإمام ابن عرفة الذي ذكر أن: " لا يلزمه الوفاء بالشرط (لأنها مهنة وضيعة)، ثم ذكر الخلاف الموجود بين الفقهاء في المسألة[1].

ـ زواج حفصة بالأندلسي: ذكر أحد الدارسين مصاهرة جمعت بين أحد القادمين على تونس والمستقرين بها وهو من أصل إسباني مسيحي ثم أسلم ،وقد تزوجت منه ابنة الشيخ الحاج محمد الصفار التونسي، والرجل المذكور هو أبو محمد عبد الله الترجمان (ت.٨٣٧ هـ/١٤٣٣م) وقد أنجب منها وبقي بتونس حتى وفاته [2].

- الزّواج الملوّن الأسود: أخبرنا ابن مرزوق أن " زواج الملوّن كان سائد في المجتمع التلمساني ، كزواج العلاّمة فخر الدين بن محمد التكروري الأسود،وكان كبير السّن، من بنت أبي عبد الله المليكشي الصغيرة الوسيمة الفائقة الجمال "[3].

*** منع الأب ابنته من اختيار الزوج :**

من غريب العوائد التي تكشف عنها نازلة المعيار رفض الوالد زواج ابنته من ابن جاره لاعتبارات تبقى غير معروفة.

---

(١) الونشريسي: **المعيار**، ج٣، ص ص ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) حسن حسني عبد الوهاب : **كتاب العُمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين** ،مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش ،تونس ١٩٩٠، ص ٤٠٧

(٣) ابن مرزوق: **المجموع**، و٣٥ .

وجاءت النازلة بعنوان:" من عضل ابنته فزوجها عليه القاضي،... وقع في هذه المسألة نزاع عظيم وأمور هائلة حتى انتهت إلى الخليفة أيده الله ونصره فأمر أن يكتب إلى بعض الفقهاء لينظر فيها بواجب الشرع ومقتضاه" [١].

يبدو أن المشكل بين الأب والبنت، فالوالد متشدّد لرأيه ورافض لخطاب ابنته، في حين أن ابنته عنيدة ومصرّة على زواج ابن جارتها المدعو ابن الترجمان ،قال الونشريسي [٢] :" امتنع الأب إبراهيم من تزويج ابنته عن ابن جاره الذي كان يشتكي به أنه يخيب ابنته ويغرر بها ويفسدها على أهلها... وبمجرد ما أن علم هذا الأب بخفقان قلب ابنته بابن جاره الترجمان حتى ثارت ثائرته وفاض غضبه فمسك بها، وجلدها من ظهر جمعة إلى قرب العشاء مكشوفة، وجعل عليها قرمة، وحلّق شعرها وألبسها التليس وصار يبصق في وجهها أي وقت رآها وطرحها وصار يجوعها ويطعمها لا تعتاد، ويتوعدها ويهددها بالقتل، ويعث إلى القوافل يفحصونها ،أتصل ذلك من فعله إلى أن وجدت فلتة ففرت بنفسها، واتجهت (وكانت واعية لمشكلتها لما اتجهت) إلى القاضي فحكت له مأساتها وما وقع لها ،وسألت منه النظر في مسألتها بالوجه الشرعي، فكلفها إثبات دعواها فأسرعت بشهود من البلد[٣]. ثبت عند القاضي ضرر الأب لها وعضله إياها عن النكاح، فسجل ذلك في تقييد أو محضر جاء في بعض نقطه: إن الأب عضل ابنته عن أكثر من أربعة من الخطاب، وشهد الشهود بكفاءة ابن الترجمان في الحال والمال، وهي راغبة في النكاح وطالبة لها، إنتهز القاضي أيام العيد فجلس في مجلسه وقال للرجل زوّج ابنتك من فلان وذكره بما ثبت عنده من كفء الرجال لها، فرد والد البنت على القاضي بأنه يزوج ابنته من كل أحد إلا من هذا الرجل المعيّن ، وحلف بالطلاق ألاّ يعقد له، فلما سمع منه القاضي ذلك أمر **بضربه وسجنه يومان**[٤]**،وطلب من الفقهاء الحاضرين أن يمضوا للفقيه المقرئ أبي محمد عبد الله البيطوئي**

---

(١) الونشريسي: م س، ج٣، ص،٨٣.
(٢) نفسه، ج٣، ص ٥٩.
(٣) نفسه، ج٣، ص ٦٠.
(٤) نفسه .

ليعرضوا عليه القضية، وقال لهم:" إن رأى عقد النكاح عليها وأفتى به فأعلموني لأعقدهن" أجاب المفتي عبد الله البيطوئي بأن إنكاحها صلاح وسداد، لما ثبت من الضرر والعضل وأفتى بذلك .

كتب القاضي الترجالي في سجل كبير ظروف القضية وملابساتها وأسبابها وحيثياتها وأسماء الشهود الذين شهدوا بالموجبات وبين الحكم على هذه الأسباب، وبه تم عقد الزواج، ودخل الزوج بزوجته وانتهى المشكل [1].

لكن بعد أن مرت ثلاث سنوات عن هذا الحدث يقوم الأب ويرفع شكواه إلى السلطان أبي سعيد عثمان المريني، وعلى إثر هذا التشكي بعث القاضي بعقد الحكم إلى الفقيه اليزناستي فكتب بيده هذا الأخير تمت تسجيل الحكم أنه صحيح جار على الكتاب والسنة، وطالعه الفقيه أبو عبد الله السبطي وغيره من الفقهاء، ورفع عليه مجلس محضرة السلطان حضره الفقيه بوسالم ابن أبي يحي قبل مضيه إلى الحج[2].

وكان أيضًا ممن وقف على الحكم بأمر السلطان من فقهاء تازة الفقيه أبو عبد الله بن عطية مع أبي محمد عبد الله بن عمر،وعبد الواحد بن أبي زيد الوادي وغيرهم فلم بابًا للفسخ.. ولما وقف الوالد على ذلك أشهد على نفسه بإسقاط حقه، وطابت نفسه لذلك، وكتب عليه في رسم وبقيت الزوجة مع زوجها، وبعد مدة قام هذا الوالد (والمظنون أنه كان هناك من يحركه لغرض ما) وكتب للفقيه أبي الضياء مصباح الياملوتي سؤالا محرفًا لم يذكر فيه ثبوت العضل، ولا ثبوت الضرر، ولا أن قاضي تازة حكم مستند لتلك الأركان المنصوصة.. فأفتاه بفاس بأن النكاح يفسخ اعتمد الأب على هذا الإفتاء وذهب ثانية متشكيًّا للسلطان، فأجابه السلطان بأنه سيأمر بعقد مجلس علمي يحضره القاضي للنظر في القضية من جديد(٣).

وعلى ضوء تلك الأجوبة قدم السلطان الفقيه التازي أبا عبد الله ابن عطية للنظر في قضية كرئيس لمجلس علمي، وكانت من الأجوبة التي وصلت من تازة وغيرها كذلك أجوبة أبو سالم إبراهيم بن عبد الله اليزناسي، وأبو الربيع سليمان بن عبدون السريفي ،ولم يجد المجلس

---

(١) الونشريسي، م، س، ج٣، ص،٨٣.

(٢) نفســه، ج٣، ص ٥٩.

(٣) نفســه، ج٣، ص ٦٠.

إبراهيم بن عبد الله اليزناسي، وأبو الربيع سليمان بن عبدون السريفي ،ولم يجد المجلس مستندا يبطل به عقد النكاح ،وتوفي القاضي الترجالي وولي بعده قاض آخر وقام الأب إبراهيم العنبكي يطلب فسخ ذلك النكاح لمزاعم دبرها كذلك في القضية منها إدلاؤه ببينة تشهد على اعتراف الزواج المذكور الذي زوجه القاضي المتوفي:" أنه وجد البنت المذكورة عذراء، وهذا الأب كان في السابق يضرب ابنته هذه ويتّهمها بالزنا".

ووضعت الأسئلة، وكانت الأجوبة ، وبقي العقد صالحًا لم يفسخه القاضي الجديد، دام الجدال في هذه القضية بين فقهاء تازة وفقهاء فاس ما يقارب العشرين سنة بعد وفاة القاضي ترجالي إذ وجد الفقيه الونشريسي تقييدًا حول هذه القضية بتاريخ سنة 739 هـ /1338م.

وعرض العاهل المغربي النازلة بظهير الإجابة عليها من طرف فقهاء المغرب، وتصل أجوبة الفقهاء ،لكن بعضها كان غير تام والبعض الآخر بجمل ، وممن أجاب من شيوخ الشورى بفاس:أبو الضياء مصباح بن الشيخ اليصلوتي،وأبو فاس عبد العزيز بن محمد القيرواني، وأبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الأعضاوي، وأبو سالم المرسني.

ولما كتب قاضي تازة عيسى الترجالي إلى فقهاء فاس يسألهم رأيهم الصريح : توجه بالخطاب خاصة إلى الفقيه أبي الضياء مصباح لما علم بما صدر منه موضحا له جوانب القضية بالتفصيل،ومما جاء في كتابه له:وتعلمون رضي الله عنكم أن أبا الوليد بن رشد قال في البيان إن القاضي إذا قلد قول قائل وحكم به لا ينقضُه لتقليد قول آخر، وأنه لا يرجع من تقليد إلى تقليد، وإنما يرجع من اجتهاد إلى اجتهاد[1].

لقد سلت هذه النازلة أقلام عديدة عند الفقهاء وراحت تبحث عن مخرج قد يسوي المشكل بين الأب المستبد والبنت الرافضة لهذا الزواج، والحقيقة أن المسألة مازالت قائمة إلى يومنا هذا.

---

(١) الونشريسي، م، س، ج٣، ص ٦٠.

ثالثـا: تقـاليـد الزواج :

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن الزواج، الذي يعتبر نظاما اجتماعيا لتكوين الأسرة،فلا بد لنا من التعرف على كل ما يتعلق به ابتداء من الخطوبة وقيمة الصداق وعقد الزّواج والشروط التي يتضمنها، قيم والأفـراح، وتظل كتب الأحكام والنوازل الفقهية هي المصدر الوحيد لمعرفة عادات ومراسيم الزّواج في مجتمع المغرب الإسلامي.

١ ـ الخطـوبــة :

ومن المحتمل أن الفتاة كانت تتزوج في سن مبكرة جدًّا، تقريبا عند سن البلوغ[١]. كما أن اختيار العروس كان يتم عن طريق الأهل، الذين يقومون بتعيين عدة فتيات للرجل على أن يختار إحداهن أما عن الخاطبة،ـ فلا تكاد نسمع عنها في تلك الفترة [٢]، ومن المؤكد أنها وجدت في هذا المجتمع كوسيط بين العروسين ووسيلة للاختيار، إذ أنه كانت من السمات العامة التي تتعلق بهذا الجانب في العصور الوسطى الإسلامية لأنه لم يكن من السهل رؤية الفتيات بحرية قبل الزواج، ويخبرنا المازوني أن إجراءات الخطوبة تختلف بين البوادي والمدن[٣].

وفي بوادي الدولة الحفصية تتم خطوبة الفتيات وهنّ مزينات حاضرات مع أمهاتهن في البدوة، وهي حفلة دينية تقع في الزوايا في الخريف تصحبها حفلة غناء ديني فيه طبلة ورباب، فكل أم من لها ولد في سن الزّواج تختار من تستحسنها من الفتيات [٤]، ثم تقصد بيتها لخطبتها فتقول:" جئناكم خاطبين راغبين في بنت الحسب والنسب " وتتولى إحدى الحاضرات مدح عائلة الخطيب والأخرى مدح عائلة الخطيبة [٥].

---

(١) حدّد المازوني: " سن الزّواج ما بين الثلاثة عشر والسادسة عشر، والفتاة الصغيرة تزف بعد موافقة القاضي" ، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، المكتبة الوطنية، الجزائر رقم ١٣٣٥،١٣٣٦ ج١، و ٢٩٤.

(٢) سناء الخوالي: **الزّواج والعلاقات الأسرية** ،دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية،د.ت ، ص ٣٦.

(٣) المازوني: م، س، ج١، و ٢٩٤.

(٤) عثمان الكعاك: **التقاليد والعادات الشعبية**، ش،و،ن،ت، تونس، ١٩٦٣، ص ٨٦.

(٥)التسولي : **البهجة في شرح التحفة** ، دار الرشاد الحديثة، نقلا عن دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٥١ ج١، ص ٢٣٥.

وعادة ما كانت فترة الخطوبة تتم في شهر رمضان، وشوال وكان اليوم المفضل لديهم لخطبة العروس" هو يوم الجمعة على أن يتم البناء في مستهل شوال" [1]، وخلال الفترة الممتدة ما بين الخطوبة والبناء، كان على العريس أم المرشح للزواج أن يبرهن على رغبته في الزّواج من خلال تقديم جملة من الهدايا لعروسه، وأن يتطبع ويراود عروسه على تقبّل فكرة الزّواج[1]. وكانت الحنـاء والصـابون وألـوان الفاكهـة وبعض الأثـواب هـي المـواد التـي يفضـل العريس تقديمها كهدايا قبل البناء [2]، وكانت هذه الهدايا تقدم في فترات معينة وفي مناسبات، وغالبا ما كانت الأعياد الدينية والمواسم هي الزمن المفضل لتقديم هذه الهدايا .

كما لم تشاور العروس في الغالب عند الخطوبة بل دون استشارة العريس أيضّا، فكان يقوم كل من ولي الزوجة ووكيل الزوج بعملية الاختيار هذه بالنسبة للعروسين، وعموما كان الرجل يحرص دائما على اختيار فتاة حرة عند الزواج، ولعلها كانت الصفة السائدة في تلك الفترة، أنه لا بد من وجود امرأة حرة مهيبة في كل منزل [3].

أما فيما يتعلق بالصداق أو المهر بمعنى الصداقة أو الهداية، الذي يعتبر من حقوق الزوجة على زوجها، وعلى الرغم أنه من أحكام الزّواج إلا لا يبطله .ومع ذلك، فلقد وجد اختلاف في قيمة الصداق وذلك راجعا إلى مكانة العروسين الاجتماعية، لذا نجد الصداق بالنسبة للطبقة الحاكمة كبير جدًّا .

٢ ـ الصـــداق :

أمّا فيما يتعلق بالصداق [4]، وهو بمعنى الصداقة الذي يعتبر من حقوق الزوجة على زوجها، وعلى الرغم أنه من أحكام عقد الزواج إلاّ أنه لا يبطله، ويرى علماء المذهب المالكي أن أقل صداق ربع دينار، كما أن الحد الأعلى له غير مقرّر، ولا يلزم تقديم الصداق كله وقت العقد، بل يجوز أن يقدم بعضه ويؤخر الباقي إلى أجل معلوم.

-

(١) السجلماسي :**شرح العمل الفاسي**، طبعة حجرية، فاس، ١٣١٦هـ/١٨٩٨م ، ج١،ص ٢٣٥ .
(٢) نفسه ، ج١،ص ٢٣٤.
(٣) نفسه ، ج١،ص ٢٣٦.
(٤) نفسه ، ج١،ص ٢٣٧.

ومع ذلك، فلقد وجد اختلاف في قيمة الصداق في فترة دراستنا ما بين ق ٦هـ/١٢م إلى غاية ق ٩هـ/١٥م، وذلك راجعا إلى مكانة العروسين الاجتماعية، ولذا نجد الصداق بالنسبة للطبقة الحاكمة كبير جدًّا، وهذا بلا شك يتلاءم مع عظمة السلاطين، كما كان السلطان يقدم لبعض رجال دولته الصداق كهدية من بيت المال .

أما في فترة ما بعد العصر الموحدي، فإننا وجدنا أن الصداق بالغرب الإسلامي يختلف من منطقة لأخرى[١]،ويتركب الصداق من جزأين ، وهما النقد والمهر، فالأول يدفع قبل الدخول ويعرف بالمعجل ينفق في اقتناء الجهاز، أمّا الثاني يدفع بعد الدخول، وغالبًا ما تأخذه المرأة بعد الطلاق ويعرف بالمؤجل[٢] .

ونجد قيمة الصداق بالنسبة للمرأة الحفصية متباينة، وأقلها حسب راوية ابن عرفة سبعة دراهم جدد[٣]، لكن يمكن الصداق أن يرتفع حسب قيمة المرأة أي قيمة أسرتها الاجتماعية وكذلك حسب قيمة الصهر الجديد[٤]، وهذا على الكرّاي الذي كان معاصرا لسيدي بن عروس - وكان يعيش بصفاقس - اشترط عليه "مائة دينار ومصوغا وبعير بجحفته وخمس عشر شاة "[٥].

أمّا الزّواج بين الأمراء والسلاطين فتبلغ فيه المهور أرقامًا كبيرة، وعندما تزوّج السلطان أبو إسحاق ابنة الوزير ابن تافراجين كان صداقها ١٢ ألف دينار ذهب و ٢٠٣٠ خادما مولدات وأعجميات [٦]،ولمّا تزوّج أبو الحسن المريني الأميرة عزونة الحفصية كان صداقها ١٥ ألف دينار ذهب و ٢٠٠ خادم .

أمّا قيمة الصداق بالنسبة للمرأة الزيانية، فكان على الزّوج أن يقدم نصف الصداق أو ثلثيه على أن يؤخر الباقي إلى أقر،الأجلين الطلاق أو الوفاة [٧].

---

(١) محمد حسن: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، ج٢، ص ص٧٨٨، ٧٩٤.

(٢) إدريس، الهادي روجي: **الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن ١٠ إلى القرن ١٢ م**، تر، حمادي الساحلي، ط١، بيروت، ١٩٩٢، ج٢، ص ١٨٩.

(٣) ابن عرفة: **المختصر الفقهي**، مخ، د، ك، و، تونس رقم ٢٠٠٠٩، ج٢، و٨٧أ .

(٤) البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، و ٢ أ.

(٥) نفسه ، ج٢، و ٢٦ ب.

(٦) ابن الشماع، **الأدلة البينة** ، ص ١٣٠.

(٧) المازوني: **الدرر المكنونة**،ج١، و٢٨٤.

وقد أشار المازوني إلى العلاقة بين مسألة الشرف والزّواج ودور ذلك في تحديد الصداق ذاكرًا أرقاما ومبالغ تتراوح ما بين ربع دينار و ٤٠٠٠ دينار ممّا يبيّن أن صداق المرأة الشريفة غير صداق المرأة العادية، فالشرف كان هو المعيار الذي يرفع من قيمة الصداق أو ينقصه [١]،" فهذا أحد القضاة خطب ابنته رجل ما مرابطي وطنه ، ولما كان ليلة العقد عمل لها الزوج في نقدها ما يليق به من حلي وثياب وغير ذلك..." [٢].

ويبدو أن الصّداق لن يكن شرطًا يدفع على شكل نقود، بل كانت قيمته تشترى به الحلي والثياب[٣]، كذلك هو الأمر بالنسبة في البادية، إذ كانت المواشي تشكل جزءً من الصّداق، وكانت العائلات الغنية تعمد إلى تقديم قطعة من الأرض أو بستان كهدية للعروس عند زفافها [٤].

أمّا قيمة الصّداق بالنسبة للمرأة المرينية، فهي عمومًا لا تختلف عن سابقتها، فإن العرف المحلي أجاز تقديم المهر بأشياء ثمينة مثل الذهب والفضة والحلي، وقد تراوحت ما بين مائة دينار دراهم، بدون تحديد نوعية الدراهم هل هي ناقصة أو وازنة فيما فوق "[٥]،

وغالبا ما كان يتم تحديده في الإشهاد، وتوزيعه ما بين مقدم ومؤجل، وكان يشترط على الزوج تهيء حفل الزّواج كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.
وهذا أنموذج عن كتابة عقد الصداق في العصر الحفصي :" هذا ما أصدق فلان بن فلان زوجة فلانة بنت فلان أصدقها صداقا جملته نقدا وكاليا كذا وكذا دينارا ذهبا أميريّة الضرب، النّقد من ذلك كذا وكذا دينار "(٦)

---

(١) المازوني: **الدرر المكنونة**،ج١، و٢٨٤.
(٢) نفسه ، ج١، و ٢٨٤.
(٣) نفســه، ج١، و ٢٨٧ .
(٤) نفسه، ج١، و ٣٠٦.
(٥) ابن هلال: **الدر النشير على أجوبة أبي الحسن الصغير، طبعة حجرية**، فاس، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص ٤٨.
(٦) محمد حسن: **المدينة والبادية** ،ج٢، ص ٧٨٨.

٣ ـ عقـد الـزّواج :

يتم الزّواج في دول المغرب الإسلامي، كما هو في التشريع الإسلامي بموافقة الطرفين [١]، ويستدعي القاضي لكتابة العقد أو لعقد القران بالمنزل، أو بالمسجد أو زاوية مشهورة، ويحضره عدول العقد وأفراد العائلتين، هذا بالنسبة للعائلات الحضرية [٢] ، أما في البادية فتتم الخطبة بحضور كبار القرية الذين يتدخلون في تحديد المهر، واستمرت هذه الظاهرة حتى الآن في أغلب أرياف المغرب العربي [٣] فتتلى خطبة ويقع القبول والإيجاب ثم تتلى فاتحة الكتاب ،ويبخر المكان ويرش الحاضرون بالطيب وتوزع عليهم كؤوس الشربات، ثم يقف أبو العريس ودونه أبو العروس لقبول التهاني[٤] .

كما تعودت أكثر البوادي في العصر الحفصي على عقد القران " بالقصعة أو الجفنة "، ومعناه وليمة يدعى إليها الناس ، ويتمّ أثناءها عقد الزّواج شفويا [٥]،كذلك عرفت البوادي في العهد الزياني عدم حضور القاضي وتسجيل عقد الزّواج،وقد علّل الونشريسي ذلك بكونه راجع إلى انتشار الجهل، حيث يقول" : من عادة أهل البادية عدم الكتب، حين العقد، وعدم حضور من يعرف أركان النكاح "[٦].

أما صيغة عقد الزّواج التي تعود إلى العصر الموحدي أو بعده ، فبعد البسملة تأتي الصيغة القانونية للعقد من حيث أداء الصداق ثم اسم العريس والعروس كاملين، ويبين حالة العروس إذا كانت (ثيّبا) أو (بكر) ،كما يذكر في العقد وهي من شروطه أيضا أن تكون العروس (بالغ) [٧].

---

(١) سناء الخولي: م س، ص ٤١.
(٢) عثمان الكعاك: م س، ص ٨٧.
(٣) مختار حساني: **الدرر المكنونة** ، ص ١٨١.
(٤) عثمان الكعاك: ،م س، ص ٨٧.
(٥) محمد حسن: م س ، ج٢، ص: ٧٩٤.
(٦) الونشريسي: م، س، ج٣، ص ٢٦
(٧) أهم الشروط التي يفرضها الرجال هي حقهم في التمتع بثروات المرأة ، الونشريسي: م،س ،ج٣ ، ص ٢٨.

هذا فضلا عن بعض الشروط التي كانت تؤكد مكانة المرأة في الأسرة ومنها حرية الزوجة في التصرف فيما تمتلك وعدم تدخل الزوج فيما تتصرف، وأي يكون للزوجة حق الطلاق أي امرأة يتزوجها الزوج بعدها، وكذلك بيع أي جارية يتخذها بعد زواجها، وكذلك ألا يمنعها من أهلها ولا يمنعهم منها،ويبدو أن أهم الشروط المتعلقة بالمرأة هي التي نصّت على عدم إخراج الزوجة من بلدها، كما تتضمن وصايا بحسن العشرة والمعاملة ووجوب طاعة الزوجة لزوجها[١] وكانت هذه الوصايا تدعم بذكر بعض الآيات القرآنية.

وقد يحمل عقد الصّداق إضافات مختلفة تكتب على هامش الورقة أوراءها، أو كذلك بين الأسطر[٢]، وقد أورد صاحب الفائق في أحكام الوثائق نماذج متعددة من طرق توثيق كل ما يتصل بالزّواج وذلك ضمانا لحقوق الناس وتحمل الوثيقة اسم الزوجين والموضوع المتفق عليه [٣].

وممن اشتهر في كتابة عقود الزّواج الشيخ الفقيه ابن محرز (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٨)[٤].ببراعة كتابة عقود النّكاح، وأثنى عليه الغبريني وقال:" ورأيت له نظما ونثرا لا بأس بهما، ورأيت له خطبا في عقود النّكاح حسنة، وقيد أصحابه عنه كثير" [٥].

كما أخبرنا ابن شماع بموضوع زواج الأميرة الحفصية ابنة شيخ الموحدين ابن تافراجين بالسلطان الحفصي أبو إسحاق إبراهيم كما ذكرنا آنفا، وتولى الفقيه التلمساني ابن مرزوق كتابة عقد الصداق، كما تولى قراءة العقد[٦] الإمام ابن عرفة، وجاءت الصيغة كما يلي: " وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر من عام ستة (٧٦٦/١٣٦٤م) قرأ صداق المولى أبي إسحاق على ابنة الشيخ ابن تافراجين بالقبة الكبرى، كتبه الشيخ ابن مرزوق وقرأه الشيخ الفقيه ابن عرفة، وعدّد الصّداق أثنا عشر ألف دينار من الذهب، وثلاثون خادما مولدات وأعجميات. واحتفل بذلك غاية الاحتفال ووضع من الطعام ما عمّ جميع الناس" [٧].

---

(١) الونشريسي: **المعيار** ج٣، ص ٢٨.

(٢) نفسه، ج٣، ص ص ٢٨، ٢٩.

(٣) ابن راشد القفصي:**الفائق في أحكام الوثائق**، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم ٣١٠٤،ج١،و ٩ب ، و٥٨ أ.

(٤) هو الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد ابن عبد الرحمان الزهري.

(٥) الغبريني: **عنوان الدراية**، ص٢٨٧.

(٦) نظرا لأهمية موكب قراءة العقد، كان أرفع الناس مكانة فقهية هو الذي يتولى القراءة.

(٧) ابن الشماع، **الأدلة البينة** ، ص ١٠٥.

وهذا أنموذج عن عقد زواج نصر-ي: منعقد على أخت السلطان يوسف الأول لعريسها الرئيس أبي الحسن ابن أبي جعفر بن نصر، من إنشاء المؤرخ والوزير لسان الدين ابن الخطيب: " الحمد لله مانح أشتات الهبات ومسديها، فشرع ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ النّكاح ذريعة إلى المتاع وحفظا للأنساب،حفظ الله عليهم من عز هذه الأيالة النصوية اليوسفية مادة سعدهم، وعنصر مجدهم وأن من أفضل من أنجبتهم هذه البيوت الرياسية من أبنائها ، الرئيس كذا (على) أبو فلان(أبو الحسن)،ابن الرئيس (أبي الحسن) أبي فلان (جعفر) وصل الله سعده وحرس مجده، وسأل الله أن يكيف لها من المقام اليوسفي مصاهرة تزيد مجده والعالى أضعافا، فوافقت دعوته من الله إجابة ، ورأى مولانا ـ أيده الله له العقد السني، والأملاك السني في أخته الحرة، الجليلة، الطاهرة، المعظمة، السعيدة، فلانة ابنة والده مولانا أمير المسلمين أبي الوليد، وصل الله لها عوائد اليمن والسعد، وانعقد بينهما الأملاك السعيد على الحرة الجليلة المخطوبة المسماة، على صداق أوجبت السنة تعيين مقدمه وتاليه، وبين نقده وكاليه، وأجرى قبوله من المقام الكريم اليوسفي حرس الله أسباب معاليه، فجرى رفده الذي يصله وإحسانه الذي يواليه، مبلغه نقد حاضر وكال مستأخر،ألف دينار إثنان من الذهب العين وكذا وكذا . على هذا انعقد النّكاح، وبه تم، وبه كمل.

تزوجها بكلمة الله التي علت على جميع الكلم، وعلى سنّة سيدنا محمد (ص) ، فليما ملها بما يجب لمنصبها الكبير، ومجدها الشهير، من المكارمة المتكفلة باستخلاص الضمير، وهي وصل الله لها أسباب السعد، وحرس مالها من رفيع الجد ،تعامله بما يقتضيه حالها، وتعرف له الدرجة التي لا ينكرها أمثالها. عقد عليهما هذا الإملاك السعيد وكيل المولى أخيها، وهو (السلطان أبو الحجاج) بما بيده مقامه من التفويض العام، الذي من فصوله انكاح من يرجع إلى نظره، أيده الله بنسب أو ملك أو ولاء، حسبما يعرفه شهوده، وهي بكر في حجر المقام المولوي، وتحت ولاية نظره العلي.

وبعد تقدم الإستئمار، واقتضاء الإذن من مقامها الرفيع المقدار، وتحصيل ما يجب في هذه الحال شرعا على حسب الاختيار .

ابن الخطيب: **آناسة الدكان، بعد انتقال السكان**، مخ، دار الكتب بالقاهرة، رقم ١٩٨٧٥، و١٢، وب ١٣.

والله تعالى يجعل هذا العقد المبارك أسعد عقدا جاءت البركات الهامية أرجاه، وأجابت السعادة المعادة مداه، وتبقى عليهما من عناية هذا المقام الكريم المولوي ما يحمدان إعادته وابتداه، بفضل الله.

شهد على الرئيس (القائد أبو الحسن علي بن الحسن علي بن أبي جعفر بن نصر) والوكيل (أبو الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل بن نصر) بما فيه عنهما من أشهداه به، وهما بحال كمال الإشهاد، في الرابع والعشرين لصفر عام اثنين وخمسين وسبعمائة (سبتمبر ١٣٥٠م).يظهر هذا العقد المكانة الاجتماعية التي تحتلها الأميرة مع ذكر الألقاب المتعددة ،التي عرفت بها .

٤ ـ جهـاز العـروس :

أما فيما يتعلق بالجهاز [١] الذي كانت تحمله العروس معها إلى منزل الزوجية، فقلما تشير المصادر إليه، ولكننا نستطيع أن نعرف على أنواعه من خلال قائمة الجهاز التي جاءت عن صاحب وصف إفريقيا وهي كما يبدو ولا تختلف عن الفترات السابقة، بقدر ما تخلف حسب انتماء المرأة للوسط الاجتماعي [٢] ، ولم نعثر على قوائم الخاصة بجهاز العروس ضمن عقود الزّواج وربما أن قائمة الجهاز كانت منفصلة عن عقد الزّواج، ومع ذلك لم تصلنا أي قائمة من هذا النوع، على الرغم من أن قوائم الجهاز بالنسبة للمرأة بالمغرب الإسلامي يعتبر تقليدا شائعا حتى الحاضر.

وقدر أحيانا ثمن الجهاز بمبالغ غاية في الارتفاع، فكان أحيانا يصل آلاف الدنانير الذهبية، بل ويصل أحيانا إلى أكثر من ذلك [٣] .

---

(١) الجهاز أو الشوار، فالجهاز معناه لغويا: " هو كل ما تحتاج إليه العروس "، أمّا المشوار فمعناه: " الحسن والجمال، وهو أيضا الهيئة واللباس ومتاع البيت المستحسن" ينظر ابن منظور: **لسان العرب:** تعليق، علي سيري، دار إحياء التراث، بيروت،١٩٨٨،ج٢ ، ص ٤٠٠.

(٢) الوزان: **وصف إفريقيا**،ج٢ ، ص ١٣٥.

(٣) ابن راشد: **الفائق**،ج١ و٩١ أ ، ابن عرفة : **المختصر**، ج٢، و ٣٨ ب، البرزلي:م،س،ج١، و ٢١٦ أ، ٢٣٦ أ، الأبي : **إكمال الإكمال**، ج ٧، ص ٢٢٤، الوزان :م، س، ج٢، ص ١٣٥، الونشريسي: م، س، ج ٣، ص ٣٢٥.

ولعل ذلك راجعا إلى أن قائمة الجهاز تعكس الجانب الاقتصادي لكلا الطرفين، على العموم كان متوسط قيمة الجهاز في تلك الفترة متفاوت،أمّا بالنسبة للطبقات الفقيرة، فكانت قوائم الجهاز قلما يوجد فيها ملابس حريرية وأدوات الطعام مصنوعة من الفضة والنحاس(١) .

كما أن ما ذكرته المصادر عن ثمن الجهاز بالنسبة للطبقة الحاكمة من خلفاء وسلاطين ووزراء يبين إلى أي مدى ذلك الإسراف ، وكان لابد أن تكون هذه المبالغ مرتفعة، وذلك بما يليق بهذه الطبقة، وقد اعتاد آباء العرائس الذين ينتمون إلى أثرياء أهل المدينة أن يضاعفوا قيمة الذي قدمه الزوج كصداق لزوجته، فقد جرى العرف بفاس" أن الغني من أهلها يشور ابنته بمثلي الصّداق، أي أن يزيد على الصّداق بمثله من ماله الخاص" ويقضي عليه بتلك الزيادة إذا امتنع"(٢)،وكان الشوار يشكل عندهم، جزء من الصّداق حتى أن البعض اعتبره واجبا على أب العروس، وكان هذا المقابل الذي يقدمه الأب، يسجل في عقد خاص يشهد به على الزوج باعتباره ملكا خاص للزوجة (٣) .

وإذا انتقلنا إلى الأقسام الرئيسية، التي كان يشملها جهاز العروس، فهي تتكون من الحلي والملابس وفرش السرير ولوازمه والأثاث النحاس والأدوات المنزلية الأخرى، وكانت الحلي تأتي في الغالب في المقدمة بالنسبة للعرائس الموسرات،وأحيانا تأتي في المرتبة الثانية (٤) وكانت هذه القطع عبارة عن خواتم ذهبية وفضية، وكذلك الأساور والأقراط، وكان العريس يحضر جزءً من هذه الحلي كهدية للعروس وتحضر العروس جزء كبيرا من الحلي في جهازها (٥).

ثم نجد بعد ذلك، الملابس بأنواعها المختلفة، والتي سنتناولها بالتفصيل عند الحديث عن الملابس بصفة عامة، وكانت هذه الملابس الخاصة بالعروس توضع في صندوق، وتقوم العروس

---

(١) السجلماسي، **شرح العمل الفاسي**، ج١، ص١١.
(٢) نفسه، ج١، ص١١.
(٣) نفسه ، ج١،ص١١.
(٤) الوزان : **وصف إفريقيا**، ج١، ص ٧٨.
(٥) الونشريسي: م، س، ج٣، ص:٩٦، التبكتي: **نيل الابتهاج**، ص١٥٦، براشفيك: **تاريخ إفريقيا**،ج٢، ص٢٧١

باختيار ملابسها أثناء فترة إعداد الجهاز، بالإضافة إلى الملابس الداخلية الخاصة بالمنزل، والتي تصنع من الأقمشة الرقيقة [١].

أمّا الجزء الكبير الثاني من الجهاز، فهو يشتمل على الأثاث المصنوع ن القماش، والذي يتكون من لوازم السرير وفراشه من مراتب وأغطية ووسائد، ومن الأواني ما كان يصنع من الفخار أو من الخشب أو من النحاس أو أيضا من الفضة، وكانت الأواني المستعملة في الأيام العادية إمّا تخصص لوضع الطعام أو الماء كالصحفة والقدح أو تخصص للطبخ [٢].

وكان على الزوج ضرورة توفير بعض التجهيزات في بيته، فقد نص العمل الفاسي أن عليه أن يشتري ما يحتاج إليه من أواني البيت الجديدة، إن لم تكن موجودة عنده وهذه الأواني ستة وثلاثون إناء على ما ذكر: " كالقدر، القصعة والمغرفة والطبق وإناء للأكل وآخر للشرب وآخر للوضوء وقلة للماء والمكنسة وبطة الزيت وغير ذلك مما تحتاج إليه المرأة ..." [٣].

وكان على الزوج أيضا أن تشتري رقيقا لزوجته لخدمتها، وكانت مهمة هذه الأمة مرافقة سيدتها إلى بيت الزوجية وملازمتها وقضاء مأرب خارج البيت وداخله وتهيء الطعام والقيام بالأشغال المنزلية التي كانت ربة البيت تأنف القيام بها [٤]، فقد اتفق فقهاء تونس وتلمسان وفاس في أحكامهم أن العروس التي تنتمي إلى وسط حضري فرض على زوجها توفير خادمة لها عكس الزوجة ذات الأصول البدوية، التي كان عليها أن تتحمل مضان انشغالات البيت بمفردها [٥].فقد حكم قاض الأنكحة على زوج المرأة الحضرية بشراء خادم توفر عليها" وجع أيديها من الطحن " غير أنه حين " جاءته بدوية تشتكي بمثل ذلك وتحمل الماء والحطب وخدمة البادية أمرها أن تعاشر زوجها على ذلك " [٦].

وقد وصف ابن خلدون موكب حمل جهاز الأميرة الحفصية فاطمة الذي وصل إلى المغرب قادما من تونس وكان قد ضم جهازا متخما ساهمت قهارمة الدار في ترتيبه وعرضه. وجاء حديث

---

(١) ابن خلدون: **العبر**، ج٣، ص ٣٣٤.
(٢) الونشريسي، م، س،ج ٣، ص ٣١٥.
(٣) السجلماسي :م س ، ج١، ص١١.
(٤) نفسه، ج١، ص١٢ .
(٥)نفســه.
(٦) البرزلي : **أحكام البرزلي**، ص ٤٨.

ابن خلدون كما يلي: " ووصلوا (بالأميرة فاطمة) إلى مرسى غسّاسة (بالمغرب) ... فقاموا لها على أقدام البرّ والتكرمة، وبعثوا الظهر إلى غسّاسة لركوبها وحمل أثقالها، وصيغت حكمات الذهب والفضّة ومدّت ولايا الحرير المغشاة بالذهب، واحتفل لوافدها وأعراسها غاية الاحتفال بما لم يسمع مثله في دولتهم .وتوالت قهارمة الدار من عجّز النساء ما يتولاه مثلهم من ذلك فطم الصنيع، وتحدث الناس به " (١).

كما وجدنا ظاهرة الجهاز المستعار في مجتمع الغرب الإسلامي وهو تضخيم جهاز العروس تفاخرا بين الناس، ويسمى " بالعارية" و " الزينة "، وقد استمر العمل به إلى غاية يومنا هذا .

نبدأ بعادة استعارة الحلي وهي عادة موجودة في كل الأوقات فالعالم الفقيه حسن بن علي قاضي بجاية على عهد المرابطين، استخلف نيابة عنه في القضاء حفيده الذي واجه مسألة إعارة حلي. ويقول نص الخبر أنه: " تحاكمت عنده يوما امرأتان ادعت إحداهما على الأخرى أنها أعراتها حليا وأنها لم تعده إليها وأنكرت الأخرى فشدّد على المنكرة ... حتى اعترفت وأعادت الحلي ". لكن جدّه أنكر عليه التشديد وطالبه بالاعتماد على الشهود والبينة عند الإنكار(٢) ، وهكذا كانت إفادة هذا الخبر واضحة في إعارة الحلي وقت المناسبات .

ووجدت في تونس عادة تجميل الآباء بناتهم بالحلي وغيره على وجه الزينة بصفة مؤقتة، ففي القرن السادس هجري/١٢م على عهد الفقيه المروزي قدم والد الزوجة لابنته نحلة من "حلي وآنية من فضة ورحل كثير" (٣)، وادعى بعد وفاتها أنه كان على وجه العارية وقال:" كنت أعرتها ذلك ولم أملكها إياه"، وأفتى الفقهاء بعدم جواز أخذ أي شيء من شؤونها إذا كان الجهاز المقدم مساويا لقيمة الصّداق المتفق عليه .

وكانت عادة العارية موجودة أيضا بالأندلس، وقد عرضت مسألة (٤) على فيقه شاطبة ابن عات(ت.٦٠٩هـ/١٢١٢م)، ذكر أن والد الزوجة أخرج لابنته شورة ، وبعد مدة أربعة أعوام
" زعم أن نصف تلك الشورة إنما أخرجه على وجه التزين لها والإصلاح عليها، أعاره إياها على أنه ماله ". واعتبر الفقيه ابن عات أن المدة طويلة ولا يمكن أن نصدق الأب فيما قال.

---

(١) ابن خلدون: م، س، ج٣، ص ص ٣٣٣، ٣٣٤.
(٢) التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ص ١٥٦.
(٣) الونشريسي : **المعيار**، ج٣ ، ص ٢٩٠.
(٤) نفسه ، ج٣، ص ص ٤٠٥ ،٤٠٦.

وقد تكون العارية في أشياء لا تملكها المرأة بل هي من خصائص الرجل، وتحاول المرأة أو وليها استرجاعها، ففي الأندلس وقعت مسألة من هذا القبيل[١] عُرضت على ابن رشد وذكرت أن الجهاز تضمن أشياء أعدّتها المرأة لزوجها " كالغفارة والمحشو والقميص والسراويلات " ثم أرادت المرأة استرجاعها لأنها كانت للعارية أو للتزين. وأجاز لها ابن رشد استرجاعها، إذا لم يكن هنالك عرف يخالف ذلك.

ووردت في عهد قاضي الجماعة ابن عبد السلام(ت.٧٤٩هـ/١٣٤٨م) مشكلة أشارت إلى هذه العادة فقط. وذلك أن رجلا توفي فـ" استظهر الورثة برسم يتضمن أن العادة الجارية ببلدهم حتى الآن أن الرجل إذا جهز ابنته بحلي أو غيره، إنما هو على وجه العارية والتجميل بيد الابنة وإن طالت السنون، وأنه مهما أراد استرجاع شيء منه استرجعه". وبعد استرجاعه يعطيه لابنته الأخرى مدة من الزمن ثم يسترجعه ويعطيه للأخرى وهكذا... واعتبر ابن عبد السلام أنه لا بد من إتباع العادة ويقع إرجاع الحلي إلى ورثة الأب ولا يبقى عند الابنة وحدها [٢].

وسنرفق جدولاً نبين فيه بعض نماذج من جهاز العروس من خلال المصادر .

---

(١) الونشريسي: م، س ، ج٣، ص ٣٦
(٢) نفسه، ج٤، ص ١٢٢.

نـــوع الجهـــاز	المصـــــــــــــــــــدر
القميـــــص	الوزان: **وصف إفريقيا**،ج١،ص ٦٤.
الخمـــــار	نفســه ،ج١،ص ٧٤.
الـــــرداء	الأصفهاني :م س ،ج٣ ، ص ٢٥٣.
العصـــابـة	الونشريسي : **المعيار**، ج٣ ،ص ٣٣٨.
حــزام الحريـر	ابن خلدون: **العبر**،ج ٦، ص٣٣٤ .
الســـــراول	الونشريسي :م،س، ج٣ ،ص ٣٢٥.
القبقـــــاب	الآبي: **الإكمال**، ج ٥،ص ٣٧٠.
الصابون ، العطور	نفسـه، ج ٥،ص ص ٣٦٧، ٣٦٨.
مكاحــل ومـــراوء فضــة	مقديش : **نزهة** ،ج ٢، ص ٣٣٣.
خرصان وزربيتان	ابن راشد: **الفائق**، جI و ٧٢ ب.
خلخـــال فضــة	نفســه، جI و ٧٢ ب.
حناء طيب وعصفر	الأبي: م، س، ج٥ ،ص ٣٧٠.
الســاط (الحيطي)	نفسـه،ص ٣٧٠.
لحــف ومخــاد مــن حرير	ابن راشد :م،س، ج١ ص ١٩١.
المرفقــة والملحفــة واللحاف	البرزلي: **أحكام البرزلي**، ص ٤٨.

جدول رقم: ١٣ *جهاز العروس .

ـ العـــرس:

لـم تفيدنا المصـادر المتوفرة حـول النـواحي المختلفـة للأعـراس، لأننـا لا نجـد الكثيـر مـن المعلومـات عـن عـادات السّكان فـي مثـل هـذه المناسـبات ، وسنحاول جمع شتات ما تناثر من أخبار لنقف على طابع الاحتفال في الفتـرة التي ندرسـها ومـدى ملاءمتها للأحكـام الشـرعية، مـن جهـة، وفـي المقابـل فهـي تتحدث بإسهاب عمّا يفعلـه الأمـراء والسلاطين بالخصـوص،وجدنا أن الاحتفـال بـالعرس [١] فـي حواضـر وبـوادي الغـرب الإسـلامي متشـابها ومقاربـا، وأن اختلف في خصوصياته قليلا، فقد اقتـرب فـي عمومـه كثيـرا، وقـد اختلفت آراء الفقهاء بين الكراهة والتحريم الشديد وإنكار الاستماع للموسيقى والغنـاء واللهو واختلاط النساء بالرجال في الأعراس، إلى التسامح والإباحـة وإيجاد التعليلات لـذلك . ومـنهم مـن فـرق بـين الغنـاء المجـرد أو الغنـاء المصـحوب بـالآلات مـع التفرقة بينها كالطنابير والمعازف والمزامير[٢] .

وقد تشدّد ابن تومرت الموحدي في شأن الاحتفال بالزّواج عند مروره بإفريقية والمغرب الأوسط وصولا إلى مراكش عاصمة المرابطين " وكان ملازما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه "[٣] ، وكان يحطم آلات الغناء واللهو ويمنع اختلاط النساء بالرجال وسفورهن.

لكن رغم تحريم ابن تومرت الموحدي استعمال الموسيقى والغناء، لم يكن ليمنع سكان بجاية من القيام بالحفلات الموسيقية في الأعراس وغيرها من مناسبات الفرح . ويمكن أن نقول إنها بالتالي لا تحترم التعاليم الدينية المتشدّدة [٤] ،وقد لاحظ الوزان في رحلته في مطلع القرن١٦م انتشار الغناء والموسيقى في كل أرجاء المغرب الإسلامي، وقال في حديثه عن سكان

---

(١) جاء **في لسان العرب** عن الأزهري مواسم من إعراس الرجل بأهله ، إذ بنى عليها ودخل بها، وكل من زوجين عروس... ثم تسمى الوليمة عروسا، مادة عرس، ج ٩، ص ١٣١، كما يطلق على العرس اسم البناء، والباني هو العروس الذي يبني على أهله بناء . ونقل صاحب اللسان في معنى البناء:" وكان الأصل فيه أن الداخل بأهله كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله ليدخل بها، فيقال بنى الرجل على أهله، فقيل لكل داخل بأهله بان "، مادة بنى، جI، ص:٥١٢.

(٢) ابن خلدون: **المقدمة**، تح، علي عبد الواحد وافي، نشر لجنة البيان العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦، ص ٥٤٠.

(٣) ابن الأثير: **الكامل** ، ج٦، ص ٥٦١.

(٤) برانشفيك: **تاريخ إفريقية** ، ج1 ، ص ٤٣٢.

بجاية:" البجاويون أناس طيبون ميالون إلى المرح والموسيقى والرقص، لاسيما منهم الأمراء الذين لا يشهروا الحرب قد على أحد" [١] .

أمّا موقف الفقهاء في عصر خلفاء الدولة الموحدية فكانت الآراء، بحيث عثرنا على نص للفقيه المتصوف محمد الشاذلي التونسي [٢] (ت.٨٨٢هـ/١٤٧٧م) وهي رسالة في السماع بعنوان "فراح الإسماع برخص السماع" [٣] ، وأشار في مقدمة الكتاب إلى إباحة الغناء فقال:" الحمد لله الذي أباح وفسح مجال الغناء رغما لأنف أهل الجهل الأغبياء..." [٤] .

كما ذكر الونشريسي بالسهرات التي تحييها فرق متخصصة في أعراس تلمسان قائلا :"ومنها متخذ الملاهي وأنواع الغناء المحرمات والآلات والمزامير صناعة وحركة يكتسبون بها ويستأجرون عليها عند السرور مثل الزفافين والمغنيين "[٥] .

ونضيف إلى آراء التونسي المذكور رأيين متسامحين لفقيهين أندلسيين كبيرين هما ابن لب وابن حزم وقد جوزا حضور الحفلات واستعمال الآلات الموسيقية. فالفقيه الأندلس أبو سعيد ابن لب (ت.٧٨٢هـ/١٣٨١م) سئل عن حضور الحفلات التي تكثر فيها الملاهي والنكرات وأصوات النساء والطرب بآلة تعرف بالمزنج، فأجاب:" وأما سماع الطرب بتلك الزنوج المعروفة، ففيه اختلاف بالإباحية والكراهة والمنع، لكن جرت عادة شيوخ العلماء وأئمة

الفقهاء بحضور موضع ذلك وسماعه ترخيصا لمكان الخلاف[٦] . وفي إجابته عن ترخيص لحضور الحفلات التي كانت تتم بالأندلس وتشبه ما هو موجود ببلاد المغرب

إلاّ أن رسالة التونسي هذه مثلت متنفسا للمجتمع ليلهو ويستعمل الآلات ويحضر الاحتفالات رغم تواصل نظرة الفقهاء المتشدّدة إلى ذلك.ونشير أن إباحية حضور الحفلات واستعمال الآلات لا يكون في المطلق إذ أن الإفراط يؤدي إلى التحريم .

---

(١) الوزان: م، س، ج ٢، ص ٤٢.
(٢)مخلوف: **شجرة نور الزكية** ، ص،٢٥٧، رقم ٩٣٨.
(٣) محمد الشاذلي التونسي: **فرح الإسماع برخص السماع**، تح ، محمد شريف الرحموني، ط. ، دار العربية للكتاب، تونس، طرابلس، ١٩٨٥، ص ٥٤.
(٤) نفسه ، ص ٤٥.
(٥) الونشريسي، **المعيار**، ج٣، ص ٢٥١.
(٦) نفسه ، ج٣، ص ٢٥٢.

أمّا التوقيت المفضل لإقامة العرس، كان وقتها عند كتابة العقد أو عند البناء . وهو الأكثر شيوعا، وفضل القاضي عياض الوليمة بعد الدخول لأنه مستحب عند علماء المالكية [١] وكانت هذه العادة تتخذ بعدا احتفاليا،يكون فيها الغناء والرقص الزغاريد بالإضافة إلى أطعمة الولائم[٢] ، والتي يبدو أنها متنوعة من اللحوم ومشتقات الحبوب والمواد الحلوة وغيرها.

وكان يقام العرس في الدولة الحفصية يوم الدّخول عادة، ويلزم الزوج طعام النساء اللواتي يقدمن على العروس وتلزمه كذلك أجرة كاتب الصّداق وما يعطيه لكاسية الحلي والجنوة وضرب الطبل والحذوة وهي ركوب الهودج [٣]، وليلة الزفاف هي ليلة التجلية، تنصب العروس على منصة وحولها الحاضرات وهن صغار العرائس ، وجوقة الطرب و"العشاقة " تعشق النساء في النبي" وتنادي هكذا مع إطلاق البخور.

اليوم نميس وغدوة خميس * حاضر محمد وغائب إبليس

يا هاذا تربح وتنال * عيد صلّى على رسول الله[٤] .

كما تعودت أكثر البوادي في العهد الحفصي على عدم تحديد الصّداق،وعلى الزّوج أن يدفع إلى أهل العروس مبلغا ماليا لتحضير مأدبة الزّفاف وتعرف بـ " المأكلة "[٥] .

وتذكر المصادر ضخامة الولائم التي أقامها الأمير أبو الحسن المريني بمناسبة زواجه بالأميرة الحفصية فاطمة ابنة السلطان أبي بكر الثاني وجاء الحديث عن هذه الولائم في معرض الحديث عن العرس عامة،" وكان الشأن في مهرها وزفافها ومشائخ أعراسه وولائمها وجهازها كله من المفاخر للدولتين ولم يزل مذكورا على الأيام"[٦] ، وتحدث الزركشي عن وليمة ضخمة تمت قبل البناء وشملت عددا كبيرا من أهالي تونس فقال:" عمل المولى السلطان (أبو عمرو عثمان) عرس ولده المولى الهمام ولي عهد الخلافة أبي عبد الله المسعود على ابنة عمه شقيق الخليفة

---

(١) الزحيلي: **الفقه الإسلامي وأدلته**، دمشق، ط٣، ١٩٨٩، ج٧، ص ١٢٥.

(٢) ينظر إلى الجدول المرفق رقم ص

(٣) البرزلي: م، س، ج١، و٢٠٩ أ، ٢٢٩ ب، ابن عرفة، **المختصر**:ج٢ ، و ٣٨ ب.

(٤) عثمان الكعاك: م، س، ص ٨٩.

(٥) محمد حسن: م، س، ج٢، ص ٧٩٤.

(٦) ابن خلدون: **العبر**، ج٣، ص ٤٩٧.

المنتصر وبنى بها في الليلة القابلة وأطعم في العرس المذكور بالقصبة أهل الحضرة من غرة ربيع الأول إلى يوم البناء ثم أعطى قرب البناء لأهل ربض باب السويقة ستين رأسا بقرا وستين قفيزا قمحا ومثل ذلك لأهل ربض باب الجزيرة ..." [١] .

ونتعرض أخيرا إلى وليمة الزّواج بالثيب حيث يقع فيه الاقتصار على الوليمة لعدد محدود جدا من الأشخاص قد يتحدّد في الزوج والزوجة وأوليائهما، وقد أطلقت المصادر على هذا النّكاح بـ " نكاح الجفنة "[٢] أو القصعة، كما عرف أيضا " نكاح الأعراب" أو" بادية إفريقية ". ومعناها أن يقتصر الزّواج على الإطعام دون حضور الشهود [٣] .

أمّا الاحتفال بالعرس في الدولة الزيانية، فقد أخبرنا ابن مريم أن" وليمة العرس في الحقيقة وليمتان إحداهما للنساء وتقام في بيت العروس، والأخرى للرجال وتقام في بيت العريس، وربما أقيمت الوليمتان في بينت واحد"[٤] ، وكما يحتفلون باليوم السابع، حيث يعدّون الطعام ويستدعون الأهل والأقارب، وأضاف قائلا:" الطعام الذي جرت به عادة الناس بعمله في السابع من العرس" [٥] .

وخصصت العادات التلمسانية جانبا من الولائم للمرأة بحيث أن صاحبة العرس تستدعي مجموعة من النسوة فقط لمساعدتها تحضير الطعام كالفتل والطهي،ويعرف لديهن باسم التوزية[٦].

وبمناسبة العرس يحتفل التلمسانيون بسباق الفروسية وهو ما أشار إليه ابن مريم عند تعرضه لكرامات أحد الأطباء فيقول:" اتفق إن كان ذلك يوم عرس بموضع عثمان بن موسى فركب فرسه لإجراء السباق بالمعلب"[٧] .

---

(١) الزركشي: **تاريخ الدولتين،** ص ١٤٥.
(٢) البرزلي : **جامع مسائل الأحكام،** ج٢، و ١٨٨ ب.
(٣) اختلف الفقهاء في هذه المسألة، وقد أجاز الإمام ابن عرفة هذا الزّواج في حين رفضه معاصرة الفقيه القيرواني أبو عبد الله الرماح (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) يُنظر البرزلي،م س ، ج١ و ٢٨٣ ب.
(٤) ابن مريم: **البستان،** ص ٣٠.
(٥) نفسه، ص ٣٠.
(٦) نفسه .
(٧) نفسه .

أمّا الاحتفال بالعرس في الدولة المرينية يبدو أنه لا يختلف عن مثيلاتها من الدول المجاورة، وكانت عادة أهل فاس في العرس تبتدئ بتقديم ألوان من الطعام والمآدب المختلفة الأشكال، وتتخلل هذه المآكل أنواع من الموسيقى[1]، ويستوقفنا هنا الوصف المفصل للولائم الذي ذكره حسن الوزان في رحلته وهي الولائم الحاصلة في فاس وقت زيارته لها وهي:

ـ وليمة كتابة العقد، ويكون ذلك بعد كتابة العقد والاتفاق على الشروط، وتنقسم الوليمة بين الخاطب الذي يأتي بأصحابه ويطعمهم، وبين والد المخطوبة الذي يطعم أصدقاءه وأقاربه.

ـ ولائم العرس: وهي عديدة ثلاثة منها في بيت الزوج واثنتان في بيت الزوجة، وتبدأ أولاها في اليوم الذي يسبق الزفاف وتتم في بيت الرجل والمرأة كما نجدها في اليوم السابع وهي من مشمولات الزوج وحده [2].

ووضعنا جدولا يبين نماذج من الولائم الزوجية ونوع الأطعمة المقدمة بهذه المناسبة .

---

(١) البرزلي، م، س، ص ٨٥.

(٢) الوزان، م، س، ج١، ص ص ٢٥٤، ٢٥٧.

المكان والعصر	وقت الوليمة	اللحوم	الحبوب	الحلويات وغيرها	المصدر
زواج الأمير أبي إسحاق على **ابنة** الشيخ ابن تافراجين تونس ق٨هـ /١٤م	عند العقد	طعام			ابن الشماع **الأدلة**:ص ١٠٥.
عرس ابن بطوطة وهو في طريق طرابلس ق٨هـ /١٤م	يوم البناء	طعام			ابن بطوطة: **الرحلة**،ص ٢١
عرس بالقيروان ق٨هـ /١٤م	يوم البناء	طعام			ابن ناجي: **معالم الإيمان**،4،ص ص ١١٨،١١٩
عرس الأمير أبي عبد الله المسعود على **ابنة** عمه ق٩هـ/١٥م	يوم البناء	٦٠ رأس بقر ٦٠ رأس بقر	٦٠ قفيز قمح ٦٠ قيز قمح		الزركشي:**تاريخ الدولتين**، ص ١٤٥
زواج بفاس ق١٠هـ /١٦م	عند العقد	مشوي	فطائر	عسل	الوزان: **وصف إفريقيا**، ج1،ص ٢٥٤
زواج بفاس ق١٠هـ /١٦م	في منزل الزوج: ١ ـ ليلة الزفاف ٢ ـ الليلة التالية للزفاف. ٣ ـ بعد أسبوع في منزل الزوجة: ١ ـ الليلة السابقة لزواج الزّوجة ٢ـ ليلة الزّواج	خرفان كاملة مشوية لحوم بقر، غنم، دجاج مطبوخة مع خضر	ثريد خبز فطائر	حلويات عسل	نفسه،ج١، ص ٢٥٦

جدول رقم : ١٤ * الولائم الزوجية والأطعمة المقدمة فيها:

رابعا : المشاكل الزوجية والطلاق :

عندما تكون الحياة الزوجية مزعزعة يعيش أصحابها عيشة النكد والشقاء وتضيع حدود الله تعالى فإن حكم الطلاق في هذه الحالة مشروع، وصدق الله العظيم إذ يقول:" وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما" [١]، وسنبحث في هذا المجال في المشاكل الزوجية التي قد تنتهي بالطّلاق، هذا الطّلاق الذي يختلف الطلاق الذي يوقعه وتتحمله المرأة أكثر من الرجل.

١ ـ المشاكل الزوجية :

يرتبط موضوع العلاقات الزوجية ارتباطا شديدًا بوضعية المرأة في العائلة. والناظر في طبيعة المجتمع بالغرب الإسلامي يلاحظ أن العلاقة بين الطرفين الرجل والمرأة لم تعد علاقة تكامل وتعاون بين الزوجين، بل هي علاقة سيطرة وتفوق ، فقد ضيّق الرّجل على المرأة وفرض عليها حجابا شديدا وألزمها البقاء في المنزل[٢] وسعى إلى حرمانها من الميراث[٣] وأقدم على الإساءة لها لأتْفَهِ الأسباب وتعدُ هذه الظاهرة في حدّ ذاتها جديرة بالبحث والاستقصاء لأهميتها في استقرار الحياة من عدمها لأسرة موحدية ساءت العلاقة بين الزوجين، فالزوجة هي أخت الأمير يعقوب المنصور الموحدي وزوجها أبو محمد عبد الواحد ابن الشيخ، غضبت الزوجة فتركت بيت زوجها إلى قصر أخيها المنصور، فطلبها الشيخ أبو محمد عبد الواحد فامتنعت عليه، فلجأ الرجل إلى قاضي الجماعة بمراكش وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان، وطلب إليه أن يطلب من الخليفة أن يرد عليه زوجته[٤] ، فلم يلق الخليفة بالا لما طلب القاضي، فعاد أبو محمد يكلم القاضي، وقام القاضي بالكلام مع الخليفة، وتكرر هذا ثلاث مرات حتى سئم القاضي، وقال للمنصور:إن هذا الرجل قد طلب أهله والشرع معه، فإما أن يرد عليه زوجه أو يعزل القاضي من القضاء، فسكت المنصور طويلا، ثم أمر بأخته فردّت إلى زوجها في اليوم الثاني [٥].

---

(١) الآية ١٣٠ من سورة **النساء** .

(٢) المازوني: **الدرر المكنونة**، ج١، و ٢٤ب، و٨٧أ.

(٣) الغرناطي:م، س ، و٢١٠ أ ، ٢١٢ أ

(٥) مجهول: **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق حسين مؤنس،ط١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر١٩٩٧، ص ١٤٢

(٦) نفسه، ص ١٤٣

وربّما كانت الحماية النسبية التي تحظى بها المرأة الحضرية (الأميرات منها ونساء العامة) هي التي جعلت نساء البوادي والقرى المحيطة بالحواضر تلتجئن في الكثير من الأحيان للمدينة طلبا في لحمايتها بالأحكام الشرعية من ظلم أزواجهن ، والتزوّج عليها دون رضاها وتعسّف عليها في استعمال حقه في الطلاق [١].

حاولنا أن نبرز هذه الممارسات التعسفية التي تبرز عقلية المجتمع الذكوري بالمغرب الإسلامي هذا المثال لا يصوّر المشاكل الزوجية بكاملها في الأسر المدنية والريفية، فهذا صورة لما يحدث من مشاكل وسوء تفاهم داخل البلاط فقط ، إذن ما هي مظاهر الخلاف على مستوى الطبقات الاجتماعية الأخرى.

أ ـ **حجب المرأة** : إن المتمعن فيما خلفه الفقهاء في نوازلهم عن النزاعات المتكررة بين الزوجين في شأن خروج الزوجة من بيتها إلى مكان ما [٢]،وصلت إلى حدّ منعها من زيارة أبويها [٣] وإخوانها وأخواتها [٤]، بل وصلت درجة المغالاة في ذلك إلى تطليق الزوج زوجته إذا رأتها عين [٥]، ولم ينعكس خروج المرأة سلبا عليها بل تعداه إلى زوجها، واعتبر مجلبة عار لها وله، فالمرأة التي كانت تخرج بدون حجاب لا تصح إمامة ولا شهادة زوجها [٦].

نعتقد أن هذا كان سائدا في المجتمعات الحضرية بالخصوص، لأن في البوادي والأرياف كان خروج بعض النساء (من غير الأسر الغنية ذوات الحسب والنسب) مباحا إمّا إلى الاحتطاب، أو للسقي،أو للرعي، أو لأعمال الحقل، أو لبناء الدور، أو غير ذلك . لماذا لا يغير الزوج عندما تخرج زوجته لأداء هذه الأعمال ! وأين الشّك والحذر ؟! .

إن تطلعات الفقهاء لموضوع المرأة نظرة فقهية متشبعة بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف لحد التشدّد نظرة رجل شديد الغيرة على المرأة لدرجة التعجب،فنغمة الشّك والاحتقار، والحيطة

---

(١) الونشريسي: المعيار،ج٢، ص ص٦٤،٦٧.
(٢) نفسه ،ج٤، ص ص ٢١٣، ٢٤٦.
(٣) نفســه،ج٣،ص ٨٧.
(٤) نفســه،ج٤،ص ٤٢٠.
(٥) نفســه،ج٤،ص ٤٦٧.
(٦) نفســه،ج٣،ص ٦٩.

والحذر، والغيرة و تبرز جلية عند حديثهم عنها، ومما أثار انتباهنا:

أولا :أن خطابهم لم يكن موجهًا إلى المرأة مباشرة، بل وجّهوه إلى زوجها مباشرة،أو إلى الفقهاء أو الحكام، نعتقد أن ذلك يعود إلى:

ـ كونهم رجالا يخاطبون رجالا في مجتمع ذكوري وإيمانهم القوي بأن الرجل مسؤول عن زوجته والعالم والفقيه مسؤولان عن المجتمع كله
.
استنادًا إلى على قول الرسول صلّى الله عليه وسلّم"كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[١].
وقد ساعد من هذا التّصور جمهور الفقهاء في منع المرأة من الخروج من المنزل، وقد أورد ابن تومرت الموحدي عملا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مجموعة من التحذيرات تعلق بعضها بخروج النساء ومخالطتهن للغرباء، لمَا قد يجلبه عليها، وعلى أبيها، وعلى زوجها، وعلى مجتمعها من ضرر، قال في هذا الشأن" وعبادة النساء في بيوتهن أفضل لهن من الخروج المباح، فكيف بالمحرم "[٢] ، وفي إحدى مناسبات الأعياد " رأى الرجال مختلطين بالنساء، فانهال عليهم ضربا وآل الأمر إلى تجريد النساء من مجوهراتهن"[٣].

كذلك، حرص الفقيه ابن الإخوة على تطبيق أحكام الإسلام بشدة وصارمة في كتابه " معالم القرية " [٤]، وقد لاحظنا أنه كان يخشى من وقوع المرأة في المحرّمات، وكادت خشيته أن تتحول لديه إلى عقدة، فراح يدعوا إلى محاصرة المرأة والتقليل من مناسبات خروجها واختلائها بالرجال، واعتبر " دخول المرأة الحمّام دون مرض أو نفاس حرامًا، ودعا الرجال إلى عدم مشاركتها الوقوع في المكروه بمنع أجرة الحمّام عنها" [٥]،كما طالبت المرأة بعدم الذّهاب إلى

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ص ٢١٣.
(٢)البيدق: م، س، ص ١٣
(٣) نفسه ، ص ١٤
(٤) ابن الإخوة: **كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة،** تح، محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٦، ص ٢٤١.
(٥) نفسه ، ص ٢٤١.

المسجد، أو على الأقل باحتجاب عن الرّجال [1].

بل واعتبر ابن الإخوة المرأة أقل قدرة على التفكير السليم سريعة الانقياد إلى عواطفها وشهواتها. لذا وجب الحذر من قلّة عقلها بمنعها من التعليم لأنه سيكون سلاحا يزيد خطورتها. يقول ابن الإخوة في ذلك " ولا يعلم مؤدب الصبيان الخط امرأة ولا جارية، فقد ورد النهي بذلك وقيل إن المرأة التي تتعلم الخط كمثل الحيّة تسقى سمًّا " [2].

إذ أن التعليم لن ينفع المرأة بتنمية مداركها ومعارفها وإعطائها القدرة على لعب دور إيجابي في الحياة، بل إنه سينمي فيها الدهاء والكيد ويوفّر لها فرص ممارسة كل الممنوعات، لذلك وجب الاكتفاء بالعمل بالحديث القائل " لا تعلّموا نساءكم الكتابة ولا تسكنوهنّ الغرف، ولكن علّموهنّ سورة النور" [3].

وقد أفتى ابن عرفة بمنع خروج النساء لمجالس العلم والذكر والوعظ وإن كنّ منعزلات عن الرجال[4]، وذكر الأبي أنه لا يختلف اليوم في منع خروجهنّ للصلاة لأنهنّ لا تخرجن لذلك[5]. ويقول البرزلي:"النساء في الخروج أربعة أضرب: عجوز قد انقطعت حاجة الرّجال عنها فهي الرّجل في ذلك، ومتجالة لم تنقطع حاجة الرّجال عنها فهي تخرج إلى المسجد ولا تكثر الترديد(التردد) كما قال في الرّواية وشابة من الشواب فهذه تخرج إلى المسجد في الغرض وفي جنائز أهلها وقرابتها، وشابة فدّة في الشباب فالاختيار في هذا ألاّ تخرج أصلا... [6].

---

(1) ابن الإخوة : م س، ص ٢٧٣. ومن هنا تبدو المرأة المتحملة للمسؤولية بما أنّها صاحبة الجسد الفتنة، وكأن الفقه يبرّر موقف الرّجل الذي يقع في الزّنا إذ لولا وجود المرأة بالصّورة التي خلقها الله عزّ وجلّ عليها لما تم هذا الإثم، وفي ذلك استبطان للفكرة التي تعارف عليها الناس، في كل الديانات، من أن المرأة شرّ بدليل أنّها كانت السّبب في أوّل أخطاء الإنسان وربّما كان هذا الموقف وراء كل ما يدّعيه الرّجل اليوم على المرأة وما يردّده من أنّها زعيمة الكيد وسبب الأزمات.

(2) نفســه، ص ٢٦١.

(3) نفسه، ص، ٢٦١، إنّ سورة النّور من أكثر السّور القرآنية حثًّا على حفظ الشرف وترهيبا من الزّنا.

(4) ابن عرفة: **المختصر الفقهي**، ج٢، و١١ظ .

(5) الآبي: م س، ص ١٨٥.

(6) نفســه .

أخبرنا الفقيه ابن الحاج أن أحد الفقهاء أمر زوجته بأن " لا تتحرك ولا تتكلم بكلمة في غيبته حتى تعرضها عليه حين عودته إلى البيت لأنه مسؤول عن تصرفاته وعن صلاته وعن صلاتها" (1).

لقد استنكر فقهاء تلمسان أمثال المازوني(2) والعقباني(3) ما قامت به بعض النساء ممن اضطرتهن ظروفهن إلى الخروج لسوق الغزل، ومخالطتهن لسفلة الرّجال، والسماسرة، والتحدث والتمازح معهم، لكنهم لم يفتوا بمنعهن من الخروج، بل طالبوا تخصيص مكان لهن، واختيار التقاة من السماسرة للتعامل معهن حتى يقضين حاجاتهنّ .

في حين اعتبر الفقيه ابن الحاج أنه كلما تعلق الأمر بخروج المرأة إلى مكان ما، إلاّ وربطه ابن الحاج " بالمفاسد، وارتكاب المحرمات، والفواحش" (4)، واستهل كلامه عنه في أغلب الأحيان بـ " وينبغي له متعهنّ "(5)، ممّا يكشف عن ذهنية متشدّدة.

ونادى الفقيه زروق في شرح الرسالة بعدم خروج المرأة، أو التقليل منه، وربط خروجها بخمسة شروط :

- أن تخرج أوّل النهار أو آخره لا في وسطه .

- أن ترتدي أقبح ثيابها.

- أن تسير على جانب الطريق لا وسطه.

- أن لا تتعطر حتى لا تثير الأنظار.

- أن تستر كل جسدها عدا وجهها وكفيها (6).

وقال ابن سلمة يجب منع الشابات الجميلات من الخروج (7).وقال القاضي عياض كان بالأحرى منع النساء من الخروج إلى الأماكن الأخرى ما دمن منعن من الخروج إلى المسجد(8).

---

(1) ابن الحاج: **المدخل إلى تهيئة الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انحلت وبيان شناعتها وقبحها**، ط١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م،ج١، ص٢٤،ينظر أيضا، بمكتبة جامعة سيدي امحمد بن عبد الله، فاس، رقم ٦٣١١.

(2) **الدرر المكنونة** ،ج١، و٣٧.

(3) **تحفة الناظر**، ص ٢٢٠.

(4) ابن الحاج، م،س،ج١،ص ص ٢٤ ، ٢٤٦، ٢٦٨.

(5) نفسه، ج١،ص ص ٢٥٠، ٢٧١، ٢٧٢

(6) نفسه ، ج١، ص ٢٧٢ .

(7) الونشريسي، م، س،ج٢،ص ٢٤٩.

(8) نفسه، ج٢، ص ٢٥٠.

ونظرا لضرورة خروج المرأة رغم هذه المواقف المتشدّدة فإن ذلك كان مرتبطا بحمل الحجاب . وفي هذه الحالة كانت الأوساط الدينية أيضا متشدّدة واعتبر أبو علي ناصر الدين المشدّالي لا تقبل شهادته (١)، وفي أغرب المواقف في هذا الصّدد ما كان من علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله الذي عاش ببجاية أثناء القرن السابع هـ/ الثالث عشر م، كانت له بنات كنّ متسترات فسأل الله أن لا يطلع عليهن أحد فمتن في حياته (٢).

ثانيا: إن الفقهاء انتقوا من سيرة انتقوا من سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن مواقف أصحابه، ومن آراء الإمام مالك وبعض العلماء ما يؤكد آرائهم حتى يضفوا عليها صبغة المشروعية ويتمكن من إقناع مخاطبيهم. نظرة فقهاء متشبعين للمرأة في الغرب الإسلامي تطالعنا عليه لدرجة الإغلاظ ف بالكلام لكل من حادث عن السبيل السوي، ما هدفهم من ذلك إلا الإصلاح أحوال النساء وصيانتهن ثم إصلاح بين الزوجين .

ب ـ حرمان المرأة من الميراث :

قال الـه تعالى في إبطال ظلم الذين كانوا يمنعون النساء من الإرث ويجعلونه للرجال خاصة من سورة النساء:" للرجال نصيب مما ترك الولدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الولدان والأقربون ممّا قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا " (٣).

والعرف السائد في مجتمعات المغرب الإسلامي الذي توصل بمقتضاه إلى حرمان الأنثى وتمتيع الذكور بكل الأملاك هو تحبيس الأملاك لهم دو الإناث، اللاتي قبلن في بعض الأحيان هذا الوضع عن مضض، حتى لا يقطعن صلة الرحم مع عائلاتهن (٤). على أن هذا الأمر كان أكثر انتشارا عند أهل البادية، ممّا هو عليه عند الحضر، ولما أمثلة عديدة عن محاولة أهل البادية ـ

---

(١) الآبي: م،س، ص ١٩٤.
(٢) الغبريني: م، س، ص ١٣١.
(٣) الآية ٧ سورة **النساء** .
(٤) عمر الجيدي: **العرف والعمل في المذهب المالكي**، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط ١٩٨٤، ص ٣٢.

Ferchiou(S) : " Catégorie des sexes et circulation des biens habous", **in hasab wa nasab**, pp 25,270.

عدم استيفاء حقوق المرأة وعدم توريثها، وانفراد الإخوة بالملك ، معتمدين في ذلك على حجج واهية [1]، ومن جانب آخر، كانت نساء البادية " لا يطلبن ميراثهن من أقاربهن ولا يطلبن الغلة خوفا من قطع رحمهن، فإن هن طلبن قطعن رحمهن، وجفاهنّ ويصرن بذلك كالمقهوارت [2].

وخلافا لذلك، فإن المرأة الحضرية قد تعودت على أخذ ميراثها والمطالبة في الغالب، ونقتصر لتبيان ذلك على هذا المثال الذي جرى بواحة بسكرة، فقال البرزلي:" سئل أبو القاسم الغبريني عن محضر نسخته : بعد أن توفيت فاطمة بنت عبد الله بن محمد بن الحسن، وورثها بعلها يحي بن فلان وبنوها عبد الله وعيسى وعائشة، ومن غيره مريم بنت فلان . وكانت المتوفاة باعت نصيبها من جنة تركها والدها المذكور بعين مشيشة، خارج بسكرة مشهورة هناك، ونصيبها على الإشاعة مع البائعين معها ورثة عمّها وأختها مريم، فقام أبو مريم في حق محجورته عن أهل الفضل والصلاح والدين الناظرين في الحكم الشرعي ببسكرة ، حين التاريخ، لعدم وجود القاضي بها، فادّعى أن بيعها غير جائز، فاتفق رأي الجماعة على فسخ البيع ونقضه، وفسخ ما كان عقده الأخير من الأخوين للأخرين في البيع من التحبيس عند موته للجامع الأعظم ومسجد أبي سعادة والفقراء. وطولع في ذلك أبو يعقوب الناظر في الأمور السلطانية جملة لا تفصيلا، بالتفويض له في ذلك كما يجب ببسكرة وعملها "[3].

واستنتج أحد الباحثين أن هذه الملكية قد تعرضت إلى مراحل متعدّدة تخص الوراثة والقسمة والبيع والتحبيس ثم التراجع في مرحلة أخيرة، وهي تأتي نموذجا للمشاكل الممكنة الوقع عند توزيع الملكية الحضرية وقسمتها: وزيادة في التوضيح، فإن المراحل التي مرّت بها الملكية هي التالية:

١ ـ على إثر وفاة أبيها، ورثت فاطمة بنت عبد الله، مع أختها من الأم مريم وعمها نصيبا على الإشاعة من جنة بعين مشمش .

٢ ـ باعت فاطمة نصيبها، غير المقسوم، فطعن زوج أمها وأبو أختها مريم في البيع. فاتفق رأي الجماعة على إبطال هذا البيع.

---

(١) المازوني:م،س،ج٢،و٢٤ ب، ٨٧ أ، الغرناطي: م،س، و ٢١٠ أ، ٢١٢ أ ، البرزلي:م س، ص ص ٢، ٢٥١.
(٢) المازوني: ن م، ج٢، و ٢٤ب، ٨٧ أ.
(٣) البرزلي :م،س، ج٢، و ٢٥١ ب.

٣ ـ بعد موتها، ورثها زوجها وأبناؤها عبد الله وعيسى وعائشة، وبنتها عائشة من زوج ثان، وقد قام بتحبيس العقار على مساجد بسكرة وفقرائها، لكن حكم الجماعة تولى فسخ هذا التحبيس [١] ، وفي الجملة فإن قسمة الملكية تتعرض إلى صعوبات إذا كانت على الشياع، أو مقسمة بطريقة غير نهائية،أطلق عليها المازوني قسمة متعة، بينما أطلق على القسمة النهائية قسمة بت، ففي الحالة الأولى والثانية، تتعرّض القسمة إلى الشّفعة [٢].

نعتبر الهبة أو الصدقة من الطرق المتبعة في انتقال الملكية العقارية، وعادة ما يتولى الأب قبل وفاته منح ابنته المفضلة جزءا من أملاكه، وقد تم ذلك بمناسبة زواجها، على أن هذا الصنف من الهبة يثير في الغالب مشاكل بين الورثة بعد وفاة المتصدّق إذ يحاولون الطعن في صحّة وثيقة الهبة . ومن ذلك ما وقع بقفصة زمن قضاء ابن راشد، على إثر منح الأب ابنته جنة في عقد صداقها [٣].

وقد يحدث العكس، فقد أبطل القاضي أبا إسحاق بن عبد الرّفيع وصيّة الرجل لإحدى بناته أثناء مرضه[٤]، وهو أمر مناف للشريعة الإسلامية . وحتى إن اجتهد القاضي في إبطال الوصيّة بسبب حالة المرض فمن الحق أن يبطلها على كل المعنيين بدون استثناء.

والملاحظ أن بعض الآباء قد يعمدون إلى إعطاء حق الانتفاع للمرأة ما دامت غير متزوجة أو انفصلت عن زوجها بطلاق أو موت، وتخسر حقها في الانتفاع بمجرد زواجها من جديد، ويعود الملك أو المتاع بالتالي إلى أقاربها من الذكور.

جـ ـ الحمل ونسب الأولاد :

تتعرض نوازل الحمل ونسب الأولاد، لحالات النزاع بين الزوجين بخصوص أصل الجنين، وتثير مسائل أوضاع الحمل ومدته، وتستفتي الفقهاء في مصير الأولاد المزدادين نتيجة الزنا والغصب. (٤)

---

(١) محمد حسن: م س، ج١، ص ٣٤٥.
(٢) المازوني: **الدرر المكنونة**، ج٢، و ٣٥ ب .
(٣) محمد حسن: م س، ج١، ص ٣٤٣

ففي بعض النوازل إنكار من قبل الرجال لوطئهم النساء الحوامل، ونفي للحمل الناتج عن ذلك، ولا شك أن هذا السبيل مفض إلى اختلاط الأنساب وتعريض الأطفال إلى الضياع النفسي والاجتماعي، فكان الفقه أن قيد دائرة هذا الشأن، وأحاط الحالات بأشد أنواع التضييق حتى تسلم الأعراض وتصح الأنساب.

فقد سئل أبو إبراهيم عمنّ " نفى ولده من زوجته، وقد قدم من سفر، فوجده مولودا ، فقيل له: أزنت أو لم تزن ؟ فقال: لا أعلم إن كانت زنت ولا استبرأت قبل خروجي وليس هذا الولد مني"[١]، فهذا الإنكار ورد من قبل زوج قامت الزوجية بينه وبين امرأته وفق مقتضيات الشرع، ثم إنه لا يستطيع أن يجزم بزنا زوجته، لأن ذلك سيدخله دائرة القذف، وله أحكاك خاصة، فأفتى الفقيه بقوله: " يحلف لزنت ما هذا الولد مني، وليلحق به إن نكل، وقال ابن الحاج عن ابن القطان: من نفى حمل امرأته خاصة، ولم يزنها لا برؤية يدعيها ولا بقذف، وجب اللعان، ونكل عنه لا حد عليه ، ويلحق به الولد "[٢].

أمّا كونه لا حدّ عليه، فلأنه لم يقذف زوجته وإنّما نفى أن يكون الحمل منه، وأما أن يلحق به الولد، فذلك أضمن لرعاية الابن، وأبقى للحمة العشرة، وأنصف للزوجة، إذ لم تعرض للعان، ولم تتهم بقذف، وهذا كله راجع إلى أصل سلامة العلاقة الزوجية في أساسها، فما كان من الفقيه إلا أن أصطحب معه الأصل.

وأشارت نوازل إلى قضايا العدة والاستبراء من الحمل الفاسد إن كان الرجل ينوي الزواج بالتي زنى بها، وهنا حديث عن نساء يهربن مع رجال ويمارسن الفاحشة، ثم ينتج عن ذلك حمل، ولعل الندم ينتاب الأطراف فيقررن الزواج، من ذلك أن الفقيه سيدي سعيد العقباني سئل عمن " هرب بامرأة فغاب مدة إلى أن حملت منه، ثم بعد أن وضعت حملها أراد هو أو غيره أن يتزوجها، فهل يحل بوضع حملها أو لا؟ "[٣] ، فأجاب: " إن كانت وضعت الحمل بعدما عزلت عنه بحيث لا يتمكن منها، جاز لها أن تتزوجه أو غيره، وإن كان متمكنا منها حين الوضع فلا بد من الاستبراء "[٤]، وذلك من أجل براءة الرحم الفاسد إذ قد ينشأ عن تمكنه منها

---

(١) الونشريسي: **المعيار**،ج٤، ص ص٧٢ ، ٧٣.
(٢) نفسه، ص ص ٧٢، ٧٣.
(٣) نفسه، ص ٧٣.
(٤) نفسه، ص ٤٧٤.

بعد الحمل الأول حمل آخر.

وتشير نوازل أخرى إلى حالات يتم فيها الإنجاب بعد أشهر قليلة من الحمل لا تتجاوز ستة أشهر، فقد سئل ابن الفخار عن امرأة " توفي عنها زوجاه: فاعتدت أربعة أشهر وعشرا، ثم لبثت شهرا ثم نكحت فدخل بها زوجها فولدت بعد شهرين من عقد نحاكها معه "[1].

والإشكال نابع من استحالة تكوين الجنين والحمل والوضع خلال شهرين، فكان أن أفتى الفقيه بإلحاق الولد بالزوج الأول، يقول" : أعلم أن الولد لا حق بالزوج الأول ما بينه وبين خمس أعوام إذا ولدته عند الزوج الأخير لأقل من ستة أشهر من عقد نكاحها"، أما نكاح الثاني فيفسخ بغير طلاق ولا يتناكحان أبد،" لأنه تزوج في عدة، ويكون للمرأة عليه صداقها المسمى عالجه وآجله إلى أجله إن لم تكن غرت في حملها، وإن كانت غرت في حملها رجع إليها الزوج بالصّداق، وترك لها منه قدر ما تستحل به وذلك ربع دينار أو ثلاثة دراهم، وقد قيل إنها لا تصدق أنها لم تعلم بالحمل . لأنه شيء تجده في بطنها وإنما تقدر في خطأ العدة إذا كانت العدة بالشهور دون الحمل "[2]، وأجاب عنه الشيخ بن مرزوق بقوله بتصديقها، منطلقا في ذلك من نصوص الإمام وتلاميذه، باعتبار أن الحامل قد تحيض يقول: " فإذا تقرر هذا، فاعلم أن التي أقرت بانقضاء ثلاثة إقراء في مسألتك مصدقة، ويباح لها التزويج، ولا يضرها ظهور الحمل بعد ذلك، لأن الحامل تحيض[3].

وهو موقف يتساوق مع رعاية طبيعة المرأة البيولوجية وما يكتنف تلك الطبيعة من حالات واستثناءات، إذ العمل بالأصل والقاعدة البيولوجيين من شأنه أن يحرم نساء من حقوقهن، والواجب أن يلتفت إلى دراسة حالتهن الخاصة دراسة متأنية حتى لا يكون هناك إجحاف لحقهن في الزواج أو الصداق أو نسب أولادهن إلى الزوج الحقيقي.

وقد عرضت على الفقيه عبد الله العبدوسي، فهذه امرأة توفي زوجها، وذكرت أنها حامل، وحبس بطنها عارفات الوضع من القوابل وقلن: بطنها عامر، وبقيت أكثر من أمد العدة،

---

(١) الونشريسي: **المعيار**، ج٤، ص ٤٨٠.
(٢) نفسه، ج٤، ص ص٤٨٠ ، ٤٨١.
(٣) نفسه، ج٤، ص ٤٨١ .

يعني عدة الوفاة، فأرادت أن تتزوج ورفعت أمرها إلى قاضي الحصن وذكرت أن بطنها لم يظهر به شيء مما ادعته، وأنها تحيض في الشهر مرتين، فأمر القاضي عارفات القوابل فحبس بطنها وقلن:لم يظهر لنا ببطنها شيء مما ظهر لنا بها أوّلا، فأمر القاضي شهوده فشهدوا على قول المرأة وشهادة القوابل، ثم تزوجت ودخلت وبقيت مع زوجها نحو ستة أشهر وقالت ظهر بي الحمل وهو من الزوج المتوفي فضربها زوجها وخالفها، وبقيت نحو شهر، ثم راجعها وبقي أيضا أحد عشر فوضعت ولدا، وقال: ولد الزوج الأول، فقيل لها: ولم تزوجت وأنت حامل؟ فقالت: خفت على نفسي من العربي الذي طلبني للزواج وعلى مالي،لأن عادتهم ينكحون المرأة لمالها " [١].

هذه النازلة تبرز كيف أن القاضي ينهج مختلف الأسباب التي تمكنه من معرفة حقيقة ما في رحم المرأة، وقد يبدو هذا تضييقا عليها وتدخلا في حريتها، ولكنه، في حقيقة الأمر، تأكيدا لحقوقها، فالقاضي لم يمنعها من الزواج، وإنما، لكي تجنب نفسها مختلف النزاعات والوساوس والدعاوي، ألح في أن يمتحن بطنها لمعرفة حمله حتى ينسب الولد إلى أبيه وتكون الأنساب محفوظة ومضمونة .

جـ - العقـم : يمثّل العقم مشكلا بارزا يعترض الزوجين، وكان يُلقى سببه عادة على المرأة، ووفّرت المصادر معلومات حول أسباب العقم وقدّمت وصفات لعلاجه. وذكر الشيخ النفزاوي آفة العقر عند المرأة [٢]، وشرح أسباب ذلك التي تعود إلى أشياء طبيعية أو إلى أعمال طبيعية اعتقد الإنسان وجودها، والأسباب الطبيعة تعود إلى تكوينها فالمرأة السمينة لا تقدر على الإنجاب، ثم أن سوء تكوين الرحم أو تعرضه إلى أمراض يمنع الحمل أيضا، أما الأسباب البشرية فهي تعود إلى سحر عملته النّساء لأرحامها أو إلى ضرر يكون من قبل الجان أو التوابع .

وبعد ذلك الأسباب أعطى الشيخ النفزاوي طرق العلاج اللازمة، وهي وصفات مأخوذة من أعضاء دقيقة من الجمل والذئب والشاة أو العنز تخلط بمواد وتصير سوائل تستعملها المرأة في أوقات معلومة، ويرتبط ذلك بممارسة العلاقات الجنسية مع زوجها [٣]. وفي نفس السّياق

---

(١) الونشريسي : **المعيار**، ج٤، ص ص ٥٤، ٥٥.
(٢) النفزاوي، **الروض العاطر في نزهة الخاطر**، مكتبة المنار، تونس، د.ت، ص ص ٥٣، ٥٤.
(٣) نفس المصدر والصفحة .

أشار الطبيب الصّقلّي إلى " وجع الرحم المعروف عند العامة بالوالدة " [١]. وذكر أيضا طرق علاج سيلان الدم من النساء [٢]، وهو مرض يحدث للمرأة ويؤدي إلى الضرر بها.

كما ذكر الشيخ النفزاوي أن العقم يعود إلى الرجل أيضا إلى جانب المرأة، ويكون سوء تكوينه الخلقي أو ضعفه هو ما يمنعه من الاتصال بزوجته ويحرمه من الإنجاب [٣]، واعتمدت الوصفة على عدّة معاجين حارة مثل العسل والزنجبيل والثوم والقرفة . ويمكن أن يكون عقم الرجل ناتجا عن تدخل بشري بالسحر مثلا ويصير الرجل معقودا، وأعطى الشيخ وصفات لعلاجه، وذلك بمواد نباتية تمزج مع بقايا فخار وأخشاب، وتوضع المادة في الأكل، ويقع تناولها في الصباح والمساء، وبذلك يزول فشله ويحل بذلك كل عقد، مجرب صحيح [٤].

وبما أن مشكلة العقم كبيرة كان الرجل كما كانت المرأة يعمل على التخلص منها. وكان الرجل يلجأ إلى الزّواج من جديد لعله يعثر على المرأة القادرة على الإنجاب دون أن يقع ربط سبب ذلك بالرجل ، ومن القرن السابع هجري /١٣م عثرنا على أحد أصحاب الدهماني يلجأ إلى الزّواج لما شعر بعجزه عن ربط علاقات جنسية مع زوجته، وهو الولي أبو علي الكسراوي الذي اعتبر أن عقمه حادث وهو ناتج عن عدم رضى شيخه الدهماني بالمرأة التي اختارها زوجة، وتغيرت الأوضاع بمجرّد الزّواج من ثانية حيث أنجب الأبناء وننقل في ما يلي هذا الخبر عن الدباغ الذي قال: " حدّثني أبو علي الكسراوي قال: أردت أن أتزوّج فاتفق رأي جماعة من الصالحين على امرأة، فشاورت الشيخ فيها فسكت عني، ثم قال ليست لك بزوجة ولما دخلت عليها وبقيت عندك عشرة أعوام وقد زوجتك طفلة هي الآن تلعب . فقدر الله أن دخلت بتلك الزوجة فلم أجد من نفسي قوة على النّكاح فبقيت عندي كذلك سنة وستة أشهر واثني عشر يوما ثم إني فرقتها وهي بكر وتزوجت بعد ذلك ابنة عمي وكانت في تلك المدّة طفلة وولد منها الأولاد[٥].

---

(١) النفزاوي: م س، ص٥٤ .
(٢) نفسه، ص ٤٥ .
(٣) نفسه ، ص ٥٤ .
(٤) نفسه ، ص ٥٥ .
(٥) ابن ناجي: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تونس، ١٩٩٠، ج ٣، ص ٢٢٤

ومقابل هذا المثال الذي غير فيه الرجل زوجته فرُزق بأبناء فإننا نجد مثالين عن رجلين كررا الزّواج فلم يسعفا بولد، فالزاهد أبو سالم القديدي من القرن الثامن هجري/١٤م تزوّج أربع نسوة ولم يعقب [١]. والإمام ابن عرفة الشهير تزوّج امرأتين ومع ذلك لم ينجب[٢]، ويبدو هنا أن العقم في هاتين الحالتين عائد إليه .

وكان الرجل يلجأ إلى طلاق زوجته إذا لم تنجب له أبناء، ويحملها بذلك مسؤولية عدم الإنجاب، وكانت المرأة تلجأ إلى التداوي لتتخلص من هذه المشكلة وحتى لا تكون عرضة إلى الطلاق، ووجدنا مثالا عن التداوي للإنجاب ولم يقترن بحالة طلاق لاقتناع الرجل بالواقع، فالمسماة مريم زوجة أبي الحسن العبيدلّي كانت تداوي على الأولاد [٣]، وكان زوجها يأمرها بالصبر لأنها لن ترزق ولدا أبدا وكان يقول لها: " قد اختار الله تعالى أن لا يكون لي ولد، فما ولدت شيئا" .

٢ ـ الطــــلاق:

يمكن أن تضطرب الحياة الزوجية عندما يخفق فرد في القيام بدوره على نحو سليم، ويؤدي الإخفاق إلى عدم الاستقرار وربما ينتهي إلى الطلاق وانحلال الزّواج أصلا وهو أمر لا يتلاءم مع الهدف الأصلي للزّواج الذي يتمثّل في الرغبة في الإبقاء على الرابطة الزّوجية بصفة مستمرة[٤].

الرجل يوقع الطلاق : إذا تأملنا النصوص القرآنية الواردة في الطلاق نجدها تخاطب الرجال، الأمر الذي يفيد أن الطلاق حق للرجل، يقول الله تعالى: " وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهُنّ " [٥]

---

(١) ابن ناجي: م س، ج٤، ص ٨٧.

(٢) الرصاع: **الفهرست**، ص ١٧٠.

(٣) ابن ناجي: م س، ج ٤، ص ١٣٣.

(٤) يقصد بكلمة طلاق : المفارقة وترك الشيء إلى حال سبيله، وفقهاء الشريعة يُعرّفوا الطلاق في اصطلاحهم بأنه: " حل الرابطة الزوجية الصحيحة من جانب الزوج بلفظ مخصوص أو ما يقوم مقامه في الحال أو في المآل . فالزوجية غير الصحيحة لا يقال في حلها أنها طلاق، بل مجرد تفريق بين رجل وامرأة اجتمعا في ظل عقد زواج غير صحيح.

فالطلاق إذن جعله الله بمثابة علاج مر المذاق، وهو بالنسبة لحياة زوجية تثبت فشلها هو العلاج الوحيد، بمنزلة الجراحة التي لابد منها حفاظًا على سلامة الجسد، ينظر سعد الدين العثماني: **الخلع واشتراط موافقة الزوج**، منشورات الفرقان، سلسلة الحوار، عدد ٥٠، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠١، ص ص ٣، ٤، ٥.

(٥) الآية ٢٣٢ من **سورة البقرة**.

ويقول جلّ شأنه: " وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذون منه شيئا أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا" [1].

وهكذا فإن نصوص القرآن الكريم تفيد بما لا يدع مجالا للشك أن الطلاق حق الرجل، وهو بحدوده وقيوده مرتبط بإرادة الرجل "[2].

وشاع على ألسنة الرجال في المجتمع المغربي الإسلامي الحلف "بإيمان الطلاق"أو "إيمان التحريم"[3]، ونقل الونشريسي عن ابن العربي عدّة أنواع من هذه الإيمان وقال:" إن صور الحرام عشرة: الأول قوله حرام، والثاني قوله علي حرام، والثالثة أنت حرام،والرابعة أنت علي حرام، والخامسة الحلال علي حرام، والسادسة ما انقلب غليه حرام، والسابعة ما أعيش فيه حرام، والثامنة ما أملكه حرام، والتاسعة حرام، والعاشرة أن يضيف التحريم إلى جزء من أجزائها" [4].

وهذه واقعة عرضت على أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن تتمثل في شكوة امرأة من سلوك زوجها المتعلقة في كثرة حلفه بإيمان الطلاق، حتى أصبحت حياتها متذبذبة بين المدّ والجزر وفق هوى الزوج وتقلب مزاجه .

لقد سئل الفقيه أبو عبد الله محمد عبد المومن عن امرأة فارقها زوجها بطلاق الخلع، فشهد عليها في أثناء العدة أو بعد تمامها أن زوجها كان يحلف بالإيمان اللازمة طول ما كانت في عصمته ويحنث بها، فهل يمكن مراجعتها أو لا ؟ وكيف إن رجعت له بعد ذلك وطال مكثها معه، ثم عثر على إشهادها المذكور؟ فهل تفرق منه لكونها أشهدت عدولا عليها بذلك بعد أن ملكت عصمتها كما ذكر أم لا؟ [5] .

---

(١) الآية ٢٠ من **سورة النساء** .

(٢) ثبت مما تقدم أن الطلاق بيد الرجل والحكمة في ذلك أن الرجل دون سواه هو الذي يقدر ظروف الطلاق وأسبابه، في صبر واستقرار فكري كامل، فالمسؤولية كلها عليه، وآثار الطلاق من أعباء ونفقة ومتعة، فالنظر إلى أن الرجل هو المسؤول عن كل ذلك فلا يعقل أن يكون الطلاق بيد المرأة التي لا صبر عندها، وخاصة في ظروف النزاع والشقاق، فهي أعجز من أن تواجه مثل هذه المواقف الحاسمة. فلو جعل الطلاق بيد المرأة لاضطربت الحياة الزوجية ولما استقر لها قرار لسرعة تأثرها وانفعالها واندفاعها، وليس هنالك ما يحملها والأناة، حيث لا تغرم شيئا .سعد الدين العثماني:م س،ص ١٩ وما بعدها.

(٣) وهي العبارة التي ينطق بها الرجل للدلالة على حل رباط الزوجية، وإيقاع الطلاق بالفعل، أو ما يقصد به بصيغة الطلاق، وقد تكون صريحة، وقد يسمى بالطلاق الصريح، وقد لا تكون صيغة الطلاق كذلك وإنما تدل على المعنى المقصود لأدلة غير صريحة، وهذا ما يسمى الطلاق الكنائي، سعد الدين العثماني: م س، ص ص ٢٠، ٢١، ٢٢.

(٤) الونشريسي، **المعيار**، ج٤، ص ٤٣١.

(٥) نفســه ، ج٤، ص ص ١٠٨ ، ١٠٩.

ويبدو أن هذا الزوج ليس له نية مبيتة في التحايل على زوجته، وإنما هو مبتلي بكثرة الحلف، ومع ذلك فقد عاقبه الفقهاء بما من شأنه أن يفرض عليه الإقلاع عن عادته السيئة، وذلك بأن لا تمكن المرأة من الرجوع إليه، يقول نص جواب الفقيه: " إذا كان الأمر على ما ذكرتموه، وشهد عليها أنه كان يحلف بالأيمان اللازمة وهي في عصمته ويحنث، وكان الإشهاد عليها بذلك أن ملكت بالخلع كما ذكرتم، فلا يمكن من رجعته على القول المعمول به (١).

وذلك راجع إلى أنه قد ترجح لدى الفقهاء أم مطالبة الزوجة بالرجوع إلى زوج تلك حالته وعادته إنما هو تشجيع له على مواصلة عادته السيئة معها، فكان أن حكم الفقيه بأن لا ترجع الزوجة إليه إنصافا لها وتجنيبا لمستقبلها من التعرض إلى هزات نفسية واجتماعية مدمرة.

وبالعكس من هذا المثال يحدث أن يشعر بعض الرجال بالندم بعد مدّة من حلفهم بالطّلاق ولم ينفذوا الحكم الشرعي بالانفصال عن زوجاتهم ويذهب هؤلاء للبحث عن وصاية الحكم، فقد أورد الونشريسي أن القاضي يحكم بتحريم زوجة الأعرابي الذي حلف عليها يمين الطّلاق لكنّ الرجل " لا يعبأ بحكمه ويمضي الحانث لصاحبه من أمراء العرب فيشتكي به أن القاضي حكم عليه بتحريم زوجته فيأمره صاحبه المذكور برجوع زوجته وعدم الانقياد لحم القاضي (٢).

ـ حالات الطّلاق:

أ ـ الطلاق للعيوب :

لقد تناول الفقه المالكي موضوع العيوب المتصلة بالنكاح، وأجمع فقهاء المغرب الإسلامي على نوع من العيوب توجب الخيار في ردّ الزوجة أو الإمساك بها ،هذا السبب عام بين الرجل والمرأة، فإذا وجد الرجل عيبًا من حقه أن يطلّق خاصة عندما لا يرض بالعيب سواء كان العيب قبل الزواج ولكنه لم يعلم به إلا بعد الزّواج، أو طرأ العيب بعد ذلك، ولكنه أعلن عدم رضاه عندما علم به. فهنا يجوز طلب التفريق (٤).

---

(١) الونشريسي، **العيار**، ج٤، ص ١٠٩.

(٢) نفســه، ج٤، ص ٢٩٤.

(٣) المازوني: **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تح، حساني مختار، جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٤، ج٣، ص١٨٧.

وأجمع فقهاء المغرب الإسلامي على أقوال ذكر الإمام مالك في الموطأ، منها أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه قال: " أيما رجل تزوج امرأة وبها جنون أو جذام أو برص فمسها فلها صداقها كاملا، وذلك لزوجها غرم على وليها " [١].

وسنحيل على بعض منها في ثنايا النوازل المتعلقة بعيوب الزوجة ومنها نازلة عرضت على القاضي عياض في التنبيهات له بخصوص رجل ادعى أن بزوجته برصا بينما يقول والدها إنّ بها لمعات في جسدها لا يدري ما هي؟

وكان جواب الفقيه متكاملا يشير المنهج الإسلامي في إتباع الإجراءات العلمية والعملية لتأكيد الدعوى ورفع الشكوك، يقول: " الذي عندي في القضية أن النظر فيها في أمور ثلاثة: أحدهما: أن ما ادعاه من البرص محتاج أولا إلى إثباته لأن والد الزوجة لم يوافق عليه، إنما قال بابنته لمعات في جسدها لا يدري ما هي .

وثانيها أنه إذا ثبت برص فإنه يبقى النظر هل هو أقدم من أمد العقد أم لا؟ ولا شك أن القول فيه قول الولي لأمرين: أحدهما البناء بالزوجة قد وقع قبض الزوج ما هو بمنزلة السلعة المبيعة ، وثانيهما كان الزوج مدعيا عليه فعليه البيان، .

وثالثهما: أنه إذا قيل إن القول قول الأب وتوجه الإثبات على الزوج، فهل يمكن من إثبات قدم العيب بأهل المعرفة أم لابد من بينة تشهد بمعرفة قدم الرؤية أو الإقرار[٢].

نشير أن بعض الفقهاء يجيزون رؤية الفرج، وآخرون يمنعونه، يتضح ذلك من خلال النازلة الآتية، فقد سئل ابن عتاب عن رجل تزوج امرأة فأصابها ارتقاء، فشاور القاضي ابن ذكوان الفقهاء فيها، فأجاب بأن يرى النساء وينظر إليها، وأجاب الفقيه ابن القطان: " بأن لا يرى النساء ولا ينظرن إليها، وهو قول ابن حبيب في الواضحة ".

---

(١) ولي الله الدهلوي ، **المسوي شرح الموطأ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ج٢، ص ١٣٦.

(٢) الونشريسي: **المعيار**، ج٣، ص ص ١٧٧ ،١٧٨.

(٣) نفسه ، ج٣، ص ص٣١٢ ، ٣١٣.

ب ـ الخلــع :

أمر الله تبارك وتعالى بحسن العشرة بين الزوجين، وحسن العشرة من الجانبين لا يؤثر على حق التأديب للرجل غير أن هذا الحق يتعين أن يكون في الحدود المشروعة .

فإذا ما خرج الرجل عن الحدود المشروعة كان مسيئا في استعماله لهذا الحق إساءة تستوجب مسؤولية ديانة عن تلك فيما بينه وبين الله تعالى، على المرأة أن تصبر في هذه الحالة.

غير أن هذه الإساءة قد تصل إلى حد الضرر الجسيم، حيث يحول حياتها إلى نكد دائم وتعب مستمر، كأن يضربها ضربا مبرحا، أو ضربا لا يليق بكرامتها، أو يتطاول عليها بلسانه ويهينها إهانات بالغة(١).

ويرى مذهب المالكية أن المرأة لها أن ترفع أمرها إلى القاضي في هذه الحالة ليأمر، الزوج بحسن عشرته لزوجته، أو ليفرق بينها وبين زوجها متى صارت حياتها معه غير ممكنة على النحو السابق (٢).

وقد استطاع الفقيه الكبير أبو البركات ابن الحاج البلفيقي أن يعبر عن هذا المعطى أصدق تعبير، بين يدي صياغته لعقد الطلاق بينه وبين زوجته أم العباس عائشة بنت الوزير أبي عبد الله محمد المغيلي، إذ يقول في مطلع العقد:" إنّ الله جلت قدرته لما أنشأ خلقه على طبائع مختلفة وغرائز شتى، ففيهم السخي والبخيل، والشجاع والجبان، والغبي والفطن، والكيس والعاجز، والمسامح والمناقش، والمتكبر والمتواضع، إلى غير ذلك من الصفات المعروفة من الخلق، كانت العشرة على تستمر بينهم إلا بأحد أمرين: إمّا بالاشتراك في الصّفات أو في بعضها وإمّا بصبر أحدهما على صاحبه إذ عدم الاشتراك ، ولما علم الشارع أن بني آدم على هذا الوضع شرع لهم الطّلاق ليستريح إليه من عيل صبره على صاحبه، توسعة عليهم وإحسانا منه إليهم (٣).

---

(١)سعد الدين العثماني: م س، ص ص ٢٤، ٢٧.

(٢) الونشريسي: م س، ج٣، ص ص ٣١٢ ، ٣١٣.

(٣) أبو البركات عماد الدين محمد بن محمد بن إبراهيم بن حزب الله البلفيقي المعروف بابن الحاج توفي ف سنة (٧٧١هـ/ ١٤٧٢م) ، ينظر الزركلي: **الإعلام ،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** ط ٣، بيروت، ١٩٦٨ ج٧، ص٣٧.

(٤) عبد الهادي التازي: **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي،** ص ١٨.

والمفيد في نوازل الغرب الإسلامي هو أنه، في مقابل هذا الحق الذي يتمتع به الرجل، فقد كان للمرأة حق مواز، تستطيع بموجبه أن تتدخل إنهاء العلاقة الزوجية، وهو حق مكفول لها شرعا،ضمنه لها الفقهاء والقضاة، وهو ما يعرف بطلاق الخلع .

حـالات الخلـع :

ـ الخلع بسبب الإيلاء أو الظهار:

تتعدد الصّور التي تتضرر منها المرأة في علاقاتها الزوجية فترجع أمرها على القاضي الذي يحكم بتطليقها إذا امتنع الزوج عن مجامعة زوجته فإن ذلك يعتبر نوعا من الإضرار لها، وامتناع الزوج كثيرًا ما يأتي عن طريق حلف الزوج على أن لا يجامع زوجته مدة معينة أو غير معينة وهذا ما يسمى بالأيلاء (1) أو عن طريق تشبيهها بأمه أو غيرها ممن تحرم عليه وهذا ما يسمّى بالظهار(2).

---

(1) الأيلاء في اللغة هو الحلف، وهو في اصطلاح الفقهاء أن يحلف الرجل على أن يبتعد عن زوجته فلا يقربها، ينظر ابن منظور، **لسان العرب**،مادة أيلاء ج1، ص237. وقد نص الله جل شأنه على هذا النوع من الحلف بقوله سبحانه :" للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم"، وقد نزلت هذه الآية الكريمة لإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من إطالة مدة الإيلاء، فقد كان الرجل يحلف على أن يبتعد عن امرأته سنة أو سنتين فأبطل الله ذلك، لما فيه من ظلم للمرأة وإعنات لها . فما قد يصدر من الرجل من الرجل وهو في حالة نفسية سيئة لا يعدو أن يكون نتيجة طبيعية لانفعالاته وأحاسيسه، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى لم يحرم هذا الأيلاء، ولكنه مع ذلك لم يترك للرجل مطلق التصرف في مثل هذه الظروف فقد يكون ظالما يريد إيذاء زوجته والإضرار بها نفسيا وعصبيا، فوضع حدًا أقصى للأيلاء، وهو أربعة اشهر فإن فاء قبل تمام هذه الشهور الأربعة فلا يعتبر هذا اليمين طلاقا بإجماع الفقهاء لقوله تعالى: " فإن فاؤوا فإن الله غفورًا رحيمًا" ، الآية 226 من **سورة البقرة** .

(1) الظهار هو لفظة كان يقولها الرجل في الجاهلية فتصير بها زوجته محرمة عليه، معنى ذلك أن الزوج إذا غضب من زوجته وقال لها أنت علي كظهر أمي، فإنه يعتبر قد ظاهر منها وتصبح هي محرمة عليه، ومن هنا جاءت كلمة الظهار.

ووجه الشبه بين الظهار والطلاق إن كلاً منهما يرفع حل الزوجة لزوجها، غير أن الظهار لا يعتبر طلاقا، ولا يحتسب من عدد الطلقات وإنما هو يمين يترتب عليها تحريم الزوجة فقط، وهذا التحريم ليس دائمًا ولكنه يرتفع إذا كفر الزوج عن يمينه، يقول الله تعالى:" الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلاّ اللائي ولدنهم وإنهم يقولون منكرًا من القول وزورًا وإن الله لعفو غفور * والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير* فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم" . الآيات: 2، 3، 4، من **سورة المجادلة**. لذلك فمن ندم على تلفظه ذالك، وأراد أن تعود زوجته إليه حلالاً بعد أن حرمها على نفسه بذلك القول فلا بد من أن يكفر عن هذا الإثم الذي ارتكبه بأن يفعل أحد الأمور الثلاثة المنصوص عليها .

وأمثلة الإيلاء في الفترة التي ندرسها قليلة لأنها تتعلق بناحية دقيقة في العلاقات الجنسية تعتبر مسألة مسكوتا عنها في الغالب، وقد تعرض الونشريسي لبعض نوازل تخص هذه المسألة، وعموما فإن الفقهاء وقفوا إلى جوار المرأة وادفعوا عنها، حتى لا تخضع للضغوط والقهر، وإنما تعبر عن إرادتها وتتشبت بحقوقها التي يمنحها الشرع لها [1].

* الخلع بسبب خوف الفتنة لغياب الزوج :

إذا غاب الزوج عن زوجته فترة طويلة بلا عذر، وترتّب على ذلك أن تضرّرت زوجته كثيرًا بحيث أصبحت تخشى الفتنة نتيجة غيابه عنها بلا مبرر أو عذر معلوم.

فهل لمثل هذه المرأة أن تطلب التطليق بناء على هذا السبب المتمثل في غيبته الطويلة بلا عذر؟.

ذهب المالكية إلى أن غياب الزوج، يعتبر مبررًا تعتمد عليه المرأة في طلب التّطليق، خاصة إذا تضرّرت من غيبته الطويلة بأن خافت على نفسها الفتنة فإن لها أن ترفع أمرها إلى القاضي لينظر في أمر تطليقها.

ففي إحدى النوازل، يحكم المفتي للمرأة بأن تأخذ بشرطها بعد ثبوت مغيب زوجها، فقد سئل ابن رشد عمن تزوج امرأة بكرًا وغاب عنها قبل البناء غيبة متصلة تجاوز فيها الأجل الذي شرطه لها بحيث لا يعلم، فذهبت إلى الأخذ بشرطها وحلفت بمحضر جماعة من جيرانها يعلمون غيبة الزوج المذكور، وطلقت نفسها، ولم يكن بالمكان الذي فيه الزوجان حاكم يثبت عنده المغيب والصّداق، غير أن الأمر مشهور معلوم، هل ينفذ ما فعلته من اليمين والطّلاق على شرطها، وتستحق نصف صداقها،ويحل لها التزويج على صحة الصفة، ولا يكون لأحد في فعلها كلام ولا اعتراض، إذ الأمر مشهور ولا يجهله أحد من أهل قريتها أم لا [2].

فأجاب ابن رشد [3] بقوله: " إذا كان الأمر على ما وصفته فيه، فمن حقه أن ينفق عليها من ماله إذا طلبت ذلك، وأن تطلق عليه بعدم الإنفاق إذا سألت ذلك، ولم يكن لها مال، وأن تأخذ بشرطها الذي شرطه لها في المغيب، فإذا لم يكن في البلد حاكم ترفع إليه ذلك، فأخذت

---

(١)الونشريسي: **العيار**، ج٤، ص ص ٦٠، ٦١، ٦٧.
(٢)نفسه، ج٤، ص ٦٧.
(٣) نفسه، ج٣، ص ص ٣٨٦، ٣٨٧.

بشرطها وطلقت نفسها بعد يمينها على ما شرط الزوج بمحضر شهود عدول يعرفون المغيب والشرط نفذ ذلك على الزوج إن جاء، ولم يكن له مدفع في الشرط ولا في المغيب،وإذا أرادت أن تتزوج قبل قدومه فينبغي أن ترفع ذلك إلى الحاكم، فتثبت عنده الأمر كله على وجهه ويتلوم للغائب، فإن لم يأت حكم بانفاذ ذلك عليه وإرجاء الحجة له، وأباح لها النكاح "(١).

ويبدو أن الفقهاء منتهجون إلى مسألة النفقة التي من شأنها تحصين الزوجة في حالة غياب الزوج،وهذا ما تشهد به النوازل في القرن الثامن الهجري/١٥م،فقد سئل الفقيه العقباني(٢) عن مسألة كثيرة النزول، وهي إلحاق الغائب بالمفقود في الحكم، فأجاب: " إذا انقطع خبره، وجهل موضعه، فهو المفقود، فإذا رفعت أمرها إلى الحاكم ضرب لها أجل المفقود إن كان له مال تنفق منه، وتكتفي بقدر ما يفرض لها، وإن لم يكن له ما يفي بذلك، ضرب له أجل شهر ونحوه، ومتى تم الأجل المضروب، والحال على ما كانت عليها، فلها أن ترفع أمرها وتطلق عليه " (٣).

* التطليق للتزويج بأخرى :

كانت الزوجة بالمغرب الإسلامي إذا نالها من الزواج الثاني ضرر جسيم يستحيل معه دوام العشرة يجوز لها أن تطلب التطليق.

ويبدو أن الزواج أكثر من واحدة كان يخلق مشاكل داخل المنزل الواحد لذلك كان الأفضل هو الفصل بين الزوجات العديدات في منازل متفرقة وقال الونشريسي " لأجل ما يجري في الغالب بين الضرائر (٤) وتحمل الغيرة "(٥).

ولهذا وجدنا أن النسبة الكبرى من الشروط التي يتسابق النساء وأهلهنّ إلى ذكرها في عقد النكاح إنما تؤول إلى اعتبار الزوجة الثانية طالقا بموجب ما يشترطه الزوج على نفسه بأن أي

---

(١) الونشريسي: م،س، ج٣، ص ص ٣٨٦، ٣٨٧.
(٢) نفسه ، ج٣، ص ٣٨٧
(٣) نفسه، ج٤، ص ص٣٢٥، ٣٢٦.
(٤) نفسه ، ج٣، ص ٣٠٣.
(٥) الضرة: وهي الشريكة في الزوج سميت بذلك لاستضرار الأخرى بها. يقال تزوجت المرأة على ضُرّ إذا تزوجت على أخرى، ينظر الآبي: **إكمال الإكمال**، ج٧، ص ٤١٢.

زوجة ثانية تكون طالقا،وذلك كله لتضمن الزوجة، وأهلها معها، بقاء الزوج على العهد الأول، وأن لا تغير الأيام قراره، فيطمع بأن يلحق بها زوجة لا يبعد أن تكون "ضرة " بها كما هو حاصل في مجتمعات المغرب الإسلامي [١].

وذكرت إحدى الدراسات أن بعض الفقهاء تمكن من الإفلات من هذا الشرط، عن طريق الحيلة الفقهية من ذلك ما وقع للبرزلي لمّا عزم على الانتقال من القيروان إلى تونس، وأبت زوجته الرحيل معه إلا بشرط: وهو أن يجعل بيدها حقّ الطّلاق إذا تزوّج عليه،فالتجأ على الحيلة، وأودع عند شيخه أبي محمد الشبيبي وصديقه أبي عبد الله الفاسي وثيقة استرعاء يتنصّل فيها من هذا الالتزام، باعتبار أن الرّحيل إلى تونس مأمون، وبعد أن شهد على هذا العقد الاثنان، اشتبه عند أبي عرفة بعبارة في الأسفل، وهي " أن الاسترعاء المذكور عامل حسب ما نصّ عليه المتقدمون والمتأخرون [٢]. وهكذا تمكن من الزواج ثانية ولم تستطع زوجته الأولى من تنفيذ الحكم عليه، رغم امتلاكها للوثيقة التي ذكر فيها الشرط. وكان البرزلي يتبجّح بنجاحه في هذه الحيلة [٣].

---

(١) عانت المرأة المسلمة في المغرب الإسلامي وشرقه مشكل تعدد الزوجات وهي ما أتعب كاهل الزوج، حتى راح أحدهم ينشد قصيدة شعرية يحث فيها الأزواج على الحذر من تعدد الزوجات، والاكتفاء بزوجة واحدة، وهذا الزوج شاعر أموي، وقد تناقلت هذه الأبيات عبر العصور، ينظر، النفزاوي: **الروض العاطر**،ص ١٠٤.

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... فما أشقاك يا زوج اثنتين
فصرت كنعجة تضحى وتمسي ... تعذب بين أخبث ذئبين
فقلت أكون بينهما خروفا ... أنعم بين ثدي نعجتين
لهذه ليلة ولتلك أخرى ... عتاب دائم في الليلتين
ورضى هذه يهيج سخط هذه ... وما أنجو من إحدى السخطيتين
فإن شئت أن تعيش عبدا كريما ... خلي القلب معلوم اليدين
فعش فردا فإن لم تستطعه ... فواحدة تقوم بعسكرين

(٢) البرزلي: م، س، ج٢، و ١٤١ أ .

(٣) ابن عرفة : **المختصر الفقهي**، ج٢، و ٨٧ أ .

وعموما فإن هذا الشرط الذي تميّز به العقد القيرواني[١]، نجده كذلك في بعض الزّواج الزياني [٢]، في نازلة وهي أن الزوجة لم تقم على زوجها، ولم تطالبه بفسخ النكاح الثاني، باعتبار أن الزوج تفضل بأن شرط على نفسه عدم الزّواج عليها، وفي هذه الحال هل يمكن لصمتها أن يتخذ وصلة وذريعة إلى اعتبارها راضية؟ وهل من شرط ذلك أن يكون الزوج قد استثنى في شرطه بأن يقول: لا أتزوج غيرها إلا برضاها؟ فأجاب القاضي العقباني بقوله :" إن لم يكن استثنى رضى المرأة الميتة ولا رضى غيرها كما يعطيه ظاهر السؤال، فقد لزمه التحريم في الثانية "[٣].

وذكرت الدراسات الحديثة بأن النوازل المحصل عليها في موضوع الشروط الملتزمة في عقد النكاح في فترة دراستنا تأتي حجّة على مدى حرص المرأة على تدعيم الزّواج الأحادي "[٤].

جـ ـ التطـالق (أمر مشترك بين الرجل والمرأة) :

يمكن أن يتفق الزوجان على الطلاق فيسمى ذلك التطالق ومن صور التطالق التفويض والتمليك والتخيير[٥]،

وقد شرع الله تعالي هذا النوع من التفريق بين الزوجين باعتباره أحد الأبواب التي يفتحها الله عزّ وجل ليفرج بها كرب امرأة تبغض زوجها بغضا شديدا، ولا تستطيع فكاكا إلا بأن تدفع له مالا في نظير طلاقها ويسمى حينئذ بالخلع [٦].

والأصل في ذلك قول الله تبارك تعالى:" ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلاّ أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون "[٧]، ومن السنّة حديث حبيبة

---

(١) طرحت مسألة مشابهة في العهد الزيري تخص اشتراط امرأة على زوجها عدم الخروج من سوسة إلى القيروان، ينظر، الونشريسي: م،س ، ج٣، ص ١٥٩.

(٢) المازوني: **الدر المكنونة**، ج١، و ٣٩ ب.

(٣) الونشريسي: م،س ، ج٤، ص ٣٢١.

(٤) محمد حسن: م،س، ج٢، ص ٧٩٢.

(٥) الرصاع: **شرح الرصاع على حدود ابن عرفة**، الرباط، ١٩٩٢، ج١، ص ٢٨٥.

(٦) الخلع هو فراق الرجل لزوجته نظير مال تدفعه المرأة لتفتدي من عصمته وسمي خلعا لأنها تخلع نفسها من عصمته حيث لا تطيق الحياة معه وهو لا يريد أن يطلقها طلاقًا معتدًا .ينظر، سعد الدين العثماني: م، س، ص ٢٥.

(٧) الآية ٢٢٩ من **سورة البقرة** .

امرأة ثابت بن قيس عندما شكت زوجها ثابت بن قيس إلى النبي عليه السلام، فقالت:" لا أنا ولا ثابت، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :" أتريدين عليه صديقته "، قالت : نعم، فأمر النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يأخذ منها صديقته ولا يزداد " [١].

والمعلوم أن كتب النوازل تحتوي على عدد هام من موضوعات الخلع فعلى سبيل المثال فإن كتاب المعيار جمعت به حوالي ٤٣ نازلة تتصل بموضوع الخلع، ورغم أن مادتها الاجتماعية شحيحة، لكن ذلك لا يمنع من رسم صورة لمستوى تعامل المرأة بالغرب الإسلامي مع هذا التشريع واقعيا، ومدى فهمها له ومطالبتها له [٢].

وحسب البرزلي، " في بعض الحالات تمكنت المرأة التونسية من تطليق زوجها، بواسطة الحيلة التي تلتجئ إليها، فبعد أن تذمّرت من زوجها الأندلسي الذي أساء عشرتها، عملت بنصيحة الفقيه ابن علوان بالادعاء عليه بكونه مريضا، وطالبت عند الطلاق بالنفقة [٣].

وفي نازلة أخرى ذكر ابن الحاج نفقة زوجة رجل غني، وهي حبلى، وجاء فيها:

ـ نفقة شهرية للغذاء فيها ربع دقيق وثمن وحمل حطب و١٥ درهم .

ـ كراء منزل وخادم .

ـ لباس للمرأة: قميص وسراويل ومقنّع وخفّ وشادكة محشوة بربعين من الصوف وملحفة ومرفقة ترفع من صوف [٤].

ــ كسوة للرضيع : محشوّ وفرو وغفيرة (أو طاق خزّ وقميصان وزوجا أقراق وزوج موق وجوربان في كل سنة وكسوة النّون (شويدكة وأربعة لفائف من صوف ومن كتّان) وحرام ومحشو وقرق وقميص وجريريات) [٥].

كما وجدنا نازلة تبين كيف أن المرأة تتقوى بسند أخيها لها،ووقوفه إلى جانبها، فقد قدمته أخته أمر إجراء عقد الخلع من زوجها.

---

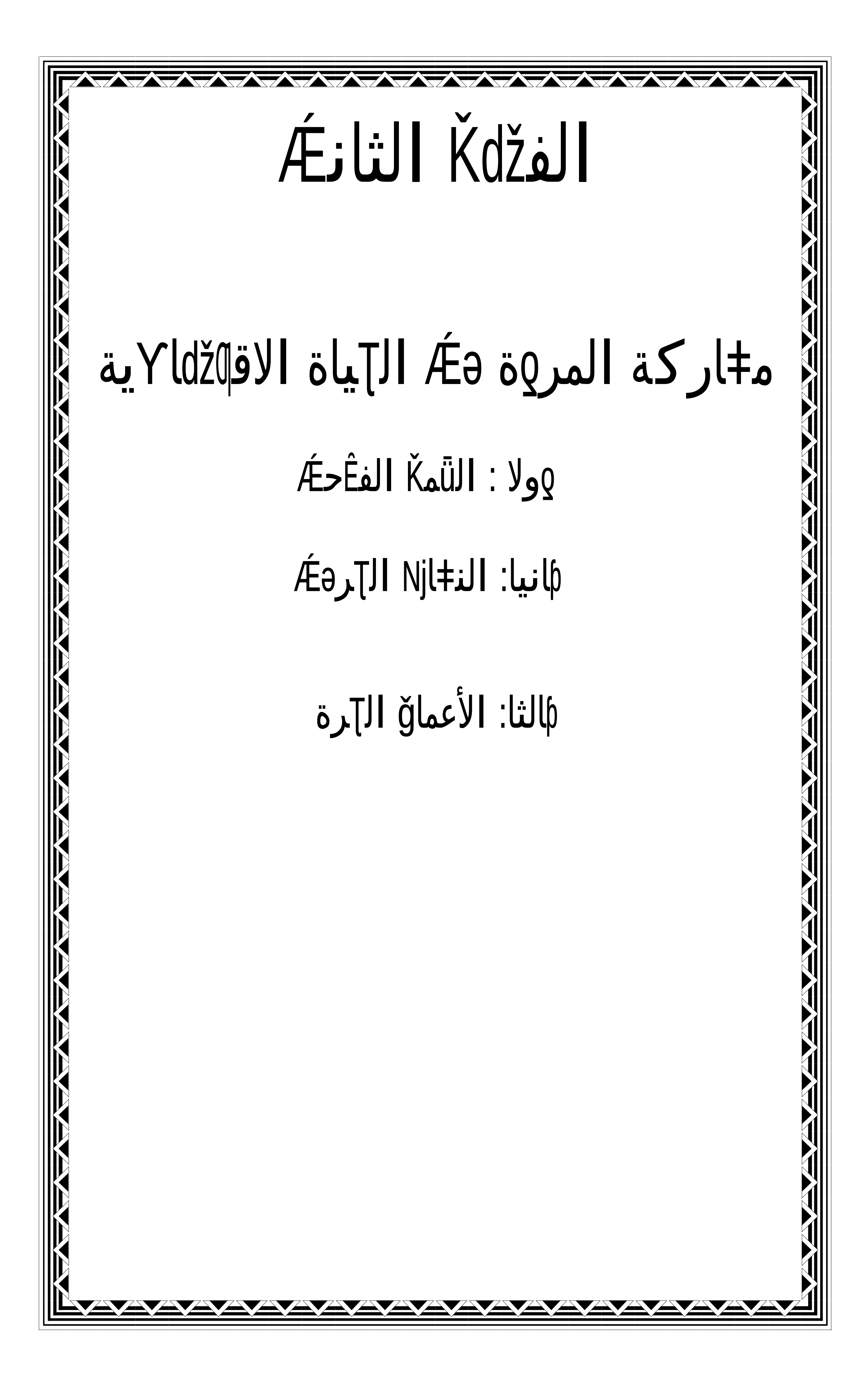
(١) ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار الفكر، ط ١٩٩٣، ص ١٩٨.
(٢) الونشريسي: **المعيار**، ج ٣، ص ١٦٤.
(٣) البرزلي: م،س، ج١، و ٢٣٧ ب .
(٤) نفسه، ج١، و ٢٧١ أ ، ٢٦٨ ب .
(٥) نفسه ، ج١ و ٢٧١ أ ، ٢٦٨ ب .

فقد سئل أحمد الشريف ابن أبي يحي التلمساني (ت ٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩م) عن رجل " خلع زوجته وهي حامل أربعة أشهر يأخذها منها ولا حضانة لها فيها، وكان الذي خالعها منه شقيقها بتقديم تام منها، فلما تمت الذرية الأربعة أشهر تركها أيضا بعد ذلك مع أمها عامين ونصف عام، وكانت قد تزوجت لزوج آخر وكان الزوج والد الذرية يطلب ذريته للمفوض شقيقها بطول المدة المذكورة، ولا كان يطلبها لأمها ولا لغيرها، فهل تجب عليه نفقة الذرية أم لا ؟ لأنه كان يطلبها بالشرط الذي كان له على أخيها، وبعد الخامس والنصف، قامت جدة الذرية تطلب حضانتها فهل لها ذلك أم لا؟ [١]،أجاب أحمد الشريف التلمساني:" إذا كان الأب موسرا زمن النفقة وانفق غير متبرع، وثبتت النفقة بالبينة العادلة وكان القاضي قد فرضها، فلهذا المنفق الرجوع على الأب في ماله بعد أن يحلف يمينا بالله أنه إنما أنفق ليرجع لا على وجه الحسنة" [٢]، وتدل هذه النازلة على أن المرأة بالمغرب الإسلامي حظيت برعاية أوليائها ومحيطها الأسري.

تبين من خلال القراءة المتأنية لكتب النوازل التي اعتمدنا عليها بأن مسائل الزواج والطلاق كانت من المحاور الهامة عند الأسرة والمجتمع في المغرب الإسلامي، كما يبدو أن الفقهاء كانوا يسجلون جميع القضايا المطروحة بين الأزواج في ذلك العصر ويتبعونها بصورة مجهرية من حيث ظروف القضية وملابساتها وأسبابها وحيثياتها ، ويقيدون أحيانا أسماء الشهود الذين شهدوا بالموجبات ،وبين الحكم على هذه الأسباب ، وعمومًا تبقى نتائج الحكم فيها قاسية في حق المرأة ، لأن المجتمع المغربي يعتمد أيضا على الأعراف والتقاليد إلى جانب تطبيق الشريعة الإسلامية .

---

(١) الونشريسي: **المعيار**، ج ٤، ص ٢٢٧.
(٢) نفسه، ج٤، ص ٢٢٨.



الفǎdžǨ الثانǿÆ

ǂماركة المرǫة ǿÆ الǨياة الاقǫdžǚlƳية

ǫولا : الǛǨ الفǊǂǿÆ

ǫانيا: النǂǊƳ الǨǂǿÆ

ǫالثا: الأعماǎ الǨرة

- تمهيد:

يحتل الإنتاج النسوي مكانة هامة في الفنون التقليدية التراثية، وهو دليل مادي على إسهام المرأة في المجال الحرفي كالنسيج وإعداد الألبسة، وتشكيل الفخار، بالإضافة إلى الأعمال الحرة كالتجارة ،والكتابة والخطاطة ... إلخ، هذا إلى جانب مشاركتها الرجل في العمل الفلاحي من زراعة وحصاد، وفيما يأتي سنعرض بعض الأمثلة عن هذه الأعمال المتنوعة التي برزت فيها المرأة خلال الفترة من النصف الثاني من القرن السادس الهجري وحتى القرن التاسع الهجري/ الثاني عشر الميلادي وحتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي.

أولا : العمل الفلاحي :

في هذا المجال الحيوي قامت المرأة المغربية بأعمال تدخل في سياق المشاركة العفوية للرجال في أشغال الحقل، فكانت البدويات تقوم بسقي الماء، وجلب الحطب، وحرث الأرض، واقتلاع الأشجار والمساهمة في بناء الدور، وحصاد الزرع ودرسه وجمعه، وطحنه [١]، ورعي الماشية والدواجن [٢]، تجمع الغلل وتجني الزيتون، وتقطف العنب، وتجمع مختلف المحصولات الزراعية [٣]، وكانت بذلك تساهم في تنمية دخل الأسرة، في حين كانت الحضريات اللواتي تملك الأراضي[٤]،تتخذ وكلاء لنفس الغرض [٥]،وقد يكون الوكيل هو الزوج [٦]، أو الأب أو الابن[٧]، وأحيانا أخرى توكل غرباء عنها[٨]، تستأجرهم للإشراف على كراء أراضها أو مزارعها[٩]، وقد أشار الونشريسي إلى كسب بعض النساء ملكية الأراضي أثناء زواجها عن طريق صداقهن[١٠]، والبعض الآخر عن طريق وراثة أو شراء [١١].

---

(١) ابن الحاج: م،س،ص٨، الونشريسي: م،س،ج٩،ص ١٠٥، الوزان، م، س، ج١، ص ٩٨.
(٢)ابن الحاج : نفسه ، ص ص١٠٦، ١٠٨ .
(٣) الونشريسي: م، س، ج٩، ص ١٠٦
(٤) نفسه ، ج٦، ص ص٧٥، ٧٦.
(٥) نفسه ،ج١، ص ١٣، ابن الزيات: **التشوف** ، ص ص ١٧٠، ٤٤٠.
(٦) نفسه، ج٨، ص ٩٦.
(٧) نفسه ، ج٥، ص ١٠٢، ج٨، ص ١٦٧.
(٨) نفسه، ج٦، ص ص ١٧٥، ١٧٦.
(٩) نفسه ، ج٤، ص ص ٢٣، ٢٤ ، ج٨، ص ٢٨٥.
(١٠) نفسه، ج ٣، ص ص ٢٩١، ٢٩٧ .
(١١) نفسه، ج٥، ص ٢١٣، ج٦، ص ١٣٨، ج٧، ص ٢٩٤، ج٨، ص ١٠٦، ج٩، ص ١٠٥ وما بعدها.

أن مساهمة المرأة في الانتعاش الاقتصادي تبرز بوضوح في البوادي أكثر من المدن، وذلك بحكم طبيعة البادية، التي تقتضي خروج المرأة للعمل في الحقول والمراعي إلى جانب الرجل وبدون إحراج .

ثانيا : النشاط الحرفي :

لقد تناولت المصادر في هذا المجال مساهمة المرأة المغربية في الأعمال الحرفية موضوع الدراسة بإشارات مقتضبة وشحيحة،ومفيدة في الوقت نفسه لكن ما يلفت الانتباه هو:

ـ لما كانت المرأة تقضي جل وقتها داخل البيت، فإن ما تقوم به من عمل منتج يدخل في إطار الاقتصاد العائلي فقط.

ـ أما أعمال الحرف التي كانت النساء تقمن بها،فهي متشابهة سواء بالنسبة للمرأة القابعة في بيتها،أو اللواتي وقفن جنبا إلى جنب مع الرجال في الحقول وفي الأسواق[١]، وشملت هذه الأعمال خاصة الغزل والنسيج والطرز، والمواد الغذائية، والحلفاء.

أ ـ النسيج :

يأتي النسيج في المقام الأول من جملة الأنشطة الحرفية النسائية، وتنسج البدويات بالخصوص الصوف، يزخرفنه حسب الغرض، بالحرير أو بالقطن[٢]، لتأثيث المنازل وتزيينها أو لتحضير ملابسهن وملابس أفراد الأسرة ، وكانت آلة النسج بسيطة توضع في بهو المنزل عادة أو في الغرفة الأكثر إضاءة حتى تمكن من صنع المنسوجات المختلفة[٣].

وتحضر النساء الصوف فيحولنه من جزة إلى خيوط رفيعة وذلك قبل الجلوس لنسجه، وهو أمر لا ينطوي على السّر بالنسبة إليهن، لأن جميع أمهات بلاد المغرب الإسلامي يحرصن على إعداد بناتهن لدور ربة المنزل المارة في وخاصة في النسيج ، وقد عبّر أحد الجغرافيين

---

(١) ابن عبد الرؤوف : **في أدب الحسبة والمحتسب**، تح، ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ ص ص، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٩ .

(٢) لقد أشار ابن عبدون إلى وجود نساء ماهرات في معرفة أنواع القماش حيث كن يبعن القطن والكتّان بعدما يدلّس فيه، حيث يرشنه بالماء، وبذلك يكتسب رطوبة ويثقل، ينظر **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب** ، ص ٥٥.

(٣) أنور محمود عبد الواحد:**معجم مصطلحات الصناعات النسيجية**، ط١،مطبعة الأهرام،١٩٧٥،ص٣٥ .

عن إعجابه بمهارة المرأة في سجلماسة قائلا :" لنسائهم يد صنّاع في غزل الصوف فهنّ يعملن منه كلّ حسن عجيب بديع " [١].

ولم تكن النساء من العامة هي التي أتقنت هذه الصّناعة وحدها بل حتى النساء من الخاصة أيضا، أشارت المصادر التاريخية أن بنات المعتمد بن عباد إبان إقامته الجبرية بأغمات كن يغزلن الصوف للنساء بالأجرة ليصلحن بعض حالهن، ويصف عبد الواحد المراكشي حالهن فيقول:" وبلغ من حال المعتمد بن عبّاد بأغمات أن آثر حظياته وإكرام بناته التجأت إلى أن تستدعي غزلا من النسا تسد بأجرته بعض حالها، وتصلح به ما ظهرهن إختلالها، فأدخل عليها فيما أدخل غزل لبنت عريف شرطة أبيها "[٢].

ونستنتج من هذه الإشارة أن بنات الأمير المعتمد بن عباد عهدن العيش الرغيد، ويبدو أنهن كن يتقن صناعة الغزل - شأنهن شأن جيلهن - إلا أن وضعهن الاجتماعي الراقي منعهن من
ممارسته، ويصف لنا والدهن هذه الحالة في أبيات شعرية متأسفا على وضعهن بعد إقبالهن عليه يوم عيد لتهنئته وهو مأسور قال [٣].

ترى بناتك في الأطمار جائعات يغزلن للنّاس ما يملكن فطهيرا

وقد أشار الوزان إلى وجود مناطق عديدة من بلاد المغرب اشتهرت نساؤها بالصناعة النسيجية، والظاهر أنها أتقنتها وتفننت فيها، ولتوضيح الصورة أكثر نورد ما جاء في حديثه :

" فالنساء بضواحي تادلا ماهرت جدا في خدمة الصوف يصنعن منه البرانس والأكسية الفاخرة فيكسبن هكذا من المال أكثر مما يكسبه الرجال"[٤].

وكان لسكان جبال بني يازغة [٥] عدد كبير من الماشية،صوف أنعامهم شديدة النعومة،تصنع منه نساؤهم الأسر يباع في الأسواق،لقد كانت أغطية اليازغيات في منتهى الجودة،

---

(١) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٣، ص ١٩٢.
(٢) عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص ٢٢٩.
(٣) ابن بسام :**الذخيرة**، ق٢،ج١، ص ٢٧٧ ، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ق٢، ص ١٦٤
(٤) الوزان: م، س، ج١، ص ١٨٣.
(٥) يقع الجبل بإقليم الحوز بالمغرب الأقصى

وحسن الصناعة وكان الإقبال عليها كبير [1].

ونساء مدينة أفزا [2]، ماهرات حدا في خدمة الصوف ، إذ يصنعن منه البرانس والألبسة فيكسبن بذلك من المال أكثر مما يكسبه الرجال ...
أما نساء فكيك [3]. تنسج ثيابهن من الصوف على شكل أغطية السرير، لكنها دقيقة رفيعة يظن أنها حرير، وتباع بثمن مرتفع في فاس وتلمسان [4].

وأضاف الوزان الكلام عن مدينة تونس فذكر أن :" النساء التونسيات يتقن الغزل غاية الإتقان، فيجلسن في مكان مرتفع ورخين المغزل كثيرا إلى أسفل، ويقعدن مثلا في نافذة ويتركن المغزل ينزل إلى ساحة الدار، أو ينزل من ثقب السقف بين طابق وآخر، فيتكون الخيط بواسطة ثقل المغزل ويأتي الانبساط والفتل منتظم الغلط " [5].

كذلك ذكر عن : " نساء مدينة تشّيت [6] ، كنّ يقمن نساء تشّيت بغزل الصوف، في حين تبقى أخريات عاطلات أيديهن في حزامهن " [7].

ولم تكن نساء تلمسان أقل شأنا من غيرها في صناعة النسيج،بل أتقنتها، وكانت ملابسهن ومنسوجاتهن الخفيفة من حرير أو صوف باعتبار وتقدير يفوقان منسوجات غيرها من نساء بلاد المغرب، لا من حيث الأحكام في الصناعة والنسيج فحسب، بل وحتى في جودة النوع والشكل مع الدّقة واللطافة والخفة . فإنك تجد البرنس والكساء الجيد من الحرير لا يتجاوز عندهم الثماني أوراق، أو الأرحام لا يتعدى خمس أوراق ، ويخبرنا " أنهم ذكروا أنهم كانوا

---

(١) الوزان: م، س، ج١، ص ٣٦١.
(٢) تقد مدينة أفزا بإقليم تادلا بالمغرب الأقصى.
(٣) مدينة بإقليم سجلماسة بالمغرب الأقصى .
(٤) الغزل: **عملية تحويل الشعيرات والألياف النسيجية إلى خيوط صالحة للعمليات النسيجية المختلفة**،أنور محمود عبد الواحد:م س، ص١٤٨، الوزان: م، ص، ج٢، ص ١٣٢.
(٥) نفسه ، ج٢، ص ١٣٢.
(٦) مدينة في صحراء ليبيا .
(٧) الوزان: م، س ، ج٢، ص ١١٦.

يختبرون الأكسية والملابس الرقيقة الجيدة بإدخالها وإخراجها من حلقة خاتم "[١].

يتضح من النصوص السابقة أنه كانت للمرأة ببلاد المغرب خبرة واسعة في صناعة النسيج، كما أن إنتاجها لم يبع في الأسواق المحلية وحسب، بل عرف رواجا في الأسواق المجاورة .

وقال ابن عرفة: [٢]" النساء أجمع يغزلن "، مقولة جامعة وشاملة لكل النسوة في بلاد المغرب الإسلامي سواء الحضريات أو البدويات، نستشف منها احتكار المرأة هذا النوع من النشاط الاقتصادي، ولئن كانت الحضريات تقضين وقتا طويلا وراء المنسج لتحسين دخل أسرتها وصل أحيانا إلى الغنى. فالنساء الأخريات ساهمن في انتعاش اقتصاد بلادها وذلك بصنعها المنتوجات، وبيعها مباشرة في الأسواق[٣] .

وذكر أحد الباحثين أن هاته النسوة قد تعودن على التعاون في إنجاز الأعمال الشاق، وخاصة في عمل الغزل وربما استعانت الزوجة بجاراتها أو قريباتها وغيرهن من المتطوعات لندف الصوف، وغزلها وتلوينها ، وتحويلها إلى كريات من الخيوط أو السدى على أن ينتقلن من الغد إلى منزل ثان، وهكذا دواليك [٤]، وهو ما تطلق عليه المصادر، بدولة النساء[٥] أو التويزة [٦]، لإنجاز هذه الأعمال النسيجية ، وهو ما يظهر الحس التآزري بين السكان.

نستنتج أن المرأة في المغرب الإسلامي كان لها باع في هذا المجال بفضل تحليها بالصبر والإتقان في صناعة المنسوجات التي كانت تسترزق بها من أجل تحسين مستوى عائلاتها المعيشية.

---

(١) ابن عرفة: **المختصر الفقهي**، ج٣، و١٦٩.

(٢) نفسه، ج٣، و١٦٩.

(٣) نورد على سبيل المثال نازلة لابن عباد من كتابه " **النوازل الكبرى** " جاء فيها: " وسئلت عن رجل فقير بالبادية تزوج امرأة (...) فصار يخدم الزرع والغرس ونحو ذلك من خدمة الرجال، والمرأة تخدم الصوف ولقط السنبل في الغدادين أيام الصيف، وتلقط الزيتون بالأجرة وشبه ذلك من خدمة النساء حتى اشترى الزوج المذكور أصولا وماشية وحوائج ..."ط حجرية، فاس،١٣٠٩هـ/١٨٩١م ، ج٢، ص ١٧.

(٤) محمد حسن : م، س، ج١، ص ٤٧٧.

(٥) ويقصد به احتكار النساء على صناعة النسيج، ينظر ابن ناجي: **معالم الإيمان** ، ج٤، ص ٢٠٣، ٢٢٦، ابن عرفة ، م، س، ج٤، و ٣ ب .

(٦) التويزة، مساعدة الأشخاص بعضهم البعض خاصة في الأعمال الكبرى كالبناء والحصاد والحرث، وغزل الصوف، وفتل الكسكس وتنظيف البيت (...) والمتكررة باستمرار، وتكون لصالح الفرد، شريطة أن يعامل بالمثل، العقباني، **تحفة الناظر**، ص ٢٦٥ .

ب - الحلفاء :

اشتهرت المرأة المغربية بصناعة الحلفاء لتوفر المادة الأساسية في المغرب الإسلامي،ويعتبر نسيج الحصر الذي يعتمد أساسا على مادة الحلفاء، ففي كلّ بيت تصنع النساء الحصر معقودة من الحلفاء المحلي لتغطية أرضية المنازل وقاعات الصلاة ، وقد اشتهرت نساء بني سنوس بتلمسان[1] بإتقان نسج الحصر ،التي تمتاز برسوم جميلة وأشكال بربرية، وتعبر عن بيئتها المحلية، فعرفت "بحصر بني سنوس "، وهذا نموذج من صناعة الحلفاء على سبيل المثال لا الحصر وربما امتهنت ذلك نساء بني سنوس لنفسها قصد التجارية والاستفادة من عائده .

جـ - المواد الغذائية :

كانت المرأة المنتمية إلى الطبقات المتوسطة والعامة تساهم بالإضافة إلى الأعمال المنزلية، في إنتاج المواد الغذائية كالمخلل[1]. وتحضير الحلويات [2]، لمساعدة زوجها التاجر أو للحصول على مورد رزق،كتصبير الزيتون[2]، والخل، وتقطير الزهر، وتخليع اللحم [4]، بالإضافة إلى الخبز واللبن والجبن[5] .

واختصت البدويات في صناعة الخبز واللبن والجبن بطريقة متباينة إلى حدّ ما، فقد أشار البيدق [6]، إلى إتقان نساء منطقة غمارة في صناعة الجبن الجيد من الألبان، وهو ما كان سائدا في ربوع القرى والبوادي بدون شكّ، فتقوم النساء بصنعه بكمية كبيرة تكفي للاستهلاك السنوي، يدخرنها ، غالبا ما كن يقمن بذلك في فصل الصيف استعدادا لفصل الشتاء[7].

---

(١) ابن رزين التجيبي: **فضالة الخوان في طبيات الطعام والألوان، صورة من فنّ الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين**، تح، محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٦.

(٢) والحقيقة أن قائمة أصناف الحلويات متنوعة وعديد في بلاد المغرب الإسلامي وقد تفننت النساء في صنعها وبالتالي ساعدتها في السمنة والاكتناز - كانت السمنة مقياس للجمال والحسن في تلك الفترة - حتى أن المغازلي خصص حيزًا هامًا لهذا الأمر جاءت تحت عنوان: الأدوية البائية وتسمين النساء، ينظر المغازلي : **تحفة القادم** (في الطب)، م، د، ك، و، بتونس، رقم ١٨٥٠٩، و ٧٥ ب، ٨٤ أ .

(٣) البكري: **المسالك**، ص ٢٦. الوزان: م، س، ج٢، ص٧٧.

(٤) الزجالي: **أمثال العوام في الأندلس** ، تح، محمد بن شريفة، فاس ١٩٧٥، ج١، ص ١٧.

(٥) البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، ، و ١٦٣ ب.

(٦) البيدق: **أخبار ابن تومرت**، ص ٤٠.

(٧) محمد فتحة: **جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب المعريني**، حوليات كلية الآداب ، عين الشق، البيضاء، ١٩٨٤، ص ٥.

كما اشتركت نساء المغرب الإسلامي في صناعة ـ الكسكسي ـ الذي يعد الغذاء الأكثر انتشارًا سواء في البادية أو الحاضرة وهو يحضر بمادة أساسية وهي القمح المتوفر بالكثرة في البلاد[١]، وعلى العموم فإن صناعة المواد الغذائية تتأثر بالفصول التي تختلف من فصل لآخر

د ـ التطريز :

اهتمت المرأة المغربية بالطرز وأتقنته وتفننت فيه لدرجة أن الخليفة الموحدي يعقوب (٥٨٠ ـ ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ ـ ١١٩٨م)، وبسبب تورعه " منع النساء من الطراز الحفيل" [٢].

يبدو أن هذا النوع من الصّنعة كانت جدّ متطورة في العهد الموحدي حيث بلغ :" عدد الأطرزة ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين "[٣].

فنساء المدن أو ما يعرف بالحضريات كنّ أغلبهن تقمن بأشغال يدوية كالتطريز والخياطة وغزل الصّوف وكان الأزواج يقومون ببيعه في الأسواق، في حين أن الحضريات ممن تمتعن بتحرّر نسبي فقد كنّ يبعن ما صنعنه في الأسواق بأنفسهن، قال الوزان[٤] عند حديثه عن سوق " الغزل " بفاس :" (...) ثم السوق الذي يباع فيه خيط الكتان، وتحلج أليافه ، (...) وفي الروايتين الآخرين النساء اللواتي يبعن هذا الخيط، وهو هنا كثير جدا(...) ولا يمكن الخروج منه إلا بجهد لكثرة ما به من نساء يختصمن في غالب الأحيان، ويتحول سبابهن إلى عراك وقذف بأبشع ما يمكن من الشتائم فيضحكن الحاضرين " [٥].

نستنبط مما خلفه لنا الوزان أن هاته النسوة كنّ يقصدن الأسواق بأعداد كبيرة ويقمن جنبا إلى جنب الرجال ويبعن ويشترين خيوط الكتان والقماش، إنهنّ وبدون مبالغة يساهمن في التنمية الاقتصادية لبلادهن .

---

(١) ابن عذاري : **البيان المغرب،** قسم الموحدين، ص ١٧٤.

(٢) ابن ناجي: **معالم الإيمان،** ج٤، ص ص ، ٦، ٤٣، ٦٠، ٧١، ٨٤، ١١٥، ١٨٠، ١٨٦.

(٣) الجزنائي: **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس** ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، ط٢، ١٩٩١، ص ٤٤ .

(٤) الوزان: م، س، ج١، ص ص ٧٥، ١٣١، ١٤٦.

(٥) نفسه، ج١، ص ١٥٠.

ثالثا : الأعمال الحرة :

شاركت المرأة المغربية في الحياة العامة من خلال المهن التي مارستها، وقد كان عمل المرأة فـ-ي عصر الموحدين،محدودا لتشدّد ابن تومرت ورفضه خروج المرأة [١]، ولكنه أصبح مألوفا في العصور اللاحقة (٧، ٨، ٩ هـ / ١٤، ١٥، ١٦م) ومن المعتقد أن اشتراك المرأة في هذا المجال كان بسيطا، وكان النصيب الأوفر للمرأة العامية والمتوسطة،وكانت معظم النساء العاملات من الأرامل والمطلقات[٢]، هذا إلى جانب نساء الطبقات الفقيرة اللاتي لا يستطعن المكوث في المنزل لانتظار الإحسان ، ولذلك كان لزاما عليهن أن يخرجن إلى الطريق ويكشفن وجوههن ليحصلن على الحد الأدنى لمتطلبات الحياة اليومية[٣]، وكانت هذه الأعمال بالطبع تناسب طبيعة المرأة، ولذا فإن معظمها تمثلت في كل ما يحيط بالمظاهر الاجتماعية للمجتمع ومنها:

*** الغسالة :**

وهي نساء تقمن بغسل ثياب لأسر الأثرياء ، وعادة ما تقوم به السوداوات ، ويحدثنا الغبريني [٤] عن إحدى "السوداوات من غسالات الثياب ". أما الغاسلة هي تتعلق بالوفاة، والتي كانت تقوم بغسل الموتى من النساء[٥].

.

*** متقبلة الفندق :**

وهي المرأة التي تستقبل التجار والغرباء في الفندق [٦]، وهي مهنة جديدة على المرأة في المجتمع الأندلسي، وقد نهى المحتسب ابن عبدون عنه فيقول: " لا يكون متقبل فنادق التجار والغرباء امرأة ، فذلك عين الزنى "[٧].

---

(١) البيدق: م، س، ص ٤٥.

(٢) يحي بن خلدون: م، س، ج١، ص ١٠٨.

(٣) وقد أوصى الشيخ أبي العباس السبتي على أن: " تجب الصدقة عن النساء الجميلات الفقيرات مخافة فسادهن ويمنع ذلك عن القبيحات حتى يستغني الملاح" ينظر مجهول: الحلل الموشية، ص ٤٢.

(٤) الغبريني : **عنوان الدراية** ، ص ٢٤١.

(٥) نفسه ، ص ٢٤١.

(٦) (١) ابن حزم: **طوق الحمامة** ، ص ٩٧.

(٧) ابن عبدون: **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب** ، ص ٤٩

* المراقبــة :

وهي من المهن التي ارتبطت إلى حدّ كبير بالجوسسة والاستخبارات والتـي كانـت تقوم بهـا بعض النسـاء[1]،وكـان يوجـد مراقبـات مـن الأجنبيـات مثـل اليهوديـات، وربمـا أن هـؤلاء اختصصـن بالطائفة التي ينتمين إليها.

وكان عمل المراقبات يتمثل في تفتيش النساء عند أبواب المدينـة مـراقبتهن فيدخلن يـديهن إلى لحومهن [2]، حتى لا يهربن البضائع والسلع دون دفع الضرائب[3].

ولما كان مجتمع الغرب الإسلامي لا يقتصر على المسلمات، وكانـت الـذميات مـن مسيحيات ويهوديـات يشـكلن جـزءا مـن هـذا المجتمـع، الأمـر الـذي أوجـب لسـلاطين بنـي زيـان ابتكـار مهنـة المراقبـات [4]، خصوصـا أن الـذميات كـن سـافرات يخـرجن ويشـاركن فـي الحيـاة العامـة بكـل حريـة وأمان .

الماشطــة:

وهي التي اختصت بتحضير العروس يوم زفافها، وذلك بتمشيط شعر العروس، ولقد عمل في تلك المهنة كل من المرأة المسلمة والمرأة الذمية، وكان ابن عرفة ضد عملهن هذا بعد الزواج في حين أن تلميذه البرزلـي كـان يـرى أنـه يجب التّحـرّي إذا كـان هـذا العمـل جـائز أم لا؟ وتفهم مـن وراء تساؤله هذا أنه لم يكن ضد هذا العمل لأنه لاشيء يدعى إلى عدم جوازه [5].

* القـابلـة :

وعلى الرغم من الاعتماد على بعض نساء العائلة ممن لهن خبرة فـي ذلـك الشـأن لمساعدة الزوجة الصغيرة عند الولادة، إلا أنـه وجودها كمهنـة كـان مشـهورا، وذكـر ابـن خلـدون أن "صـناعة التوليد " اقتصر علـى النسـاء، التـي يتمثـل عملهـا فـي اسـتخراج المولـود الآدمـي مـن بطـن أمـه مـن الرفق في إخراجه من رحمها وتهيئة باب ذلك [6].

---

(١) حسـاني مختـار :" الأوضـاع الاجتماعيـة والاقتصـادية فـي الدولـة الزّيانيـة" ، **ماجسـتير** ، معهـد التاريخ ، جامعة الجزائر، ١٩٨٧، ص ٢٠٤.
(٢) ابن مرزوق: **المسند**، ص ٢٨٤.
(٣) فيلالي عبد العزيز: م، س، ج١، ص ٢٦.
(٤) يحـي ابـن خلـدون: م، س، ج٢، ص ٥٧ ، ٧٦. ابـن الأحمـر: **روضـة النسـرين**، ص ٥٦ ابـن خلدون: **العبر**، ج٧، ص ٢٦٠.
(٥) الونشريسي : **المعيار**، ج٣، ص ٢٧٨.
(٦) ابن خلدون: **المقدمه** ، ص ٤١٢.

***الدلالــة :**

وجدت هذه المهنة عند النساء من الطبقة الفقيرة ،لأن النساء الحرائر من الطبقات العليا لا يستطعن الخروج إلى السوق لشراء ما يلزمهن، لأن أزواجهن لا يسمحوا لهن بذلك وقتما يردن، لذلك ترددت الدلالة على البيوت والدور لبيع الأقمشة والملابس الفاخرة، ومستلزمات الزينة والحلي،تجوب الأزقة والشوارع وتدخل البيوت في فينائها لتتمكن النسوة من اقتناء ما تشتهين[1]، وكانت الدلالات يتقاضين أجورًا عن البيع والشّراء[2]،وقد يحدث أن تتعامل الدلالة مع الرجال أيضا حيث ذكر الونشريسي أن " دلالة باعت لرجل شيئا وقبضت بعض ثمنه[3] "

*** المعلمـة :**

عندما توطدت سلطة الموحدين، حرصوا على تعليم المرأة لقواعد دينها، وقد أشار ابن الخطيب أن: " الأديبة حفصة الركونية كانت أستاذة وقتها "[4].وقامت بتعليم النساء في دار المنصور [5]. وأصبحت معلمة رسميًا .

ولم يقتصر تعليم البنات العلم فحسب، وإنما تجاوز تعليمهن تعليم منزلي وصناعي، وبفضله انتشرت بعض المدارس بتونس الحفصية وبقية الحواضر عرفت باسم (دار المعلمة)، وكانت تقع بالمنازل حيث تقوم صاحباتها بدور معلمات، فتتولين تلقين البنات اللائي تترددن عليها نصيبا من القرآن الكريم،والمبادئ الدينية، وتدريبهن على الشؤون المنزلية وعلى أشغال يدوية كالغزل والتطريز والخياطة ، أو صنع الأشرطة والأزرار الحريرية، لذا كانت الأمهات تحرصن على أن تتعلم بناتهن منذ صغرهن صناعة يدوية، وقد لا حظ العبدري في رحلته أن بيت التجاني شهير بالعلم "...قل من نسائهم من لا تقول الشعر " [6].

---

(١) ابن الحاج: **المدخل**،ج٤، ص ص ٣١٢، ٣١٣.
(٢) الونشريسي: م، س، ج ١٢، ص ١٠٦.
(٣) نفسه.
(٤) ينظر ترجمتها في الباب الرابع ، الحياة الثقافية ، ص
(٥) ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج١، ص ٥٠.
(٦) العبدري: **رحلته** ، تح ، محمد الفاسي: الرباط ، ١٩٦٨، ص ٣٦.

كما أخبرنا أحد الباحثين أن راتب " أم مولاي عبد الرحمان" صاحب قسنطينة (٧٣٩ ـ ٧٨٤ هـ/ ١٣٨٢م)كان راتبها في شهرٍ ستّةٌ دنانير نواصر، ثم ردّ راتبها من جزية اليهود(١)، رغم أنه لم يحدد نوعية المهنة التي خصت بها، ولكن يبدو ـ حسب مكانتها الاجتماعية ـ أنها كانت متعلمة، وكانت تقوم بتعليم نساء القصر في أمور تخصهن. أمّا نساء تشّيت (٢) ،كن يقمن بدور معلمات المدارس للبنين والبنات(٣).

*** التاجـرة :**

اهتمت بعض النساء بالنشاط التجاري، فشاركن في البيع والشراء إلى جانب الرّجل، حيث قمن بصناعة عدّة مواد وخصوصا صناعة الغزل الذي بعنه في سوق الغزل الذي يعرف بسوق النساء (٤)، كما باعت مواد أخرى كالخبز الذي تصنعه في منزلها(٥). إلى جانب صناعة الأشربة والحلويات والمعاجين السكرية (٦) واللبن (٧)... وقد أشار البيدق أن ابن تومرت الموحدي قد شاهد بعض النسوة يبعن اللّبن في سوق قرية صاء عند مروره بتلمسان (٨).

كما شاركت البدويات في مهنة الرعي أو بيع المواشي ونستشف ذلك عن البيدق فيقول: "سمع المعصوم بالجشر (٩) اللهو وصواخ الرجال والنساء، فقال: قوموا غيروا هذا المنكر" ويبدو أن

---

(1) Brunshvig (R): Opcit, T1, pp 160, 372.

(٢) مدينة صغيرة في صحراء ليبيا ، ياقوت الحموي: م، س، ص ٢٦٣.

(٣) IBID, p201.

(٤) العقباني، **تحفة الناظر** ، ص ٢٦٣.

(٥) ابن الزيات: **التشوف**، ص ص ١٨١، ٣٠٣.

(٦) ابن رزين التجيبي: م، س، ص ٣٧.

(٧) اشتهرت المرأة المغربية بصناعة اللبن واستخراج الزبدة، بعد أن تملأ القربة بالحليب الخالص وتعلقه في الحمارّة، وهي ثلاثة أعواد قائمة وبينها القربة بهذا الشكل وتظل تمخض فيها مخضا عنيفا إلى أن يتجمع الزبد ويبقى اللبن الحامض، وهناك من تمخض في الزير الفخار وزبدة أنظف، كذلك الجبن بكل حواضر المغرب الإسلامي وأحوازها لكثرة الماعز وهو أحسن نوع من الجبن .

(٨) البيدق: **أخبار المهدي**، ص ٤٠

(٩) هو المكان الذي يقيم فيه الناس لرعي ماشيتهم ويعرف كذلك بالدشر، ينظر البيدق : م، س، ص،٤٢.

وجود المرأة في هذا المجشر لمصلحة خاصة بها، وإلا فما معنى في وجودها في هذا المكان، وهو خاص بالرجال؟ ! ...[١].

ومن خلال كتب الرحالة يتضح أن بعضهن كن يبعن إنتاجهن بأنفسهن في أسواق الغزل، قال الوزان عند حديثه عن هذه عن سوق فاس : " (..) ثم السوق الذي يباع فيه خيط الكتان، وتحلج أليافه، وفي الرواقين الآخرين النساء اللواتي يبعن هذا الخيط، وهو هنا كثير جدا (....) ولا يمكن الخروج منه إلا بجهد لكثرة ما به من نساء يختصمن في غالب الأحيان، ويحول سبابهن إلى عراك وقذف بأبشع ما يمكن من الشتائم فيضحكن الحاضرين"[٢] .

وقال مرمول عن ذلك كذلك:" (...) ويقام فيها يوميا سوق يستمر من الزوال إلى الساعة الثانية، يزدحم فيه جمهور من النساء اللائي يأتين لبيع وشراء القماش حتى لا يستطيع المرء يدور فيها، وغالبا ما يتضاربن ، وينتف بعضهن شعور البعض "[٣].

نستنبط مما خلفه لنا الوزان ومارمول أن نساء هذا الصنف كن يقصدن الأسواق بأعداد كبيرة ويقفن جنبا إلى جنب الرجال ويبعن ويشترين خيوط الكتان والقماش، إنّهنّ وبدون شك كنّ يساهمن بطريقة مباشرة في التنمية الاقتصادية للبلاد، مساهمة لا تقل عن مساهمة الرجال الذين كانوا يتاجرون في هذا النوع من المنتوج .

*** المعاملات المالية:**

من خلال كتب النوازل يتبين لنا أن الفقه المالكي راعى حق المرأة في مالها اكتسابا وتداولا، ولم يجر الإعتداء على أموالها، وأتاح لها حق التصرف الراشد فيه بيعا وشراء وكراء وشركة، كما كانت تملك آلات العمل كأرحاء وأفران وحمامات، ومعاصر ومناسج [٤]وحوانيت البز[٥] وحلي[٦].

---

(١) البيدق : م،س، ص ٤٢.
(٢) الوزان: **وصف أفريقيا،** ج٢، ص ١٥٢.
(٣) مرمول: **إفريقيا،** ج٢، ص ١٥٢.
(٤) الونشريسي: م، س، ج٨، ص ١٧٩، ج٥، ص ٢٢٢، ج٩،ص ٤٠٨، وما بعدها.
(٥) الونشريسي: م، س، ج٥، ص ص ١٢٥، ١٢٦.
(٦) نفسه، ج ٩، ص ٧٨.

وقد أورد الونشريسي بعض نماذج من هذه المعاملات ومنها: عرضت على الشيخ قاسم العقباني[١] نازلة في امرأة تزوجت رجلا وانتقلت معه إلى بلد آخر، فجاءها رجل من أهل بلدها الأول، فاحتال عليها لتبيعه جنة لها بموضع بلدها الأول، وقد تحقق له ذلك إذ باعتها له بأربعة عشر ذهبا مع أن قيمتها تبلغ ثلاثين ذهبا، وتشير النازلة إلى أن المرأة المذكورة تتصف بصفات تدل على جهلها بمثل تلك المعاملات، فهي "لا عرفت ما باعت ولا معرفة لها بالبيع والشراء ، وباعت ذلك بيع سفه "[٢]، فهل يجوز لها القيام من أجل ردّ جنتها، وهل تمكن من ذلك وتساعد عليها ؟.

فأجاب الفقيه مفرقا بين الحالات المحتملة للمرأة، فإن كانت مهملة ومضى على دخولها عام فأكثر، فإن أفعالها تعد ماضية ولا يحق لها نقض البين لأن تلك المدة، مع الصفة التي هي عليها تتيحان لها أن تتحول إلى حالة الرشد، أما إذا لم يمض لها إلا أقل من ذلك، كان لها الرجوع بالغبن، وفي حالة ما إذا كانت موصى عليها، فإن فعلها لا ينفذ، ويرد جميع ما أقدمت عليه إلا أن يكون ذلك بإذن الناظر لها ويثبت خروجها من الحجر[٣].

وهذا يدل على أن الأصل هو نفاذ أعمال المرأة بأموالها، وأن الاستثناء هو الرد وعدم الإمضاء بسبب ما يكتنف حالتها من قصور نظر وانخداع بحيل محتال، فيكون الفقيه إلى جانبها يقوي مطلبها في ردّ ما أقدمت عليه من أعمال ملحقة للضرر بأحوالها المالية .

وما يدل على نفاذ أعمال المرأة هو الأصل ما أجاب به أبو القاسم ، ففي نازلة عرضت على الفقيه " يحي"، يكتشف الدارس أن من المعاملات التي كانت تقوم بها المرأة في الغرب الإسلامي أنها كانت تشتري الرماد من أجل أن تضع فيه غزلها الذي غزلت، وهو الأعمال التي كانت تقوم بها العديد من النساء في بيوتهن، وذلك من أجل أن يبيض ويصير جيدا، لكن ما يلاحظ في هذه النازلة أن المرأة اكتشفت أن الرماد ليس جيدا، إذ لم يبيض الغزل الذي وضعته

---

(١) هو قاضي جماعة بتلمسان في عصر بني مرين، (ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)، ينظر، عبد الشكور نبيلة: **القضاء والقضاة في عهد دولة بني زيان** ، ص ١٥٤.

(٢) الونشريسي : م، س، ج٥، ص ٩٩.

(٣) نفسه، ج٥، ص ٩٩.

فيه ، وعندما عرضت هذه النازلة على الفقيه " يحي" أفتى بقوله :" إن بقي عند البائع من الرماد شيء اختبر، وإن لم يوجد عنده من شيء حلف أنه ما باع إلا جيدا، وبرئ إلا أن تقيم المرأة بينة أنها بيضت غزلها في الرماد الذي اشترته من هذا البائع" [1].

فهذه النازلة تكشف عن أن المرأة تباشر معاملة البيع والشراء بكل مسؤولية، وعندما أدركت بأن خللا قد وقع من جهة البائع، إذ قبض ثمن رماد جيد، لكن تبين أنه رديء لا يؤدي وظيفته، فقد حق لها أن تقوم مطالبة بالإنصاف ، وقد مكنها الفقيه من ذلك شريطة أن تدلي بالبينة .

وفي الأخير نستخلص على خروج المرأة إلى عمل في غير مجال بيتها أمر تحدده الضرورة المحضة والخلق القويم، وقد برهنت ذلك المرأة المغربية، فأحسنت النساء المنتميات إلى الطبقة الغنية في التصرف بأموالها كالرجال سواء بسواء، وشاركت في البيع والشراء بطريقة مباشرة تارة وعن طريق وكلائها تارة أخرى، ونجحت في التجارة، وعقدت صفقات، وأجرت البيوت والحوانيت والأراضي، كما زاولت النساء البدويات أعمال الزراعة كالغرس والبذر والفلاحة والحصاد بالإضافة إلى الغزل والحياكة ... ،أما الحضريات فقد اشتغلن عند الضرورة القصوى في الأعمال الحرة كما أسلفنا في حدود ما يليق بها من أعمال.

إن عمل المرأة في فترة دراستنا لم يكن هدفًا في ذاته بل كان وسيلة للكسب من أجل تحقيق العيش الكريم لشخصها وأسرتها، ومن أجل المحافظة على العرض والكرامة وتنظيم الحياة اليومية ،سدّ الحاجات وتحقيق متطلبات الحياة.

وإذا كان هذا حال المرأة الأمية ، فكيف هو حالها عندما تتعلم؟ خصوصا،وأن العلم يجعلها تتحلى بالفضائل ويمكنها من كسب عيشها والاعتماد على نفسها إذا أبلت بيوم أسود أو أصيبت بفقر أو فقد زوج أو أب، إنه افتخار للمرأة القادرة على العمل أن تكسب العيش والرزق بوسيلة شريفة بل وتصبح معلمة وعالمة وطبيبة وفقيهة في أمور دينها ودنياها بل وتعلو إلى أسمى درجات العلم والمعرفة، وهذا ما سندركه في الفصل اللاحق .

---

(١) الونشريسي: م س، ج٦، ص ٤٢٧.



الفǨǎǐ الثالث

الǞǣYǍ والمǞǬقداƪ

ǫولا : الǞǣYǍ المرتبǘǖة باǪǬǏروǑ

ا ـ زيارة ǫǓǂرحة الأولياء الǐǐǂǀلحين

ب ـ الذǣǴ ǞǴǂ إǛ الإمام

ج ـ المǪǂǞǬǣǡ ǞǌǄǂǂǃǘ والأسطوريـــة

ǭانيا : الǞǣYǍ المرتبǘǖة بفن الǘǖǟǂ

ا ـ الأكǁǞǄ الǚǙǂǜ اǚǙǂǝ ǗǚǙǂǞ ǗǘǖǌǂǞ عǂǐ الموحدين

ب ـ الأكǁǞǄ الǚǙǂǜ اǚǙǂǝ ǗǚǙǂǞ بǞǂد عǂǐ الموحدين

ǭالثا: المǞǬقــداƪ

ا ـ الاعǚǙǂقاY ǖǍ القوǋ الǃǂفيـــة

ب ـ السǂǂǃ والǂǂǁوǃƧ

ج ـ الǞǣǘǖير والفأǦ

تمهيـد:

واستكمالا للصورة التي كانت عليها المرأة في مجتمع المغرب الإسلامي خلال فترة دراستنا، لابد لنا من إلقاء نظرة عاجلة على العادات والمعتقدات التي كانت سائدة عند النساء،غير أن المصادر التي بين أيدينا لا تسعفنا في ذلك لندرة المعلومات وشحة الأخبار، الشيء الذي يجعلنا نؤثر الاختصار للكشف عن جوانب هذا الموضوع ،نذكر من بينها على سبيل المثال:

أولا ـ العادات المرتبطة بالخروج .

لقد سبق وأن قلنا مادامت المرأة حريمًا، فإن خروجها من البيت دون سبب شرعي اعتبر تبرجًا. وقد أشار ابن الحاج إلى أن أبا الحسن الصغير " لما وليَ القضاء بفاس، وكان نساء البلد يخرجن بكثرة، فجعل أعوانًا في كل شارع لمنعهن من الخروج، وذاق مفسدة الأعوان لمباشرتهن فجعل محابس من مغرا (؟) في كل شارع يلطخون بها أكسية من جاز من النساء فانتهين عن ذلك"[(١)] .

وقد كان خروجها من البيت يتخذ عادة وجهة واحدة، زيارة المقابر هي حوانيت بائعي العطور وطيب الروائح [(٢)] . أما الأمور التي يرفضها بعض الفقهاء من النساء أثناء مبارحتهن لمنازلهن فهي" جلوسهن إلى الصنّاع يصطنعن عندهم شيئًا من المصنوعات والإطالة بالوقوف على حوانيت البياعين "[(٣)] ، وأضرحة الأولياء الصالحين، والذهاب إلى الحمام، والتفسح في المتنزهات والأودية...!

١ ـ **زيارة أضرحة الأولياء الصالحين :**

إن زيارة الأضرحة كان شائعًا في مجتمع المغرب الإسلامي[(٤)] تقوم به النسوة على اختلاف

---

(١) ابن الحاج : **المدخل**، ج١، ص ٢٤١.

(٢) نفسه، ج١، ص ٢٤١.

(٣) الحضرمي: **السلسل العذب والمنهل الأحلى**، نشره محمد الفاسي، ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ١٠، ج١ ، ص ص ٣٧ ، ٩٩.

(٤) عرفها ابن مرزوق ـ بالمراقد المقدسة ـ ، **المسند الصحيح**، ص ١٦٣.

طبقاتها الاجتماعية [١] ،التي تعتقد في مقدرة الولي الصالح على تحقيق الرغبات والحاجات وقد يلجأ خدام الولي الصالح أو الموالين له إلى دعوة النّسوة بإطلاق المثل ـ زوروا تنوروا ـ [٢] ، ويتضح من خلال هذا المثل أن الولي خيّر يمكنه أن يساعد المريضة أو التي لديها مشاكل، مما يضفي على الأولياء الصالحين صفة القداسة والتقدير. فكانت الزيارة تقوم أساسًا على التبرك بالضريح للاعتقاد في قدراته الخارقة في حّل المشاكل والعراقيل والمظالم، وتقوم كذلك على المزار ـ الوعدة والحضرة ـ .

وكان أهل المغرب من العامة والخاصة [٣] ،لا يمر أحدهم على هذه الأضرحة[٤] ، إلا زارها أو ألقى التحية على صاحب القبر، وقرأ ما تيسر من القرآن أو التسبيح أو مسح بالقبر.

---

(١) وفي هذا الشأن ذكر الجراري في **القصيدة** ،ط ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ،ص ٢٤٧ ، ما يلي :

قالـت أسيـدي هـذا جا يحـارب العـاري ونا يالقاضي ما جبيت أخبار
غير أجبرني في باب دارنا يوم خرجت انزور وارمقنـــي بالنظـــر

(٢) مثل شفوي في كل حواضر المغرب الإسلامي.

(٣) أفادنا ابن مرزوق:" أن السلطان أبي الحسن المريني كان كثير الزيارة لمراقد الصلحاء كأبي مدين والشيخ الداودي "، ينظر ، م،س، ص ١٦٣ .

(٤)نذكر على سبيل المثال لا الحصر أشهر أضرحة بلاد المغرب الإسلامي منها:

أ ـ في مدينة تونس نذكر ضريح سيدي علي أبي يوسف الدهماني (ت ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م) المتصوف الجليل صاحب الكرامات العظيمة، ذاع صيته في المهدية والقيروان وتونس، ينظر: **الأسرار الجليّة في المناقب الدّهمانية**، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم ١٧٩٤٤ .

ب ـ في مدينة تلسمان، اشتهر ضريح سيدي بومدين وهو الشيخ شعيب بن الحسين الأندلس متصوف وصاحب قطب ملأت كراماته الآفاق وذاع صيته العلمي وصفه صاحب **نيل الابتهاج** " بشيخ المشايخ سيدي أبو مدين سيد العارفين وقدوتهم"، ينظر أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج** ، ج١، ص ١٣٥.

جـ ـ وفي مدنية فاس اشتهر مزار القطب الموالي سيدي إدريس، قال عنه الحسن بوعشرين :" لقد كان لأهل فاس ولجميع أهل المغرب اعتقاد كبير في جانب مولانا إدريس بن إدريس، ومحبة تامة لا يبلغها عندهم أحد من الأولياء والدعاء عند ضريحه المقدس مستجاب، والناس يقصدونه من شائع الأقطار، ويزدحمون على زياراته، والتضرع بين يديه بالليل والنهار والعشايا والأسحار.." ينظر **التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب** (السفر الأول) ، ط ١٤٨٥ هـ/ ١٩٩٤م، ص١١٧.

كانت زيارة النساء للأولياء الصالحين والتبرك بهم، والتوسل والتقرب بهم إلى الله عزّ وجلّ، عملاً مستمرًا سواء في الأيام العادية أو في المناسبات الدينية، وقد أعلمنا الكتاني ،:" أن من أعظم نعم الله علينا ، وأكبر آياته ليدينا وجود الأولياء الصالحين وظهورهم وظهور أضرحتهم، وفي ذلك من المنافع والفوائد ما لا يدخل تحت خصر، فمن الفوائد في ذلك وجود البركة في الأرض وكثرة النفع وإدرار الرّزق، إذ لولاهم ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها ولا صبّ البلاء على أهل الأرض صبًّا... [١] "

ترى هل اكتشفت النساء سرّ ذهابهن إلى الأضرحة ؟ وهل كنّ يجدن في ذلك متنفّسًا للضغط الممارس عليهنّ داخل بيوتهنّ ؟ أو ردّ فعل للتحجّب التي كنّ يعانين منها ؟ .

وحتى نجيب عن تساؤلاتنا قمنا بزيارة أحد أضرحة المغرب الأوسط وهو الولية لالة مغنية بتلمسان ضريح.. وتتميّز الزّيارة بطابع مثير عند بعض النّساء: حيث تأتي المرأة إلى ضريح الولي أو الولية مهزومة، ومحطمة المعنويات، وتتقدم نحو المزار بخشوع ثم تضع يدها على القبر أو كسوته، وتتمسح بأهدابها، وتأخذ في شرح مشكلاتها والكشف عن ذائقاتها، شاكية متضرعة سائلة الولي أن يأخذ بيدها ويساعدها على تحقيق مرادها وأحيانا يأخذ الأسى بها مآخذة فتلطم خدّها وتفقد وعيها ـ أو تتظاهر بفقدانه ـ وترتمي على الأرض وتقوم بحركات هستيرية مثيرة للشفقة، وتأخذ في الصراخ والعويل والبكاء، فمنهن من تمسك بيدها، ومنهن من تمسح لها دموعها، ومنهن من تعيد وضع منديلها على رأسها [٢] .

ويستمر المشهد إلى أن تخار قواها، ويعود لها وعيها وتنهض ببطء، وتلتحق بباقي الزائرات اللواتي يفسحن لها الطريق، وتأخذ مكانًا بينهنّ، وتحاول كلّ منهنّ أن تعرف أكثر عن مشكلاتها، فتحكي لهنّ الأحداث بتفاصيلها مدرفة الدموع أحيانًا وشاكية إلى الله والي أو الولية وداعية على غريمها أو غريمتها تارة أخرى، وتقدم لها الزائرات حلولاً كثيرة لا ترفض أيًّا منها،وأن كانت زيارة بعض المشعوذات أو الراقيين، على أن تختار فيما بعد ـ وبدون شك ـ ما تراه الأنجع .

---

(١) الكتاني:**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**،ط،حجرية،١٣١٦هـ/، ج١، ص٢٤.

(٢) مشاهد عاينتها في بعض الأضرحة، سواء بتونس أو الجزائر أو المغرب الأقصى، أظنّ أن وضع المرأة المغاربية ـ الأمية والمتعلمة ـ لا يختلف كثير عن وضعية مثيلتها في فترات سابقة

ولا تقدم الزائرة الهدية للولي أو الولية إلا إذا تحقق مرادها، فمنهنّ من تأتي بالذبيحة وتهيئ الطعام وتقدمه للزوار ـ الصّدقة ـ ومنهن من تقدم هدايا ونقودًا [١].

ويعتبر الضريح بذلك تجمعا تلقائيا للنساء يمكنهن التعبير فيه عن شعورهن بالسخط بكل حرية، ويسمح لهن بالصراخ العالي، والبكاء، وتشعرن فيه بالطمأنينة والحماية والتعاطف، فالطمأنينة عندما تدخل السكينة عندما تقاسم الأخران من طرف الزائرات.

هكذا، كان حال وسلوك النساء عند زيارتهن لأضرحة الأولياء، ويبق السؤال ... كيف كانت ممارستهن في تعظيم الأولياء الأحياء ؟

وهنا وجدنا الإجابة شافية لتوضيح هذا النوع من الطقوس والممارسات من خلال مخطوط ـ مناقب الولية عائشة منوبية ـ ولقد اعتمدنا عليه كمثال لا كحصر.

وقد حددنا ثلاث مجموعات من الممارسات والطقوس على قاعدة وظيفة كل منها، حيث هناك مجموعة طقوس الدخول في طريقة الشيخة الولية منوبية والمتمثلة في (معاهدة، مصافحة، مبايعة، لبس الخرقة والطاقية).

ومجموعة ثانية ذات الوظيفة المسارية (initiatique) والمتمثلة في (تفل في الفم، سقاية ورضاعة) ومجموعة ثالثة ذات الوظيفة الشفائية والمتمثلة في (تفل ، رقية ومسح) .

أ ـ بعض طقوس وممارسات الدخول في طريقة الشيخة منوبية:

ـ **المعاهدة:**[٢] وفحوها تتمثل في:

- ـ دخول المقام.
- ـ الصلاة ـ ركعتين الأولى بالفاتحة .
- ـ استقبال القبلة.
- ـ نطق بالتعهد.
- ـ يعاهد الولي بواسطة مد اليد إليه.

---

(١) المجهول:**مناقب السيدة عائشة المنوبية** ، و ٣، ٧، ٩ .

(٢) نفســه ، و٩، ١٠ .

ـ المصافحة: [١]

ـ الأخذ باليد والتصافح مثلها (السيدة).

ب ـ بعض الممارسات السارية (Initiatiques) وتتمثل في :

* التفل في الفم [٢]

لقد وقفنا على حالتين من التفل في الفم، فقد ورد في مناقب السيدة المنوبية الحالة الأولى في النّوم "... فرآها في المنّوم فبصقت فيه فرزقه الله تعالى العلم من غير قراءة وفتح الله عليه بعلم الظاهر والباطن "[٣] .

والحالة الثانية في الصّحو " ... ثم قالت له افتح فاك فتفلت فيه تفلة فالله من حينه مزّق ثيابه وخرج هائمًا في البراري والقفار..."، قال فخرجت هائمًا بمكاشفتها " [٤] .

* السقاية :

أمّا عن حالات السقاية المنسوبة غليها فجميعها ذات بعد مساري نستعرضها بإيجاز:

ـ " ومن قولها ضمن مفاخراتها : " (...) أتاني ميكائيل والخضر وفي أيديهما بوقال مملوء من الجنة وقالا لي اشربي يا عائشة يا منوبية، فشربت في تلك الشربة العلم والحلم واليقين والخشوع والتواضع والبركة والحنانة والعفة والصيانة "[٥] وفي موضع آخر:....رأيت رسول الله وسقاني بيده " [٦] .

وقالت يا عثمان [٧] حل فاك فحللت فمي فسقتني بوقالا بالماء فشربت فمن تلك الشربة كملت السر والولاية "[٨]

---

(١) مجهول : **مناقب عائشة**: و ٣.

(٢) نفسه، و ١٤.

(٣) نفســه ، و٥.

(٤) نفسه، و٥.

(٥) نفســه ، و٦.

(٦) ن، م، و٨.

(٧) هو عثمان حداد أحد أبرز تلاميذها التي تخصّه مناقبها بالذكر عديد المرات وهو المكنى ـ بوقبرين ـ ينظر مجهول : م،س ، و٦ . (لم نقف له على ترجمة)

(٨) نفسـه ، و ١٦، و١٧.

ـ وجاء في مناقبها كذلك :" ... كان في يدها بوقال من ماء فسقتني منه ففتح الله عليّ بعلم الظاهر والباطن هذا من بركتها " [١].

ـ وكذلك ...(...) " وإذا بها أخرجت من تحت ردائها لوزا سقته [٢].منه وإذا به غائب على حسّه وانهدر منه ومن فيه ماء أبيض كرغوة الصابون وشق السبخة كلها وكأنه سهم" [٣].

جـ ـ بعض الممارسات الشفائية ومنها:

* التفل :

ينسب التفل إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم حيث أوصى أصحابه بالتفل والتعوذ دفعًا لمضرة رؤيا، واضعًا بذلك نسقًا محددا في القيام بهذه الممارسة [٤].لقد وقفنا في " مناقب عائشة " على حالة استعملت السيدة عائشة التفل لشفاء أحد المصابين في رجله:" ثم تفلت على رجلي فالله منذ تفلت عليها قد ذهب عني ما كنت أجده من الوجع ثم قالت قبل الله زياركم وقضى حاجتكم "[٥].

والملفت هنا، أن شفاء المريض وقع تأويله من طرف الولية بأنه علامة رضا الله وقبوله لزيارة المريض، وأنه هو [أي الله] الذي قضى له حاجته أما الولية هنا فلم تكن سوى الواسطة.

ولسن ندري إلى أي مدى صحة هذه الطرق الشفائية، علما أن هذا النوع من التداوي لا زال مستمرا إلى يومنا هذا .

---

(١) مجهول : **مناقب عائشة** ، و ٢٥.

(٢) هو سعدون الأسمر أحد أصحاب الشاذلي ، نفسه، و ٢٥.

(٣) نفسه ، و٣١.

(٤) نفسه ، و ٣٢.

(٥) نفسه، و٣٢.

* الكرامات المنسوبة إلى عائشة المنوبية :
بالإمكان تبويب هذه الكرامات حسب التصنيف الذي اعتمدناه على النحو التالي :

نـــوع الكرامـــة	عددها	المصـــــدر
إنزال الغيث وإخصاب الزرع	١	مناقب عائشة: و١٦
فك الأسـر.	١	و ١٧
إغـــاثة المسـافرين	٢	و ٢٠ ، ٢٤
الإبـــــراء	٣	و ٦٥، ٧٠، ٣٠
تأمين من لجأ إليها على حياته	٢	و ٣، ١١ ، ١٧
إعــادة الذاكرة	٢	و ٥، ١١.
المجمــــــوع	١١	

ومن أشهر صالحات واليات،اللواتي حظين بتقدير كبير وظلت مزاراتهن ـ إلى يومنا هذا ـ مقصد جمهور غفير خاصة من النساء، نذكر منهنّ على سبيل المثال: [١].

ـ عائشة المنوبية مزارها (قبرها مشهور، يستشفى الناس بترابه) [٢].
ـ أم يحي مريم المرابطة .
ـ لالة سبتي يوجد ضريحها على قمة جبل

(١) لقد ذكرنا مجموعة من المتصوفات والواليات في مبحث خاص بهن في الباب الرابع ، ينظر ص...
(٢) تتم الزيارة بممارسة بعض الطقوس مثلاً : على الزائرة أن تقدم "الفتوح" ثمن الزيارة ، ثم تدخل إلى مكان تجلس فيه النساء على اختلاف أعمارهن حول ضريح "لالة منوبية" وبه إناء مملوء بزيت زيتون، وعليها تلمس بيدها الزيت ثم تمسح جبينها وشعر رأسها .ثم تشعل شمع، وبعدها تدخل إلى غرفة مجاورة خاصة بالحناء، فتغرف الحناء في إناء ثم تكتب اسمها واسم من ترغب في الزواج منه على حائط خصص لذلك ، وهذا ما قمنا به عند زيارتنا لضريح الولية.

أصبحت زيارة ضريحها ـ في عرف زوارها ـ تساعد على الزواج لم تجد زوجا بعد، وتفرض الزيارة على الفتاة العانس بالتحديد خشوعًا وتضرعًا لأهل المكان ونية صادقة .

ـ لالة مغنية : ولية صالحة بضواحي مدينة تلمسان.

تقصد الفتيات العوانس ضريحها لتيسير تزويجهن أو النساء اللواتي لا تلدن (العاقر) [١].

لالة درقانة : ولية صالحة بضواحي مدينة الجزائر قبرها مشهور، يستشفى الناس بالعين الموجودة قرب قبرها [٢].

لالة منية بمراكش (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) ولية صالحة ضريحها في الجانب الشرقي من مراكش ـ خارج باب الدباغين ـ تقصد الفتيات العوانس ضريحها لتيسير تزويجهن [٣].

استخلصنا من هذه الإطلالة الخاطفة مجموعة من الاستنتاجات منها:

ــ شغوف أغلب سكان المغرب الإسلامي بزيارة أضرحة الأولياء والصلحاء سواء كانوا من الخاصة أو العامة، وسواء كانوا رجالا أو نساء، صغارا أو كبارا.

ـ إن زيارة النساء أو بعض الرّجال لأضرحة الأولياء تكشف عن ضعف الإيمان، فبممارستهم السيئة سواء أثناء الزيارة العادية أو خلال الاحتفالات بمواسم الأولياء والصلحاء ، كانوا بعيدين كل البعد عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وشعائره . وأجزم بعض الفقهاء أن حضور النساء والشبان ومن لا يخاف الباري تعالى كان يتسبب في عدد من المناكر والأمور الشنيعة.

ــ طلب الحاجة من الأولياء الأحياء أو الأموات، ضربا من ضروب التخلف وقلّة الإيمان والأميّة خاصة عند النساء،إن الدافع الأساسي لزيارة المرأة للولي الصالح، تمثل في بحثها عن الحماية والقوة والأمان، تبقى إذن زيارتها لأضرحة الأولياء والصلحاء اختيارا أساسيا للتعبير عن سخطها بدون قيود، وسبيلا لتحقيق ذاتها في إطار مقتصر على النساء ، والبحث عن الأمان والسعادة .

---

(١) تتم نفس الطقوس التي تقام عند ضريح " لالة سيتي" .

(٢) تتم بالزيارة كالتالي: على الفتاة أن تستحم داخل الحوض المتواجد هناك تمشط شعرها، ثم تصب الماء على كامل جسدها، ثم ترمي بأحد ملابسها الداخلية ـ حسب المعتقد الشعبي ـ التابعة وبعدها تدفع ـ الفتوح " الزيارة " وتشعل شمعة داخل غرفة الضريح الولية.

(٣) ابن الزيات : **التشوف**، ص .٣١٢

٢ ـ الذهاب إلى الحمام :

حرصت المرأة عموما على الاعتناء بمظهرها وجمالها، ولتحقيق ذلك، واظبت على الذهاب على حمامات خاصة بها[(١)]، لتنظيف بدنها، وصار الاغتسال في الحمامات تقليدا محببا في مجتمع بلاد المغرب والأندلس، وأشار الوزان أن " النسوة من مختلف الأعمار، لا تتأخرن عن الذهاب إليه في مناسبات عديدة، وقت الزواج والولادة، وقبيل الأعياد الدينية، وكانت بعض الحمامات خاصة بهن، غير أن الكثير منها بحواضر المغرب والأندلس تستعمل للرجال والنساء، وقد ذكر ابن عبدون أنه " كان في قرطبة حمامات خاصة بالرجال وأخرى للنساء، وإن كان المألوف أن يستعمل الجنسان نفس الحمامات في أوقات مختلفة كالرجال صباحا والنساء بعد الظهر، أو للرجال أيام وأخرى غير للنساء " . وفي هذه الحالة أوصى ابن عبدون بأنه: " لا يجلس متقبل الحمام للنساء فإنه موضع حساس ".

كذلك شدّد القاضي والمحتسب على شروط ذهاب المرأة إلى الحمام، وحسن تصرفها داخله. مثل التفريق بين البنت والمرأة الكبيرة وحارب الشبان الذين كانوا يتعرضون للنساء على جانبي الطريق المؤدي إلى الحمام "[(٢)]، وفي عهد البرزلي ذهب بعضهم إلى تحريم الحمام على النساء لما شاع من دخولهن وجلهن بدون مئزر [(٣)]. وقد طالب كل من المازوني[(٤)].والعقباني[(٥)]. بتحريم النساء من الخروج للحمامات العمومية خصوصا اللواتي اتصفن بالجمال.

وهكذا أصبح ذهاب النساء إلى الحمام من منكرات وأفعال غير مستحبة في المجتمع المغربي وأحيانا يعتبر بعض ما تقوم به المرأة من باب ترك ـ المروءة ـ الحشمة مثل كشف بعض النساء عن عوراتهن، وإذا تسترت إحداهن أسمعتها الأخريات كلاما يدفعها إلى إزالة سترتها ،

---

(١) حول أنواع الحمامات المنتشرة ببلاد المغرب الإسلامي والأندلس، ينظر ابن عبدون: م،س، ص١٠٥، البرزلي: **جامع مسائل الأحكام** ، ص ٢٣٢، العقباني: **تحفة الناظر**، ص ١٠٢، الونشريسي: م، س، ج ٨٧، ١٠٣، ينظر كذلك

Marcais (W): **Les Monuments Arabe de Tlemcen**, libraire thorin, Paris, 1903, pp 401 , 402.

(٢) العقباني: م، س، ص ٢٠٠.

(٣) البوسعيدي: **اختصار جامع مسائل الأحكام**، دار الكتب الوطنية بتونس رقم ٣٤، و ٣٠٠.

(٤) المازوني: **الدرر المكنونة**، ج١، و ٢٦٢.

(٥) العقباني: م س، ص ٢٠٠.

إضافة إلى اختلاط المسلمات باليهوديات والنصرانيات في نفس الحمام فتكشف بعضهن على عورات البعض، ومنهن من تأخذ معها أفخر ثيابها، وترتديها عند خروجها حتى تراها الأخريات، ويحدث ما يحدث من المباهاة والمفاخرة، وربما أدى ذلك إلى نزاعات بين الزوجات وأزواجهن إذا طالبنهم بشراء لباس مماثل [١].

٣ ـ المتنزهات والأودية:

رغم الضغوط التي فرضت على المرأة ومنعها من الخروج في مجتمعات المغرب الإسلامي، والدعاوي والتحذيرات التي أقرها بعض الفقهاء على خروج المرأة[٢]، إلا أن المرأة في المغرب الإسلامي لم تنس نصيبها من الدنيا، حيث كانت تخرج للمتنزهات والبساتين والأودية حتى ترفه عن نفسها... وتفيدنا المصادر بمظاهر الترفيه الاجتماعي المختلفة فكانت النساء كثير التردد إلى المتنزهات والأودية وقد أشار ابن خلدون [٣] إلى ظاهرة انتشار البساتين والمنتزهات في كل من تلمسان،وغيرها من المدن مما يؤكد واقعيتها وقبولها كأحد أماكن الراحة والترفيه؛ويضيف ابن سعيد من جهته[٤] أن بجاية بها حدائق وبساتين تتصل على نحو اثني عشر ميلا على جانبي واديها، وذكر العمري[٥] أن للسلطان بستانان متقابلان شرقا وغربا: الشرقي يسمى " الرفيع " والغربي يسمى " البديع" هما مكان فرجته ومحل نزهته.

وأخبرنا الإدريسي [٦] بأن : " مدينة مليانة لها حدائق وجنّان " .

وهذه الأقوال كلها تؤكد انتشار هذه المتنزهات في المغرب الإسلامي انتشارًا واسعًا مما يدل على التّمدّن.

أمّا موضوع خروج النساء إلى المتنزهات والبساتين، فلم تشر إليه المصادر إلا بشكل عارض فقد ذكر النويري أن نساء الأندلس من الطبقة العامة كثيرا ما كن يخرجن إلى المتنزهات لاسيما أيام الأعياد وفي جو محترم ويتبين ذلك في سبب الفتنة التي قامت بقرطبة،حيث قال: " في سنة

---

(١) العقباني : م س، ص ٢٠٠.

(٢) تناولنا في رسالتنا موضوع " **خروج المرأة** " ينظر الباب الثالث ، ص

(٣) **العبر** ، ج٧، ص ٢٩٧.

(٤) **كتاب الجغرافيا** ، ص ١٤٢

(٥) **مسالك الأبصار**، ص ٠٩.

(٦) **نزهة المشتاق**، ج١، ص ٢٥٣.

513 هـ/ ١١٢٠م كانت فتنة عظيمة بين عسكر أمير المسلمين علي بن يوسف، وبين أهل قرطبة سببها أنه كان قد استعمل عليها أبو بكر يحي بن داود فلما كان يوم عيد الأضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيده يده إلى امرأة ومسكها فاستغاثت بالمسلمين فأغاثوها فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة دامت يوما بأكمله " [١].

ويرجع أحدهم حرية الخروج التي عرفتها بعض النساء بالأندلس إلى تأثير حضارة الغرب المسيحي [٢]، ونرى أن هذا الرأي لا يتناسب وروح الحضارة الإسلامية، إذ المعروف في هذه الفترة تأثير الحضارة الإسلامية في الغرب المسيحي لا العكس.

كانت المرأة في الكثير من الأحيان تخرج إلى الأودية إما للسقي أو غسل الملابس أو للترفيه عن النفس، وهذا ما أقلق الفقهاء وحثوا على عدم خروجها، فقد نهى ابن عبدون عن ذلك في أكثر من موضع في قوله: " يجب أن يمنع أن تجلس النساء على ضفة الوادي في فصل الصيف إذا ظهر الرجال فيه "[٣]، ويضيف " تمنع النساء عن الغسل في الأجنة فإنها أوكار للزنا "[٤] ، كما نهى السيروي عن هذا في نازلة سئل فيها " عن نهر خارج مدينة تسقى من الغابة، وينقسم في بعضها سواقي روابغ تجتمع فيها النساء وفي بعض الأوقات مع الرجال "[٥].

ثانيا ـ العادات المرتبطة بفن الطبخ :

من مظاهر التفاعل الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ببلاد المغرب والأندلس فترة دراستنا انتقال بعض المعارف والأساليب بين العدوتين ونتيجة لانتقال أو استقرار بعض الأندلسيات في المغرب وانتقال واستقرار بعض المغربيات في الأندلس تشابهت كثيرا في أساليب الحياة اليومية وأفادت بعضهن من بعض في الأخذ من تجاربهن وخبرتهن . ومن هذه المعارف والفنون فن الطبخ إذ نجد كثيرا من أصناف الطعام المحضرة في بلاد المغرب والأندلس متحدة أو متشابهة في الطرق والوسائل. وعلى قلة المصادر التي تناولت هذه الجوانب المميزة للحياة الاجتماعية، فإن علينا أن

---

(١) النويري: **نهاية الأرب** ، ص ٣٩١.

(2) Guichard (P): Opcit 1977,pp 164, 367.

(٣) **ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب**، ص ٤٦.

(٤) نفسه، ص ٤٥.

(٥) البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، ج٣، و ١٥٣

نتصور عمق التفاعل بين العدوتين من خلال بعض المخطوطات [١]..

١ ـ الأكلات التي اشتهرت في عصر الموحدين :

ظفر المستشرق الاسباني امبروزيو أويثي ميراندا بمخطوط لمؤلف مجهول [٢] عنوانه : "كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين"، تناول فيه شتى أنواع الأطعمة والحلويات، والأشربة والأدوية، ومواصفاتها، وطرق تحضيرها وتقديمها وفوائدها بالتفصيل محددا للأسماء والمصطلحات والمقادير، موضحا ومعللا لبعض العادات .

ويذهب المحقق على أن المؤلف أندلسي لأنه في حديثه عن ألوان الأطعمة والمدن " هو حديث العارف بها المطلع على دقائقها مما يدلنا على بيئته الأندلسية " [٣]. إلا أن المؤلف لم يقصر حديثه عن أطعمة الأندلس بل تحدث عن أطعمة المغرب ومدنه كفاس ومراكش وتلمسان وبجاية وقسنطينة وتونس،حيث الهم بها، بعادات أهلها ، وتحدث عن الأطعمة المقدمة إلى بعض الخلفاء الموحدين ولم يشر إلى عصر الحفصيين والمرينيين والزيانيين مما يدل على أنه عاش في عصر الموحدين فأشار إلى بعض الأطعمة المستعملة في أيام الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر وابنه المستنصر، وتحدث عن أطباق منسوبة إلى زريات المغلي نديم عبد الرحمن الأوسط بن الحكم،والمخطوط غني بالعديد من التفاصيل عن كافة أنواع الأطعمة التي تناولها مما يبعث على الاعتقاد أنه كان من المتخصصين أو من رؤساء الطباخين الملازمين للخلفاء.

لم يكتف في حديثه عن بعض الأطعمة المعروفة فحسب، بل يقارن بين أطعمة أهل المغرب وأهل الأندلس كما يتضح في وصفه عن عمل " الكنافة عند الأندلسيين، وهي:" نوع من الأطعمة السائدة هنا، ثم يشير إلى ما كان يصنع منها في المغرب الأوسط والأدنى"، وأما أهل بجاية وإفريقية فيعملون هذه الكنافة بالزبد والسمن عوضا عن الزيت وبالزيت أطيب وأبقى "[٤].

---

(١) لم نعثر في عصر الموحدين ـ على الأقل فيما بين أيدينا من مصادر ـ إلا على ما يجعل الصلة والعلاقة بين أهل المغرب والأندلس قوية وحميمة .

(٢) نشر نص المخطوط كاملا في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد المجلد ٩ ـ ١٠ سنة (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) من ص ١٥ إلى ص ٢٥٦ بعنوان: **كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين،** لمؤلف مجهول ومعه كتاب الطبخ لإبراهيم بن المهدي .

(٣) مجهول: م، س، ص ١٨.

(٤) نفسه ، ص ١٨٩.

ويستطرد في وصفه لأكلة البلاجة حيث يقول " ... فهذه البلاجة التي كانت تصنع في بلاد المغرب مثل قرطبة ومراكش وما بينهما من البلاد"[١] ووصفه لأكلة " اللمتونية " التي كانت تصنع في بلاد الأندلس والمغرب من جميع الطير مثل الدجاج والإوز والخصيان والسمان منها وفراخ الحمام وغيرها ... إلخ [٢] ، ولعل تسميتها باللمتونية نسبة إلى أن صنعها وأكلها ساد عند المرابطين .

تعرض المؤلف لآكلات الولائم العامة، وفيها يحرص على ذكر التفاصيل والمقادير ففي حديثه عن " المخلل" يقول:" يؤخذ من اللحم البقري أو غنمي سمين ويقطع قطعا صغيرا ويجعل في قدر جديدة بملح وفلفل وكزبرة يابسة وكمون وزعفارن كثير وثوم مقشر مقطع مقسوم وزيت كثير، ويغمز بالخل الثقيف الخالص جدا، ولا سبيل لشيء من الماء ويرفع على نار معتدلة ويحرك إذا على فإذا انضج وانحل اللحم وقل حينئذ ينزل على الرضف ويخمر ببيض كثير وقرفة ويصبغ بزعفران كثير صبغا يرضي، ويجعل فيه من محاح البيض صحاحا ويترك على الرضف حتى يعقد ويجف مرقه ويطهر دسمه، هذا اللون يبقى أياما كثيرة لا يتغير ولا يفسد يسمى في بلاد المغرب" كعام العرس " وهو واحد من السبعة ألوان المذكورة المستعملة عندنا في الولائم بقرطبة واشبيلية [٣].

ولعل خير مناسبة للقاء هي الأعراس والولائم لذلك تتاح الفرصة للضيوف والزوار والمهنئين على الاطلاع ليس على فن الطبخ فحسب بل قد يتعدى ذلك إلى فنون أخرى كالخياطة والرقص والغناء وغيرها من الفنون، وهنا يظهر التأثر والتأثير فتفيد المغربيات والأندلسيات فيقع التفاعل وتتبادل الخبرات والتجارب بين العدوتين.

كما خص المؤلف بيت الخليفة المنصور ببعض الأطعمة التي تحضر خصيصا للخليفة وحاشيته، مما يؤكد لنا أن المجتمع في عهد الموحدين كان متنوعًا يتألف من طبقات وهذا يعني أن أكلات شعبية أخرى متداولة يعرفها عامة الشعب،أما الطبقة الراقية من المجتمع فلها

---

(١) مجهول: م س، ص٤٩ .
(٢) نفســه ، ص١٨٧ .
(٣) نفسـه، ص٢٦ .

ما يميزها وفي ذلك يقول:" ومن الأطعمة التي كانت تصنع في بيت الخليفة المنصور:" السنبوسك" كان يصنع بمراكش بدار أمير المؤمنين أبي يوسف المنصور رحمه الله يؤخذ من السكر الأبيض فيحل ويحلب بماء الورد، ثم يجعل عليه اللوز المدقوق كالعجين، ويحرك برفق حتى يلتف ويصير مثل حشو القاهرية [١] ثم ينزل عن النار، فإذا أخذت حرارته جعل فيه سنبل وقرنفل ويسير زنجبيل وشيء يسير من المصطكى بعدما تحل هذه العقاقير مسحوقة بماء الورد، قد حل فيه شيء من كافور ومسك ولوز مقسوم ويضرب الجميع ويعرك حتى يتداخل بعضه ببعض ويصنع فيه قرس على قدر الكعك وفرثلات وكورت على شكل النارنج وشبه التفاح والأجاص، ويتنقل بها، فهي لذيذة، هذا يسمى السنبوسك بالمشرق وهو سنبوسك الملوك" [٢].

وكما تناول الأطعمة تناول الأشربة والمعاجين والحلويات كل ذلك في تفصيل دقيق وتحديد للمقادير وتوضيح للتحضير . ولم يقتصر على وصف وعرض الأطعمة في كل من المغرب والأندلس بل تحدث أيضا عن القواعد الصحية العامة وعند تناول هذه الأطعمة في أمم أخرى مستشهدا بأقوال الحكماء والفلاسفة كأبيقراط وجالينوس[٣]، كما تحدث عما يؤكل من الطعام وحده دون غيره وما ينبغي أن يؤكل من الطعام مخلوطا بغيره وأثر ذلك كله على المعدة والمزاج . وفي حديثه عن العادات المختلفة في الأكل لدى أمم كثيرة يقول : فكثير يشتهرون ويميلون إلى ألوان من الأطعمة يكرهها غيرهم[٤] " ... وضرب لذلك أمثلة بأهل اليمن والعجم وأهل الشام ومصر وغيرهم، وكما تحدث عن الألباق تحدث عما يكملها من التوابل والبهارات كل أكلة وما يناسبها من التوابل وجعلها أسا لدفع الضرار ولجلب المنفعة .

٢ ـ الأكلات التي اشتهرت بعد عصر الموحدين:

استمرت المرأة ببلاد المغرب الإسلامي في المحافظة على أكلات أمهاتها وجداتها، ونذكر بالخصوص منها الطعام الذي يعرف "بالكسكسي" [٥] وهو ليس حكرا على الأغنياء بل أن الفقراء يجعلون منه الطعام اليومي لوجبة العشاء.

---

(١) نوع من الأطعمة، مجهول: **كتاب الطبخ**، ص٢١١.

(٢) نفسه ، ص ٢١٣ .

(٣) ورد بعض أقوالهم في نصوص ينظر، مجهول، ن م، ص ٧٦.

(٤) نفسه ، ص ٧٧ .

(٥) ينظر في الملحق شكل طبق الكسكسي ، ص

أمّا العلامة ابن خلدون من جهته فيقدم لنا صورة أكثر وضوحا عن عادات الغناء في حواضر وبوادي المغرب الإسلامي حيث يقول أن "أهل المغرب على الجملة المنغمسين في الأدام (١) والبر... وكان أهل الضواحي م المغرب بالجملة مع أهل الحضر والأمصار، فإن الأمصار وإن كانوا مكثرين مثلهم من الأدام ومخصبين في العيش إلا أن استعمالهم إياها بعد العلاج والتلطيف بما يخلطون معها. فيذهب لذلك غلظها ويرق قوامها عامة مأكلهم لحوم الضأن والدجاج ولا يغبطون السمن من بين الأدم لتفاهته(٢) .

يتجلى لنا من هذا النص أن طريقة إعداد الطعام في الحواضر تختلف عنها في البوادي ذلك أن أهل الأمصار وبحكم الرّفاه الذي يعيشونه يتفننون في إعداد الطعام ما استطاعوا كإضافة التوابل مثلا، أما أهل البادية فيتناولون طعامهم في صورته الأولية غالبا، وقد لاحظ ابن خلدون أن أهل البادية خاصة في القفاز يتغذون بألبان الإبل ولحومها (٣) ، وهذا،يتطلب منّا أن نوضح خصائص الأكل في كل حاضرة من حواضر بلاد المغرب الإسلامي...

* في تونس:

لقد تعددت أصناف الأطعمة والأشربة بتونس في العهد الحفصي حسب الفصول والأمكنة، ومراعاة شروط حفظ الصحة ،وقد ألفت كتب خاصة بذلك ,فالطيب أبو العتلي أحمد الصقلي ألّف مصنّفا أهداه للسلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز (٨٩٣ – ٨٩٩هـ / ١٤٨٧- ١٤٩٣م) وسّماه " حفظ الصحة أو الطب الشريف (٤) ,وكذلك ألف تلميذة المغازلي (٥) مصنّفا سماه " **تحفة القادم"** بطلب الأمير أبي يحيى زكريا بن أبي العباس أحمد .

---

(١) الأدمُ : بالضم، ما يؤكل بالخبز أي شيء كان، وأدَمَ الخبز يأدْمُه، بالكسر، أدْمًا خلطه بالأدم، وقال غيره: أدم الخبز باللحم، ينظر ابن منظور : **لسان العرب،** م١ - المادة أدم - ص ٥١.
(٢) ابن خلدون: **المقدمة** ، ص ٨٨.
(٣) نفسه ، ص ١٠.
(٤) الصقلي، أبو العباس أحمد: **حفظ الصحة أو الطب الشريف،** مخطوط بدار الكتب الوطنية، رقم ١٨٣١٦، و ١ب، ٤٠ ب.
(٥) المغازلي: **تحفة القادم** ، و ١٥ ب.

أما ملخص هذه المصنفات، هي تحتوي على كثير من المواد الأساسية للغذاء كالخضر والفواكه والحلويات والمنشطات وكلها تهدف إلى حفظ الصحة الجيدة وتقوية الرجال والاكتناز لدى النساء[١]، حتى أن صاحب " تحفة القادم " خصص قسما هامًّا يخص صحّة وجمال المرأة وسمّاه " الأدوية البائية وتسمين النساء " [٢].

كانت هذه المؤلفات خاصة بالفئة الحاكمة والغنية ، أمّا العامة من الناس فغذاؤها الأساسي الطعام المعروف بالكسكسي الذي يتكون من المادة الأساسية القمح أو الشعير، وكذلك الخبز وقد ذكره البرزلي في جامعه بأن " الخبز الجيد مصنوع بالسميد هو غذاء الخاصة، والردئ المصنوع من الفتات المختلط المسمى بالدقاق، أو الخبز الأسمر غير النقي المعروف بالحنشكار هو غذاء العامة [٣].

وقد أكل ابن أبي الدينار الخبز المشهور فأعجبه غاية الإعجاب فقال:" إن الرغيف الواحد لو وضع بين جماعة من الناس من عشرين فصاعدا لكفاهم، ويطول مكث هذا الخبز إلى نحو شهر أو أكثر وهو في غاية الحسن " [٤].

كما توجد أصناف أخرى من الخبز تختلف حسب تنوع المادة الأساسية، كما ذكرناه سابقا، وحسب المقادير ومنها:

- الفطائر : وهي رغائف رقيقة تطبخ في التنور.
- الكنافة : رغائف رقيقة تطبخ ثم تيبس ثم يعمل فيها العسل.
- البشماط : كعك غير محشو [٥].

وللتونسيين أكلة خاصة باليوم العاشر من شهر المحرم، فتقوم النساء بتحضير الدجاج والطعام وعرفه ابن أبي الدينار " بالدويدة " فقال: " وهو بمثابة الكنافة عند المصريين ولكن الدويدة أضخم عند أهل الحضرة [٦].

---

(١) المغازلي: م، س، و ١٧ أ.
(٢) مجهول: **كتاب الطبخ**، ص ص ٧٠٠، ٧٠٤.
(٣) البرزلي: **جامع مسائل الأحكام** ، ج٢، و ١٦٣ ب.
(٤) ابن أبي الدينار: **المؤنس**، ص ٣٣٢.
(٥) محمد حسن: م س، ج٢، ص ٨٠٠.
(٦) ابن أبي الدينار، م س، ص ٣٣٣.

وتفننت المرأة الحفصية في صنع اللحم، وأشهر أكلة عند أهل تونس " البرغل " وهي هريسة القمح تطبخ بلحم [1] ، والمروزية نسبة إلى مروز مدينة ببلاد العجم يطبخونه بأبزار تفوح لها قيمة ويرون أكلها عقيب الصوم من التطيب [2] ، كذلك اشتهرت المجبّنة وهي تصنع من الجبن، وهي من مآكل الأندلس [3] ،ووصف الشاعر أبو الحسن الدّباج الاشبيلي [4] مجبّنات (قطائف محشوة بالجُبن ومملوءة بالسمن ، تغمس في القطْر)،فقال:

ـ أحلى مواقعهــا إذا قرّبتهــا	وبخارهـا فوق الموائد سـامي
ـ إن أحرقت لحسًا فإن أوارَها	في داخل الأحشاء برد سـلام [5] .

كما اشتهرت تونس بأنواع أخرى من الأكلات ومنها: " المطنفسة " وهي عجين خفيف يعمل أقراصا صغارا يطبخ على مقلاة، و " الإسفنج " شبيه بالمطنفسة، و" المسمنة " مكونة من خبز وسمن و" الزلابية " تصنع من عجين رقيق يقلى ثم يشحر بالسكر [6] .

والمعلوم أن هذه الأنواع من الآكلات لم يحدد أصلها إذ لم تقتصر على تونس الحفصية فقط بل انتشرت في كل أرجاء بلاد المغرب الإسلامي.

* في تلمسان :

شاع أكل الكسكسي في تلمسان وبقية حواضر المغرب الأوسط وذكر المقري: " أنهم يشتهونه على كثرة استعمالهم له " [7] .

---

(١) ابن عبد الباسط: ال**رحلة**، ص ٢١.

(٢) ابن أبي الدينار: م س، ص ٣٠٨.

(٣) ابن عبد الباسط: م س، ص ٢٢.

(٤) هو الشاعر أبو الحسن علي جابر بن علي اللخمي الاشبيلي المعروف بابن الديباج، ولد سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م وتوفي ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م، ينظر عمر فاروخ: **تاريخ الأدب العربي ـ عصر المرابطين والموحدين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ص ١٣٨.

(٥) عمر فاروخ: م س، ص ١٣٨.

(٦) ابن عبد الباسط : م س ، ص ص ، ٢١، ٢٢.

(٧) المقري: **نفح الطيب**، ج٥، ص ٢٥٨.

كما انتشر أكل الثريد وهو عبارة عن الخبز المفتت في المرقة، ويثرد في الزيت، أو بمرق الدجاج أو بلحم الخروف السمين أحيانا أو باللبن ويضاف إليه السمن أو الزبد [1].

وهناك أيضا ما يعرف بالعصيدة، وهي أكلة تصنع من الدقيق الرفيع يضاف عليه الزبدة والسمن[2]، أمّا البسيسة،فهي من سميد الشعير المحمص والزيت والماء وفي مناطق أخرى كانت تصنع من القمح[3]،ثم هناك المريسة التي تطبخ باللحم والقمح ولحم الدجاج مع زيت الزيتون، وهناك الفول المطبوخ، وأوراق السلق المطبوخة بالحمص أو الجزر والفول [4]، ومن ذلك الدويدة أو الشعيرة التي تطبخ بلحم الدجاج [5] وأخذ الحساء مكانه في شهر رمضان الكريم ولا يزال حتى الآن، وأشار ابن مرزوق التلمساني أن أبي الحسن المريني " أخذ يسيرا من حسو "، كما ورد لنا الوزان لائحة بأطعمة قدمت للسلطان الزياني خلال حصار تلمسان فيذكر لحك الحمل المشوي مخلوط بشعير وورق البرتقال [6].

وانتشر أكل الخبز الذي كان يستعمل من السميد أو الشعير ويخبرنا ابن مريم أن الشيخ أحمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب الوفيدي " كان لا يأكل إلا الخبز بالشعير بالأدام "[7]،وكان الخبز يعجن في الدار ثم يحمل على " لوح العجين" إلى الفرن الذي يشرف عليه الفران، ويسهر المحتسب على أن يكون وزن الخبز المباع في السوق يطابق الوزن المحدد [8].

هذا وجدير بالتذكير أن السلاطين الذين كانوا ينصبون الموائد ليلة المولد النبوي، كانوا يحرصون على أن تقدم ألذ الأطعمة وأطيبها، يشرف على إعدادها طباخون مهرة يجلب البعض منهم من الأندلس، وقد وصف لنا التنسي عادات الطعام والشراب في تلك الليلة " ثم تؤتى آخر

---

(١) الوزان : **وصف إفريقيا**، ج١، ص ١٠٨.
(٢) نفسه، ج١، ص ١٠٨.
(٣) نفسه: ج١، ص ١٠٩.
(٤) نفسه، ج١، ص ١٠٩
(٥) نفسه ، ج١، ١٠٩ .
(٦) نفسه ، ج١، ص ١٠٦.
(٧) ابن مريم: **البستان**، ص ٣١٦.
(٨) المجليدي: **كتاب التيسير في أحكام التسعير**، تقديم وتحقيق موسى لقبال، ش.و.ن.ت، الجزائر ط ٢، ١٩٨٧، ص ص ٦٨، ٦٩.

الليل بموائد كالهالات دورا،والرياض نورا،قد اشتملت من أنواع محاسن المطاعم على ألوان تشهيتها الأنفس،تستحسنها الأعين وتلذ بسمع أساميها الآذان[1].

وهذا يحي ابن خلدون ينقل لنا صورة مفصلة عن مائدة السلطان حيث يقول:"فجيء آخر الليل بالخرس الشهي الملاذ الحافل الملامح والهشام المتعدد الخوانات،مما أرحبت ساحته،وجبرت بروده وناد بالعصبة أولى القوت محلمة ثم الفواكه فالحلوى وطعم الناس بين يدي الخليفة"[2].أما الحلوى،فهي التي كانت تصنع أيام الأعياد،وفي الحفلات،حيث يكثر الإقبال عليها[3].

ويقول ابن مريم عند تعرضه للحلوى:"أخرج مشهدة لم يرى الراءون مثلها ولا طيبتها امرأة في الدنيا من أحكام الطبيخ،وجودة صنع فأكلنا،وتوجهنا إلى دار عمتي فأخرجت مشهدتها فوجدناها لا تشبه الأولى فأكلنا منها قليلا"[4].

ومن الحلوى أيضا السفنج المصنوع بالعسل والقطائف والقوص مصنوعة بالسميد ومنها القباط الذي يحشى باللوز[5].

كما كشفت المصادر عن أنواع الأشربة التي كان سكان المغرب الأوسط يشربونها منها شراب الجلاب وهو نوع من شراب العسل أو زبيب،كما كان يصنع شراب الورد والبنفسج[6].

وقد أشار ابن مرزوق إلى أن السلطان أبا الحسن المريني تناول كأسا من شراب العود أثناء مرضه [7]، كما أشارت بعض كتب الحسبة إلى أن شراب القهوة كان معروفا في بلاد المغرب الإسلامي[8]، يضاف إلى كل هذا أن النبيذ كان يشرب خاصة ذلك الذي يستخرج من الحنطة

---

(١) التنسي:م س.ص١٦٣.

(٢) يحي ابن خلدون: م س، ص ص ٤٠ ،٤١.

(٣) العقباني:**تحفة الناظر**،ص٢١٩.

(٤) ابن مريم:**البستان**،ص١٦.

(٥) رشيد بوروبية : **تاريخ الدولة الحمادية وحضارتها** ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧٧،ص١٦٢.

(٦) إدريس الهدي روجي : **الدولة الصنهاجية** ، ص٩٩.

(٧) ابن مرزوق ، **المسند**، ص ٤٩.

(٨)المجليدي : م س، ص ٦٩.

والشعير والذرة أو من بعض الفواكه كالعنب والتمر وغيرهما، بل أن بعضهم كان يشرب الخمر نفسه[1].

*** في فـــاس** :

ظـلّ أكـل الكسكسـي الطعـام الأساسـي فـي المغـرب المرينـي، وكـان المولعون بأكله فقراء وأغنياء[2]، ومن عادة أهل فاس تناول الحساء صباحا مع الفطور وهو حساء من الدقيق قد تضاف إليه بعض القطع من اللحم وخبز وفواكه[3].

كمـا حظـي السمك أيضـا بحب السكان، وكـان يتنـاول مجففـا أو مملحـا خصوصا لدى هؤلاء المتواجدين في الشمال الذي كانت الدواب تتوارد على شواطئه وتنقل السمك المجفف إلى مختلف المراكز المغربية[4].

واعتـادت النسوة من الطبقة الغنيـة استعمال اللحم يوميا مع تنويع في الأكل[5]، وكان اللفت والكرنب وحتى البصل من الخضر الرئيسية، وقد انتقل من الأندلس إلى المغرب[6].

مـن الوجبـات الهامـة فـي بيوتـات المغـرب إلـى جانـب الكسكس طـبخ الحريرة والقديد وهو عبارة عن مرق من قطع الخبز توضـع فيـه[7]، واعتمد سكان حاحـا[8] فـي أكلهـم علـى الشـعير الـذي منـه خبـزهم وحساؤهم الممزوج بزيت أرقان ، وكانوا يطبخون العصيدة من الدقيق واللبن والزبدة في الصيف ويتناولون الخبز مع العسل والزبدة ،وقد يقتاتون بالبصل والفلفل مطبوخين مع اللحم[9]،

---

(١) المجليدي: **كتاب التيسير**، ص ٦٩.

(٢) إبراهيم حركات:" الحياة الاجتماعية في عصر بني مرين" ، **مجلة كلية الآداب والعلوم**، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع، ٥، ٦، ١٩٧٩، ص ٤٥ .

(٣) الوزان: **وصف إفريقيا**، ج١، ص ٢٥٣.

(٤) نفســه ، ج١، ص ٢٣٦.

(٥) نفســه ، ج١، ص ٩٦.

(٦) نفســه ، ج١، ص ٢٥٨.

(٧) نفســه ، ج١، ص ٩٦.

(٨) نفســه ، ج١، ص ٩٦ .

(٩) نفســه ، ج١، ص، ١٠٠.

كما استعملت النساء المغربيات الطريقة الشامية في تجفيف عدد من الفواكه.وهكذا كان في مقدور سكان المغرب الأقصى على عهد بني مرين تناول الفواكه طيلة السنة [١]، وقد تحدث الوزان عن وجود باعة الإسفنج والفطائر قبل بني مرين [٢] الذي استمر إلى ما بعد ذلك، وكان أهل يتنمل يستهلكون الجوز والفتاح والزيتون بكميات كبيرة [٣].

أما مشروب أهل المغرب، فكان الماء والحليب [٤] وهي عادة أهل المغرب الإسلامي أيضا. وترك المسيحيون أثرا سيئا على السكان في نهاية العصر المريني وخلال الحكم الوطاسي، حيث تفشى شرب الخمر بعد الطعام[٥].

ثالثا ـ المعتقدات:

تكون المعتقدات في البداية أفكار أولية يحاول المجتمع من خلالها فهم بعض الظواهر المرتبطة إما بالطبيعة، أو ببعض الممارسات أو ببعض الأشياء، وتتحول مع مرور الزمن إلى سنن وقوانين منظمة للحياة اليومية، وضابطة لبعض الممارسات ومحددة لبعض الأهداف [٦].

وقد تترسخ في بعض المجتمعات وتتطور بتطورها، وتصبح جزءا من حياتها مسلمة بها، لا يحق لأي أحد أن يتساءل عن أصلها أو سببها أو غاياتها، وقد تتلاشى وتندثر عند مجتمعات أخرى لوعيها وعدم انشغالها بأفكار قد تكون واهية [٧].

فما هي أنواع المعتقدات التي كانت سائدة ؟

مجموعة من التساؤلات تثير فضولنا، وتحثنا على التنقيب أكثر فأكثر لكشف النقاب عن مدى تجذر بعض المعتقدات في مجتمعات المغرب الإسلامي خلال فترة الدراسة وما مدى اهتمام

---

(١) إبراهيم حركات: م س، ص ٤٥.
(٢) الوزان: م س، ج١، ص ٢٣٦.
(٣) نفسه ، ج١، ص ١٤١.
(٤) نفسه ، ج١، ص ١٢٦.
(٥) نفسه ، ج١، ص ١٢٦
(٦) تعرف المعتقدات على أنها: " القوة المحركة وراء كل الأفعال الاجتماعية التي يأتيها الفرد منفرد بنفسه أو مجتمعا مع الناس ويمكننا بذلك أن نعثر على معتقد أو تصور معين يكمن وراء كل جزئية من. جزئيات السلوك في أي ميدان من ميادين النشاط الإنساني " ، الجوهري محمد: **الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية،** مصر، دار الكتاب، ١٩٧٨، ص ٥٨.
(7) Blanche : (R) **l'épistémologie**, P.U.F,2^eme^ édition , 1977, P12.

المرأة بها، وتدفعنا إلى مساءلة الواقع لمعرفة مدى استمراريتها إلى يومنا هذا رغم التطور الفكري التكنولوجي في مجتمع المغرب العربي.

وحسب مصادرنا التي تبين أن أصل بعض المعتقدات،قديمة ترجع إلى العهد الوثني ثم تحولت إلى معتقدات يهودية قبل أن تصبح معتقدات تشبث بها بعض المغاربة المسلمين، نذكر منها:

الطقوس الخاصة بالفلاحة [١] (كالحرث، أو الحصاد أو الدرس)، وأخرى متعلقة بالولادة ، وأخرى بالزواج ، والزينة [٢]...إلخ .

ويمكننا أن نصنف ما تجمع لدينا منها حسب الأكثر ذيوعا بين النسوة، وحسب نسبة ترددها في المصادر التي تعاملنا معها كـ :

١ ـ الاعتقاد في القوى الخفيـة :

لقد ساد الاعتقاد، وما يزال أن المجال الذي يعيش فيه الإنسان يتقاسمه مع قوى خفية تتكون من الجن، ومن بعض القوى التي لا يجسر البعض على ذكر اسمها، ويشار غليها عند العامة بصفة خاصة " بالمسلمين " أو " أصحاب المكان " ويعتقد أن زمن نشاطها يكون ليلا، كما ساد الاعتقاد أن الأماكن الرئيسية لسكنها المجاري المائية سواء داخل البيوت أو خارجها ؟

وكانت العرفات والعرافين والسحرة يستدعونها موهمين الناس أنها تربطهم وإياها روابط صداقة لذا شكل هؤلاء فئة اجتماعية متميزة، كان يتم اللجوء غليها إذا ما أصيب أحد بمس من هذه القوى الخفية؟

ـ بعض ما يتعلق منها بالزفاف :

مهما اختلفت حفلات الزفاف في بلاد المغرب الإسلامي باختلاف الزمان أو المكان كان بينها عامل مشترك تمثل في مجموعة من الطقوس لحماية العروسين من القوى الخفية ، ومن

---

(1) Bel (A): Quelques rites pour obtenir la pluie en temps de secheresse chez les musulmanes maghrebins, in Recueil de mémoires et de textes, publié en l'honneur du XIV éme congès des orientalistes, PP.16,31.

(٢) الونشريسي: **المعيار** ، ج٣، ص ص ٥٦، ٧٤، ٣١٧.

العين الشريرة وليمر الاحتفال في أجواء آمنة فحضور الحناء والحليب،والملح والتمر، وإيقاد الشموع، وتغطية وجه العروس، وارتداء لباس معين ـ حسب كل منطقة ـ وحمل الزوج للعروس،و...، كلها ممارسات ظهرت في أغلب مناطق بلاد المغرب الإسلامي، ونظن أن الأهداف منها واحدة وهي تجنب القوى الخفية، وتمتين العلاقة بين الزوجين ، ونجاح حفل العرس دون مشاكل ... إلخ [(١)] .

. بعض ما يتعلق منها بعنس البنات :

لقد كان زواج البنت عند الآباء بمثابة انتصار حققه الأب اتجاه ما يمكن أن نسميه " بعنس البنات ". وكانت هذه القضية تشكل هاجسا لدى الآباء الذين يتوفرون على أكثر من بنت واحدة.

وأشارت النصوص إلى ظاهرة " النحس " ممّا أثار ضيق الآباء والأمهات من بناتهم غير المتزوجات، فقد أشار ابن تيجلات إلى " رجل من أهل فاس كان له جملة من البنات قد ضاق بهن درعا ولم يجد بما يجهزهن " [(٢)]، وكان الآباء يلجأون إلى عدة وسائل لفك هذا " النحس " الذي حل ببناتها عن طريق زيارة الأولياء والأضرحة . ويضيف ابن تيجلات إلى أن هذا الرجل التجأ إلى ابن زيد الهزميري الذي كان متواجدا بمدينة أغمات ليدعو له بفك همه وغمه في زواج بناته " [(٣)]، ويبدو أن هذه القضية لم تكن خاصة بأهل المغرب بل عرفت حتى في بلاد الأندلس، فقد أشار الزجالي في أمثاله العامية، إلى أن أهل الأندلس كانوا يعتبرون زواج البنت عمل أساسي وهم كبير لدرجة أنهم نصحوا بتزويج بناتهم قبل بلوغهن [(٤)] .

. بعض ما يتعلق منها بالولادة :

بما أن الولادة فعل مرفوق بالدم، والألم، و... فهو يستدعي مجموعة من القوى الشريرة ـ حسب الاعتقاد الشائع ـ لذا كانت النساء تأخذن جميع الاحتياطات لحماية الأم والمولود من

---

(١) المقري: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، نشره مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٩٤٢،ج٥، ص ص ٦٧، ٦٨.

(٢) ابن تيجلات: **أثمد العينين في مناقب الشيخ أبي زيد محمد ,أبي زيد الهزمير**، تحقيق رابطة الدين محمد مرقون، الرباط، ١٩٨٤، ج٢، ص ٢١٢.

(٣) نفســه ، ج٢، ٢١٢.

(٤) الزجالي : **أمثال العوام في الأندلس**، ج١، ص ٢١٩.

الجـن والشـياطين، فـالأم يمكـن أن يسـكنوها أو يمتلكوهـا، والمولـود يمكـن أن يستولوا عليه، لقد ساد
الاعتقاد أن المولود الجديد لا يترك وحده في البيت دون وضع قليل من الملح أو سكين تحت وسادته [1] ، أو كانت المولودة ترسم على جبينه علامة سحرية بسواد الدخان، أو تضع خيط أحمر فوق جبينه، أو تعلق " فوق باب البيت رأس ديك وأكاليل من العجين المشوي، وخمسة فلافل وبعض الأشواك، وهذه العادة ما زالت موجودة إلى يومنا هذا.

ـ لا تكنس المرأة بيتها عندما يسافر زوجها :

لم تكن هذه السلوكات هي الشغل الشاغل لكل نساء المغرب الإسلامي، فقد مارسن عادات أخرى تصب في نفس الاتجاه،من ذلك مثلا أن المرأة الفاسية تحجم مثلا عن عدم تنظيف البيت عندما يسافر زوجها، لأنه في عرف نساء المدينة " نذير شؤم ". وكان هذا الاعتقاد سائدا حتى لدى الرجال. فقد أشار ابن الحاج إلى " أنهم كانوا يتركون تنظيف البيت وكنسه عقب سفر من سافر من أهله فيتشاءمون بعد خروجه أو يقولون أن ذلك أن فعل لا يرجع المسافر"[2]، هذه العادة ما زالت متجذرة في مجتمع المغرب الأوسط حتى اليوم.

ـ ما يتعلق منها بالنفاس:

وقد ابتدعت بعض النساء في النفاس عادات منها: إحضار المولودات (القابلات) قبل وقت الوضع، لما يترتب عنه من التغرير، والكلام الكثير الذي لا يجدي نفعا، أو قد يؤدي إلى مخالفة الشرع والسنة [3] ، وقد يترتب عن ذلك:
ـ إذا استعصى الوضع على المرأة تضع القابلات فضلات الفأر في لباب الخبز [4]،يطعمنه إياها من حيث لا تشعر، ويزعمن أن ذلك يهون عليها الم الوضع.

ـ ما يتعلق منها بالمآثم :

إن ما قمن به عند الولادة يكاد لا يعتبر أمام ما كن يفعلنه عند موت عزيز عليهن، حيث

---

(١) ابن الحاج: **المدخل**، ج٣، ص ٢٨٣.
(٢) نفسه، ج١، ص ٢٤١.
(٣) نفسه، ج٣، ص ٢٨٣.
(٤) نفسه ، ج١، ص ص ١٨٥ ، ١٤٩.

كن يختلطن مع الرجال، ويكشفن عن وجوههن، ويقمن " بتسويدها وتسويد بعض أجسادهن، ونثر الشعور(كذا) والدعاء بالويل (...) وهو دعوى الجاهلية [١].

مما أحدثته من محرمات كذلك، إحضار النائحات، للنواح ليلا ونهارًا، وإذا خفضن أصواتهن أو سكتن فإنما ليرتحن قليلا لبداية نياحة أخرى، خصوصا وأن ما جاءت لتقديم العزاء، تدخل البيت وهي تصيح بالويل، وتلطم خدها، وتخدش وجهها، وتتلقاها النائحات وترتفع الأصوات من جديد، وتعظم الآثام، فيتلقاها أهل الميت بنفس المشهد، وهكذا كلما دخلت معزية جديدة[٢]..

ـ ما يتعلق منها بنبش القبور :

وفيما يتعلق بهذا المعتقد، حفظت لنا الذاكرة الشعبية، مجموعة مثيرة منها التي شاعت في المغرب الأوسط ونكتفي منها بذكر قصة واحدة وهي في موضوع الولية،" لالة سيتي" المتواجد ضريحها بتلمسان .

فعندما تحل الموت بأحد أفراد عائلة، يتألم الأهل والقارب، وقد يشتد الحزن والكآبة لفترة، على بعضهم، وعندئذ تؤتي النساء بشيء من تراب ضريح الولية لالة سيتي ليوضع في كوب ويصب عليه الماء وبعد المزج يطفو الماء على التراب، وحينئذ، يقدم الماء إلى المرأة الأرملة الكئيبة ـ مثلا ـ فتشربه، فيخفف عنها الألم،...[٣]

ـ ما يتعلق منها بالحمل:

وذكر صاحب الذخيرة السنية أن نساء المغرب كانت تبجل وتبارك بعض شيوخ القبائل، فكانت النساء الحوامل اللواتي صعب عليهن الوضع ويهون عليهن الولادة تتبرك بقلنسوة وسراويل الأمير العالم التقي الصالح أبو محمد عبد الحق المريني (ت٦١٠هـ) وكان: "مشهورا بالتقي والفضل والدين ، والصلاح والبركة واليقين" [٤].

---

(١) ابن الحاج، م س ، ج٣، ص ٢٣٤.
(٢) نفسه ، ج.٣، ص٢٣٥ .
(٣) رواية شفوية عن لسان:"الحاجة فاطمة العلالي مقدمة الضريح سيدي العباد بنت الغوتي بن علال العبادي"بتاريخ ١٢. ٠٢. ٢٠٠٤.
(٤) ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية**، ص٣٩ .

ـ ما يتعلـق منـها بالوقاية من الحمل:

وعـت المـرأة المغربيـة بحالتهـا الاجتماعيـة والصـحية... وقد اسـتجابت للمتطلبات التي فرضـتها عليهـا الظـروف المعيشـية وتحكمـت بوسـائلها الخاصـة فـي تحديـد النسـل أو تكـاثره، وقـد أجـاز لهـا الشـرع الإسـلامي وقـد ذكـر الونشريسي: "أن تجعل المرأة وقاية في رحمها تبطل الإنجاب عند الضـرورة" [١] .

ـ ما يتعلـق منـها بإفطار رمضان:

تعـرض الونشريسـي [٢] إلـى المظـاهر السـلبية،التي تحـدث فـي شـهر رمضان فذكر منهـا أن بعض النسـاء يفطـرن من غيـر عذر شـرعي ، ويرجع السبب في ذلك إلـى أن المرأة كانت تخـاف من انخفاض وزن جسمها وتغيير جمالها خاصة إذا كانت مقبلة على الزواج، وهذا يوضـح بما لايدع مجـالاً للشك أن الرجل في عصـر الونشريسي كـان يفضـل المـرأة البدينـة علـى الرشيقة ممـا جعل البعض يضطررن إلى الإفطار بضغط من قبل أسرهن حتى يحافظن على بدانة أجسامهن وجمالهن.

ـ ما يتعلـق منـها بالـداء والـدواء:

وعلـى مسافة نحو ثـلاث رميـات حجـر مـن مدينـة قسنطينة يوجد حمام مكون من عين ماء ساخن يتدفق من أحجار ضخمة ويعيش فيهـا عدد كبيـر مـن السلاحف تعتقد النساء أنها شياطين . وإذا اتّفق أن أصيبت إحداهن بـالحمّى أو غيرها تقول أن سبب ذلك يرجع إلى تلك السلاحف ، وللتخلص من الـداء تذبح حينا دجاجة بيضاء تضعها في إناء بريشها الكامل ثم تربط حول الإناء شمعات وتحمله إلى العين حيث تتركه، وكم من الظرفـاء تبعوا امـرأة وهـي تتوجـه إلـى العـين حاملـة معهـا الإنـاء والدجاجة،وأخـذوا الإنـاء بعـد انصـرافها،ثم طبخـوا الدجاجة وأكلوها ![٣].

ـ ما يتعلـق منـها بالـعيـن:

ويعتقد بـالعين الحسـود خاصـة ، التـي تحمـل خرافـات لا متناهيـة، إلـى جانب أنهـا لاصـقة ببعض التصـرفات لـدرأ الإصـابة بهـا، مثـل إخفـاء الوجـه أو الشيء الجميل أو ستر المولود.

---

(١) الونشريسي : م، س، ج٣، ص٣٧٠ .
(٢) نفســه ، ج٤، ص ١٥٦.
(٣) الوزان: **وصف إفريقيا**، ج٢، ص ٥٩.

وتقول الأمثل في ذلك:

" خمسة في عين إبليس "، " إذا كنت زين استر روحك من العين وإذا كنت شين استر روحك من الفضائح"، " خمسة في عينين العدو"[1]

ويراد بالعين عادة:" الإصابة أو المكروه الذي يحدث لشخص بدون سبب يذكر، والنسا يؤمنون أشد الإيمان بهذا المعتقد (العين) في العادة لا تصيب إلا غنيا أو جميلا أو جديدا أو نحو ذلك ... [2]،لذلك يردد " خمسة في عين الحاسد أو العدو ... [3].

٢ ـ السحر والشعوذة:

إن حياة المرأة في ظل الرجل قد أثرت على سلوكاتها ومعتقداتها سواء في البيت أو خارجه، فقد كان لخوفهن من العنوسة أو من وقع الطلاق على أنفسهن دور هام في ممارستهن للسحر. ومنهن من التزمت به لدرجة أنهن لا تقدمن على عمل ما حتى تستشرن الكهنة [4] والعرافين والعرفات [5].

---

(٢) مرتاض عبد المالك: **الأمثال الشعبية الجزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢ ، ص ٤٣.

(٣) الونشريسي: م س،ج١، ص ٩٣، ابن الحاج: م س، ج٢، ص ١٠٤.

(٤) الكهنة: محترفو الكنانة (بفتح الكاف، ويجوز كسرها) وهي ادعاء علم الغيب، أي تعاطي الخبر عن الكائنات في المستقبل، ومعرفة الأسرار، ومن الكهنة من يزعم أن له تابعا من الجن يلقي إليه الأخبار، (لسان العرب المحيط)، ج٣، ص،٣٠٩، ومنهم من يزعم أنه يعرف ذلك بفهم أعطي له (المعيار، ج٢، ص ٣٢٤). وعرفها ابن خلدون بأنها " قوة استعداد الانسلاخ من البشرية إلى الروحانية (...)، ويستعين صاحبها على مداركها بأمور جزئية، كالنظر في الأجسام الشفافة، وعظام الحيوانات، وسجع الكلام. وما سنح من طير أو حيوان" (ابن خلدون، المقدمة، ص،١٢٥ ـ ١٢٦).

وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة، وطباع نارية، ألفتهم الشياطين لما بينهم من المناسبة وتعاطيها، والاعتماد على خبر أهلها في الأدوية والرقي وغيرهما حرام "، عبد الرحمان بن زيدان؛" **قراضة العقبان في تحقيق استمرار أفراد الكهانة لآخر الزمن** " ، ط ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤م، ص ٤.

(٥) العراف: يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسبابها يستدل بها على مواقعها من كلام من سأله، ومن فعله أو حاله(...) ويدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما ، ابن منظور: **لسان العرب** ، ج٣، ص ٣١٠.

العراف: المنجم، الحازي الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر بعلمه، **لسان العرب**، ج٢، ص ٧٤٦. وفي الحديث " من أتى كاهنا أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد "،البخاري:**صحيح البخاري**،ص ٣١٢،**لسان العرب**، ج٣، ص ٣١٠ .

وتتفق جل المصادر أن قراءة الطالع كانت عادة معروفة لدى مجتمع المغرب الإسلامي[١]، ويورد الإدريسي أن أهل زناتة المستوطنين بلاد المغرب الأوسط لهم معرفة بارعة وحذق في علم الكتف، و" لا أحد أعلم منهم بعلم الكتف" [٢] ، أما ابن خلدون فقد ذكر " أن النساء كانت قد اهتمت كثيرا بقراءة الطالع" [٣].

وقد احتفظ لنا الونشريسي ببعض الممارسات التي تثير الدهشة " كالنظر في عظام أكتاف المواشي، والغبار، والرصاص الذائب وضرب الخط " [٤]، وأضاف الوزان ذكر بعض العرافين لمعرفة الغيب " كاستعمال خط الرمل والماء " [٥].

لقد اعتقدت النسوة في السحر وفي كتابة التمائم، وقد أشار ابن الحاج إلى أنهن:" كن يجدن السبيل إلى إطعام الرجل ما يخزن من السحر وغيره لنقصان عقلهن" [٦]، وإذا كان الاعتقاد الأول يبرز مدى فشل بعضهن في حل بعض مشكلاتها الزوجية [٧]، فإن السلوك الثاني تبرره رغبتها في الشفاء من الأمراض، وكانت ظاهرة التمائم منتشرة بالمغرب والأندلس لدرجة أن بعض المتصوفة كانوا بدورهم يمارسونها ولا يرون فيها ما يخل بنظراتهم إلى الدين وإلى المجتمع، ومن بين هؤلاء نذكر ـ مثلا ـ سليمان بن عمر الأنفاسي ـ وبموازاة مع كاتبي التمائم، كانت نساء فاس يذهبن إلى أحد الأشخاص المشهورين بعلاج المرض قصد العلاج من كان مريضا من أبنائهن وبناتهن [٨]،وقد اشتهر البرزلي في الرّقية التي تكتب لإزالة الوجع وهي:" اسكن أيها الوجع بالذي يسكن له ما في الليل والنهار وهو السميع العليم،اسكن أيها الوجع بالذي يمسك السماوات أن تقع على الأرض" [٩].

---

(١) لم يخلو مؤلف من مؤلفات نقد المجتمع أو كتب النوازل (الفقهية من ذكر السحر والشعوذة ـ والتنديد بالمتشبثين به ـ ولم يتوان المؤرخون والرحالة عن ذكرها، ولو بإشارات عارضة، ومما يؤسف له توارث الأجيال لها، واستمرارية وجوده إلى يومنا هذا.

(٢) الإدريسي: م س، ج١، ص ٢٥٧.

(٣) ابن خلدون، **المقدمة**، ص، ٣٣٠.

(٤) الونشريسي: م س،ج٥، ص ١٨٩.

(٥) الوزان : م س،ج١، ص ٢٦٢.

(٦) ابن الحاج: **المدخل**، ج١، ص ٢١٦.

(٧) استعملت المرأة التمائم إذا أعرض عنها زوجها، وفي هذا الموضوع ينظر البوسعيدي: م س، و ٣٠٠.

(٨)الحضرمي: **السلسل العذب**، مجلد ١٠، ج١، ص ٧٦

(٩) البوسعيدي: م س، و ٢٧.

يتبين لنا أن هناك علاقة وثيقة بين بعض العادات والظواهر التي ما زالت متداولة ومألوفة في وقتنا الحاضر،أمّا سبب ذلك، فهذا من اختصاص علماء علم الاجتماعي والأنثروبولوجية.

٣ ـ التطير [١] والفأل [٢]:

هما عقيدتان شائعتان في مجتمع المغرب الإسلامي، وفي الأمم والشعوب على مر التاريخ الإنساني الطويل، وهما من المعتقدات التي اعتمدها الفكر الجاهلي في سلوكات شتى،واستمر وجودها إلى ما بعد الإسلام رغم دحضه لكل ما يعوق الفكر من خرافات وأساطير [٣] واستمرت إلى زمن دراستنا [٤] بل ما زالت بصماتها بارزة على يومنا هذا، ورثها بعض المغاربة ضمن ما ورثه المجتمع من معتقدات، وعادات وقيم اجتماعية.

ويلاحظ أنه كان وما يزال للمرأة ـ خاصة الجاهلة ـ اليد الطويلة في الحافظ على بعض الممارسات والمعتقدات التي ارتبطت ارتباطا وطيدا بهاتين الظاهرتين، قبل أن نكشف عن بعض مظاهر التطير والفأل زمن بحثنا يجدر بنا الوقوف ـ ولو بعجالة ـ عند مدلول هاتين الكلمتين في القرآن والسنة لمعرفة موقف الأصول منها:

أ ـ التطير من خلال القرآن الكريم :

وردت في القرآن الكريم كلمات متعلقة بالتطير يستحسن أن نقف عند بعضها لندرك موقف الإسلام من هذه الظاهرة:

---

(١) الطيرة: مصدر تطير، ويقال تطيرت من الشيء وبالشيء ، والاسم منه الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء (وقد تسكن الياء) وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء ابن منظور: **لسان العرب**، مجلد ٢، ص ١٠٤٣. وهي فيما يكره كالفأل فيما يستحسن، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، نفسه ، ص ١٠٤٣ .

(٢) الفأل: ضد الطيرة، والجمع منه فؤول وأفؤل، وأصل الكلمة الحسنة يسمعها عليل فيتأول منها ما يدل على شفائه **لسان العرب**، م، س، مجدل٢، ص ٦٣٦ ، أو يسمع طالب ضالة آخر يقول يا واحد، فيقول تفاءلت بكذا ويتوجه له في ظنه كما سمع، نفسه ، ص ١٠٤٢، وقد يكون الفأل فيما يحسن، وفيما يسوء، وفي نوادر الأعراب يقال: لا فأل عليك بمعنى لا طير عليك ، ولا طير عليك، ولا شر عليك، نفسه، ص ١٠٤٢ . وكان مذهب العرب في الفأل والطيرة واحد فأثبت الرسول (ص) الفأل واستحسنه وأبطل الطيرة ونهى عنها ،**لسان العرب**، مجلد٢، ص ٦٣٦، ذلك لأن الفأل فيه رجاء، والرجاء عائدة البلاء، نفسه ، ص ١٠٤٣ .

(٣) يعتبر إنكار القرآن والسنة لظاهرة التطير دليلا على تجدرها في العصر الجاهلي واستمرار وجودها في عصر الرسول صلى الله عليه وسلّم.

(٤) من ق٦ هـ إلى ٩ هـ/١٢ إلى ١٥م، بدليل إنكار بعض العلماء لظاهرة التطير أمثال: ابن الحاج: م س، ج١، ص ١٠٨، وبعض الفقهاء أمثال الونشريسي: م س ، ج٦، ص ص ١٨٥، ١٨٦.

قال تعالى في سورة النمل:" قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون [١] قالوا إطيرنا بك وبمن معك.قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون" [٢].

" إطيرنا بك وبمن معك " أي تشاءمنا منك يا صالح ومن أتباعك المؤمنين إنكم سبب ما حل بنا من بلاء ـ وكانوا قد أصابهم القحط والمجاعة ـ " طائركم عند الله " أي حظكم من الحقيقة من خير أو شر هو عند الله وبقضائه، إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم. ولما لاطفهم صالح في الخطاب أغلظوا له في الجواب، وقالوا تشاءمنا منك وبمن معك فأخبرهم أن شؤمهم بسبب عملهم لا بسببه هو والمؤمنين [٣].

تكشف محاورة النبي صالح لقومه عن استنكار للطيرة متحدثا معهم بمنطق النبوة .

وتزداد الصورة وضوحا في سورة يس حيث قال تعالي: " قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين [٤] قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أين ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون"[٥].

" إنا تطيرنا بكم " قال أهل القرية [٦] إنا تشاءمنا بكم وبدعوتكم لنا على الإيمان، وترك عبادة الأوثان، قال المفسرون: ووجه تشاؤمهم بالرسل[٧] أنهم دعوهم إلى دين غير دينهم فاستغربوه، واستقبحوه، فتشاءموا بما دعوا إليه، ثم توعدوا بالرسل إن لم ينتهوا عن دعوتهم ليرجموهم بالحجارة حتى يموتوا.

" قالوا طائركم معكم " أي قالت الرسل ليس شؤمكم بسببنا وإنما شؤمكم بسبب كفركم وعصيانكم وسوء أعمالكم. يتجلى بوضوح إنكار الإسلام للتطير وما محاورة الأنبياء للقوم الكافرين إلا تأكيد لذلك.

---

(١) الآية ٤٦ من **سورة النمل**.
(٢) الآية ٤٧ من **سورة النمل**.
(٣) محمد علي الصابوني:**صفوة التفاسير**،قصر الكتاب البليدة وشركة الشهاب الجزائر ،ط٥ ، ١٩٧٠، ج٢، ص ٣٧٩.
(٤) الآية ١٦ ، ١٧ من **سورة يس** .
(٥) الآية ١٨ و ١٩ **من سورة يس**
(٦) حسب المفسرين أن القرية المقصودة هي أنطاكية،ينظر، محمد علي الصابوني : م س، ج٣، ص ٠٧.
(٧) المقصود بهم صادق، ومصدوق، وشمعون، محمد علي الصابوني : م، س، ج٣، ص ٠٧.

ب ـ التطير والفأل من خلال الحديث النبوي:

روى الإمام أحمد بن حنبل عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه أنكر الطيرة حين سئل عنها قال ثلاث مرات " لا طائر " [1]، وذكروا أنه صلّى الله عليه وسلّم قال " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر"[2] وقد أورد بعضهم تتمة الحديث الشريف " لا عدوى ولا هامة ولا طيرة، وأحب الفال الصالح " [3] يكشف الحديث الشريف أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم قد أقر الفأل الحسن، وشجع على التفاؤل، وأبطل الطيرة ونهى عنها لأنها تحد من فعالية الفرد، وتحول بينه وبين مواصلة عمله الجاد، أما إقرار الفأل فيعني إقرار كل ما من شأنه أن يحث على الجد والمثابرة والمضي قدما.

جـ. التطير والفأل في ميراثنا الشعبي:

إن تتبع هاتين الظاهرتين (التطير والفأل) من خلال بعض نصوص زمن دراستنا، يساعد على تحليل بعض الظواهر الاجتماعية، والكشف عن أسباب سلوكات، ومعتقدات شعبية معينة، وبالتالي إدراك الذهنية السائدة آنذاك، لكننا لم نقف عليهما كموضوع متكامل في مؤلف من المؤلفات التاريخية والفقهية أو الأدبية في المغرب والأندلس،بل جمعنا الشذرات من هنا وهناك لتتضح الصورة أكثر، وتقصينا النشاط النسوي اجتماعيا واقتصاديا لكشف النقاب عن مدى مساهمة هذا العنصر في الحفاظ على هاتين الظاهرتين باعتباره الملقن الأساسي للقيم الاجتماعية للنشء ـ ذكورا كانوا أم إناثا ـ وباعتباره الذاكرة المرجعية للعادات والتقاليد الشعبية.

ـ التفـــاؤل والممارسات الاحتفالية:

ما يتعلق بالأعراس : التفاؤل ببعض المواد والأدوات

.

* **الحنـــاء**: كان من الضروري أن تضعها العروس على رئسها عند ذهابها على الحمام

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل: **مسند الإمام أحمد**،تح، أحمد محمد شاكر، دار المعارف،ة مصر، ج٢، ص ٣٨٧.

(٢) نفسه ،ج٢، ص ٣٨٧،

(٣) مسلم : **صحيح مسلم**، ج٦، ص ٦٥.

الذي يسبق الدخلة، وأن تخضب يديها ورجليها قبل أن تزف إلى زوجها [١] كما كانت تخضب بها كذلك يد العريس [٢].

ـ في منطقة الغرب هودج العروسة يوضع فوق ظهر فحل الخيل ليكون أول مولود للعروسين ذكر[٣].

* **الخبـز والمفـاتيح** :ذلك أن العروس عندما تصل إلى عتبة بيت الزوجية تقدم لها الماشطات " النكافات " خبزتين تضعهما تحت إبطها، ومجموعة من المفاتيح، فالخبز ربما لتكون مصدر رزق ! أما المفاتيح فربما لتكون الزوجة مفتاح خير على زوجها.

* **الحليب والبيض** : تقدم الحامة الحليب والتمر للعروس قبل دخول بيت الزوج حتى تسعد حياتهما معا [٤].

* **العجين** : تقوم العروسة بعد سبعة أيام بعجن الخبز حتى تصبح أيامها كلها خيرا وبركة عليهما[٥].

ـ التفـــاؤل ببعض الحيوانات:

* **الحمـام** : لقد شغف الكثيرون من الناس قديما وحديثا [٦] بتربية الحمام، لأن رؤيتها توحي بالأنس والألفة، وسجعها يثير العواطف المرهفة، ويفجر الأحاسيس الكامنة، لذا تفاءلوا بالنظر إليها، وطربوا لسماع هديلها، وشاطرها الشعراء والنظامون أفراحها وأحزانها، واستعملوها للتعبير عن الحسن والحرية، وتفاءلوا بها للقاء الأحبة .

-

---

(١) ينظر فصل التزوق في رسالتنا .

(٢) ابن الحاج: **المدخل** ، ج١، ص ١٨٦

(٣) **هسبريس** ، ١٩٢١، عدد١، ص ٤١.

(٤) حسب الرواية الشفوية في دول المغرب العربي.

(٥) حسب الرواية الشفوية في دول المغرب العربي.

(٦) لوطورنو : **فاس قبل الحماية** ، ج٢، ص، ٧٤٥، ما كانت هذه الظاهرة لتبرز في يومنا هذا إذا لم تكن قد استمرت من العهود القديمة إلى زمن دراستنا، وإلى عصرنا هذا، إذا مازلنا نرى بعض الأسر المغربية تربيها فوق السطوح.

* **السمـك** : في اليوم السابع من الزفاف، تهيء العروس طبق السمك لأنه " يجلب حسن الحظ" [١].

ـ التفـــاؤل بنيـران عاشـــوراء:

كانت أغلب الأسر المغربية تتفاءل خيرا بنيران عاشوراء، لذا كانت حريصة على إشعالها سواء خارج البيوت ـ بالنسبة للبوادي ـ [٢]أو في الأزقة أو فوق السطوح بالنسبة للمدن[٣]، ومن الممارسات النسوية التفاؤلية في هذه المناسبة: تسخين الماء على نيران عاشوراء، والاغتسال به، للحفاظ على جمال البشرة [٤].

ـ التفاؤل والممارسات اليومية: تعددت الممارسات اليومية التي استوحت منها النساء مظاهر التفاؤل أو التطير نذكر منها:

* من عملية فتح جزة الصوف أول مرة، تستنبط الفتيات والنساء مصيرهن المجهول، ويتفاءلن أو يتطرين من الهيئة التي تكون عليها عند فتحها، ومن طوب التراب المتواجد بها أو من الأوساخ العالقة بها، أو من تحركاتها عند وضعها في الماء [٥].

ـ التطير[٦] في الممارسات الاحتفالية :

* زواج فردين أو أكثر من نفس العائلة في يوم واحد، أو في أيام متقاربة، يؤدي على موت إحدى العروسين، ويقال:" عروس تنطح عروس"، لذا يستحسن أن يكون الزواج متباعدا قدر الإمكان.

* تكسير الأواني الخزفية المتسخة بسواد الدخان يوم الزفاف، دليل على فشل هذا الزواج.

---

(١) لوطورنو : **فاس قبل الحماية** ،تر،محمد حجي،ومحمد الأخضر،ط١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٢، ص ٧٤٩.

(٢) أما إشعال نيران عاشوراء في محطبة كبيرة يحضرها أغلب سكان الدوار، أو في محطبات صغيرة بالقرب من أبواب المنازل ، **هسبريس** ١٩٢١، عدد١، ص ٥.

(٣) أما في المدن فكان الأطفال يوقدونها في الأزقة ، بينما النساء كن يوقدنها فوق السطوح ، لوطورنو :م س ، ج٢، ص ٨٥٥.

(٤) **هسبريس** ، ١٩٢١، ع١، ص ٧.

(٥) نفسه ، ص ١٤١.

(٦) حسب الرواية الشفوية .

* تكسير آنية حناء العروس أثناء الاختضاب يتسبب في عقمها.

. **التطير والممارسات اليوميـة :**

* من عطست خلال عملية تسدية القماش يعتقد أن ذلك يؤدي علـى مـوت الصانعة أو أحد أقاربها [١].

* عنـد إفـراغ السـدي لحياكـة قمـاش مـا، يتطيـر مـن انتمـاء العـاملتين المتنـاوبتين علـى ذلـك إلـى نفس الأسـرة أو العائلـة إذ يعتقد أن ذلـك يجلـب لهمـا التعاسة [٢].

يتضح من خلال ما ذكر أن بعض النساء في المغرب الإسلامي كن فعلا خارج المسار الصحيح وذلك لقلة وعيهن، وعدم تعلمهن، وتشبثهن بمـا ورثنـه عن جداتهن وأمهاتهن من موروث يمت للجاهلية بصلة وطيدة وعلى الرغم من ذلك نعتقد أن ضرب الحصار عليهن إجحـاف فـي حقهن، فقعودهن فـي بيوتهن لم يخرجن من مهلهن، ولم يبعدهن علـى ارتكـاب المنـاكر، فكـان حـري بمعشـر العلماء، والفقهاء، والرجال عامة، أن يفسحوا المجال لتعليم المرأة، وأن يؤكـدوا ويحثوا على ذلك، فالحياة الرتيبـة بـين جدران البيت أمر خطير، ليس فحسـب علـى حيـاة المرأة وحدها ! بـل علـى أسـرتها، ومجتمعهـا بأكملـه، فتصـبح معـه كالسائمة لا تملك من أمرها شيئا، وتبحث عن تعويض حرمانهـا مـن الخـروج والمشـاركة فـي الحيـاة العامـة بشـتى الوسـائل الانتقاميـة، فيكثـر كيـدها ويتسـع حرقها للشريعة الإسلامية .

---

(١) **هسبريس** ١٩٢١،ع١، ص ١٤٩.

(٢) نفســه، ص ١٤٩.

ـ خاتمة الباب الثالث :

ومن الخلاصات التي وقفت عليها مباحث الدراسة هي تقديم صورة المرأة بالمغرب الإسلامي مهما كان مستواها الاجتماعي، بحيث أنها لم تكن تعيش بعيدة عن الحياة العامة، بل كانت لها إسهامات وأنشطة في أعمال البرّ والإحسان ذات النفع العام، كبناء المساجد والمدارس، وحبس أموالها للمحتاجين والفقراء في المجتمعات.

كما حظيت نساء المغرب الإسلامي بألقاب متنوعة حسب مكانتها فيء المجتمع، وقد لاحظت أن هذه الألقاب تتماشى والوظيفة أو حسب انتمائها إلى الطبقة الحاكمة أو إلى العالمة، وهي تتشابه إلى حدّ كبير بما في المشرق الإسلامي .

وتمتعت المرأة في المجتمعات المغربية دينيا واجتماعيا بحقها في اختيار الزوج وحقها في إنهاء الحياة الزوجية وحقها في الزواج مرة أخرى ولكن بصورة متفاوتة بين المدينة والحاضرة .

ومن الأنشطة التي كانت تمارسها المرأة بالمغرب الإسلامي الفلاحة والزرع، كما استطاعت أن تضفي على أعمالها الحرفية المنزلية طابعًا فنيًا مميزًا بالإضافة على المهارة في الصناعة تمكنت من مضاعفة وظائف منتوجها التي أصبحت تكتسي طابعًا اجتماعيًا وثقافيًا وجماليًا مع الوظيفة المنفعية الأساسية التي تنسجم عادة مع بساطة الشكل والمهام من ناحية والزخرفة الذي يوشيها من ناحية ثانية.

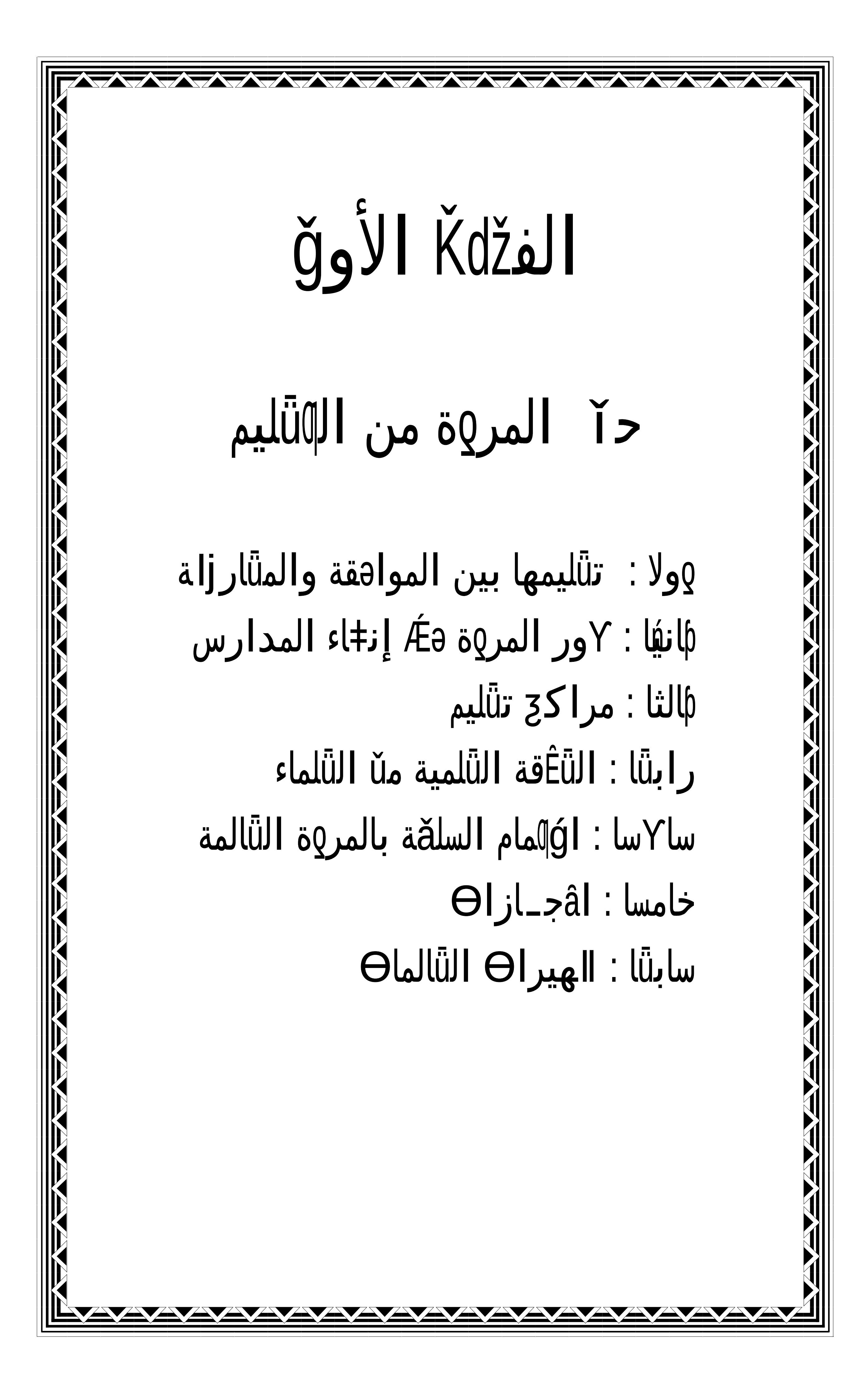
كذلك امتازت المرأة المغربية بحرصها الشديد على التمسك بالتقاليد والمعتقدات التي توارثتها الحفيدات عن الجدات جيلا بعد جيل ، ومن أشهر عاداتها العريقة المشهورة بالتويزة، بحيث ظلت كثر الأيدي على الطعام تقليدا معمول به في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي، كما بقيت عادة أكل الكسكسي التي تقدمه النسوة ظاهرة اجتماعية مميزة في المغرب الإسلامي .

وحرص النساء المغربيات على العادات والتقاليد العريقة، هو الذي حفظ لنا التراث المغربي الأصيل، سواء في الأفراح والأقراح ولمدة طويلة، بل ولازال إلى يومنا هذا .



الباƙ الرابŬ

المرϘة Æə الʅياة الثقاəية



الفǨdž الأوǧ

حǓ المرǪة من الǪǙليم

Ǫولا : تǙليمها بين المواǝقة والمǙارزاة

ǫانيًا : ǋور المرǪة ǝǼ إنǂاء المدارس

ǫالثا : مراكǮ تǙليم

رابǙا : الǙǲقة الǙلمية مǸ الǙلماء

ساǋسا : اǧǪمام السلǚة بالمرǪة الǙالمة

خامسا : اâجـازاƟ

سابǙا : اهيراƟ الǙالماƟ

تمهيـد :

امتازت الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع باهتمامها بالعلم،وحثها على تعلمه وتعليمه،فكانت أول آيات القرآن الكريم نزولا،داعية إلى العلم والتعلم في وقت كان العرب أقل الناس معرفة وعلما ،قال تعالى:"اقرأ باسم ربك الذي خلق ،خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم"(١).فكانت هذه الآيات إيذانا بنشر العلم بين الناس،وإخراجهم من الظلمات الجهل الذي كانوا فيه.

وجعل الإسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكرا كان أم أنثى،قال صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم(٢)"،وأباح لها أن تعمل في كل عمل تستطيعه،مادامت لا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية.

أولاً - تعليمها بين الموافقة والمعارضة :

الإسلام يدعو إلى العلم والمعرفة،وهو يحث الناس ويرغبهم في طلبه والخروج من الجهل إلى المعرفة،ومن الظلام إلى النور، بل إن الله أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بالقراءة،وبيان أهمية العلم،حيث قال تعالى: "اقرأ باسم ربّك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربّك الأكرم،الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم"، ففي هذه الآيات دعوة للقراءة،وإشارة إلى أهمية تعلم الكتابة،وتحصيل العلم،فإن ذلك من فضل الله ونعمته على الإنسان هذا العلم لا يتضمن استثناء لجنس من الجنسين [الذكر والأنثى] فكان للرجل والمرأة على حد السواء،بل للنساء في الإسلام حظ وافر في التعلم و التعليم كالرجال،وكل ما يحصل للرجل العالم من أجر و ثواب فهو حاصل للمرأة العالمة أيضا، قال تعالى:"ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون نقيرًا (٣) "، هذا الحديث وإن لم يصرح فيه بكلمة مسلمة ولكنها داخلة فيه،لأن حكم الشرع للرجل المسلم يشمل المرأة أيضا إلا بمخصص، ولا خلاف أنه إذا اجتمع النساء والرجال في حكم ورد الخطاب مذكرا على طريقة التغليب (٤).

----

(١)الآيات:١، ٢، ٣، ٤، ٥، من **سورة العلق.**

(٢) ابن ماجه:**سنن ابن ماجه**،المقدمة ،ص١٣٤،تح،محمد مصطفى الاعظمى، ط ١، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م، المملكة العربية السعودية، ج١، ص ٤٦، حديث ١٩٦.

(٣) الآية ١٢٤ **من سورة النّساء** .

(٤) حافظ محمد أنور: **ولاية المرأة في الفقه الإسلامي**، دار بلنسية و التوزيع ١٤٢٠هـ،الرياض، ص٥١٩.

وممّا يؤكد شمول هذا الحكم للمرأة ما ورد من حث الرجل على تعليم المرأة حتى ولو كانت أمة، ومطالبتها بتخصيص وقت تتعلم فيه ومشاركتها الفعلية في التعلم، بل منافستها فيه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "أيّما رجلٍ كانت عنده وَلِيدَة فعَلّمها فأحسن تعليمها،وأدّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوّجها فله أجران " [1] وقال ابن حجر في الشرح:" إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله ،وسنن رسوله أكد من الاعتناء بالإماء "[2].

ثم هاهي السيدة عائشة (رضي الله عنها) تعتبر حجّة في الدين الإسلامي وكان يؤخذ عنها الكثير من أمور الدين، حتى روي أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرجعون إليها فيما أشكل عليهم من المسائل، فتفتيهم لقوله صلّى الله عليه وسلّم:**"خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء"**،وروت الأحاديث الكثيرة، وكانت عالمة بالعلوم اللغوية والشرعية والنسب والفرائض والطب وغيرها[3].

وأم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها روت عن رسول الله وعن أبيها، وقد روى الإمام أبو داود في سننه عن الشفاء بنت عبد الله العدوية أنها قالت:" دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأنا عند حفصة فقال لي: " ألا تُعلمين هذه رقية النملة كما علمتِها الكتابة "[4]. لهذا تقدمت النساء إلى تحصيل العلم من العصر الأول واستطاعت بعضهن النساء أن تصلن إلى مكانة لا تقل عن مكانة العلماء خلال العصر الوسيط.

وإذا بلغت الكثير من النساء في المشرق المنزلة العالية الرفيعة فكان منهن مدرسات لفقهاء وعلماء وأدباء كبار أمثال الإمام الشافعي،وأبو حيان التوحيدي،وابن خلكان ، وابن عساكر، وكن المؤشر لما تمتاز به التربية الإسلامية من حرية في التعليم[5]،وعلى الرغم من هذه المكانة العلمية

----

(١) البخاري: **صحيح الإمام البخاري**، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، القاهرة،ص١٢٤، رقم الحديث٥٠٨٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، رقم كتبه و أبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، صححه محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب راجعه، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص٢٢٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تح، علي أحمد البخاري، دار النهضة، مصر، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٨، ص٣٠.

(٤) ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد**، ج١، ص ٢١٢.

(٥) إسكان الحسين:**جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من القرن ٧هـ ـ ١٣م/٩هـ ـ ١٥م**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، الرباط، ١٩٨٨، ص ص١٢،١١.

التي بلغتها المرأة في المشرق فإن السؤال الذي يطرح أمامنا بالنسبة للمرأة المغربية هو، ما واقع تعليم المرأة في المغرب الإسلامي خلال القرون الأربعة من السادس إلى غاية التاسع الهجري/ الثاني عشر إلى الخامس عشر الميلادي ؟.

وبخصوص هذه المسألة فقد شهد المغرب الإسلامي تضارب الفقهاء في مسألة حق المرأة في التعليم، وانقسمت آراءهم إلى قسمين:

- رأي يقول بتعليم المرأة المسلمة، وهو رأي يستمد من أحاديث نبوية تشجع على تعليم المرأة منها: عن أبي سعيد الحذري: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلّم :" غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظعهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن:" ما منكنّ امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النّار"، فقالت امرأة، واثنين؟ فقال:" واثنين "[١].

ولما ظهر مهدي الموحدين، كان يحرص على تقليد الرسول صلى الله عليه وسلّم فقد كان ابن تومرت عالما في الحديث، مطلعا على حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم في أدق تفاصيلها، ويشهد على ذلك النص التالي، المقتبس من رسالة كتبها إلى جماعة الموحدين يقول : " أعزما يطلب وأفضل ما يكتسب،وأنفس ما يذخر،وأحسن ما عمل، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير هو أعز المطالب،وأفضل المكاسب، وأنفس الذخائر،وأحسن الأعمال[٢].

لقد أقبلت النساء على التعليم بنفس حماس إقبال الرجال لأنه واجب ديني عند الموحدين،خاصة وأن مبادئ نظرية ابن تومرت التعليمية هي:"باب العلم مفتوح لسائر العباد"[٣]، وثانيا، أن لغة التعليم لم تقتصر على اللغة العربية، وإنما كان ابن تومرت يلجأ إلى استعمال اللغة البربرية في خطبه ووعظه وإرشاده، فقد أخبرنا ابن القطان "أن ما دبّرهم به أنه ألف لهم كتاب التوحيد باللسان البربري، وهو سبعة أحزاب"[٤]، ممّا سهل للناس القراءة والكتابة خصوصا نساء العامة اللواتي تتكلمن باللغة المحلية البربرية، حتى لا تصبح "اللغة" عائقا أمامهن، ولغيرهن، فتح أبن تومرت فرصة التعليم لكافة الناس في البوادي والحواضر.

---

(١) البخاري:م س، ص ٢٥٤ حديث رقم١٠١.

(٢) ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، تح، لوسياني، الجزائر، ١٩٠٣، ص١٦، عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، ق٢، **عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى** ، ط٢، ١٩٩٠،ص ص٦٤٦،٦٥٤.

(٣) ابن القطان: **نظم الجمان**، ص١٢٨.

(٤) نفسه، ص٨١.

ثم واصل الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي تشجيع الحركة العلمية، بل وأقر إجبارية التعليم، ويقوم هذا المنهاج على أنه يجب على كل من انضوى تحت راية الموحدين أن يتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة [١]، وعممه على سائر الأمة رجالا ونساء، وتوضح لنا هذا الأمر إحدى رسائل الموحدية مفادها:" ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة التي أولها: " اعلم أرشدنا الله وإياك" واحفظها وتفهمها ، وأشمل في هذا الإلزام الرجال والنساء، والأحرار والعبيد".

وكان عبد المؤمن يهدف من هذا الالتزام في التعليم تعميم تعلم العقيدة الجديدة عقيدة التوحيد لابن تومرت ، ويظهر هذا فيما ذكره كاتبه على لسانه قائلا:" وكل من يوجد عليه التكليف، إذ لا يتضح لهم عمل، ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد، فمن لم يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل ولا بالمراسلة "[٢].

حتى تكون المنفعة عامة، رخص عبد المؤمن لمن يفهم اللسان البربري دون العربي أن يقرأ بلسانهم عقيدة ابن تومرت البربرية وتعرف بـ " التوحيد " ، أما الذين يفهمون العربية يقرءون عقيدة ابن تومرت العربية وتعرف بـ" المرشدة " ، وأكد على الجميع في حفظ ذلك وتدبره[٣].

وأشرف عبد المؤمن على متابعة هذا النوع من التعليم الإجباري بمراكش وناحيتها،وكاتب إلى ولاة العمالات الأخرى وأمرهم بأن تحتذي قدوه، وتقوم بدورها بتطبيق هذا المنهاج [٤]، وكان أيضا يؤمن بضرورة تعليم المرأة عملا بالأحاديث النبوية التي تشجع على تعليم المرأة، حينها بدأ ينشر عقيدة ابن تومرت بين الرجال والنساء دون تفرقة فكانت دعوته شاملة، ثم ها هي السيدة " خيرونة الأندلسية " التي كان لها دور هام في تعليم النساء أصول الدين، وربما لها يد في نشر التوحيد على المذهب الأشعري بين نساء أهل فاس أسوة بأستاذها[٥].

وكانت بنات الأمراء القدوة الصالحة لبنات الشعب في الإقبال على العلم والأدب، فقد درست

(١)مجهول: **مجموع رسائل موحدية** ، ج١٠، ص١٣٢.

(٢) نفسه ،ج١٠، ص١٣٢.

(٣) محمد المنوني:**العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**،دار المغرب،الرباط،١٩٧٧، ص٢٧.

(٤) نفسه، ص٢٨.

(٥) عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج١، ص٣٥٣.

"زينب حفيدة عبد المؤمن"،علم الكلام على أبي عبد الله بن إبراهيم، فكانت عالمة صائبة الرأي[١]، وأنموذجا يُقتدى به من نساء عصره .

ـ الرأي الثاني بتعليم القرآن الكريم والدين الإسلامي ليس غير، وينهي عن تعليمها الكتابة والشعر، فحين نتبع خطوات تعليم المرأة بعد سقوط دولة الموحدين في أقطار المغرب الإسلامي نجدها تتراجع عند نساء العامة، إلا في حالات نادرة، خاصة بعد أن تصبح البنت في سن البلوغ، فقد كانت تدرس في الكتاب، مع الصبيان القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة وبعض المتون [٢]، ويفيدنا الأستاذ عبد العزيز فيلالي أن:"أهل تلمسان يسمحون لها بالتعليم في الكتاتيب والمدارس، فكانت تحفظ أهم الكتب التي يحفظها المتعلمون، حتى سن معينة بعدها تتحمل مسؤولية البيت والإنجاب وتربية الأطفال"[٣]، في حين اقتصر التعليم عند البنات التلمسانيات اللواتي ينتمين إلى فئة الحكام والفقهاء وبعض البيوتات المشهورة بالعلم والفقه والآداب[٤]، كما سيأتي ذكرهن لاحقا.

وقد تضاربت آراء الفقهاء المالكية على مجموعة من المسائل التي كانت تخص المرأة في المغرب الإسلامي،وما ارتبط بواقعها من عادات وأعراف،منها ما كان مقبولا ومنها ما كان مرفوضا بإجماع فقهاء العصر،ومنها ما أثار جدل الاختلاف بينهم،وأبرزت لنا نوع العلاقة الاجتماعية والفكرية التي كانت سائدة آنذاك بين الرجل والمرأة، التي تمثلت في علاقة سيد (رجل) ومسود (امرأة).

واعتبر ابن عرفة (٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م) النساء أنهن:" محمولات على السفه "[٥]، ورأى البرزلي (٨٤١ هـ/١٤٣٧م) أن أهل هذا العصر تقاصروا عن "حال من مضى تقاصرا لا يخفى على عاقل"، وكان متشدد مع المرأة الحفصية، وظل ينادي بمنع المرأة من الخروج لشراء حاجاتها بأنفسها حجبها في البيت، ومنعها من ممارسة حقها في التعليم، وأفتى ابن عرفة بمنع خروج النساء

---

(١)ابن تومرت:**أعز ما يطلب** ،ص١٨.

(٢) ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، ص٥٣٨.

(٣) عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، ج٢، ص٣٥٥.

(٤) ابن قنفذ: **أنس الفقير وعز الحقير** ، ص٤٥.

(٥) البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**،ج١، ص١٠٨٣.

لمجالس العلم والذكر والوعظ، وإن كن منعزلات عن الرجال " لأن طيبهن يحرك القلوب" على حد قوله [١].

ويرجع الآبي ذلك إلى أن المرأة فتنة، أي تفتن الألباب، وفي العقول بكثرة زينتها وطيبها وارتدائها بالملاحف والأكسية المليحة، بل ذهب من بعده إلى منعها من الخروج للتعلم، أو الصلاة بحجة أنها تخرج للنزهة، خاصة إذا كانت المرأة جميلة " تسرع إليها العيون "، وقد يحتال عليها من " يقدر على الصبر " وتقع الفتنة وربما أدى ذلك إلى سفك الدماء، لذا نادى الأبي بمكوث المرأة في بيتها[٢].

ولم يكن حال المرأة التلمسانية بأحسن من غيرها، ولكن صمت المصادر، وإهمال بعضها الآخر بأمورها هو السائد مع الأسف، فقد أشار المازوني (ت٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م) إلى نازلة وقعت لدى رجل من طلبة العلم تزوج امرأة فوجدها عالمة، ويبدو أن هناك من الرجال من كان يحب الزواج بامرأة على دينها قدوة بسنة الرسول[٣]، وذكر ابن قنفذ (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م) " بالمرأة المتصوفة الصالحة، العالمة، المعروفة بالمؤمنة التلمسانية، ومجالستها كبار الفقهاء ومناقشتهم في المسائل الفقهية، مثل قاضي الجماعة المقري،وأبي العباس الشريف التلمساني،ممّا يدل على أن هؤلاء الفقهاء التلمسانيين كانوا لا يمانعون في تعليم النساء والاستماع لهن في أمور العلم والمعرفة[٤].

أما موقف ابن الحاج (ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م) عن تعليم المرأة في مدخله، تطالعه نظرة فقهية متشبعة بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف لحد التشدد، نظرة رجل شديد الغيرة على المرأة لدرجة التعصب، فنغمة الشك والاحتقار والحذر والحيطة وتبرز جلية عند حديثه عنها[٥]،ومما أثار انتباهنا:

- إنه لم يوجه خطابه إلى المرأة مباشرة، بل وجهه إلى زوجها بصفة خاصة، أو إلى الرجل

---

(١) البرزلي:م س، ج١، ص١٢٨٣.
(٢) الآبي: **إكمال الإكمال**،ج١،ص ص١٨٧، ١٨٨، ج٢، ص٣٧.
(٣) المازوني: **الدّرر المكنونة في نوازل مازونة**، ج٢، ص٤٩٨.
(٤) ابن قنفذ: م، س ، ص٨١.
(٥) ابن الحاج: **المدخل** ، ج١، ص٢.

العالم والفقيه بصفة عامة، ونعتقد أن ذلك يعود إلى: إيمانه القوي بأن الرجل مسؤول عن ابنته وزوجته وأخته، والعالم والفقيه مسؤولان عن المجتمع كله، مستندا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم " كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته "(١)، واستشهد على ذلك بما أمر به أحد الفقهاء زوجته حيث لا تتحرك، ولا تتكلم بكلمة في غيبته حتى تعرضها عليه حين عودته إلى البيت لأنه مسؤول عن تصرفاته وتصرفاتها، وعن صلاته وصلاتها (٢)، أو لأن ابن الحاج كان مقنعا أتم الاقتناع أن المرأة لن تفهمه، ولن تستوعب كلامه مستغلا الحديث الشريف " ناقصات دين و عقل "، وأنها تتسم بقلة السؤال وقلة التعلم، أو ربما لكونه رجلا يخاطب رجالا في مجتمع رجولي.

ـ إنه انتقى من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومن مواقف أصحابه، ومن آراء بعض العلماء ما يؤكد آراءه حتى يضفى عليها صبغة المشروعية، ويتمكن من إقناع مخاطبيه.

وابن الحاج كان عادلا في حق المرأة، يطلب معشر الرجال أن ينصفوا المرأة، فقد طلب من الزوج أن يعلم زوجته وأبناءه (الإناث والذكور) وإماءه شؤون دينهم بصفة خاصة(٣) .

وها هو الونشريسي (٩١٤هـ/١٥٠٨م) ينظم إلى صف ابن الحاج الفاسي، يلزم الأزواج، تبعا لمسؤولياتهم الدينية بأن يرشدوا زوجاتهم وبناتهم ويعلمهن مبادئ العقيدة السليمة، ففي نظر الونشريسي ليست جميع النساء حاصلات على مستوى علمي يؤهلهن على معرفة دينهن، أي أن نساء من هذه المجتمعات لم تتح لهن فرصة التعلم المنشود.

ونذكر نموذجا من نوازل الونشريسي حول مسألة " الخلاف الفكري والمذهبي بن الزوجين "وقع خلاف بين زوجين من نوع دقيق يتصل بالأفكار والمعتقدات الدينية، فالأصل أن يكون هناك انسجام فكري وعقد بين طرفي العقد، لأن حفظ النسل، ممثلا في الزواج مثلا لا ينبغي له أن يضر بمقصد آخر وهو حفظ الدين، فينشأ الأبناء نشأة دينية وفكرية مضطربة، وقد تؤثر الزوجة أو الزوج، باعتقاده الفاسد في فكر زوجته(٤)، فيدخلها، بسبب ذلك، فساد عظيم في عاجل حياتها وآجلها،وتجنبا لذلك، فقد أفتى الفقهاء في تلك النوازل من شأنه أن يرفع حالة التناحر

---

(١) ابن الحاج:م،س،ج١، ص٢١٠.

(٢) نفسه، ج١، ص٢١٠.

(٣) نفسه ، ص ص٢١٢، ٢١٥.

(٤) الونشريسي: **المعيار** ، ج٣، ص٢٧٦.

الديني والفكري بين الزوجين، ويعيد الاستقرار إليهما.
وقد سئل الشيخ أبو عبد الله بن مرزوق[٣] عن فتوى " أفتى بها رجل ممن تصدى للإفتاء، وهي أنه يجب على كل من له زوجة أن يسألها عن عقدتها، فإن وجدها معتقدة ما يستحيل في حقه تعالى، كالجهة مثلا، فإنه يحق عليه أن يفارقها، لأنها مشركة "[٤]، وكان السؤال حول كيفية التعامل مع هذه الفتوى، أيكون الحكم بها أم لا ؟ فأجاب:" هي إحدى الطوام، فمهما فتح هذا الباب على العوام، اختل النظام، فلا تحرك على العوام العقائد، وليكتف بالشهادتين كما قال الإمام أبو حامد، وبهذا جاءت الأحاديث الصحاح.
فالعوام ليسوا مالكين لزمام الآراء الفكرية،وهم غير قادرين لاعتبارات معرفية ونفسية على الغوص في بواطن العقائد والأفكار،ومن ثم فإن إرغامهم على الخوض في هذا المجال إنما هو إحداث لفتنة يكون أثرها على الدين السلبي إلى أبعد الحدود، والنازلة دون أن تصرح بذلك تلفت نظر الدارس إلى الحالة الفكرية لنساء المغرب الإسلامي، فليست جميع النساء حاصلات على مستوى علمي يؤهلهن للإجابة على اختبار أزواجهن لهن في موضوع العقيدة، بل إن بعضهن لا يدركن إلا الشهادتين وليس لهن علم أولي بالعموميات ، فضلا عن خواص الفكر والعقائد،أي أن نساء العامة لم تحض بنصيب من العلم والمعرفة، وما دام الأمر على هذه الحال، فالأصل أن يتعامل مع نساء المسلمين بحسب ظاهرهن، وهذا ما أفتى به العبدوسي في نازلة أخرى تتصل باختيار زوج لزوجته في عقيدتها.
لقد أجاب الونشريسي بحزم قاطع لدابر الفتنة بقوله:" تحمل النساء المسلمات على ظاهرهن من صحة إسلامهن وعقائدهن،وكل أسرارهن إلى الله سبحانه،غير أنه إذ غلب ظنه فساد في عقيدتها، فإنه يباحثها في ذلك، ويجب تعليمها ما جهلت من ذلك[١].
والجديد في هذه الفتوى أن الفقيه يضع الزوج إزاء مسؤولياته في تربية الزوجة وإرشادها وتعليمها،وبهذا تكتسب المرأة بالمغرب الإسلامي حقا جديدا،وهو أن لها حقا على زوجها أن يعلمها أو يوفر لها أسباب التعليم.

---

(١)الونشريسي: م س، ج٣، ص٨٧.
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد المتوفى سنة (٨٤٢ هـ/١٤٣٨ م)، لقب برئيس علماء المغرب ،ينظر ، عبد الشكور نبيلة : م س، ص١٤٥.
(٣) الونشريسي ،م س، ج٣، ص ٨٨ .

إضافة إلى ذلك، فالعبدوسي يحمل العلماء قسطا من المسؤولية في الموضوع، حيث يقول:"وكان بعض الفقهاء المقتدى بهم يأمر شهود عقد النكاح باختبار عقيدة المرأة عند إرادة العقد عليها لغلبة الفساد على عقائدهن، فكانوا يفعلون ذلك، فهدى الله بذلك أمة عظيمة منهن إلى عقائد الحق، وسأضع، إن شاء الله تعالى، تأليفا مختصرا فيما لابد للعامة من اعتقاده بعبارة بسيطة وأدلة عقلية ونقلية تدركها عقولهم وبالله سبحانه التوفيق "(١)، ان الاختبار الذي أشار إليه العبدوسي من قبل العلماء إنما هو اختبار تربوي، الغاية منه لفت النساء إلى وجوب تعلم عقيدة التوحيد من العلماء، وليست الغاية إخراجهن من دين الله ووصفهن بالكفر والشرك، والدليل على ذلك أن نتائج الاختبار التربوي كانت إيجابية، إذ هدى الله على أيديهم أمة عظيمة من الفساد.

والراجح أن العبدوسي كان مشغول البال بقضية عقيدة النساء بعدما شاهد في محيطه إهمال من قبل الرجال أو تصلّب في اختبار نسائهم في المعتقدات، لذلك فقد قرر أن يكتب مؤلفا يبسط فيه عقيدة التوحيد (٢)، ثم إنه بين أنواع فساد العقيدة إلى تشبّث به البعض، واتخذه ذريعة إلى مفارقة زوجته، فقد سئل في نازلة أخرى مشابهة، فأجاب:" فساد العقيدة على ثلاثة أوجه: منه ما هو كفر بإجماع، ومنه ما هو بدعة فسق معتقده ولا يكفر، ومنه ما هو مختلف فيه هل هو كفر أم لا ؟، فأما ما هو كفر بإجماع، فحكم معتقده حكم المجوسية لا يجوز نكاحها ابتداء، ومن نكحها ولم يعرف بذلك ثم عرف به وجب فراقها، والفراق فسخ بغير طلاق، وثبت لك إما ببينة علمت ذلك منها حالة العقد عليها، أو بإقرار منها بذلك على نفسها وتصديق زوجها لها، وأما إذا لم يصدقها فلا يقبل قولها، لأنها تتهم أن تكون أرادت فراقه بدعواها ذلك، لكن يستحب له أن يفارقها تنزها وتورعا وتوقيا للشبهات، وما ليس بكفر بإجماع،فلا يجب عليه فراقها، ويجب عليه إرشادها وتعليمها ما تصلح به عقيدتها، إن لم يكن هنالك من يكفيه ذلك من ذي محرم منها أو غيره، وما هو مختلف فيه هل هو كفر أم لا؟ فينظر فيه إلى الزوجين،فإن اتفقا على القول بعدم التفكير جاز لهما البقاء على الزوجية، وإن أخذ بالقول بالتكفير ،وجب عليهما الفراق، وكذلك إن أخذ به الزوج خاصة وجب الفراق لأن حل العصمة

---

(١)الونشريسي:م،س ج٣، ص٨٨.
(٢)نفسه، ج٢،ص ٢٣٦ .

بيده ، وإن أخذ الزوج بالقول بعدم التكفير وأخت المرأة بالقول بالتكفير، فالقاضي برفع الخلاف بينهما، فإن حكم بالتكفير أوجب الفراق، وإن حكم بعدهم ألزم المرأة البقاء معه وحكمه يرفعه الخلاف"[١].

والشاهد عندنا، في هذه النازلة، أن ضعف معرفة المرأة بعقيدتها ودينها أمر ملحوظ في قطاع كبير من نساء المغرب الإسلامي، ثم إن الفقهاء ألزموا الزوج، تبعا لمسؤولياته الدينية، بأن يرشد زوجته ويعلمها مبادئ العقيدة السليمة، بالإضافة إلى ذلك، فقد رجحت الفتوى قول الزوج فيما هو مختلف فيه، لأنه ما دام ينظر إلى المسألة بأنها ليست بكفر، فهو في غنى عن أن يختبر زوجته ، أو يقيم عليها الحجة ليتخذ ذلك مطية إلى الذهاب إلى فراقها، وفي هذا المنهج بعد آخر من أبعاد الحقوق التي حفظها الفقه للمرأة ، فهو يبحث دائما،عن السبل التي تبقى على تلاحم العلاقة القوية بين الزوجين، ويدرأ بواترها بالشبهات، ولا يشجع على النبش في المعتقدات، كما أنه لا يحرض الزوج على اتخاذ سلطة الزوجية ذريعة لامتحان أفكار زوجته وعقائدها، وإنما الأسلم أن تؤخذ الزوجة بظاهر إسلامها، مع إبقاء بادرة تغيير المنكر بيده عبر وسائل الإرشاد والتوجيه.

---

(١) الونشريسي:م س، ج٣، ص ٨٨.

ثانيًا ـ دور المرأة في إنشاء المدارس:

أسهمت بعض الأميرات المغربيات وزوجات أعيان البلاد وبناتهم في انفاق الأموال الكثيرة على الوقوف الخيرية ، وحبسها لمشاريع خيرية اجتماعية وثقافية، حيث أوقفن الحبوس على المدارس والربط والمستشفيات والمساجد ، ورغم أنهن قمن بتأسيس المدارس غيرأن المصادر التاريخية لم تحدثنا عن أدوارهن في هذا المجال بصورة كبيرة ، نكتفي بالإشارة المحدودة والصورة المتناثرة هنا وهناك، وإننا متيقنين أنها شاركت بكل ما تملكه، إيمانا بها من منطلق ديني إسلامي،واقتداءً بغيرها من الأميرات في المشرق الإسلامي، نذكر أنموذجين على سبيل المثال لا الحصر:

ـ **المدرسة التوفيقية(الهواء):** اتخذت المدرسة اسمها من المكان الذي تقع فيه، والذي يطلق عليه "التوفيق"، وتعرف أيضا باسم مدرسة "الهواء"، وربما أطلق عليها هذا الاسم نتيجة لارتفاع موقعها وامتيازه بالهواء الجيّد والنقي، ومن الممكن أن هذا هو السبب الذي اختير من أجله هذا الموقع لبناء المدرسة(١).

أمرت الأميرة **"عطف"** زوجة أبي زكرياء الأوّل، ببناء جامع ومدرسة الهواء، وهي أم ولده، وكانت نصرانية ثم أسلمت، وهي أم الخليفة المستنصر بالله (٢)، ويذكر ابن الشماع أنها أيضا أم الخليفة أبي إسحاق، وأنها كذلك أم أبي حفص عمر، ولذلك سميّت "أم الخلائف"(٣)، إلا أن هذا غير صحيح إذ لم يتولى من أبنائها الخلافة إلاّ المستنصر الحفصي(٤) ،من المرجح أن الأميرة **"عطف "** بنت هذه المدرسة بعد سنة عند ذكر هذه الأميرة يصفها بأم المستنصر بالله فلو بنت

---

(١) ذكر القلقشندي هذه المدرسة،وسماها مدرسة الهواء، وهذا دليل على أنها اشتهرت بهذا الاسم مدّة طويلة ،**صبح الأعشى** ،ج٥، ص١٠٢.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الأول، هو أول من تلقى بالخلافة من بين الحفصيين (٦٢٥ ـ٦٧٥هـ/١٢٢٧ ـ١٢٧٧م)، أخذ الحكم سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ، ينظر الزركشي: م س ،ص ص٣٢، ٤٠، ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ص ٦٢٦، ٦٧٥، ابن قنفذ: **الفارسية** ، ص١١٧.

(٣) ابن الشماع: م س، ص١٢٠ ، هذا ما ذكره أيضا ابن خلدون، م س ، ج٦، ص٦٨٤.

(٤) يعلمنا الزركشي أن أم أبي إسحاق اسمها " رويدا " ، و أن أم أبي حفص اسمها " ظبية" ، ينظر جدول ملحق أسماء أمهات الأولاد سلاطين بني حفص، ص

المدرسة في حياة زوجها، لنعتها بزوج أبي زكرياء ، وإنما وصفه إياها بأم المستنصر، يجعلنا نحتمل أن المدرسة أسست خلال فترة حكم هذا الأخير، فتاريخ التأسيس إذن، يكون بين سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م و سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م[١].

توجد مدرسة الهواء في الطرف الشمالي للمدينة بين رحبة الغنم سابقا [٢] والسور الخارجي الذي أزيل تماما منذ حوالي ربع قرن ، وشيّدت على هضبة تطلّ من جهة على القصبة،ومن الناحية الأخرى تطل على سبخة السيجومي أوبحيرة السيجومي، وقد ذكر الباحث "برنشفيك" أن الحفصيين قد اختاروا الأماكن المرتفعة وشيدوا بها قصورهم منذ القرن ٧هـ/١٣م[٣].

فالمدرسة التوفيقية إذن أوّل مدرسة تبنى في أحد أرباض العاصمة، والوحيدة في مدينة تونس التي بنيت بقرب من السور الخارجي للقصبة ، وقد مثّلت في أيام الحفصيين إحدى المدارس القليلة التي بنيت في آن واحد مع الجامع، ففي شرقي المدرسة نجد جامع الهواء الذي يعرف أيضا بجامع التوفيق[٤].

كان يؤم هذا المكان في أيام الحفصيين، الكثير من الأولياء والصالحين إذ نجد فيه زوايا بعضهم ، ومنها زاوية السيدة الطبربية التي كانت لها شيئا من الأهمية[٥].

لم يبق من المدرسة التوفيقية من أصلها الأول شيء على الإطلاق، فيذكر ابن أبي دينار:" أن المدرسة التوفيقية اندثرت آثارها "، فمن الجائز أن اندثار[٦] هذا المعلم حصل بداية

---

(١) محمد الباجي بن مامي: **مدارس مدينة تونس من العهد الحسيني**، شهادة التعمق في البحث، تونس، ١٩٨١، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ق٣، ص٥٤٨.

(٢) يطلق عليها اليوم اسم ساحة " معقل الزعيم" بتونس العاصمة.

(3) Brunschvig (R): "Quelques remarques historiques sur les medersas de Tunisie", Rev, **Tunisienne**, n° 6,1931. p266.

(٤) بالنسبة للناحية الفنية للمدرسة ينظر، Daoulatli (A): **Tunis sous les Hafsides**, Tunis, 1976,p14

(٥) محمد الباجي بن مامي :م س ، ص٥٥٠.

(٦) ابن أبي دينار: **المؤنس** ،ص١٣٥.

من القرن ١٠هـ/١٦م عند دخول الاسبان إلى مدينة تونس،ويؤكد الوزير السراج على اندثار معالم هذه المدرسة خلال الفترة التي كان يكتب فيها " الحلل السندسية "[١].

مدرسة فاس الجديد: قامت والدة أبي الحسن المريني، وكانت من الأميرات المحسنات المحبة للعلم وأهله،بمساهمتها في بناء " مدرسة فاس " فقامت بوصية التي ترمي إلى تحبيس حصتها من مدشر أبي زيد على مدشر البيضاء[٢] بفاس ابتغاء وجه الله و رجاء مغفرته الذي بناها زوجها أبي سعيد عثمان[٣]، ففي سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) أمر أمير أبو سعد أيده الله ببناء مدرسة فاس الجديد، فبنيت أتقن بناء، ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم، وأجرى عليهم المرتبات والمؤونة في كل شهر وحبس عليها الرباع والمداشر،كل ذلك ابتغاء وجه الله ورجاء مغفرته "[٤]

وتضم وثيقة التحبيس[٥]، إشارة إلى بعض الممتلكات التي حبستها والدة أبي الحسن على مدرسة المدينة البيضاء، والإشارة هي:" فمن ذلك مدشر أبي زيد من حوز فاس وعلى مقربة من رأس الماء المشتمل على خمسة وثلاثين أثرة[٦]منها أثرتان كانتا.للمولاة الحرة المقدسة المرحومة المطهرة أم مولانا أبي الحسن نور الله ضريحها " [٧]

----

(١) السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية** ،تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيلة ، الدار التونسية للنشر، د،ت ج١، ق١، ص١٢٧.

(٢) وتعرف بمدرسة فاس الجديد، ينظر:

Terrasse (H) : Médersas du Maroc, Fès,1927, p p152, 153

(٣) تولى الحكم (٧١٠ ـ ٧٣١ هـ/١٣١٠ ـ ١٣٣١ م)، ابن مرزوق: **المسند**، ص١٣٨.

(٤) ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص ص٤١١، ٤١٢.ينظر، أيضا

Bel (A) :" Inscriptions Arabes de Fès", **J.A**. 1919, p159,

(5) Terrasse (H) : Opcit, p162.

(6) Bel (A) : Ibid, p160.

(٧) opcit, p,159.

ـ **تحبيسـات مدرسة فاس الجديد** : كانت للمرأة المغربية مساهمات في الأعمال
الخيرية والوقفية ويوضح الجدول التالي وقف الأميرة والدة أبي الحسن المريني
على المدرسة والأراضي الفلاحية المجاورة لها .

التحبيسات	[illegible]	نوعها
١ ـ **خارج المدينة:** مدشر أبي زيد المشتمل على خمسة وثلاثين أثرة [1] منها: ـ أثرتان كانتا في ملك والدة أبي الحسن المريني تحبسان على المدرسة بعد وفاتها.	يقع هذا المدشر في أحواز مدينة فاس على مقربة من رأس الماء [2] .	أراضـي فـلاحـيـة

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) أثرة: قسم ترابي يحكمه نصيب مائي معين .
(٢) لم يعد هناك وجود لهذا المدشر، سوى أن هناك آثارا لصومعة (صومعة المجراجة) و آثارا لجدران بالقرب من رأس الماء على بعد ١٤ كلم من فاس، فهل هذه الآثار هي موضع مدشر أبى زيد المذكور في وثيقة التحبيس، ينظر
Bel (A) : opcit, p,159

ثالثا ـ مراكز تعليم:

بالرغم من تشدد ابن تومرت سفور المرأة واختلاطها بالرجال،إلا أنها قد نالت قسطا وافرا من التعليم،فقد كانت تحضر مجالس ابن تومرت وتسمع إلى نصائحه وعظه[(١)]،وبدأت النساء المتعلمات يظهرن فيه منذ القرن السادس الهجري إلى القرن التاسع الهجري ،على غرار ما شهدته بلاد المشرق،ذلك أن المغاربة في المدن والبوادي قد اعتادوا على إرسال الفتيات منذ نعومة أظافرهن إلى الكتاب[(٢)] ليتعلمن جل المواد التي يتعلمها الصبيان ومتابعة دراستهن بعد ذلك، ويحفظن أهم الكتب التي يحفظها الفقهاء[(٣)]، ففي بني دغدوغ حفظ القرآن و المدونة ٦٧٦ رجل و ٥٠٠ صبية ممن اتفق اسمهن مماس فضلا عمن يسميهن بغير هذا الاسم[(٤)]،

ويقال أن نساء قبيلة أمالوز كن حافظات للمدونة في القرن ٧ هـ/١٣م[(٥)]، كما تخبرنا بعض النصوص في المغرب الأوسط أن بعض الآباء قد علموا بناتهم القراءة والكتابة وبعض القرآن الكريم وقواعد الدين ونحو ذلك كالتوحيد ومبادئ اللغة،فعلى سبيل المثال لا الحصر، ذكر ابن مريم" أن سليمان بن أبي سماحة قد أختصر صغرى محمد السنوسي في التوحيد للنساء والعامة " [(٦)]، وذكر محمد بن سليمان أن العالم الصوفي عبد الوهاب بن حميدة كان شيخا لأمه[(٧)].

---

(١) ابن القطان: **نظم الجمان**، ص١٢٦.

(٢) جمعه"كتاتيب"، وفي لسان العرب الكتاب: موضع التعليم، و المكتب هو المعلم، و الكتاب: الصبيان/ ومن جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ، ولكن كلتا الكلمتين (المكتب و الكتاب) استعملت للدلالة على مكانة تعليم الصغار، أحمد أمين: **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، القاهرة، ١٩٦٤، ج٢، ص٥٠.

(٣) تميز أهل المغرب عامة في التعليم بالاهتمام بتحفيظ القرآن للصبيان كمرحلة أولى في التعليم دون غيره من العلوم الأخرى، "فهم لذلك أقوم على رسم القرآن و حفظه من سواهم"، حتى إذا أتموا الحفظ انتقلوا إلى المرحلة التالية و هي المرحلة التي تشمل الاطلاع على علم الحديث، و القراءات و التفسير إلخ. ابن خلدون: **المقدمة** ، ص٥٣٨، محمد بن سحنون: **كتاب آداب المعلمين** ،ص ص٨٠، ٨١.

(٤) المختار السوسي: **المعسول**، طبعة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ج٤، ص٩.

(٥) نفسه ،ج٤، ص٥٥.

(٦) ابن مريم: **البستان** ، ص٢٤٦.

(٧) المختار السوسي: م س، ج٤، ص ٦٩.

وسبق أن ذكرنا أنه مهما كانت دوافع عبد المؤمن الموحدي من إجبارية تعليم البنات، إلا أن هذا لا يعني الاختلاط في تلقي العلم،حيث تلقاه كل جنس على حدة ،[١] فالنساء لم تكن تخرجن للمساجد لتلقي الدروس والأخذ عن الأستاذ، بل كانت دورهن مدارس يتلقين فيها العلوم
بجميع أنواعها،وفي هذه الحالة هي شبيهة بالمرأة الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري/١١م بحيث جعلت من منزلها ناديا علميا[٢].

لم يقتصر تعليم البنات فقط على الكتاتيب بل تعداه إلى المنازل فكثيرا ما كان يقوم أهل الفتاة بتعليم ابنتهم لتصل إلى درجة معينة من التعليم،وتأخذ من العلم على من يحضرونه لها من المدرسين، لذلك نجد في معظم التراجم أن فلانة حفّظها وأسمعها أبوها أوجدّها،أو عمّها حتى إذا سمعت عن شخص آخر يكون بقراءة أحد من أقاربها[٣]،وهو دليل على أن العلماء هم أول من قدّروا مسؤولياتهم التربوية اتجاه أفراد أسرتهم وخاصة البنات منهم.
وقد فرض عبد المؤمن بن علي منهاج تعليم جديد، يقوم على **التعليم الإجباري،** على أنه يجب على كل من انضوى تحت راية الموحدين أن يتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة [٤]، واستفادت المرأة بهذه التعليمة الأميرية وكانت فرصة لها، بأن تحضى بالتعليم هي الأخرى، خصوصا بعد أن رخص عبد المؤمن لكل من يفهم اللغة
البربرية دون العربية أن يقرأ عقيدة ابن تومرت البربرية **التوحيد** أما الذين يفهمون العربية، فكان لزاما أن يقرأ وعقيدة ابن تومرت العربية **المرشدة** وأكد على الجميع في حفظ ذلك وتدبره، وملازمة قرآنه، كما أكد على العوام ومن في الديار حفظ القرآن وما تيسر منه، وألزم نوابه أن يقدموا علماء أمناء من قبلهم ليعلموا الناس ما ذكر[٥].

---

(١) علام عبد الله **: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي،** دار المعارف، مصر، ١٩٧١، ص٢٤٤.

(٢)محمد الرشيد ملين: **عصر المنصور، الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب من سنة ٥٨٠ /٥٩٥ هـ** ، مطبعة الشمال الإفريقي، د.ت، ص١٦٨.

(٣) محمد المنوني**: العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحدين،** دار المغرب، الرباط، ١٩٧٧،ص ٢٧.

(٤) نفســه ، ص ٢٨.

(٥) مجهول: **مجموع رسائل موحدية،**ص ص١٣١، ١٣٣، ١٣٧.

فأقبلت المرأة على التعليم في البوادي والمدن ،إلا أن تحملها لمسؤولية البيت والإنجاب ورعاية الأطفال كان يحول بينها وبين متابعة الدراسة بعد حفظ القرآن في الكتاب، ولم تشتهر بتحصيل العلم في العصر الوسيط بالمغرب إلا بنات فئتين اجتماعيتين[٢]:

ـ بنات بيوتات الحاكمة، فقد برزت نساء موحدات اشتهرن بالعلم والأدب مثل:" زينب" ابنة يعقوب بن يوسف بن علي التي أخذت علم الكلام،وكانت عالمة، صائبة الرأي معروفة الشفوف على نساء زمانها متحدث بنباهتها[٣].

ـ بنات البيوتات العلمية، التي كانت تحرص على تعليم بناتها جل العلوم التي يتقنها الأفراد الذكور من ذلك البيت ويشتهرن بالعلم مثل شهرة رجاله فهن:

ـ أم عمرو:(ت٥٨٠هـ/١١٨٤م) بنت بن زهر الأندلسي،تعلمت الطب وفنونه على أبيها،كان أهل بيتها كلهم علماء ووزراء،نالوا المراتب العليا وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم ، كذلك كان شأنها عند الخليفة المنصور ،" لا يقبل وأهله ولدا إلا أخت الحفيد"[٤].

ـ فاطمة : تعلمت على أمها أم عمرو وخالها الطب كذلك، وكانت لها خبرة جيدة فيما يتعلق بمداواة الناس، واحتلت نفس المرتبة عند الخليفة المنصور، " ولا يقبل المنصور وأهله ولذا إلا أخت الحفيد أو بنتها لما توفيت أمها "[٥].

ـ أم الحسن: بنت القاضي أبي جعفر الطنجاني، نشأت في حجر أبيها ودرسها الطب ففهمت أغراضه، وكانت تقرأ الطب وتنظم الشعر[٦].

----

(٢) اسكان الحسين: م س،ص ص٢٣،٢٢،٢١.

(٣) ابن القاضي: **جذوة الاقتباس** ، ص٤٨٦.

(٤) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج٤،ص ص٤٣٤، ٤٣٥.

(٥) ابن أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح و تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص٥٢٤.

(٦) ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج١،ص٤٣٠.

ـ بنت أبي الحسن علي الشاري[١] :(ت٦٤٩هـ/١٢٥١م) تعلمت الحديث عن أبيها الشاري وأصبحت مسندة[٢].

ـ أم الهادي العبدوسية : تنتمي هذه السيدة لأسرة العبدوسيين بمكناس مثالا واضحا على تسلسل العلم في نساء البيوتات العلمية بالمدن المغربية خلال العصر الوسيط لعدة قرون، يقول بن غازي:" وهم بيت كبير من بيوت العلم أقام فيهم العلم ورياسته دهرا طويلا حتى في نسائهم، وآخر علمائهم أم الهادي العبدوسية "[٣].

ـ فاطمة العبدوسية:هي أخت أم الهادي، اشتهرت بالعلم في القرن التاسع الهجري، وكانت تحضر مع أم هاني وجدة أحمد زروق حلقات ودروس شقيقهما عبد الله بن محمد العبدوسي (ت٨٤٩هـ/ ١٤٤٥ م)، فكانتا فقيهتين صالحتين[٤].

وعمومًا كان تعلم بنات هذه البيوتات العلمية يساعد على تربية وتعليم الذكور منذ نعومة أظافرهم مما يسهل عليهم تحصيل العلم والنبوغ فيه مثل ابن غازي (ت٩١٩هـ/ ١٥١٣م) الذي حفظ من أمه رحمة بنت الجنان أحاديث كثيرة في صغره فلم يتعب في حفظها أثناء دراسته، كما تعلم منها كثيرا من تفسير قصص القرآن،ولا شك أن تعلمه لكل ذلك على أمه قد أفاده في دراسته[٥].

وقام الخلفاء الموحدون باستقطاب النساء المثقفات وتوليتهن أمر تعليم بناتهن[٦] " كحفصة الركونية " التي كانت أشهر أستاذة زمنها، وانتهت إلى أن علّمت النساء في دار المنصور[٧]، من ثم كانت نساء وبنات الخلفاء القدوة الصالحة لبنات العامة في الإقبال على العلم والأدب في منازلهن[٨]، وعليه يتبن أن استفادة النساء العامة كانت كبيرة حيث ألمت بالقراءة والكتابة، مما هيأ للراغبات في الاستزادة من العلم واقتحام ميادين المعرفة العالية.

أن اهتمام الموحدين بتعليم المرأة سوف تكون سابقة في التاريخ فلم يقدر للمرأة المرابطية ذلك ولن يقدر لها ذلك في عهد الدول الثلاث اللاحقة .

---

(١) أول من أسس مدرسة خصوصية في تاريخ المغرب الإسلامي سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م ، سالكًا في ذلك طريقة أهل المشرق، ينظر عبد الملك المراكشي: م، س، س ٨ ، تح: محمد بن شريفة ، الرباط، ١٩٨٤، ص ١٩٧.

(٢) محمد بن قاسم الأنصاري: **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار**، الرباط، ١٩٧٢، ص١٤.

(٣) ابن غازي: **الروض المتون في أخبار مكناسة الزيتون**، مطبعة الأمنية، الرباط، ١٩٥١، ص٤١.

(٤) أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج** ، ص ص١٥٧، ٣٤٨.

(٥) عبد الله كنون: **النبوغ المغربي** ،ج١، ص٢٠٢.

(٦) نفسه ،ج١، ص١٥٣.

(٧) محمد الممنوني : **العلوم و الآداب والفنون على عهد الموحدين**، ص٣٣.

(٨) علام عبد الله : م س، ص٢٤٣.

رابعا ـ العلاقة العلمية مع العلماء:

كانت المرأة المغربية قد بلغت مستوى علميًا رفيعًا أهّلها أن تمنح الإجازات العلمية لغيرها، فهي طالبة علم وأستاذة، تتبادل الرسائل العلمية والأدبية والشخصية مع العلماء، إنها مؤشر أخوة وصداقة وزمالة، مما يدل على بلوغها مرحلة من ازدهار في العلم، خاصة إذا نظرنا إليها بمنظار عصرها.

وتخبرنا كتب التراجم أنه كان من مصادر كل من شيخ مؤرخي الأندلس ابن حيان وابن حزم بعض النساء ممن عرفن بصدقهن وحذقهن في رواية الخبر، فابن حيان يذكر في أخبار إمارة علي بن حمود روايته عن إحدى نسائه وذلك في قوله:" وكان على بن حمود، شديد الإصابة بعينيه،لا يكاد يفتح عينه على شيء إلا أسرعت الآفة إليه، له في ذلك نوادر عجيبة، وربما قال للنفيسة من نسائه وأري محاسنك عن عيني ما استطعت فإني شاح عليك من عيني،أخذته من خطيّة له زادتني من عجائبه"[١].

أما ابن حزم فقد استعان هو الآخر ببعض الرواة النساء في مصنفه " طوق الحمام " على وجه الخصوص،حيث تكررت عنده عدد من العبارات التي تفيد ذلك، مثل:" و لقد حدثتني امرأة أثق بها "،و " لقد أخبرتني عنها أمها و جميع جواريها "[٢].

ويحدثنا ابن القاضي عن صلة الصداقة المتينة والزمالة الطيبة بين" **الشاعرة سارة الحلبية الفاسية"** وبين الشاعر مالك بن المُرَحَّل[3] (ت٦٩٩هـ/١٢٩٩م)، فلمّا حلت **سارة** بسبتة خاطبت ابن المرحل قولها:

يـا ذا الـعـلا يـا مـالـكـي	انـعـم عـلـي بـمـالـك
الـعـالـم الـمـتـفـنن الـبـحـر	الـمـحـيـط الـسـالـك
يـا نـفـس إن جـاد الـزمـان	بـه بـلـغـت مـنـالـك
و لـطـالـمـا قـد نـلـت مـا	أمـلـت مـن آمـالـك[4]

----

(١) ابن حيان : **الذخيرة،** ق١، م١، ص٩٨، ٩٩.

(٢) ابن حزم: **طوق الحمام،** ص٢٠٩.

(٣) عبد الله كنون: **ذكريات مشاهير رجال المغرب،** رقم٠٨ ـ مالك بن مرحل ـ مطبعة كريماديس،تطوان،د ت، ص٤٥.

(٤) نفسه ، ص٤٦.

فراجعها ابن المرحل بقوله:

يا ندرة الدنيــا لقــد حـزت العـلا بكمــالك
جمعت لك الآداب حتى أنـهن كمــــالــك
وملكت أفئــدة الورى الفوك أملك مالــك[1]

فردت **سارة** برسالة نثرية بليغة، وأجابها بأبيات شعرية[2]،

كما بعثت الشاعرة سارة رسالة تمدح فيها زميلتها السيدة **صفية العزفية،** وهي من أهل سبتة مطلعها:

إذا ما ذكرت الشرق طرت له شوقا وشوقي لمن بالشـــرق أذكرنـــي الشرق
ولكن بمن أضْحَتْ وحيدَةَ عصــــره نسيت من الأشـــواق ما جلّ أودَقّــا
ومن مِثْلُ ذاتِ العلم و الحِلم والنُّهى لقد سار سير الشمس معجزُها الأرقى
لقد سار سيرَ الشمس فخرُ صفيّة ونَوَّر،إكبارًا لها، الغـربَ، والشَّرْقا[3]

أضاف ابن القاضي قائلا:"التقى ابن سلمون"الشيخة سارة الحلبية "،وأجازته، وألبسته خرقة التصوف، ثم أنشدته قصيدة من شعرها "[4].

كذلك اشتهرت الصالحة والمتصوفة التلمسانية المعروفة **"بالمومنة"**،التي انتقلت إلى فاس ، جالست إلى كبار الفقهاء وناظرتهم في المسائل الفقهية والأخلاق،وكانت لها صلة الزمالة بينها وبين قاضي الجماعة أبي عبد الله المقري بفاس،وابن قنفذ،وأبي القاسم الشريف التلمساني، والشيخ الصالح أبي الحسن علي بن عبد الوهاب،الذي كان يكتب لها لوحها[5].

كما اشتهرت العالمة **"أم خيرونة الفاسية"** التي كانت لها علاقة طيبة مع الفقيه عثمان السلالجي إمام فاس في الأصول،فكانت تحضر مجلسه وتناظره،واقترحت عليه تأليف كتاب في مذهب الأشاعرة، فحقق رغبتها وألف العقيدة البرهانية[6].

---

(١) عبد الله كنون:م س، ص٤٦.
(٢) نفسه،ص ٤٦.
(٣)عبد الهادي التازي: **التاريخ الديبلوماسي للمغرب**، ج١، ص١٩٩.
(٤) ابن القاضي: م س،ص ٤٨٨ .
(٥) ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص٨١.
(٦) محمد المنوني: **العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحدين** ، ص٣٥.

خامسا ـ الإجـازات:

عندما يجيز الشيخ الطالب في علم أو جملة علوم أخذها أو أخذتها عنه،يذكر سنده في تلك العلوم، مبينا الشيوخ الذين أخذ عنهم،وشيوخهم متسلسلين إلى واضع العلم أو مؤلف الكتاب،وإذا توسع المجيز في ترجمة هؤلاء الشيوخ وذكر تاريخ ولادتهم ووفاتهم ومقروءاتهم، صارت الإجازة فهرسا في كراسة أو عدة كراريس.

وامتاز العصر الموحدي بانتشار الإجازات "الفهارس "على أن معظم الإجازات إنما هي موجزة في ورقة أو ورقات،وقد تلحق هذه الإجازات الموجزة بفهارس المجيزين، فيقال فيها على ما اشتملت عليه تلك الفهارس[١]، كما تعددت الإجازات وتساهل بعض الشيوخ فيها بقصد التبرك ونشر السند على أوسع نطاقه باعتباره أنه من خصائص الأمة الإسلامية،وقالوا للمجاز:أجزت لك ولعقبتك ما تناسلوا ويمكن تصنيف إجازات إلى صنفين:إجازات خاصة تتعلق بعلم أو جملة علوم معينة، وإجازات عامة تشمل جميع معارف المجيز[٢].

ـ **إجازات خاصة:** هي تتعلق بعلم معين أو جملة علوم معينة كإجازة قرآنية وإجازة حديثية، والجدير بالذكر أن المجاز في علوم القرآن يحمل لقب المقرئ ويسمح له بالانضمام إلى هيئة تدريس القرآن[٣]،ومنها : الإجازة التي منحتها **فاطمة**

(ت٦١٣هـ/١٢١٦م) **بنت عبد الرحمان القرطبي** لأبي القاسم ابن الطلسان، وقرأ عليها برواية ورش و أجازت له بخطها[٤] ، إجازة **المقرئة أم معفر** حرم الأمير محمد بن سعد لطالبتها السيدة **أم العز** بنت أحمد بن علي بن هذيل في علم القراءة [٥] ، إجازة أبو عبد الله بن إبراهيم **الطالبة زينب** بنت يوسف بن عبد المؤمن في علم الكلام[٦] ،إجازة **العالمة أمة الرحمان** الغرناطية **لطالبتها خديجة** ابنة ابن عزوز[٧]

---

(١) ابن السراج : **فهرسة السراج:** م، خ، ع، الرباط، رقم١٢٢٤٢ كـ ، و ١.

(٢) محمد المنوني: م س، ج١، ص٣١.

(٣) ابن السراج :م س ، ص ص٣٧، ٣٨، ٣٩.

(٤) ابن الآبار**: التكلمة**، ج١، ص١٢٣، رقم١٣٦٢.

(٥) نفسه ، ج٢، ص٧٤٨، رقم ٢١٢٧.

(٦) محمد المنوني: م س ، ص٣٣.

(٧) ابن الآبار:م س، ج٢، ص ص٤٧٧ ، ٤٧٨.

ـ إجازة **العالمة أمة الرحمان** الغرناطية[١] لطلابها من الرجال على نحو خديجة ابنة ابن عزوز، أمّا في العصر الحفصي فكانت هناك :إجازة الأديبة **أم علي** لابنها وطالبها علي ابن إبراهيم وقال أنه أجازت له جمل الزجاجي[٢] ، وإجازة الشاعرة **عائشة البجائية** لطالبها الغبريني [٣]، وإجازة المعلمة **السيدة فاطمة** لابنها وتلميذها بخطها[٤] ، وفي العصر الزياني: إجازة **العالمة فاطمة** بنت محمد بن إبراهيم الطبري المكية للطالب ابن مرزوق الخطيب عندما كان بمكة المكرمة[٥] ، وفي العصر المريني: إجازة الشاعرة والأديبة **سارة الحلبية** لطالبها ابن سلمون،وألبسته خرقة التصوف[٦].

ـ إجازة جماعة من علماء الحديث **للطالبة أمة الرحيم**[٧] بنت عيسى السبتي وإجازة **عائشة** بنت عبد الهادي **للطالبة شريفة** الحسني الفاسي في علم الحديث[٨]،وإجازة الفقيه ابن الكويك للطالبة شريفة الحسني الفاسي (ت٨٨٢ هـ/١٤٧٧م)[٩] ، وإجازة الحافظ ابن رشيد للطالبة ست العرب بنت عبد المهين الحضرمي في الفقه[١٠] ،وإجازة جماعة من العلماء للطالبة عائشة بنت الحافظ ابن رشيد[١١]، وإجازة جماعة من العلماء للطالبة أخت عائشة وتدعى أمة الله بنت الحافظ ابن رشيد[١٢] .

---

(١) ابن الآبار:م س ، ج٢، ص٤٧٧، ٤٧٨.
(٢) عبد الواحد الطواح: **سبك المقال**، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم١٠٥، و ٢٢٥.
(٣) صاحب " عنوان الدراية في علماء بجاية " ،ينظر،الحفناوي:**تعريف الخلف برجال السلف**،ج١،ص٢٦.
(٤) ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل و التكلمة**، ص٦٤٠.
(٥) المقري: **نفح الطيب**، ج٥، ص٣٩٤.
(٦) كحالة: **أعلام النساء**، ج٢، ص١٣٦، ١٣٧.
(٧) نفسه ، ج١، ص٨٥.
(٨) ابن عبد الله عبد العزيز: **مقال معجم أعلام النساء**، ص٣٢٣ .
(٩) نفسه، ص٣٢٣.
(١٠) عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، ج١، ص٢٠٢.
(١١) نفسه ، ج١، ص٢٠٢.
(١٢) ابن السراج : م س، ص ص٣٧، ٣٨.

ـ إجازات جماعية: هي ما ينطق به الأستاذ عند ختم كتاب،فيجيز جميع من حضر من الطلبة،وهذه الإجازات لا تكتب غالبا وإنما ينص عليها من تعينه في فهرس أو غيره،ومنها ما يتعين فيها المجيز المجازين و يسميهم بأسمائهم ،وأكثر الأمور غرابة في مجال الإجازة هو أن يقوم بعض الفقهاء أو العلماء أثناء قيامهم بالرحلة بالحصول على إجازات لأصدقائهم ومعارفهم وعائلاتهم من الأساتذة المشرقيين[(١)]،وقد عثر الباحث محمد عبد الحميد عيسى على مخطوطة تحتوي على هدا النوع تحت رقم ١٩١٩ مكرر،وهي عبارة عن حزمة أوراق تحتوي على إجازات أساتذة من المشرق لمجموعة من الطلبة والفقهاء الأندلسيين والمغاربة،والجزء الأول منها قام بكتابته محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن رشيد السبتي في ١٤ رجب عام ٦٨٤هـ/ أكتوبر ١٢٨٥م بفسطاط مصر،ويتضمن الإجازة لحوالي مائة طالب وفقيه علاوة على عائلة كاتب الإجازات وأولهم أبو عبد الله بن المهيمن المشهور وآخرهم **السيدة رحمة أخت ابن رشيد**[(٢)].

سادسا ـ اهتمام السلطة بالمرأة العالمة :

حظيت المرأة العالمة برعاية السلاطين والأمراء،خاصة الفقيهات منهن فهذه **"خيرونة الأندلسية"** التي كان لها دور في تعليم النساء أصول الدين،وساهمت إلى جانب فقهاء الدولة بقدر كبير في نشر التوحيد على المذهب الأشعري التي تبنته الدولة الموحدية[(٣)]، وهذه لعالمة **حفصة الركونية** التي ذكرها ابن الخطيب بأنها " كانت أستاذة وقتها،و انتهت إلى أن علمت النساء في دار يعقوب المنصور "،وقال:" وسألها المنصور يوما أن تنشده ارتجالا فقالت:

امنن عليّ بصك	يكون للدهر عده
تخط مناك فيه	الحمد لله وحده

قال: "فمنّ عليها وحرر ما كان لها"، ويبدو أن حفصة كانت تسترزق في بيوت السلاطين [(٤)].

كما اشتهرت الطبيبة عائشة بنت محمد الجيّار بمعرفتها الكبيرة بالطب والعقاقير، فطالم

---

(١) محمد حجي:**الحركة الفكرية**،ص١٧٠.
(٢) نفسه،ص١٧١.
(٣) عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، ج١، ص١٥٣.
(٤) ابن الخطيب**: الإحاطة، ج١، ص٤٩٣**، السراج**:** م س،ص٤٠.

كان السلاطين يجيزونها بالهدايا والتحف وغيرها لأجل ما خيروه من حرفتها، ولم تزل سيدة محفوظة المنصب إلى أن توفيت[١].

لاحظنا ونحن نتبع خطوات المرأة العالمة في المغرب الإسلامي ،أنها لا تختلف من فترة لأخرى، ونذكر على سبيل المثال معلمة البلاط الحفصي هي**"السيدة بنت عبد الغني بن علي بن العبدري"** التي كان لها شأن في القصر الحفصي، وعملت به كمعلمة، ولم تكن كذلك لو لم يعتن والدها بتربيتها وتعليمها قاصدا بذلك منحها خطة شريفة،الأمر الذي كان يكفيها مؤونة الاحتياج،كما قامت بدورها بتأهيل بنتيها لتعليم النساء، وخلفناها فيما بعد في وظيفتها لما ألزمها المرض الفراش[٢].

سابعا ـ شهيرات العالمات:

لقد أسهمت المرأة في الحياة الثقافية في جميع مناحي العلوم ،وأبدعت كما ذكرنا آنفا،ولكن نجد أن الحظ حالف البعض منهن وسجلن أنفسهن في السجل التاريخ الحضاري الإسلامي، وذكرتهن المصادر على أساس عالمات شهيرات ،كان لهن نصيب في التاريخ الفكري والحضاري وسنذكر بعضهن فيما يلي:

ـ المهاجرات في المشرق : ومنهن:

ـ ستيت: ابنة الشريف علي بن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان،وتكنى بأم محمد الحسني الفاسي، المكية،ولدت بالمغرب وكان أبوها هناك،فأخذها إلى مكة المكرمة، في سنة (٧٢٧ هـ/1326م)، ونشأت بها،وتزوجها ابن عمها الشريف أبو الفتح محمد بن أحمد الفاسي، فولدت له أولادا وتأيمت بعده حتى ماتت في٥ جمادى الأول سنة (٧٥٩ هـ/ ١٣٥٧م) بمكة ودفنت بالمعلاة،وكانت امرأة عالمة وخيرة، وهي والدة السراج عبد اللطيف بن أبي الفتح الحنبلي[٣] .

ـ صالحة:ابنة النور علي بن السراج عمر بن أبي الحسن علي بن أبي أحمد بن محمد، الأندلسية الأصل،القاهرية المولد،وهي حفيدة ابن الملقن،وأم الفاضل محمد بن المغربل الماضيين،

----

(١) مجهول: **بلغة الأمنية**،المطبعة الملكية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٥٦.

(Ď) ʅ5ɨ_ǋ Ü f đē.

(٣) السخاوي: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**،القاهرة، ط ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ج٦، ص٦١.

ولدت عام(٧٩٥هـ/١٣٩٢م) أخذت العلم على جدها وسمعت عليه المسلسل وغيره،وحدثت عنه،وأخذ عنها الفضلاء،قال السخاوي:"كانت كاسمها»سيدة صالحة وتوفيت في رمضان سنة (٨٧٦ هـ/١٤٧١م) [١] .

- **ابنة محفوظ:** بنت مبارك بن منصور المغربي،قال عنها السخاوي: " عرضت علي بحضرة أبيها الموطأ "،وسافرت مع أبيها إلى الهند، فتزوجت النوري الجرهي،ولا نعلم متى توفيت وأين دفنت ! [٢].

- **أم الفتح:** سيدة صالحة، قامت بتربية ابن مرزوق الخطيب،وحج رفقتها وعمره لا يتعدى اثنتي عشر سنة، وحجت عدّة مرات،ثم توجهت إلى بيت المقدس ، وتوفيت به سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م [٣].

- **سعادة أم الحسين:** ابنة عبد الله بن محمد عبد الملك بن عبد الله ابن محمد بن محمد البكري،التونسية الأصل، الشهير أبوها بالمرجاني، سمعت في عام (٧٨٩هـ /١٣٨٧م) على مجموع من العلماء ،كما أجاز لها أبو هريرة بن الذهبي وابن المجد والبلقيني وابن الملقن وآخرون، توفيت في ذي القعدة سنة (٨٤٢هـ/١٤٣٨م)،ودفنت بالقرب من قبر الفضل بن عياض من المعلاة.[٤]

- **شريفة الحسني الفاسي:** بنت عبد اللطيف بن محمد بن أحمد الحسني الفاسي، ولدت في النصف الأول من سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م، كانت محدثة، وتوفيت بمكة المكرمة أثناء قيامها بفريضة الحج، في صفر سنة ٨٨٢(هـ/١٤٧٧م) [٥] .

- **المهاجرات إلى المشرق:**كما سافرت بعض المغربيات إلى المشرق طلبًا للعلم ومن هنّ على سبيل المثال لا الحصر :

----

(١) السخاوي: م س،ج٦، ص٧٠.
(٢) نفسه ، ج٦، ص١٦٤ .
(٣)ابن مرزوق: **المجموع** ، و ٧.
(٤) السخاوي: م س ،ج٦، ص١٤٠.
(٥) ابن عبد الله عبد العزيز: مقال **معجم أعلام النساء** ، ص٣٢٣.

ـ **زينب ابنة قرقول:** ابنة إبراهيم بن إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن إبراهيم بن قرقول المتوفى عام٥٦٩هـ/١١٧٤م،سمعت على أبيها، وهي عالمة متقنة للرواية،وأستاذة أيضا في القراءات السبع[١]، قال ابن عبد الملك:" وقفت على سماعها في جامع الترميذي".

ـ **الوافدات إلى المغرب:**وهناك من النساء المشرقيات من توجهن إلى بلاد المغرب للمساهمة في الحياة الأدبية والعلمية مثل :

ـ **سارة الحلبية:** إحدى أدبيات بلاد الشام ،كانت أديبة وشاعرة وطبيبة ماهرة ، وفدت إلي تونس على المستنصر بالله الحفصي[٢]،وأنشدت بين يديه قصيدة بائية طويلة تقول في أولها:

الشرق يزهو بكم و المغرب وكذا الزمان يتيه لكم و يطرب

ثم ارتحلت إلى الأندلس فوفدت على الأمير أبي عبد الله محمد بن الأحمر الملقب بالفقيه، فأنشدته كذلك من شعرها قصيدة دالية تقول فيها في صدرها:

سما لك ملك لا يزال مجددا وعزا وتأييدا ونصرا مؤيدا

ووفدت بعد ذلك على الأمير أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أول ملوك بني مرين، فأنشدته كذلك قصيدة رائية كان منها:

باليمن والسعد والتأييد والظفر قدمت يا أخير الأملاك من مصر[٣].

فأكرمها وخلع عليها ولم تزل في حضرته،وأجرى عليها الراتب وأحسن إليها حتى أدركها أجلها بفاس، ويمكن أن نتساءل من خلال الزيارة التي قامت بها الأديبة الحلبية عن مدى صلتها بنظيراتها من المغربيات اللائي بلغنا درجة عالية من الثقافة؟، ويبدو أنها وجدت في مختلف المدن التي حطت بها من يجالسها ويحاورها من الأديبات المغربيات وإن كنا لا نعرف عنهن الكثير،لكن الدلائل كلها تعبر عن أن **السيدة سارة** وجدت في كل حواضر المغرب الإسلامي ما يغريها باختيار المقام به عوضا عن وطنها الشام[٣]،الأمر الذي يؤكده شعرها الذي قالته

----

(١) السخاوي: م س، ج٦، ص ١٦٢.

(٢) عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، ج١، ص ١٠٢.

(٣) ابن الأبار: **التكملة**، ج١، ص ٢٦٤.

(٤) نفســه ، ج١، ص ٢٦٤.

في **السيدة صفية** العزفية سالفة الذكر، وقد ورد اسم **سارة** مجردا عن كل تعريف في" الذيل والتكلمة"[(١)].

- أمهات العلماء:كم هنّ نساء كثيرات اللائي حرصن على تعليم أبنائهنّ رغم الفقر والحاجة ومنهنّ :

- زينب:أخت أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق المشهور بأبي العباس (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)[(٢)]، توفيت والدته وهو صغير السن، وتولت أخته زينب كفالته وأحسنت، وكانت تلازمه،فخرجت معه أثناء الحصار الطويل لتلمسان الذي دام ثمان سنوات وثلاثة أشهر، من سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م إلى ٧٠٦هـ /١٣٠٧م) ،على عهد السلطان أبو يعقوب يوسف الناصر لدين الله،لا نعرف تاريخ وفاتها[(٢)] .

- أم ابن زكري: هي أم العلامة ابن زكري، الحافظ الإمام الأصولي وقد مدّ العلامة الصالح أحمد بن زاغو، يد المساعدة لابنها فقال له:"مثلك يشتغل بالعلم لا بالحياكة " ، فذهب ابن زاغو إلى أمه وحثّها أن تحرض ولدها على طلب العلم،وفعلت، فاشتغل حينئذ بالعلم[(٣)]، كما ذكر ابن مريم:" أن أباه مات وتركه صبيا في حضانة أمه، ثم إن أمّه أتت به تعلمه الصنعة، وأدخلته في طراز عند معلم ليتعلم الحياكة، وبقي عنده حتى تعلم النسج"ثم التقى ابن زاغو به في المسجد، وأعجب بذكائه وقال ابن مريم: فقال له:" بارك الله فيك يا ولدي، فقال له أين أبوك؟ فقال له: مات، وأمك ؟ فقال له: حية، وما أجرتك في الطراز ؟ فقال له:نصف دينار في الشهر، فقال له: أنا أعطيك نصف دينار في كل شهر، وارجع يا ولدي تقرأ و سيكون لك شأن، وقال له: أين أمك نهب إليها ؟ قال له: نعن، فذهب معه إلى العجوز في دارها، و قال لها: ولدك هذا ما أجرته في الطراز ؟ فقالت له: نصف دينار في كل شهر، قال لها: أنا أعطيك مسبقا في كل شهر نصف دينار، ونرده يقرأ، فقالت له: أو تنصفي ؟ قال لها: نعم، وأخرج النصف من جيبه ودفعه لها،وشرع قرأ"[(٤)] ،هكذا حظي ابن زكري بحب أمه ورعايتها،واهتمام معلمه له.

----

(١) يغلب ظن الأستاذ محمد بن شريفة أن الترجمة الموجودة **للسيدة سارة** في **جذوة الاقتباس** لابن القاضي منقولة من **الذيل و التكلمة** لابن الآبار.

(٢) ابن خلدون**: العبر**، ج٧،ص ص٩٤، ٩٧، ابن خلدون يحي: **بغية الرواد** ،ج١،ص ص٢١٠، ٢١٢ ، التنسي: **تاريخ بني زيان**، ص ص١٣٠، ١٣١.

(٣) ابن مرزوق :**المجموع**، و ٣٢.

(٤) ابن مريم : **البستان**، ص ١٣٣.

- أم إبراهيم بن فرحون: كانت سيدة شريفة، تزوجت بالعالم علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون اليعمري، وكانت أم زوجها شريفة أيضا، وابنها من أهل التحقيق يعرف ببرهان الدين وهو إبراهيم بن علي بن فرحون (٧٩٩هـ/1396م) [١].

- أم البنين: هي جدة الفقيه ،العالم والإمام أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق[٢]، لا نعرف اسمها وتكنى" بأم البنين"،كانت عالمة وفقيهة بأمور الدين،وكانت تحدث النساء في مجالسها العلمية،وقد برز فضلها الكبير في تكوين حفيدها أحد رواد التصوف في الغرب الإسلامي وصاحب التآليف العديدة في الفقه والتصوف،وكانت على قيد الحياة حوالي سنة (٨٥٦هـ/١٤٥٢م) [٣]،وأشار زروق في كناشه فضل جدته عليه فقال:" في سنة ٨٤٦هـ /1442م توفيت أمي يوم السبت وأبي يوم الثلاثاء بعده، كلاهما في سابعى، فبقيت بعون الله بن جدتي الفقيهة أم البنين، فكفلتني حتى بلغت العشر وحفظت القرآن،فأدخلتني الصنعة فتعلمت صناعة الخرز[4]"

فيما يتعلق بأهمية دور الأم في تربية الأولاد فقد جاءت السنة المطهرة بالتوجيهات للآباء والأمهات بأن يلتفتوا إلى أبنائهم، وأن يحسنوا تعليمهم وتأديبهم، وجاء التحذير لمن فرّط في هذه المهمة وأهمل تربيته فقد قيل:" أول من يتعلق بالرجل زوجته وأولاده فيوقفونه بين يدي الله عزّ وجل فيقولون:"يا ربنا خذ لنا حقنا من هذا الرجل، فإنه لم يعلمنا أمور ديننا " قال تعالى: (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينَّهُ حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)[٥]،وقال القاسمي[٦]:" هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا من ذكر

----

(١) ابن مريم: **البستان**، ص٤٥.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البَرْنُسي الفاسي عُرف بزَروق، أحد كبار الفقهاء و الصوفية المشهورين، ينظر ابن مريم: ن م ، ص٤٥، ٥٠. و هو صاحب الزاوية الزروقية بقرية تِليوان من قبيلة التوانس، ينظر: محمد حجي: **موسوعة أعلام المغرب**، ط١، دار المغرب الإسلامي، ١٩٩٦، ج٤، ص٦.

(3)الحفناوي: م س،ج١، ص ص٤٤، ٤٥، ٤٦.

(4) نفسه، ص ٤٥.

(٥) الآية ٩٧ من **سورة النحل .**

(٦) محمد المختار السوسي :م س، ص ١٢.

وأنثى،وهو ثابت على إيمانه إلى الموت، بأن يحييه الله تعالى حياة طيبة ". ان طاعة الله تعالى عند الجدة لا يسبقها شيء، راحت تعلم حفيدها الحرفة الشريفة، بعد حفظ القرآن الكريم وإيثار محبة الله تعالى على محبة النفس وهي علامة من علامات الإيمان القوي بالله تعالى، فالتزمت نفسها بها، ثم دعت حفيدها إليها،وتعلم منها.

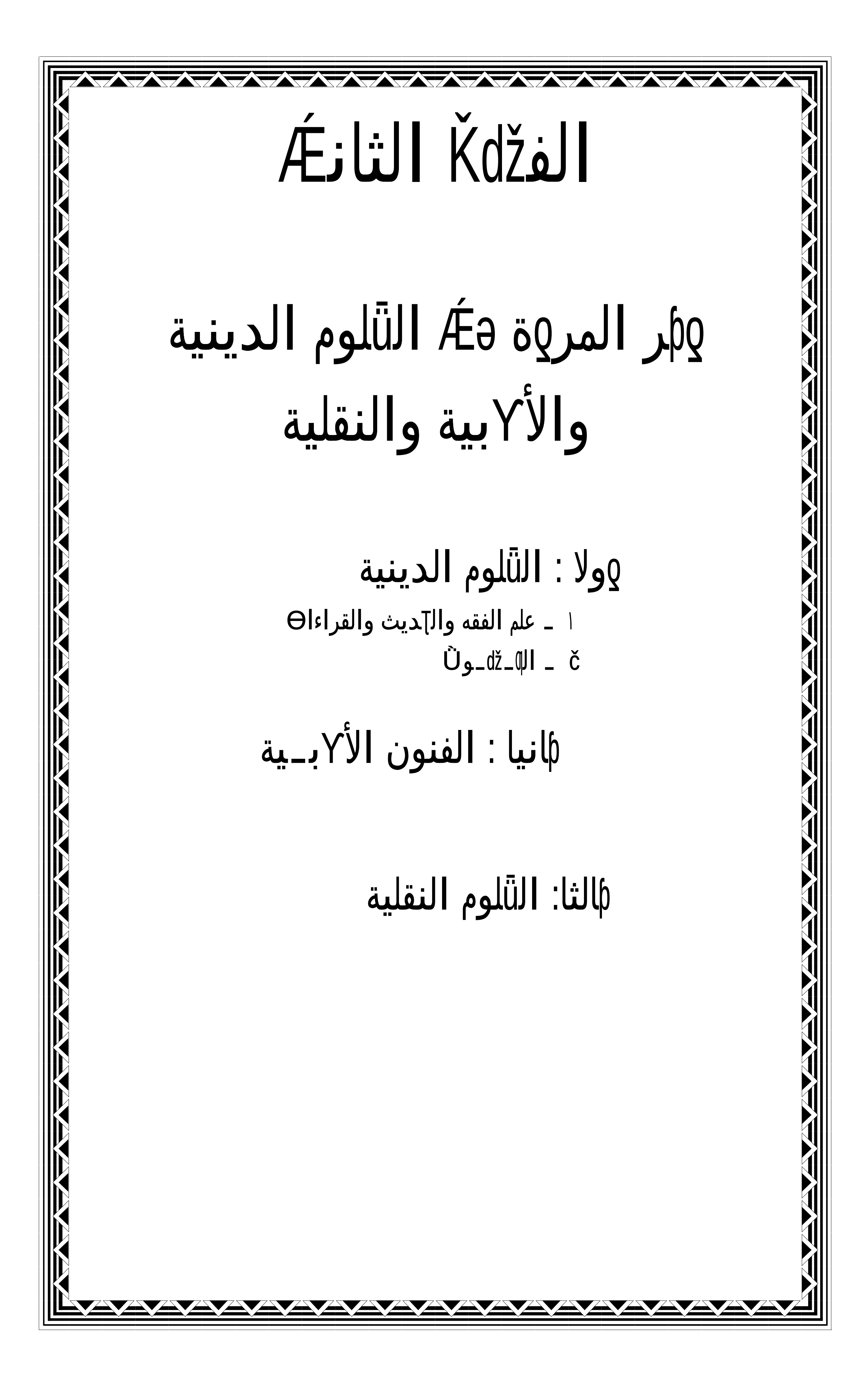
هنا ندرك ما للمرأة المتعلمة من الأثر القوي في إصلاح المجتمع وتقويم خلق النشئ حتى قيل:" الأم هي المدرسة الأولى "، لم تتخل" أم البنين" عن تربية حفيدها أحمد زروق، بعد وفاة والديه، كما تفعل بعض النساء بحجة أن العبء أصبح عليهنّ ثقيلا، ولكنها قامت بتربيته التربية الجادة ، وعملت على توجيهه توجيها نافعا ظهر أثره في سيرته المثالية وحياته العلمية الناجحة، وكانت الجدة تكفله من الناحيتين التربوية والمادية معا، لأن والديه لم يترك له ثروة يعيش بها، وشجعته على تعلم الصنعة ،وهي صناعة الخرْز أوالسكافة وهي عادة في أبناء الفقراء فإنهم يُحملون على تعلم صناعة ما حتى يستعينوا بها في معيشتهم.

وها هو ذا الفقيه زروق يتحدث في كناشه فضل جدته عليه قال [١]:" إنما جاءني من جهة الجد،كان أزرق العينين واكتسبته من أمي،وكانت شريفة لكنني لم أتحقق نسبها لموت أبي،وشرف المرء إنما سلامة دينه و حلْبَتَهُ ومروءته، ولا شرف أكبر من تقوى الله "، قال تعالى: " يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" [٢].

----

(١) ابن مريم: **البستان**، ص٤٥.

(٢) الآية ١٣ من **سورة الحجرات** .



الفǨdǨ الثانÉÆ

ɊɁر المرɊة ÆÉə الثّلوم الدينية والأƳبية والنقلية

Ɋولا : الثّلوم الدينية

ا ـ علم الفقه والƮديث والقراءƟ

č ـ الɰـǆـوÙ

ɸانيا : الفنون الأƳبـية

ɸالثا: الثّلوم النقلية

تمهيـد :
شـهد المغـرب الإسـلامي نهضـة ثقافيـة فـي الحقبـة التاريخيـة التـي ندرسـها فـازدهرت العلـوم الدينيـة مـن حـديث وفقـه، وأصـول الـدين وعلـوم التسـيير، والفنون الأدبية من لغة وشعر ونثر، وعلوم أخرى[١]، وتلـك هـي الموضـوعات التي سنقوم بدراستها ومناقشتها فيما يأتـي:
أولا: العلوم الدينية:
نهضت العلوم الدينية بفضل جهود محمد بن تومرت الذي اعتبرها في مقدمـة العلـوم ونـادى بشـعار:" أعـز مـا يطلب،وأفضـل مـا يكتسـب،وأنفس مـا يدخر،وأحسـن مـا يعمـل،العلم الـذي جعلـه الله سـبب الهدايـة إلـى خير،هـوعز المطالب،وأفضل المكاسب،وأنفس الذخائر،وأحسن الأعمال"[٢].
وكان للمرأة الموحدية نصيب في هذه الثقافة، وسـاهمت مسـاهمة فعّالـة فـي الاشـتغال بـالعلوم المختلفـة،ففي فتـرة نشـوء الدولـة شـاركت المـرأة فـي الاستماع إلى ابن تومرت ونصائحه، وحين أحس ابـن تـومرت بـدنو أجلـه جمـع الرّجال و النساء للاستماع إلى نصائحه ووعظه، وحـدثنا ابـن القطـان:" أنّـه لمـا تمـادى مرضـه،خرج راكبـا علـى بغلتـه،وجمع النّـاس ليسـمعهم كلامـه ووداعـه،وأمر أن يكـون الرّجـال أمامـه والنسـاء خلفه،ليسـمع كلـهم كلامـه"[٣] ، وأصبحت بنات الأمراء القدوة الصالحة لبنات العامة في الإقبال على العلم، فقد درست العديد منهن بل ونافست العلماء .
Ø Č علم الفقه والحديث والقراءات:
تعـودت النسـاء حضـور المجـالس العلميـة والاسـتماع إلـى نصـائح وإرشادات الشيوخ، ولاسيما النساء اللواتي ينتمين إلـى الأسـر الحاكمـة والعالمـة والتـي حرصـت علـى تلقين بناتهـا علـوم الـدين، مـن حفظ للقـرآن والأحـاديث، والأمثلة على ذلك عديدة، نذكر من بينها:
زينب: بنت الخليفة بن عبد المؤمن، عالمة، فاضلة درست علم الأصول على يد أبي عبد الله بن إبراهيم[٤].

---

(١) محمـد المنـوني: **حضـارة الموحـدين**، دار طوبقـال للنشـر، الـدّار البيضـاء، ط١، ١٩٨٩، ص ص١٦،٣١.
(٢) ابن القطان: **نظم الجمان**، ص١٢٦.
(٣)عبد العزيز بن عبد الله:"المرأة المراكشية في الحقل الفكري"،صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،عدد٢،١، ١٩٥٨،ص٢٧٢.
(٤) ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل و التكملة** ،ص٤٨٦

أم العز العبدرية : عالمة، درست القراءات السبع وصحيح البخاري[١].

أم هاني : بنت القاضي عبد الحق بن غالب ووالدة أبي جعفرأحمد الأديب وطبيب المنصور الموحدي،درست على يد والدها،وأخذ الناس عنها العلوم،ولها تآليف في الوعظ والإرشاد[٢].

خيرونة الفاسية : فقيهة من أهل فاس،عاشت بالأندلس،أخذت التصوف عن الإمام عثمان السلالجي (ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م)،صاحب الطريقة البرهانية،وشيخ أهل فاس في عصره،ولا شك أن لها يدا في نشر التوحيد على المذهب الأشعري بين النساء الفاسيات أسوة بأستاذها الإمام السّلالجي[٣]

زينب بنت عباد بن سرحان، عالمة و صالحة، توفيت (٥٨٠هـ/١١٨٦م)[٤].

حفصة :بنت الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد السلمي المعروف بابن العروس (ت ٥٨٢هـ / ١١٨٨م)،كانت صالحة،عالمة بالفرائض ودراسة لكثير من كتب الحديث[٥].

فاطمة : بنت المحدّث أبو علي الصدفي،نشأت صالحة،زاهدة،حافظة للقرآن الكريم وتقوم عليه وتذكركثيرا من الأحاديث والأدعية وغيرها،توفيت بعد سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م، وكان عمرها ثمانين سنة[٦].

- **أم المجد:** مريم بنت الفقيه أبي الحسن الشاري صاحب المدرسة بمدينة سبتة، وتكنى بالشيخة، لنبوغها في علم الرواية والحديث[٧].

- **السيدة محلة المراكشية :** و كانت من حفاظ المدونة[٨].

- **فاطمة:**بنت عبد الرحمان بن محمد القرطبي،فقد درست أصنافا مختلفة من الكتب،إذ

---

(١) عبد الله علام : م س، ص ٢٤٣.

(٢) لم تذكر المصادر عناوين تأليفها،بل اكتفت بالإشارة لها، ينظر،عبد العزيز بن عبد الله: م س، ص ص٢٧١، ٢٧٢.

(٣) عبد الله علام : م س، ص٢٤٥، عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، ص١٤٤.

(٤) ابن عبد الملك المراكشي:م س ، ص ص٤٨٦،٤٨٥.

(٥) ابن الزبير: **صلة الصلة**،تح،عبد السلام الهراس وسعيد أعراب،ص ص٥٦٧،٥٦٦.

(٦) ابن عبد المك المراكشي: م س، ص٤٨٩، ابن الآبار: م س، ج٤، ص٢٦٢.

(٧) عبد الله كنون: م س، ص١٤٤.

(٨) نفسه، ص ١٤.

حفظت القرآن الكريم بقراءة نافع،وكتاب شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والأدب للقاضي محمد بن سلامة، وعدّة كتب في اللغة وصحيح مسلم في الحديث،وفي تاريخ سيرة ابن إسحاق، وفي الأدب الكامل للمبرد(١).

إبنة فائز : قرطبية،زوجة أبي عبد الله بن عتاب،أخذت عن أبيها علم التفسير واللغة والعربية والشعر،وعن زوجها الفقه والرّقائق،ورحلت إلى دانية للقاء أبي عمرو المقرئ ،فوجدته مريضا من قرحة فكانت سببا لمنيته، فحضرت جنازته ثم سألت عن أصحابه فذكرلها أبو داوود بن نجاح فلحقت به بعد وصوله إلى بلنسية فتلت عليه القرآن بالسبع في آخر(٤٤٤هـ /١٠٥٢م) ثم حجّت و توفيت بمصر تمام حجها قافلة إلى الأندلس سنة (٤٤٦هـ/١٠٥٤م)(٢).

إبنة محمد بن فيرة الأموي التطيلي : أخت سعيدة،وقال أبوالعباس بن صقر: "إن صغراهما كانت ملازمة للقراءة والنّسخ وفعل الخير،إلى أن توفيت شابة"،وقال: "كتبت إليّ أي" سعيدة "أن أختها المذكورة قالت في بعض ذوي قرابتها، وقد رأت منه بخلا كثيرا:

بخلت و البخل داء لا دواء له ... أعيا الأطبـــاء طرا والمداوينا

أطعت شحك حتى لست مقتديا ... إذا اقتدى الناس يوما بالنّبيينا

إذا دعا لك داع بعد مبتهلا ... بطول فقر و شح قلـــت أمينا(٣)

أم شريح بن محمد بن شريح المقرئ : إشبيلية، أخذت عن زوجها أبي عبد الله بن شريح، و كانت تقرئ من خلف عليها خلف ستر بحرف نافع، و كان أبو بكر عياض بن بقي، قد قرأ عليها في صغره فكان يفخر بذلك ويذاكر به ابنها شريحا ويقول: "قرأت على أبيك وأمك في مزية على أصحابك، وماتت لا يمت بمثلها أحد إليك فيقر له الشيخ ويصدقه(٤).قال المنصف عفا الله عنه: ذكرها ابن الأبار عن ابن خير هكذا غير منسوبة، وهي أخت أبي عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرّحمان بن غلبون الخولاني بن الحصار، فهوخال شريح،فلعلها ابنة أبي عبد الله محمد والد أحمد هذا،ولم أبت بذلك لاحتمال أن تكون أخت أحمد المذكور لأمه من غير أبي عبد الله (٥).

---

(١) محمد الرشيد ملين: **عصر المنصور الموحدي**،ط ٢،١٩٩٠، ص١٣٥.

(٢)ابن عبد الملك المراكشي: م س، ص٤٩٤.

(٣) نفسه ، ص٤٩٤.

(٤) نفسه.

(٥) ابن عبد الملك المراكشي : م س، ص٤٩٥.

ـ مـريـم : بنت أبي الحسن الشاري المسنة المسندة، المشهورة بأم المجدالعالمة[١].

ـ حفصة : ابنة القاضي موسى ابن حماد الصنهاجي العالمة[٢].

ـ أمة الرّحمان : بنت عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان بن غالب بن تمام بن عبد الرّؤوف بن عبد الله بن تمام بن خالد بن خفاف المحاربي،الغرناطية،المكنية بأم هاني[٣]،ذكرها ابن عبد الله المراكشي قال:" وقفت على اسمها وكنيتها وبعض نسبها بخطها"،أخذت العلم عن أبيهاوأخ عنها،وكانت من أهل الفهم والعقل جيدة الخط، حاضرة النّادرة ،سريعة التمثل.وقد تأسفت لمفارقة وطنها المرية ، فأنشدتها قائلة:

يا عـين صارالدّمع عنـدك عـادة تبـكين فـي فـرح وفي أحـزان

وتزوجها أبو علي الحسن بن محمد بن حسان فولدت له أبا جعفر أحمد مصنّف الجمل والتفصيل في تدبير الصّحة في الإقامة، فلما مات أبوعلي تزوّجت أبوعبد الرحمان محمد بن طاهر فولدت له أبا جعفر عبد الحق مؤلف الأصول في صناعة العدد العملية[٤].

ولها مؤلفان:**منصف في القبور**،وآخر في **الأدعية**، قال المراكشي:"وفيه وقفت على اسمها وكنيتها، كما ذكرت مجيزة فيه من أخذ عنها "[٥].

أم العز : بلنسية بنت أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن هذيل، أخذت قراءة ورش عن أم معفر إحدى حرم الأمير محمد بن سعد ،وبر عن حفظ الأشعار والتمثل بها،وتوفيت بشاطبة إثر خروجها من حصار بلنسية في أحد شهري ربيع سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)[٦].

أم العز الدّانية : بنت محمد بن علي بن أبي غالب العبدري، روت عن أبيها،ومن مروياتها عنه:"صحيح البخاري" قرأته عليه بلفظها مرتين،وروت عن زوجها أبي الحسن بن

---

(١) ابن عبد الملك المراكشي : **الذيل و التكلمة** ، ص٤٩٩.

(٢) نفسه، ص٤٩٩.

(٣) المقري: **نفح الطيب** ، ج٤، ص٢٩٢، ابن عبد الملك المراكشي: م س ٨، ص٤٧٧.

(٤) ابن عبد الملك المراكشي :م س ، ص٤٧٨.

(٥) نفسه، ص٤٧٨، [وقد قيل لنا أن المصنف في **الأدعية** موجود في الخزانة الملكية بالرباط ، ولكننا لم نعثر عليه].

(٦) نفسه، ص٤٨٢.

الزبير وأبي الطيب بن برنجال، وأبوي عبد الله بن أبي بكر،وابن أيوب بن نوح،وأبي عمر بن مات،كانت حافظة لكتاب الله قائمة عليه مجودة له بالسبع،توفيت سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م)(١)

أم معفر: حرم الأمير محمد بن سعد(٢)، أخذت عنها قراءة ورش العالمة " أم العز" بنت أحمد بن علي بن هذيل(٣).

زينب : إبنة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي،ولدت بالأندلس، وتزوجها ابن عمها أبو زيد بن أبي حفص. أخذت عن القاضي المعروف بالأصولي أبي عبد الله عمه ابن إبراهيم علم الكلام وغيره،وكانت عالمة، صائبة الرأي معروفة الشفوف على نساء زمانها متحدثا بنباهة شأنها(٤).

إشراق السويداء : مولاة أبي المطرف عبد الرحمان بن غلبون القرطبي الكاتب(٥)،سكنت بلنسية،أخذت عن مولاها أبي المطرف ثم انتقلت بانتقاله عنها،وكانت قد فاقته في الكثيرمماأخذته عنه،وأحسنت في كل ما تناولته،وكان لها تقدم في العلم والعروض،وكانت تشتهر بالعروضية،وأخذ عنها العروض أبو داوود المقري(٦)،وقرأ عليها **كامل** أبي العباس **المبرد** و**أمالي** أبي علي القالي،وكانت تحفظ الكتابين ظهرا تنصهماعلى حفظا وتتكلم عليهما،توفيت بدانية عند **أسماء بنت مجاهد** زوجة المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمان بن أبي عامر أمير بلنسية(٧).

علة:بنت سليمان بن منفوش مولى هرم بن سليم بن عياض القرشي العمري،شذونيةعن أبيهاوروى عنها ابنها أبوعمروعثمان بن محمد بن أحمد السمرقندي(٨).

---

(١) ابن عبد الملك المراكشي : م س،ص ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٢)هوابن مردنيش أمير شرق الأندلس الذي ظهر عليه الموحدون ، عرف عنه مبالغته في اتخاذ الجواري، ينظر، ترجمته، ابن الخطيب:**الإحاطة**، ج٢، ص ص٢٢١، ١٢٧، **أعمال الأعلام**،ص ص٢٢٩، ٢٦٢، **رفع الحجب المستور**، ج١٠، ص١٢٩.

(٣) بن عبد الملك: م س ، ص٢٨٣.

(٤) نفســه ، ص٢٦٨.

(٥) ينظر ترجمته في **تاريخ** ابن الفرضي، ج١، ص٣٠٨،ابن عبد الملك: م س، ص٤٨٠.

(٦) بن عبد الملك:م س ،ص ص٤٨٠، ٤٨١. المقري: **نفح الطيب**، ج٤، ص٢٩٢.

(٧) ينظر خبر دولته،ابن عذاري: **البيان المغرب**، ج٣، ص٣٠١.

(٨) بن عبد الملك: م س ، ص٤٨٨ .

فاطمة : بنت عتيق بن علي بن خلف الأموي ابن قتترال،مالقية سكنت مراكش،وقد تقدم رفع نسب أبيها في رمسه،فكانت حافظة للكتاب كثيرة التلاوة ، مواظبة على أفعال الخيروأعمال البر،وكانت زوج الفاضل أبي عمرو عبد الواحد بن تقي، وأم أبي الحسن محمد ابنه، توفيت بمراكش في حدود (٦٥٠هـ/ 1252 م) .

ومن الشهيرات في **علم القراءات** نذكرعلى سبيل المثال لا الحصر:

أم معفر: حرم الأمير محمد بن سعد بن مردنيش أمير شرق الأندلس،نصبت نفسها لتلقين تلاوة القرآن على رواية ورش، وكانت من اللواتي أخذن عنها السيدة **أم العز** بنت أحمد بن علي بن هذيل(١).

ـ **أم العز:** بنت أحمد بن علي بن هذيل،أخذت قراءة ورش عن **أم معفر** حرم الأمير محمد بن سعد بن مردنيش ،برعت في حفظ الأشعاروالتمثل بها،وقد أدركها أجلها بشاطبية إثر خروجها من حصار بلنسية في أحد الربيعين سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م)(٢).

ـ **أم العز:** بنت محمد بن علي بن أبي غالب العبدري الداني تروي عن أبيها وعن أبي الطيب بن برنجال و عن زوجها أبي الحسن ابن الزبير و أبي عبد الله ابن أيوب بن نوح، قالوا:" كانت تحسن القراءات السبع و سمعت بقرائتها مرتين صحيح البخاري عن أبيها،قد أدركها أجلها سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م)(٣).

ـ **فاطمة:** بنت عتيق،عالقية سكنت مراكش،كانت حافظة للكتاب،كثيرة التلاوة له،مواظبة على أفعال الخيروأعمال البر،كانت زوج للفاضل أبي عمر عبد الواحد بن تقي وأم الفقيه أبي الحسن محمد. أدركها أجلها بمدينة مراكش في حدود (٦٥٠هـ/١٢٥٢م)(٤).

ـ **فاطمة:** بنت عبد الرحمان القرطبي،تكنى " أم الفتح" ويكنى أبوها أبا القاسم عبد الرحمان بن محمد بن غالب القرطبي الشراط،وختمت على أبيها قراءة **نافع** واستظهرت عليه **الشهاب** للقضاعي وكتاب **التنبيه** لمكي في القراءات و**مختصر** الطليطلي وقابلت طليطلي، وقابلت

---

(١) ابن الأبار: **التكملة**، ج٢، ص ص٧٤٨ ، رقم٢١٢٧.

(٢) عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، ج١،ص ص١٩٨، ٢٠٦.

(٣) ابن عبد الملك: م س،ج٢، ص٤٩١.

(٤) ابن الأبار:م س، ج١، ص١٢٣،رقم ١٣٦٢.

معه صحيح مسلم والسيرة لابن إسحاق والكامل للمبرد والنوادروأمالي القالي وسمعت منه كثيرا وقرأت القرآن أيضا على أبي عبد الله الأندوجرى الزاهد وأبي المفضل الضرير،وقد حدث عنها أيضا أبو القاسم ابن الطيلسان،وقرأ عليها برواية ورش وأجازت له بخطها، توفيت سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م)[١].

ـ **أم علي :** عالمة وشاعرة،و ذكر الطواح أن علي بن إبراهيم: "أخذ علم العربية عن أمه فيماذكرلي رحمه الله،قال:لأنه قرأعليهاكثيرا من جمل الزجاجي،كانت تشعرشعرا جيّدا " ، توفيت عام(٧١٣هـ/١٣١٣م) [٢].

ـ **سالمة الطرابلسية :** أم الفقيه، العالم سيدي بن عروس،أصلها من قبيلة مصواتة البربرية الطرابلسية[٣].

ــ **أم العلاء العبدرية :** بنت عبد الغني بن علي العبدري،وتكنى الأم العلا،أصلها من غرناطة ،وفد أبوها مهاجرا إلى تونس أوائل القرن السابع الهجري فولدت له هذه الفاضلة،اعتنى والدها بتربيتهاوتعليمها قاصدا بذلك منحها خطة شريفة وتأهيلها لحرفة التعليم النسائي،الأمر الذي يكفيها مؤونة الاحتياج على فرض فقدانه مدة حياتها فكانت رحمها الله آية في **حفظ القرآن**،بارعة في العلوم **مليحة الخط**،وعلمت في البلاط السلطاني بني حفص وفي دورالأشراف والأغنياء،ونسخت بخطها مرارا **إحياء علوم الدين** للغزالي إلى غير ذلك من مؤلفات الآداب والتربية الشرعية،ولم تزل مثابرة على تعليمهاوعبادتهاوإيثارها إلى أن أقعدتهاعن ذلك زمانه ألزمتها منزلها نيفاعن ثلاثة أعوام فخلفها على مباشرة التعليم في تلك المدة بنتان لها كانت أهلتهما للقيام به،توفيت بتونس يوم الثلاثاء في الخامس من محرم سنة ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م ،ودفنت بمقبرة القصبة المعروفة بالسلسلة، ويجدر بنا أن نورده في حسنات هذه العالمة الجليلة،هوأن ماتتقاضاه من أجر تعليمها وما كانت تناله من الجوائز الملكية التي كان أمراء بني حفص يتبرعون به عليها خصصته للفقراء والأسرى المسلمين وفكهم من قيد النصارى، لاسيما في عصر كانت فيه لصوصية البحر" القرصنة "ضربا من الأبحار[٤].

---

(١) إبن الأبار : **التكملة**، ج١، ص ١٢٣ ، رقم ١٣٦٢.

(٢) عبد الواحد الطواح: **سبك المقال** ، و ٢٢٥.

(٣) برشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، ج٢، ص٣٥٨.

(٤) ابن الأبار: م س، ج١، ص ص ١٢٣، ١٣٦٢

كما اهتمت بعض العالمات المغربيات بعلم الحديث ، ربما يعود ذلك لتأثير آبائهن وشيوخهن عليهن ،ومن **المحدثات** الشهيرات نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

ـ **زينب التونسية:** بنت أحمد بن ميمون محدثة،سمعت من الفخر التوزري المائة الفراوية،كما أخذت من الصفي الطبري الأربعين،والبلدانية للسلفي،والأربعين الثقفية ونسختي أبي معاوية،وبكار بن قتيبة ومن الشريف أبي عبد الله الفاسي،وحدّثت ،ومن تلاميذها أبو حامد بن ظهيرة، توفيت بمكة سنة (٧٨٠هـ/١٣٧٨م) [١]،وعرّفها كحالة:" بابنة المغربي".[٢]

ــ **أمة الرحيم:** بنت عيسى السبتي محدثة، أخذت العلم عن والدها،وأجازلها علماء آخرون، ماتت في القرن الثامن للهجرة/١٤م.[٣]

ـ **صالحة :** بنت علي بن عمر بن علي بن أحمد الأندلسي،مدرسة و محدثة ذات دين وصلاح،ولدت سنة(٧٩٥هـ/ ١٣٩٢ م) سمعت على جدها **المسلسل** وغيره،حدثت عنه من تلاميذهاالسخاوي،توفيت في رمضان سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١ م) [٤].

ـ **نُضَار:** بنت محمد بن يوسف الأندلسي، محدثة وأديبة فاضلة، ولدت في جمادى الثانية سنة (٧٠٢ هـ/١٣٠٢م) [٥] وأسمعها الكثير من أصحاب ابن الزبيري،وسمعت بقراءة العلم البرازي على بعض الشيوخ،وحضرت على الدمياطي،وحدثت بشيء من مروياتها، وأجازها من المغرب أبو جعفر بن الزبير،وسمعت من شيوخ مصرو خرجت جزءًا لنفسهاوحفظت **مقدمة** في النحوونظمت شعرا،وكانت تعرب جيدا وكان والدها يثني عليها ويقول:**ليت أخاها حيان مثلها**، توفيت في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ هـ/١٣٢٩م) [٦] في حياة والدها فوجد عليها وجدًا عظيما،وجمع في ذلك جزء أسماه" النضار في المسالاة عن نضار"،وقف ابن جعفر عليه وقال:هو كثير الفوائد،وكتب أنها البدر النابلسي قال:" فاضلة،كاتبة،فصيحة،خاشعة،كانت تفوق كثيرا من الرجال في العبادة والفقه مع جمال تام وطرف،وكتب الصفدي لوالدها قصيدة أولها:

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) ابن حجر العسقلاني: **الدرر الكامنة**، ج٢، ص٣٥.
(٢)نفسه،ج،٢،ص٣٥.
(٣) نفسه، ج٢، ص٤٠، كحالة: **أعلام النساء**، ج١، ص٨٥.
(٤) السخاوي: **الضوء اللامع**، ص١٢٥ .
(٥) ابن الحجر **:** م س ،ج٢،ص٦٥ ، المقري: **نفح الطيب**،٤،ص٢٥٤، الذهبي: **تاج العروس** ،ص٢١١.
٦)السخاوي**:** م س، ص١٢٦.

بكينا بالعين على نضار فسيل الدمع في الخدين جار
فيا لله جارية تولت فنبكيها بأدمعنا الجواري[1]

وكان الفقه المالكي قوي الحضور في المغرب الاسلامي،مما أوجب على المرأة معرفته جيدا خصوصا في الشؤون الاجتماعية والأحوال الشخصية الذي يهمها، ومن **الفقيهات** الشهيرات نذكرعلى سبيل المثال لا الحصر:

ـ **فاطمة" أم الفتح ":** تدعى فاطمة بنت عبد الرحمان بن محمد بن غالب القرطبي الشراط وتلقب"بأم الفتح"،وهي سيدة فاضلة ختمت على أبيها قراءة **نافع** واستظهرت عليه **الشهاب** للقضاعي و**مختص**رالطليطلي،وقابلت معه **صحيح مسلم** و السيرة لأبي إسحاق والكامل والنوادر، وسمعت منه كثيرا، وقرأت القرآن أيضا على أبي عبد الله الاندجري الزاهد، وأبي عبد الله ابن المفضل الضرير،وحدث عنها ابنه القاسم بن الطليسات وقرأ عليها بقراءة ورش وسمع منها،توفيت سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م) [٢].

ـ **فاطمة:**بنت أبي زيد النجار، زوجة أبي عبد الله محمد الثاني بن مرزوق جد الخطيب[٣]، عاشت في بيت يتسم بالعلم والصلاح والمال[٤].

ـ **فاطمة:**بنت العالم أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز، حفيدة العالم ابن صاحب الصلاة، ترعرعت في بيت علم وورع وصلاح. [٥].

ـ **حفصة :** بنت العالم ابن مرزوق الخطيب،لقبت "بالسيدة "وهي جدة العلامة قطب المغرب،الحفيد ابن مرزوق »[٦].

ـ **عائشة :** بنت الشيخ محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليني المديوني التلمساني، وأخت العالم والمؤرخ ابن مريم ،من بيت علم وورع وصلاح،تعلمت القرآن على يد أبيها [٧].

---

(١)كحالة: م س، ج٢، ص٣٢٢.
(٢) نفسه، ج٤، ص٧٣.
(٣) ابن مرزوق: **المجموع**، و ٨.
(٤) عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، ص٢٩٤.
(٥) ابن مريم: **البستان**، ص٢٥٨.
(٦) نفسه، ص ٢٦٩.
(٧) نفسه، ص١٤٥

- **أمة الرحيم :** بنت ضياء الدين عيسى بن يحي السبتي، كانت عالمة محدثة سمعت الحديث من والدها،و أجاز لها جماعة من علماء فاس من القرن الثامن للهجرة[١].

- **ست العرب :** بنت عبد المهيمن الحضرمي السبتي، جازها ابن رُشَيد سنة وفاته (٧٢١هـ/١٣٢١م)[٢].

- **شريفة الحسني الفاسي:** بنت عبد اللطيف بن محمد أحمد الحسني الفاسي،ولدت في النصف الأول سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م، كانت عالمة، محدثة، أجازها ابن الكويك،و**عائشة** ابنة عبد الهادي،توفيت بمكة في صفر سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م [٣].

- **خديجة الدكالية** بنت هارون عبد الله الدكالية،قرأت **القرآن** بالروايات السبع وحفظت **الشاطبية**،توفيت في ٦٩٥هـ/١٢٩٥م [٤].

- **آمنة بنت خاجو:** زوجة الشيخ عبد الله الهبطي ،كانت فقيهة ،وعالمة تحاور زوجها في الأمور العلمية[٥].

والخلاصة تمثل هاته الفقيهات نموذجًا من النّساء المغربيات العالمات اللواتي كان لهنّ شأن في العلوم الدّينية في المغرب الإسلامي.

٢ ـ التصوف:

تفيدنا المصادر المتصلة بالمغرب الإسلامي بارتقاء التصوف [٦] النسائي في واقع التجربة

----

(١) ابن عبد الله عبد العزيز: **معجم أعلام النساء** ، ص٣٢٠.

(٢) عبد الله كنون:م س ، ج١، ص٢٠٢.

(٣) ابن عبد الله عبد العزيز:م س، ص٣٢٠.

(٤) نفسه ، ص٣٢٠.

(٥) نفسه ، ٣٢٠.

(٦) لقد اتفق جمهور الباحثين بأن كلمة "التصوف" و "الصوفية" تعود إلى أصول مختلفة، فقال أنها تعود إلى أصل إسلامي، لأي إلى "الصّفة"، وهي زاوية أقامها رسول الله (ص) خارج مسجد الصفاء بالمدينة المنورة، ذات حيطان ثلاثة. فكان بعض فقراء المسلمين يأوون إليها اتقاء الحرو البرد ،ينظر، سميع عاطف الزين: **الصوفية في نظر الإسلام، دراسة و تحليل،** الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط٤، ١٩٩٣، ص١٤، في حين يرى ابن خلدون أن كلمة "التصوف" مشتقة من الصوف الذي يرتديه المتصوف "و هم في الغالب مختصون في لبسه لما كانوا عليه ،أما اصطلاحا فيعرف التصوف أنه:" العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها، و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الانفراد عن الخلق في الخلوة و العبادة "، **العبر**، ص٤٦٧.

الولائية إلى مستوى الظاهرة الروحية المتميزة منذ العهد الموحدي في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد ،وأفادنا ابن زيات (ت٦٢٧هـ /١٢٣١م)عن النشاط الروحي بواحد من أهم معاقل الحركة الصوفية بالمغرب،هورباط **شاكر**[١]،كما أخبرتنا إحدى المتصوفات **"منية بنت ميمون الدكالي** "(ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) بحضور**" ألف امرأة من الأولياء بهذا الرباط هذا العام"** [٢]، وأضاف أحد الشيوخ المصامدة أن بين أهل هذه القبائل سبعة وعشرون من الأولياء يطيرون في الهواء منهم **أربعة عشرا** مرأة، أي أن عدد النساء المصموديات اللائي بلغن هذه الدرجة العليا من التصوف في الوسط المصمودي مهم،بلغن هذه الدرجة العليا من التصوف في الوسط المصمودي **"** [٣]، وقد ترجم ابن زيات **لثمان** نساء منهن **ثلاث** غير معروفات،وذكر منهن بالاسم **خمسا** فقط[٤]، ويضيف الباحث محمد المغراوي أنه" كيف ما كان الأمر فإن إشارات ابن الزيات القليلة تؤكد أن النساء أقبلن على التصوف بنفس حماس ورغبة الرجال،ومنهن من بلغن درجة الولاية بكفاءة "، واستطعن أن يثبتن حضورهن في مجال الإصلاح والولاية" [٥] .

وتعلمنا المصادر المتعلقة بالعصر الحفصي بوجود الظاهرة نفسها،فقد ورد في مناقب عائشة المنوبية أن الشيخ سعدون الأسمر(ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م)أحد الأربعين أصحاب أبي الحسن الشاذلي حينما استبدت به رغبة عارمة في "رؤية بعض الصالحين " رأى ليلة في النوم أبي زيان الداودي "(ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) وهو يقري **"الذاكرين الله كثيرا والذاكرات"**[٦]،ورغم أن منطق هذا النص هو منطق الأحلام والرؤى ومن ثمة فهو منطق الخيال إلا أن ذلك لا ينفي أن تكون لهذا المنطق صلة ما بالواقع قد تكون انعكاسا وقد تكون" تصعيدا"،غير أنها تبقى موجودة ووجودها

---

(١)محمد المغراوي:العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب و الأندلس في عصر الموحدين،**دكتوراه دولة**، الرباط،٢٠٠١، ص ص ٣٤، ٣٨.

(٢) ابن زيات: **التشوف** ،ص ٩٤.

(٣) نفســه ، ص٩٤ .

(٤)نفسه،ص٩٤ .

(٥) يستنتج الدكتور محمد المغراوي إن هذا العدد ضعيف جدا مقارنة بالعدد الإجمالي لتراجم الكتاب التي بلغت أكثر من ٢٧٧ ترجمة ،م س ،ص١٢١.

(٦) مجهول: **مناقب عائشة المنوبية** ،مخ ، بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم ١٨٢٢١ و ٢ أ .

يدعم ولو عبر هذه الإشارة العابرة وجود تجربة ولائية نسائية في تونس، بل في المغرب الإسلامي كله.

فقد شاهد ابن قنفذ العديد من المتصوفات المائة الثامنة هـ/١٤م اللواتي رآهم أو رويت له عنهن أخبار خلال تجولاته ببلاد المغرب من الفترة الممتدة ما بين (٧٥٩هـ إلى ٧٧٦هـ/١٣٥٧م إلى١٣٧٤م)[(١)]،أما عن تصوف المرأة في العصر الزياني يفيدنا ابن مرزوق الخطيب (ت٧٨١هـ/ ١٣٧٩م) بوجود عدد هائل**" من فضليات النساء التلمسانيات الصالحات"**[(٢)]،وتبقى المصادر المغربية غنية بالنساء المتصوفات والزاهدات والصالحات إلى غاية القرن الثاني عشر الهجري/١٨م، وهي فترة بعيدة عن دراستنا.

والمعلوم أن ابن زيات ينفرد في ترجمة النساء المتصوفات اللواتي كان لهن شأن عظيم مثل الرجال، ومنهن **متصوفات مجهولات** فقد ترجم لثلاث هن :

ـ **أخت عبد العزيز التونسي**[(٣)]**:** قال عنها:« رأيت قبلي مدينة أغمات وريكة على قرب من قبر عبد العزيز التونسي،قبرا يتبرك الناس به ويدعون عنده ويذكر أنه قبر أخت عبد العزيز التونسي،وأنها انقطعت إلى عبادة الله تعالى إلى أن ماتت وهي بكر،وأن عبد العزيز كان إذا جاءه أحد يستوهب منه الدعاء يأمره أن يذهب إليها لتدعو له.

جُودي أن أغيبَ عن الوجودِ   لما يَبْدُو عليّ من الشُّهودِ

ما فِي الوَجدِ لي فَخْر و لا كن   فخرتُ بوُجْد مُوجِدِ الوجودِ[(٤)]

ـ **أم محمد السلامة:** امرأة عجوز من أهل قرية "تايد افالت[(٥)] "من بلد دكالة، كانت والية صالحة،قال:« سمعت موسى بن عيسى يقول: سمعت الشيخ أبا ويعزان يبريدن بن ويبدن

---

(١) ابن قنفد: **الوفيات** ،تح،عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للبطاعة والنشر والتوزيع، بيروت،١٩٧١، ص ١٣٢.

(٢) ابن مرزوق: **المجموع**، و٢، و٧، و٨، و١٩، و٢٦، و٤٤ .

(٣) ابن الزيات**: التشوف،** ص١٣٦.

(٤) نفسه، ص ١٣٦.

(٥) تايْدَا: وهي نوع من شجر العرعار، و تايدافالت: نبات اللبلاب، لعل هذه القرية هي تيقطين في دكالة، ينظر،

Massignon (L)**:Le Maroc dans les premières années du 16 siècle**, Alger, 1906, P125.

الأيلاني[1]، يقول:في المصامدة سبعة وعشرون وليا يخترقون الهواء وفيهم أربعة عشر امرأة منهن **عجوز** بتكتينت من بلد إيلان وتين السلامة بتايدافلت **وعجوز عمياء** بسامدن من بلد هسكورة»، وأضاف ابن الزيات يقول:أخبرني مخبر قال: أخبرني أبو بكر الحويري خديم تين السلامة أنها كثيرة خوارق،بحيث يشهد خادمها لما تتمتع به من كرامات،فقال:« خدمت تين السلامة ثمانية أعوام، فكانت تبذر في كل يوم خمسة أمداد خاصة، فإذا حصدت رفعت خمسة أمداد للبذر وأعدت الباقي لنفقتها ونفقت أضيافها مدة عام،قال أبوبكر:وقلت يوما لتين السلامة خدمتك مدة، فما رأيت شيئا مما يراه الرجال،فقالت لي:"،تتوب إلى الله تعالى وعليك بالصوم " فصمت أياما،فلما كان ذات ليلة قالت لي:قم،فانظر كم بقي من الليل،فقمت لأنظر ما بقي من الليل، فرأيت شيء يطير في الهواء كالغرنوق العظيم ،فإذا به قد نزل على خيمتها،ثم دخل إليها فإذا هو صهرها أبو سمحات،فسمعته يقول لها :ما وجدت من قرينته من تلاميذتك إلا أنا، فتحدث معها ساعة ثم رأيته معها عاد من حيث جاء،قال أبوبكر الحريري:وكنت مع**" أم محمد"** زمان الحصاد إلى أن صاحت فسقطت،فسمعت ابنها محمد يقول:ستكون الكرة لهم،ثم أفاقت من غشيانها وصرخت صرخة يصرخها النساء عند السرور بالشيء، فاجتمع الناس عليها وأنكروا عليها ذلك، فقالت لهم: كنت رأيت الروم قد حملوا على المسلمين حملة عظيمة فعظم ذلك علي،ثم بعد ذلك كانت الكرة للمسلمين عليهم فهزموهم،فأرخ الناس ذلك اليوم فجاء الخبر من جزيرة الأندلس بأن المسلمين هزموا في ذلك اليوم أدفونش ملك الروم وهي غزوة الأرك التي كانت يوم الأربعاء٩ شعبان سنة (٥٩١هـ/١١٩٤م) [2].

- أمية بنت يعروسن: متصوفة،عابدة، أدركت عبد السلام التونسي وأنافت على مائة سنة وكانت كبير ما تجتمع بعبد السلام، إثر كل صلاة الجمعة،فيدعو لهم قالت:فوقفت مع الناس وهو يدعو لهم واحدا واحدا إلى أن انفصلوا كلهم فوقفت وحدي وأصابتني رعدة من هيبة، فقال لي:ما تريدين؟ فقلت:يا سيدي ادع الله لي أن يتوب علي! فقال:تاب الله عليك، قالت فانصرفت إلى منزلي وتجردت من أثوابي وتطهرت وأقبلت على طاعة الله عز وجل،وكانت تلبس

---

(١) هو صاحب أبا يعزي الذي يروي عنه،ينظر،ابن الزيات:م س ،ص٢٠٤ .
(٢) نفسه ، ص ٢٠٥.

خمار صوف وجبة صوف و تقيم النهار من أوله إلى آخره بجامع تلمسان إلى أن لحقت بالله عزّ وجلّ[١].

كذلك ترجم ابن الزيات **ست متصوفات معروفات** هن:

تيعزّات:بنت حسين الهنتيقي،وتكنى" بأم عصفور"،متصوفة من أهل الرباط ملولاسن، كانت كبيرة الشأن، أخبرنا ابن الزيات قال: سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول: حدثني أبو سليمان الماصوصي قال:حدثتني **أم عصفور** قالت:«مرضت مرضا شديدا، فرأيت أنه دخل علي أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما،فأقعداني،فوجدت في نفسي قوة،فقمت من حيني وقد استرحت من مرضي ووجدت الراحة »[٢].

- **فاطمة الأندلسية**[٣]: من أهل قصر كتامة ،كانت من الصالحات، سمعت محمد بن أحمد الزناتي يقول:" بت ليلة عند أبي عبد الله محمد بن محمد بن جميل القصري المعلم وبات معنا أبو عبد الله التاودي وأبو زكرياء السائح فصلينا العشاء الآخرة ثم جرى ذكر طيب حوت القصر،وأبو عبد الله المعلم حاضر،فغاب عنا، فلما طلع الفجر طلبته أناو عمر بن عيسى الكتامي، فلم نجده فتفقدنا بيته الذي كان ينفرد فيه، فوجدناه مغلقا فجلست أنا و عمر نرقبه لنعلم من أين يأتي،فسمعناه قد دفع باب المقرية بيده وطلع فقلنا: ننظر إلى خفيه فإن وجدنا بهما بللا علمنا أنه لم يبت معنا، وكان في زمن الربيع، فوجدنا بلل النّدى على خفيه و عليهما نوار أصفر من نوار المروج، فأخرج لنا حوت لا يكون إلا في بركة على قدر ثمانية عشر ميلا من القصر، فعجبنا من أمره،فعلينا،وذهبنا إلى فاطمة الأندلسية، فوجدناها تصلي صلاة الضحى،فلما انتهت من صلاتها قالت لنا:لا تنكروا براهين الصالحين فإنها حق».

- **ملالة بنت عيسى**[٤]: هي جدة الفقيه محمد بن الحسن بن علي الفزاوي[٥]،قال أنها لها كرامات، فقال:« حدثتني جدتي ملالة بنت عيسى فقالت: استيقظت ليلة بداري وقد غلب ضوء القمر حتى ظننت أنه النهار،فخرجت من المدينة إلى جهة المقابر على الساحل،فإذا نور

---

(١) ابن الزيات: التشوف،ص٢١٤ .

(٢) نفسه ، ص٩٤.

(٣) نفسه ، ص٣٣١، ٣٣٢.

(٤) نفسه ، ص٢٠٧.

(٥) نسبة إلى فنزاوة، و كانوا قبيلة شمالي سلا، بينها و بين مدينة الخميسات الحالية، ينظر، **التشوف**، ص٢١٢.

عظيم في البحر وهو يدنو من الساحل،فذهبت إلى جهتهن فخرج رجل من البحر فتأملته فإذا هو عبد الله بن صالح[١].

ـ **ملالة :** متصوفة ومتدينة من أهل سلا،كانت من اللواتي تحفر القبور،وقد تولت بحفر قبر الولي الصالح أبو موسى بمدينة سلا،كانت لها كرامة وشرف في أن يُدفن الصالح موسى الدكالي، في القبر الذي تكفلت بحفره له في رابطة القدم، فحدثنا عن شأن ذلك، فقالت ملالة بنت زيادة الله قد أعددت لكفنه و مؤنة دفنه خمسمائة دينار ،فقيل لها:"إنه عهد أن لا يكفن ولا يجهز إلى قبره إلا بسبعة الدراهم التي تركها وثمن مصحفه" فقالت لهم:"إن لي كفنا أعددته لنفسي صنعته من كتان زرعته في أرض موروثة عن آبائي،فادعوا لي في ثمنه دراهمه وثمن مصحفه فاشتروا منها ذلك الكفن بدراهمه،فلما أخرجوا جنازته إلى المقابر تنازعوا في دفنه، وقال كل واحد إنما يدفن في روضتي ولما غلب الليل سلله أحد محبيه وأخذه من فوق النعش وحمله ودفنه،فأقاموا على قبره يسهرون عليه بالليل ويقرأون القرآن بالنهار،ولما كملت سبع ليال غلبهم السهر،فناموا فما انتبهوا إلا وقد نقل من ذلك القبرإلى قبر حفرته له "ملالة بنت زيادة الله" في رابطة القدم، وعملت عليه قبة أنفقت عليها خمسمائة دينار[٢].

ـ **ميمونة:** بنت محمد بن أبي القاسم،كانت تعيش في بيت صالح وأهل التدين[٣]،وكان الشيخ أبو يحي أبو بكر ابن جداسن الصنهاجي (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م) بمدينة مراكش، يحب أن يقيم في بيت أبيها وكثيرا ما كان يفضل أكلها، فكانت تصنع له عصيدة شعر دون آدام »[٤].

ـ **منية:**بنت ميمون الدكالي،أصلها من مكناس ونزلت في الجانب الشرقي من مراكش وبه توفيت عام(٥٩٥هـ/١١٩٨م)،دفنت خارج باب الدباغين،حدثنا ابن الزيات:"زرتها ورأيتها عجوزا قد اسودت من الإجتهاد ولصق جلدها بعظمها"،ومما التقت بهم:أبو العباس أحمد إبراهيم الأزدي البسطي وأبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري ومحمد بن علي،كلهم استشهدوا حضورها في مجال الصلاح والولاية بكفاءة،وقال ابن الزيات:حدثني أبو عبد الله محمد بن خالص

---

(١) من أهل مدينة سلا (ت٥٧٠هـ/ ١١٧٢م)،ينظر، **التشوف**، ص٢١١.

(٢) نفســه ، ص٥٠٦.

(٣) نفسه، ص ٣٠٨ .

(٤) نفسه،ص٣١٨ .

الأنصاري قال : رأيت" منية في" رباط شاكر، فصليت في جماعة من المريدين وانصرفت عنهم، فأخبرني بعض من تحدث معها من المريدين أنها قالت:« حضر هذا العام بهذا الرباط ألف امرأة من الأولياء »[١]وقال أيضا:"حدثني محمد بن علي قال:كانت منيَّة تحدثني، فقالت:دعاني رجل من التجار إلى الطعام فأجبته كارهة، فلما قدمت القصعة بالطعام، كلمني الطعام و قال لي: لا تأكلني، فإني حرام ! فاستحيت من صاحبه ورفعت بضعة من لحم إلى فمي ثم وضعتها، فحرمت أورادي والنوافل ثلاثة أيام، والهواتف تهتف عن يميني وعن شمالي هكذا يفعل بالكلاب على بطونهم يهجرون" ،كما حدثنا ابن الزيات عن كرامتها " فقالت:وصليت الضحى يوما إلى أن رأيت الحصير الذي أصلي عليه كأنه يرفعه شيء من تحته،فقلت في نفسي :لعله دخل تحته دراهم طرية،فخروت ساجدة أبكي وأقول:أنت مطلوبي! لا سواك فأقلني! فعاد الحصير على الأرض كما كان، فرفعته فلم أجد تحته شيئا " [٢].

يبدو من خلال هذه الاطلالة السريعة أن ابن الزيات يؤمن كغيره بخوارق وكرامات أولياء الصالحين وهو فكرسائد لدى العامة والعلماء رغم تدينهم وتفقههم في الدين ،وتبقى هذه الظاهرة سائدة الى يومنا هذا ؟ .

كما تذكر بعض مصادر **متصوفات أخرى هن:**

ـ **السيدة آمنة بوزيد:**صالحة،دفنت بمكان قصر الدرب،هكذا معروف عند العامة[٣].

ـ **أم الحسن قرطبية :** بنت أبي لواء سليمان بن أصبع بن عبد الله بن وانسون بن بوزع المكناسي مولى سليمان بن عبد الملك،روت عن بقي بن مخلد سماعا منه وقراءة عليه وصحبته، وكان لها منه يوم في الجمعة تنفرد به لاخذ العلم في داره ومما قرأت عليه بلفظها كتاب الدهور، كانت صالحة،زاهدة،فاضلة،عاقلة،حجت وسمعت هنالك الحديث والفقه وعادت إلى الأندلس، ثم حجت ثانية ،توفيت بمكة شرفها الله،ودفنت هنالك[٤].

---

(١) ابن الزيات: م س، ص٣١٨.
(٢) نفسه ، ص٣١٨.
(٣) الفتحي المراكشي:**السعادة الأبدية** ، ص٤٨.
(٤) ابن عبد الملك المراكشي: م س، ص٤٨١.

ـ زينب ابنة إبراهيم بن تيفلويت:زوجة أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، وأختها الأديبة حواء كانت من أهل الخير والتعاون والصدقات والنوائل تقوم على كثير من الخير،وتحفظ جملة وافرة من الشعر(١).

ــ رقية بنت معن الأندلسي:تكنى أم البنين ،كانت آية في المعارف،والهمة الرفيعة والزهد وقوة اليقين، شهد لها معاصروها بمتانة الدين والإشتغال بما يعنيها عما في أيدي الخلق والرضى والإستسلام والسكون تحت مجاري الأحكام(٢).

ـ فاطمة بنت حيون الصدفي: بنت أبي علي حسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفي ابن بسكرة المرسية'تركها أبوها حين خرج غازيا إلى كنتدة للغزاة التي استشهد بها، تركها وقد قاربت الفطام وأوصى أن لا يجمع عليها فقده وفطامها فتركها ترضع على طبيعتها ! ونشأت صالحة زاهدة تحفظ القرآن ،تقوم عليه وتذكر كثيرا من الحديث في الأدعية وغيرها،كانت حسنة الخط ملتزمة بمطالعة الكتب(٣).

ـ مسعودة بنت أبي الحسن: بنت أبي الحسن بن أحمد بن خلف بن البدش زوج أبي عبد الله بن عبد الرحمان النميري،حدث عن والدها وأخيها أبي جعفر وزوجها النميري بمختصر الطليطلي،كانت فاضلة صالحة، أدركها أجلها (٥٧٠هـ/١١٧٤م) (٤).

ـ زينب قرطبية: ابنة أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله البر النمري، المعروف بالحافظ ابن عبد البر،سكنت شاطبة مع أبيها وروت عنه،كانت صالحة فاضلة،و هي "أم سبطيه" أبي محمد عبد الله،وأبي جعفر أحمد إبني علي اللخمي،توفيت في حياة أبيها(٥).

---

(١) يقول أبو إسحاق الخفاجي قصيدة فيها ، ينظر ،**ديوان ابن خفاجة** ،ص٤٨١.

مشهورة في الفضل قدما و النـهى النبل شـهرة غـرة في أدهـم

تـولى الأيـادي عن يد نـزل الندى ـنها بمنزلة المحب المكـرم

ملكـت بـه الأحـرار أكـرم حـرة ـسط المقل بـها يمـين المنعـم

حـمل الثناء بها القريض و إنمــا مـل الحديث روايـة عن مسلم

(٢) الكتاني: **سلوة الأنفاس،** ج٢، ص٢٩٣.

(٣) ابن عبد الملك المراكشي : **الذيل و التكلمة،** ج٢، ص٤٨٩.

(٤) نفسه ،ص ٤٩٢ .

(٥) نفسه،ص٤٨٦، ابن الأبار:**التكملة**،ص٣٢١ .

ـ **شعــاع قرطبيــة :**جاريــة قاسـم بـن أصـبغ،كانت صــالحة، لهـا ينسـب المسجد الذي بربض الرصافة بقرطبة[1].

ـ **مسعدة:** بنت أبي الحسن أحمد بن خلف بن البادش،وزوجـة أبـي عبد الله بـن عبـد الرحمـان النميري،حـدثت عـن أبيهـا وأخيهـا أبـي **جعفـرو** زوجهـا النميري مختصر الطليطلي،كانت فاضلة،صالحة، توفيت سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) [2].

ـ **فـاطمة:** بنت أبي علي حسين بن محمد بن خيرة بن حيون الصدفي ابن بسكرة مرسية، تركها أبوها حين خرج غازيا إلى كتندة للغزاة التي استشهد بها، كانت قد قاربت الفطام وأوصى أن لا يجمع عليها فقده وفطامها، فنشأت صالحة،زاهدة،تحفظ القرآن و تقوم عليه وتذكر كثيرا في الحديث في الأدعية وغيرها،كانت حسنة الخط ملتزمة بمطالعة الكتب[3].

ـ **زيـنب:** ابنة إبراهيم بن يوسف بن قرقول و قد تقدم رفع نسبها في رسم أبيهـا. كانـت فاضـلة، صـالحة، سـمعت أباهـا فـأكثرت، قـال ابـن عبـد الملـك المراكشـي:" وقفت علـى سماعها عليـه فـي جـامع الترميـذي ،وكانـت ضـابطة متقنة " [4].

ـ **زيـنب البلنسـية:** زينـب ابنـة محمـد بـن أحمـد ابـن محـرز الزهـري البلنسية،تدعى **عزيزة**، وهي أخت أبـي بكر ابن محرز سمعت جدها لأنها أبـا الحسن بن هذيل،وقد أخذ عنهـا، كانـت معدودة من الصـالحات الطيبات،أدركهـا أجلها منتصف جمادى الأولى سنة(٦٣٥هـ/١٢٣٧م)[5].

ــ **أم الهنــاء:**بنـت القاضــي أبــي محمـد عبـد الحـق بـن غالـب بـن عطية،صالحة ومتعبدة[6].

ـ **مسعدة:** بنت أبـي الحسن علـي أحمد ابن خلـف بن البـاذش، صـالحة ومتعبدة، توفيت بعد (٥٧٠هـ/١١٧٤م)[7].

----

(١) ابن عبد الملك المراكشي : **الذيل و التكملة**، ج٢، ص٤٨٩.

(٢) نفسه،ص٤٩٢، ابن الأبار: م س ،ص٢٨٨ .

(٣) ابن عبد الملك المراكشي: م س، ص٥٠١ .

(٤) نفسه،ص٥٠١ .

(٥) نفسه، ج٢، ص٤٨٦.

(٦) ابن الأبار :**التكملة** ، ج٤، ص ص٢٥٧، ٢٥٩

(٧)بالاثيوس آسين: **ابن عربي**، تر، عبد الرحمان بدوي، د ت ، ص٩٤.

- **زينب:** بنت العالم ابن عربي (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)،و أمها مريم بنت محمد بن عبد الرحمان الباجي،نشأت في أسرة علم و دين،قال عنها أبوها:« إنها كانت منذ طفولتها تتلقى إلهاما علويا » وكانت امرأة صالحة و زاهدة ووارعة لا يعرف تاريخ وفاتها(١).

- **مريم:** بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمان الباجي،صالحة و زاهدة تزوجت بالعالم محي الدين ابن عربي،ويعود لها الفضل في تغيير مجرى حياة زوجها ابن عربي لما كانت تسمعه من مواعظ ودروس، وضربت له المثل الصالح في الزهد والورع(٢).

- **غالبة الأندلسية:** بنت محمد الأندلسية،سيدة فاضلة روت عن أصبغ بن مالك الزاهد(٣).

- **زينب:** كانت سيدة عابدة من أهل سبتة(٤).

- **زينب القرطبية:** ابنة عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النميري القرطبية،سكنت شاطبة مع أبيها وروت عنه ،وكانت صالحة فاضلة، وهي" أم سبطية" أبي محمد عبد الله وأبي جعفر أحمد ابني علي اللخمي،أدركها أجلها في حياة أبيها(٥).

- **زينب الشاطبية:** ابنة عباد بن سرحان بن مسلم بن سيد الناس المعافري الشاطبية، روت عن أبيها و أجاز لها، و كانت دينة فاضلة كثيرة الاوراد، صوامة قوامة، تسرد الصوم، توفيت في حدود (٥٨٠هـ/١١٨٤م)(٦).

- **تحضرت:** سيدة صالحة معروفة عند العامة ب:**"لالة** تحضرت" وهي مدفونة بدرب الرّماد عن يسار الداخل إليه،وعليها بناء اندثر جله(٧).

- **السيدة مِحلة:**صالحة،داخل حومة باب ايلان، قال الفتحي المراكشي:« ذكروا عنها

---

(١) بلاثيوس آسين : م س ، ص ٩٤

(٢) علي أحمد: **الأندلسيون و المغاربة في الشام**، دار طلاس، ط١، ١٨٩٩، دمشق، ص١٧٣.

(٣) كحالة: **أعلام النساء**، ج٤، ص٤.

(٤) الأنصاري القاسم: **اختصار الأخبار عمن كان بسبتة** ، ص١٩.

(٥) نفسه، ج٢، ص٤٨٦، عبدالهاي التازي: **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي**، ص٨٩.

(٦) عبدالهاي التازي: م س، ص٨٩، ابن عبد الملك: **الذيل و التكلمة**، ج٢،ص ص٤٨٥، ٤٨٦.

(٧) الفتحي المراكشي: م س، ص٣٠.

أنها كانت تحفظ المدونة »،وبنيت عليها قبة وسطى مقابلة لضريح القاضي ياض،و بداخلها قبر يعرف صاحبه بالمولى إدريس الوزاني[١].

ـ **السيدة مِباركة:** صالحة، دفنت بقاع الدرب المنسوب إليها فوق تل عال، يصعد إليه بدرج ثلاثة وعليها حوش[٢].

ـ **تعزّى:** بنت ناصر ،صالحة، ذكرها صاحب رحلة الوافد[٣] أثناء حديثه عن "المقبرة الكبرى بعدوة وادي نفيس"، التي الآن بقرب سور مدينة" تينمل "عند الطريق، قائلا:« في وسط المقبرة بيت البرابطة التي يقال لها تعزّى **بنت ناصر**،ومعها قبور أخرى في البيت،مازال القوم يتبركون بها وبهم الآن »،هذه السيدة التي نعتها المؤلف المذكور"بالمرابطة" لا نعرف عنها شيئا،رغم أنها كان لها بدون شك أهمية ما على المستوى المحلي،وإلا ما كان ليبني عليها وما كانت لتدفن في"المقبرة الكبرى" التي بها قبور الموحدين والصالحين والعلماء والسادات والأشراف.

ـ **السيدة عزوزة:**معروفة عند العامة بالسيدة عزوزة بنت علي، دفنت بحومة سيدي محمد بن صالح،وبنيت عليها قبة صغرى بقعر الدرب المعروف بها[٤].

ـ **عائشة المجذوبة:** صالحة ، تعيش داخل باب الخميس قال المراكشي:« لم أقف على تاريخ وفاتها،وبنى عليها بيت بالدرب المسمى "بدرب عائشة المجذوبة "من حومة اسْوَلْ »[٥].

ـ **عائشة احساين:** صالحة، بني على قبرها بيت بقعر المشروع من حومة الزاوية العباسية [٦].

ـ **عزيزة**[٧]**:**بنت عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمان القريشية الهاشمية الأندلسية، سيدة فاضلة،ضالحة،ولدت بمرسية سنة (٥٤٦هـ/١١٥١م) ونشأت بقرطبة،وسكنت مصر أعواما،قال الحافظ المنذري:"علقت عنها الفوائد"،توفيت سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م).

-

---

(١) الفتحي المراكشي: م س، ص٤٥.

(٢) نفسه، ص٤٦.

(٣) عبد الله بن إبراهيم التاسافتي: **رحلة الوافدي** ، تح، علي صدقي أزايكو ، الرباط،١٩٩٣،ص١٧٤، **المعلمة**، ج٧، ص ص ٢٤١٨، ٢٤١٩.

(٤) الفتحي المراكشي: م س، ص٥٤.

(٥) نفسه ،ص١٠٣.

(٦) نفسه ، ص١١١.

(٧) الزركلي: م س، ج ٤، ص٢٣٢.

ـ **السيدة ستى:**صالحة،دفنت داخل حومة باب أيلان،بدرب الجامع من حومة ضباشي، بحضرة المراكشية(١).

ـ **رشيدة:** سيدة أندلسية ،كانت تتجول في بلاد الأندلس تعظ النساء وتذكرهن ،وكان لها صيت وإنصاف بالخير(٢).

أما في تونس الحفصية،حظيت مصادر التصوف النسائي بذكر العديد من المتصوفات الائي كان لهن صيت ،فقد ذكر" الهواري" بعض منهن:

ـ **زوجة أبي سعيد الباجي:** صالحة،متعبدة،انتقلت إلى المشرق سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٧م) حيث أدت مناسك الحج وجاورت بالبقاع المقدسة لمدة أربع سنوات،وكان الجانب الكرامي في شخصيتها واضحا،لعلها كانت على غرار زوجها تمارس الاحتراس والمرابطة لذلك دفنت بمنارة قرطاجنة (ت٦٠٧هـ/١٢١١م) (٣).

ـ **سيدة الكل بنت أبي بنت أبي سعيد الباجي:** كانت حية سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) صالحة،اتصل بها الهواري وأخذ عنها بعض تقاطيع سيرة والدها (٤).

ـ **زوجة أبي عبد الله محمد الاودني:** كانت حية سنة(٦٤٠هـ/١٢٤٢م) أحد أكابر أصحاب الباجي وقد كانت بدورها من الصالحات(٥).

ـ **أم عمر حفصة زوجة أبي سفيان الدهماني:** كانت حية سنة(٦٤٧هـ/١٢٤٩م)،هي من أبرز رواة مناقبه،كان لها اتصال مكثف بطلبة الزاوية الدهمانية وعنها أخذ الدباغ ما لا يقل عن عشرين خبرا منقبيا تخص سيرة الولي (٦).

ـ **والدة سعادة الرياحي:**صالحة،متعبدة، ورعة،توفيت سنة (٧٠٥هـ/١٣٠٥م) (٧).

---

(١) الفتحي المراكشي: م س، ص٥٠.

(٢)ابن عبد الملك:م س،ص٤٨٥،ابن الأبار:**التكملة**،ر٢٨٨٥،ص٢٤٥.

(٣) الهواري: **مناقب أبي سعيد الباجي** ،مخ، رقم١٧٩٤٥، د، ك، و، تونس ، و ٦أ.

(٤) نفسه ، و ٥ ب ،الرصاع:**فهرس الرصاع**، ص٢٠٠.

(٤) الهواري: م س ،و ٨أ.

(٦)الدباغ:**الأسرار الجلية في المناقب الدهمانية** ،و ١٢.

(٧) ابن خلدون: **العبر** ، ج٤، ص ٨١.

ويفيدنا أبو الحسن الشاذلي باستثناء آخر من الاستثناءات التي احتفظت لنا بها مصادر الفترة عن النماذج الولائية النسائية يتمثل في السيدة **زينب بنت الشريف** (١) فقال:**"**ما ماتت حتى ختمت ألف ختمة وخمسا وعشرين ختمة من القرآن،وختمت صحيح البخاري سبعين ألف ختمة"،توفيت سنة(٦٨٠هـ/١٢٨١م)(٢)،ورغم أن الرقم يبدو هائل إلا أنه إشارة مقنعة على أن الصالحة **زينب** متعلمة ومتعبدة.

ويضيف لنا ابن ناجي في" إكماله لمعالم الأيمان" أنموذجا نسائيا آخر هو:

ملولة بنت عبد الوهاب:زوجة ميمون بن زيد الكفاح(٣)تعبدت ملولة مع أبيها (٤)

- **أم سلامة زينب الحضرمية** (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م) (٥).
- **عائشة المنوبية:**صالحة. (٦)

أما الصباغ فيشير في مصنفه" تحفة التحف في مناقب أهل الشرف "الذي وصلنا جزءا من مجموع مناقب أولياء مدينة تونس تحت عنوان " باب في ذكر مشايخ الشرف "(٧)إلى عدد من النساء الصالحات هن:

- **مريم الهنتاتية:** تنحدر من أسرة تنتمي إلى شيوخ الموحدين، صالحة (٨).

----

(١) هو الفقيه المتصوف الإمام الخطيب بجامع الهواء وشيخ المدرسة التوفيقية ،وهو أحد رفاق أبي الحسن الشاذلي الأربعين من جيل الرعيل الأول، مجهول: **مناقب عائشة المنوبية** ، ، مخ.د.و.ط بتونس، رقم ١٨٢٢١و٣.

(٢)نفسه،ص١٢.

(٣) هو أحد أعلام الفقيه المتصوف الإمام الخطيب بجامع الهواء وشيخ المدرسة التوفيقية أحد رفاق أبي الحسن الشاذلي الأربعين من جيل الرعيل الأول الأولياء المنحدرين من القبائل العربية البدوية وتعرف" بني وائل"، ابن ناجي: **معالم الإيمان**، ج٤، ص١٠٨.

(٤) نفسه،ص١٢٥

(٥) تمثل "عائشة المنوبية " استثناءًا بارزا ليس في تونس فحسب و إنما ترتقي بسيرتها النموذجية التي اعتنى بتحبيرها أكثر من مؤلف واحد من مؤلفي كتب المناقب إلى مستوى المثل الولائي النسائي الأعلى الاستثنائي في المجال المغرب الإسلامي برمته .

(٦)ابن ناجي:م س،ج٤،ص ص ١٠٦ ،١٠٩

(٧) ابن الصباغ: **مناقب أولياء مدينة تونس**، مخ.د.و.ط بتونس، رقم ١٨٥٥٥ و و ١٦ ظ ، ١٩ ظ.

(٨) نفسه ،و ١٧.

ـ **رقية الهنتاتية:** صالحة،ولا نعلم هل هي أخت مريم؟[١].

ـ **فاطمة بنت الشيخ عياش** [٢].

ـ **عائشة الهاشمية:** ابنة الشيخ أبي طاهر الهاشمي القرطبي [٣].

ــ **أم الخير:**والدة أبي علي سالم التباسي[٤]،صالحة،توفيت (٦٤٢هـ/١٢٤٤م)[٥].

ـ **نجمة الشافية:** (ت٦٧٨هـ/١٢٧٦م) " السيدة المشهورة بالولاية "[٦].

ـ **عائشة المنوبية:**السيدة الصالحة[٧].

هكذا نستنتج أن ابن الصباغ قد جمع ثمانين شخصية ولائية هم جملة مشائخ الشرف،وتوقف عند سبع نماذج من المتصوفات النسائية ،على أنهن جميعا ينتمين إما إلى الفترة الموحدية وإما إلى صدر العهد الحفصي بحيث كن إما من مخضرمات القرنين السادس والسابع الهجري/١٢و١٣م أو من المنتميات إلى القرن السابع الهجري/١٣م.

وارتأينا أن نقف أمام تصوف نسائي لنظيره الرجالي في المغرب الإسلامي فترة دراستنا متصوفات أخريات كانت لهن مشاركة إلى جوار إخوانهم من رجال الصالحين ،حتى نظهر أن للمرأة قدرات عظيمة،عندما تؤمن بالله واليوم الأخر فهي كذلك تصنع الكرامات منهن:

ــ **أم الزين البهلية:** امرأة صالحة،مشهورة بالولاية،لها زاوية بجمال،وفي رسم من رسوم الأحباس أن والدها يسمى ميلاد سعيد الجمالي توفي وترك معها أخوين،لا نعلم تاريخ وفاتها[٨].

ــ **زينب:** تكنى"بأم سلامة"،من الأولياء الصالحين،عابدة، صالحة، توفيت بالقيروان،و دفنت بزاوية القيروانية سنة (٦٧٠هـ/١٢٧٢م)[٩].

----

(١) ابن الصباغ : م س،و، ١٧ ظ.

(٢) نفسه ،و ١٧ظ.

(٣) نفسه .

(٤) أحد الأربعين أصحاب أبي الحسن الشاذلي، ابن الصباغ: ن.م،و١٨ظ.

(٥) نفسه ، و ١٨ ظ.

(٦) نفسه،و١٩.

(٧) نفسه،و١٩.

(٨)) محمد البهلي النيال : **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**، مكتبة النجاح، تونس،١٩٦٤م، ص٣١٧.

(٩) ابن ناجي:**معالم الإيمان**، ج٤، ص٥٠

ـ شمس أم الفقراء: من العارفات بالله،كان يحضر إليها ابن عربي (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) فقال عنها:"ما لقيت في الرجال مثلها في الحمل على نفسها كبيرة الشأن في المعاملات والمكاشفات ،قوية القلب لها همة شريفة ولها التمييز تستر حالها جدًا وكانت تبدي منه في السراء شيئا إليّ لما حصل عندها مني من المكانة، وكنت أفرح بذلك ولها بركات كثيرة ظاهرة اختبرتها مرارًا في الكشف فوجدتها متمكنة و الغالب عليها الخوف والرضى وتحصيل هذين المقامين في وقت واحد عندنا عجيب يكاد لا يتصور"(١)،هو اسم على مسمى،لسيدة مسلمة عرفت ربها،فأحسنت معاملة عباده .

ـ أم محمد الاربسية : صالحة،كانت من أصحاب أبي يوسف الدهماني شيخ الصلحاء في عصره(٢) (ت٦٢١هـ/١٢٢٤م)ومريدة صادقة لأستاذها، نسبت "أم محمد" إلى الاربس(٣) ـ مدينة قديمة من مدن التل الغربي ـ ثم استقرت بمدينة تونس ،ويبدو أنها كانت إلى جانب تصوفها أديبة وشاعرة فقد أورد لها الدباغ على لسانها مرثية شعرية في أبي يوسف الدهماني عدتها ثلاثة عشر بيتا مطلعها:

أبت أدمعي إلا استكابا وزفرا يهيجها حزن تضمنه صدري(٤)

وفي رسالتها المشار إليها ما ينم عن تشبعها بثقافة صوفية سنية تنطق بمدى مواكبة الرافد النسائي للتصوف لنظيره الرجالي،ويعتبر أبي يوسف الدهماني من أساتذتها الكبار،بل تعتبره إماما سالكة طريقه،وقدوتها ولها أقوال يمكن حملها على أنها من المتعبدات العاكفات والمخلصات في الحب الإلهي،منها أن الله إن هو إلا "أمنية المحبين و قرة أعين العارفين و كنز المتوكلين ومنتهى طلب القاصدين المحققين"(٥)

----

(١) كحالة:م س ،ج٢، ص٣٠٢.

(٢) لم تصلنا عن هذه الشخصية الولائية النسائية إفادات ذات بال ما عدا بعض الشدرات العرضية التي أوردها بشأنها الدباغ في سياق استعراضه للمراثي التي قيلت في أبي يوسف الدهماني ،من خلالها نعرف مترجمتنا ،ينظر، الدباغ : **الأسرار الجلية في المناقب الدهمانية** ، و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨.

(٣) مدينة قديمة مسورة تدعى بالرومانيةLARIBUS، تولى أبو القاسم ا بن ناجي قضاءها خلال القرن التاسع /١٥و لم تبق منها اليوم إلا أطلالها، تقع على بعد ١٦ كلم من مدينة الدهماني ولاية الكاف حاليا. ينتسب إليها عدد من المتصوفين التونسيين :مثل أبي جعفر الاربسي (ت٣٢٣هـ/٩٣٤م) وعدد من الشعراء : منهم أبو طاهر الاربسي و يعلى بن إبراهيم الاربسي، إسكان :"جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من ق ٧هـ ـ ٩ هـ/ ١٣م ـ ١٥م"،**دبلوم الدراسات العليا**، الرباط، ١٩٨٨م، ص ١٢٥.

(٤) الدباغ: م ، و ١٢٦ ظ

(٥) نفسه،و ١٢٨ .

- أم يحي مريم (كانت حية عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م **):** تكنى بالمرابطة ولدت هذه الصالحة بالمنية من قرى جبنيانة بصفاقس[١] مستقر أبي إسحاق الجبنياني واستقطبها في أمرها أبو زكرياء بن هناص أحد أخيار تونس السبعة الذين رحلوا منذ سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م) إلى بجاية للقاء أبي مدين شعيب ولكنها سرعان ما عقدت بيعتها لأبي يوسف الدهماني فكانت من خواصه[٢] ،وحظيت بحب الفقراء،كما تتلمذت **المرابطة** على الشخصيات الولائية التونسية في العهد الموحدي مثل أبي علي النفطي (ت٦١٠هـ/١٢١٣م)وأولاد الرقيق وكانوا ينزلون برباط نقطة[٣]غربي صفاقس ،بل وصاحبتهم ،كما صاحبت أستاذها الدهماني فيقول:" أصحابي الأول دخلوا من الباب الذي دخلت منه وحصل لهم مثلما حصل لي وزيادة [٤]،وكان كثيرا ما يردد: " داري ودار أبي علي النفطي والمرابطة **أم يحي مريم** و أولاد الرقيق دار واحدة "[٥].

ومما يفترض أنه قد كانت "لأم يحي مريم "جولة برفقة أبي يوسف الدهماني ترددت فيها على القيروان والمهدية من جهة ،ومن الوارد جدا أنها ترددت على رابطات الساحل **كرباط نقطة** على الأقل تقدير حيث استقر أصدقاؤها أولاد الرقيق ومن هنا اكتسابها للقب المرابطة ومن المحتمل أيضا أن تكون قد سافرت إلى الجريد حيث كان أبو علي النفطي مرابطا وبالفعل فإن مناقبها تنبئها بتر حالها الدائم وإقبالها الامتناهي على اجتهادها مما مكنها من الترقي في سلم

---

(١). الدباغ:م ،و٨و، ٨ظ، ١٢و، ١٢ظ، ١٣و، ٣٤و، ٣٧ظ، ٤٤ظ، ٤٥ظ، ٤٧و، ١١٧ظ، و ينظر بشأنها أيضا: الدباغ: **معالم الإيمان** ،ج٣، ص ص٢٢١ ،٢٢٣، مقيدش: **نزهة الأنظار،** ج٢،ص ص٢٩٧،٢٩٣،النيال: **الحقيقة لتاريخية للتصوف،** ص٢٢٥.

(٢) مقيدش: **نزهة الأنظار،** ج٢، ص٢٩٦ .

(٣) ذكرهم العبدري في **رحلته،** ص٢٦٧ بقوله: تم سافرنا منها (قابس) على طريقة نقطة و هي موضع على البحر فيها ناس صالحون يعرفون بأولاد الرقيق "،و رأس هذه العشيرة المرابطية، وهو على الأرجح العارف أبو عبد الله محمد الرقيق الملقب بأبي عكازين من أولياء القرن السابع الهجري / ١٣م.

(٤) مقيدش: م س،ص٢٩٦، ويؤكد النص المنقبي على أن مترجمتنا قد كانت بمعية عبد السلام الكماد من أوائل أصحاب الدهماني،الدباغ: م س، و ١١٧ ظ.

(٥) الدباغ: م س ، و ٥ ظ .

الولاية وبلوغ أرقى درجاته حتى صارت صاحبة أحوال[١]،فقد أفادنا الدباغ بأن أم يحي مريم التي لا ينفك عن نعتها" بالحرة" و" الصالحة "و"المرابطة " بالإضافة إلى أنها من كبار الأولياء، "كانت لها أحوال مكاشفات وكرامات "[٢] ومن ثمة فلعل ما تجسد في شخصيتها من خصال القدوة المعرفية والروحية قد اكسبها رصيدا من الهيبة جعلها لا تتمتع فقط بإجلال معاصريها وتقديرهم،بل كانوا كثيري التردد عليها فقد جاء على لسان أبي الحسن علي بن أبي القاسم المزوغي [٣]،في فضلها قوله " الست أم يحي خير من ألف لحية "[٤]،علما أن صاحب هذه الشهادة قد " كان من أعيان المحققين و العلماء العارفين " وكان بدوره " صاحب كشف و كرامة وأحوال ومقامات "[٥].

ø أم سلامة زينب (ت ٦٧٠هـ/١٢٧١م)[٦]:

صالحة،مجتهدة في العبادة ،**و**هي والدة أبي علي سالم القيدي (ت٦٩٩هـ/١٣٠٠م) الملقب بجوهرة الساحل،اعترف لها أبو هلال السدادي بالولاية منذ وقت مبكر وكان يستوصي بها ابنها أبي علي خيرا عندما كان يتردد عليها بقلعة سدادة ـ قرب دقاش بجهة الجريد ـ متتلمذا عندها إذ كان " معها سر الله عزّ و جلّ "[٧]، فإن أم سلامة تكون من أولئك العارفين الذين اختصهم الله بالعلم إلهاما و كشفا.

وإذا ما وثقنا برواية ابن ناجي فإن "السيدة زينب" تكون قد أدركت من الصيت ما تجاوز المجال التونسي إلى المجال المغرب الإسلامي ،إذ عهدها أبوعلي محمد بن عبد الله بن عبد الناظر الملولي "أحد معاصريها من المتصوفين "بأنها رابعة العدوية في وقتها "[٨] فكان يزورها

----

(١)صاحب الحال في المرجعية الصوفية و هو المبتدئ و لم يبلغ بعد مرتبة " صاحب الأنفاس " و هو صاحب المرتبة العليا في المعرفة ، الدباغ: الأسرار الجلية و١١٧ظ.

(٢) نفسه ، و١١٧ظ.

(٣) هو أحد أحفاد أبي علي طاهر المازوغي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) من الدرجة السادسة. توفي بقصور السلف وبها ضريحه،الزركلي:م س،ج٥ ، ص٢١٤.

(٤) مقيدش: **نزهة الأنظار**، ج٢، ص٢٩٣.

(٥) نفسه ، ج٢، ص٢٨٩.

(٦) ابن ناجي: **معالم الإيمان**، ج٤، ص٥١، ٥٤، ص ص٨٦ ،٨٧، نقلا عن أبي عبد الله محمد بن عثمان بن غانم الحضرمي، مؤلف مناقب أبي علي سالم القديدي التي لم تصلنا و أخذ منها ابن ناجي " معظم عيون ما فيها ".

(٧) نفسه،ج٤،ص٥١ .

(٨) نفسه ، ج٤، ص٨٧.

في كل وقت وكان المتصوفون يزورونها من كل مصر "[1] ونجد في جنازتها من المؤشرات ما يدل على تأثيرها المعنوي في فقراء عصرها فضلا عن المكانة الروحية التي تحظى بها بين أعلام أولياء تونس ،فقد جاء أهل الشرف للصلاة عليها وكانت المدينة عامرة بهم ،فكبر عليها نحو الستين "رجلا مسمعا" حتى كان التكبير يسمع من ثلاثة فراسخ دائرة بقديد "[2]، كان لهذا النموذج الولائي النسائي في واقع التجربة الصوفية التونسية خلال القرن السابع الهجري /١٣م دور كبير في حل ما كان ينشب بين قرى الساحل من خلافات حتى لقبت **"غفيرة الساحل"**،وإذا كان خطاب المناقب قليل الاحتفاء بأخبار سيرتها الواقعية فإنه بالمقابل يركز على الجانب العجائبي في هذه السيرة من ذلك أنها كانت فيما يدعي حفيدها ابن غانم الحضرمي " تتقلب لغاسلتها كيف يردن وتستر نفسها بيدها "[3]،كما يروي عن ابنها أبي علي سالم القديدي أنه حينما " لحدها في قبرها العقدة التي عند رأسها وأراد أن يغطي رأسها رفعت يده بذراعها تشير أن لا تغطي وجهها ولا شعرها وأن لا يكون بينها وبين التراب حائل"[4] وقال عنها الدباغ:" كانت هذه الحرة من كبار الأولياء ولها كرامات كثيرة تركناها للاختصار ".

والملاحظ أن جميع الكرامات التي ينسبها النص المنقبي إلى" غفيرة الساحل" هي كرامات ذات طابع أسطوري.

ـ عائشة المنوبية (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م): صالحة،متعبدة،كانت" حسنة الخلق، لها جمال وحسن فائق وإذا نظر إليها الناظرون يفتنون" [5]وهي بنت الشيخ عمران بن الحاج سليمان المنوبي وأمها فاطمة بنت عبد السميع المنوبي أيضا ،فقد نص المؤرخ التونسي الباجي

---

(١)ابن ناجي: م س ، ص٨٧.

(٢) الفرسخ: ثلاثة أميال هاشمية وقيل اثنا عشر ألف ذراع وهي تقريبا ثمانية كيلومترات، نفسه،ج٤،ص٨٦، **المنجد في اللغة و الأعلام** ، ص٥٧٦.

(٣) ابن ناجي: م س، ج٤، ص٨٦.

(٤) نفسه،م س ج٤، ص٥١، ولقبها الدباغ" بالحرة " وأنها :" كانت من كبار الأولياء ولها كرامات كثيرى تركناها للاختصار" ،الدباغ : **الأسرار الجلية** ، و٣٤ .

(٥) النيال : **الحقيقة التاريخية للتصوف**، ص ٢٥٣.

المسعودي (ت١٢٩٧هـ١٩٦٥م) على أنها"عائشة بنت موسى المنوبية[١]"،وأعطى لوفاتها نفس التاريخ الذي تذكره سيرتها النموذجية ولكن دون أن يذكر مصادره في ذلك،ورجح الأستاذ النيال(ت١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) اعتمادا على نقيشة أثرية تم العثور عليها خلال تسوية مقبرة القرطاجي بتونس أنها عائشة بنت موسى بن محمد وأنها توفيت ١٦ شعبان ٦٥٣هـ/ ١٢٥٧م[٢] وذهب الأستاذ سعيد غراب استنادا إلى بعض النسخ من مخطوطات مناقبها إلى أنها عائشة بنت أبي موسى عمران بن سليمان المنوبي[٣]،و كل ما وصلنا منها من نسخ قد تم اختطاطه في تاريخ لاحق لوفاتها، فإن محرر مناقبها هو" أبو الحسن علي ابن عبد الله بن بلال الشاذلي" إمام جامع منوبة،باعتباره من معاصريها، لاسيما أن هذه الرواية قد انتقلت من ثقافة المشافهة والسماع إلى ثقافة التدوين والتقيد بالخط[٤]،ولعل أول ما يلفت الانتباه في سيرة وليتنا بظاهرة الكرامة احتفالا لافتا إذ تتوزع هذه السيرة مناقب **السيدة** في حياتها ومناقبها في مماتها ولكن أيضا مناقبها قبل أن تأتي إلى هذا العالم، فقد روى محرر مناقبها " أنها كانت في بطن أمها وهي حامل بها فخرجت لبعض حوائجها وإذا بأسد واقف في الطريق فخافت منه وإذا بعائشة تكلمت في بطن أمها وقالت لها لا تخافي يا أماه أنت محفوظة بحفظ الله،وهذه عينة من ثمانين كرامة " جريت لها وهي في بطن أمها "[٥] .

----

(١) مجهول:**مناقب عائشة المنوبية**، و ٥ أ .

(٢) النيال ، م س، ص٢٥٣.

(٣)GHRAB (S) **:IBN ARAFA et le Malikisme en Ifriqiya au 8h-14**, Tunis,1992, P 68.

(٤) مجهول: **مناقب عائشة المنوبي**،و١ وما بعدها.

(٥) أما المصادر الشفوية فتزيد المسألة تعتيما إذ تختلف كليا مع المصادر المكتوبة في هوية السيدة من ناحية الأب و الأم على السواء فوالدها هو" عمر المنوبي" الذي سيصبح فيما بعد "سيدي عمر " صاحب المقام المعروف إلى اليوم بمنوبة شمال غربي تونس و قد توفي بعد كريمته ذائعة الصيت وليس من المستبعد هنا أن يكون عمر صيغة مخففة من "عمران" بحيث يمكن التوفيق إلى حد ما بين المصادر المكتوبة و الرواية الشفوية و لكن الإشكال يرتسم من جديد و إن جزئيا للاختلاف الحاصل في إسم الأم إذ هي حسب ثقافة الرواية ليست" فاطمة بنت عبد السميع المنوبي " وإنما حليمة " لالة حليمة " لاحقا،ينظر:

" Une version populaire de la légende de SAIDA MANOUBIA" extrait du recueil Contes Tunisie-Tunisie 1949, in **marginales en terre de l'Islam**, pp, 131-132.

كما تنفرد مناقب **المنوبية** دون غيرها من المصادر الأخرى بإعلان انتساب الولية الى التيار الشاذلي في التصوف لقولها:**" أنا شاذلية وقطبة أقراني"**[٢]،وهي وإن كانت معاصرة لأبي الحسن الشاذلي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، فإن المصادر المنقبية المتصلة بالفترة لا تنص عليها في عداد أصحابه[٣] وبالتالي فالمسألة بحاجة إلى الإثبات لاسيما أن مناقبها تعلن تتلمذها لكل من رابعة العدوية (ت٥٦١هـ /٨٠١ م)،والجنيد (ت ٢٩٧ هـ/٩٠٩م)،وعبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ/١١٦٥م)،وعمر بن الفارض (٦٣٢هـ/١٢٣٤م) فضلا عن أبي الحسن الشاذلي الذي أعطاها الطريقة،وقال لها:" أنا أوليتك طريقتي،وأعطاها علمه وصبره"[٤]،مما يمكن أن يحمل على أساس أنه انتماء روحي وإرادة انتساب أكثر مما يمكن أن يحمل على أنه ارتباط تاريخي الأمر الذي يدعم أكثر متى وقفنا على هوية محرر مناقبها المحتمل وهو مثلما تعلن عنه نسبته داخل في سلسلة الشاذلي الولائية ومن ثمة فلا بدعة أن يحشد في المدرسة الشاذلية للتصوف " أعلام الأولياء و قادة الأتقياء "[٥] فما بالك بأنموذج ولائي من طراز الولية **عائشة المنوبية** كما يمكن أن يحمل على أساس أنه بحث من نفسها أو على الأقل إضفاء نوع من مشروعيتها خاصة أنه كانت في أشد الحاجة إليها أمام تنامي موجة الانتقاد لسلوكاتها والاعتراض على ولايتها[٦]، وأنكر بعض العلماء مبيتها مع الرجال ،ثم "تخاطب الرجال و يخاطبونها وليس لها زوج"[١] هذا ما لا تستسيغه القيم الذكورية في تلك الفترة ،وكانت تفصل بالضرورة بين النساء والرجال وتحجر عليهما كل اختلاط ،واعتبرت مجنونة ومن ثم فقد رفع عنها القلم ،فوصفها الفقيه أبو عبد الله محمد الأروي إمام جامع الصفصافة بأنها "امرأة ظاهرها جنون وباطنها فنون"[٢]،والظاهر أن سلوك **عائشة المنوبية** جعل ولايتها موضع جدل واسع وذلك ما نلمسه من خلال ما يمكن أن

----

(١) مجهول: **مناقب عائشة المنوبي**، و ٤ أ .

(٢) نفسه،ص٣.

(٣) فابن الصباغ لا يذكرها في كتابه "روض العارفين" في فضل مناقب الصالحين الذي ترجم للأربعين من رفاق الشاذلي المشهورين ولا أشار في مصنفه " درة الأسرار" إلى تتلمذها المحتمل عليه أثناء المرحلة التونسية من مسيرة حياته مما يجعل هذا التتلمذ مدعاة للشك ويجعل انتماء السيدة المنوبية إلى المدرسة الشاذلية مشكوك فيه ،م س،و١٩ .

(٤) مجهول: **مناقب عائشة المنوبي**، و ٤ أ .

نصطلح على تسميته بجدلية الاعتقاد والانتقاد التي خضعت لها سيرتها النموذجية،ولعل شدة الاعتراض على النموذج الولائي الذي تجسده من قبل الأوساط الفقهاء يفسر حشد خطاب المناقب لكل المرعيات التي من شأنها أن تكرس مشروعية ولايتها ويبرز في الآن نفسه علاقتها المتوترة مع الفقهاء فيستحضر في تأكيد هذه المشروعية أنها أخذت المثل الأعلى المحمدي لقولها:"رأيت رسول الله(ص) خمسا وعشرين مرة في البداية وخمسا وعشرين مرة في النهاية وخمسا وعشرين مرة في الكمال وخمسا وعشرين مرة في تمام السرور وقال لي وكلمني وسقاني بيده وصافحني أنا قطبة الأقطاب"(٣)،وأضافت مصرحة في بعض مفاخراتها بأنها " ممن درس في الكتب والعلوم وممن قرأ في سالف الدهور "(٤)،وأخذت علمها الأزلي عبر تتلمذها لنوح وآدم وشيث وداود وسليمان وموسى وعيسى وشعيب ،وأخذت المثل الأعلى الراشدي: ممثلا في تتلمذها المفترض "لأبي بكر الصديق، أعطاها وفاءه ولعمر بن الخطاب،أعطاها عدله ولعثمان بن عثمان أعطاها حياءه ولعل أبي طالب، أعطاها علمه وزهده ووقاره شجاعته(٥ والمثل الأعلى الولائي التقى بها في ليلة واحدة سبعمائة وسبعون وليا " أخذوا عنها العهد وتأدبوا بين يديها وولتهم الطريق "(٦)،وقدمها عبد القادر الجيلاني على طريق القوم و تأدب بين يديها و شهد لها بتفوقها الامتيازي في مجال الولاية جعلها حلية الأولياء،وقال لها:**"أنت ذهب والأولياء فضة والولي إذا كان فضة ما زينته إلا الذهب "**(٧)،وانتهج أبو الحسن الشاذلي معها نفس المسلك،حتى تدرك **السيدة** كمال الولاية لينعقد لها بذلك مطلق السلطة على العالمين يجعل خطاب المناقب بلوغها مرتبة القطابة،وهي أقصى درجات الولاية،منعقدا بإجماع " عشرة آلاف ولي قدموها وقالوا لها:**"أنت قطبتنا قدمناك ورفعنا لك البيعة "**(٨)،ولم تحظ بهذا الإجماع من الأولياء إلا بعد أن تلقت العلم الذي،تماما مثلما هو الشأن بالنسبة إلى النبوة،بواسطة أحد الملائكة لم يكن جبريل حامل الوحي هذه المرة

(١ مجهول: **مناقب عائشة المنوبي**، و ٦ أ .

(٢)نفسه، و ٦ أ .

(٣) نفسه، و ٧أ

(٤) نفسه. و ٨ .

(٥) نفسه، و ١٢ .

(٦) نفسه، و ١٥.

(٧) نفســه ، و ١١.

(٨) نفسـه ، و ١٣.

وإنما ميكائيل[١]،يصحبه في ذلك الخبر نقيب الأولياء " أتاها ميكائيل والخضر وفي أيديهما بوقال مملوء من الجنة وقالا لها اشربي فشربت في تلك الشربة العلم والحلم واليقين والخشوع والتواضع والبركة والحنانة والعفة والصيانة"[٢] ،لقد استجمعت في شخصيتها الولائية إجمالا كل خصال القدوة القيمة والسلوكية وكل الامتيازات التي حظى بها الأنبياء والرسل أجمعين والقيم المثلى التي تجسد المثل الأعلى الولائي وهي الخصال التي لن تكتفي فقط بإضفاء المشروعية على ولايتها وإنما سترتقي بهذه الولاية إلى مرتبة الكمال الإنساني و" الإنسان الكامل على حد تعبير الجيلاني نسخة من الحق وإن الله تعالى حي عليم قادر سميع بصير متكلم وكذلك الإنسان "[٣].

هكذا فرضت **السيدة** نفسها على الجميع**" قطبة الرجال وقطبة الأشراف، قطبة الأقطاب وفارسة الإخوان ، بل قطبة الزمان[٤] "**،فقد أعلنت عائشة المنوبية عن ارتفاعها عن المنزلة الإنسانية " بثماني مائة درجة " إلى الحد الذي لم تكن رابعة العدوية تمني نفسها فيه، لو أدركت موضعها، إلا بخدمتها والوقوف بين يديها ،ويبدو أن ما كان لوليتنا من قدرات خارقة أو على الأقل ما تنسبه إليها سيرتها النموذجية من ذلك قد جعل تدخلاتها تتضاعف إما انتصارا للضعفاء والمقهورين وإما انتقاما من الظلمة والجبارين بحيث تشكلت شخصيتها بمظهرين: مظهر الولية المبهرة ومظهر الولية المرهبة ، وانحياز **عائشة المنوبية** للفقراء والمظلومين عامة يبرز بشكل صارخ في قسم لا يستهان به من كرامتها ينيف عن ربعها ويتجلى هذا الانحياز بالقوة من خلال ابتهالاتها كما في قولها:**" اللهم صلي على محمد حبيب اليتامى ومؤنس الفقراء والمساكين وأنيس الغرباء "**[٥]؛كانت الولية مع ورعها تعيش على التوكل إلا إنها كانت ترصد كل دخلها للمحتاجين فقد ورد في سيرتها أنها **" كان كل يوم يدخل لها خمسمائة دينار تصرفها في سبيل الله و إذا بات ناصري تقول الليلة باتت عبادتي ناقصة "**[٦].

---

(١) ميكائيل: ملاك موكل بالأمطار والبحار و الأنهار والأرزاق من المال والبنين وتصوير الأجنحة في الأرحام.لمزيد من التوسع ينظر،ابن منظور : م س، ص١٦٨.

(٢) مجهول: **مناقب عائشة المنوبي**، و ٦ أ .

(٣) تفسه، و ١٢ .

(٤) تفسه، و ١١ .

(٥) نفسه ، و ١١ .

(٦) نفسه ، و ١١ .

نستنتج من خلال مراجعتنا لمناقب عائشة المنوبية أن الخطاب المنقبي يريد أن يكرس الولية أنموذجا ولائيا أعلى ليس في تونس الحفصية فحسب وإنما أيضا داخل المجال الإسلامي العام، الذي كان محتكرا فقط على الرجال في مجتمع ذكوري يكرس دونية المرأة ،هو بذلك انتصار بالقوة للمرأة على مجتمع يستدنيه ويهمشه ويقصيها بالفعل وإنما يستعلي أيضا حتى على أبرز أعلام التصوف النسائي داخل المجال الإسلامي العام.

كما أنجبت تلمسان أشهر **الصالحات** في عصر بني زيان نذكر منهن على سبيل المثال لا الحصر:

- **عائشة :**بنت القاضي أحمد بن الحسن المديوني[١]،من أسرة شريفة عالمة،زوجة العلامة ابن مرزوق الخطيب وأم العلامة الحجة ابن مرزوق الحفيد،عالمة وصالحة،" ألفت مجموعا في الأدعية اختارتها وكانت لها قوة في تفسير الرؤيا،اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن "[٢].
- **منية:** ابنة حسين، من الصالحات [٣].
- **عائشة :**ابنة ابن الأكحل،وتلقب "بالشيخة الصالحة"، وكانت من خيار المثقفات[٤].
- **رستم :**ابنة الشيخ أبي علي حسين بن الجلاب العالم الفقيه،صالحة[٥]، ولسنا ندري هل اسم "ستم " كاملا ؟ وهو غريب المدلول،أو ربما سقط حرف "الراء"،حينئذ يكون الاسم **رستم** وهو الصحيح والأرجح،وقد انفرد ابن مرزوق بذكر هذا الاسم دون غيره من المصادر الأخرى.
- **أم الفتح:** هي أم خال الخطيب بن مرزوق، كانت صالحة حجت برفقة الخطيب ابن مرزوق و هو صغير لا يتعدى اثنتي عشرة سنة، في آخر زيارتها للحج، توجهت إلى بيت المقدس وتوفيت به سنة (٧٢٤هت/١٣٢٤م) [٦].

----

(١) فقيه وعالم وقاضي بتلمسان، ابن مريم:**البستان،** ص٢١٢، الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف،**ج١، ص١٥٨.

(٢) المقري: **نفح الطيب،** ج٥، ص٤٣٠، ابن مريم: م س ، ص٢١٢.

(3) Bargès : **Complément**, p 298.

(٤) ابن مريم:نفسه ، ص٢١٢، الحفناوي:م س ج١، ص١٥٨.

(٥) الحفناوي:م س ج١، ص٢٩٤.

(٦) ابن مرزوق: **المجموع**، و ٢٦ .

- **بنت أبي عبد الله الكتاني :** بنت الفقيه أبي عبد الله الكتاني، من بيت علم وصلاح ومال وزوجة أبي عبد الله محمد الثاني بن مرزوق،صالحة،زاهدة، ملازمة للعبادة رفقة زوجها،مقتصرة على ما يقتصر عليه من مأكل وملبس متورعة قليلة الأكل[١] ،أرسل والدها في يوم من الأيام مائدة من الطعام الفاخر مع الخادم،عندما سمع وصيفتها بأنها لم تتعش،فغضبت غضبا شديدا وأنبت الخادم على إفشائها لسر بيتها،قالت لها:"ما جزاء الخادم التي تتحدث بأخبار المرأة مع زوجها إلا الإحراج "، ثم أعادتها إلى والدها التي أهداها لها وقت زفافها،ولما علم والدها بذلك ترك سبيلها[٢].

- **المؤمنة التلمسانية :** المتصوفة الصالحة الفقيرة، انتقلت إلى مدينة فاس لطلب العلم، فعكفت على قراءة القرآن، ومجالسة كبار الفقهاء ومناقشتهم في المسائل الشرعية والفقهية "،مثل قاضي الجماعة التلمساني بفاس،أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني،وأبي القاسم الشريف التلمساني،والشيخ الصالح أبي الحسن علي بن عبد الوهاب،الذي كان يكتب لها لوحها[٣]،كانت المومنة على درجة كبيرة من الزهد والتقشف والعبادة،كانت تعمل من أجل قوتها من غزل ونسيج يدها،وكثير من المرة تنقطع عن مخالطة الناس ورؤيتهم، في رجب وشعبان ورمضان لتتفرغة للعبادة، كانت **المومنة** تتميز بدراية واسعة للفقه، وتتحدث مع جلسائها على المعاملات والآداب والأمور الفقهية الأخرى وأحيانا أخرى تنبه جلسائها إلى ما ينتفعون به في آخرتهم[٤]؛وكان لباس **المومنة** عبارة عن جبة من الصوف،وتضع على رأسها طرفا من تليس معقودا تحت ذقنها، وشيب رأسها يبدو على جبينها،وكانت أمنيتها أن تموت بالعباد[٤]، فتحققت هذه الأمنية، وتوفيت به بعد رجوعها من فاس[٦].

- **أم الفتح :** المسماة فتحون، و هي أم الفقيه أبي إسحاق. صالحة مستجابة الدعاء زاهدة في الدنيا، عاكفة على العبادة و الوعظ[٧].

---

(١) ابن مرزوق: **المجموع**، و ٢.

(٢) نفسه ، و ٢.

(٣) ابن قنفذ: **أنس الفقير** ، ص٨١.

(٤)نفسه،ص ٨١.

(٥) الزركلي **:**م س،ج٤ ،ص٣٢٥.

(٦) ابن قنفذ: م س ، ص ص٨٢،٨١.

(٧) يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ج٢، ص٤٠ .

ـ **زينب :** ابنة الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلايلي، من بيت جاه ومال و صلاح، عاشت في القرن الثامن الهجري/١٤م[١].

ـ **عائشة :** بنت الشيخ أبي محمد ابن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني،وأخت ابن مريم صاحب "البستان "من بيت علم وورع وصلاح،وكانت صالحة وتعلمت القرآن على أبيها[٢].

ـ **فاطمة**[٣]**:** بنت أبي زيد النجار،وأمها" منية "بنت الحسين،وزوجة أبي عبد الله محمد الثاني بن مرزوق جد الخطيب وهي السيدة صالحة.

ـ **فاطمة**[٤]**:** بنت الشيخ العالم أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز وبنو عبد العزيز، من بيوتات تلمسان العريقة،أهل علم وعدالة وقضاء،وأنها حفيدة أبي العباس ابن صاحب الصلاة.

ـ **عائشة**[٥]: أخت العلامة محمد بن يوسف السنوني، كانت امرأة تقية، صالحة.

كما عثرنا على أمثلة من الوليات الصالحات اللواتي أهملتها كتب المناقب والتراجم لكنها رسخت في الذاكرة الشعبية[٦] ومن بينها :

ـ **لالة رؤيا :** من صالحات تلمسان، خاشعة وذات كرامات، ذكرها بروسلار[٦]:"عاشت لالة رؤيا منذ ثلاثة أو أربعة قرون،كانت تتمتع بكرامات الرؤى، وتنظر في المستقبل،وكانت تشفي المرضى من كل أنواع الأمراض،ولما توفيت صار الناس يتوافدون على قبرها، كما تتمتع لالة رؤيا خوارق تدل على تأثيره في الأشياء، وذلك بالإمداد الإلهي، ومن كراماتها أن البئر الموجود في

---

(١) ابن مرزوق: المجموع، و ٢.

(٢) ابن مريم: **البستان،** ص١٣٢.

(٣) ابن مرزوق: م س،و٨.

(٤) نفسه، و ٨.

(٥)ابن مريم: م س، ص٢١٤.

(٦) شرح الأستاذ بوقلي حسن الذاكرة الشعبية بأنها:" ملكة ذهنية يحملها الناس عبر الأجيال لتخزين تراثهم المشترك واستحضاره عند الضرورة،ومن مخزوناتها " شفوية أو مشاهد " فاللفظية تحتوي على مختلف المرويات من خوارق و كرامات ومن شعر شعبي وأمثال شعبية، والمشاهدة تحتوي على مختلف الآثار المادية كالأضرحة والمساجد والأوقاف واللوحات الزيتية وغيرها ،ينظر، **ابن يوسف السنوسي في الذاكرة الشعبية و في الواقع** ، منشورات الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،٢٠٠٢، ص٩.

ساحة مسجدها ماؤه دواء وشفاء للمرضى، خاصة داء الصرع الذي يعاني منه الأطفال ويسمونه الناس بمرض الجنوع أو المومنين ،ومازال الناس يعتنون بهذا المسجد وبقبرها تبركا به"[١].

ـ السيدة غريبة :كانت من الصالحات العابدات،كانت مقبولة عند العامة والخاصة، يتبركون بها،ويخبرنا بروسلار[٢]:" أن الذاكرة الشعبية حفظت مجموعة مثيرة من قصصها ومنها أنها لمّا توفيت بقيت روحها تحضر كل ليلة في الحي المعروف بحي القرآن، فتدخل كل ليلة أحد بيوت الحي،صحيح أن النّاس لا يرونها، ولكن كانوا يحسون بها،وإذا سمعوا صوت الضحك، فهذه علامة رضا الولية ومعناه أن أهل البيت سوف يستبشرون خيرا،وإذا ما سمعوا صوت البكاء،وهي علامة عدم رضا الولية ومعناه أن أهل البيت سوف يحدث لهم شيء مؤلم كمرض أو موت،ويبقى جميع أهل حي القرآن، متبركا بها وبقدرتها،وضريحها موجود بمسجد القرآن"[٣].

ـ زوجة حمزة بن أحمد المغراوي: من صالحات تلمسان،كانت خاشعة وذات كرامة[٤].

ـ لالة سيتي : من الوليات الصالحات العابدات[٥]، دفينة الهضبة الجنوبية المطلة على مدينة تلمسان، كانت على درجة عالية من الزهد والتقشف والعبادة والورع، وكان قوتها من غزل ونسيج يدها،صحيح أن المصادر المكتوبة سكتت عن ذكر مناقبها شأن الولية السيدة المنوية مثلا، ولكن الذاكرة الشعبية استطاعت أن تخلد اسمها من خلال تقبيب الضريح،ودفن المحبين لها بجوارها في الروضة،وكذا شتى أصناف المحزونات الشفوية مثل الكرامات والاعتقادات والشعر الشعبي والمثل الشعبي وكذلك استنطاق بعض شيوخ وعجائز مدينة تلمسان المحافظين[٦]،وقد

----

(١)يرى ابن خلدون أنه:" يوجد بعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثيرا في أحوال العالم، و ليس معدودا من جنس السحر،وإنما هو بالإمداد الإلهي لأن طريقتهم و نحلتهم من آثار النبوة و توابعها ." **المقدمة**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د، ت، ص ٥٠٢.

(Ď) Bosselard (CH) :" Mosquée d'Er-rouyar" Les inscriptions arabes de Tlemcen**, R.A**, 6 ème année, n° 33, Mai, 1862, pp 161, 162.

(3) op.cit,p162.

(4) Bosselard (CH) :" Mosquée d'él- Korran", Les inscriptions arabes de Tlemcen**, R.A,** 6ème année, n°33 Mai, 1862 P164. .

(٥) بوقلي حسن: م س، ص١٩٥.

(٦) نفسه ، ص ٥.

أخبرتنا السيدة الحاجة فاطمة العلالي[١] بأن:" لالة سيتي، بنت مدينة تلمسان،كانت سيدة فقيرة،وكانت كفيفة، لباسها عبارة عن جبة من الصوف، وتضع على رأسها ظرفا من تليس معقودا تحت ذقنها، وكانت مستجابة الدعوة"،وانتشر صيتها في تلمسان وأحوازها،وأثنى عليها الناس وفش وذاع ذكرها بالولاية و الصلاح عند الخاصة و العامة في جميع الناس،وكانت مقتصرة على أكل الحلال و لباسها،وأحيانا تنقطع لالة سيتي عن مخالطة الناس ورؤيتهم في شهور شعبان ورمضان، وكثيرا ما تجلس مع الناس وتحثهم على الخير وتنبههم إلى ما ينتفعون به في آخرتهم "[٢].

ومن كرامات هذه الولية الصالحة أنها تنفرد بكفالة النساء، فتزوج العازبات، وتحمل العاقرات،وتسرح سجن أزواج النساء، وتبرئ المريضات..إلخ وتضيف الحاجة فاطمة تقول:" من كرامات **لالة سيتي** أن ربة البيت إذا ضيعت مفتاحا أوخاتما من الذهب في بيت ما، وحاولت بكل ما تملك من جهد أو حيلة، أن تستحضره، فما عليها إلاّ أن تصرخ قائلة:" يا جاه لالة سيتي،أو يا جاه لالة الواصلة " أي المقتدرة " إلاّ وجدت الشيء المفقود ! ولكن بشرط أن تكون النية خالصة.") كما يحب التلمسانيون ترداد عبارة "لالة سيتي الراقبة على تلمسان "،أو"لالة سيتي الحورية "[٣] تخليدا لاسمها السحري والمؤثر عند الخاصة والعامة، وتضيف الحاجة فاطمة بأن الولية: "أخذت العلم من الأولياء الصالحين الثلاث وهم سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي بوعزة الغربي و سيدي حرزهم (ت٥٥٩ هـ/ ١١٦٣ م)،وقد تعرفت بهم عن طريق الصدفة ، فقد مرّ الأولياء الثلاث بقرية بني ورنيد[٤] وطلبوا من أهل القرية الأكل،فلم يستجب أحدا لهم، ثم قصدوا كوخ لالة سيتي، فأدخلتهم و أكرمتهم وقدمت لهم الطعام وهو عبارة عن حفنة من القمح والمعزة ،فطحنت القمح وذبحت المعزة، وطبخت لهم الأكل، فأكلوا و شبعوا وقاموا أن دعوا لها بالرزق الوفير والقناعة الدائمة،ولمّا كان يوم الغد،قصدت الزريبة،فوجدت بها الأغنام

----

(١)هي الراوية الحاجة فاطمة ،البالغة من العمر ٩٢ سنة ـ حفظها الله ـ وهي مقدمة زاوية سيدي العباد بنت الغوتي بن علال العبادي بتلمسان،وقد أجريت معها الحديث يوم : ٢٠٠٤/٠٣/٠٣ .

(٢)نفسها.

(٣) نفسها.

(٤) قرية بربرية تتمركز بمنطقة " تِرْني " في الجنوب الغربي من تلمسان ، ينظر، الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥،ص ٣٢.

كثيرة[1]،لا نعرف تاريخ ولادتها ولا تاريخ وفاتها،لكن زاويتها تبق شاهدا مانعا في تاريخ تلمسان، توجد زاوية **لالة سيتي** سفح جبل يحفظها من الجنوب عروسا فوق منصة[2]،وعرف الجبل باسم صاحبة الزاوية،كما انبهر "يحي بن خلدون" بطبيعة هضبة لالة سيتي فقال:"اقتعدت بسفح جبل ودون رأسه ببسيط أطول من شرق إلى غرب عروسا فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين تطل منه على فحص أفيح معد للفلاحة"[3].

ـ **المنور الزهراء :** بنت أبي مدين، زوجة الحاج محمد بن اشنهو، الولية الصالحة التلمسانية، دفنت بمقبرة الشيخ سنوسي[4].

ـ **لالة مغنية :** صالحة ومتصوفة، صاحبة المقام المعروفة الى اليوم بمغنية شمال غربي تلمسان ،لانعلم شيء عن حياتها اللهم سوى ماينسب لها لدى العامة والخاصة والعلماء بأنها لها كرامات على غرار لالة ستي ذات طابع أسطوري [5]، ورغم أننا لم نعثر على المصادر التي تكشف شخصية هذه الولية ، وبقي ضريح لالة مغنية يُزار إلى يومنا هذا، بمدينة مغنية[6].

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) رواية الحاجة فاطمة.

(٢) صار أحد أربع سلاسل جبال تلمسان،وهي سلسلة جبال لالة سيتي التي يبلغ ارتفاع أعلى قمة بها ١٣٠٦م ،ومن هضبة لالة سيتي هذه تنبع عين غزيرة المياه تدعى" الفوارة" كان عليها مدار شرب أهل المدينة فيما مضى، وقد ذكرها الشاعر التلمساني أبي عبد الله محمد بن يوسف القيسي، و يعرف بالثغري، الأندلسي، كان شاعر البلاط في عهد السلطان أبي حمّو موسى II ، ومن مختاراته:

و أقصد بيوم ثالث فـــــوارة	و بعذب منهلها المبارك فانهل
تجري في درّ لجين سائـــــل	أحلى و أعذب من رحيق سلسل
و أشرف على الشرف الذي بإزائها	لترى تلمسان العلية من عل

ينظر،الحاج شاوش: **باقة السوسان** ،ص ص٣٣ ،٤٩٨.

(٣) يحي بن خلدون: **بغية الرّواد،** ج١، ص١٥.

(٤) بوقلي حسن: م س، ص ٢٤٤.

(٥) رواية الحاج حسين، البالغ من العمر٨٢ سنة حفظه لله ـ وهو مقدم زاوية "لالة مغنية."، بمدينة مغنية وتلمسان ، وقد أجريت معه الحديث يوم : ٠٣/٠٥ /٢٠٠٤.

(٦) إحدى بلديات ولاية تلمسان (بالغرب الجزائري)،الحاج شاوش:م س،ص٣٥.

ومن أشهر **الصالحات** في عصر بني مرين:

- أسماء بنت إبراهيم :من ربات العبادة والزهد والصلاح،ولدت سنة (٦٤٦هـ – ١٢٤٨م)،ولكن لم تذكر المصادر مسقط رأسها،وكانت تلقن النسوة القرآن وتعلمهن العلم،وكانت تجهد نفسها فيما يقربها إلى الله وماتت ليلة الجمعة ٩ جمادي الأول سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م.[١].

- أم اليُمن : بنت محْلى البطوئي الزناتي، وزوجة السلطان عبد الحق المريني أم ابنه يعقوب الملقب بالحق وبالمنصور،وذكرها صاحب الذخيرة السنية: "كانت من خيرات النساء ذات فضل وعقل ودين، صوامة، قوامة ،كانت مقتصرة على أكل الحلال ومجابة الدعوة ، من كراماتها أنها رأت في منامها وهي بكر، كأن القمر خرج من دبرها، فعلى وصعد حتى استوى في السماء، وأشرق نوره على الأرض، فقصت رؤياها على والدها، فصار إلى الشيخ الصالح أبي عثمان الورياكلي، فقص عليه رؤياها فقال له:"إن صدقت رؤيا هذه الجارية فإنها تلد ملكا عظيما مباركا فاضلا يعم المسلمين خيره،وتشملهم بركته، فكان ذلك"،ولما تزوجها الأمير أبو محمد عبد الحق قال له والدها محلى: " بارك الله لك فيها أمّا و الله إنّها ناصية مسعودة مباركة لم تزل الخيرات والنعم تتوالى علينا منذ نشأت في بيتنا وإنك لتعرف بركتها وستلد لك ملكا عظيما يكون عزّا وفخرا لك ولقومك إلى آخر الدّهر"[٢].

- آمنة بنت أحمد بن القاضي :هي السيدة بنت الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الرحمان بن أبي العافية المكناسي،الشهير بابن القاضي دفينة خارج باب الفتوح[٣]،كانت من كبار الأولياء وخاصة الأصفياء،أخذت عن الشيخ أبي الحسن علي الصنهاجي،وكانت تخدمه وتتبعه ،وكان أهلها أولا ينكرون ذلك عليها، اسجنوها مرة في غرفة وجعلوا على رجليها قيدًا من حديد ، فجاء شيخها سيدي علي ووقف وسط الدار وناداها : يا آمنة،فقالت: نعم يا سيدي،

----

(١) ابن جحر: **الدرر الكامنة،** ج١، ص٤٣.

(2) ابن أبي زرع : **الذخيرة السنية،** ص٨٥ ، كحالة**: أعلام النساء،** ج٥، ص٣٠٠.

(٣) بن عيشون الشراط : **الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس،** تح،زهراء النظام،طبعة فاس، ١٩٨٩، ص ص٨٦، ٨٧ .

فقال: اهبطي، وسقط القيد من رجليها، وخرجت وهم ينظرون والغرفة على حالها مسدودة، فمن يؤمئذ ساموا لهما حالهما، وطبخ أهلها يومًا دجاجة فأعطوها نصيبها منها، فقالت :لو أن كليبة سيدي هنا، لكلبة كانت له ، لأعطيتها هذا، وقد شهد لها الشيخ سيدي عبد الرحمان المجذوب، بالخصوصية، فقال لما مات شيخه سيدي علي الصنهاجي: مات سيدي فورثته أنا وأختي آمنة، للذكر مثل حظ الأنثيين ، وقال بن الممتع:ويقال أن سيدي عبد الرحمان المجذوب دخل يوما على شيخه سيدي علي الصنهاجي قرب احتضاره ، فأعطاه خبزة وقال له: إياك النساء، فمشى فبينما هو برأس الماء على نحو تسعة أميال من فاس، إذا بالسيدة آمنة فقالت له: هات الخبزة، فناولها إياها، فقسمتها فأعطته الثلثين وأمسكت لنفسها الثلث، فقال لها: لولا قسمت بالعدل لخشيت على نفسك، ثم ماتت فورتها وقال: الآن حصل لي إرث أبي كاملا، انتهى، يعني بالإرث الموروث من الأسرار والأحوال . وكانت من أهل الحظوة وكانت ربما تصبح في فراشها جريحة أو نحوه من أثر حضور في الجهاد،وكان شيخها يقول: إنه ما أتى بأولاد ابن القاضي من مكناسة إلى فاس إلا من أجلها، وقد تزوجت آمنة ابن عمها " أبو زكرياء يحي بن قاسم بن علي بن العافية المكناسي" شقيق والدها، وصداقها مؤرخ بخامس شوال عام (٩١١ هـ/ ١٥٠٥م) ، لما حضرتها الوفاة أخرجت من مكان معها في البيت وقالت لهم: إن سيدي آت يحضر خروج روحي، ثم ماتت في حدود سنة (٩٦٠ هـ/ ١٥٥٢م) وقيل نحو ٩٧٨ هـ ،ودفنت وراء قبر شيخها سيدي علي داخل الروضة، وقبرها معلوم هناك، وقد عرف الحجال بوالدها [١].

وتأثرت نساء الأندلس في عصر بني الأحمر بالحركة الصوفية هي ألأخرى ومن أشهر **الصالحات** نذكر منهنّ:

- فاطمة : بنت المثنى، صالحة من أهل الأندلس، كانت قد بلغت درجة من المشيخة، تتلمذ لها محي الدين بن العربي مع عدد آخر من صوفية الأندلس.وكان ابن العربي قد بنى كوخا من القصب في أرياف إشبيلية ليكون قريبا من المرأة الصالحة وليتعلم منها عيشة العزلة والزهد، كانت الشيخة فاطمة حية بإشبيلية سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م)،وقد تجاوزت التسعين من عمرها[١].

---

(١) الكتــاني: **سلوة الأنفاس،** ج٢، ص٢٢.

(٢) بلاثيوس آسين: **ابن عربي،** ص ٢٥.

ـ **مريم بنت عبود :**عابدة وفاضلة،ورد ذكرها عند الحديث عن شيخ المؤرخين المغرب عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن بصري الولهاصي المكناسي المعروف بسيدي بصري [١].

ـ **أم العلاء :** بنت عبد الغني العبدري الغرناطية،الشهيرة بالسيدة،كانت صالحة رشيدة،واعظة،" كانت تجول في بلاد الأندلس تعظ النساء وتذكرهن،كان لها صيت والاتصاف بالخير،والمحافظة على الأدعية والأذكار والسعي في الخيرات والحرص على أعمال البر والإيثار بما تملك وفكّ الرقاب من الأسر" ،كانت كثيرة التنقل بين حواضر المغرب الإسلامي[٢].

ـ **زينب :** بنت أحمد بن عبد الرحمان الزهري، من أهل بلنسية، كانت تدعى عزيزة، صالحة، زاهدة، توفيت في عام (٦٣٥هـ/١٢٣٧م)[٣].

ـ **فاطمة القرطبية:**بنت أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد بن غالب الأنصاري الشراط، كانت صالحة و زاهدة [٤] .

ـ **صواب :** زوجة إسحاق بن إسماعيل القبري الزاهد،رحلت معه إلى المشرق وأديا فريضة الحج و عادا إلى الأندلس وبقيا على أفضل ما كانا عليه من الاجتهاد إلى أن توفيا رحمهما الله ودفنا بمقبرة الربض، وكانت من العوابد الصالحات[٥].

ـ **فتحون البزازية :** متصوفة، صالحة، أخذ عنها التصوف أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان سيدي بصري إمام المسجد الأعظم،المتوفي سنة٩٣١هـ،وعبود الأندلسية،لها روضة برأس التاج[٦].

ـ **عائشة بنت ابن عاصم :** عائشة بنت عبد الله ابن عاصم الأندلسي، كانت من ربات العبادة والصلاح والكرامة، كانت تقيم بغرفة لها بأعلى المعلق بالجزيرة الخضراء بالأندلس، أدركها أجلها عام (٧٠٥هـ/١٣٠٥م)[٧].

---

(١) ابن زيدان: **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**،ط ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج٤، ص ص ٢٨، ٣٣.
(٢) ابن الأبار: **التكملة** ، ج٤، ص ٢٥٩.
(٣) نفســه ، ج٤، ٢٦٤.
(٤) نفســه ، ج٤، ٢٦٤.
(٥) نفســه ، ج٤، ٢٥٣.
(٦) كحـالة : **أعلام النساء**، ج٤، ص ١٥٦ .
(٧) ابن حجر العسقلاني : م س، ج٢، ص ٣٤٠.

نستخلص أن المرأة في هذه الفترة تناولت العلوم الدينية شأن أخيها الرجل ،و هي العلوم الأكثر إنتشارا، ومما صبغ هذه العلوم وميز أكثر عالماتها التوجه الصوفية وكثر مريديهن.

في حين نرى أن العلوم الأدبية من لغة وأدب وما احتوته من شعر ونثر وتاريخ وكيمياء فكان على حسب المناسبات..!

- ثانيا: الفنون الأدبية :

أما بالنسبة للنشاط الأدبي، فقد شهدت فترة دراستنا تعلق واهتمام كبيرين للمرأة بالشعر خصوصا الأندلسية،ولا عجب في ذلك فقد "تهيّأت لأهل الأندلس أسباب الشعر، وتوافرت لديهم دواعيه،فطبعوا على الشغف به،وانبسطت ألسنتهم بقوله " حتى قل أن تجد منهم من ألم بطرف من الآداب ولم يقل شعرا "(١)،زيادة على المكانة الاجتماعية التي كانت تتمتع بها المرأة الأندلسية من حرية وحضور إجتماعي، فقد أتيحت لها فرصة التردد على مجالس الأدباء والعلماء بصفة عامة و تجاوزت ذلك إلى المساهمة الإبداعية " فنبغ منهن شواعر يكدن يضاهين الشعراء عددا "(٢)، مثل السيدة **رُميلة** من بيت الخلافة الموحدية، ومن نساء العامة النابغات **عائشة البجائية** ومن أشهرهن الشاعرة **حفصة بنت حاج الركونية** وغيرهن.

تتميز شواعر هذا العصر بقول الشعر في جميع أغراضه، ولم نعثر لهن في الغالب إلا على بعض مقطعات، وهوما يؤكد ضياعه لأسباب حددته الأستاذة رشيدة بن مسعود(٣) في أمرين:" أن الأخبار قد أهملوا الشعر النسائي إما تعصبا، وإما لكون شعرهن كان يتميز بمميزات لم تكن من الأشياء التي كانوا يرغبون في معرفتها كخلو الشعر النسائي مثلا من ذكر للحروب لما في مثل هذه القصائد من تسجيل للأحداث التاريخية ".

إن أصحاب الأخبار أهملوا كثيرا من النصوص الشعرية التي فاضت بها خواطر نسوية مبدعة،على الرغم من أن المرأة في هذه الفترة ساهمت مساهمة كبيرة في بناء صرح الأدب المغربي، من شعر ومناظرات، و مسجلات، فقد كانت الشاعرة تهمس بالشّعر همسات رائعة، فاتنة أثبتت عن طريقه قدرتها على الخلق والإبداع الحي الخالد الذي جعلها تتفوق في بعض الأحيان

---

(١) جودت الركابي: **في الأدب الأندلسي**، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٠، مصر، ص٦٣.
(٢) نفسه ، ص ٦٣.
(٣) رشيدة بن مسعود: **المرأة والكتابة**، إفريقيا الشرق، ط١، ١٩٩٤، الرباط، ص١٨.

علـى الرّجل،والـدلائل علـى ذلـك لا تعـدّ ولا تحصـى،ونذكر بعـض الأديبـات والشـاعرات،من اللـواتي بـرعن فـي قـول الشّعر،وسـاهمن فـي مواصـلة بعـث الحركة الشعرية النسوية،ومن أبرزهن:

ـ **ابنة محمد بن فيرو التّطيلي** [1] **:** لا نعلم لهذه الشـاعرة اسما ولا تـاريخ مولد أو وفاة، ويعتبر صاحب "الذيل والتكملة" المصدر الوحيد الذي ترجم لهذه الشـاعرة ،وأختهـا "سـعيدة"، يحدثنا عنهـا ابـن إبـراهيم قـائلا: "وكانـت "سـعيدة" تنسـخ الكتـب، نـافذة فيمـا تكتبـه أو تخاطـب بـه"[2]،والأختـان سـكنتا "مـراكش" وكانتا من بيت خير وصيانة"[3]، وأخبارهمـا تأتينـا عن طريق أبـي العبّـاس بـن عبد الرحمن بن صقر[4]؛وقد كان أبو العبّاس جارا لهما، إذ يقول فيما يذكر ابن عبد الملك المرّاكشـي:"جاورتـاني فتعرّفت منهمـا خيـرا وفضـلا وذكـاء ونـبلا"، وقد كتبت إليه "سعيدة" رسالة فيها شعر كانت قد كتبته أختهـا الصّـغرى، وهـي الشاعرة التي نهتمّ بها في هذه الترجمة، وقد قالتها "في بعض ذوي قرابتها وقد رأت منه بخلا كثيرا"[5].

ويعتبر كتاب جارولو "شاعرات الأندلس" الدراسة الحديثة الوحيدة، التـي اهتمـت بـهذه الشـاعرة، وفيـه تحـاول صـاحبته البحـث عمّـن يحمـل اسـم "فيـرو" بـالأنـدلس، فتجـد العديـد مـن الأشـخاص، مثـل "محمـد بـن فيـرو مـن طليطلـة" (٢٨٥هـ/٧٩٨م) لكنها مثلنا، لم تجد أيّة إشارة عن والد شاعرتنا، وقد اعتبرنـاهـا من شاعرات القرن السادس بعد أن ضبطنا الفترة التـي عـاش فيهـا جارهـا أبـو العبّاس بن الصقر، أما عن شعرها فقد وجدنا لها قطعة واحدة ذات ثلاثـة أبيـات تخاطب فيها بخيلا.

[illegible][6] .

بَخُلْتَ، وَالْبُخْلُ دَاءٌ، لاَ دَوَاءَ لَهُ، أعْيَا الأَطِبَّاءَ طُـرًّا والمداويــان

---

(١) ابن عبد الملك المراكشي: **كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة** ،س١،تح،محمد بن شريفة، ط١،دار الثقافة، بيروت، د.ت، والأسفار ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ تح ، إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤ ـ ١٩٧٣، ة س٨، تح، محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ١٩٨٤، ص ٩١.

(٢) ابن إبراهيم العباس:**الأعلام من حلّ مراكش وأمغمات من الأعلام،** ج١٠، ص ١٥٤.

(٣) ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة،** ج١، ص ١٨٣.

(٤) بن إبراهيم العباس بن إبراهيم: م س، ج١٠، ص ١٥٤.

(٥) ابن عبد المالك المراكشي: م س، ج٨، ص ٣٩٤.

(٦) نفسه،ج٨،ص٣٩٤ ،جارولو**: شاعرات الأندلس،** ص ٩١.

أَطَعْتَ شُحَّكَ، حَتَّى لَسْتَ مُقْتَدِيًا   إِذَا اقْتَدَى النَّاسُ يَوْمًا بالنبي

إِذَا دَعَـا لَكَ دَاعٍ، بَعْدُ مَبْتَهِـلاً   بِطُولِ فَقْرٍ وشُـحٍّ قُلْتُ آمِنًا

ـ **أسماء العامرية**[١]**:** هي شاعرة من " أشبيلية " وقد سمّاها المرّاكشي" أسماء العامريّة "   و"العامريّة" نسبة تطلق على من له علاقة بأسرة المنصور محمد بن أبي عامر، حاجب الخليفة هشام الثاني،ويبدو أنّ أسماء معتزّة بهذا النسب العامرّي؛فقد اعتمدت على هذا النسب في قصيدة مدحية توجّهت بها إلى الخليفة الموحّدي عبد المؤمن بن علي الذي حكم من ٥٢٤هـ/١١٢٩م إلى ٥٥٨هـ/١١٦٣م تخبره فيها بنسبها العامريّ وتطلب منه أن" يرفع الإنزال عن دارها، والاعتقال عن مالها"[٢].

ورغم نعت المرّاكشي لأسماء "بالشاعرة المحسنة"[٣]،فإنه لم يصلنا من شعرها إلاّ قطعة واحدة،ذات أبيات ثلاثة،ونفهم من كلامه عنها؛أن أسماء من شاعرات القرن السادس، وتحديدا من شاعرات فترة الحكم الموحّدي بالأندلس.

أما فيما يتعلق بشعر أسماء، فقد وجدنا لها قطعة واحدة ذات ثلاثة أبيات ومن مختارات شعرها[٤]:

عَرَفْنَـا النَّصْرَ وَالْفَتْحَ الْمُبِينَـا   لِسَيِّدِنَـا أَمِيــرِ الْمُؤْمِنِينَـا

إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ عَنِ الْمَعَالِي   رَأَيْتُ حَدِيثَكُمْ فِينَـا شُجُونَـا

رَوَيْتُمْ عِلْمَـهُ ، فَعَلِمْتُمُــوهُ   وَصُنْتُمْ عَهْدَهُ، فَغَدَا مَصُونَـا

ـ **أم السعد القرطبية** [٥]**:** يقدمها ابن الآبار ضمن سلسلة نسب مطوّلة؛ فهي"أم السعد" بنت عصام بن أحمد بن إبراهيم بن يحي الحميري،من أهل "قرطبة"، التي بها ولدت ونشأت،

---

(١) ابن الأبار: **التكملة** ، ج٤، ص ٢٥٧، المقري: **نفح الطيب** ، ج٤، ص ٢٩٢، أمهنا:**معجم النّساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام**، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٦، جارولو: م س، ص ٦٢.

(٢) ابن الأبار: م س، ج٤، ص ٢٥٧.

(٣) ابن عبد الملك: م س، ج٨، ص ٤٨٠.

(٤) نفسه ،ج٨، ص ٤٨٠، ابن الأبار: م س، ج٤، ٢٥٧.

(٥) السيوطي: **نزهة الجلساء في أشعار النّساء**، تح، سمير حسين حنبس، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة، ١٩٨٩،ص ٢٢، ابن الأبار: م س، ج٤، ص ٢٢٥، ابن عبد الملك: م س، ج٨، ص ٤٨١.

وقد وفدت في "مالقة" في أخريات حياتها،وبها كانت وفاتها سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م[١].

وشاعرتنا من عائلة أندلسية مشهورة، قد اشتهر بعض أفرادها الذين تظهر أسماؤهم في كتب تراجم العلماء، على النحو الذي ذكر به أبوها عصام بن أحمد بن إبراهيم الحميري[٢] ، وخالاها عامر وأبو بكر ابنا هشام بن عبد الله الأزدي، وعن هؤلاء الذين كانوا من مؤلّفي الموشّحات والقصائد، روت "أم السعد"، التي تعرف أيضا باسم "سعدونة"[٣].

ويذكر ابن الأبّار والمرّاكشي والسّيوطي أنّ لهذه الشاعرة أختا تدعى "مهجة بنت عصام الحميري"، وهي، فيما تذكر المصادر،شاعرة كذلك، ولكن هذه المصادر نفسها لا تنقل لنا أية قطعة من شعرها، وكلّ منهما قد روت عن أبيها وجدّها وخاليها، لكنّ "مهجة" توقّيت بقرطبة سنة٨١٧هـ/١٤١٤م أو٨١٨هـ/١٤١٥م ، في حين نوقّيت شاعرتنا "أم السعد" سنة ٧٤٠هـ /١٣٣٩م وقد كان ذلك "بمالقة"[٤].

ونستنتج ممّا وجدنا "لأم السعد" أنها على قدر من التديّن، جعل منها الشاعرة الوحيدة التي قالت قصيدة دينية تتمة لبيت في مدح الرسول [٥].

ومن مختاراتها الشعرية[٦]:

آخِ الرِّجَـالَ مِـنَ الأبَـا ... عِـدِ وَالأقَـارِبَ لاَ تُقَـارِبْ
إنَّ الأقَـارِبَ كَـالعَقَـا ... رِبِ بَلْ أضَرٌّ مِنَ العَقَـارِبْ

وقالت أيضا[٧]:

"سَأَلْثُمُ التِّمْثَـالَ إذَا لَمْ أجِـدْ ... لِلَثْمِ نَعْلِ المُصْطَفَـى مِنْ سَبِيلْ"
لعَلّنِـي أحْظَـى بِتَقْبِيلِـهِ ... فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ،أسْنَى مَقِيلْ

---

(١) ابن الأبار: م س، ج٤ ، ص ٢٢٤.
(٢) السيوطي: م س ، ص ٢٢.
(٣) نفسه، ص .٢٢
٤) بلحاج فرج: **دور المرأة في الحياة الأدبية بالأندلس**،إشراف الدكتور محمود طرشونة،كلية آداب منوبة،تونس، ١٩٩٩،ص٧٦.
(٥) كحالة: م س، ج٢، ص ١٨٤.
(٦) الثعالبي: **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حيجازي، ط١، القاهرة، ١٩٤٧،ج٣، ص ١٧، المقري: م س، ج٤، ص ١٦٧، جارولو: م س ، ص ١٢١.
(٦) السيوطي: م س ، ص ٢٢ ، المقري: م س ، ج٤ ، ص ١٦٦، بلحاج فرج: م س، ص ٧٦.

فِي ظِلِّ طُوبَى، سَاكِنًا آمِنًا   أُسْقَى بِأَكْوَابٍ مِنَ السَّلْسَبِيلْ

وَأَمْسَحُ الْقَلْبَ بِهِ، عَلَّهُ   يُسَكِّنُ مَا جَاشَ بِهِ مِنْ غَلِيلْ

فَطَالَمَا اسْتَشْفَى،بِأَطْلَالِ مَنْ   يَهْوَاهُ،أَهْلُ الْحُبِّ مِنْ كُلِّ جِيلْ

- **البليشيّة**[1]: سمّاها الضبّي "بالبليشية" ولم نقف لها على ترجمة في المصادر الأخرى التي عدنا إليها و"البليشيّة" نسبة إلى "بلّش" بمالقة،ومن "بلّش"[2]،جاء اسم النسبة الذي عرفت به الشاعرة،أما اسمها الحقيقي فلا نعرفه على وجه اليقين.

ويقدّمها الضبّي بصفة أخرى لم نجدها عند بقية شاعراتنا وهي صفة "الأميّة"، فيقول إنها "شاعرة أميّة"[3]،ولا يذكر الضبّي تاريخ ولادتها ولا تاريخ وفاتها، وقد حاولنا مقاربتهما بالبحث في الفترة الزمنية التي عاش فيها الضبّي، الذي نفهم من كلامه أنه من معاصريها، فقد "أنشده بعض أصحابها من شعرها"[4]،والضبّي توفّي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٣م،واستنادا إلى هذا التاريخ، يمكن القول بأن "البليشيّة" من شاعرات القرن السادس،لقد أثّر تغافل القدامى عن ذكر "البليشيّة" في تعامل الدراسات الحديثة معها، إذ لا نجد لهذه الشاعرة ذكرا إلاّ في كتاب "شاعرات الأندلس" لجارولو.

أما فيما يتعلّق بشعر "البليشيّة"؛ فإنّ الضبّي لا يذكر لها سوى قطعة واحدة ذات أبيات ثلاثة، ملمّحا إلى وجود شعر آخر لها لا يذكره، إذ يقول إنّه: "سمع لها شعرا آخر لا يذكره الآن"[5].

ومن مختاراتها الشعرية[6]:

لِي حَبِيبٌ خَدُّهُ كَالْـ   وَرْدِ، حُسْنًا، فِي بَيَاضِ

هُوَ بَيْنَ النَّاسِ غَضْبَا   نُ، وَفِي الْخَلْوَةِ رَاضِ

فَمَتَى يَنْتَصِفُ ٱلْمَظْـ   لُومُ وَالظَّالِمُ قَاضِ

---

(١) الظبي:**بغية الملتمس** ، ص ٧٣١، جارولو: م س، ص ٦٣.

(٢) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج١، ص ٧٢٠.

(٣) الظبي: م س، ص ٧٣١.

(٤) نفســه ، ص ٧٣١.

(٥) نفســه ، ص ٧٣١.

(٦) نفســه ، ص ٧٣١، جارولو: م س ، ص ٦٣.

ـ **حفصة الركونية**[١] : نتبيّن،من خلال اهتمام القدامى "بحفصة" أنها كانت من أشهر شاعرات الأندلس؛ فقد جاء ذكرها تقريبا في كل المصادر الأندلسية، ورغم هذا الاهتمام بحفصة، فإننا لم نقف على ذكر لتاريخ ولادتها الذي يحاول" لويس دي جياكومو"Louis Di Giocomo تحديده فيرى أنها ربما ولدت في حدود ٥٣٠هـ/١١٣٥م[٢].

وتتفق المصادر على أن "حفصة" تنحدر من أسرة غرناطيّة تصنّف من بين الأسر المعروفة "بالحسب والأدب والمال"[٣]،وهي من "النشرات" (Al Pujarras) منطقة جبلية وعرة بإقليم "غرناطة"،وتنسب حفصة إلى "رُكَانة" أو "رُكُونَة"[٤] Requena، فيقال: "حفصة الركونية".

عرفت حفصة لدى القدامى بحسنها الفائق، المتأتي من جمعها بين "الظرف والأدب والجمال"[٥]،ومن المؤكّد أنه قد تمّ تكوينها بعناية، ويدلّنا على ذلك أمران:أما الأمر الأول؛ فهو امتداح القدامى لثقافتها، فهي عند ابن الأبار"الأديبة الشاعرة"،وهي عند السيوطي، "أستاذة عصرها"،أما الأمر الثاني، فهو الوظيفة التي عهد إليها القيام بها؛فقد كلّفها المؤرّخون بتعليم نسائهم في قصر المنصور، أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي[٦] .

ويبدو أنّ ما كانت تنعم به "حفصة" من "علم" إنما هو داخل في نطاق "الأدب" بمفهومه الخاص في العصر الوسيط وهو الإلمام من كلّ شيء بطرف، ونستدلّ على ذلك بوصف القدامى لعلمها،يقول ابن دحية:"كانت رخيمة الشعر،رقيقة النظم والنثر"[٧]،علما أننا لم نعثر لـ"حفصة" على نثر.

---

(١) ياقوت الحموي: **معجم الأدباء المسلمين بإرشاد الأريب**، تح، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت ١٩٩٣، ص ١٨٢، التجاني، **تحفة العروس** ، ص ٢٠٣ ابن الأبار:م س، ص ٢٤، ابن دحية، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تح، إبراهيم الأبياري، ط، دار العلم للجميع سوريا، ص ٣٣، بلحاج فرج: م س، ص ٨٩،جارولو، م س، ص ٧٠.

(٢) فعل ذلك في مقال شاعرة أندلسية من عصر الموحدين وهي " حفصة بنت الحاج الركونية " ، **هيسبيرس**،١٩٤٧، رقم ٣٤، ص ٩ وما بعدها .

(٣) ياقوت الحموي: م س، ج٣، ص ١١٠٢.

(٤) تقع على بعد ٦٩ كلم برًا إلى الشرق من بلنسية وهي منطقة ذات طبيعة ساحرة وخضرة ممتدة ، ينظر، مكي الطاهر أحمد: **دراسات أندلسيبة في الأدب والتاريخ والفلسفة**، دار المعارف، ط٢، القاهرة، د.ت، ص ٨٠.

(٥) ابن الخطيب: م س، ج١، ص ٤٩٣.

(٦) حكم من ٥٨٠هـ ـ ١١٨٤م إلى ٥٩٦هـ ـ ١١٩٩م ، ابن الخطيب: م س، ج١، ص ٤٩٣.

(٧) ابن دراج: م س ص ٥٣.

عاشت "حفصة" في فترة حرجة من تاريخ "غرناطة"، فقد عاشت فترة سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين، ويمكن أن نتخيّل ما يمكن أن يصاحب هذه الأحداث من اختلال في الأمن، الذي لم يعد إلا بعد استقرار الموحدين سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م.

ولقد تدعّمت شهرة "حفصة" بالتقائها، في بلدها "غرناطة"، بأشهر العائلات هذا الإقليم: وهي عائلة بني سعيد[١] ، فقد التقت بأحد أبنائها، وهو شاعر وأديب ناثر، إنه أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد[٢]،ولا تذكر المصادر مناسبة التقاء "حفصة" بأبي جعفر ولا تاريخها، ولكنّنا لا نرى من الصعب أن يلتقي شاعر بشاعرة في مجتمع "يطرب للشعر"[٣]، وقد نشأت بين الشاعرين علاقة حبّ ذكّرت العديد من الدارسين بعلاقة "ولاّدة" وابن زيدون[٤]، فالريسوني يرى أنّ حبّ "حفصة" لأبي جعفر كان من العوامل الفعّالة في إبراز عملها الشعري إلى الوجود الأدبي إذ أنّ جانبه الأكبر تعبير عن حياتها العاطفية،و بالفعل،فإنّ جلّ ما نظمت "حفصة" من شعر إنما هو تعبير عن مرحلة من مراحل علاقتها بأبي جعفر، وقد جاء معظمه في شكل مراسلات تبادلها الحبيبان[٥].

وقد ازدادت حكاية "حفصة" العاطفية مع أبي جعفر، أحمد بن سعيد، شهرة بعد أن علِق بها أبو سعيد، عثمان بن عبد المؤمن، أمير "غرناطة" في الفترة التي كان فيها أبو جعفر وزيرًا،ونفهم من شعر"حفصة"وخاصة قطعتها الرابعة عشر أنها اضطرت إلى التظاهر بقطع العلاقة مع أبي جعفر، خشية عليه من بطش ابن عبد المؤمن.

وقد انتهت علاقة "حفصة" بأبي جعفر بن سعيد نهاية مأسوية، فقد تدهورت العلاقة بين أبي جعفر وحاكم غرناطة بسبب غيرة ابن عبد المؤمن من حبّ حفصة لأبي جعفر، حتى انتهز الأمير تمرّد محمد بن مردنيش [٦] ،وانضمام أحد أفراد أسرة بني سعيد إليه وهو عبد الرحمان بن

---

(١) العائلة التي ينحدر منها المؤلف ابن سعيد صاحب " **المغرب** " .

(٢) يقول عنه ابن سعيد في" **المغرب**":"هو عمّ والدي وأحد مصنفي هذا الكتاب، وكان والدي كثير الإعجاب بشعره"،م س، ص ١٦٤، ولقد ذكر ابن سعيد أبيات كثيرة من شعره، ينظر، المقري: م س، ج٢، ص ٣٣١.

(٣) الريسوني: م س، ص ١٢٠.

(٤) نفسه ، ١٢٠.

(٥) نفسه ، ١٢٠.

(٦) يعرف أيضًا بلقب " ملك الذئب " ، فبعد سقوط دولة المرابطين، استولى على حكم " بلسية " و " مرسية "، لذلك كان منافسًا للموحدين في حكمهم في وسط الأندلس، ينظر، **دائرة المعارف الإسلامية**، ط ٢، ج٣، ص ٨٨٩.

عبد الملك بن سعيد ،فألقى القبض عليهم جميعا،ومن بينهم أبو جعفر، الذي قتله في مدينة "مالقة" سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م

وشعر"حفصة" ينطق بهذه الحقائق التاريخية، ففي شعرها إعلان لحدادها على موت أبي جعفر، وبعد موته تكاد أخبارها تغيب، ولذلك نحن نفترض في هذه الفترة أن تكون قد أنتجت شعرا رثائيا لم تنقله لنا المصادر خوفا من الموحّدين.

ومن شعر "حفصة" نستنتج أنها قد لقيت شهرة كبيرة في عصرها، فهذه امرأة من أعيان "غرناطة" يعرّفنا بها ابن الخطيب ـ وهي أخت الوزير أبي بكر بن يحي الحمداني ـ تسألها أن تكتب لها شيئا بخط يده للذكرى فتجيبها بالقطعة الخامسة .

ثم بعد موت ابن سعيد، تسكت المصادر عن "حفصة"، لا تذكر عنها إلاّ أنها توفّيت "بمراكش" سنة ٥٨٦هـ/١١٩١م.

أمّا عن شعرها، فتعتبر "حفصة" أوّل شاعرات الأندلس من حيث عدد القطع والأبيات، فقد وجدنا لها ثماني عشرة قطعة، مجموع أبياتها اثنان وستون بيتا،وينفرد ابن الخطيب بذكر هذه الأبيات أثناء حديثه عن موت حبيبها أبي جعفر بن سعيد، إذ لما بلغها قتله "لبست الحداد وجهرت بالحزن فتُوُعدت بالقتل فقالت هذه الأبيات (١):

هَدَّدُونِي مِنْ أَجْلِ لُبْسِ الْحِدَادِ لِحَبِيبٍ أَرْدَوْهُ لِي بِالْحُدَادِ

رحِمَ اللَّهُ مَنْ لاَ يَجُودُ بِدَمْعٍ أَوْ يَنُوحُ عَلَى قَتِيلِ الأَعَادِي

وَسَقَتْهُ، بِمِثْلِ جُودِ يَدَيْهِ حَيْثُ أَضْحَى مِنَ الْبِلاَدِ الْغَوَادِ

وقالت أيضا:

يَا سَيِّدَ النَّاسِ يَا مَنْ يُؤَمِّلُ النَّاسُ رِفْدَهْ

اُمْنُنْ عَلَيَّ بِطِرْسٍ يَكُونُ لِلدَّهْرِ عُدَّهْ

تَخُطُّ يُمْنَاكَ فِيهِ "الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهْ"

وبعد طول غياب التقت "حفصة" بحبيبها أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنبسي، وقد أراد عتابها فأجابته بهذا البيت.

دعِي عَدَّ الذُّنُوبِ إِذَا الْتَقَيْنَا تَعَالَي لاَ نَعُدُّ وَلاَ تَعُدِّي

(١) ابن الأبار: م س، ص ٢٤٠ ، السيوطي: م س، ص ٣٣ ،جارولو : م س، ص ٨١، الريسوني: م س، ص ١٣٠ .

وقالت أيضا[1]:

ثنَـائِي عَلَـى تِلْكَ الثَّنَايَـا لأنَّنِي — أقُولُ عَلَى عِلْمٍ وَأنْطِقُ عَنِ خَبَرِ
وَأنْصِفُهَا لاَ أكْذِبُ اللَّـهَ إنَّنِي — رَشَفْتُ بِهَا رِيقًا ألَذُّ مِنَ الْخَمْرِ"

وقالت أيضا [2]:

قُـلْ لِلَّـــذِي خلَّصنَنَــا — مِنْـهُ الوُقُـوعُ فِي الْخَـرَا
اِرْجِـعْ كَمَـا شَاءَ الْخَـرَا — يَـا ابْنَ الْخَـرَا إِلَــى وَرَا
وَإنْ تَعُـدْ، يَوْمًـا إلَــى — وِصَـالِنَـا سَوْفَ تَــــرَى
يَـا أسْقَطَ النَّـاسِ وَيَـا — أنْـذَلَـهُـمْ بِـــــلاَ مِـرَا
هَـذَا، مَدَى الدَّهْرِ ثُـلاَ — فِـي لَـوْ أتِيتَ فِي الْكَرَى
يَا لِحْيَةً تَشْغَفُ فِي الْـ — خُـرْءِ، وَتَشْنَـا العَنْبَـرَا
لاَ قَـرَّبَ اللَّـهُ اجْتِمَـا — عًـا بِـكَ حَتَّـى تُقْبَـرَا

وقالت أيضا [3]:

لَعَمْرُكَ مَـا سِرُّ الرِّيَـاضِ بِوَصْلِنَا — وَلَكِنَّهُ أبْدَى لَنَـا الغِلَّ وَالْحَسَدْ
وَلاَ صَفَّقَ النَّهْـــرُ ارْتِيَاحًا لِقُرْبِنَـا — وَلاَ غَـرَّدَ الْقُمْرِي إلاَّ لِمَــا وَجَدْ
فَلاَ تُحْسِنِ الظَنَّ الَّذِي أنْتَ أهْلُـهُ — فَمَا هُوَ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ بِالرَّشَـدْ
فَمَا خَلَتْ هَذَا الأفُقُ أبْدَى نُجُومَهُ — لأمْرٍ، سِوَى كَيْمَا تَكُونَ لَنَا رَصَدْ

كما قالت أيضا[4]:

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَجْمًا، لَمَا كَانَ نَاظِرِي — وَقَدْ غِبْتَ عَنْهُ مُظْلِمًا بَعْدَ نُورِهِ
سَلاَمٌ عَلَى تِلْكَ الْمَحَاسِنِ مِنْ شَجٍ — تَنَاءَتْ بِنُعْمَـاهُ وَطِيبِ سُـرُورِهْ

وقالت حفصة هذه الأبيات ندما بلغها أنّ أبا جعفر يعاشر فتاة سوداء وأنه رافقها أياما بظاهر غرناطة، فكتبت إليه هذه الأبيات معاتبة ساخرة به وبمعشوقته الجديدة.

---

(١) ابن دحية : م س ، ص ١٠، السيوطي: م س،ص٣٣، المقري: م س، ج٤، ص ١٧١، الريسوني: م س، ١٢٧.

(٢) السيوطي: م س، ص ١٢٧، المقري: م س، ج٤، ص ١٧٥، جارولو: م س، ص ٧٧.

(٣) ياقوت الحموي: م س ، ج٣، ص١١٨٣، ابن سعيد: م س، ص ١٦٣، السيوطي: م س، ص ٣٣،المقري: م س، ج٤، ص ١٧٧.

(٤) ابن سعيد: م س،ج٢، ص ١٣٩، المقري:م س،ج٤، ١٧٦، أمهنا: م س، ص ٥٦،بلحاج فرج: م س، ص ٨٩.

ومن مختاراتها أيضا[1]:

يَـا أَظْـرَفَ النَّـاس، قَبْلَ حَالِ أَوْقَعَـهُ، وَسْطَـهُ الْقَـدَرَ!
عَشِقْتَ سَـوْدَاءَ، مِثْـلَ لَـيْلٍ، بَدَائِـعَ الحسنة قَدْ سَتَـرْ
لاَ يَظْهَـرُ الْبِشْـرُ فِـي دُجَـاهَـا بِكُلِّ مَـنْ هَـامَ فِي الصُّـوَرْ
بِـاللَّـهِ قُـلْ لِـي وَأَنْـتَ أَدْرَى كَـلاَّ وَلاَ يُبْصِـرُ الْخَفَـرْ
مَنِ الَّـذِي حَـبَّ قَبْلُ رَوْضًا لاَ نَـوْرَ فِيـهِ وَلاَ زَهَـرْ

وتولى أحمد بن عبد الملك بن سعيد الملقب بأبي جعفر الوزارة فكتبت إليه حفصة هذه الأبيات مهنئة ،وقالت [2]:

رَأَسْتَ، فَمَا زَالَ الْعُدَاةُ، بِظُلْمِهِمْ وَحِقْدِهِمِ النَّامِي، يَقُولُونَ: "مَا رَأَسْ
وَهَلْ مُنْكَرٌ أَنْ سَادَ، أَهْلَ زَمَانِهِ جَمُوحٌ إِلَى الْعُلْيَا، تَقِيٌّ مِنَ الدَّنسْ

وهذه القطعة مدحية توجهت بها حفصة إلى عثمان بن أبي سعيد أمير غرناطة تهنئه بيوم عيد وقالت [3]:

يَـا ذَا الْعُـلاَ، وَابْـنَ الْخَلِيـ فه وَالإِمَـامِ الْمُـرْتَضَـى
يْنِيـكَ عِيـدٌ، قَـدْ جَـرَى فِيـهِ، بِمَـا تَهْوَى، الْقَضَـا
وَآتَـاكَ مَـنْ تَهْـوَاهُ، فِـي طَـوْعِ الإِجَـابَـةِ وَالرِّضَـا
لِيُعِيـدَ، مِـنْ لَـذَّاتِـهِ مَـا قَـدْ تَصَـرَّمَ وَانْقَضَـى

وأرسلت حفصة بهذه الأبيات إلى أبي جعفر، وقالت [4]:

سَـارَ شِعْـرِي، لَكَ عَنِّي زَائِـرًا فَأَعِرْ سَمْـعَ الْمَعَالِي شَنْفَـهُ
وَكَذَا الرَّوْضُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِـعْ زَوْرَةً أَرْسَـلَ عَنْـهُ عَـرْفَهُ

ومن مختاراتها أيضا[5]:

زَائِـرٌ، قَدْ أَتَـى بِجِيـدِ غَـزَالٍ طَامِـعٌ مِنْ مُحِبِّهِ،بِالْوِصَالِ

---

(١) الحموي:م س،ج٣، ص ١١٨٤،المقري:م س، ج٤، ص١٧٦، أمهنا: م س، ص ٥٦، جارولو: م س، ص ٧٤.
(٢) الحموي:م س،ج٣، ص ١١٨٣،المقري:م س، ج٤، ص١٧٦، أمهنا: م س، ص ٥٧، جارولو: م س، ص ٨٠.
(٣) ابن سعيد: م س، ص ١٣٩، المقري:م س، ج٤، ص١٧٧، أمهنا: م س، ص ٥٦، جارولو: م س، ص ٧٤.
(٤) ابن سعيد: م س، ج٢،ص١٦٦، جارولو: م س، ص٧٩، مكي:م س، ص٩٤.
(٥) الحموي:م س،ج٣، ص ١١٨٥،المقري:م س، ج٤، ص١٧٧، أمهنا: م س، ص ٥٥، جارولو: م س، ص ٨٠.

بِلِحَاظٍ، مِنْ سِحْرِ بَابِلَ صِيغَتْ   وَرُضَابٍ يَفُوقُ بِنْتَ الدَّوَالِي
يَفْضَحُ،الْوَرْدَ مَا حَوَى مِنْهُ خَدٌّ   وَكَذَا الثَّغْرُ، فَاضِحٌ لِلآلِي
مَا تَرَى فِي دُخُولِهِ، بعْدَ إِذْنٍ   أَوْ تَرَاهُ، لِعَارِضٍ فِي انْفِصَالٍ؟
أَتُرَاكُمْ، بِإِذْنِهِ، مُسْعِفِيهِ   أَمْ لَكُمْ شَاغِلٌ مِنَ الأَشْغَالِ ؟!

وذات يوم كان أبو جعفر في بيته مع أصحابه، إذ طرق الباب فخرجت الجارية تنظر من الطارق، فوجدت حفصة فمدّتها برقعة وطلبت منها تسليمها إلى سيدها. قرأ أبو جعفر الرقعة فوجد بها هذه الأبيات فكتب إليها [١]:

أَيُّ شُغْلٍ عَنِ الْحَبِيبِ يَعُوق   يَا صَاحِبًا، قَدْ آنَ مِنْهُ الشُّرُ
صِلْ! وَوَاصِلْ! فَأَنْتَ أَشْهَى إِلَيْنَا   مِنْ جَمِيعِ الْمُنَى، فَكَمْ ذَا نَشُوقْ

وهذه القطعة أرسلتها حفصة إلى أبي جعفر تدعوه فيها كي يزورها أو تزوره،
فقالت [٢]:

أَزُورُكَ أَمْ تَزُورُ، فَإِنَّ قَلْبِي   إِلَى مَا تَشْتَهِي، أَبَدًا يَمِيلُ
فَثَغْرِي مَوْرِدٌ عَذْبٌ زلالا   وَفَرْعُ ذُؤَابَتِي ظِلٌّ ظَلِيلُ
هَلْ تَخْشَى بِأَنْ تَظْمَا وَتَضْحَى   إذَا وَافَى إِلَيْكَ بِيَ الْمَقِيل
فَعَجِّلْ بِالْجَوَابِ! فَمَا جَمِيلٌ   إِبَاؤُكَ عَنْ بثنية، يَا جَمِيلُ

ومن مختاراتها أيضا [٣]:
ردّت حفصة على أبي جعفر حينما طلب لقاءها فتمنعت قدر شهرين و قالت:

يَا مُدَّعِي، فِي هَوَى الـ   حُسْنِ وَالْغَرَامِ، الإِمَامَهْ
أَتَى قَرِيضُكَ، لَكِنْ   لَمْ أَرْضَ مِنْهُ نِظَامَهْ
أَمُدَّعِي الْحُبَّ يَثْنِي   يَأْسُ الْحَبِيبِ زِمَامَهْ
ضَلَلْتَ كُلَّ ضَلاَلٍ   وَلَمْ تُفِدْكَ الزَّعَامَهْ
مَا زِلْتَ تَصْحَبُ، مُذْ كُنْـ   تَ فِي السِّبَاقِ، السَّلاَمَهْ

---

(١) ابن سعيد: م س، ج٢، ص ص ١٣٩، ١٤٠ .
(٢) ياقوت الحموي:م س،ج٣، ص ١١٨٤، المقري:م س، ج٤، ص١٧٦، أمهنا: م س، ص ٥٦، جارولو: م س، ص ٧٤، أمهنا: م س، ص ٥٥، جارولو: م س، ص ٨٠.
(٣) المقري:م س، ج٤، ١٧٣.

حَتَّـى عَثَـرْتَ وَأَخْجَلْـــ تَ بِاقْتِضَــاحِ السَّآمَــــهْ
بِاللَّــهِ ! فِـي كُـلِّ وَقْــتٍ يُبْـدِي السَّحَـابُ انْسِجَامَـهْ
وَالـزَّهْـرُ، فِـي كُـلِّ حِيـنٍ، يَشُــقُّ عَنْــــهُ كِمَامَــــهْ
لَـوْ كُنْـتَ تعْـرِفُ عُـذْرِي، كَفَفْـتَ غَـــــرْبَ المَلاَمَـهْ

ومن مختاراتها الشعرية أيضا،لما طلبت منها أخت الوزير أبي بكر بن يحي بن محمد بن عمر الهمذاني أن تكتب لها شيئا بخطها فكتبت هذين البيتين [(١)]:

يَا رَبَّةَ الحُسْنِ بَلْ يَا رَبَّةَ الكَرَمْ غُضِّـي جُفُونَـكِ عَمَّا خَطَّ الْقَلَـمْ
تَصَفَّحِيـهِ بِلَحْظِ الوُدِّ، مُنْعِمَـةً لاَ تَحْفَلِـي بِقَبِيحِ الْخَـطِّ وَالْكَلِـمْ

وقالت أيضا [(٢)]:

سَلُوا الْبَارِقَ الْخَفَّاقَ، وَاللَّيلُ سَاكِنٌ أَظَلَّ بِأَحْبَابِي يُذَكِّرُنِـي، وَهْنَـــا
لَعَمْرِي! لَقَدْ أَهْدَى لِقَلْبِي، خُفُوقَـهُ وَأَمْطَرَ،كَالْمُنْهَلِ مِنْ مُزْنِهِ،الْجَفْنَا

ومن مختاراتها أيضا [(٣)]:

أَغَارُ عَلَيْكَ: مِنْ عَيْنِي، وَقَلْبِـي وَمِنْـكَ، وَمِنْ زَمَانِكَ وَالْمَكَـانِ
وَلَوْ أَنِّـي جَعَلْتُـكَ فِي عُيُونِـي إِلَـى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَا كَفَانِـي

وقالت أيضا [(٤)]:

سَـلاَمٌ، يُفَتِّـحُ عَـنْ زَهْرِهِ الْـــ كِمَـامُ، وَيُنْطِـقُ وُرْقَ الْغُصُـونْ
عَلَـى نَـازِحٍ قَدْ ثَوَى فِي الْحَشَا وَإِنْ كَـانَ تُحْرَمُ مِنْهُ، الْجُفُـونْ
فَـلاَ تَحْسَبُـوا الْبُعْدَ يُنْسِيكُـمْ فَذَلِكَ وَاللَّـــــهِ مَا لاَ يَكُـونْ

- **حمدة بن زياد المؤدب**:تعرف أيضا على سبيل "التمليح" باسم "حمدونة".وهي بنت زياد بن عبد الله بن بقي العوفي المؤدّب، يظهر اسمها في كتب التراجم [(٥)]،عادة،ملازما لأختها

---

(١) ابن الخطيب: م س، ج١، ص ٤٩١، المقري: م س، ج٤، ص ١٧٧،أمهنا: م س، ص٥٥.
(٢) ياقوت الحموي: م س، ج٣، ص ١١٨٤، المقري: م س، ج٤، ص ١٧٦،أمهنا: م س، ص٥٦.
(٣) الحموي:م س، ج٣، ص١١٨٥، المقري: م س، ج٤، ص ١٧٦،أمهنا: م س، ص٥٥.
(٤) السيوطي: م س، ص ٣٤ ،المقري: م س، ج٤، ص ١٧٦،أمهنا: م س، ص٥٥.
(٥) ياقوت الحموي: م س، ج٣، ١٢١١،ابن الأبار: **تحفة القادم**، تح، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٣٤.

زينب، وتعرفان باتصافهما بالعلم والأدب والشعر، فكانتا من"مشهورات نساء الأندلس"[1] خاصة وأنّ حبّهما للأدب دفعهما إلى مخالطة أهله "مع نزاهة موثوق بها" [2].

لقيت "حمدة" شهرة كبيرة، فقد عرفت بـ: "خنساء الأندلس أو المغرب" كما تعرف بـ "شاعرة الأندلس". وفي المقابل، فإنّ أختها "زينب" يكاد لا يذكر لها شيء، عدا اسمها الذي يظهر دائما ملازما لاسم "حمدة"، مع النص على شاعريتها، وباستثناء ما نجده في "رسالة في "فضل الأندلس" التي أوردها المقري في "النفح" لـ "حمدة" إذ يقول:"وكونها لـ"حمدة" أشهر"[3].

وحول شخصية "حمدة"، نجد في المصادر بعض اللبس: فهذا الضبّي يخلط بينها وبين "حفصة الركونية"، التي أثبتنا اتّصالها بالخليفة الموحّدي عبد المؤمن واشتغالها أستاذة لنساء قصره [4]، فينسب أبيات "حفصة"، التي قالتها في مدح الخليفة، إلى "حمدة".

وقد مثّل أشعار "حمدة" مجالا لإظهار التعصّب والافتخار القومي بين المصادر الأندلسية والمصادر المشرقية، بطريقة تعكس لنا تلك المنافسة وذاك الصراع اللّذين سادا لفترة طويلة بين المشرق،الذي اعتبر أدب الأندلسيين"بضاعتهم ردّت إليهم"،والمغرب الذي مافتئ يثبت الشخصية الأندلسية المستقلة.

فبعض أشعار"حمدة"ينسبه أهل المشرق إلى أحمد بن يوسف المنّازّي(ت٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) يقول ياقوت الحموي:"وقد نسب إليها أهل المغرب الأبيات الشهيرة المنسوبة للمنّازّي الشاعر المشهور" [5].

كما تستند المصادر الأندلسية، في نسبة هذه الأبيات إلى "حمدة" بإثبات تقدّم "حمدة" على المنّازّي في التاريخ،فيقول المقري: "ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا – وهي الأندلس – أثبتوها لها قبل أن يخرج المنّازّي من العدم إلى الوجود" [6].

ولئن اختلفت المصادر في هذه الجوانب من حياة "حمدة"، فإنها تتفق على أنها عاشت في "وادي آش"، ويدقّق ابن الخطيب في تحديد موطنها فيقول: إنها من سكان وادي الجهة بقرية

---

(١) ابن دحية: م س، ص ١١.

(٢) ياقوت الحموي: م س، ج٣، ص ١٢١١.

(٣) المقري: م س، ج٤، ص ٢٨٧.

(٤) الأوسي: م س، ص ١٥٥.

(٥) ياقوت الحموي: م س، ج٣، ص ١٢١٢.

(٦) المقري: م س، ج٤، ص ٢٨٩.

بادي، من وادي آش [١]،وتتفق المصادر أيضا، على وصف جمال الطبيعة بهذه المدينة التي تكثر فيها الأنهار. وبتأملنا فيما نظمت حمدة من شعر، نجد حضورا كبيرا لهذا البلد الذي عاشت فيه؛ فهي، في قطعتين ،الأولى ذات ستّة أبيات، والثانية ذات خمسة أبيات ،تصف مشاهد طبيعية مرتبطة بالوادي،وهذا الالتصاق بالطبيعة في شعر "حمدة"، جعل الشّكعة يعتبرها "شاعرة الطبيعة" تمييزا لها عن بقية الشاعرات. لذلك لا يميل إلى تسميتها "بالخنساء"، التي ارتبط اسمها بالرثاء، ويقول مقترحا: "لو أحسن اقتباس صفة مشرقية لها، لقيل "صنوبرية الأندلس" نسبة إلى أبي بكر الصنوبري شاعر الطبيعة بالمشرق"[٢].

ولا تضبط لنا المصادر تاريخ وفاة "حمدة"، لكننا نرجّح أنها من شاعرات القرن الخامس وبدايات القرن السادس، ونعتمد في ذلك على تحديدنا لتاريخ الولادة والوفاة لشخصية روت عنها، وهي أبو القاسم محمد بن علي المعروف بابن البرّاق، (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م) ،وبذلك قد تكون "حمدة" من معاصرات "حفصة الركونية"، التي عاشت أيام حكم الموحّدين.

أما عن مجموع ما وجدنا لـ "حمدة" من شعر، فقد أوردت لها المصادر ثلاث قطع مجموع أبياتها أربعة عشر بيتا.

ومن مختاراتها [٣]:

أ بَاحَ الدّمـعُ أسْـرَارِي بوَادِي، لَـهُ فِـي الحُسْـنِ آثَارٌ بِــوَادِي
فَمِنْ نَهْـرٍ يَطُـوفُ بِكُلِّ رَوْضٍ، َمِـنْ رَوْضٍ يَـرِفُّ بِكُـلِّ وَادِي
وَمِـنْ بَيْـنِ الظّبَـاءِ مَهَاةُ أُنْسٍ، سَبَتْ لُبِّـي، وَقَدْ مَلَكَتْ فُؤَادِي
لَـهَا لَحْـظٌ تُرَقِّـدُهُ لأَمْنننرٍ، وَذَاكَ الأَمْـرُ يَمْنَعُنِـي رُقَـادِي
إذَا سَدَلَـتْ ذَوَائِبَهَـا عَلَيْهَــا، رَأَيْـتَ البَـدْرَ فِـي أُفُقِ السَّـوَادَ
كَـأَنَّ الصُّبْحَ مَاتَ لَـهُ شَقِيــقٌ، فَمِـنْ حُـزْنٍ تَسَرْبَـلَ بِالْحِـدَادِ.

ومن مختاراتها الشعرية أيضا:

ولَمَّـا أَبَـى الْوَاشُونَ إلاَّ فِرَاقَنَـا وَمَا لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِـنْ ثَارِ

(١) قال عنها ياقوت الحموي: "مدينة بالأندلس، قريبة من غرناطة، كبيرة ترد حولها المياه والأنهار، وهي كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون ..." ،**معجم البلدان** ، ج٥، ص ٣٩٥.
(٢) الأوسي : م س، ص ١٥٥.
(٣) ابن الأبار: م س، ج٢، ص ٧٤٦، ابن الخطيب ، م س ، ج١، ٤٨٩، المقري: م س، ج٤، ص ٢٨٧.

وَشَنُّـوا عَلَـى أَسْمَاعِنَا كُلَّ غَارَةٍ وَقَلَّ حُمَاتِي،عِنْدَ ذَاكَ، وَأَنْصَارِي

غَزَوْتَهُمْ، مِنْ مَقْلَتَيْكَ وَأَدْمُعِـي وَمِنْ نَفْسِي،بِالسَّيْفِ وَالسَّيْلِ وَالنَّارِ(١)

ومن مختاراتها أيضا(٢):

وقَانَـا، لَفْحَـة الرَّمْضَـــاءِ، وَادُ سَقَـاهُ مَضَاعَـفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ

حَلَلْنَـا دَوْحَـهُ، فَحَنَـا عَلَيْنَـا حُنُوَّ الْمُرْضِعَـاتِ عَلَـى الْفَطِيـمِ

وَأَرْشَفَنَـا، عَلَـى ظَمَـإٍ، زُلاَلاً أَلَـذُّ مِـنَ الْـمُـــدَامَـةِ لِلنَّـدِيـمِ

يَصُدُّ، الشَّمْسَ أَنَّـى وَاجَهَتْنَـا فَيَحْجُبُهَـا، وَيَـأْذَنُ لِلنَّسِـيمِ

يَـرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَـة الْعَذَارَى فَتَلْمَـسُ جَانِـبَ الْعِقْدِ النَّظِيـمِ

ـ **زينب بينت اسحاق النصراني :** يبقى "نفح الطيب" المصدر الوحيد الذي يحدّثنا عن هذه الشاعرة، ويسوق ذكرها في إطار الحديث عن فوائد رضيّ الدّين أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي(٣)،وقد أنشد شعرها أمام أبي حيّان الغرناطي،النّحوي المشهور،وقد ولد الشاطبي بـ"بلنسية" سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م.لذلك،نرجّح أنّ"زينب"قد سكنت "بلنسية"، وهناك التقت "بالشاطبي" وأنشدته القطعة.

تعرف"زينب" بنسبتها إلى أبيها: فهو إسحاق النّصراني الرسعني ونحن نستطيع بالاعتماد على هذا النسب أن نرجّح انتماءه الدّيني والجغرافي، فلقبه يرجّح نصرانيته، التي نجد لها صدى في شعر ابنته زينب عند قولها "ما بال النّصارى تحبّهم" ،ونستنتج كذلك انتسابه المكاني،فـ"الـرسعني" التي ينتسب لها، يذكرها ياقوت في معجمه،فيقول: إنها نسبة مشهورة عند سكان "رأس العين"(٤)،وهي مدينة بين "حران" و"نصيبين" وهذا ما جعل جارولو "ليس متأكدا من أنّ هذه الشاعرة من الأندلس"(٥)،ولكننا نفترض انتمائها إلى الأندلس، معتمدين على حجتين: الأولى تتمثل في أنّ الذي روى شعر"زينب" أندلسي من بلنسية،وهو الشاطبي،وقد أنشده

---

(١) المقري: م س، ج٤، ص ٢٨٧، ابن الخطيب: م س، ج١، ص ٤٩٠، ابن الأبار: م س، ص ٢٣٥

(٢) المقري: م س ، ج٤، ص ٢٨٧، جارولو: م س، ص ٨٤، فواز: م س، ص ١٧٠.

(٣) المقري: م س، ج٢، ص ٣٧٤ وما بعدها .

(٤) ياقوت الحموي: م س ، ص ١٥.

(٥) جارولو: م س، ص ١٣٠.

أمام أندلسي أيضا، هو أبو حيّان الغرناطي. ثم ينفرد،بنقلها لناالمقري،أما الحجة الثانية، فهي لا تنفي إمكانية إطلاق هذه النسبة على سكان "رأس العين" بالمشرق، فقد يكون والدها من رأس العين ثم انتقل إلى الأندلس وعاش فترة بـ "بلنسية"،حيث التقت "زينب" بالشاطبي، وقد كان ذلك فيما بين القرنين الهجريين الخامس والسادس. أما عن شعرها، فقد وجدنا لها قطعة واحدة ذات أربعة أبيات.

ومن مختاراتها الشعرية[١]:

عَدِيٌّ وَتَيْــمٌ لاَ أُحَــاوِلُ ذِكْرَهُــمْ بِسُــوءٍ، وَلَكِنِّـي مُحِـبٌّ لِهَاشِــمِ

وَمَا يَعْتَرِينِي، فِي عَلِيٍّ وَرَهْطِــهِ، إِذَا ذُكِــرُوا، فِي اللّهِ لَوْمَــةُ لاَئِــمِ

يَقُولُونَ: مَا "بَالُ النَّصَارَى تُحِبُّهُمْ، وَأَهْلُ النُّهَى مِنْ أَعْــرُبٍ وَأَعَـاجِمِ؟!"

فَقُلْتُ لَهُمْ:" إِنِّي لأَحْسَبُ حُبَّهُـمْ سَرَى فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ،حَتَّى الْبَهَائِمِ"

- **الشّلبية:** لم نقف على اسم لهذه الشاعرة، التي قلّت أخبارها، فندرت التّفاصيل عن حياتها. وقد ذكرها ابن الأبّار ونسبها إلى بلدها "شلب"[٢]، لأنه لم يقف على اسمها، ويكرر المراكشي والمقري ما ذكر ابن الأبّار، دون إضافة أيّة معلومة،ولا نجد هذه المصادر مهتمة بالحياة الشخصية للشاعرة أو بشعرها، قدر اهتمامها بالخبر الذي يذكر تفاصيل المناسبة التي كانت سببا في شهرة هذه القطعة، ومن هذا الخبر، نستنتج أن "الشلبيّة" قد عاشت فيما بين القرنين الهجريين السادس والسابع،وأنها توجهت بهذه القطعة إلى الخليفة الموحّدي الثالث،أبي يوسف يعقوب المنصور، الذي حكم من ٥٩٥هـ/١١٩٨م إلى ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وفي هذه القطعة، تصف الشاعرة حالة الفساد السياسي والاجتماعي التي آلت إليها مدينتها "شلب"، فتتظلّم من استبداد الوالي والقاضي وصاحب الخراج، ونفهم تظلّم "الشلبيّة"، إذا ما وضعناه في إطاره التاريخي،ففي هذه الفترة "كانت شلب مركزا للقوافل ضدّ الموحّدين، فضلا عن معاناة التّضييق من قبل البرتغاليين الذين استطاعوا احتلالها، سنة ٧٩٢هـ/١٤٨٩م"[٣]،وقد ألقت الشلبيّة هذه القصيدة

---

(١) المقري: م س ، ج٢، ص ٣٧٧، جارولو: م س، ص ١٣٠.

(٢) مدينة بغربي الأندلس بينها وبين ـ باجة ـ بثلاثة ايام، وهي غربي ـ قرطبة ـ وهي قاعدة ولاية أشكونية وبينها وبين ـ قرطبة ـ عشرة أيام ، قال الحموي: " سمعت ممن لا أحصى، أنه قال: قلّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعرًا، ولا يعاني الأدب "، م س ، ج٣، ص ٤٠٥

(٣) جارولو: م س ، ص ١١١.

على مصلّى الخليفة يوم الجمعة ،وتؤكّد المصادر أنّ الخليفة أخذ بشكواها بعين الاعتبار، فقد عزل الوالي والقاضي وصاحب الخراج،بعد وقوفه على حقيقتها[١]،وقد وجدنا "للشلبيّـة" قطعة واحدة، ذات ستة أبيات، وقد أثبتت المصادر هذا العدد، إلاّ أنّ جارولو يبدو أنها لم تفهم عن ابن الأبّار قوله "فأمر لها بصلة"، فاعتقدت أنه أمرها أن تواصل، وهو ما جعلها تفترض "إنشاد "الشلبيّـة" باقي قصيدتها، التي يجب أن تكون أطول من الأبيات الستّة المحفوظة ،وهو افتراض أشار إلى خطئه مترجم كتابها[٢].

ومن مختاراتها الشعرية[٣]:

قَـدْ آنَ أنْ تَبْكِي الْعُيُونُ الآبِيَـهْ وَلَقَـدْ أرَى أنَّ الْحِجَارَةَ بَاكِيَـهْ

يَا قَاصِدَ الْمِصْرِ الّذِي يُرْجَى بِـهِ إنْ قَدَّرَ الرَّحْمَا نُرَفْـعَ كَرَاهِيَـهْ

ناد الأمِيـرَ، إذَا وَقَفْـتَ بِبَابِـهِ! يَا رَاعِيًـــا إنَّ الرَّعِيَّـة فَانِيَـهْ

رْسَلْتَهَا هَمَــلاً، وَلاَ مَرْعَــى لَهَا، وتركتها نهب السّباع العاديـه

شِلْبٌ كَلاَ شِلْـبٍ وَكَانَتْ جَنَّــةً، فَأعَادَهَـا الطَّاعُـونُ نَارًا حَامِيَهْ

خـافُوا وَمَا خَافُوا عُقُوبَةَ رَبِّهِـــمْ وَاللّـهُ لاَ تَخْفَـى عَلَيْــهِ خَافِيَـهْ

ـ **هِنْدٌ:** تصنّف ضمن الشاعرات الجواري[٤]،ولعلّ هذا ما يفسّر عدم ذكر السّيوطي لها في كتاب"النزهة"وقد ضمنّه عددا كبيرا من شاعرات الأندلس،واهتمامه بأخبارها في" المستطرف من أخبار الجواري"[٥]،وكبقيّة الشاعرات القينات،لا نعلم شيئا عن ولادة "هنـد" ولا عن موطن نشأتها،وكلّ ما نعلمه عنها أنها كانت جارية لأبي محمد عبد الله بن مسلمة الشّاطبي، وقد كانت أديبة،مغنيّة،بارعة في ضرب العود[٦]،ولعلّ هذا ما يفسّر إعجاب أبي عامر محمد بن ينّق، الطبيب الشّاطبي بعزفها، فكتب إليها شعرا ،يدعوها فيه كي تعزف عنده، فكتبت ردّها على

---

(١) ابن الأبار: م س ، ج٤، ص ٢٦٠.
(٢) جارولو: م س ، ص ١١١.
(٣) ابن الأبار: م س، ج٤، ص ٢٦٠، ابن عبد الملك: م س، ج٨، ص ٣٩٥، المقري: م س، ص ٢٩٠.
(٤) ابن الأبار: م س، ج٤، ص ٢٣٩، المقري: م س، ج٤، ص ١٢٢، جارولو: م س، ص ٨٩.
(٥) السيوطي: **المستطرف من أخبار الجواري**، تح، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت، ١٩٦٣، ص٨٣.
(٦) المقري: م س، ج٤، ص ١٢٣.

نفس الرقعة التي كتب عليها وكان ردّها أيضا شعرا،وأبو عامر محمد بن ينّق هذا،(ت٥٤٧هـ /١١٥٣م) [١]،وبناء على هذا التحديد للفترة التي عاش فيها مراسلها،أمكننا مقاربة العصر الذي عاشت في "هند"،وهو القرن السادس الهجري.

وابن الأبّار هو المصنّف الأوّل الذي ذكر "هندا". وقد كان ذلك في "تحفة القادم"، حيث أورد لها قطعة واحدة تردّ فيها على ابن ينّق،وعن "التحفة" نقل أصحاب الدراسات الحديثة، مثل جارولو، التي تقول عن شعر "هند": "لكن من المحتمل أن هناك أشعارا أخرى لها في كتاب السّيوطي، الذي لم ينشر بعد"[٢]،وتشير في الهامش إلى أنها تعني كتاب "المستطرف من أخبار الجواري"،وقد عدنا إلى هذا الكتاب،فوجدنا قطعتين أخريين يذكرهما السّيوطي،بعد ذكره لقطعة هند،بشكل يدلّ على أنهما من وضع "هند"، وبتأمّلنا في القطعتين، نجدهما ترتبطان بشخصيتين تأكّدت بعدُ، الحقيقة التاريخية لكلّ منهما، وهما المتوكّل الخليفة والفتح بن خاقان.

وأوّل افتراض يتبادر إلى الذهن هو أنّ هذا "المتوكّل" هو الخليفة المشهور[٣]،و"الفتح بن خاقان" هو وزيره، وهو افتراض يناقض التاريخ الذي حدّدت به جارولو الفترة التي عاشت فيها "هند"،أي القرن السادس، في حين قتل "الفتح" ومعه "المتوكّل" سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م ، خاصة وأنّ هذا الخبر المتضمّن للقطعتين قد روته شخصية أخرى لها مرجعيتها التاريخية والأدبية،وهو الشاعر عليّ بن الجهم [٤] توفّي قبل ٢٥٠هـ/٨٦٤م.

ويبدو أنّ هذا الافتراض سببه الخلط بين "المتوكّل" و"الفتح بن خاقان" اللّذين ذكرنا من جهة و"المتوكّل بن الأفطس" ملك بطليوس[٥] ،و"الفتح بن خاقان"، صاحب "القلائد" من جهة أخرى وقد عاش "الفتح بن خاقان" هذا في عصر "هند". إذ توفّي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، وقد تحدّث في "القلائد" عن المتوكّل بن الأفطس، وليس بمقدورنا في حدود ما يتوفّر لدينا من أخبار

---

(١) جارولو: م س، ص ٨٩.
(٢) نفســه، ص ٨٩.
(٣) هو الخليفة العباسي أبو الفضل جعفر بن محمد، ينظر: جارولو، م س، ص ٨٩.
(٤) أبو الحسن بن علي بن الجهم، شاعر عباسي، عاش في عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢هـ/٨٤٦م إلى ٢٤٧هـ/٨٦١م) ، ابن الدراج: **الديوان** ، ج٣، ص ٢٣٦.
(٥) ابن سعيد:**كتاب الجغرافيا** ، م س، ج١، ص ٣٦٤.

عن شعر "هند"، إلاّ أن ننسب إليها قطعة واحدة ذات بيتين، ذكرهما ابن الأبّار وأقرّها المقري وهي التي توجّهت بها إلى الوزير الأديب ابن ينّق [١].

ومن مختاراتها [٢]:

يا سَيِّدًا حَازَ الْعُلاَ عَنْ سَادَةٍ ... شُمِّ الأُنُوفِ، مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ

حَسْبِي، مِنَ الإِسْرَاعِ نَحْوَكَ، أَنَّنِي ... كُنْتُ الْجَوَابَ مَعَ الرَّسُولِ الْمُقْبِلِ

أما إنتاج الأدبي لدى الأديبات والشاعرات عند ملوك الدويلات الثلاث لم يكن كبيرا عما كان عليه في الأندلس في عهد الموحدين وهذا عائد للتأثير الحضاري،مما أثر على إنتاجهن الأدبي، لكن هذا لم يمنع من بروز بعضهن،كما هو الشأن لنساء أسرة التجاني في الدولة الحفصية، وحدثنا عنها العبدري قائلا:" قل منهم ومن نسائهم من لا يقول الشعر» [٣]

ومن أبرز الأديبات نذكر أولا الشخصية الفذة المتميزة،تتمثل في :

- **زينب التجانية:** بنت أبي إسحاق إبراهيم، يرتبط نسبها بالرحالة "التجاني" [٤] صاحب الرحلة التجانية ، كانت عالمة وأديبة، واشتهرت بنبوغها في القرض البديع،واتخذ شعرها دليلا على معرفتها بقواعده،وكانت ذات خيال واسع [٥] ومن قولها: ملغزة فيه اسم حبيبها "تميم " [٦]

يقولون لي هذا حبيبك ما اسمه ... استطعت إفشاء وما استطعت أكتم

فقلت اسمه ميم و حرف مقدم ... فهذا اسم من أهوى فديتكم افهموا

ومن مختاراتها أيضًا [٧]:

إذا أسدلت منه عليها ذوابة ... كغصن أراك عانقته أراقم

---

(١) هو الوزير أبو عامر محمد بن ينق الذي توفي أواخر سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، يدعوا هند على الحضور إليه كي تغني في مجلسه، المقري: م س، ج٤، ٢٩٣.

(٢) ابن الأبار:م س، ج٣، ص٢٣٩.

(٣) أحمد بن عامر: **الدولة الحفصية،** ص ٨٨ .

(٤) هو الرحالة التجاني التونسي، ترك أثرا هاما " رحلة التجاني " التي ضمنها تاريخ معظم مدن بلاد تونس، و تحدث فيها عن مشاهداته أثناء الرحلة التي قام بها برفقة الأمير الحفصي " أبا يحي زكرياء الأول " سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م). ينظر، التجاني: **رحلة التجاني**، حسن حسني عبد الوهاب، نشر كتابة الدولة للمعارف، المطبعة الرسمية، ط١، تونس، ١٩٥٨، ص ١٢٤.

(٥) حسن حسني عبد الوهاب:**خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتاب العربية، ط٣، تونس، ١٣٧٣هـ، ص ص ١١٥ ، ١٢٥

(٦) أحمد بن عامر: **الدولة الحفصية،** ص٩٠.

(٧) نفسه، ص٩١.

إذا نزعــت عنه الملابس استحــم أثبت طويل فهو يستر جسمها

كان الصباح ارتاح من خوف طالب بثأر فالـوى بالدجــى يتكتــم

وفي وصف إحدى صويحباتها قالت [١]:

إذا انـسـدلت مـنه علـيها ذؤابـــه لغــض أراك عنـقتـــه أراقـمُ

أثيـب، طـويل، فهـو يستر جسمها إذا نزعت عنه الملابس أسحمُ

كأن الصباح ارتاع من خوف طالـبٍ بـثأر فألوى بالـدجى يتـكتّــمُ

ولا نعلم عنها معفومات كثيرة سوى ما ذكره الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب:"إن الواقف على هذا النزر القليل من نظم الأدبية التجانية يحكم بأنه كلام عارفة بقوانين الضعة، متمكنة عن الأدب وأوضاعه تمكنا صحيحا،وهي مع ذلك ذات خيال واسع ممّا لا يقع مثله إلاّ لحذّاق الشعراء"[٢]، ولا نعرف تاريخ وفاتها.

ـ **خديجة المعافري:** تعرف باسم" خدوج الرصفية"، وقد اشتهرت بأدبها وفصاحتها، ورقة شعرها،وبترسلها المماثل لترسل حذاق المترسلين[٣]، ومن نوادر شعرها ما جاءت به قريحتها إثر تكدير صفو حب ربط بينها، و بين شاب شاعر ظريف يدعى " أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله "،بعد أن فضح أمرها،وذاع خبره، اشتدت الغيرة بوليها أخيها الأكبر متأثرا بأقوال بعض الوشاة، فلم يقبل لأبي مروان طلبه يد "خديجة "، ورفضه كتبت إلى أخيها تقول [٤]:

يا سيدي ما هكذا حكم النهى حق الرئيس المرفق بالمرؤوس

توفيت الشاعرة خديجة في عهد الأمير الحفصي"محمد المستنصر بالله"في سنة(٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، ودفنت بالحي المعروف الآن باسمها حيث توجد زاويتها.

ـ **عائشة البجائية :** من أديبات مدينة بجاية، بنت الفقيه أبو الطاهر عمارة الشريف بن يحي بن عمارة الشريف،الشهيرة "الشريفة"أو"البجائية"[٥]،كانت أديبة أريبة،فصيحة،لبيبة،

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب: **شهيرات التونسيات** ، ص ٧٢.
(٢) حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية** ، ص ١٦٥.
(٣) نفسه، ص ١٦٥.
(٤) أحمد بن عامر، م س، ص ٩٠
(٥) الحفناوي: م س ، ج٢، ص ١١٧..

كان لها خط حسن[١]،وأخبرنا الحفناوي أنه رأى المخطوط الذي كتبته فقال:"رأيت كتاب الثعالبي في ثمانية عشر جزءا، وفي خاتمة كل سفر منه قطعة من الشعر من نظم والدها ،إذا ختم السفر وتم التاريخ كتب بخط يده و قال عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني،وتكتب ابنته القطعة بخطها، وهي نسخة عتيقة ما رأيت أحسن منها ولا أصح،ولقد رأيت منه نسخا كثيرة منتقدة إلا هذه النسخة،ولقد يجب أن تكون هذه النسخة أصلا لهذا الكتاب حيث كان،ويقع التصحيح منها، وهذه النسخة من جملة الخزانة السلطانية ببجاية ،ومن الغريب أني رأيت هذا الكتاب في سفر واحد،رأيته بحاضرة قسنطينة عند إمام جامع قصبتها المحروسة،وهو لا بأس به،ويقال:إنها بعثت برسالة إلى الشاعر ابن الفكون،وقالت له: عارضها أو زد عليها، فكتب إليها معتذرا عن الجواب[٢].

من مختاراتها :

أخذو قلبي و ساروا و اشتياقي أودعوني
لا عدا إن لم يعودوا فاعذروني أو دعوني[٣]

و قالت أيضا:

صدّني عن حلاوة التشييع اجتنابي مرارة التوديع
لم يقم خيرُ بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع[٤]

وأضاف الحفناوي أن:"لها طرائف أخبار ومستحسنات أشعار"[٥]،ولكننا لم نعثر بعد عليها.

أما المرأة في عصر بني مرين فقد أسهمت بدورها في ميدان الأدب ،لكن المصادر لا تفيدنا بأسماء سوى بعض اللواتي اشتهرن في الشعر مع نتف بسيطة عن حياتهن ومن أديبات هذه الفترة:

----

(١) الحفناوي: م س، ج٢، ص١١٧.
(٢) حسن حسني عبد الوهاب: **شهيرات التونسيات**، ص١١٩.
(٣) الحفناوي:م س،ج٢، ص١١٧.
(Ð) Cherbonneau (A) : " Aïcha, poète de Bougie au VII" ,**R.A**, n°33, 1862, pp34, 35.
(٥) الحفناوي:م س،ج٢، ص١١٧.

- صبح : جارية الفيلسوف والشاعر أحمد بن شُعيب الجزَّنائي،كانت تنظم الشعر،ولما ماتت حزن عليها أشدّ الحزن، ورثاها[١].
يخاطب قبرها [٢]:

يا صاحب القبر الذي أعلامه   دَرست و لكن حبُّه لم يدرُس
يا قبر صبح حلّ فيك   لمهجتي أسنى الأماني

لم نعثر على شعرها .

- عزيزة السكسوية: من سكسوة بالمغرب الأقصى،كانت ذات جرأة أدبية عالية وفصاحة لسان،وحجج مقنعة،قال عنها ابن قنفذ :"رأيت بالمغرب الأقصى في طرف سكسوة من جبل درن "الحرة عزيزة السكسوية" متجهة في صلح بين فئتين عظيمتين (...)وهي فصيحة جدا في أجوبتها وأوامرها،ركب إليها الرئيس الشهير صاحب مراكش عامر الهنتاني وتعجب لفصاحتها[٣] ولم نعثر على شعرها.

- صفية العزفية : تنسب لبيت العزفيين ولاة سبتة[٤]،كانت من فضليات نساء عصرها علما،و حلما، وصيانة، مدحت الشاعرة "سارة الحلبية" بقصيدة نذكر منها[٥] :

إذا ما ذكرت الشرق طِرتُ له شوقا   وشوقي لمن بالشرق أذكرني الشرقا
ولكن بمن أضحت وجيدة عصرها   نَسيت من الأشواق ما جلَّ أوْدَقَّا
ومن مثل ذات العلم والحِلم والنُّهى   لقد سارسيرالشمس مفخرها الأرْقَى
لقد سار سير الشمس فخر صفيّة   ونوَّرإكبارًا لها الغربَ والشَّرْقا
وأبدت سماحا لم يكن قبلها بدا   سلالة فخر العالمين الرضى الأتقا
وشاءت بناء للمعلي بجودها   فللهما أتقى ولله ما أنقى
أسيدة أضحى بعزة وجهها ضنى   الجهل يستشفي وفي المحل يستسقى

----
(١) عبد الله كنون: **النبوغ المغربي** ، ج١، ص٢٠٢.
(٢) نفسه، ج٢، ص ٩٣٣.
(٣)ابن قنفذ: **أنس الفقير** ، ص٩٣.
(٤) مدينة بالأندلس غربي البيرة قرب قرطبة، ياقوت الحموي :م س ، ص١٢٥.
(٥) عبد الله كنون: م س، ج١، ص٢٠٣. إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة: ط١، ١٩٨٤، ج٢، ص١٤٤.

كما أنجبت الأندلس شاعرات لكن عددهن يحصى على الأصابع،ولم يصلن من أخبارهن سوى معلومات شحيحة ،ومن أبرز هن في هذه الفترة أيضا:

ـ أمُّ الحسن بنت القاضي:إبن الخطيب هو الكاتب الوحيد الّذي ذكر هذه الشّاعرة [(١)]، وقد قدّمها باسم"أمّ الحسن بنت أبي جعفر الطّنجالي"،و"الطّنجالي"لقب عائلة أندلسيّة مشهورة، وقد اشتهر بعض أفرادها بالعلم والقضاء خاصّة، فاهتمت بهم كتب التّراجم، فهذا المقري يتحدّث عن شيوخ ابن الخطيب، فيذكر أبا جعفر الطّنجالي[(٢)]،وفي موضع آخر من النفح [(٣)]، يقدّم خطبة لأبي جعفر،وذكر في ختامها اسمه كاملا، فيقول:"وهي من إنشاء الفقيه الجليل الشّريف الكامل، أبي المجد عبد المنعم،بن الشيخ الفقيه العدل أبي جعفر بن عبد الله بن عبد المنعم،الهاشمي، الطّنجالي[(٤)]،رحمه الله ،ويفترض أن يكون هذا الشيخ الفقيه العدل والدًا لشاعرتنا.

و"أمّ الحسن"كما يتحدّث عنها ابن الخطيب،شاعرة من " لوشة "،وهي مدينة بالأندلس غربي" إلبيرة "،يصفها بأنّها:"ملمّة بعدد كبيرمن العلوم والفنون" فقد درّسها أبوها الطبّ، ففهمت أغراضه،وعلمت أسبابه وكانت تجوّد القرآن وتَنْظِمَ الشّعر "[(٥)].

لا يذكر ابن الخطيب تاريخَ ولادة هذه الشاعرة أو وفاتها،الّتي اعتبرناها من شواعر القرن الثامن للهجرة،استنادا إلى اعتبارنا أباها أحدَ شيوخ ابن الخطيب،الّذي توفي (٧٧٦هـ/١٣٧٤م).

وقد أورد ابن الخطيب قطعتين لأم الحسن كلّ واحدة ذات بيتين و تثبت لنا قطعتها الأولى ما حدّثنا به عنها صاحب الإحاطة ففيها تمجّد العلم،وتجعله سؤلها الّذي لا تبغي به بدلا ".

قالت:

الْخَــطُّ لَيْسَ لَهُ فِي العِلْمِ فَائِدَةٌ وَإِنَّمَا هُـــوَ تَزْيِيـــنٌ لِقِرْطَـــاسِ

وَالدَّرْسُ سُؤْلِي لاَ أَبْغِي بِهِ بَــدَلاً بِقَدْرِ عِلْمِ الفَتَى يَسْمُو عَلَى النَّاسِ[(٦)]

----

(١) ينظر أخبارها في ابن الخطيب:**الإحاطة**، ج١،ص٤٣١ ،أمهنّا:**معجم النساء الشاعرات** ص٢٨٩، جارولو: **شاعرات الأندلس**، ص١١٧ الرّيسوني: **الشعر النسوي**، ص١٤٥.
(٢) المقري :**النفح** ،ج٥،ص ٦٠٤.
(٣) نفسه، ج٧،ص ص ٣٣٥ ، ٣٣٧.
(٤) نفسه ،ج٧،ص٣٣٥.
(٥) ابن الخطيب: م س ،ج١،ص٤٣١.
(٦) نفســه ،ج١، ص١٧٦.

وقالت أيضا: هذين البيتين عندما طلب منها بعض النّاس أن يرى خطّها.

إنْ قِيلَ مَنْ فِي النَّاسِ رَبُّ فَضِيلَةٍ   حازَ العُلاَ والمَجْدُ مِنْــهُ أصِيلُ

فَأَقُولُ رَضْوَانٌ وَحِيــدُ زَمَانِــهِ   إنَّ الزَّمَــــانَ بِمِثْلِـهِ لَبَخِيلُ (١)

ـ نُضَار:بنت محمد بن يوسف الأندلسي،شاعرة،أديبة ومحدثة فاضلة،وكاتبة، فصيحة، خاشعة، ناكسة حتى كانت تفوق كثيرا من الرجال في العبادة والفقه،وكانت ذات الجمال تام، ولدت سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م) (٢)، أسمعها الكثير من أصحاب ابن الزبيدي،وسمعت بقراءة العلم البرزلي على بعض الشيوخ وحضرت على الدماطي،وحدثت بشيء من مرواتها، كما أجازها من المغرب أبو جعفر بن الزبير وسمعت من شيوخ مصر(٣)، وخرجت جزءا لنفسها وحفظت مقدمة في النحو ونظمت شعرا،وكانت تعرب جيدا ،كان والدها يثني عليها ويقول:"ليت أخاها حيان مثلها"،وكان "لنضار"محاولات في الكتابة جمعها أبوها وسماه "النضار في المسلاة عن نضار"(٤)، ووقف ابن حجر عليه وقال:"هو كثير الفوائد"،توفيت "نضار"سنة(٧٣٠هـ /١٣٢٩م) ورثاها الصفدي وكتب لوالدها قصيدة أولها :

بكـينـا باللجـين عـلى نـضار   فسـيل الدمع في الخدين جاري

فـيـا لله جـاريـة تـولـــت   فنبكيـها بأدمعنــا الجــواري(٥)

تجدر الإشارة بأن علماء العالم الإسلامي ومن بينهم عالمات الشام،كانوا يعتمدون مبدأ الرحلة كوسيلة للتعلم وكسب الشهرة المعرفية التي تمكنهم من صفات معينة (٦)،فكانت هجرة العالمات المشرقيات إلى المغرب إما كنقطة عبور للأندلس،وإما استقرارا كليا بها عاملا إضافيا في إنتعاش الحركة الأدبية،لعل من أهم الشخصيات التي وفدت على تونس وغرناطة وفاس واستقرت بها الأديبة:

---

(١) ابن الخطيب: **الإحاطة** ،ج ١،ص٤٣١ .

(٢) ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج٢ ، ص ١٢٥.

(٣) المقري: **نفح الطيب**، ج٣ ، ص ٢٣٣

(٤) الزبيدي، محمد مرتضى: **تاج العروس**، بدون تاريخ ، دون دار نشر، دون مكان ، ص١٢٥، كحالة: م س، ج٥، ص ص ١٧٧، ١٧٨.

(٥) المقري:م س ،ج ٤ ، ص ١٢٤.

(٦) يرى ابن خلدون أن الرحلة إلى طلب العلم كانت مبدأ سياسيا إعتمد من قبل جملة من الناس أخذوا على عاتقهم أساس التعليم في جانبه العلمي على الخصوص، **المقدمة** ،ص٥٤١، وأكد الفكرة العلامة ابن رشيد الفهري: **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الكريمة إلى الحرمين مكة وطيبة** ،تح،الحبيب بلخوجة ،الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس،١٩٨١،ج١ ،ص ١٢٠ .

ـ سارة الحلبية: بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية،أديبة وشاعرة، كانت سيدة واعظة قضت حياتها بالوعظ والإرشاد والصلاح، وفدت بلاد المغرب الإسلامي في أواخر (ق٧هـ / ١٣م)،دخلت تونس وسبتة وفاس،ولها مدح في أمراء الأندلس وفاس وتونس،كما خاطبت بعض زملائها الشعراء والأدباء[١]،كانت حسنة الخط وتحل الذهب بمعرفة وخبرة فتكتب به[٢]،ومن الملوك التي وفدت عليهم الأمير المستنصر بالله الحفصي، فدخلت عليه في قصره فسلمت عليه

وأنشدت بين يديه قولها فيه :

الشـــرق يـزهو بكـم والمغـرب وكذا الزمـان يتيه بكم ويطرب

والمـلك والمجد المفاخر و الندى كل فخر على مجــدك ينـسـب[٣]

فاستحسن ذلك منها وأعجبه شعرها وإقدامها وفصاحتها ووصلها بصلة عظيمة وخلع عليها ثم ضمها إلى حشمه فأقامت عنده حولا كاملا[٤]،ثم عادت إلى الأندلس فوفدت على السلطان الأندلسي" ابن الأحمر" فأنشدته قولها:

سما لك ملكـــا لا يزول مجـددا وعــزًا و تأييـدًا و نصــرًا مؤبدا

أرى الدهر فيما شئـتـه لك خادما على كـل ما تختـاره لك مـسعدا

وقـد قـرن السعد الجـديد لطالع لملك جديـد في دارة السعـد شيدو

وهي قصيدة طويلة فاستحسن لك منها وأكرمها وواصلها[٥].

لــم تكتــف الشــاعرة **ســارة** بهـؤلاء بـل راسـلت الأدبــاء والفقهــاء والكتاب،فظهرت على بعضهم واستحسن كافتهم نظمها ونثرها، ومنهم الكاتب أبو عبد الله بن المرابط والفقيه أبو عبد الله الدراج والقاضـي أبـو أميـة الدلالي، ثم وفدت سارة على الأمير أبي يوسف عبد الحق المريني بمراكش يوم وصـوله مـن المغـرب، فأنشدته قصيدة فأكرمهـا ولـم تـزل فـي حضـرته وأجـرى عليهـا الراتـب وأحسـن إليهـا حتـى توفيت فـي أيامـه بفـاس الجديـد[٦]، هكـذا يبـدو أن شاعرتنا كانت من المحظوظات.

---

(١) ابن القاضي: **جذوة الاقتباس،** ص ٣١١، كحالة: **أعلام** ، ج٢، ص ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) الزركلي:**الأعلام،** ج٣، ص ٦٩، حسن حسني عبد الوهاب عبد الوهاب: **شهيرات التونسيات،** ص ص ٧٤،٧٥.

(٣) ابن عبد الملك: م س، ج٢، ص ٤٩٩.

(٤) نفسه، ج٢، ص ٤٩٩.

(٥) نفسه ، ج٢، ص ٤٩٩.

(٦) نفسه .

فقالت :

باليمين و السعد و التأييد و الظفر قدمت يا خير الأمـــلاك مصــر

فكنت كالشمس بعد الغيب ملفعة أو كالغنى جـاء للمـرء بعد الفقـر

ملأتم الأرض من قسط و من عدل وقلب أعدائكـــم بالرعب و الذعر

من محط أرجله في نحو حضرتكم أضحى مدى الدهر في أمن من الغير[١]

عموما فقد حضرت الأديبات المجالس الأدبية،وفتحت بعضهن بيتها منتدى يؤمه رجال الفكر والأدب، وجالسن العلماء وتبادلنا المسائل الأدبية والقصائد الشعرية فتفوقن أحيانا، وكانت مشاركتهن في ميدان الشعر عظيمة ،خصوصا في شعر الغزل ،يبدو سبب ذلك ، شجيع الأمراء لهذا النوع من الشعر الذي له علاقة بالغناء،والذي كان شائعا في قصورهم في تلك الفترة .

كان شعر الغزل حاضر عند المرأة الأندلسية خاصة في عصر الموحدين ،فصارت الشاعرة تغازل الرجل وتثيره وتعزيه بكل الوسائل ،وتطلب زيارته أو تبادر هي بالزيارة .

إلا أنه من الملاحظ أن نصيب الشاعرة الأندلسية من الإبداع أوفر بالقياس إلى قرينتها في المغرب ،وذلك لغلبة طابع العاطفة والإحساس المرهف على المرأة الأندلسية ، وربما كان بتأثير جمال طبيعة الأندلس التي كان لها الأثر في ازدهار فنون الأدب ولاسيما الشعر لاعتماده على العاطفة .

ثالثا ـ العلوم النقلية :

شكل العلماء والفقهاء نخبة مهمة في المجتمع المغربي والأندلسي،ولم تكن العلوم النقلية أقل اهتماما من العلوم السابقة،ومن أبرز العالمات في هذا الاتجاه نذكر أولا الشخصية المتميزة ، تتمثل في :

ـ **المؤرخة فتحون المرسية:**هي السيدة بنت جعفر بن جعفر المرسية وتكنى"أم الفتح"، وتعرف بـ فتحون المرسية[٢]،وقد نعتها ابن عبد الملك المراكشي علاوة على وصفها بالأديبة، نعتها "بالتاريخية"،وهذا تعبير قديم بمعنى المؤرخة،وقد كان لها كتاب حول "قيان الأندلس"،

---

(١) ابن عبد الملك: م س ، ج٢ ،ص ١٦٥.

(2)مرسية murcia مدينة تقع على نهر شقورة،كانت قاعدة كورة تدمير،نبناها الأمير عبد الرحمان الثاني الأموي،وكانت ذات شأن كبير،حتى كاد إسمها ينسي إسم تدمير، مجهول :**الحلل الموشية** ،ص٦٧.

وهو مصنف عارضت به كتاب أبي الفرج الأصفهاني[١].

ـ **الكيميائية مريم الزناتية :**تعتبر أول عالمة كيميائية في بلاد المغرب الإسلامي، كانت تجيد معرفة علم الكيمياء[٢]، ولا نعلم عنها معلومات أخرى.

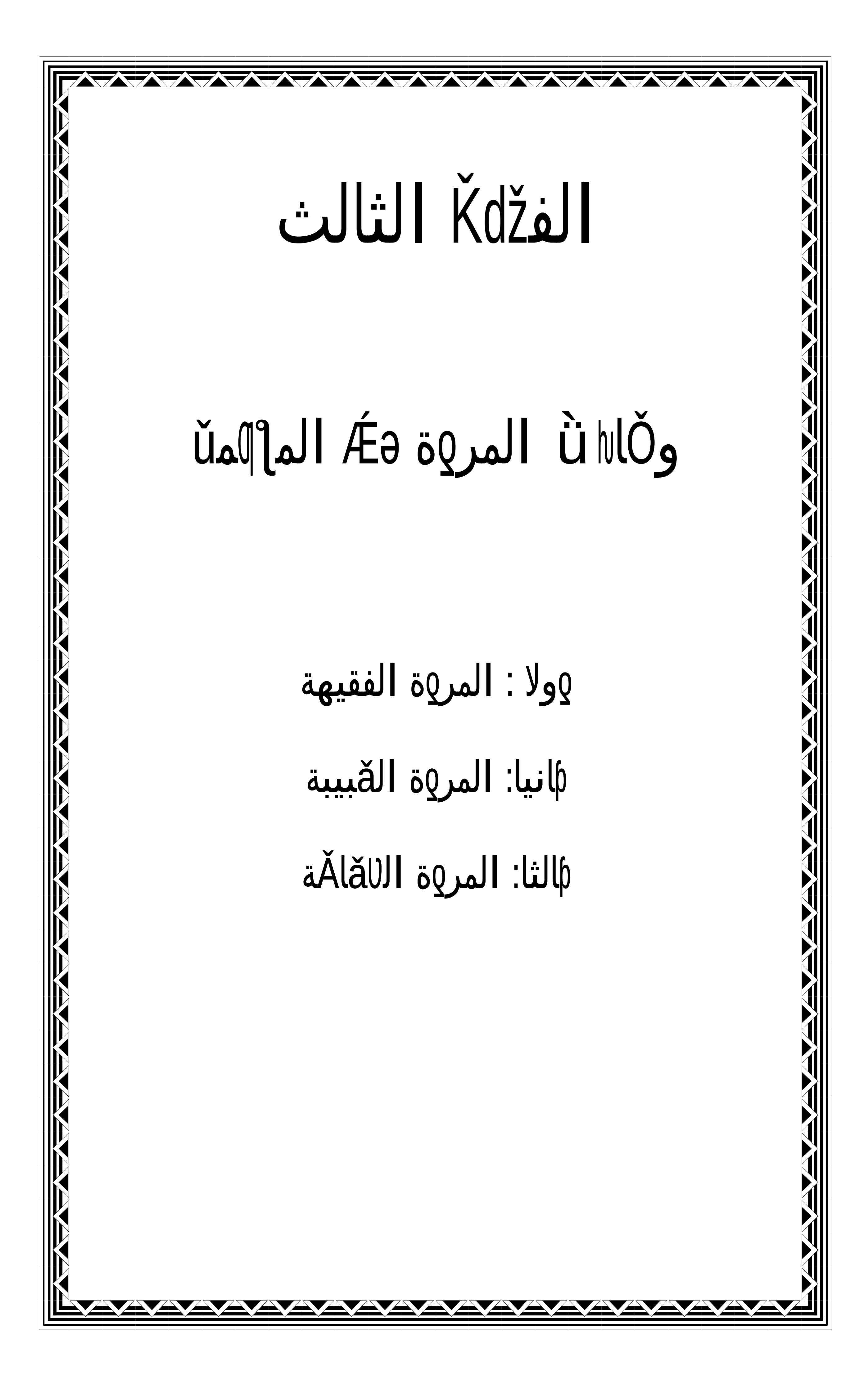
رغم أننا لم نتعرض إلا لهاتين العالمتين،إلا أن هذا لا ينفي وجود أخريات في الساحة الثقافية،ربما هذا البحث سوف يفتح مجال أمام الباحثين الآخرين مما يشجعهم على مواصلة التنقيب لمعرفة أسماء أخرى من المؤرخات والعالمات في العلوم النقلية المختلفة .

ونحن على يقين من أن هناك كثيرات من السيدات الفاضلات اللواتي كن يشاركن في غير ما ذكر من ضروب المعارف،ولكن أخبارهن لم تحفظ بسبب الإهمال الذي مني به تاريخنا الثقافي والعلمي سواء بالنسبة للرجال والنساء.

---

(١) مجهول: **الحلل الموشية** ، ص ٦٧.

(٢) لم نعثر عليها في المصادر، وجاء ذكرها عند الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب عبد الوهاب:**شهير النساء التونسيات**، ص٨٢.



الفǨďž الثالث

وǑlƕ ὺ المرƺة Ǽə المƪƫƩǓ

ƺولا : المرƺة الفقيهة

ƥانيا: المرƺة الǆبيبة

ƥالثا: المرƺة الƨǎlǍة

- تمهيد:

ساهمت عدة عوامل في ظهور العالمات كفئة اجتماعية متميزة ،وقد سبقت الإشارة إليها حين تم التطرق إلى دور الملوك في خلق هذا التمايز الاجتماعي بين العالمات والشاعرات وبقية الشرائح الأخرى بالنظر إلى حاجتهم بهن كموظفات في القصور،لذلك عمدت الدول الموحدية والحفصية والزيانية والمرينية إلى إستقطاب أشهرهن إلى أهم الحواضر مثل:تونس،تلمسان،غرناطة وفاس،وقد اشتغلن في مناصب عديدة نذكر من بينها خطط الكتابة،والتعليم والطب ....

أولا - المرأة الفقيهة:

اهتم الإسلام بالمرأة اهتمامه بالرجل لأنها شقيقته،ومن الأحاديث ماروته عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنما النساء شقائق الرجال" [١]، فأعلى من شأنها ، وصان كرامتها، وحفظ عرضها، وحثها على التمسك بالأحكام الإسلامية والتخلق بمكارم الأخلاق، وتجنب الرذيلة وأماكنها،وزجر العابثين بكرامتها[٢].

وجاء الإسلام بكل ما تحتاج إليه في شؤون حياتها من عبادات كطهارتها وصلاتها وصومها،ومن الشؤون الأسرة كالنكاح والمعاشرة والطلاق ونحوها،ومن الأخلاق والآداب،وغير ذلك من الأحكام،وقد تناول الفقهاء هذه الأحكام بالبحث والبيان[٣]،وهناك جانب آخر لقضية المرأة وهو ما يناط بها من مسؤوليات في الحياة العامة،أي قضية ولاية المرأة،هل تكون لها ولاية في شيء من الأمور[٤] ؟ أم الولاية مقصورة على الرجال فقط ؟ كولاية القضاء أو الإفتاء ؟ .

لا شك أن قضية تولي المرأة القضاء والإفتاء عند المسلمين أثارت خلافًا حادًا بين جمهور الفقهاء في تولي المرأة القضاء والإفتاء،فذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل إلى أنه لا يجوز تولّي المرأة القضاء وذلك لنقص النساء عن رتب الولايات[٥]،وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى جواز قضاء المرأة فيما تصح فيه شهادتها،فيصبح قضاؤها عندهم في كل شيء ما عدا

----

(١) الألباني:**صحيح الجامع الصغيرو زيادته (الفتح الكبير)** ،المكتب الإسلامي ،ط١،١٩٦٩م.ج١ ،ص٤٦١،حديث ٢٣٣٣.

(٢) محمد عزة دروزه :**المرأة في القرآن والسنة** ، دار الجيل ،دمشق ،ط ١٩٨٥،٢ م،ص٣٢ .

(٣)ينظر أصحاب كتب النوازل أ مثال :الونشريسي والبرزلي وابن الحاج وابن عرفة والمازوني.

(٤) محمد عزة دروزه : م س، ص٥١.

(٥) ابن ماجة :**سنن ابن ماجة** ،تح،محمد مصطفى الأعظمي ،ط١، ١٩٨٣م ،المملكة السعودية ،ج٢،ص ٣٣.

الحدود والقصاص [١]، وذهب ابن جرير الطبري إلى جواز المرأة في كل شيء لا فرق بينها وبين الرجل في ذلك، قياسا على جواز إفتائها في كل شيء، مثلما جوز أن تكون المرأة مفتية فيجوز أن تكون قاضية،لأن كلا من القضاء والإفتاء إخبار لا إلزام فيه[٢]،وناقش الفقهاء هذا القياس بأنه قياس مع الفارق إذ القضاء فارق الإفتاء ولا جامع بينهما، لأن القضاء إخبار عن حكم شرعي مع إلزام، والإفتاء إخبار لا إلزام فيه[٣].

إن المذهب العقائدي الذي أراد فرضه مؤسس الدولة الموحدية علىسكان المغرب الاسلامي قد اندثر بانحلال هذه الدولة وسقوطها ،فاستعاد فقهاء المالكية الذين كان ابن تومرت قد أثر مفهومهم للدين على مكانتهم ،ويبدو أن الأثر الوحيد الذي خلفته الدعوة الموحدية هو رسوخ المذهب الأشعري في نفوس الناس من العامة والخاصة واسترجاع الحديث وعلم الأصول مكانتهما بعدما ابتعد الفقهاء المالكية في العصر المرابطي،وامتازت الحياة الدينية في العصر الذي تلا الزوبعة العقائدية التي أحدثها المهدي بن تومرت وخلفاؤه من بعده،بانتصار مذهب أهل السنة في العقائد[٤]،وهكذا من الراجح أن تسمية بعض العالمات بالمجتهدة والأصولية والمحدثة ،ومنهن الفقيهة "أم العبدوسية[٥] "في العهد المريني كانت من آثار الموحدين ،فقد برزت بعض النساء في علوم الفقه،وكانت لهن دراية في المسائل الفقهية،لاسيما اللواتي ينتمين إلى الأسر العلمية،التي حرصت على تلقين بناتها علوم الدين،من حفظ للقرآن والأحاديث،والأمثلة على ذلك عديدة، نستهلها بالعصر الموحدي ،فقد فسح ابن تومرت للمرأة المجال لتعليم دينها، نذكر من هؤلاء الفقيهات :

ـ **المستشارة في الفقه:** زوجة قاضي مدينة وادي لوشة بالأندلس،اشتهرت بمعرفة الأحكام الفقهية، وبلغت من ثقافتها أنها" فاقت العلماء في معرفة الأحكام والنوازل،فكانت تنزل

---

(١) الماوردي: **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٦٥.

(٢) المارودي: **أدب القاضي**، تح، محي هلال السرحان، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩١هـ، ج١، ص٦٢٦.

(٣) شوكت محمد عليان: **السلطة القضائية في الإسلام**، دار الرشيد، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ، ص١١٩.

(٤) نفسه ، ص ص ١١٩، ١٢٤.

(٥) كان بيت العبادسة من البيوت الكبيرة الشهرة في العلم بمكناس استمر العلم في دورهم دهرا طويلا من المائة السابعة إلى المائة التاسعة، نهل منه رجالهم، و نساؤهم على السواء، ينظر، ابن زيدان: **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**،١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٣، ص٥٨٥.

بزوجها النوازل في مجلس قضائه،فكان زوجها يستشيرها في المسائل المستعصية من قضايا الناس فتشير عليه بما يحكم[1]، مما دفع بعض أصحابه إلى الكتابة إليها مداعبا بقوله:

بلوشة قاضي له زوجة أحكامها في الورى قاضية

يا ليته لم يكن قاضيا وليتها كانت القاضية

ويطلع القاضي زوجته على ما جاءه فترد على صاحبه بقولها :

هو شيخ سوء مزدرى له شيوب عاصية

كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية

وتحكى القصة عن ابن الخطيب أنه هوالذي كتب يداعب القاضي فكتبت إليه زوجة القاضي:

إن الإمام ابن الخطيب له شيوب عاصية

كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية[2]

ـ **فاطمة العبدوسية** :بنت محمد العبدوسي،أخت الإمام الحافظ عبد الله العبدوسي خطيب جامع القرويين (ت٨٤٨هـ/ ١٤٣٧م) من أكبر العالمات في شؤون الفقه والقضاء[3].

ـ **الفقيهة أم هاني العبدوسية** :بنت محمد العبدوسي،وأخت فاطمة العبدوسية، الفقيهة الصالحة[4]،قال عنها الشيخ زروق في كناشته أنها كانت:"فقيهة ذات علم وصلاح، وطعنت في السن إلى أن قربت المائة وتوفيت سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م)"،وزاد ابن غازي" وهي آخر علمائهم "[5].

ـ **الفقيهة أم البنين** : جدة الشيخ زروق، السيدة الجليلة، الفقيهة، كانت من النساء اللائي كن يحضرن درس الشيخ العبدوسي[6].

---

(١) المقري: **نفح الطيب**، ج٤، ص ٢٩٤.

(٢) نفسه ، ج٤، ص ٢٩٤.

(٣) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة،ج٣،ص٢٤١.

(٤)نفسه،ج٣،ص٢٥٤.

(٥) نفسه،ج٣،ص٢٥٥.

(٦) نفسه،ج٣،ص٢٥٥.

نستخلص مما سبق أن النصف الثاني من القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي تميز ببروز كوكبة من ذوات الأفكار النيرة كان دأبهن إيقاظ مجتمعهن من سباته والسعي من أجل إصلاح الحياة الاجتماعية والدينية،ومن بين المسائل التي كانت تثير اهتمامهن ،مسألة وضع المرأة في الشريعة والمجتمع .

إلى جانب فئة النساء الفقيهات،كان حضور المرأة الطبيبة في هذه المجتمعات أمرا نسبي ومتفاوت بحسب انتمائها إلى مجتمع المدن ومجتمع الأرياف، لأن المرأة المغربية لاتعرض نفسها لحكيم أو طبيب فكان لازما عليها أن تكشف من طرف الطبيبة أو العجوز كما جرى العمل به عند المجتمعات التقليدية الإسلامية .

ثانيا ـ المرأة الطبيبة:

ساهمت المرأة في الخدمة الاجتماعية،وكانت على رأس هذه الخدمات ،الطب والتمريض والتوليد ،وشرع لله هذا العمل للإنسان من ذكر وأنثى،كل بحسب قدرته" لا يكلف لله نفسا إلا وسعها "[(١)]، وكان في المشرق يطلق اسم الآسيات والأواسي على النساء العربيات اللائي يعملن في تضميد الجراح وجبر العظام والوقاية من النزيف،وغيرها من أعمال الإسعاف،وقد سُمِّين بها الاسم لأنهن عالجن جراح الجريح ويواسينه "[(٢)] .

كما نبغت النساء المغربيات في صناعة التوليد التي يتمثل عملها حسب ابن خلدون:" في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه من الرفق في إخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك" [(٣)] ، وقد عرفن باسم القابلات،يبدو أنهن اشتهرن بذلك ،لكن المصادر المغربية لم تذكرها على غرار ما فعلت مع الفقيهات والشاعرات،ويبقى " ابن أبي أصيبعة "المصدر الوحيد طيلة القرن ٦هـ/١٢م، الذي ذكر طبيبتان في البلاط الموحدي ، اختصتا في طب النساء ،وهما تنتسبان لأسرة ابن زهر[(٤)]

---

(١)الآية ٢٨٦ من **سورة البقرة** .

(٢) عصام محمد الشريف: **مواقف نسائية خالدة**، دار الإيمان، بدون ط، سنة ٢٠٠٠، الإسكندرية، ص٨٩.

(٣) ابن خلدون: **المقدمة** ، ص٤١٢.

(٤) تردد على مدى ثلاثة قرون اسم "بني زهر" الذين توارثوا العلوم الطبية كابرًا عن كابر، سواء في العدوة الأندلسية أو المغربية اللتين كانتا معا تابعتين للمرابطين والموحدين "، التازي عبد الهادي: **ابن زهر الحفيد**، الدرس الافتتاحي للسنة الأكاديمية ١٩٩٧-١٩٩٨، جامعة ابن زهر بأكادير، ص٤.

الشهيرة في الطب بالأندلس،وعنهما يقول ابن أبي أصيبعة[١]:"وكانت (..) أخته وابنتها ،كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولها خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء،وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور،ولا يقبل المنصور وأهله ولدا إلاّ أخت الحفيد أو بنتها لما توفيت أمها [٢]".

ـ **أم عمر:** لا نعلم اسمها وتكنى" بأم عمر" ابنة الفقيه والطبيب عبد الملك المكنى بأبي مروان، المشهور عند الغربيين باسم (Avenzoar) ،وأخت الطبيب أبو بكر محمد الملقب بالحفيد (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م)[٣].كانت متقدمة في الطب ماهرة في التدبير و العلاج،حظيت بذلك عند أمراء الموحدين فكانت تزور قصورهم وتنظر في علاج مرضى نسائهم وأطفالهم ،وقد تستفتي في الطب لرجالهم فتزيد بذلك مكانتها التي يقتضيها مجدها المؤثل وشرفها المؤصل[٤]، كيف لا ! وهي التي ترعرعت بين صفحات كتب أبيها ومن تآليفه:" كتاب الأغذية،وكتاب الاقتصاد في صلاح الأنفس والأجساد وتفضيل العسل على السكر وكتاب "التسيير في المداواة والتدبير"[٥]،نشأت "أم عمر "بين أحضان الأسرة التي كانت تحضى النازلة الطبية في البيت بحضور الجد والأب والابن،ولكن نتأسف لعدم معرفتنا بها أكثر من كونها طبيبة البلاط الموحدي أمّا حياتها الخاصة ما تزال غامضة،ويبدو أنها كانت متزوجة ولها ابن يدعى عمرو بنت شربت ،ولا نعلم تاريخ وفاتها ؟[٦].

ـ **فاطمة:** حفيدة ابن زهر،طبيبة ،كانت لها خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء، وكانت قد أخذت الصنعة على أمها وخالها ابن الحفيد،وكانت تدخل مع أمها إلى نساء المنصور

----

(١) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، طبعة بيروت، بدون تاريخ،ص،ص، ٥١٧، ٥٢١.

(٢) هكذا كان حال الطبيبة أم عمرو بنت زهر وابنتها فاطمة اللتان كان شأن جدهما أبو العلا الذي كان يجد فيه المتعة الزائدة، ينظر، ابن أبي أصيبعة:م،س، ص١٦٢، تعليق٥٢.

(٣) ابن أبي أصيبعة : م س ، ص ٥٢٢.

(٤) نفسه ، ص ٥٢٢.

(٥) يعتبر كتاب **" التسيير في المداواة و التدبير "** الذي ألفه والد الطبيبة أم عمرو من أهم الكتب و الذي أزعم أنه لم يبخل على ابنته من المطالعة عليه، والكتاب نشرته أكاديمية المملكة المغربية بتحقيق محمد بن عبد الله الروداني مع تكلمته المسماة بالجامع، رقم الإيداع القانوني ١٩٩١/٤٠،ينظر ،سلمان قطاية: **محفوظات الطب و الصيدلة في المكتبات العامة بحلب**، ط ١ ، ١٩٩٦، ينظر أيضًا، Abdalmalik Farag : **Relations médicales Hispano-Maghrébines au XII siècles**. Les ditions Véga, Paris, 1935.

(٦) ابن أبي أصيبعة: م س، ص٥١٧

الموحدي ثم خلفت مكانها بعد وفاتها سنة(ت٥٩٦هـ/١١٩٩م)[١]،وقد حظيت الطبيبة بعناية خالها لها حيث كانت تلازمه في المنزل والبلاط،ولا شك أنها أخذت منه الشيء الكثير،وقرأت كتبه القيّمة واتبعت توجيهاته[٢]، وأجمل ما قاله ابن الحفيد:"إن كل الناس يعرفون الدواء، ولكن يجهلون الطريقة التي يتناول بها الدواء بالنسبة للأعمار والزمان والمكان [٣]"، وممّا لا شك فيه أن هذه الطبيبة قد عملت بهذه الوصفة وطبقته.

كان وفاة فاطمة صباح الخميس ٢٩ من ذي الحجة ٥٩٦هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١١٩٩م عندما أقدم وزير المنصور أبو زيد عبد الرحمان بن يوجان Youjanالذي أعماه الحسد والحقد على قتلها مع خالها الطبيب الحفيد ابن زهر فقد أخبرنا ابن أصيبعة بأن:" بن يوجان كان يعادي الحفيد ويحسده لما يرى من عظم حاله،وعلو منزلته وعلمه "،وهكذا دس إليه السم في بيض كان معدًا لإفطاره مع ابنة أخته ،فكانت الجريمة المنكرة،حزن سكان مراكش لموت الطبيبة الشابة مع خالها ابن زهر الحفيد"[٤] ،وأخبرنا الأستاذ التازي[٥]:" بأن الطبيب ابن زهر الحفيد دفن في روضة الأمراء،في حين لم يذكر أين دفنت الطبيبة ابنة أخته"،بل تعجب لعدم معرفة قبرها الآن"،وأضاف يقول: "كنت أتصور أني سأقف على الأبيات الشعرية التي أوصى الحفيد أن تنقش على شاهد قبره والتي يقول فيها على ما يرويه ابن خلكان"[٦]:

تأمل بحقك يا واقفًا و لاحظ مكانًا دفعنا إليه
تراب الضريح على وجنتي كأني لم أمش يوما عليه
أداوي الأنام حذار المنون وها أنا قد صرت رهنا لديه

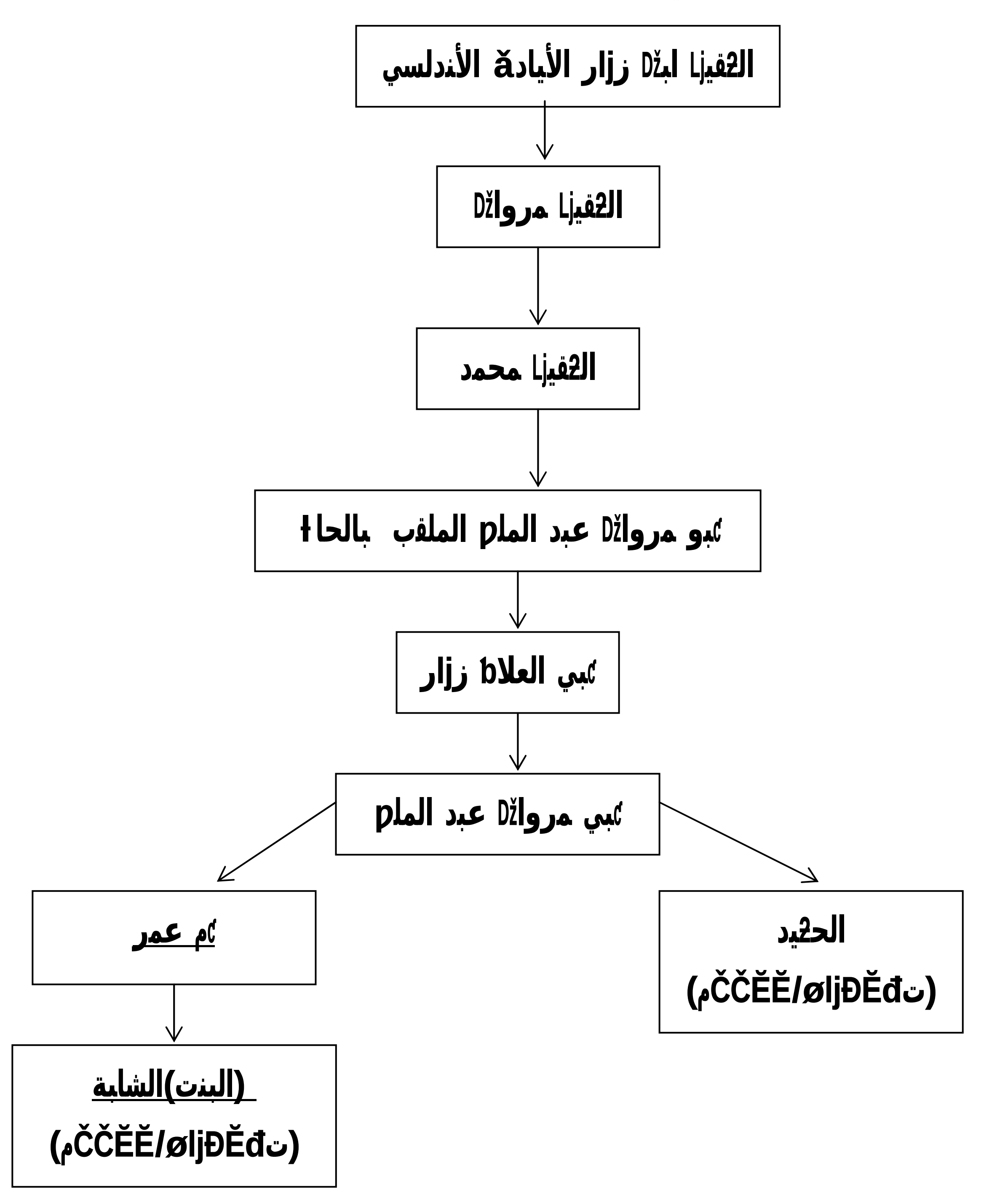
مهما يكن فقد كانت الطبيبة ابنة أخت ابن زهر الحفيد عظيمة في حياتها وهي المكلفة لعلاج وتوليد الأميرات وسيدات قصر الموحدين،وكانت عظيمة كذلك في مماتها،وصدقت أمنا أسماء بنت أبي بكر الصديق "رضي الله عنها" حين قالت:

إنما أحزن عليك لو قتلت في باطل [٧]

---

(١) ابن أبي أصيبعة : م س ، ص ٥١٨.
(٢) محمد منير سعد الدين: **العلماء عند المسلمين**، دار المناهل، القاهرة، بدون تاريخ.
(٣) ابن أبي أصيبعة: ص٥٢٢، التازي: **ابن زهر الحفيد**، ص٣٧
(٤) ابن أبي أصيبعة: ن، م، ص٥٢٢.
(٥) التازي: **ابن زهر الحفيد**، ص٣٧.
(٦)ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل و التكلمة**، ج٢، ص٤٨٣. التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، ١٩٨٦، الرباط ج١، ص١٩٩.
(٧) التازي: م س ، ص٣٨

يبدو أن الطبيبتين "ابنتا زهر" كانت لهما رئاسة الطب النساء داخل القصر الملكي،من خلال زيارتهما لنساء الخليفة بنظام ،وهذا يشير إلى ارتقاء شأن الطب والطبيبات في هذا العصر وما صاحبه من كثرة المؤلفات الطبية.



جدول رقم ١٥: * شجرة أفراد ابن زهر الأطباء حسب ابن أبي أصيبعة،ينظر "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، ص ص٥١٧، ٥١٨.

من عمل الطالبة .

ـ عائشة بنت الجيار :هي الطبيبة البارعة والصيدلية الحكيمة والمشهورة في الدولة الحفصية بعائشة بنت الشيخ الجيار الكاتب الوجيه أبي عبد الله بن الجيار المحتسب بسبتة، قرأت الطبيبة عائشة الطب على صهرها

الشيخ الشهير أبي عبد الله الشريسي ونبغت فيه، قال صاحب "بلغة الأمنية":
الله عليها كانت امرأة عاقلة الهمة، نزيهة النفس،معروفة القدر لمكان بيتها،لها تقدم بالطبع وجزالة في الكلام عارفة بالطب والعقاقير وما يرجع إلى ذلك، بصيرة بالماء وعلامته،وتأثَّل لها بطريقتها حيث شيده الأمراء فطالما كانوا يجيزونها بالهدايا والتحف وغيرها لأجل ما خبروه من حرفتها،وكانت لها رباع تشغلها"[١]،ولم تزل سيدة محفوظة المنصب إلى أن توفيت وقد بلغت من السن سبعين سنة ،وقد عهدت بتوقيف رباعها في سبيل البر ووجوه الخير[٢].

- **سارة الحلبية :** طبيبة ماهرة، وظفت في البلاط الحفصية،ولم يرد من أخبارها واحترافها للطب أكثر من أنها جمعت بين الطب والأدب[٣] .

- **صبح:** جارية نصرانية الفيلسوف الطبيب التازي أحمد بن شعيب الجزنائي[٤]،كانت بارعة الجمال طيبة الخلق ،إشتراها الجزنائي فأحبها وأعتقها ثم تزوجها بعد أن أسلمت وحسن إسلامها،سماها"صبح" فأنجبت له بنتا سماها كلثوم،فكنيت بـ"أم كلثوم " لقنها زوجها اللغة العربية فأحسنت نطقا وكتابة حتى بدأت تقرض الشعر وتتكلم بالفصاحة ويبدو أنها أخذت عليه علم الطب ،لكن سعادته بها لم تدم طويلا، فقد توفيت "صبح" في منتصف القرن الثامن الهجري /١٤م،عندما كانت بصحبة زوجها بعد أن طرأ على فاس في مهامه الحكومية ، وتركت صدى طيبا بمدينة تازة، وأبى سكان المدينة إلا أن يخلدوا إسمها على الحي الذي كانت تسكن فيه مع زوجها الطبيب ،ولازالوا أهل الحي إلى اليوم يسمونه بـ "درب أم كلثوم " نسبة لها،والحي يوجد إلى كانت لوعة فراقها شديدة عليه، اليوم بين ساحة المشور

(١) مؤلف مجهول: **بلغة الأمنية** ، المطبعة الملكية ١٤٠٤ ،١٩٨٤، ص٩٥ .

(٢) ابن الخطيب: **الإحاطة بأخبار غرناطة**، ج١، ص٤٣٠، محمد العربي الخطاب: **الطب و الأطباء في الأندلس الإسلامية**، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٨، بيروت، ص٧٩.

(٣) (ح،ح)عبد الوهاب : **شهيرات تونسيات**، ص١١٤.

(٤) هو رئيس الأطباء بها ونقيب الكيمائيين ومتقدم الكتاب والشعراء ،كان منزله ومختبره بتازة، وقد عينه السلطان أبو سعيد عثمان المريني طبيبا له ،و كاتب سره وسفيره ،وتعهده السلطان أبي الحسن علي كذلك ،وصحبه ضمن وفد العلماء إلى تونس حيث قضى ابن شعيب هناك نحْبه بوباء الطاعون سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٩م) ،الزركلي :م س ،ج٦، ص٢٥٤.

المرينية ودرب زقاق الحاج ميمون بمدينة فاس،وقد زاد في بلواه وجدانه الذي طاوعه في نظم مرثيات شعرية مؤثرة رائعة،مطلعها:

يا غائـــب في الضمير ما برحــا   داني محل الهوى وإن نزحا[١]

ـ أم الحسن بنت الطنجالي: سيدة فاضلة ،بنت القاضي أبي جعفر أحمد الطنجالي،من أهل لوشة بالأندلس،ومن بيت حسب وصلاح وعلم ،كانت طبيبة ممارسة لمهنتها،درست الطب على يد أبيها،ونهضت بتعليمه،وكانت تُجيد قراءة القرآن وتنظيم الشعر[٢]ترجم لها ابن الخطيب في كتابه " تاج المحلى " فقال عنها:" ثالثة حمدونة وولادة وفاضلة،جمعت الأدب والمجاملة، وتقلدت المحاسن قبل القلادة، وأولدت أبكار الأفكار قبل سن الولادة ! نشأت في بيت أبيها،لا يدخر عنها تدريبا ولا تنبيها،حتى نبض إدراكها،وظهر في المعارف حراكها،ودرسها الطب ففهمت أغراضه وعلمت أسبابه وأعراضه ،ولما قدم أبوها من المغرب وتكلم يخبرها المُغرب،توجه بعض الصدور إلى اختبارها ومطالعة أخبارها،فاستتبل أغراضها، واستحسنها،واستطرف لسَنها، وسألها عن الخط وهو أكسد بضاعة جلبت، وتأشح درة حلبت،فأنشدته من نظمها شعرا في الموضوع[٣].

نحن على يقين أنّ هناك كثيرات من النساء الفاضلات اللائي كن يشاركن في الطب والصيدلة،والعامل الأساسي الذي بعث بهن لدراسة ذلك هو الحظوة الكبيرة التي نالت الطبيبات عند الناس عامة،والمنزلة الرفيعة التي حصلت لهن عند الطبقة الحاكمة ،فقد أصبحت الطبيبات تنافس الأطباء في البلاط ،كما وجدت اهتمام الأميرات بهن وقد أغرقهن بالنعم الكثيرة والهدايا،حتى أصبحت الطبيبات أصحاب ثروة طائلة وعقارات.

وإذا اكتفت المصادر بذكر الأمثلة القليلة للنساء الطبيبات فهذا لا يعني أنه لم تكن هناك غيرهن،خصوصا العجائز اللواتي مارسن الطب التقليدي،ويظهر هذا من خلال تحذير ابن عبدون من اللجوء إليهن فيقول:"يجب أن لا يترك أحد يتسوّر في شيء لا يحسنه، لاسيما صناعة الطب الذي فيه إتلاف المهج، وخطأ الطبيب التراب يستره،ويوقف كل أحد على صناعة لا يتسور فيها

---

(١) الزركلي: م س ، ج٦، ص ٢٥٤.
(٢) نفســه ، ج٦، ص ٢٥٤.
(٣) ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة** ، ج٢، ص ١٢٢.

إلا بعلم لاسيما النساء فالجهل و الخطأ فيهن أكثر [١].لكن للضرورة أحكام فقد كانت النساء
تلجأن أيضا إلى الوليات والأولياء الصالحين لمعالجة أنفسهن ،ولقد أنكر أبي مدين المتصوف التلمساني ورفض فحص المتصوفون نساء العليلات وفي هذا يذكر: "وقالت لي جماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزى: ثبت عندنا ولاية أبي يعزى ولكن نشاهده يلمس بيده صدور النساء وبطونهن ويتفل عليهن فيبرأن،ونحن نرى أن لمسهن حرام فإن نحن تكلمنا في هذا هلكنا،وإن سكتنا تحيرنا »[٢].ويبدو أنه السبب الذي جعل ظهور المتصوفات؟.

ويذكر صاحب المعيار أن العجائز تحكمت في الطب التقليدي بواسطة الوسائل الخاصة في تحديد النسل وتكاثره وقد أجاز لها الشرع الإسلامي ذلك في " أن تجعل المرأة وقاية في رحمها تبطل الإنجاب عند الضرورة"[٣]، وأضاف:"أن التجار كانوا يسقون الخدم عن إمساك الظمت بالأدوية التي ترخيه فيبطل الحمل"[٤]، كما وجدت بمدن المغرب والأندلس عارفات من النساء بهذه الأمور كن بمنزلة طبيبات بالتجربة والممارسة،وكن كذلك يداوين العاقرات فينجبن ويلدن بفضل الله تعالى ..

برهنت المرأة في المغرب الإسلامي على نجاحها في الطب،ولم تكتف به،بل راحت تخط بأناميلها الرقيقة وأحاسيس مشاعرها وتسجل تجربتها في تخصص جديد ،المتمثل في الخطاطة.

ثالثا ـ المرأة الخطاطة :

انتشر فن الخطاطة في عصر الموحدين بصورة كبيرة، وعرف عند البعض بالوراقة[٥]، حيث شاركت النساء في هذا الفن ونبغت فيه بعض ورقات مصحفيات وورقات للكتب العلمية،

---

(١) ابن عبدون: **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب،** نشر ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،١٩٥٥، ص٤٦.

(٢) برنشفيك،روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،** ج٢، ص١٧٩.

(٣)الونشريسي :م س ،ج٣ ،ص٢٥٤.

(٤) نفسه ،ج٣،ص٢٦٤.

(٥) الوراقة عند السمعاني:" اسم من يكتب المصاحف و كتب الحديث و غيرها، و قد يقال لمن يبيع الورق، بالوراق أيضا"، **الأنساب**، نشر مرجليوس، تطوير ليدن، مطبعة بريل، ١٩١٢، ص٥٧٩، و يعرفها ابن خلدون " بأن صناعة الوراقة هي العناية بالدواوين العلمية و السّجلات في نسخها و تجليدها و تصحيحها بالرواية و الضبط "، **مقدمة ابن خلدون**، دار القلم، بيروت، ط٧، ١٩٨٩م، ص٤٢١.

وتخصصت بعضهن في نسخ مادة بعينها[1]،في حين سكتت المصادر لاحقا في الدول الثلاث على ذكر أسماء الخطاطات**!**، مع بعض إشارات خفيفة بالنسبة لخطاطات في الدولة الحفصية،ربما يعود سبب ذلك للأوضاع السياسية المتصارعة والحروب المستمرة بين الجيران،مما أثر بالخصوص على الإنتاج العلمي والأدبي النسوي، فلا عجب إذا كان حضورها متواضعا في الوثائق التاريخية الإسلامية واقتصر على عدد من النصوص ومن الآثار؛حتى هذا الحضور النادر فإنه في غالب الأحيان حضور سيدات أسعدهن الحظ ، ولهن مصير يختلف عن مصير سائر النساء (بسبب علاقات عائلية مع رجال السلطة مثلا).

فقد وردت إشادة للخطاطات الأندلسيات اللائي مارسن مهنة الخطاطة في عصر الموحدي نذكر منهن على سبيل المثال لا الحصر:

ـ سعيدة : بنت محمد بن قّيرَ الأموي التُّطيلي، أندلسية الأصل سكنت مدينة مراكش، كانت من بيت خير و صيانة، وأخبرنا أن صاحبه الفقيه أبو العباس قال: "جاورتاني فتعرفت منهما خيرا وفضلاً وذكاءًا ونبلاً "[2] ،كانت سعيدة تنسخ الكتب نافذة فيما تكتبه أو تخاطبه، وكانت متزوجة[3].

ـ أخت سعيدة : بنت محمد بن قّير الأموي التُّطيلي، مجهولة الاسم وقد سكنت مع أختها سعيدة بمراكش واشتغلت كذلك بنساخة الكتب[4]

ـ ورقاء : بنت بنتان، طُليطلية الأصل، خطاطة بارعة سكنت مدينة فاس، لقبت بالحاجة لأدائها فريضة الحج، وتوفيت بفاس بعد عام (٥٤٠هـ/١١٤٥-١١٤٦م)[5].

ـ عزيزة القرطبية : بنت القاضي أبي محمد بن حيان، خطاطة ماهرة، أخبرنا ابن الأبار فقال :"وجدت خطها بمطالعة بعض ما ورواه ابن بشكوال مطالعة تفهم وتدبر في شوال (٥٥١هـ/١١٥٦م)[6].

----

(١) المنوني: **تاريخ الوراقة المغربية**،صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى اللفترة المعاصرة، ط ١٩٩١، ص٤٥.

(٢) ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل و التكلمة** ، ص٤٩٤، رقم١٤٨

(٣) ابن القاضي**: جذوة الاقتباس**، ص٣٣٥. ينظر أيضا، عبد العزيز بن عبد الله:**المرأة المراكشية في الحقل الفكري**، ص١٤.

(٤) ابن عبد الملك المراكشي : م س ، ق٢، ص٤٨٨.

(٥) نفسه، ق٢، ص٤٩٤.

(٦) ابن الأبار: م س ، ج٣، ص ١٢٦.

- **فاطمة المرسية :** بنت المحدث أبو علي الصدفي[١]،تركها أبوها حين خرج غازيا إلى كتنده للغزاة التي استشهد بها، وكانت فاطمة قد قاربت الفطام و أوصى أن لا يجمع عليها فقده وفطامها، فنشأت صالحة، زاهدة تحفظ القرآن،وكانت حسنة الخط ملتزمة بمطالعة الكتب، توفيت بعد سنة(٥٩٠هـ/١١٩٣م) وكان عمرها ثمانين سنة [٢].

وثمة من يرى أن بعض الخطاطات كانت تضيف إلى النساخة المعرفة بالتفسير أو التزويق في الكتب "[٣]،يبدو أنهن وافقن في ذلك لأنهن صبورات في جلوسهن وتحبن الأعمال الفنية الجميلة وأكثر من الرجال بحكم طبيعتهن الأنثوية .

أما في تونس الحفصية فقد عملت في البلاط بعض النساء أعمال الكتابة الرسمية،

ومن أبرز الخطاطات :

- **أم العلاء العبدرية:** بنت عبد الغني العبدري[٤]،الكاتبة،كان خطها مستحسنا في الغاية، كانت بارعة في الخط و نسخت بخطها مرارا " إحياء علوم الدين " للغزالي إلى غير ذلك من العلوم الأدبية والدينية، نسخت بخطها مرارا "إحياء علوم الدين للغزالي "، إلى غير ذلك من مؤلفات الآداب والتربية الشرعية ،وقد أدركها أجلها بتونس يوم خامس محرم سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)[٥].

- **عائشة البجائية :** بنت عمارة الشريف الحسني، كاتبة، لها خط حسن، كتبت بخطها كتاب " يتيمة الدهر " للثعالبي و هو في ثمانية عشر جزءًا[٦].

أما في تلمسان الزيانية مارست بعض النساء أعمال النسخ،وأشار الأستاذ فيلالي إلى"ازدهار فن نسخ المصاحف وأمهات الكتب الدينية والعلمية والأدبية في البلاط الزياني،[٧].

---

(١) هو المحدث الكبير أبي حسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفي ابن سكرة، ابن الأبار: التكلمة ، ص ٣٢٤، رقم ٢١٢١.
(٢) ابن الأبار: ن م ، ص ٣٢٤ ، رقم ٢١٢١. ابن عبد الملك المراكشي: م س، ص٤٨٩.
(٣) ابن الأبار: م س ، ق٢، ص٧٤٨.
(٤) نفسه ، ص ٧٤٨.
(٥) نفسه، ص٧٤٨.
(٦) الحفناوي: م س ، ج٢، ص١١٧ .
(٧) عبد العزيز فيلالي: م س، ج٢، ص ١٢٥ .

وأشهر الخطاطات :

- **عائشة:** بنت القاضي أحمد بن الحسن المديوني،كانت شغوفة بالمطالعة،وألفت كتاب "المجموع في الأدعية "[١].

واستمر فن الخطاطة في تقدم وتطور،ليستقر في عصر المرينيين على ثلاثة أصناف:مغربي بدوي،ومغربي حضري وأندلسي، يبدو أن الخطين الآخرين كانا لهما حظ كبير عند نساء البلاط المتعلمات والقادمات من الأندلس[٢]، نذكر بعضهن على سبيل المثال لا الحصر:

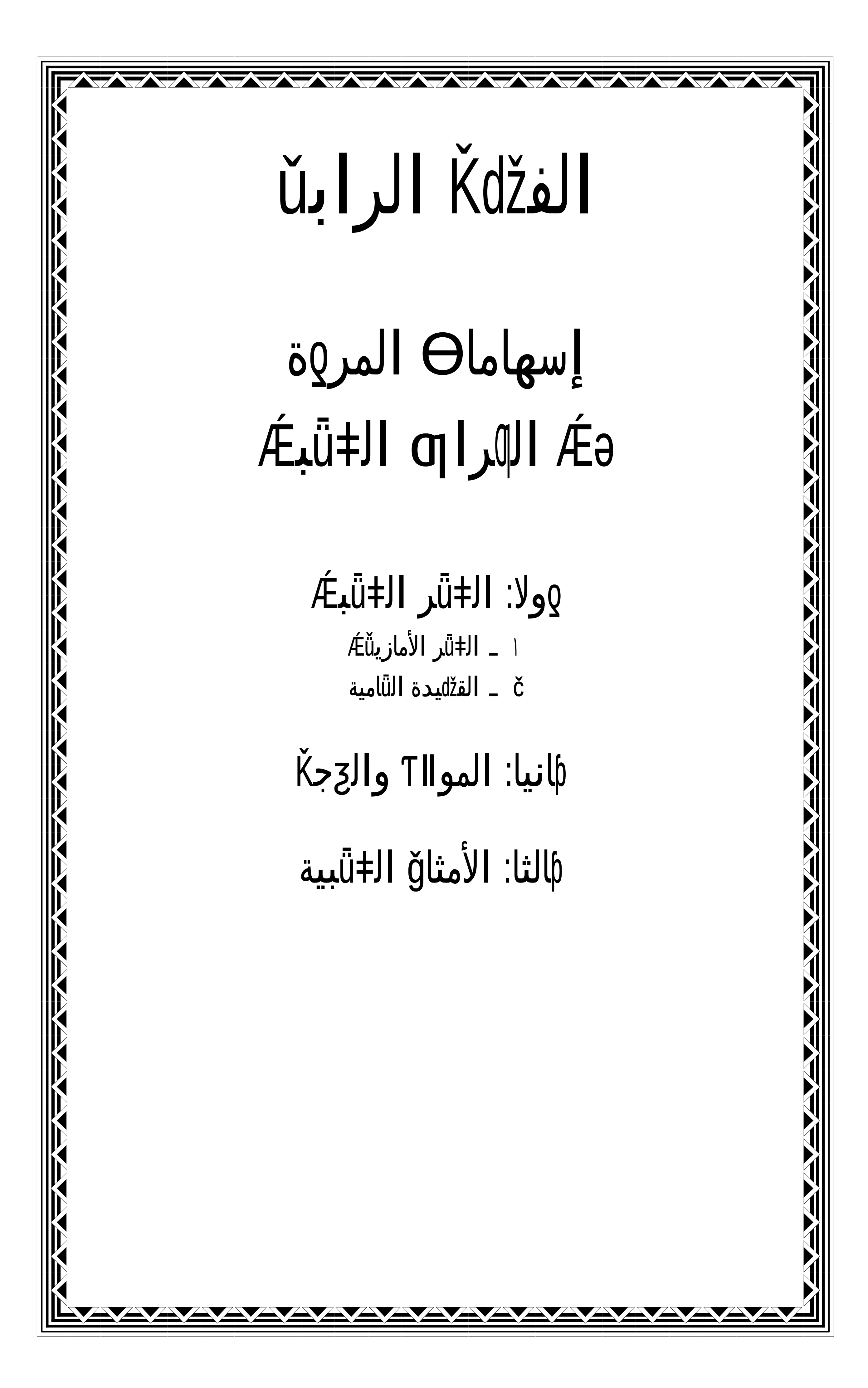
- **سارة الفاسية :**بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح، الحلبية نزيلة المغرب،عاشت في عهد السلطان أبي يوسف المريني،وقد كانت وراقة متقنة تكتب الخط المستحسن،وتحلّ الذهب بصناعة رائقة فتكتب به[٣].

- **فاطمة زويتن :**بنت محمد بن الخطيب بن الطيب البدوي زويتن الفاسي،وزوجة عبد السلام بن عبد الله بن محمد الوزاني الفاسي،قال عنها صاحب الروض المنيف في التعريف بأولاد عبد الله الشريف أنها:" نساخة قل مثلها في المعرفة والخط من النساء "وقد كتبت بخط يدها كتاب الشفا للقاضي عياض،وبدا في غاية الجودة[٤].

وغير ما ذكرنا من النساء الشهيرات في فن الخطاطة،إلا أنه من الملاحظ أن نصيب المرأة من الإبداع في هذا المجال أقل من إبداع قرينتها في الأندلس،وهي نفس الملاحظة التي استخلصناها آنفا عندما ذكرنا الأدب والشعر،ومن قال أن المرأة في المغرب الإسلامي كانت أمية،لا تعرف القراءة والكتابة فقد كذب،ونعتقد أن المجتمع المغربي لم ينصف العالمات والطبيبات والخطاطات حقهن!، بدليل أن المصادر تبقى شحيحة في ذكرهن ،واكتفت بالقليل ،رغم هذا الإجحاف فقد استطاعت بعض النساء أن تستطع في الميدان الثقافة،من زاوية أخرى من خلال إسهامها في التراث الشعبي،هذا ما نسعى لمعرفته في الفصل اللاحق .

----

(١) الحفناوي : م س ، ج٢، ١١٧.
(٢) ابن عبد الملك المراكشي: م س ، ج٣ ، ص ١٥٤.
(٣) نفســه ، ج٣، ص ١٥٦.
(٤) نفسـه، ج٣، ص ١٥٥.



الفKdž الرابŭ

إسهاماƟ المرƺة
Ǽə الϘراǫ الǂƠŲǼ

ƺولا: الǂƠر الǂƠŲǼ

ا ـ الǂƠر الأمازيŲǼ

č ـ القǆždيدة الƠامية

ƥانيا: الموƋƬ والǄجǨ

ƥالثا: الأمثاǄ الǂƠبية

تمهيد:

إن الموروث الشعبي كلمة مفهوم واسع الدلالات، من الصعب الإلمام بها، في بحث كهذا،ا لكن يصير الأمر ممكنا إذا تقصينا زاوية محددة من زواياه المتعددة، وإذا ارتكزنا على بعض المصادر المحورية لهذا التراث المرجعي الضخم المتطور باستمرار.

إن الزاوية المنشودة هنا صورة المرأة في المغرب الإسلامي خلال الميراث الشعبي من النصف الثاني من القرن السادس إلى غاية التاسع الهجري /الثاني عشر الى غاية الخامس عشر الميلاديين ، ونتساءل كيف كان المجتمع ينظر إلى هذه الفئة ؟

والإجابة على هذه الإشكالية ،كان لابد من الرجوع لشعر الشعبي المحلي سواء الشعر الأمازيغي أو شعر العامية، وكذلك ما يعرف بالزجل والموشح ، كما بحثنا في عمق الأمثال الشعبية التي قيل بلسان المرأة المغربية، وتبين لنا أن هذه الأمثال هي في الحقيقة ملخص الحياة المغربية بكل أبعادها، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية والدينية .

قد توقفنا على بعض الدلالات الاجتماعية التي تضمنتها الأمثال أو حافظت على بقائها واستمرارها وأهمها ما يتعلق بالمرأة في المجتمع وعلاقتها تتصل بالعائلة، كالعلاقة بين الزوجين وتدعيمها لمسألة الزواج ومظاهره (الزواج المبكر، دفع المهر، وجوانب أخرى تتعلق بأهمية الإنجاب..إلخ) وجمال المرأة وغيرها من أمور تخصها زوجة أو أم أو ابنة أو عشيقة .

أولا ـ الشعر الشعبي:

ونحن بصدد البحث في التراث الشعبي ، يجدر بنا إعطاء لمحة موجزة عن منظور الشعر الغنائي الأمازيغي للمرأة باعتباره سابق الشعر بالعامية أو بالعربية الفصحى ،لتتضح الصورة في مختلف مناحي بلاد المغرب الإسلامي.

١ ـ **الشعر الأمازيغي**:تعتبر الثقافة الأمازيغية مكونا من أهم مكونات حضارة بلاد المغرب

----

(١) يرى أحد الباحثين أن الموروث الشعبي الأدبي تراث إنساني يجمع بين طياته أشكالا فنية، تاريخية، رمزية ودينية، على شاكلتها الأساطير والأغاني والأمثال الشعبية وهي تتنقل من جيل إلى جيل، ومن فرد إلى فرد، ينظر :

Pevrin Michel et (Autres): **Dictionnaires des Sciences humaines**, Paris, Edition Nathan, 1990,P191.

والأندلس، فلا نتصور بحثا يخوض في حضارة الغرب الإسلامي دون أن يشير إلى هذا الواقع.

واعتمدنا في هذا الصدد ذكر نماذج من الشعر الأمازيغي والعامية لصورة غير مرتبة ترتيب تسلسلي زمني وفق العصور ، لأننا وجدنا الشعر متكرر في مناطق مختلفة في بلاد المغرب الإسلامي وقد اخترنا ما يلي:

ـ قصيدة شعرية أمازيغية من بلاد المغرب الأوسط تناولت المرأة بالوصف وذكر المحاسن وإبداء الرغبة فيها، نستشف ذلك من خلال مقتطفات القصيدة [١]:

الطالب أوايي شالحجاب اصحان	أكتب لي أيها الفقيه تميمة فعالة
أواريخ أسمون أدي عايد [٢].	فأنا أرغب في عودة المحبوب

يكشف البيتان عن رغبة المحب في عودة محبوبته ويتوجه الفقيه برجله لكتابة تميمة "حجاب" يرفع إليه الحبيبة التي صدته وابتعدت عنه

الطالب يتارون الرضا أسمون إعفايي	أيها الفقيه الذي يكتب تمائم الرضا
ماخ دي تسليلد إلى أور تسين والو [٣].	أتكذب علي ها د ملني الحبيب،اك لا تعرف شيئا

عندما يضيع أمله، وتأخذ منه المعاناة، يلعن الفقيه ويصفه بالكذب.

الطالب إناس إيان أو مدا كل شاهان ربي	قلبت علي لحبيب فملني أيها الفقيه
إذاس أبي أفوس أنا ساس يارين ألي،أعف [٤].	قطع الله اليد التي تكتب بها تمائم القبول

وينقل الشاعر صورة أخرى لعاشق ولهان، بدل أن يوفق الفقيه بينه وبين حبيبته قلبها ضده ، فتمنى له قطع اليد.

---

(١) محمد المسعودي وبوشتى زكي : " الشعر الغنائي الأمازيغي " **مجلة شراع**، عدد ٥٩، يوليو ١٩٩٩، ص ٨.
(٢) نفسه ، ص ٨.
(٣) نفسه ، ص ٨.
(٤) نفسه ، ص ٥١.

ـ الشاعر المجهول:

كانت المرأة وما زالت قريحة الشاعر وسر سعادة الرّجل أحيانًا، ومجلب همه أحيانًا أخرى، لذا جاءت هذه القصيدة الذي عبّر فيها الشاعر المجهول عن معاناته من حظه السيء عندما تزوج بامرأة لم تعرف قدره، وراح يعيبها بأقبح الصفات، ونورد بعض المقتطفات منها:

بِسْمِ اللهِ أَدْبْدُوغْ لَقْوَال	**باسم الله أبد المقول**
أُولاَنْ دُو حْدِيقْ سْلِيِّيِّ	**أيها القاضي أنصت لي**
أَيُّمَا حُنَّة	**يا أمي الحنونة**
نُكَّ يُوغَنْ أَدْ خًاخِنِي	**ياحسرتي لقد تزوجت بمدخن**
مِيدْ يَكْشَمْ ذِي ثْبُورْتْ	**حين عودته إلى البيت**
يَا وِييدّ تَشْكَارْتْ دُوسْيسْسِي	**يحمل كيس تبغ وغليون**
مِيدْ حُورًا لْقْرِى أُقْفُورْ	**ولما يتبلل بالأمطار**
أَرْ يَثْرَاح أَمْ إِزِيرْذِي	**تنبعث منه رائحة مثل الراتون[1].**
أَيُّمَا حُنَّة	**يا أمي الحنونة**
أُنُكْ يْوغَنْ يُرُورُو	**يا حسراتي لقد تزوجت من بوم**
دُونْمْ أو يَازِيْضْ	**وجهه شبيه بالديك**
مَارَا يَلِي سكَانْثُو	**حين الصعود إلى المحبم**
أَسِذِي رَبّي	**يا ربي ويا خالقي**
عَزِييدْ دّقَسْ دُوماثُو	**دعني ارتدي حداده في الحين**
أَيُّمَا حُنَّة	**يا أمي الحنونة**
أُنُكْ يْوغَنْ بُوثْلِيسْ	**آه لقد تزوجت بالأعشى**
إِذًا رَنْ أُيَازِيضْ	**له أرجل شبيهة بالديك**

---

(1) Hanotau (A) : **Poésies Populaires de la Kabylie du DJurjura, Texte kabyle et traduction**, imprimerie par ordre de l'empereur à l'imprimerie impériale, Paris 1867, pp 88, 89.

مَـراً يَلِـي سَمْگَـانِيـسْ	حين الصعود إلى مكانة
أسِـذِي رَبّـي	يا ربي ويا خالقي
عَزِييـدْ دَقَمَـاوْ لاَنِيـسْ	إجعلني ارتدي حداد أهله
أيُّمَـا حُنَّـة	يا أمي الحنونة
فْكَـانِيي أورْ عْلِيمَـغْ	زوجوني من غير علمي
غْـرَانْ لَفْتِحَـة	ولقد قرءوا الفاتحة
نُـكْ تمَّـو فْـولاَغْ	على مرأى عيني
دَاغْبُـوبْ إيُـوغَـاغْ	إختاروا لي البرقش زوجًا (١).
أزْكَـا أدْرُوْلاَغْ	فغدًا عليَّ بالفرار
أيُّمَـا حُنَّـة	يا أمي الحنونة
فْكَـانِيي إوْعَجّمِـي أمَـانُونْ	لقد زوجوني بالجذع الخصيي
إضَـارَنْ بُـومْشِيـشْ	له أرجل القط
تَـاقُـونِي نِيـقْ لْكَـانُـونْ	يمضي لياليه قرب الموقد
تُـكْ أدْرُوْلاَغْ	فأنا سأهجر بيته
أذأغُـغْ أقْشِيـشْ بُو لَعْيُـونْ	وسأتزوج من شاب وسيم

٢ ـ القصيدة العامية :

تناولت القصيدة العامية أو الشعبية المرأة بالغزل والوصف والشوق وذكر أخلاقها الحميدة وصفاتها الجميلة، وقد اخترنا أنموذجيين من القصائد على سبيل المثال:

(1) Hanotau (A) :opcit, p89.

ـ **الشاعر ابن سهلة** (١): شاعر من حاضرة تلمسان، له عدة قصائد،من مختاراته :

كيـف عْملي أوحيلتـــــي	لمن نشكي بـذا الأمـــــر
كيـف عْملي أوحيلتـــــي	يأو ولفـي سـابغ اشفـــر

❖

كيـف عْملي أوحيلتـــــي	لمــن نشكي بليعتـــــــي
امشــى رسلــي لمدينتـــي	سـاعة جـاني بشي اخبـر
منــو اتقــوات دمعتـــي	افنيت أو خاطـري انقهـر
كيـف عْملي أوحيلتـــــي	لمن نشكي بـذا الأمـــــر

ـ **الشاعر ابن التريكي** (٣):شاعر من تلمسان، له عدة قصائد من مختاراته ما يلي:

العيد لكبير والبنات ايْسُوجو في باب الجياد	هذي لْذيك تتبتخـر بالهمّـــــة
شـــي قابضـــة الـــورد فـــي يدهــــا للعقـــــاد	شـي جـاية تـدّلّـوَح كالعـــادة
مـاراتـــش عينـــتي ذا الفرجـــة يـــا سيـــــاد	مـــادام حـي فـي عمـري يافهمـة
العيـــد لكبيـــر والفرجـة فـي بـاب الجيــــاد	ثّمَ انْظَرتهـا مـــولاة الوَشمــــة (٤)

---

(١) هو أبو مدين بن محمد بن سهلة التلمساني، عاش في القرن الثاني عشر هجري/١٨م كان ينظم الشعر الملحون، نظم قصيدة في العزل عن محبوبته " فاطمة ..."، ومات بتلمسان كفيفا، ينظر، شاوش بن رمضان ،م س،ص ص، ٥٦١، ٥٦٢.

(٢) موضوع القصيدة حول الغزل، وهي موجودة في مجموعة من المصادر ينظر:
Sonneck (A): **Chants Arabes du Maghreb étude sur le dialecte et la poésie populaire de l'Afrique du Nord**, 3 Vol, Paris, 1902 – 1904,pp 15-20.

(٣) ولد بتلمسان ، له نظم في الشعر الملحون، ينظر ترجمته .
Hamidou (A/Hamid)= " Aperçue sur le poésie vulgaire de Tlemcen – Les deux poètes populaires de Tlemcen iibn Amsaib et ibn Tirki-" **in actes du 2eme congrès de la fédération des sociétés savants de l'Afrique du Nord**, Alger, Publication de la société historique Algérienne, thème 2, 1936,pp 1007- 1046.

(٤) شاوش بن رمضان:" ابن التريكي" **مجلة جمعية الجغرافية والآثار لوهران**، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، ١٩٨٠.

ثانيا ـ الموشح والزجل :

بعد هذه اللمحة الجد المقتضبة عن القصيدة العامية، يدفعني طبيعة الموضوع إلى التساؤل عن صورة المرأة المغربية في الموشح والزجل، ترى كيف كانت نظرة الموشحين والزجالين المغاربة إليها ؟ وإلى أي حدّ كشفت أشعارهم عن ظواهر اجتماعية أو ملامح حياتية للمرأة في المغرب الإسلامي عامة .

رغم صلة النصوص التي وصلت عن وشاحي [١] المغرب وزجاليه [٢]، فهي على الأقل تثبت وجود هذين الفنين في الغرب الإسلامي منذ عهد الموحدين،فقد كان تأثير الأندلس على المغرب واضحا ، وتمثلت بعض مظاهر التأثير في انتقال الكثير من المغاربة على الأندلس وفي الانتقال الكثير من علماء الأندلس إلى المغرب،ولا شك أن لهذا التمازج تأثير عن حياة المجتمع الثقافية والاجتماعية .

وبقي لنا أن نتساءل عن أسماء بعض الموشحين والزجالين المغاربة الذين لمعوا في هذه الفترة ؟ ،سنورد بعض المقتطفات عن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

ـ من الموشحين في عهد الموحدين ، نذكر منهم :

*** ابن غزالــة :**

نظم هو شحته في " رميلة " أخت الخليفة عبد المؤمن :

عاصر ابن غزالة الخليفة عبد المؤمن [٣] وقد اشتهر حبه لأخت الخليفة وفي ذلك يقول الحلي [٤] :

(١) أجمع مؤرخو الشعر العربي على أن الموشحات فن أندلسي خالص،وابن بسام يقرّر أن أهل الأندلس هو الذين وضعوا حقيقة صنعة التوشيح ونهجوا طريقتها، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح، إحسان عباس، طبعة دار الثقافة بيروت، ١٩٧٥، ق١، ج٢، ص١ ، ويقول ابن خلدون:" وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح"، **المقدمة**،مطبعة الكشاف، بيروت، د ت، ص ١١٣٧.

(٢) قال ابن خلدون:" نظم أهل الأندلس في طريقة الموشح بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستخدموا فنا سموه بالزجل، فجاء وافيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة، م س، ص ١١٣٧.

(٣) عبد الله كانون: **النبوغ المغربي**، ج١، ص ١٣١.

(٤) صفي الدين الحلي: **العاطل الحالي والمرخص الغالي**، تح، والهام هونرباخ، مطبعة فرانتز شنايتر، وسبادن، ألمانيا، ١٩٥٥، ص ٢٠.

" فمن هو شحاته المرنمة الموشحة الطنانة الموسوعة بالعروس التي نظمها عن عشقه " لرميلة " أخت عبد المؤمن الموحدي، وقتله الخليفة بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه الاجتماع بها، والواقعة مشهورة وكان حسن الصورة جليل القدر ذا عشيرة "، وذكر له مطلع هذه الموشحة التي تعرب بالعروس .

من يصد صيدا فليكن كما صيدي　　صيدي الغزالة من مراتع الأسـد

ويقول كذلك :

كيف لا أصـول　　واقتضت وحشيـة
ظبيـة تجـول　　في ردا سوسيـة
صاغها الجليـل　　فهي شبه حوريـة
(١)

ويقول في خرجتها :

بكر غدت في الدنان عاتـق　　ما الحر من رقها عتيق
تلوح الكـأس شبـه بـارق　　إن مجـزت صرفها بريق [٢]

ثم زاد قائلا بعد ذلك :" وقيل أنه لما أخرجه الملك ليقتله نظر إلى الناس وارتجل بيتًا في الوزن يستنجد به عشيرته لأخذ ثأره .

خـدها الأسيـل　　بـدت منـه الأنـوار
طرفهـا الكحيـل　　سـلّ منـه بتّـار
هـا أنـا القتيـل　　فهـل يـأخـذ الثـأر
قد أسـرت عبـدا　　ولـم أكـن بالعبـد
مـت لا محـالـة　　فاطلبوا دمـي بعـدي [٣]

*** ابن قزمـان :**

ومن مقتطفاته :

معشـر العـذالي بي من الأقمار　　أغصـن ميادة مسّـن في أكفالي
-

(١) الأهواني عبد العزيز: **الزجل في الأندلس**، نشر معهد الدراسات العربية العالية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١١٣
(٢) نفسه، م س، ص ١١٣.
(٣) صفي الدين الحلي:م س، ص ٢١.

قـد جنـا مـن لا مـا　　كـل عـان صـب

ببـــذور ذا مـــــــــا طلعـت مـــــن قضــــــب
مــن قــدود هـــــامـــا فـــي هـــواها قلبــــي
ربــة الخلخال قد براها الباري لعـــذابي غـــادة هيجـــت
بليـالـــي[1]

وقال أيـضـا :

متـــى نــــراك ونفيــــــق مــن وحشـــــة بـي .....ـا
لو كنـــت علــيّ شفيــــق لتصـــف لـي النّيـ.......ـا[2]

* **مدغيلـــس** :

ومن مقتطفاته[3] :

مـا ضرّكـم لو كتبتكـم حــرفـا ولو باليســـار !
إذ أنتــم نـور عينـــي ومطلبـــي واختيـــاري [4]

* **رميلـة أخت عبد المؤمن** :

قـال عنهـا الحلـي: " هـي جليلـة القدر جميلـة الخلق فصيحة اللسان تنظم الأزجـال الرائقـة الفائقـة" [5] ، ثـم قـال: " ومـن أزجالهـا الرقيقـة الرشيقة الزجل الذي مطلعه" :

مشــى السهـر حيــران حتى رأى إنســان عيني وقــف

وتقول : في خرجة منه تصف خالا كان بخدّه .

أسمـر جنـــان فــي شقــة من نعمـــان قــــــــد
التحـــف [6]

* **قاسم بن عبود الرياحي** :من كبار شعراء الموحدين .

ومن مقتطفاته :

باللـــه أيـــن نصيـــب مــــن ليـــس لـــي فيـــه
نصيـب[7]

(١) أبو بكر حجة الحموي: **بلوغ الأمل في فن الزجل** ، ص ٦٢.
(٢) محمد صالح الجون: م، س، ص ٣٤٥.
(٣) نفسه، ص٣٤٤.
(٤) نفسـه ، ص ٣٤٣.
(٥) صفي الدين الحلي : م س، ص ٢٠.
(٦) الجراري : **القصيدة** ، ص ص، ٥٣٧، ٥٣٨.
(٧) من كبار شعراء الموحدين، عبد الله كانون، **النبوغ المغربي**، ج١، ص ٣١٠.

محبوبا مخالف ومعو رقيب
حين نقصد مكانو يقم في المقام
ويبخل علينا بردّ السلام
أدخلت يا قلبي روحك في زحام
سلامتك عندي هي شيء عجيب
وكف بالله يسلم من هو في لهيب
بالله يا جبيبي أترك ذا النفار[1]

* **ابن راشد** :شاعر موحدي، ومن مقتطفاته[2]:

كلّ من يعيب حبّي إيش يفيدو ؟
ذا هم ليش يلوم ؟ كذلك نريدو
كلّ من يعيب حبّي ليش نسمع لو
وندري من نهوى ونخضع لو
العز فيه يجعلني تراب لنعلو [3].

ـ أما أشهر الزجالين عند بني زيّان :

* **أبو عبد الله محمد بن البناء** [4]: عالم محقق وشاعر أديب من أهل تلمسان ، عاش في أواخر القرن ٧ هـ/ ١٣ م ،

من اطلع فوق مايس الريحان بدر الأفق
يهز منعها على كثبان تحت الغسق
من نمق خده بروض أنف بادي القطف
وطرزه بسالف منعطف رقم الصحف
والثغر فدا لدره كالصدف قد استافي

---
(١) أبو بكر حجة الحموي:م، س، ص ٦٢.
(٢) وهو شاعر موحدي: ينظر عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، ج١، ص ٣١٠.
(٣) أبو بكر حجة الحموي: م س، ص ص ٦٤، ٦٥.
(٤) شاوش رمضان : م س، ص ٤٨٣.

مــرج قــد زانــه من المرجـان بالشهـــــد ســـــق
لـو جـاد على فـؤاد الظمـآن أطفـــــى حـــــرق
بـدر أزراره تبـدت فلكـــــا قلبـــــي ملكـــــا
عينـــاه مع الهوى دمعي سفكا فيـــــه اشتـــركـــــا
قـد اشتبهـت ألمهـا لحظا فتكا والخـــــال حكـــــى
مسكـا متمسكـا على سوسـان غـــــض عبـــــق
يهـدي كنسيـــم جنّـــة رضـــوان للمستنشـــــــق
حــال مد غبـت حـائل ياقمـر حـــــال الكـــــدر
أنسى باللّيل مـع نظـم الـدرر نقـــــر الـوتـــــر
إن كنت جهلت أدمعي كالمطـ قـــــــــــل أو سهـــــــر[1]

وقــال :

ألا وسـبي المهـى مع الغـزلان ســـــود الحـــــدق[2]

ـ **ومن الموشحين الأندلس** : نذكر أشهرهم :

* **أبو حيّان الغرناطي** :من كبار كتاب وشعراء القرن السابع الهجري،من مختاراته [3]:

إن كـــان ليـــــل داج وخــــاننا الإصبــــاح
فنـــورهـــا الوهـــاج يغنـــــي عـــــن المصبـــاح

ســلافـــة تبـــــدو كالكواكـــب الأزهـــــر
مـزاجهـا شهـــــد وعـرفهـــــا عنبـــــر

يــا حبّــــذا الـــــورد منهـــا وإن أسكـــــر
قلبــي بهـا قـد هـــــاج فمـــــا تــــــراني صـــاح
عــن ذلـــك المنهـــــاج وعـــن هـــوى يـــا صـــاح[4]

---

(١) يحي بن خلدون : **بغية الرواد،** ج١، ص ص٦١، ٦٢.
(٢) نفســه ، ص ٦٢.
(٣) هو محمود بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي الأندلسي، كني بأبي حيّان ولقب في المشرق بأثير الدّين، ولد في غرناطة سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٤م ،رحل إلى المشرق واستقر في مصر في ظل دولة المماليك البحرية، وتوفي سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م، عبد الله كنون م س، ج١، ص١٣١..
(٤) نفسـه ، ص١٣١.

* **ابن خاتمــة الأنصــاري** : شاعر بني الأحمر بالأندلس ، من مختــاراته [1]:
ما أحـلاك يـا قمـر الأحلاك كم أهواك وفـــي الحشــا مثــواك ولا تـــدري
الحسـن يحـار فـي خـدك والغصـــن يغــــــار مـــــن قــــــدّك
والتّـــ وفـــق علـــى ودّكْ
مـن حلاك بـالحسـن ما أحلاك لا أنساكيـا فتنـــة النّســـاك إلى الحشــر
هـــل سلـــوان لعاشـــق هيمـــــان عن عـدوان ذا الفاتــر الأجفـــان [2]

* **أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهـر الحفيد**[3] : الذي يعد إماما في هذا الفن بلا منازع [4]، من مقتطفاته، يقول في أولها :
سلـم الأمــــر القضــــا فهـــو للنفس أنفـــع
واغتنـــم حيــــن أقبــــلا
وجــه بــــد تهـــــــلّلا
لا تقـــل بالهمـــــــــوم لا
كل مـا فـات وانقضــا ليس بالحـزن يرجـــع [5].
استنبطنا من هذه الالتفاتة السريعة في الوشح والزجل بعض الاستنتاجات منها:
ـ أن مجتمع المغرب الإسلامي طغت عليه الروح الدينية، والطابع الفقهي مما جعل الحضور النسوي في هذا النوع من الأدب محدودًا حسبما وقفنا عليـه .
ـ كشف الموشح والزجل اختلاف النظرة إلى المرأة من نظـرة الرغبـة فيهـا، ومـا ذلـك إلـى انعكـاس للميـول الطبيعـي للجنس الآخـر، ونظـرة التقـدير والاعتبار، ولم يبتعد بذلك الموشح والزجل عن بـاقي فـروع الأدب فـي نظـرتهم إلى المرأة ، يبقى السؤال ما هو موقع المرأة في الأمثال الشعبية؟

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري الأندلسي، من أهل المرية إحدى المدن الكبرى في دولة بني الأحمر بغرناطة ،ولد في أواخر القرن السابع الهجري وعاش إلى سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، ينظر عبد الله كنون: م س،ج١،ص ٣١٠.
(٢) نفسه، ج١، ص٣١٠.
(٣) محمد صالح الجوف: "أثر الأندلسيين في الأدب المغربي على عهد الموحّدين"، **دكتوراه الدولة**، جامعة دمشق، ١٩٨٧، ص ٤٤٢.
(٤) نفســه، ص ٤٤٢.
(٥) نفسـه ، ص ٤٤٢.

ثالثا - الأمثال الشعبيــة:

لا يخلو بيت من بيوت المغاربة ولا معاملة من معاملاتهم اليومية من استعمال المثل الشعبي(١)، لقدرتها على فهم مجريات الأمور الحياتية(٢) وقد أخبرنا ابن عباد بأن "الأمثال العامة إلى معان حقيقية لا يمكن أن يستفاد مثلها إلا من كلمات الحكيمة، ثم هي أعلق بالقلوب والنفوس من كل منمق من الكلام أودع الدفاتر"(٣).

الأمثال،عبارة عن أقول شيقة وعميقة المعاني، نتجت عن تجارب حياتية لا حصر لها ولا عد، قيلت لسبب خاص ثم تعدته إلى أشباهه، وتعتبر تأريخا اجتماعيا، لواقع الأحوال في مجتمع من المجتمعات، ولا يعرف تاريخ ومكان نشأتها، ولا قائلها، فقط نخبة من الناس رجالا ونساء يرسلون مقولات تلتقطها الآذان، ويصونها الحفظة، وتصبح أمثال سائرة على العامة والخاصة(٤).

وإذا أردنا أن نتعرف على المدلول الحقيقي للمثل في فترة دراستنا وجب علينا توسيع دائرة مفهومه لتشمل أمثالا توارثها المغاربة في فترات متلاحقة وبألفاظ ومدلولها(٥) بغض النظر عن أصولها اللغوية والمعرفية(٦).

وفي الحقيقة تطرح الأمثال الشعبية في المغرب الإسلامي مجموعة من الإشكاليات منها:

- محافظة المغاربة على أهم مرجع في الأمثال الشعبية في عصر الموحدين،لصاحبه محمد بن أحمد الزجال(٧)، فجاء مركز الحكم والخبرات التي كانت سائدة في ذلك العصر، أما بعد

---

(١) نور الدين عبد القادر:م س، ص٢٤.

(٢) هو لون من ألوان الأدب الطريفة، ينظر، جلال الدين السيوطي: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تح، محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط القاهرة، دار إحياء الكتاب العربي، ١٩٥٨، ج١، ص ص ٤٨٦، ٤٨٧.

(٣) ابن عباد: **الرسائل الكبرى**، ص٩٩.

(٤) محمد بن شريفة:**أمثال العوام في الأندلس** ، ج١، ص٢٠٤.

(٥) مثلا **"اليتيم إلا يتيم الأم"** رواية شفوية.

(٦) يرة الأستاذ عثمان العكاك:" بأن أمثال أو قولات منها ما هو عربي فصيح ومنها ما هو تونسي محلي(أمازيغي)،وأصلها بغدادي أندلسي...، **الفولكلور التونسي**، الشركة القومية للنشر والتوزيع، تونس، ط تونس، ١٩٦٣، ص٦٧.

(٧) إن الاتجاه الجديد للبحث العلمي يهدف من جملة ما يهدف إليه: تتبع عقلية الشعوب في تفكيرها وتعبيرها وذلك عن طريق الأمثال الشعبية لكل قطر من أقطار المغرب العربي .

سقوط الموحدين، لم يبرز كتاب آخر في إحدى الدول الثلاث المستقلة بنفس القيمة التاريخية والاجتماعية، مما يطرح أول إشكال أمام الدارس الذي يضطر بمجهوده الشخصي إلى تقصي الأمثال الشعبية المغربية من هنا ومن هناك ويكوّن مجموعة خاصة به ينشر منها جزءًا أو يسكت عن الجزء الآخر [١].

ـ اختلاف اللهجة في أقطار المغرب الإسلامي من منطقة إلى أخرى، ذلك أن بعض الأمثال اشتهرت في مدينة دون أخرى أو إقليم دون آخر، وليست أمثال تونس أو تلمسان أو فاس أو غرناطة ... إلخ على حدة .

ـ صعوبة قراءة الكلمات العامية (الأمازيغية) وعدم التوصل أحيانا إلى فهمها.

ونورد بعض النماذج من الأمثال الشعبية عن مختلف هذه الموضوعات على سبيل المثال لا الحصر لنكشف عن مختلف الصور الإيجابية، والسلبية، والموضوعية للمرأة في المجتمع المغرب الإسلامي على أن نذكر بعض أمثال باقي المواضيع في الملاحق .

*** الإستراتيجية :**

ـ قاله يا وليدي ما خذتك في الملاح ، قاله يا بابا الحب وين طاح [٢].

ـ قالوا ألها: راجلك وسيم، وصاحبك دميم ، قالت لهم: خوذوا عيني شوفوا بها[٣].

ـ راجلك لا تبوح له سرّك، وتشبعيه منك [٤].

ـ بالستر تدوم العشرة [٥].

---

(١) إن الاتجاه الجديد للبحث العلمي يهدف من جملة ما يهدف إليه: تتبع عقلية الشعوب في تفكيرها وتعبيرها وذلك عن طريق الأمثال الشعبية لكل قطر من أقطار المغرب العربي، لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مراجع أساسية:

أ ـ **منتخبات من الأمثال العامية التونسية**، جمع وإعداد الطاهر الخميري، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٧.

ب ـ **مجمع الأمثال التونسية**، جمع وإعداد حسن الصادق الأسود .

جـ ـ **أمثال العامة الأندلس**، مقالة لعبد العزيز الأهواني، من كتاب " إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين" ، القاهرة، ١٩٦٢.

د ـ " **الأمثال المغربية** "، جمع وإعداد محمد الشرادي الفاضلي ومحمد القباح، خزانة باب شالة، الرباط، رقم ٣٨٥٩ E .

هـ ـ **الأمثال الشعبية الجزائرية**، جمع، قادة بوتان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ١٩٨٧.

(٢) حسن الصادق الأسود: **مجمع الأمثال التونسية** ، ص ٧١.

(٣) نفسه ، ص ٧١.

(٤) الطاهر الخميري: **منتخبات من الأمثال التونسية** ، ص ١٦.

(٥) حسن الصادق الأسود: م س ، ص٥.

ـ أحفر لسرك وخبيه في الأرض ستين قامـه[1].
ـ واضحك والعب مع اللي تعاديه حتى تصادف أيـامه [2].
ـ صغيرك على ما تربيه ، وراجلك على تسنسـه [3].
ـ الشيبه لأخيته ، والشهوة لمريتـه [4].
ـ الرجل خليه عشاه ناقص غليه ، وسوريته ناقصة طلية [5].
ـ عاتق باب الكيسة تاتطل على المريض وتاتهني النفيسة [6].
ـ سيدي حرامية للا أكثر منه ، سيدي حسب قديدة للا قطع منه [7].
ـ غريب لغرايب ،المرأة مكحلة والرجل غايب [8].
ـ كيد النسا ما يتنسى [9].

تظهـر المـرأة مـن خـلال هـذه النصـوص أنهـا حـذرة، فالحـذر واجـب ، ويكفي لأية غلطة أن تفسد كل ما بنته أو تأمل أن تبنيه.

ثـم هنـاك مـا تفرضـه علـى الـزوج مـن عـادة بحكـم الوقـت والمعاشـرة، والإلحاح، وهكذا توجهه في الوجهة التي ترضيها ، وتبعده عما لا يميل إليه أو تنكره إنكارًا .

أمـا الصـورة الثانيـة فمتناقضـة تمامًـا مـع مـا رأينـاه حيـث كشـفت بعـض الأمثـال عـن التقـدير والاعتبـار للمـرأة والتعـاطف معهـا لدرجـة الترغيـب فـي البنات .

ـ الحرة إذا صبرت دارها عمرت [10].
ـ اللي ما قدرت تكون نجمة في السما تكون شمعة في الدار [11].

---

(١) نفســه ، ص ٣.
(٢) نفســه ، ص ٧.
(٣) الطاهر الخميري: م س، ص ٤.
(٤) حسن الصادق: م س، ص ٣.
(٥) أبو يحي الزجالي: **أمثال العوام بالأندلس،** ج٢، ص ٣٩١.
(٦) **باقة من الأمثال المغربية،** ص ١٢٥.
(٧) نفســه ، ص ١٢٥.
(٨) **باقة من الأمثال المغربية** ، ص ١٢٣
(٩) نفســه ، ص ٢٢٣.
(١٠) نفســه ، ص ٢٩٣.
(١١) نفسـه ، ص ٢٩٤ .

ـ كل امرأة راقدة على حجرة ودليلة النسا هي اللي تقول آح [1].
ـ مولات الدار عمارة ولو تكون حمارة [2].
ـ شافوني وليه واتجمعوا علي [3].
ـ كال ليها كيف أنت يا مولات الدار ، كالت ليه فالهم باقية والزمان دار [4].
ـ اللي يسعدها زمانها تولد [5].

*** الاحتقار والنفور :**

ونجد المرأة رمز الخديعة والخيانة، وهي سبب البلاء الكبير كيدها يغلب كيد الشيطان، ومن مظاهرها كثرة التردد على الزوايا، وأضرحة الأولياء والصالحين، للتوسل والتبتل في الظاهر، أما الحمام فأمره معروف، وزيارة الأقارب وصلة الرحم.

ـ الله ينجيك من الساكتة يلي دوات، ومن الحاجة يلي طلت [6].
ـ اللي عينو في العذاب ، يصحب النساء ولا الكلاب [7].
ـ المر ضلعة معوجة [8].
ـ بهوت بنات الدرب باعو الدفة وسراو الكلب [9].
ـ كل وليه سببها ولية [10].
ـ كيد النسا قوي وكيد الشيطان ضعيف [11].
ـ المرا هي اللي دارت الشيطان في القرعة [12].

---

(١) **باقة من الأمثال المغربية** ، ص ٢٣٣.
(٢) نفســه، ص ٢٣١.
(٣) نفســه، ص ٥٤.
(٤) نفســه، ص ٥٤.
(٥) نفســه، ص ٢٣٧.
(٦) نفســه، ص٣٤٠
(٧) نفســه ، ص ١٢٤.
(٨) نفســه، ص ١٢٤.
(٩) نفســه ،ص ١٢٦.
(١٠) نفســه .
(١١) نفســه .
(١٢) نفســه .

*** المــرأة والجمال :**

ولقد اتفق الجميع، على أن رأس المال أية امرأة هو جمال جسمها، فلا يمكن تعويضه بحسب أو نسب، أو مال أن نشب أو دين أو جاه .

فمن حق المرأة بل من واجبها، أن تظهر بمظهر فاتن يجذب ويسحر، ولا بد لها من الحلية والزينة إن أرادت الاحتفاظ بسلطانها.

- متشوفش للنخل شف للدّخل (١).
- شبوب الرّجل فعقولها وعقول النسا فشبوبها (٢).
- اللي تحب زينها يدوم، تمشي للحمام كل يوم (٣).
- حرقص حرقوصك وتمه ، واعط للحيط يشمه(٤).
- زيني خليته لبناني، واللى ذاق ما يتسمى مشتاق (٥).

*** التنشئــة الاجتماعيــة :**

- المر الصّالحة تجيب الذرية الفالحة (٦).
- قلب القدرة على فمها تشبه البنت أمّها (٧).
- اللّى ما رباتو يمّاه ما يريبوه النّاس (٨).

*** كيــد المــرأة :**

- ظاهر المر جنّة وباطنها جهنم (٩).
- المرأة نار إلا غفلت تحرقك (١٠).

---

(١) مثل يردد في منطقة تلسمان .

(٢) قادة بوتان: **الأمثال الشعبية الجزائرية**، ص ١٤٥ .

(٣) **منتخبات من الأمثال العامية التونسية**، ص ٢٢١ .

(٤) **مجمع الأمثال الشعبية**، ص ٣٦.

(٥) **منتخبات الأمثال العامية التونسية**، ص ١٥.

(٦) نفســه، ص ١١.

(٧) نفســه، ص ٢٧.

(٨) **مجمع الأمثال الشعبية**، ٢٢٤.

(٩) مثل يتردد في تلمسان .

(١٠) مثل يتردد في تلمسان .

ـ المـر لفعى [1].
ـ إذا حلف فيك الرجل بات راقد وإلا حلف فيك النّسا بات قاعد [2].
ـ كيـد النســا كيـديــن ومن كيدهم يــا حـزونـي
ـ راكبـة على ظهر السبع وتقول الحـد يا كلـونــي[3].

*** المــرأة والغيــرة :**

ـ الغيـرة تخوش التغيـرة وترد الشـارفة صغيرة [4].
ـ النوطـة مع النوطـة كاللفعـة المربوطـة [5].

*** المهـــارة :**

ـ شـاطـرة ومـولات ذراع [6].
ـ مولات الذراع الوافي ما تخافي [7].
ـ الطفلـة اللّي ما تغربل دقيقها غير ترجع على طريقها [8].
ـ ما سبّعت ما ربّعت [9].
ـ الحنّة في ظفارها والخطاب جابت خبارها [10].
ـ بنت لخْلا ما تْعمَّرْ [11].

---

(١) مثل يتردد في تلمسان.
(٢) مثل يتردد في تلمسان
(٢) عبد الرحمان مجذوب : **الديوان ، دار إحياء العلوم**، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص ٧.
(٣) مثل يتردد في تلمسان .
(٤) مثل يتردد في تلمسان .
(٥) مثل يتردد في منطقة تلمسان .
(٦) مثل يتردد في منطقة تلسمان .
(٧) مثل يتردد في منطقة تلسمان .
(٨) قادة بوتان: م س ، ص ١٥٨.
(٩) نفســه، ص ١٥٠.
(١٠) مثل يتردد في منطقة تلمسان .
(١١) مثل يتردد في منقطة تلمسان .

ـ الخلطــة تخسّــرْ [١].
ـ المعاونة في النصارة ولا لعقاد في الخسارة [٢].
ـ يدْ وحدها ما تصفق [٣].

*** المــرأة والحــبّ :**

هنـاك شـعور جـارف لـدى المـرأة بـأن الاكتفـاء بـالزوج وحـده حرمـان، وعذاب،وقهر، وأن الطريق الصحيح للتفتح واللذة الكاملـة والسـعادة التّامـة إنمـا هو الحبّ .

ـ اللي في صغرها لا عشق ولا تعشق كيف ندادها، ضيع عمرها وترزي في شبابها [٤].

ـ كـل شيء حبي بالسيف، إلا حبي يا بنادم [٥].
ـ شويـه لربي ، وشويـه لقلبي [٦].
ـ رجلها يخاف علاها ، وصاحبها يمرمد فيها [٧].
ـ ضرب لحبيب زبيب [٨].
ـ ضرب لملاح تفـاح[٩].
ـ اسقي الدالية ، يكبر العنقود [١٠].
ـ اللي يكرهك ما يحبـك لو تطلي بالحـلاوة .
الفـم للفــم يضحـــك والقلب فيه العداوة [١١].

---

(١) مثل يردد في تلمسان .
(٢) مثل يردد في تلمسان .
(٣) مثل يردد في تلمسان .
(٤) **مجمع الأمثال التونسية**، ص ١٢.
(٥) **منتخبات من الأمثال العامية التونسية** ، ص ٨٤.
(٦) **مجمع الأمثال التونسية**، ص ٥٣.
(٧) نفســه ، ص ٦٣.
(٨) **منتخبات من الأمثال العامية التونسية** ، ص ٦٥.
(٩) نفســه، ص ٦٥.
(١٠) **مجمع الأمثال التونسية**، ص ٠٩.
(١١) **منتخبات من الأمثال العامية التونسية** ، ص ١٤.

*** المرأة والزواج :**

إن البحث عن الزواج هو غاية كل أنثى في مجتمع كمجتمعنا لا يبيح الاختلاط بين الجنسين ويدعو الفصل بينهما فصلا باتًا . فلا بد فيه للمرأة من رجل يقيها نوائب الدهر، ولابد من زوج يسمح لها بأن لا تضيع أيامها سدى .

وعلى البنت أن لا تضيع الفرصة، وعلى المرأة أن تبحث عن السعادة، مهما كانت الظروف الاجتماعية .

أ ـ الزواج المبكر :

ـ خدها صغيرة تربيها على يدك (١).

ـ زوج البنت صغيرة تعيش مهني (٢).

ـ بكر لحاجتك قضِيها، وتْصنّت للفال، بنتك قبل الصوم أعطيها،قبل لا يكثر القيل والقال فيها (٣).

ب ـ الخطبـــة :

ـ زواج لبدة تفتاش عام وزواج ليلة تفتاش نهار (٤).

جـ ـ المهـــر :

ـ تزوج ولو بخاتم من حديد (٥).

ـ الحدايد للشدايد (٦).

ـ البنت احبات تشوف يمّاها أسم خبّات (٧).

ـ سلّح بنتك وخرّجها قدّام النّاس (٨).

د ـ الزواج الداخلي :

ـ بيتنـــا في بيتنا (٩).

---

(١) رواية شفوية بتلمسان .

(٢) رواية شفوية بتلمسان .

(٣) قادة بوتان: م، س، ص ٣٩.

(٤) رواية شفوية بتلمسان .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، ص ١٤٥.

(٦) قادة بوتان: م س، ص ١٤١.

(٧) رواية شفوية.

(٨) رواية شفوية .

(٩) كما يتردد هذا المثل في أنحاء الوطن العربي بصيغة أخرى هي: " زيتنا في دقيقنا "، قادة بوتان: م س، ص ١٥٤.

- ملس من طينك يسِجَى له [1].
- خذ الطريق الصحيحة ولو دارت وخذ بنت العَمْ ولو بارت [2].

هـ - الزواج الخارجي:

- تزوج المرا لبعيدة ، واحرث الأرض القريبة [3].
- عليك بالسّانية القريبة والمْرا الغريبة [4].
- البنت بنت أمها تعمّرها لا تخليها [5].
- بن عمّك هو همّك [6].
- الأقارب كالعقارب [7].

و - تعـدّد الزوجـات :

- تبـدال السروج راحـة [8].
- مْيَـات زواج ولا معصية [9].
- اللّي كثر مالوا يبني ولا يتزوّج [10].

ز - الإنجــاب :

- اللّي ولد مامات [11].
- شفت الخيل بغيت الركوب ، شفت النسا بغيت النجوب [12].

---

(١) قادة بوتان: م س، ص ١٥٨.
(٢) نفســه، ص ١٥٣.
(٣) عبد المالك مرتاض: **الأمثال الشعبية الجزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢، ص ٣٠.
(٤) **منتخبات من الأمثال العامية التونسية**، ص ١٦.
(٥) مثل يتردد في منطقة تلمسان .
(٦) قادة بوتان: م س، ص ١٤٤.
(٧) عبد المالك مرتاض:م س، ص ٣٢.
(٨) قادة بوتان: م س، ص ١٥٣.
(٩) مثل يتردد في تلمسان .
(١٠) قادة بوتان: م س، ص ١٥٢
(١١) قادة بوتان: م س، ص ١٦٠.
(١٢) مثل يتردد في منطقة تلمسان .

- المرا بلا وْلَاد كالمظلة بلا عماد [1].
- المرا بلا ولاد كالخيمة بلا وتَادْ [2].
- اللّي ما عندو بنات ما عرفو حد باش مات [3].

حـ - خيبـة الـزواج :

- اللّي يجيب الذكر ما يتنكر، يلعن بوالأنثى سلعة الذل [4].
- البنت إذا كبرت، ما إيلها إلا ذكر، وإلا قبر [5].
- عروسة في عامها، مهبول من لامها [6].
- لا يحرم وليه من شاشية [7].
- قلت نعرس نتهنى ، نلقى عزوبيتي هي الجنة [8].
- قعاد السلامة، ولا زواج الندامة [9].
- كل قدرة تلقى غطاها [10].

وأفادنا الوزان أن الشعر بالعامية كان كثير الانتشار في العهد المريني،ذلك أن مدينة فاس كانت تحتضن عددا كبيرا من الشعراء الملحنون،الذين كانوا ينظمون الشعر باللغة العامية في مناسبات مختلفة،وخصوصا في عيد المولد النبوي فقد كان الشعراء يتسابقون في مدح الرسول صلّى الله عليه وسلّم، يجتمعون صباح يوم العيد في ساحة المحتسب، يصعدون إلى منصة، وينشد كل واحد منهم قصيدته أمام جمهور غفير من الناس، ومن نفوق منهم نصب أميرا للشعراء أو ما يعرف "بشيخ الأشياخ" لتلك السنة، كما كان السلطان يستدعي الشعراء إلى قصره للاحتفال بهذا

---

(١) مثل يتردد في منطقة تلمسان .
(٢) مثل يتردد في منطقة تلمسان .
(٣) الفاضلي والقباج:**باقة من الأمثال المغربية** ، ص ٢٣٧.
(٤) الصادق الأسود:**مجمع الأمثال التونسية** ، ص ١٤.
(٥) نفسه ، ص ١٦.
(٦) نفسه ، ص ١١٧.
(٧) الطاهر الخميري:**منتخبات من الأمثال التونسية**، ص ٢٠١.
(٨) نفسه، ص ١٠٤.
(٩) الطاهر الخميري:م س،ص ٩٦.

اليوم،فيلقي كل واحد منهم قصيدته"المولودية" بين يديه،ويمنح للفائز مائة مثقال وفرسا وجارية،ويلبسه الكسوة التي كان لابسا إياها، كما يمنح للشعراء الآخرين خمسين مثقالا،ويخبرنا الوزان أن هذه العادة انقرضت منذ مائة وثلاثين عاما بسبب انحطاط الدولة .

لا نستبعد حضور الشاعرات في مثل هذه المناسبات،خصوصا في القصور ،وكن محبات للشعر وقول الأمثال في خدورهن ، وأهم ما استخلصنا من هذه الأمثال ما يلي :

- تناولت الأمثال صورة المرأة كفرد أساسي يقوم عليه بناء المجتمع،ووضعها فيه ماضيا وحاضرا.

- وجود صدى للأمثال الشعبية بين بلدان المغرب الإسلامي،بفعل التأثير والتأثر في المجتمعات، ويختلف مقدار تاثر كل منها بالأخر حسب القرب أو البعد من بعضها.

- صعوبة إدراج مجموعة من الأمثال في باب معين أو موضوع معين تتناول معاني عامة أو غامضة.

- وجود مجموعة من الأمثال باللغة الأمازيغية،ذلك أن النساء في هذه الفترة كانت تتكلم بهذه اللغة المحلية .

- تختلف مواضيع الأمثال بين أمثال دينية وأخلاقية إلى أمثال المواسم والأفراح والمآثر،العبر،السخرية،الحكم، وفي الرجل والمرأة، العجوز، الحرف، الزراعة، والصناعة، لذا فالأمثال تصبح مصدرا لا يستهان به في دراسة المجتمع،فهي نابعة من الناس معبرة عن تجاربهم، واتجاهاهم ومذاهبهم .

كما تتجلى لنا أن البنية الفنية لأسلوب المثل تتنوع بتنوع المواقف والموضوعات المطروحة عن المرأة، وهي تتراوح بين الوعظ والإرشاد والتحذير والترغيب والترهيب.. ممّا جعلها تحتل عناية خاصة في الوسط الاجتماعي.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا، وجود ترابط حميمي بين قواعد الزواج بكل من تونس وتلمسان وفاس وغرناطة وبين تعاليم الشريعة الإسلامية، وهذا ما يدل على حرص العائلات المغربية الحضرية عموما والريفية خصوصا على التزامها بالطابع الإسلامي لعملية مشروع الزواج.

وجدنا في هذا الميراث كذلك ،أن الزواج مشروع اجتماعي له عاداته وتقاليده، وأعرافه التي تتناقلها الأمثال الشعبية مجسدة بذلك ضرورة أو (حتمية) المحافظة على ما تتضمنه هذه الأمثال من قواعد وأحكام صارت مع مرور الزمن منهجا تتبعه الأسر عند إقبالها على مشروع الزواج في بلدان المغرب الإسلامي عموما.

ثم توصلنا إلى أن الزواج ليس مجرد استجابة لعملية بيولوجية تتطلبها الغريزة الجنسية، ولا مجرد عملية شرعية يشترطها العرف الديني، وإنما هو مشروع اجتماعي ذو أبعاد اجتماعية وثقافية واقتصادية.
وأخيرا يمكن القول إن الأبعاد الدلالية التي توصلنا إليها من خلال استنطاق الأمثال وتحليلها والتي حاولنا إبرازها وبلورتها تبقى قابلة للتحليل والتشريح، إذ تظل الأمثال تشع بدلالات غنية لا يمكن حصرها في بعد واحد ممّا يجعل قابلية إعادة النظر في مضامينها مفتوحا أمام كل باحث يطمح إلى استجلاء ما يختفي داخلها من دلالات ومعاني تصب في ميادين اجتماعية كبيرة.

خاتمة الباب الرابع :

نستنتج أن حضارة المغرب الإسلامي لم تخل من إسهامات المرأة في الحياة الثقافية والفكرية ،لاسيما في عهد الموحدين وما بعدها التي ظهر فيها الإبداع الفكري بأجل صوره، كما حظيت بعض العالمات المغربيات في طلب العلم والمعرفة،فبرزت عالمات من أمثال المعلمة زينب بنت عبد المؤمن الموحدي والفقيهة جدة الشيخ زروق،والمؤرخة فتحون المرسية، والطبيبة أم عمر بنت زهر الأندلسي، والمستشارة في الفقه زوجة قاضي مدينة وادي لوشة، والأديبة عائشة البجائية، والشاعرة الشلبية، والخطاطة عائشة بنت القاضي أحمد بن الحسن المديوني ،كما حظيت بعض العالمات بفرص التوظيف والعمل،وبرزت الشهيرات منهن في مختلف المجالات العلمية والعملية ، وتركت بعضهن كتبا ذكرتها بعض المصادر،لكن نأسف لعدم وصولها إلينا،ما عدا ما جاء في الأمثال الشعبية التي حفظتها ذاكرة الجدات والأمهات التي حفظت لنا التقاليد والأعراف في مجتمع المغرب الإسلامي .

لهذا نرى أن تعطيل مواهب المرأة سواء في داخل الأسرة أو خارجها وإهدار طاقاتها الأدبية والعلمية والدينية في ما لا خير فيه،وتجاهل قدراتها على العطاء يفضي إلى خسارة فادحة للمجتمع بكامله ،ويبدو أن الحياة الثقافية تقع في رأس القضايا الاجتماعية ذات الشأن في فترة دراستنا بل في كل العصور.

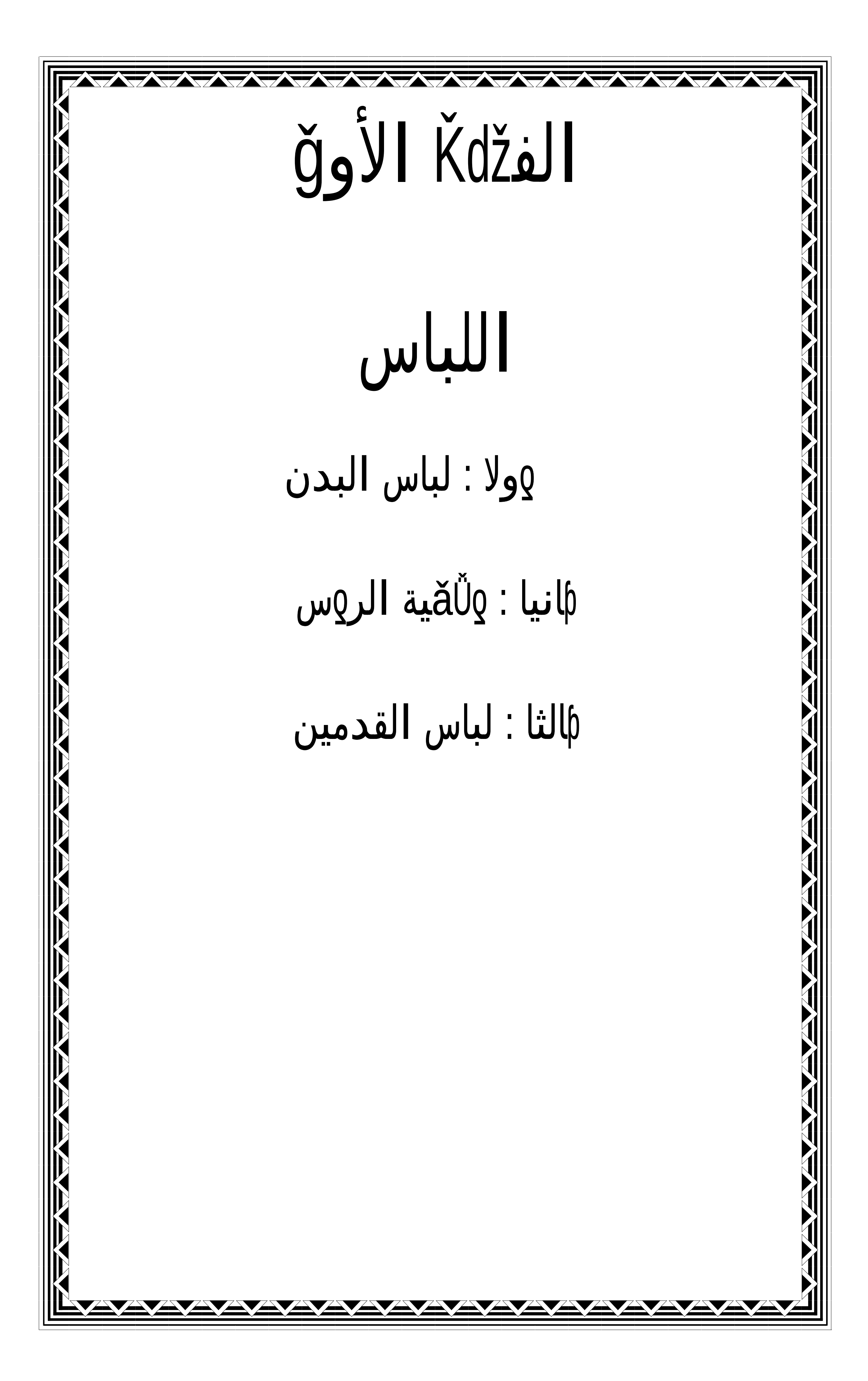
ولا ندري لماذا تصبح المعلومات نادرة عندما تتحدث المصادر عن إسهامات المرأة في مجال العلوم العلمية والأدبية والدينية ؟ لذلك لا نتعشم أن

تفيدنا بالكثير في مواضيع أخرى التي تخص لباسها وحليها وزينتها! ألئن ذلك من المواضيع التي لا يجب التطرق إليها أم بسبب قلة الاهتمام بالمرأة ؟ .



الباب الخامس

اللباس والÆĺľƮ والɋƺوة
عند المرأة المغربية



الفǨdž الأوğ

اللباس

ƺولا : لباس البدن

ɵانيا : ƺǤǎية الرƺوس

ɵالثا : لباس القدمين

تمهيـد:

تحدثنا في الأبواب السابقة عن النساء الشهيرات في العلوم والفقه والتصوف والشجاعة والصبر والفداء والتمريض، ورأينا أن تاريخنا المغربي حافل أيضا بأمجاد وعظمة المرأة ومكانتها السياسية،والدبلوماسية والعسكرية،والاقتصادية والاجتماعية،ونتحدث في هذا الباب عن أزياء المرأة وحلّيها في التراث المغربي ، وغنيّ عن القول أن المرأة مهما كانت منزلتها تهتم كثيرا بهندامها وحليّها وزينتها لأنها جزء من حياتها اليومية عامة والمناسبات على الخصوص،لأن ملابس المرأة لها ملامحها ودلالتها الاجتماعي.

ومن ملاحظة الأزياء النسائية في حاضرنا نشاهد النقوش والرسوم المطبوعة والمنقوشة والمحاكة على المنسوجات الحالية، نجد أن هناك عودة إلى التقاليد والأعراف السابقة منها الألوان الصارخة كالأحمر والأصفر والأخضر، وهي متشابكة ومتمايزة وبعضها تزدان بالرسوم القديمة للبيئة السابقة.

إن أزياء المرأة وزينتها وحليّها، لها ملامحها ودلالتها وصورها الجميلة التي تكشف عن تاريخ مسيرتها ودورها في تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته ، هذا ما سنحاول اكتشافه في الفصول الثلاثة التي يتضمنها هذا الباب،فقد اشتهرت المرأة المغربية والأندلسية بحسن اختيارها لما يضفي عليها الجمال والحسن والأناقة.

وعلى العموم، فقد ارتدت المرأة في المغرب والأندلس زيا إسلاميا يدعى الحجاب (١)،وعلى رغم تعدد وجهات النظر في كيفية ارتداءه، فالبعض يرى الحجاب هو غطاء الوجه والكفين،

---

(١) شكلت قضية سفور المرأة أهم نقاط خلاف العلماء، وجمهور الناس، حاول المهدي ابن تومرت حسمه لصالح الخمار، حيث رأى وجوب ستر المرأة لوجهها، وكان من نتائج هذا التشدّد شيوع استعمال الخمار على نطاق أوسع بالغرب الإسلامي مقارنة بما كان عليه الأمر فيما قبل ، ينظر ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص ص ١٥، ١٦.

والمعلوم أن إن لباس المرأة العربية كان يتألف في الجاهلية من ثوب طويل مفتوح أو مغلق من الأعلى أو تحته سروالة واسعة ثم درع مفتوح عند الرقبة وفي الشتاء كن يلبسن فوقه سترة ضيقة مما كان يبرز صدورهن ويعطي أجسامهن شكلها الحقيقي ولذا فقد أوصاهن النبي صلّى الله عليه وسلّم باستعمال العباءة الطويلة عند خروجهن من بيوتهن على اعتبار أنها توضع فوق رأس المرأة وتسبل مفرقها حتى قدميها وبذلك تستر شعرها أو جزء من وجهها وعنقها وصدرها وتلف بها كامل جسمها دون أن توحي بشكله ، ينظر ، أحمد القطان : **المرأة في الإسلام ـ حجابها ـ وواجباتها وحقوقها الإنسانية والسياسية** ـ مكتبة السندس، الكويت ، ط٦ ، ١٩٨٩، ص ص ٥ وما بعدها .

والآخر يراه جزءًا من الوجه عدا العينين أو عينا واحدة، على حسب ما جرت العادة به[١].

وحتى نقترب أ:ثر من هذه الوضعية الاجتماعية والحضارية، كان لازما علينا أن نبحث واقع ملابس المغرب الإسلامي في مواطنه العديدة، لنقف على أنماط الملابس التي شاع استخدامها كل حَسَبْ ما بين الحيك في المغرب الأوسط والجلابة في المغرب الأقصى والعباءة في المغرب الأدنى، وكذلك حاولنا استقراء النصوص المغربية الشحيحة، والمفرقة.

---

(١) كانت نساء حواضر تونس ، تلمسان وفاس، تلبسن هذا النوع من الحجاب، ومازالت بعض الجدات والأمهات ترتادينه إلى يومنا هذا .

الفصل الأول:اللباس

لا ندري لماذا تصبح المعلومات نادرة عندما تتحدث عن المصادر عمّا ترتديه النساء، لأن ذلك من المواضيع التي لا يجب التطرق إليها أم بسبب قلّة الاهتمام بالمرأة ؟ وبصفة عامة تبدو المعلومات المتفرقة التي ذكرتها المصادر بالغة الأهمية، ويمكن تحديد هذه الملابس بصفة عامة من الحجب والأغطية والقميص والسروال بأشكالها المختلفة.

أولا ـ لبـاس البــدن :

١ ـ **الكسا** :لقد لبست المرأة في المغرب الإسلامي لباس خاص بها يعرف عموما بالكسا، ولكنه عرف بعدة أسماء منها :

* **العبـاءة ـ الحايك ـ الجلابة** : تداولت في المصادر ألفاظ متعددة لمعرفة أنواع لباس المرأة التي كانت شائعة في الفترة الممتدة ما بين القرن السادس إلى غاية التاسع الهجري الثاني عشر إلى الخامس عشر الميلادي،وتعدد هذه التّسميات، يرجع إلى الوظيفة التي يؤديها هذا الشكل من اللباس في تغطية جزء أكبر من أعضاء الجسم [١].

كان لباس المغربيات عبارة عن كساء[٢] من الصوف أو الأزار[٣] أو الحايك[٤] الذي يستعمله الرجال والنساء على حد سواء، وكل شيء تتغطى به النسوة فقد التحفت به[٥]،واستعملت الكلمة أيضا للإشارة إلى ستار للمرأة تغطي به كامل وجها عند خروجها كما هو الحال في المشرق[٦].

---

(١) هناك دراسات حديثة حول الملابس المغربية منها: صالح بن قربة: مقدمة لدراسة الملابس المغربية، **مجلة تاريخ المغرب العربي**، عدد ١٤، ٢٠٠٠، ص ص ٤٣، ٥٨. وينظر أيضًا،

Ariè (R) : " quelques remarques sur le costume des Musulmans d'Espagne au temps des nasrides ", in **ARABICA**, T, XII, 1965.pp 16 – 32.

(2) Dozy (R): **Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes**, Amsterdam, 1845, p383.

(٣) إزار أو أزر بمعنى غطى، والإزار يعني الملحفة ، ابن منظور: م س، ج٤، ص ١٦.

(٤) أمّا الحيك : فهو خشن وغليظ ، ابن منظور: م س،ج٩، ص ٣١٤.

(5) Dozy (R) : Ibid, p 401.

(٦) البكري:م س، ص ١٠١، ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ٨٤، الإدريسي: م س،ج١، ص ٢٢٨، المازني: م س،و ٢٦٢، الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٩٦.

والملاحظ أن الحيك لها نفس معاني الكسا والملحفة والأزار[١]،ولكن لم تتداوله المصادر إلا في القرن السابع هجري/ 14 م، أي بعد العصر الموحدي، فيذكر ابن القطان أنهم كانوا يرفعون " أزرهم وأكسيتهم وأرديتهم ونحو ذلك " [٢].

وقد وصف لنا المازوني طريقة ارتداء الكسا فيقول:" إن زي النساء الالتحاف بالكساء، ودون نقاب من كتاب ولا غيره، وإنما يسترن وجوهن بطرف من نفس الكساء بأيديهن"[٣].

ويذهب الالتباس حينما يذكر أحد الباحثين أن ما وصفه المازوني يقصد به الحيك [٤]، والأرجح عندنا أن المقصود هو الكساء نفسه .

كما ورد مرمول أن " لباس نساء حاحا ـ بمراكش ـ يلبسن الحيك"[٥]،وأن المرأة بالمغرب الأوسط ترتدي حيك ذا لون أبيض [٦].

وجرت العادة أن بعض النساء التونسيات عندما تغادر منزلها ترتدي رداء أبيض اللون، وهو لباس الحضريات أكثر من البدويات، ومع ذلك نجد استثناءات، فالمرأة البدوية كانت تتأنق بوضع رداء على الكتف[٧]، وشبه الوزان رداء الذي ترتديه التونسيات الحضريات، بالرداء الذي تتلحف به التلمسانيات خصوصا من الطبقة الغنية يقول:" كن يسرن في الأنهج وهن يرتدين ملابس بيضاء واسعة "[٨]. وربما أن الرداء الأبيض هو نفسه الذي لا يزال مستعملا لدى بعض نساء المغرب العربي حتى الآن.

وتتنوع المادة الخام التي تنسج منها الكساء، ويأتي في مقدمتها الصوف والكتان والقطن والحرير والديباج،أو مزيج من الحرير والقطن أو الحرير والصوف[٩]،ويبقى هذا الأخير من أهم مادة ينسج منها الكساء .

---

(١) ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة** ، جزء ٣، ص ٣١٤.

(٢) ابن القطان : **نضم الجمان،** ص ١٦٨، مجهول: **الحلل الموشية،** ص ٢٧.

(٣) المازوني، م س،ج١، ص ٢٦٢.

(٤) لسنا ندري على أي أساس علمي ووظيفي اعتبر الباحث الدكتور حساني مختار بأن " الحيك" هو من مخلفات التراث الرّستمي مع العلم أنه لا توجد مصادر تؤكد ذلك؟ . ينظر، حساني مختار:م،س، ص ١٧٥.

(٥) مارمول كربخال: **إفريقيا،** تر محمد حجي، محمد الأخضر، الرباط، ١٩٨٨، ج٢، ص ٧.

(٦) نفســه ، ج٢، ص ١٣.

(٧) الوزان ، م س، ج١، ص ٧٤.

(٨) نفسه، ج١، ص ١٠٨

(٩) الإدريسي: م س،ج١،ص ص ٢٢٤، ٢٢٥، الحميري:م س،ص ٣٣٠ ، البكري: م س، ص ص ١٧٩، ١٨٠،العمري: **مسالك الأبصار،** ص ٩٨، ابن خلدون: **المقدمة،** ص ٧٧٦.

ويتميز الكساء بأنه لباس للغنية والفقيرة، فنجد الكساء الغالية الثمن المتخذة من رقيق الصوف، والمتميزة بالنعومة، واشتهرت بإنتاجها بلاد السوس [١]، ووجدت حيث حملت اسم الأكسية العبيدية [٢]، وكذا سجلماسة وتادلا [٣]، واختصت تونس وتلمسان بإنتاج الأكسية المسماة السنساوية من الحرير والصوف معا[٤] وتلمسان امتازت هي الأخرى بإنتاج الأكسية المشهورة ومنها ما يعرف بثياب التلمساني[٥]، وينفرد الحموي إلى ذكر نوع آخر من الثياب لبسته التلمسانيات فيقول:" إن نساء تلمسان لبس الكنافيش وهي أنواع" [٦]، ويبقى هذا النوع غير معروف الأمر الذي يلزم الباحثين الاهتمام ، كما اتخذت بعض الأثواب المستوردة كالملف [٧]، وهو نوع من الثياب الصوفية الرقيقة، وهذا الإنتاج موجها للفئات الميسورة، أما العامة ، فاتخذت الكساء من الصوف الخشن، ذا نسيج غليظ من غير إتقان، فاتخذوه لباسا وفراشا[٨].

٢ ـ البرنـس [٩]:

هو كل ثوب رأسه منه [١٠]، يطرح على الكتفين، ويضح طرفاه للوقاية من البرد، ويبقى غطاء الرأس منسدلا على الظهر، ويستعمل في حالة الأمطار والبرودة الشديدة [١١]، وتميزت بلونها الأسود الداكن، ويذكر ابن خلدون لباس البربر أنه يتكون من " البرنس الكحل، ورؤوسهم في الغالب حاسرة، وربما يتعاهدونها بالحلق "[١٢]. ويشير الإدريسي أن زوجا من الأكسية والبرانس يساوي خمسين دينارًا ،وأقل وأكثر من غير أن يهتم بوصف شكلها [١٣]،ومثل الكسا كان البرنس

---

(١) الإدريسي: م س،ج١، ص ٢٢٧، الحميري: م س، ص ٣٣٠.

(٢) مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**،تح، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، البيضاء، ١٩٨٥، ص ص ١٧٠، ١٧٧، الحميري: م س، ص ٦٠٧.

(٣) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٣، ص ١٩٢، الوزان: **وصف إفريقيا** ، م س، ج١، ص ١٨٣.

(٤) العمري: م س، ص ص ٩٧، ٩٨.

(٥) نفســه، ص ٢١.

(٦) ياقوت الحموي: م س،ج٣، ص ١١٢.

(٧) مجهول: **الحلل الموشية**، ص ٢٧

(٨) ابن الزيات : **التشوف**، ص ١٢٦.

(٩) ابن منظور: م س،ج٨، ص ١٢٦.

(10) Doyz (R **) Dictionnaire** .., p73.

(١١) ابن خلدون : **تاريخه** ، ج٦، ص ١١٦

(١٢) الإدريسي: م س،ج١، ص ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(١٣) ابن الأثير: **الكامل**، ج١، ص ١٥٦.

لباس للمرأة والرجل [١]، وورد لفظ البرنس ضمن الهبات التي كان يشمل بها الخلفاء الموحدون أبناء الحكام السابقين، تألفا لهم [٢]، ويحدثنا ابن صاحب الصلاة عن مجموعة من الألبسة التي انتشرت في المغرب الإسلامي فيقول:" أنعم عليهم السلطان بالكساء (...) والبرانس والأكسية،(...)"[٣]،أما ابن خلدون فيذكر لباس البربر الذي يتكون من: " البرنس الكحل.."[٤].

يبدو أن البرنس هو لباس خاص كان شائعًا بالمغرب منذ القديم ولا زال على يوما هذا وهو لباس مشترك بين الرجال والنّساء .

٣ ـ الجبـــة:

وهي ضرب من مقلعات الثياب [٥]، كان يرتديه المتصوفة والزهاد[٦]، ويشمل بعض المتصوفات [٧]، وكان نشيج الجبة من الصوف الخشن [٨].

وأشار إليه مارمول في القرن العاشر هجري/ 16م بالأطلس الكبير[٩]، لدى بعض قبائل المغرب الأقصى، وهو يشبه البرنس التقليدي، وينتهي غطاء الرأس بضفائر من خيوط النسيج المفتولة، تفصل بينها شبه لوزات صغيرة وتزين جهة الظهر بأحزمة أفقية من الصوف الرقيق أو الحرير بألوان مختلفة، وأشكالها هندسية، مشكلة قطعة واحدة تتوسط ظهر البرنس [١٠]، وأصبح البرنس في بلاد المغرب الأقصى يعرف اليوم باسم " السلهام "[١١]، في حين احتفظ باسم البرنس فقي كل من تونس والجزائر.

---

(١) ابن الأثير: **الكامل**، ج١، ص ١٥٦.
(٢) ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة** ، ص ٢١٥، عبد الواحد المراكشي: م، س، ص ٣٠٢.
(٣) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج٥، ص ٢٠٣ .
(٤) ابن خلدون : **تاريخه** ، ج٦، ص ١١٦.
(٥) ابن منظور: م س،ج١، ص ٢٤٢.
(٦) ابن الزيات : م س، ص ٢١٦.
(٧) نفســه ، ص ١١٢.
(٨) نفســه، ص ٢١٦.
(٩) مارمول: م س، ج٢، ص ٦.
(10) Gabriel (R) **Le Coustume au Maroc**, Edit,Boccard, Paris, 1938, p 10,11.
(١١) ينظر، الصورة رقم.... من الملحق ، ص ...

٤ ـــ **الحنبــــل** :

هو نوع من الزرابي[١]، انفرد ابن ناجي في التحدث عن الحنبل عندما أشار إلى امرأة عليها نضف حنبل وتحته فوطة [٢]، لا ندري إن كان هذا الاستعمال رسميًّا وعاديًّا أم أن الظروف حتمت ذلك، وفي الحالة الأولى يجب إعطاء تعريف آخر لهذا " الحنبل " واعتباره كلباس .

٥ ـ **القميص ـ الفتوحية** :

وهو يلبس فوق السروال، وكان يصنع من أقمشة رقيقة [٣]، كما كانت ملابس نساء العصر المرابطي تتضمن قميصا يسمى الفتوحية[٤]، وأشار البيدق استنكار ابن تومرت عند حلوله مدينة بجاية بالمغرب الأوسط سنة 511 هـ/1117م ما وجد بها من الثياب المتشبه بزي النساء، فنهى الناس عن لباس الأقراق الزرارية،وعمائم الجاهلية، ولباس الفتوحيات، ويقول:" لا تتزيوا بزي النساء، لأنه حرام "[٥].

وإن كنا لا نعرف شيئًا عن أشكال القمصان، التي ترجع إلى تلك الفترة، ولكن يبدو أن أكمامها تتميز بالاتساع، وألوانها إمّا أسود أزرق[٦]،وقد استعمل القميص في العصر الحفصي ـ الزياني اللاحق لتلك الفترة كأحد الملابس فيس جهاز العروس، وهو ما كان يعده أحد شيوخ الإمام ابن عرفة لتجهيز ابنته [٧]، ووصفه الوزان لدى البدويات كل من تلمسان وتونس فقال : "وهو قميص أسود واسع الأكمام، يجعلن فوقه خمارًا أسود وأزرق يلتحفن به ويجعلن هدبه على أكتافهن "[٨].

---

(١) الزربية تعرف أيضًا بالبساط، هي كل ما يفرش على الأرض وجمعها الأبسطة، جاء ذكر مصطلح البساط في القرآن الكريم في قوله تعالى: " **وزاربي مبثوثة** " الآية ١٦ من **سورة الغاشية** ، وقد أشار ياقوت الحموي في النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي عن وجود زربية محكمة الصنع في نواحي مدينة تبسة في شرق الجزائر فقال :"يعمل بها بسط جليلة محكمة النسيج يقيم البساط منها مدة طويلة " ، **معجم البلدان** ، ج٤، ص ٣٧٨.

(٢) ابن ناجي: معالم الإيمان ، ص ١٣٥.

(٣) الأبي : **إكمال الإكمال،** ج٧، ص ٤١١.

(٤) البيدق: **أخبار المهدي بن تومرت،** ص ١٣، **ابن القطان**: نظم الجمان، ص ٩٣.

(٥)البيدق: ن م ، ص ١٣.

(٦) الوزان: م س، ج١، ص ٦١.

(٧) الأبي: م س، ج٧، ص ٤١١.

(٨) الوزان: م س، ج١، ص ٦٤.

٦ ـ السـروال :

وهـو مشـتق مـن الكلمـة الفارسـية (شـلوار) [١]، وكـان يسـتعمل للرجـال والنساء[٢]،ولقد اختلفت أشكاله فهو أحيانا ضيقا ويصل إلى القدم وأحيانا واسعا، ويبـدو أن الدولـة تـدخلت فـي تحديـد أشـكالها، فعنـدما تـولى الفقيـه ابـن العجوز[٣]،قضـاء مدينـة خـاص، حث أهلهـا بلـبس السـراويل بـأمر مـن الأمير تاشفين بن علـي، وعلـق القاضـي عيـاض علـى ذلـك منوهـا بأعمالـه فـي القضـاء قائلا:" فسن في القضاء سننا، وجعلهم ـ أي سكان فـاس ـ يلبسـون السـراويلات نساء ورجالا، ولم يكونوا يلبسونها قبل، وسار بأحسن سيرة " [٤].

ولاشك أن نقل هذه العادة ستتحكم في شكل السروال، فلن يتجـاوز طولـه حد الكعبين، لزاما بالآداب الإسلامية فـي اللبـاس لقول الرسول صـلى الله عليـه وسلّم:" لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء " [٥].

وإذا لم يكن السروال منتشرا بشكل واسع فـي العصـر الموحـدي [٦]. فـإن لبسه أصبحت عادة في العصر اللاحقة، ويذكر الوزان " أن النساء الحضـريات عند خروجهن من البيت يلبسن سراويل طويلة تستر كل سيقانهن" [٧].

٧ ــ الألبســة والمنسوجات الحريرية :

أمّـا فيمـا يخـص الألبسـة الحريريـة فمعلوماتنـا عنهـا قليلـة، ومنهـا حـزام الحرير وكان يشد لباس النسـاء فـي الوسـط [٨]، ومنهـا الألبسـة الحريريـة كثيـرة لدى الطبقة الحاكمة والتي كانت

---

(1) Dozy (R) **: Dictionnaire** …, p 204.

(2) Ibid , p297.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الكتـامي، فقيـه وقـاض جماعـة فـاس، أنظـر ترجمتـه، ابـن القاضي : **جذوة المقتبس**، ج١ ص٢٥٢، ٢٥٣، رقم ٢٥٦.

(٤) القاضي عياض: **ترتيب المدارك** ، ج٨، ص ص ١٧٤، ١٧٥.

(٥) ابن أبي زيد: **متن الرسالة** ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، مطبعـة فضـالة ، المحمدية، ١٩٨٤، ص١٣٧.

(٦) ابن الزيات : **التشوف**، ص٣٨٦ .

(٧) الوزان : م س، ج١، ص٢٥٢.

(٨) الأبي: **إكمال الإكمال**، ج٧، ص٤٠٦ .

محلاة بالذهب[١]،وتحدث ابن خلدون عن وجود الألبسة الحريرية المغشاة بالذهب في جهاز الأميرة الحفصية فاطمة زوجة ولي العهد المريني أبي الحسن[٢].

ثانيا : أغطية الرأس :

وفيما يخص أغطية الرأس التي انتشرت في بلاد المغرب الإسلامي فترة دراستنا بالنسبة للمرأة منها:

١- العصابة:

من التقاليد القديمة عدم كشف شعر المرأة المرابطية[٣]،وهي تستعمل لتغطية شعرها عدة لوازم، ومنها"

أ ـ سنم الجمل [٤]:

إن هذا الغطاء عبارة عن قطعة من النسيج الرقيق طوله نحو ذراع، تعصب به المرأة رأسها، ويلتف ليرتفع على شكل سنم الجمل بنحو ربع ذراع، ويزخرف بالذهب واللؤلؤ، وغيره من الأحجار الكريمة[٥]،واشتهرت به المرأة المرابطية ،وما زالت نساء التوارقيات تجمعن شعورهن فوق رؤوسهن بشكل السنم[٦].

ب : الصوقعة :

وهي خرقة تغطي بها المرأة رأسها كي تخفي رأسها من العلل كإصابتها بسقوط الشعر والقرع[٧].

---

(١) أورد ابن خلدون بعضا من الثياب الرفيع المعروف في بلاد المغرب الإسلامي، ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذّهب ملونا وغير ملّون ، وأشار أيضا إلى وجود دور الطراز خاصة لدى سلاطين الموحدين، **العبر**، م٧ ، ص٥٥٢، ٢٦٧ ولا يستبعد وجود هذه الدور في كل من حواضر تونس، بجاية، وتلمسان...

(٢) **العبر**، ج٧ ،ص٣٣٤ .

(٣) اتهمت المرأة المرابطية بالسفور وكان من الأمور التي نقمها الموحدون على المرابطين...، ولكن ذلك لم يكن سائدا في كل أرجاء البلاد، ينظر البيدق: م س، ص ١٢، ٢٢، ٢٥.

(٤) ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص ٢٥٩.

(5) Dozy (R) **: Dictionnaire**, p239.

(٦) ينظر لوحة رقم.... في الملحق .

(٧) الزجالي: **أمثال العوام**، ج٢، ص ٤٥٤، المثل رقم ١٩٧٤.

جـ ـ شاشية سلطانية :

يذكر الوزان هذا النوع الذي يتكون من شريط قماش من الصوف الأسود المحلى ومطرّزة بخيوط الذهب، شكل هذه الشاشية أسطواني مرتفع يحمل زخارف فاخرة ويوضع على الرأس كالتاج(١)،وهو قليل الاستعمال.

٢ ـ الخمـــار :

هو الذي تلبسه المرأة لتختفي به عن أعين الناس من غير المحارم، ولقد استنكر ابن تومرت سفور المرأة الصنهاجية وقد اعترض ابن تومرت موكب أخت الأمير علي بن يوسف ومن معها من الجواري مستنكرًا كشفهن عن وجوههن، فأمرهن " بستر وجوههن وضرب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت الأمير عن دابتها"(٢) ومنذ بداية عهد الموحدين فرض الحجاب على نساء الغرب الإسلامي،فبدأ تطبيق لبس الخمار، ويبدو أن هناك عدة أنواع في طريقة لبسه وتسميته، وهي:

أ ـ الكنبوش :

هو برقع يغطي به الوجه، وهي مشتقة من الكلمة الإسبانية CAMBUSE، التي تعني قناعا أو حجابًا لتغطية الوجه، وكان منتشرًا في عصر الونشريسي (٣).

ب ـ البرنـــس :

وله وظيفة أخرى، تتمثل في غطاء الرأس والوجه، ففي عهد عبد المؤمن بن علي خرجت النساء مصطحبات أزواجهن للجهاد في الأندلس " فكن يسرن مفردات عليهن البرانس السود، ليس معهن غير الخدم ومتى قرب منهن رجل ضرب بالسياط"(٤)، يبدو أن هذا النوع من لباس الرأس يستعلم في حالات استثنائية، كالحرب مثلا .

جـ ـ السفساري:

تلبسه المرأة الحضرية لتختفي به عن أعين الناس من غير المحارم (٥)، وكانت تضعه

---

(١) الوزان: م س،ج١، ٥٢.
(٢) ابن خلدون: **تاريخه** ، ج٦، ص ٣٠٣.
(٣) الونشريسي: م، س،ج٣، ص ص ١٠٠ ، ٣٤٩، ٣٥٠.
(٤) ابن الأثير : **الكامل**، ج١١، ص ١٥٦.
(٥) الوزان: م س،ج١، ص ٧٤.

على عصابة عريضة جدًا تعصب بها جبهتها، بحيث يبدو رأسها وكأنها " رأس عملاق"[١]، وكان السفساري منتشرًا في تونس، وتلمسان وفاس . وكان لونه أبيض .

د ـ التلمساني [٢]:

تلبسه المرأة التلمسانية، وهو خاصة من اللون الأبيض، وإن اسمه يدل على أنه كان يلبس على الرأس،وليس في البدن، والقماش التلمساني نوعان: مختم وغير مختم منها صوف خالص ومنها صوف حرير[٣].

هـ ـ الشـــامي [٤]:

وهو خمار من طراز نساء بلاد الشام، يغطي الرأس وسائر الجسم ويغطي الوجه قطعة من قماش كتاني، بحيث لا يبقى سوى العينان مكشوفتان، وهو لباس الفاسيات .

وفي الأخير، نستنتج أن هذا النوع من الأغطية تبقى معانيها غامضة ?،كما أننا لم نستطع تحديد أنواع أقمشتها، هل هي من قطع حريرية، أم كتانية أم صوفية،ولم نعلم سبب استعمالها، وماهي المناسبات التي يكثر فيها ارتداؤها ؟.

ثالثا : لباس القدميـن :

ماذا كانت النساء تضعن في أقدمهن ؟ يبدو وأنهن يتحدون بأنواع مختلفة، ومنها القرق، وكلها مصنوعة من الجلد.

١ ـ القـرق:

نوع من النعال[٥]، شاع استعماله في مدن المغرب والأندلس، ويعرف صانعها بالقراق[٦]، وقد نهى ابن تومرت وهو في بجاية، الناس عن لباس نوع من الأقراق المعروفة بالزرارية[٧].

---

(١) الوزان: م س، ج٢، ص ٧٨.
(٢) الزهري : م س، ص ٩٨.
(٣) العمري: م س، ص ٢١.
(٤) نفسه، ج١، ص ٢٥٢.
(٥) هو نوع من فراش الجلد أو نحوه توضع فوقه القدم، ويشد إليها بواسطة شريطين من الجلد، يمر أحدهما وسط الرجل، والآخر بين الأصبع الأكبر والثاني الذي يليه ، أنظر ابن عذاري: م ، س، ص ٦٨. ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص ١١٧ ، ص٢٨٣، الوزان: م، س،ج١، ص ٣٥٨، ٣٦٨.
(٦) ابن القطان: م، س،ص ٢٦٨.
(٧) البيدق: **أخبار المهدي ابن تومرت**، ص ١٣.

ولسنا ندري معنى الكلمة ودلالتها وطريقة الاستعمال وهل تواصل استخدامها في الفترات التالية لعصر الموحدين؟ ولماذا اختص هذا النوع من اللباس لدى الذميات دون غيرهن ؟، كما أشار الوزان إلى وجود سوق خاص ببيع الأقراق بمدينة فاس [١].

٢ ـ الخــف :

هو ما يلبس في القدمين إلى الكعبين، وقد يطول إلى نصف الساق، أو يقترب من موضع الركبتين، سواء كان متخذا من جلد أو صوف، أو كتان أو غيره[٢] . لقد كانت النسوة تلبس هذا النوع[٣]، ولقد تناولت كتب النوازل، في باب نوازل الطهارة، موضوع خاص بإيجاز أو عدم إيجاز المسح على الحف [٤]، وحسب المذهب المالكي، فإنه لا يصح ذلك[٥].

وتفننت نساء مدن تونس وتلمسان وفاس من الفئات الميسورة ، في اتخاذ الأخفاف المطرزة[٦]. ويشير الوزان إلى وجود سوق الأخفاف بمدينة فاس [٧].

٣ ـ القبقـــاب :

استعملت المرأة القبقاب، وعلى الرغم من أنه لدينا معلومات عن أشكاله في العصر الموحدي، ولكننا نستطيع أن نتعرف عليه من خلال النماذج الموجودة بمتحف الفن الإسلامي بالجزائر والتي يرجع إلى العصر التركي [٨]، فالقبقاب كان يصنع من الخشب وله قوائم مرتفعة، يصل علوه على ٤ و ٩ بوصات(البوصة مقياس قديم يساوي ٢٧ ملم) ، ويرصع بالصدف أو العاج والجواهر[٩]، ويبدو أنه لباس أندلسي انتقل إلى المغرب، مع جالية أندلسي[١٠]، تمت الإشارة إليه في أمثال العوام الأندلسيين فيقال:" أزهق من قبقاب الجبس"[١١]، وفي ذلك تلميح إلى

---

(١) المازوني: **الدرر المكنونة**، ج١، و٣٥.

(٢) ابن أبي زيد: م س،ص ٦٩.

(3) Dozy (R): **Dictionnaire** , pp 157,158.

(٤) الونشريسي: م س،ج١، ص ص ٧٠، ٧١، ٧٢.

(٥) نفســه، ج١، ص ٧٢.

(٦) الوزان: م س،ج١، ص ٢٥٤.

(٧) نفسه ، ج١، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(٨) أنظر اللوحة رقم في الملحق

(9) Dozy (R) **Dictionnaire**,p347.

(١٠) الوزان،م س،ج٢، ص ٢٤٣.

(١١) الزجالي: م س،ج٢، المثل رقم ٥١٣، ص ١١٥.

صعوبة حفظ لابسي القبقاب لتوازنه أثناء المشي، مما يفيد شدّة علوه عن الأرض وكان بعض الرجال يلبسون القبقاب حتى في الشارع، وقد أفادنا ابن قنفد أنه:" فقد لباس قدميه بهذه المدينة،وجاؤوا له بقبقاب" [١]، ثم صارت من مستحدثات العصر الوسيط ،فقد انتعل أعيان مدينة فاس قباقب للوقاية من الأزقة الموحلة ، وتنافسوا على اقتنائها رغم ارتفاع أسعارها، وتميزت بجودتها [٢]، كما أصبحت النسوة تتخذها للزينة في الأفراح والزواج، خاصة المصنوعة من الفضة [٣]، وقد جوّز الفقهاء للمرأة استعماله .

٤ ـ خرق الصوف والحبال:

كانت نساء العامة ،خصوصا تلف أقدامها وسيقانها بخرق الصوف مشداودة بخيوط من الحبال [٤]،تحميها من البرد وقساوة الجو [٥]، فيما كانت ظاهرة الحفاء منتشرة عند البدويات ، ولدى النساء المعوزات [٦].

---

(١) ابن قنفد: **أنس الفقير وعز الحقير**، ص ص ٧٧،٧٨.

(٢) الوزان : م س،ج٢، ص ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) الآبي: **إكمال الإكمال** ، ج٧، ص ٣٧٠.

(٤)الوزان: م س، ج١، ص ١٤.

(٥) نفســه، ج١، ص ١٤١

(٦) نفسه،ج١،ص ص ١٥٣، ٣٥٩، ينظر كذلك ابن الزيات، **التشوف**، ص ص ٢٩٧، ٢٩٨.



الفždǨ الثانɿÆ

الƮƖÆ

١ ـ التždlباƟ

č ـ الأقراNj

Ď ـ القÊYlƟ والتقوY

ď ـ الأساور

Đ ـ الƲواتم

đ ـ الƲÊخǨ

Ē ـ الأبازيم

تمهيــد:

لقد وردت لفظة الحلي في بعض الآيات القرآنية منها قوله تعالى:" وما يستوي البحر إن هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها "[١]. ويفهم من الآية الكريمة أن المقصود بالحلي هو ما يستخرج من البحر كالآلي والمرجان والأصداف البحرية، وفي آية أخرى يقول تعالى:" أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زيدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأمّا الزبد فيذهب جفاءًا وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال "[٢]،والمقصود من هذه الآية الكريمة هو التحلي ما يستخرج من الأرض من معادن كالذهب والفضة والجوهر .

فضلاً عما ذكرته المصادر التاريخية لبعض القطع، وإن كان وصفها ليس دقيقًا لأنه ليس من السهل رؤية هذه التحف، لأنها كانت محفوظة في خزائن[٣]، أو لأنها كانت لدى الأميرات فزينب النفزاوية، امتلكت الكثير من الذهب والجواهر والياقوت[٤]،وكذا الأميرة الحفصية ، وأن ما كسبوه ليس من مصادر لها دراية بصناعة الحلي والجواهر، والقطع التي ترجع لفترة دراستنا كثيرة، وذلك يعود إلى أن الحلي تصنع من المعادن والجواهر[٥]، ويعاد سبكها وأن قيمتها تبعث على التصرف فيها وقت الأزمات [٦]، أو تقوم بعض الأميرات بأعمال خيرية وإحسان فتقدم ما تملكه من المجوهرات من أجل بناء مسجد أو مدرسة مثل ما قامت به زوجة يعقوب المنصور الموحدي، ببيع حليها من الذهب والجواهر والفضة بغرض صنع ثلاث تفاحات ذهبية

---

(١) الآيـة ١٢ **من سورة فاطر**.

(٢) الآية ١٧ **من سورة الرعد.**

(٣) اعتمد الأستاذ هنري تيراس من خلال دراسته لبعض حلي المغرب الأقصى مع بداية القرن العشرين على بعض التحف المحفوظة بأحد متاحف مدينة بلنسية - Valencia - الإسبانية، التي تعود إلى العهد الموحدي، وعهد دولة بني نصر، كشواهد مادية لبعض الحلي من مخلفات العهدي الموحدي والناصري، ينظر:

Terrasse(H) :" notes sur l'origine des Bijoux du sud Maronain", **Hesperis**,1930,T11, p128.

(٤) ابن عذاري، م س، ج٤، ص ١٨.

(٥) عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص ص ٣٦٤، ٣٦٥، ٥٠٩.

(٦) اعتادت المرأة على أن تتصرف بحليها في أوقات الشدة، وهذا التقليد ما زال شائعًا إلى يومنا هذا، وفيه يقول المثل: "الحدايد للشدايد".

تزين بها صومعة مسجد الكتبية [١].كما بنت الأميرة الحفصية مدرسة بعدما باعت حليها الثمينة[٢].

والظريف في هذا الموضوع أن ظاهرة استعارة الحلي من الأقارب كانت موجودة، وقد تسببت في مشاكل تنشأ عند ضياع الحليّ والتردّد في إرجاعه أو أحيانا إنكاره تماما. ويذكر التنبكتي أن:" أحد قضاة بجاية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي تحاكمت عنده يوما امرأتان ادعت إحداهما على الأخرى أنها أعارتها حليا وأنها لم تعده إليها وأنكرت، الأخرى فشدد على المنكرة ، حتى اعترفت وأعادت الحليّ" [٣] .

وهذا يدل على الحب الشديد للحليّ لدى المرأة، كيفما كان انتمائها الاجتماعي، وعلى إخلاف قيمة الحليّ .

بدأت المرأة بالمغرب الإسلامي ـ فترة دراستنا ـ تتحلّى باللؤلؤ والمرجان مخاصات البحر المتوسط والمحيط الأطلسي [٤] وتضع الأقراط والخلاخيل والسوار والعقود[٥]، وفي العصر الموحدي تطورت ملابس النساء تطورًا محسوسا عمّا كانت عليه سابقا فاتخذت سيدات الطبقة الحاكمة لغطاء الرأس ـ البرنس ـ المنضد بالجواهر والمحلى بالسلاسل الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة[٦].

فما هي إذن الحليّ التي كانت تتباهى بها النّساء ؟

تعددت أنواع الحليّ التي عرفتها المرأة في بلاد المغرب الإسلامي، منها ما كان للأذنين كالقراطين ، أو ما يوشح الصدور كالعقود والقلادات ومنها ما يزين الأيدي كالخواتم والأساور، أو ما تزين به المرأة قدميها كالخلخال [٧].

---

(١) الوزان: م س، ج١، ص ١٣٠.

(٢) ابن قنفد : **الفارسية** ، ص ١١٧.

(٣) التنبكتي : **نيل الابتهاج،** ص ١٥٦.

(٤) تحدث الإدريسي هن أحجار كثيرة ذات ألوان شتى وصفات مختلفة، يتنافس الناس في أثمانها ويتوارثونها بينهم، وتوجد في ساحل المحيط الأطلسي، ومن هذه الأحجار نوع يسمى " حجر البهت(...) ويباع في بلاد لمتونة ، **نزهة المشتاق،** ج١، ص ١٠٤.

(٥) الوزان، م س،ج ٢، ص ١١٣

(٦) الإدريسي: م س،ج٢، ص ٥٢٩، ابن عذاري : م س، ج٤، ص ١٨.

(٧) فيما يتعلق بأنواع الخلي التي استعملت في بلاد المغرب الإسلامي، ينظر،

Marçais(G): **Les Bijoux musulmans de la Afrique du nord, les conférences visites au musée Stéphane Gsell**,1956-1957, Alger,Imprémerie officielle, pp 4- 41.

١ ـــ **العصابات** [١]:

ما يوضع على الجبين:لقد كانت نساء المغرب عصابات مرصعة بالجواهر،ولبربريات تونس وتلمسان وفاس عصابات ذهبية وفضية [٢].

٢ ـــ **الأقـــراط** :

ولبس الأقراط في الأذن، يعتبر عادة قديمة، عرفها العرب والبربر، والقرط بصفة عامة يتخذ شكل حلقة أو دلاية [٣].

أما الأقراط التي شاع استعمالها في المغرب الإسلامي، تختلف حجما، ونوعية وشكلا حسب المنطقة التي تنتمي إليها المرأة، وحسب إمكانياتها المادية، وحسب المناسبات، وكانت نساء الأعيان تضعُ أقراطا كبيرة من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة [٤]، واتخذتها المرأة المتوسطة الحال من الفضة [٥]، واكتفت نساء العامة باستعمال أنواع مصنوعة من الحديد والنحاس[٦].

وقد ذكر الشاعر ابن الصبان المهدوي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) مادح صاحب سوسة تحدّث عن امرأة هلالية جميلة كانت تلبس قرطين تدليا على رقبتها الطويلة حتى بدا القرط صغيرًا يشبه النقطة السوداء المسماة بالخال، وقال في ذلك:

بعيدة مهى مجال الشنوف وفي جيد أحوى بدا القرط خـلا [٧].

وأضاف الأستاذ هنري إدريس أن الحليّ التي كانت موجودة في العهد الزيري، تواصل وجودها في العهد الحفصي، وهي " الأقراط المتعددة الفصوص"[٨]...

---

(١) توضع عادة فوق الجزء المتدلي من منديل الرأس على الجبين وما زالت النساء الريفيات تضعن عصابات من الثوب العادي على جباههن إلى يومنا هذا.

(٢) عصابة من فضة منقوشة، توضع فوق النازل على الجبين من منديل الرأس .ينظر،

Art de la Coiffure traditionnelle, au Musée Nationale du Bardo, Institut National du Patrimoine 2000, pp 3,24

(٣) عبد الرحمن زكي: **الحليّ في التاريخ والفن**، من سلسلة المكتبة الثقافية عدد١٢٦، القاهرة ،١٩٦٥، ص ٤٩.

(٤) الوزان:م س، ج١، ص ٤٠١.

(٥) نفسه ، ج١، ص ٢٥٢.

(٦) نفسه ، ج١ ، ص ص ١١٠، ٣٥٩.

(٧) الوزان: م س، ج١، ص ٤٠١.

(٨) إدريس : **الدولة الصنهاجية** ، ج٢، ص ٤٣٨.

أما في تلمسان، فلم تقتصر الأقراط على المرأة، بل شملت الرجال أيضا [١]،في حين أن التطوانيات كانت تضع في أذنيها أقراطًا ضخمة من فضة،أو تضع أربعة منها في كل أذن[٢].وكانت نساء بني بستوتين (بالمغرب الأقصى) يضعن أقراطا من جديد [٣].

٣ ـ القلادات والعقود :

وهي السلاسل توضع في أعناق النساء وهي أنواع للطويلة والقصيرة ، وكانت الدكاليات يضعن في أعناقهن قلادات من عقيق في الغالب ما كان أحمر اللون [٤]،والعقد في الغالب يتكون من حبات صغيرة ربما تكون من اللؤلؤ ومن الجواهر الأخرى،ولقد صور العقد في بعض التصاوير الموحدية وكان أحيانا عبارة عن حبات مختلفة الألوان من الذهب والجوهر تتدلى منه عدة دلايات من الذهب [٥].

٤ ـ الأســـــاور :

من حليّ المعصم، أنها مصنوعة من الذهب والسوار عبارة عن قطعة واحدة مجوفة ومزينة بمثلثين متقابلين بهما أفرع نباتية ملتوية [٦]،وكانت الأساور تصنع من الفضة وتحلى بالأحجار الكريمة، كما كانت تصنع من العنبر أو اللؤلؤ وتحلى بفصوص من الذهب،ووضعن عدة أساور في كل ساعد،وأحيانا يكتفين بإسورة واحدة، وفي هذه الحالة يصل وزن سوار واحد إلى مثقال، وهو ما يعادل ٣٥٠ غراما [٧]،أمّا المرأة المتوسطة الحال والفقيرة، فقد اتخذتها من الفضة والحديد[٨].

وغالبا ما كانت ترتدي المرأة التلمسانية الغنية أساور من الذهب، في حين تكتفي المرأة

---

(١) الوزان: م س، ج١، ص٤٠١.
(٢) نفســه ، ج١، ص ١١٠.
(٣) نفسه ، ج١، ص ٣٦٠، وقد عادت هذه العادة في زمننا هذا، وأصبحت من الموضة أن تستعمل النساء أربعة أقراط في أذن واحدة .
(٤) الوزان: م س، ج١، ص ١٥٣.
(٥) ابـن عـذاري: **البيـان المغـرب**، ج٤، ص ١٨ ، الونشريسـي: م س ، ج٣،ص ص ١٠٠، ٢٤٩. الوزان: م س، ج١، ص١٣٠.
(6) Eudel (P): **L'Orfèvrerie Algérienne et Tunisienne**, Alger, a Jourdan, 1902, pp 2 , 16.
(٧) الوزان: م س، ج١، ص٢٥٢.
(٨) نفسـه، م س، ج١، ص ص، ٤٦، ١٨٥، ٢٥٢، ٢٩٤.

التي تنتمي إلى بقية الطبقات بالأساور الفضية [١]. أمّا الفاسيات الموسرات فقد زين معاصمهن بأسوار من ذهب، بينما الفقيرات اتخذتها من فضة.

٥ ـ الخــواتــم :

وشاع استعمال الخواتم الذهبية والفضية المحلاة بالفصوص أو من معدن آخر، ولم تقتصر على المرأة فقط، بل شملت الرجال، ممّا أدّى بالفقهاء إلى إصدار الفتوى تمنع الرجال التختم بالذهب [٢]. وتعد الفضة الأكثر استعمالا في الخواتم لدى الخاصة والعامة [٣].

أمّا الحاحيات الفقيرات ونساء " بني يستوتين " بالمغرب الأقصى فقد اتخذنها من نحاس أو حديد [٤] .

٦ ـ الخـلاخل :

لفظة عامة تطلق على ما يلبس في الساق من حلي[٥]، واتخذت من الذهب والفضة والحديد حسب المكانة الاجتماعية للمرأة [٦].كانت نساء المغرب الإسلامي ترتدي الخلاخل سواء من ذهب أو فضة حسب انتمائها للطبقات الاجتماعية،وقد أشار إلى ذلك الونشريسي عندما ذكره لنساء تلمسان [٧]. وذكر الوزان أن نساء فاس الفقيرات كانت تتزين بالخلاخل الفضية أو الحديدية [٨].

وكانت النسوة المتزوجات في بلاد المغرب الإسلامي تملك تقريبا الخلاخيل، لأنها تدخل ضمن الصداق والذي يقدمه الزوج لعروسته [٩]، وأيضا من الهدايا التي يتحف بها الزوج عروسته بعد أن يدخل بها، وتدعى هذه العادة بـ " حل السراويل "، حيث يقال: " فلان صبح زوجته بكذا "[١٠].

---

(١) الونشريسي: م س، ج٥، ص ٤٧.
(٢) الوزان: م س، ج١، ص ٤٠١.
(٣) نفسه ، ج١، ص ص ٦٤، ١١٠، ١٨٥، ٢٩٤، ٣٥٩.
(٤) نفسه ، ج١، ص ١١٠، ج١، ص ١٦٠.
(٥) ابن منظور: **لسان العرب**، ج١١، ص ٢٢١.
(٦) الوزان: م س، ج١، ص ص ٤٦، ١١٠، ٢٥٢، ٢٩٤.
(٧) الونشريسي: م س، ج٥، ص ٤٧.
(٨) الوزان: م س، ج١، ص ٢٥٢.
(٩) الونشريسي: م س، ج٣، ص ١٠٠.
(١٠) نفسه، ج٢، ص ١٦.

٧ ـ الأبـــازيم :

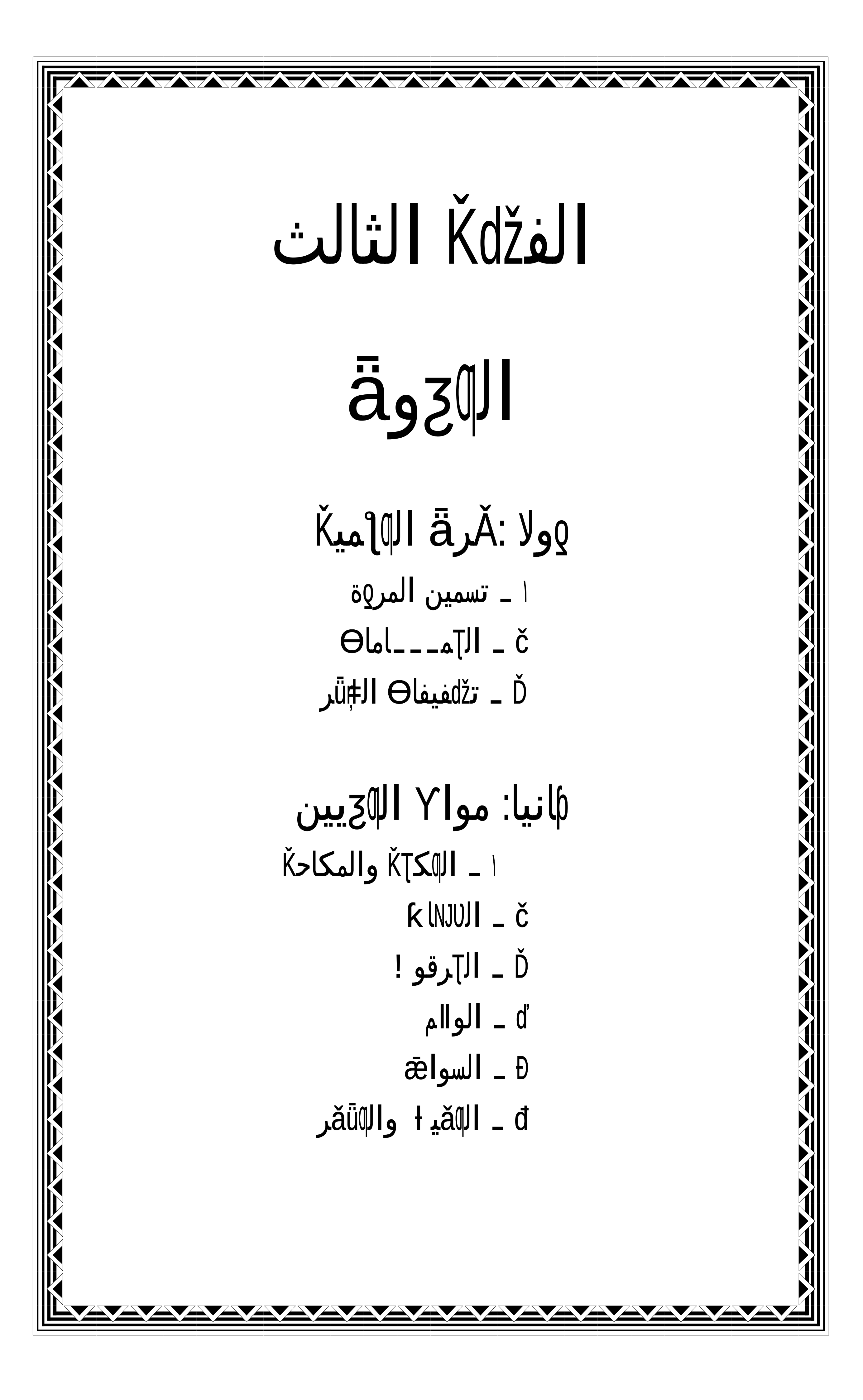
عبـارة عـن مشـابك اسـتعملت لشـد الملحفـة أو الكسـاء الطويـل بـالملابس الأخرى من جهة الأكتاف، كانت جل نساء المغرب الإسلامي تنحلين بالأبـازيم المختلفة من ذهب أو فضة أو معدن آخر[١]، وأشـار الـوزان إلـى أن نسـاء حاحـا كانت كثيرة استعمال الأبازيم من الفضة[٢] .

ولقد كانـت المـرأة المغربيـة ومـا زالـت حريصـة علـى العنايـة بمظهرهـا سـواء حضـرية أو بدويـة، وخصوصـا فـي الأفـراح أو المناسـبات، فاسـتعملت مجموعة من الحلي أغلبها من الفضة كما لاحظنا .

وعلى العموم يبقـى الـوزان المصـدر المغربـي الوحيد الـذي أفادنـا بـأنواع الحلـي التـي كانـت تسـتعملها نسـاء المغـرب الإسـلامي علـى اخـتلاف أشـكالها ومعادنـها .

---

(١) الونشريسي: م س ، ج٢، ص ١٦.
(٢) الوزان: م س، ج١، ص ١١٠.



الفždǨ الثالث

الɋʒوā

ǫولا: Ǎرā الɋʅميǨ

ا ـ تسمين المرǫة

č ـ الƮمـــاماϴ

Ď ـ تdžفيفاϴ الǂǊر

ǭانيا: مواY الɋʒيين

ا ـ الɋكƮǨ والمكاحǨ

č ـ الǈǇǊƙ

Ď ـ الƮرقو !

ď ـ الوالم

Đ ـ السواǣ

đ ـ الɋăيƚ والɋǖăر

تمهيـد:

لـم تـهمـل النسـوة الحضـريات الاهتمـام بأناقـة مظهـرهن، وقـد اتخـذ ذلـك أشكالا مختلفـة علـى مستوى طريقـة الاعتنـاء بأشكالهن وأجسـادهن. وربمـا أن التجمل طبيعي عند المرأة فإن النوازل تتحدث أساسا عن هذه الظـاهرة، مبيحـة بعض الأشياء ومحرمـة أخـرى، تـرى، مـا هـي مظـاهر الجمـال فـي المجتمعـات المغربية ؟ .

فقد عثرنـا علـى مسـألتين مهمتين كمقياس لجمـال وأناقـة المـرأة المغربيـة، واللتين أثارتا جدالاً لدى بعض الفقهاء، وتتمثل في أمرين هما:

أولا: طرق التجميل:استعملت المرأة المغربية عدة طرق للتجميل أهمها هي:

١ ـ تسمين المرأة :

لجأ المجتمع المغربي إلى عادة تسمين المرأة حتى يزيد حسنها وجمالهـا، ويكون ذلك بإكثارها من الأكل مـع ملازمـة الراحـة، وتبد هذه الناحيـة موجـودة فـي كامـل بـلاد المغـرب لأن ممارستها أحدثت إشكاليات عُرِضـتْ علـى الفقيـه المغربـي ابـن الحـاج (٧٣٧ هــ/١٣٣٦م) [١]،كمـا عُرِضـتْ فيمـا بعـد علـى الفقيـه التونسـي البرزلـي (٨٤١ أو ٨٤٣ هــ/ ١٤٣٧ ـ ١٤٣٩م) [٢]، والفقيـه التلمسـاني إبراهيم العقباني [٣] (٨٧١ هـ/ ١٤٧٠م). ويذكر ابن الحاج في إشارات قيمة حول الأساليب التي استعملتها النساء في سبيل المحافظة على جمالهن وعلى ضخامة أجسـادهن، مـن ذلـك ـ مثلا ـ مـا أشـار إليـه مـن " إفطـارهن فـي شـهر رمضـان المعظم وذلك أن المرأة إذا كانت مبدنة وتخاف أنها إن صامت اختل عليها حال سمنها فتفطر لأجل ذلك [٤].

ولـم يقتصـر هذا التصـور علـى المـرأة المتزوجـة فقـط، وقـد سـأل الفقيـه العقباني عن عادة إجبار الناس بنـاتهم الأبكـار علـى الإفطـار فـي شـهر رمضـان وجوابه هو الآتي:" وكانت البنات اللائي عقد عليهن ولم يدخل بهن بعد، تتركن الصوم خيفة على بدنهن أن ينقص" [٥]،ولم تكن المرأة بعد زواجها تتذرع علـى ممارسة أشياء من هذا القبيل، خوفا من فقدانها لسمنها، وأضاف العقباني أن

---

(١) الونشريسي: م س، ج٢، ص ٤٨٧، ٤٨٨.

(٢) البرزلي: م س، ج١، و ٢١٠ أ.

(٣) نبيلة عبد الشكور: م س، ص ٤٧

(٤) الونشريسي: م س، ج٢، ص ٤٩٩.

(٥) العقباني: **تحفة الناظر**، ص ٩٨.

المرأة إذا أتت إلى فراشها بعد أن كانت تعشت وملأت جوفها فتأخذ عند دخولها الفراش لباب الخبز فتفتته مع جملة حوائج أخرى فتبتلع ذلك بالماء لأنها لا تقدر على أكله لكثرة شبعها المتقدم. وربما تعيد ذلك بعد جزء من الليل" بل أن بعضهن يأكلن مرارة الأدمي لأجل أن من استعملتها منهن يكثر أكلها وقل أن تشبع فتسمن بسبب ذلك على زعمهن "(١).

٢ ـ الحمــــامات:

وهي تعتبر مظهرًا آخر من مظاهر الزينة، وخاصة للمرأة، لأنها كانت بمثابة معاهد للتجميل(٢) في بلاد المغرب الإسلامي حيث وجدت الماشطة(٣)، والدلاكة اللتين يقومان بجميع وسائل التجميل سواء غسل البدن، أو إزالة الشعر من جسم السيدات(٤)، أو تصفيف الشعر وصبغه، لهذا قصدته النسوة للاغتسال فيه،لكن لم يكن من السهل عليها أن ترتاد الحمّام(٥)، ولو في المناسبات الهامة التي حصرتها كتب النوازل في المرض والنفاس(٦)، لكنها لم تبال لهذه الفتاوي من أجل الحفاظ على نظافة بدنها، وجمال مظهرها.

ولاحظ الوزان أن جمال النسوة في المغرب الأوسط كمدينة نقاوس التابعة لحاضرة بجاية يرجع إلى الذهاب إلى الحمام فـ" النساء جميلات بيض البشرة سود الشعر اللامع، لأنهن يترددن على الحمّام ويعتنين بأنفسهن "(٧)، شهد الوزان حمامات متنوعة وجميلة في المدن الهامة مثل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان، ولكنه أعجب أيما إعجاب بحمامات فاس، التي أصبح يقارنها بالأخرى من حيث الاتساع والضخامة والجمال والعدد(٨)، وأهم مواد النظافة هو الصابون وهو مادة مصنوعة من الزيت، تكون سائلا أو جامدًا (٩)، وكانت النساء حريصة أن يكون الصابون من

---

(١) العقباني : م س ،ص ١٠٠.

(٢) ماجد عبد المنعم وآخرون: **بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى أحمد فكري، م.ش.جامعة الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ص ٢٥، ٢٦.

(٣) هي المرأة التي تتولى الإشراف على زينة المرأة، وخصوصا العروس وإعدادها للزواج، وتعتبر مهنة الماشطة غير مرموقة في المجتمع ، الونشريسي: م س، ج٣، ص ٢٧٨.

(٤) تبقى المعلومات قليلة في هذا المجال ومع ذلك وجدنا نصوصا تتحدث عن وجود هذه العادة بالمجتمع المغربي في تلك الفترة ، الونشريسي: م س، ج٩، ص ١٠١.

(٥) ينظر حول موضوع " خروج المرأة إلى الحمام "، في الباب الثالث / الفصل الأول، من أطروحتنا، ص

(٦) ابن أبي زيد: **متن الرسالة**، ص ٦٧٨، الونشريسي: م س، ج٤، ص ٦٢.

(٧) الوزان : م س، ج٢، ص ٥٣.

(٨) نفســه ، ج٢، ص ٧٧.

(٩) البرزلي: م س ،ج١، و ٢١٠ أ.

جملـة مـا يحملـه الـزوج إلـى زوجتـه مـن هـدايا [١]، أو مـن جملـة مـا تعدّه فـي جهازها ، ويدّل أيضا على المستوى الاجتماعي.

أمّا الإشكالية الفقهية المطروحة على الإمام البرزلـي فتتمثل فـي التساؤل حول هذه العادة في مدينة تونس، وقد سأل الإمام البرزلي شيخه ابن عرفة في تسمين المرأة فـأفتى أن التسمين كمـال المتعـة شـريطة ألاّ يـؤدي إلـى الضـرر وجوابه هو الآتي:" ما يؤدي إلى الضرر بالجسم والترغيم فلا يجوز ومـا زاد على الشبـع ممـا يـؤدي إلى هـذا فالصـواب جـوازه لأنـه من كمال المتعـة وهـي جائزة "[٢].

يبـدو أن مقيـاس الجمـال السـائد فـي هذه الفتـرة يتمثـل فـي المـرأة البدينـة، لذلك كانت السيدات والفتيات اللائي ينشدن السمنة ، يسلكن طريقًا صعبًا، حيث يكثـرن مـن أكـل العجـائن والسـكريات وبعضـهن لا تصـوم، وكانـت تبحـثن عـن المردود فضخامة الردفين والصدر الكبير هما دليل على جمال المرأة المغربية [٣]. ورأينا أن الموضوع لم يستوف بحثًا أكاديميًا بعد لأن أذواق النـاس تختلـف بـاختلاف العصـور واخـتلاف البيئـة والوسـط، ولـو قارنـا مفهـوم الجمـال بـين الأمس واليوم لوجدنا أنـه لـم يكـن للجمـال قاعدة ثابتـة، أمـا الجمـال عندنا اليوم يتمثل في المـرأة النحيفـة والرشـيقة، ونستنتج أن ذوق الإنسـان تطـور مـن شكل إلـى آخـر بغـض النظـر عمـا إذا كـان هـذا الشـكل أو ذاك هـو المقيـاس الحقيقـي للجمال !

٣ ـ تصفيفات الشّعر:

يعتبر الشـعر مـن أهـم عناصـر الجمـال عنـد المـرأة، لذلك فهـي تعتنـي بـه عناية فائقة حسب تقاليد عريقة لا تتأثر كثيرا بـاختلاف الأذواق وتغيّـر الزمـان، وبالطبع فإن الاعتناء بالشعر ليس مقتصـرًا علـى فئـة معينـة مـن النسـاء بـل هـو شـائع فـي كـل طبقـات مجتمـع المغـرب الإسـلامي وإن اختلفـت الوسـائل والإمكانيات، فحب التجمل والتدلل من خاصيات كل النساء في كل مكان .

إن التعـاليم الدينيـة توصـي المـرأة بتغطيـة شـعرها وحجبـه عـن أنظـار الغربـاء، ومـع ذلـك فقد كانـت تعتنـي عنايـة كبيـرة بشـعرها باعتبـاره مـن أهـم عناصر زينتها وجمالها .

---

(١) الزركشي: **تاريخ الدولتين**، ص ١١٧.
(٢) الونشريسي: م س، ج٣، ص ٢٧٨.
(٣) البرزلي: م س، و ٢١٠ أ ، التجاني : **تحفة العروس**، ص ١١١.

وتتغيّر كيفية تسريح الشعر حسب الوضع الإجتماعي للمرأة [١]، ففي غالب الأحيان تبقي المتزوجة شعرها طويلا لكنها تقص البعض منه على الجبين ـ قصة ـ وعلى جانب الوجه ـ خجالي أو سوالف أو فراني حسب جهات أقاليم المغرب الإسلامي.

وصف لنا المهدي بن تومرت طريقة غطاء وتسريحة شعر المرأة المرابطية، والتي شبهها بسنم الجمل [٢]،أنها كانت تجمع شعرها فوق رأسها بشكل السنم ليرتفع بنحو ربع ذراع، وتتخذ غطاء تعصب به رأسها، وتزخرفه بأنواع من حلي الذهب واللؤلؤ، والأحجار الكريمة [٣]. وما زالت نساء صحراء بلاد المغرب الإسلامي تصفف شعرها على هذه الطريقة .

أما باقي المناطق الأخرى، فقد اتخذت بعضهن الضفائر عن طريق تفريق الشعر إلى أجزاء، وفتلها مع بعض [٤]. فيما كانت نساء المصامدة أكثر عناية بشعرهن، فاستعملن زيت الأرقان[٥]، لإطالته انسجاما مع عادتهن في تصفيف الشعر، حيث فضلن تفريقه بالمشط[٦]، وتركه منسدلا[٧]،وهذا الانسدال يعتبر مقاسا جماليا لحسن الشعر وجماله.

ولعلّ ما جعل تجميل الشعر فنّا متكاملا يشمل عديد المكونات – ليس تصفيف الشعر إلا لأحد – ومنها أيضا لبس القوفيات والمناديل والعصائب وكذلك الحلي وشتى أنواع أدوات التجميل.

وكلّ جهة من جهات بلاد المغرب الإسلامي، بل كل حاضرة من حواضرها، وقرية من

---

(١) تبدأ المرأة بالاعتناء بالشعر منذ الطفولة، فمثلا منذ سن السابعة أو الثامنة وحتى الزواج ـ خاصة في المدن والحواضر ـ يجمع شعر البيت إلى الوراء ويلف لفا وثيقا في شريط من القماش يعرف بالقردون ثم يربط برباط من القطن في شكل ـ مقصة ـ أو عكسية ـ تحفظ الشعر من الأوساخ وتزيد في نعومته حيث يجب أن يكون شعر البنت عندما تكبر عروسًا، غزيرًا لينا وناعما فيزيدها جمالا هذا في الماضي القريب، أما اليوم فهذه العادة الموروثة انحصرت في البوادي والقرى، ينظر

Art de la Coiffure traditionnelle, pp 3,10,14,17,19.

(٢) ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص٢٥٩، ومن الملاحظ اليوم في صحرائنا أن بعض النساء الفوارق مازلنا يجمعنا شعورهن إلى إلمام بشكل السنم على عادة النساء المرابطات .

(3) Dozy (R): **Dictionnaire** , p239.

(٤) ابن القطان: **نظم الجمان**، ص٩٣، مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥ ، ص ص ١٧٠ ، ١٧٧.

(٥) الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ج١، ص٢٣١.

(٦) نفسه، ج١، ص٢٣١.

(٧) نفسه.

قراها، تختلف عن الأخرى في طريقة ظفر الشعر، أو في استعمال أو عدم استعمال القوفية، كما تختلف في طريقة لبس المنديل واختيار ألوانه.

فيما يبدو هذا الاختلاف ؟ وما هي أشكاله وطرقه ؟: يصعب تحديد مواقع اختلاف تسريحات الشعر، لعدم تعرض المصادر التاريخية لهذا الموضوع، إلاّ بصورة ضئيلة.

هناك عرض مخصص للطريقة التقليدية في تصفيف الشعر وتجميل الرأس عند المرأة التونسية في عهدي الموحدي – الحفصي، بمتحف الفن الإسلامي بباردو، يسعى إلى إبراز هذا التنوع وهو وإن لا يسعى إلى تمثيل جميع الجهات فإنه يقدم نماذج لأهم وسائل تجميل الشعر في بلاد المغرب الإسلامي وفي الوسط الحضري والبدوي أو الريفي [١].

وفي جميع أنحاء البلاد التونسية تعتمد تصفيفة الشعر العادية للمرأة المتزوجة على الضفيرة الواحدة " والخجالي" التي تحيط بالوجه ، و" القصة " على الجبين (خاصة في الأوساط البدوية)، والسيدة في حاضرة تونس ومدن سوسة ونابل... وغيرها، تقص من شعرها من جهة الصدغين وتجمع بقية الشعر في ضفيرة واحدة تتدلى على الظهر .

وتتميز تسريحة السيدات بمدينة الكاف إضافة إلى الضفيرة، بأن تكون " الخجالي" ملفوفة حول الأذنين[٢].

إن تسريحة الشعر التي تعتمد على عدة ضفائر كثيرة الانتشار في الجنوب التونسي حيث نجد نسبة هامة من السكان السود، ويمكن أن تكون هاته الطريقة في ترتيب الشعر قد جلبت بعض البلدان الإفريقية في فترة كانت القوافل التجارية تجوب الصحراء وتنسج الروابط بين المغرب الإسلامي وبلدان إفريقيا.

وأشار الآبي إلى عادة موجودة لدى نسوة في وقته وهي أن المرأة تقوم بتطويل شعرها بتعليق ضفائر تأخذها من شعر آدمي أو من حرير أو من صوف وذلك للتزيين، وهذا الذي تحدثه المرأة هو المسمى " بالزروف " وقد أجاز الآبي استعماله [٣].

أمّا بالنسبة للتلمسانيات فإننا نزعم أن اختلاف في تسريحة الشعر ليس يختلف كثيرًا كما

---

(1) **Art de la Coiffure traditionnelle**, pp 3,10.
(2) IBID.pp 14,17.

(٣) الآبي: م س، ج٥، ص ٤٠٦.

هو تونس، حتى لو أن المصادر لم تدوّن ذلك، فقد ذكر الونشريسي أن من أدوات الزينة التي بيعت للعروس كهدايا للزواج، منها الأمشاط والأمرية التي كانت تخرز بخيوط الذهب [١]. وهو دليل على مدى اهتمام التلمسانيات بشعرهن .

أمّا عن الأمشاط ،التي استعملتها المرأة في تلك الفترة ليس لدينا معلومات عنها،في فترة دراستنا ومع ذلك نستطيع أن نتعرف على أشكالها من خلال بعض النماذج الموجودة بمتحف باردو بتونس،والتي ترجع إلى العصر الفاطمي[٢].

وهذه الأمشاط مصنوعة في الغالب من الخشب وهي تشبه الغلاية التي تستخدم حتى الآن في الأرياف المغربية وللمشط جهتين: جهة للأسنان الرفيعة الحادة وجهة للأسنان السميكة القوية والجزء الأوسط المحصور بينهما تزينه من الوجهتين زخارف مختلفة بالطلاء أو الحفر البارزة أو الغائر، هذا فضلا عن وجود بعض الكتابات على المشط، أو كانت تخرز بخيوط الذهب [٣].

ثانيا ـ مواد التزيين: لتحسين الهيئة استعملت المرأة عدّة مواد مختلفة وهي :

١ ـ **التكحل والمكاحل**:

كانت النسوة تستعمل الكحل في الأعين وتحمل المكحلة مع ما تحمله في جهازها [٤]، والمادة المستعملة تسمى الأثمد وهي حجر أسود يسحق قبل استخدامه[٥]، وقد أقر الرسول صلّى الله عليه وسلّم التكحل، بل وحفز المسلمين على استعماله، فقد قال: " عليكم بالأثمد فإنه يجلو البصر" [٦].

وكان الكحل في الأعين موجودًا لدى الرجال والنساء، وقد استنكر ابن تومرت في طريقه إلى العاصمة المرابطية،تزين الصبيان ببجاية على هيئة النساء [٧].وذكر ابن القطان التحكل كمظهر

---

(١) العقباني:م س، ص ٩٧.
(٢) ينظر اللوحة رقم   في الملحق
(٣) العقباني: **تحفة الناظر**، ص ٩٧، المازوني: **الدرر المكنونة**، ج١، ص ٣٧٦.
(٤) الآبي : **إكمال الأكمال** ، ج١، ص ٢٢٤.
(٥) الفيروز آبادي: **القاموس المحيط** ، ج١، ص ٢٩٠.
(٦) ابن سعد محمد: **الطبقات الكبرى**، مطبعة ليدن، أبريل ١٩٩٤، ج١، ص ١٧١.
(٧) ابن القطان: **نظم الجمان**، ص ٩٣.

من مظاهر التزين الكثير الانتشار،حتى أن أحد أبواب مدينة مراكش كان يعرف بباب الكحل(١).

وبقي الكحل من وسائل التزين المعروفة للمرأة والرجل في المجتمعات الحفصية (٢). والزيانية والمرينية (٣)، فقد أجاز الإمام ابن عرفة الاكتحال وقال : " إنه من باب التداوي كجعل الذهب في الماء لقوة القلب وطبه "(٤).

وكانت المكاحل تصنع أحيانا من الفضة أو من الخشب(٥)،فقد ترك الإمام ابن عرفة من جملة مخلفاته بعد الموت مكحلة نصفها من خشب ونصفها من فضة، ممّا يدل أنّه كان يكتحل(٦).

أمّا عن طريقة استعمال الكحل، فهي أن للمكحلة مرود ينغمس فيها بعد أن يبتل بالماء ليسهل استعمال ويتعلق به الكحل، وربما اختلفت المرود عن المادة المصنوعة منها المكحلة، وكان المرود يصنع أيضا من الفضة أو تطلى بماء الذهب، وترصع بالأحجار الكريمة (٧).

واختلف جمهور الفقهاء حول مسألة استعمال المورد الفضي أو المذهب، فأجاز ابن عرفة واعتبر " أحسن المراود عود الأبنوس ، ويليه الذب ثم الفضة "(٨)، ونهى عند البرزلي وقال: " لا تكتحل بمرود فضة ولا يحل لها من الذهب والفضة إلا ما كان للباس والتزين "(٩).

٢ـ الخضــاب :

يقصد به التلوين بالأصباغ، وتؤخذ من نبتة الحنّاء والكتم(١٠)، وهي كثيرة الانتشار في بلاد المغرب الإسلامي(١١)،وقد أقرّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم الخضاب بهما، قوله": إن أحسن

---

(١) ابن عذاري: **البيان المغرب** ، ص ٣٢٢.

(٢) الآبي: م س،ج٧، ص ٢٢٢.

(٣) الوزان: م س، ج١، ص ٤٠١.

(٤) الونشريسي: م س،ج٩، ص ١٦٧.

(٥) يبدو أن المكاحل الخشبية كان استعمالها مقتصرًا على الطبقات الفقيرة.

(٦) الونشريسي: م س، ج٩، ص ١٦٧.

(7) Ashtor (R) **: Le coût de la vie, matériaux pour l'histoire des prix** pp, 181-182.

(٨) ابن ناجي: م س، ج٤، ص ١٣٣.

(٩) البرزلي: م س،ج١، ص ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(١٠) الكتم نبات يصبغ به ويخرج لونًا أسود يميل إلى الحمرة، ينظر، صبري القباني: **جمالك سيدتي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٧٨، ص ٧٣.

(١١) ذكر برانشفيك أن:" نبتة الحنّاء كانت موجودة بكثرة جنوب إفريقية مثل مناطق تقيوس وتوزر وقابس "، **تاريخ إفريقية**، ج٢، ص ٢٣.

ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم "[١]، ومن المحبب اختضاب المرأة البدوية والحضرية بالحنّاء، ويمكن أن يكون الخضب بالأيدي أو بالأرجل، كما كنت الحنّاء تستعمل في صبغ الشعر. فكانت
نساء المصامدة تطلين شعورهن يوم كل جمعة برقيق البيض والطين الأندلسي[٢]،إضافة إلى استعمالهن زيت الأرقان للمحافظة على لون السواد وإطالة الشعر، كما استعين بالحنّاء في الخضاب[٣].

أمّا المرأة الأندلسية ، فتصبغ شعرها بالسواد أو بالشقرة، واللّون الأخير فهو تأثير وتشبيه بالنساء الصقليات الشقروات [٤]. وتخضب المرأة المغربية يديها ورجليها حتى نهاية الأصابع بالحاء، وتستعمل خضاب مركب من سخام الدخان،وجوز العفص والزعفران ثم تصنع منه فوق الحاجب، وعلى الذقن وترسم شكلا يماثل ورقة الزيتون،وتعمد بعض النساء إلى صبغ الحواجب تمامًا [٥].

٣ ـ الحرقوص :

أمّا صبّاغ الحرقوص فلونه داكن يزين الأطراف ويستعمل في المناسبات الهامة كالأعياد والأعراس، وتزين به الوجه، وتفضل أغلبية النساء وضعه بين الحاجبين ،وأطراف الأيدي والأرجل[٦].

والحرقوص مادة سوداء تستخرج من غدة نباتية مدقوقة وممزوجة مع قليل من سواد دخان أغصان الدفلة والزيت [٧]، أو عبارة عن مداد يشبه المداد الصيني [٨]،وكانت مريم زوجة الزاهد أبي الحسن علي بن عبد الله بن عياش العبيدلي (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧م) تتزين به، وذكر زوجها أنه لم يكن يتفطن إلى ذلك ولفت أصحابه نظره في ذلك وأثاروا مشكلة فقهية هو أن مادة

---

(١) ابن أبي زيد: **متن الرسالة**، ص ١٣٦.
(٢) ويعرف أيضًا بالغاسول، ينظر ، صبري القباني: م س، ص ٦٠.
(٣) الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ج١، ص ص ٢٢٧، ٢٢٨.
(٤) الوزان: م س، ج١، ص٦١.
(٥) مليكة حميدي: م س، ص ١٦٥.
(٦) الوزان:م س، ، ج١، ص ٤٠١.
(٧) الفيروز آبادي : م س ، ج١، ص ٢٩٠.
(٨) نفسه، ج١، ص ٢٩٠.

الحرقوص تمنع تعميم ماء الوضوء على العضو المغسول مما يترك في الجسم لمُعة غير مغسولة وهو أمر غير جائز عند بعض الفقهاء وجائز عند آخرين مثل الإمام ابن عرفة [١].

أمّا تقنية استعماله فهي لا تشبه الوشم في رسم أشكال ورموز على جلد المرأة، والفرق هو أنّ الوشم مخطط على الجسم بالإبرة بينما الحرقوص مرسوم على الجلد بغزارة أو برأس خشبي رقيق يغمس في الحرقوص، ويستمر يوما أو يومين، أي مدة حفل أو موسم [٢]، ويلاحظ أن هذه الرسوم غالبا ما تكون بواسطة النقط ، أو بعض خطوط كبيرة [٣]. وتعرف النقطة السوداء التي تزين الوجه بـ " الخال الصناعي " وتغنوا بعض الشعراء بهذه النقطة السوداء، لما تضفيه من جمال للمرأة. فالعالم الخطيب محمد بن محمد البدوي الأندلسي[٤].(ت ٧٥٠ هـ ـ/١٣٤٩م)، استهل قصيدته المدحية بوصف جمال خدّ امرأة تزينه نقطة سوداء ،وتساءل أهي خال أم عنبر؟

فقال:خال على خدك أم عنبر [٥].

ويلاحظ من خلال رسوم لوحات ١ و ٢ و ٣ أن الرسم بالحرقوص متشابهة في معظم مدن المغرب الإسلامي مع الحفاظ على خصوصية بيئية ومحلية؛كما يلاحظ تشابه كبير بين بعض رسوم الوشم [٦].

فالنقط ربما يفسر وجودها بسهولة رسمها، وذلك من خلال رسم نقط على شكل مثلث أو نجمة أو معين [٧]،على الجبين أو على الصدغين أو من الأنف إلى الحاجبين، والذي يعرف " بالحماقة " [٨]،ويصل هذا الرسم عند نساء تلمسان وتونس وفاس إلى منبت الشعر.لماذا انتشر الحرقوص في جميع حواضر المغرب الإسلامي؟

---

(١) ابن ناجي: **معالم الإيمان**، ج٤، ص ١٣٣.

(٢) والحرقوص في كل هذه الحالات مظهر من مظاهر الزينة المؤقتة يزول على شكل قشرة، ويترك على الجلد لونا بنيا يندثر بسهولة بعد تكرار عملية الغسيل، وما يزال يستعمل اليوم في كثير من قرى ومدن المغرب العربي الكبير.

(٣) ينظر أشكال ورموز اللوحات من .... في الملحق .

(٤) هو من تلاميذة ابن عبد السلام شيخ ابن عرفة، ينظر التنبكيتي: **نيل الابتهاج**، ص ٤١٨.

(٥) التنبكتي، م س، ص ٤١٨.

(٦) قارن بين اللوحات من ....- .... وبين اللوحة المتضمنة للخطوط الأساسية للوشم .

(٧) أنظر أشكال لوحة ص

(٨) نفس التسمية تطلق على الوشم بين الحاجبين وتعني في الغالي الرسم الذي يجلب قلب الرجل، ويحرض على الجنس، ينظر **هسبريس**، ١٩٢٩، ص ٦٤.

فالحرقوص لم يمنعه الدين ولم يكن عيبا من عيوب المجتمع، ولم يشوه البشرة، لذا فضلته الحضريات المتعلمات وصاحبات أذواق رهيفة، ووجدت ف يالحرقوص بديلا للوشم باعتباره زينة زائلة، كما أنها ليست مجبرة على تحمل ألم الوغز وما ينجم عنه من أمراض جلدية خطيرة [١].

وبعد هذه الإشارة المقتضبة عن الحرقوص، باعتباره مظهرًا من مظاهر تزيين المرأة، راودنا التساؤل التالي:

لماذا لم يكن الحرقوص وسيلة لممارسة حمائية من العين الشريرة بالجدة التي كان عليها الوشم ؟

فبقدر ما كانت البدويات حريصات على وشم رسوم خماسية الأجزاء على وجوههن أو أيديهن لحمايتهن من العين الشريرة حسب اعتقادهن، اكتفت الحضريات التزيين بالحرقوص كوسيلة من وسال التزيين لا غير.

٤ ـ الوشـــم :

إذا كانت نساء حواضر بلاد المغرب الإسلامي قد افتتن بالحرقوص وتفنن فيه بصفة عامة أقبلن على الحرقوص إقبالا كبيرًا.فما معنى الوشم إذا ؟ وكيف يتم صناعته، وما هي تقنيات تطبيقه ؟ وما هي الأماكن التي تزين به ؟

الوشم مادة في الغالب ما تكون سوداء، ترسم بها أشكال، ورموز، على وجه الخصوص أو على معصمها، أو على ظهر يدها أو على كعب القدم [٢]، قصد التزيين لفترة دائمة، وتصنع هذه المادة بطريقة معروفة سواء دقيق الفحم، أو غذة نباتية المحروقة، أو مزيج معقد من الأعشاب، أو من بعض المعادن [٣].

أمّا تقنية استعماله فتتمثل في رسم أشكال ورموز على جلد المرأة بواسطة الإبرة وذر هذه المادة من المواد كالحنّاء، أو النيلج، وهو دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر، أو تغرز الإبرة في البدن حتى يسيل الدم ثم تحشى بالكحل، ويبقى الرسم مدى الحياة [٤] .

---

(١) الفيروز آبادي : م س، ج١، ص ٢١٨.

(٢) نفســه، ج٤، ص ١٨٨.

(٣) ابن منظور : **لسان العرب** ، ج١٢، ص ٦٣٨.

(٤) الفيروز آبادي: م س ، ج٤، ص ١٨٨.

وأشار الونشريسي إلى حديث الرسول صلّى الله عليه وسلم الذي لعن الواشمة والمستوشمة، لما ينجم عن ذلك من تغير لخلق الله، قوله:" لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله " (١).

عرفنا أن الوشم منبوذ في الدين الإسلامي، وتوضح لنا بعض الرسوم هذا الطرح، ذلك أن السبابة التي ترفع للتشهد قليلا ما تحمل وشما، بيد أنها غالبا ما تغطى بالحرقوص كسائر الأصابع الأخرى وتطلى كذلك بالحنّاء (٢).

ويبقى السؤال، لم نعثر على الإجابة عليه، لماذا ينتشر الوشم في البوادي وقليلا ما نجده في المدن؟

وأشار الوزان إلى أن طريقة الوشم الذي يتميز بطابع معين يختلف من منطقة لأخرى، فمثلا ذكر النساء اللواتي تقطن ما بين مدينة برشك وشرشال، يضعن الوشم بالخصوص في الخدين واليدين .

ولكنه لم يوضح نوع الأشكال التي ترسمها، وعندما تكلم على نساء الجبليات بمدينة الجزائر وبجاية، بيّن نوع الرسم الذي تصنعه النسوة وشرح سبب اختيار هذا الرمز... فذكر أنها ترسم بالوشم صليبا أسود على خديها ويديها في كفها تحت الأصابع ويضيف فيقول المؤرخون الأفارقة إن عددًا لا يحصى من البلدان والشواطئ ، والجبال كانت خاضعة للقوط، وإنّ كثيرًا المغاربة تنصروا، وقد أمر ملوك القوط ألا يحني أي خراج من المتنصّرين، فكانوا كلهم إبان أداء الخراج يدّعون أنهم مسيحيون . ولما كان القوط يجهلون لغة البلاد وعاداتها، ولا يتمكنون من التمييز بين المتنصّرين ومدعي التنصر فإنهم أمروا المسيحيين بالوشم بهذه الطلبان، وعندما فقد القوط نفوذهم ، عاد الكل إلى الدين الإسلامي ، غير أن هذه العادة بقيت عبر العصور دون أن يدرك الكثير سببها ومن عادات نساء المغرب الإسلامي وشم صليب على خدهم برأس سكين، مع اختلاف رسوماته من منطقة إلى أخرى (٣).

---

(١) ينظر شرح ذلك في **المعيار**، م س، ج١١، ص ١٤٥، ١٤٧، تحت عنوان: ما معنى الواصلة والمستوصلة وما ذكر معهما في الحديث .

(٢) قارن بين تزيين ظهر اليد بالحرقوص، لوحة.... وبين تزينها بالوشم، لوحة ص .

(٣) الوزان: **وصف إفريقيا**، ج٢، ص ٣٣.

٥ ـ السّــواك :

كانت النساء حريصة على نظافة أسنانها، وتبقى المعلومات قليلة في هذا المجال، ومع ذلك وجدنا نصا يتحدث عن وجود هذه العادة بالمجتمع المغربي في تلك الفترة، فقد تحدث الوزان عن استعمال السواك، الذي يستخرج من قشور جذور أشجار الجوز المنتشرة في بلاد المغرب الإسلامي،وخصوصا بغابة تبسة الحفصية [١]. وأضاف أنه من مواد التجميل للمرأة في المجتمع الزياني [٢].

أمّا طريقة استعماله، فهي دلك اللثة والأسنان مما يعطي بريقا للأسنان، ويقضي على الرائحة الكريهة وهي نفس العملية التي نستعملها اليوم .

٦ ـ التّطيب والتّعطّر :

لقد حرصت المرأة استخدام العطور[٣]، التي كانت توضع في قنينات من البللور الصخري

وتزخرف بالرسوم الهندسية والفروع النباتية وكذلك قنينات من الزجاج الأبيض ذو الزخارف[٤]، وكانت تخرز بخيوط الذهب [٥]، ويرى البيدق أن ابن تومرت كان يبيح الطّيب [٦] للرجال والنساء [٧]،

وأهمية العطور بارزة في بلاد المغرب الإسلامي، ولاسيما في مدنها الكبيرة المزينة بأنواع الزهور والياسمين والبنفسج ذوي الروائح الطيبة والتي كانت تزرع بالبساتين والحدائق الخاصة بهذه النباتات، وتحدث الوزان عن حدائق مدينة تونس بقوله: " وهناك عدد لا يحصى من البساتين المغروسة بالبرتقال والليمون والورد وغيره من الأزهار الجميلة، خصوصا في مكان يدعى

---

(١) الوزان : م س، ص ٦٤.
(٢) نفسه ،ج٢ ، ص ٤٠١ .
(٣) تشمل كلمة الطيب العطور بشكل عام، ينظر ابن منظور: **لسان العرب**، ج١، ص ٥٦٥.
(٤) عثرنا في متحف باردو بتونس على نماذج من قوارير مزخرفة وطويلة الأعناق، يعود عهدها إلى عصر الفاطميين(٤ـ٥ هـ/ ١٠ ـ ١١م) وإننا نرى أنها لا تختلف كثيرًا عن قوارير العصور اللاحقة، ينظر اللوحة رقم ..... في الملحق.
(٥) العقباني: م س، ص ٩٧ ، المازوني: م س، ج١، ص ٣٧٦.
(٦) ويشتمل على العود الرطب، والمسك، والعنبر، والبخور،والورد والياسمين ... إلخ، ينظر، مجهول: **الحلل الموشية**، ص ٢٨، ابن عذاري : م س، ج٤ ، ص ٢٦.
(٧) البيدق: **أخبار المهدي بن تومرت**، ص ١٣.

البـاردو، حيـث بسـاتين الملـك وقصـوره الفخمـة البهيجـة بمختلـف النحـوت والرسـوم الجميلة "[١]

وشاهد الوزان نفس هذه المظاهر بمناطق عديدة من المغرب الإسلامي، فكانـت منـازل نقـاوس القريبـة مـن بجايـة تعتنـي بزراعـة النباتـات الفائحـة ولكـل " دار حديقـة مليئة بمختلف الأزهار المماثلة لها في البهاء"[٢].

وحـدثنا التيجـاني عـن إعجابـه برائحـة النـرجس الطيبـة أثنـاء تواجـده بمدينـة طرابلس بقوله": وينبت خارج البلد صنف من أصناف النرجس دقيق الورد لم أر أقوى منه فوحا ولا أعطر روحا"[٣]،

واشتهرت قيسارية [٤]،مدن المغرب الإسلامي بوجود سوق العطارين المشهورة في كل من تونس وتلمسان وفاس [٥]، وغيرها فكانت تصنع بها عطور ممتازة، وبعض مـواد التجميـل، جعلـت بعـض النسـوة تتسـابق إلـى هـذا السـوق لاقتنـاء العطـر الأجـود والأغلى، ولعلّ أبرز مـا يثبت اهتمـامهن بأنفسـهن مـا أكده الـوزان مـن أن نسـاء مدينـة تونس " لا يشتغلن بغير زينتهن وعطرهن حتى أن العطارين هم دائما آخر من يغلقون دكاكينهم [٦]،

وقد شكى المازوني والونشريسي من كثرة اختلاط النسـاء التلمسـانيات بالرجـال في سوق العطارين [٧].

وأخيرًا لابد من ذكر أن نساء المغرب الإسلامي لـم ترضـخ لـبعض الفتـاوي التـي أرادت أن تحرمـها مـن الخـروج إلـى سوق العطـارين، لاقتنائـهـا أجـود العطـور وأغلاهـا، وهذا يدل على مدى اهتمام المرأة بأناقة مظهرها وذوقها.

ونستخلص من ذلك أن المرأة المغربية ،قد اهتمت بكل ما يبرز جمالـها ممـا كـان له أثرًا بالغًا في تقدم بعض الصناعات المتعلقة بمعدات التجميل المختلفة .

(١) الوزان: م س، ج٢، ص ٧٨.

(٢) نفسه، ج٢، ص ٥٨.

(٣) التجاني: **الرحلة**، ص ٢٤٧.

(٤) وهي سوق متعددة الاختصاصات، الوزان: م س، ج١، ص ١٩٠.

(٥) انبهر الوزان بسوق العطارين بفاس وذكره أنه: " على شكل زقاق ضيق يشتمل على نحو مائة وخمسين حانوت، والزقاق مغلق من طرفيه ببابين جميلين لا تقل متانتهما عن ضخامتها ودكاكين كثيرة الزخوف ذات سقوف جميلة ، وخزائن ما أظن أن للعالم الإسلامي سوقا للعطارين مثله " ، ج١، ص ١٩٠.

(٦) نفســه، ج١، ص ١٩٠.

(٧) المازوني : م س، ج١، و ٧٨، العقباني: م س، ص ٦٩.

ـ خاتمـة الباب الخامس:

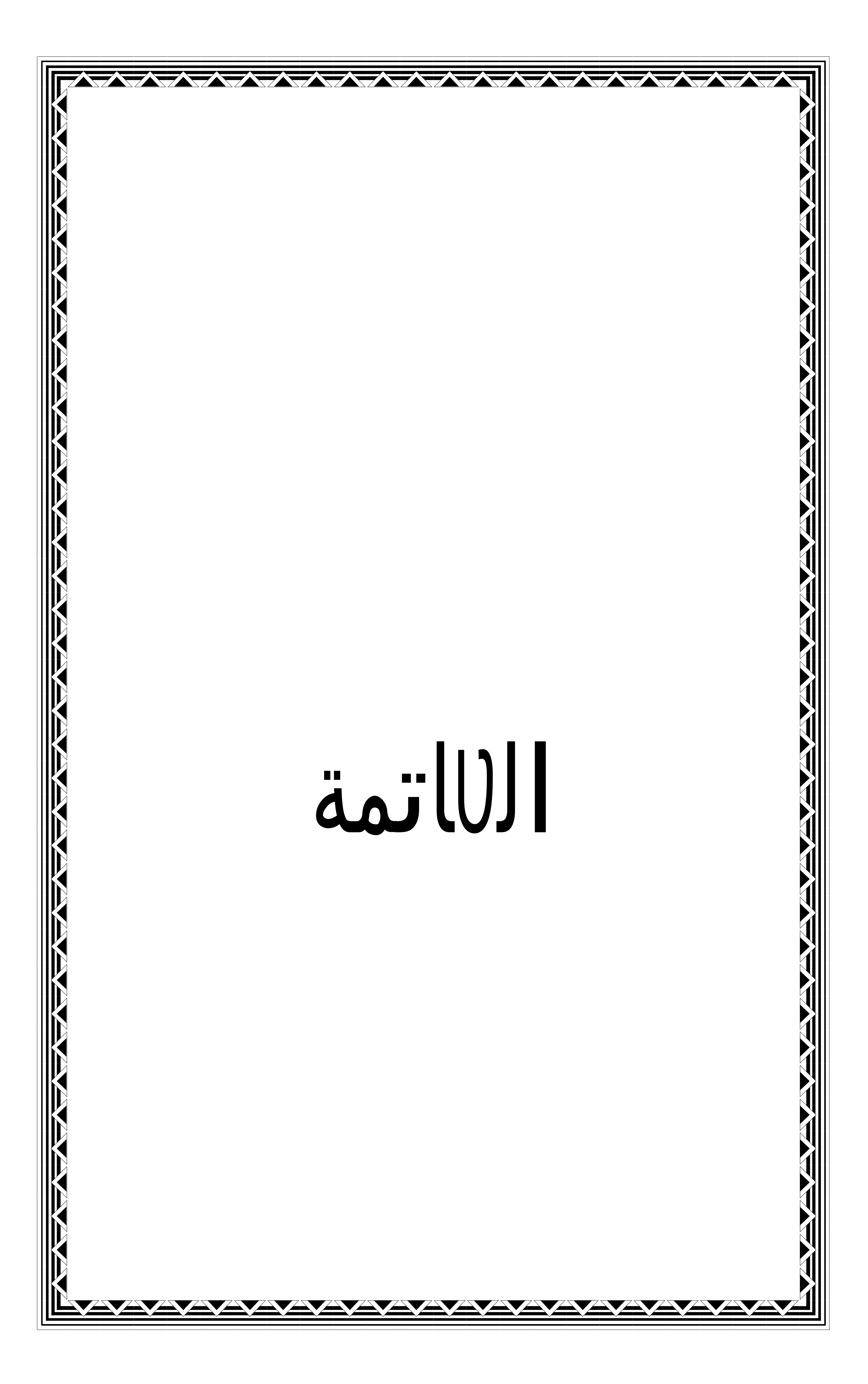
إن أهم الأزياء التي كانت شائعة في فترة دراستنا وبالترتيب كانت الكسا الأكثر استعمالا، ثم العباءة، والحايك، والجلابة،والجبة، والقميص، الفتوحية، والسروال، والألبسة والمنسوجات الحريرية ،يمكن القول، أن الكسا والبرنس شملت جميع جهات بلاد المغرب الإسلامي،أمّا الجبّة فقد انتشرت بين المتصوفات بالخصوص ، فيما ارتبطت عادة انتشار لبس القميص بالهجرات العربية، واقتصر لبس السروال على بعض المدن الحضرية كتونس، وبجاية، وتلمسان، وفاس،أمّا السفساري والتلمساني فشاع استعماله لدى الفئة الخاصة، والخمار لدى الحضريات، علمًا بأن أكثر النساء كانت تفضل البرنس، وفي البوادي والقرى وتحت ضغط ظروف العيش كانت النساء تمشي حافيات الأقدام،وفي بعض الحالات انتعلت الخاصة الأخفاف، والأقراق،في حين اقتصر استعمال القبقاب على حواضر المغرب الإسلامي، كما اختصت أيضًا نساء هذه الحواضر ببعض الأزياء المتميزة لتواجد فئة الأعيان، ولاستقبالها روافد بشرية هامة من المشرق والأندلس،

وخضع اللباس لتأثير المشرق، تجلى في لباس الجبة والقميص، والسروال، فيما كان تأثير الأندلس واضحا في المدن المغربية، ويبدو ذلك من شيوع الألفاظ الأندلسية في العامية المغربية، كالقبقاب، والأقراق، والفتوحيات.

نستنتج أن لباس المرأة لم يختلف كثيرًا في امتداده الجغرافي ،و يمكن أن نلاحظ ذلك على مستوى العينات الاجتماعية، تبعا لاختلاف مستويات العيش،كما لم تؤثر الفصول في أزياء العامة، فبدلا من كساء واحد، يضاف فوقه كساء آخر في فصل الشتاء، أي أن الناس يعمدون إلى الإكثار من نفس الأزياء أو التقليل منها، وأحيانا يكون الاختلاف في النسيج فقط، كاستعمال الملابس المصنوعة من القطن أو الكتان، لكن مع ذلك يمكن تسجيل جملة من الخصوصيات في طرق التزيين ولبس الحليّ، فالذهب والمجوهرات للفئة الحاكمة، واكتفت نساء العامة بالفضة والنحاس .

لقد شمل الترف كل نواحي الحياة في المغرب الإسلامي، وانعكس هذا على أدوات الزينة، التي هي وثيقة الصلة بالترف والرفاهية،ومنها الملابس والحليّ والمكاحل والعطور وغيرها، مما أقبلت عليه المرأة في تلك الفترة ، والملابس كإحدى هذه الأدوات، تعتبر مرآة للتطور الحضاري لأي عصر من العصور، إذ أنها تلقي الضوء على مستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية

وذلك من خلال أنواع الأقمشة فيها، وأنواع الحليّ والجواهر، ونجد أن اختلاف الأشكال التي استعملت في فترة دراستنا في ملابس النساء ومواد الزينة والحليّ تدل على ما وصلت إليه بلاد المغرب الإسلامي من تقدم ورقي.



الخاتمة

الخاتمة:

بعد أن من الله علينا ويسر لنا إتمام البحث واستيفاء مقوماته حسب الجهد والطاقة، مادة وتحريرا تتبعا من أمهات المصادر، ونهلا من مختلف المراجع واطلاعا على جملة من الدراسات العربية والأجنبية في أمر الدفاع عن حضارة الإسلام في صلب موضوع المرأة في المغرب الاسلامي حول قضايا متمثلة في إسهامها في الحياة السياسية والاجتماعية كحقها في اختيار الزوج، حقها في الطلاق، ميراثها، والاقتصادية كحاجتها للعمل والشغل، والثقافية كحقها في التعليم ....

لاشك أن البحث كان طويلا والدراسة كانت شاقة مضينة لامتدادها الزمني الذي غطى زهاء ثلاثة قرون واشتمل على عطاء حضاري ثري أسهمت في صنعه نساء المغرب الاسلامي، ولسعة وحدة الموضوع الذي تناول شتى المناحي الأنفة الذكر، ورغم هذا فقد تمكنا من الخوض في الموضوع، ومن تتبع تشعباته وآفاقه، وقد انتهينا إلى استخلاص مجموعة من الاستنتاجات نصنفها حسب ما رأيناه مهما:

ـ لعل من النتائج الهامة التي توصلنا إليها من هذه الدراسة المتواضعة، هو كشفها النقاب عن الدور الفاعل التي كانت تشارك به نساء العامة في المجتمع المغربي طوال الفترة الوسيطية في مختلف الدول التي قامت فيه، إذ أن معظم الدراسات الحديثة لم تول اهتماما إلا بنساء القصور والأميرات، وذلك لقلة المادة العلمية في المصادر التاريخية عن نشاط المرأة في طبقة العامة، ومن ثم فإن هذه الدراسة ستفتح آفاقا أخرى للبحث في بعض الجوانب المهمشة من التاريخ الاجتماعي والثقافي لمجتمع المغرب الاسلامي في العصر الوسيط .

ـ تبين لنا من خلال المطالعة أن وحدها الظروف التاريخية التي عرفتها البلاد زمن دراستنا، والمتمثلة في تعاقب عدد من الدول (موحدية، حفصية، زيانية، مرينية،نصرية) وما رافق تدهور دولة وقيام أخرى من اضطرابات وفوضى، وحروب، وما رافق ذلك من تفكك لأواصر القرابة، وتفسخ اجتماعي، وتراجع المستوى التعليمي، وتدهور اقتصادي مما انعكس سلبا على المجتمع، وبالأحرى على وضعية الرجل والمرأة على السواء، فالرجل المقموع في الشارع يعكس قمعه ومعاناته على أهل بيته والمتضرر الأول والأخير، الزوجة، والأم، والأخت، البنت .

ـ ففي مجال السياسي سجلت بعض النساء أدوار هامة إلا أنه كان لكل منهن أهدافها وتوجهاتها الخاصة، فهناك من كانت تدخلها لأهداف مذهبية محضة ،كما هو الحال عند المرأة الموحدية في بداية الدعوة الموحدية، لتتحول فيما بعد إلى أهداف سياسية ، كما هو الحال بالنسبة للمرأة الموحدية

بالأندلس،والحفصية والزيانية والمرينية والنصرية، وعموما لا يختلف دور المرأة من دولة لأخرى، فهي تتشابه إلى حد ما، حيث تدخلت بعضهن لصالح السلطة والدولة معا، وهناك من قدمت مصلحتها الشخصية على المصلحة العامة، كما لبعضهن أدوار رئيسية، ولأخريات أدوار ثانوية، ما تجدر الإشارة إليه أن تدخلات المرأة السياسية في عمومها لم تجد أية معارضة واضحة لا من قبل الحكام ولا الفقهاء.

ـ كانت لنساء المغرب الاسلامي مواقف مشرفة في الحروب، فهي لم تقم بتحريض الرجال في المعارك فحسب، بل وبتمريض الجرحى ومعالجتهم، وتموين المقاتلين بالماء والقوت، وهاهي وقفات بعض المغربيات التي كان لها صدى بعيدا في المغرب والمشرق .

ـ على الرغم من التطورات التاريخية الهامة التي عرفها المجتمع الصنهاجي وورثته من بعده ـ قبائل التوارق ـ خلال العصر الوسيط ـ كالإصلاح المذهبي الموحدي بقيادة ابن تومرت، فإن قبائل الصنهاجية وبطونها لازالت متمسكة بعاداتها وتقاليدها، منها: عادة الاختلاط بين الجنسين .

ـ إن النساء المغربيات لم تكن عاجزات أو متهاونات ـ كما اتهمن بذلك ـ بل كن حاضرات حضورا كبيرا شغل الفقهاء والشعراء والزجالين وغيرهم، فمنهن من كن في مستوى الأحداث التاريخية، وفرضن أنفسهن على التاريخ فبرزت المحسنة، والمتصوفة والعالمة والدبلوماسية، ومنهن ابتعدن عن السبيل القويم وتشبثن بالخرافات، والمعتقدات الواهية، فظهرت المشعوذة والمدعية علم الغيب...

فممن احتفظ لهن التاريخ بصفحات مشرقة، ونوه بمواقفهن الجليلة، ولم يستطع السكوت عنهن، أو اختزال أخبارهن نذكر على سبيل المثال لا الحصر السيدة الحرة **شمسى** وما قامت به من أدوار بطولية شهد لها بها التاريخ المغرب الاسلامي، والسيدة **زينب** بنت الشيخ إبراهيم بن محمد الدلايلي، وما أنفقت في سبيل البر والإحسان، كذلك غيرها من الأميرات المغربيات اللواتي كانت لهن أدوار جريئة في الحقل السياسي والعسكري ، فكسبت بها شهرة كبيرة حتى أن بعض المصادر وصفتهن بالشجاعات، وتحتفظ كتب التراجم والمناقب بأسماء مجموعة من المتصوفات ممن زهدن في الدنيا خوفا على عقيدتهن ، وصيانة لأنفسهن من الزيغ عن الطريق السوي، فظهرت المتبتلة، المحافظة على أورادها وأذكارها، والصالحة المجندة للنهي عن المنكر، والحريصة على تعليم بنات جنسها تعاليم دينهن.

ومازالت الحوالات الحبسية تشهد على إحسان مجموعة من النساء، وتحتفظ الذاكرة الشعبية من خلال زيارة أضرحة المتصوفات والصالحات، وأشعارهن، وأزجالهن، وأمثالهن لمواقفهن سواء من حيث الصلاح أو الفساد.

ـ كان تقدم المرأة يتأرجح بين الجمود والتطور حسب الظروف العامة لبلاد المغرب الاسلامي، ففي زمن الأمن والاستقرار تتحسن وضعيتها وفي فترة الفوضى والاضطرابات تضطرب أحوالها، والمتمثلة في الحروب بين الدول المجاورة، وما رافقه من أزمات اقتصادية، وفتن بين القبائل لضعف السلطة المركزية، مما أحدث هزات عنيفة داخل المجتمع المغرب الاسلامي، وخلق بلبلة خطيرة في الأفكار والمعتقدات كان المتضرر منها بالدرجة الأولى العنصر النسوي، وتعددت أسباب أخرى زادت من تراجع منزلة المرأة منها: حرمانها من الإرث، واغتصاب بعض الآباء والأولياء لمهور فتياتهن وبيع النساء والفتيات في سنوات المجاعة، أدى كل ذلك إلى انحطاط منزلة بعض النساء، وتدهور عقليتهن فاحتقرهن بعض الرجال وأساءوا الظن بهن، وسار الطعن في سريرتهن شائعا حتى ألفت في ذلك الروايات، ونظمت القصائد وكثرت الترديدات.

ـ لقد اتهمت المرأة المغربية زمن دراستنا بوجودها خارج الزمان والمكان، وعدم اهتمامها بالأمور الحياتية الكبرى، لكن كتب النوازل الفقهية وكتب الرحالة، وبعض المؤلفات التاريخية أن هذا المنظور- وإن طغى عليه طابع التعميم والشمولية ـ ليشمل النساء المغربيات جمعاء، فإذا طبق على بعض الحضريات ممن فرض عليهن القوقع في دورهن ، لايغادرنها إلا لضرورة ملحة خاصة نساء الشريحة الغنية ذات الخدم والحشم، أو نساء الأسر المحافظة ـوإن لم تكن غنية ـ فقد سمحت ظروف نساء أخريات لهن بالخروج ومشاطرة الرجل متاعبه اليومية خاصة نساء الأسر المتوسطة الدخل، والفقيرة أو المعدة في حين عرفت نساء البوادي تحررا أكثر .

ـ إننا ندرك أن في المرأة المغربية قوة كبيرة أتاحت لها الإسهام بقسط جوهري في بناء الأسرة واستقراها وأداء دورها الاجتماعي والثقافي والتربوي بنجاح، ويتمثل ذلك في قيامها المباشر في تربية النشء أي في القيام بمهمة الأمومة، وهي المهمة الكبرى للمرأة التي لها قيمة عامة على صعيد المجتمع والدولة .

ـ وفيما يخص بدور الزوجات من النساء المتميز في ميدان التضحية والفداء فإنها لم تكتف بمشاركة الرجل في سوح القتال والحرب ووقوعها أسيرة في أيدي العدو، بل تعدته إلى التضحية من أجل زوجها وأبنائها في استئجار نفسها سواء بعلمه أو بدون علمه للقيام بأعمال الرضاعة والغزل والنسيج أو بعض الأعمال الأخرى في سبيل معاضدتها لزوجها في تحمل أعباء المعيشة الصعبة .

ـ إجماع العلماء والفقهاء، على تخلي فئة لا يستهان بها عن تعاليم الدين الاسلامي، مما ترتب عنه اضمحلال مستوى المغرب عامة، والمرأة خاصة، اضمحلالا مخجلا في ميدان العلم والأخلاق، انتشرت معه البدع والمناكر،

وبعض عادات الجاهلية، مما يفسر وجود عدد كبير من المصلحين بلاد المغرب الاسلامي شرقه وغربه، ونشير في هذا الإطار أننا كثيرا ما وقفنا على ملاحظة بعض العلماء والفقهاء، القائلة بأن الفترة التي يعيشونها هي " آخر زمان لما ذاع فيها من فساد وانحلال أخلاقي، وتفسخ للقيم واتباع للأهواء والالتفاف حول الأفاقين والمحتالين، ومنهم من بشر بقدوم المهدي المنتظر.

ـ اتسام النساء خاصة الأميات منهن بالسذاجة، والإيمان بالخرافة وعدم القدرة على التفكير السليم، وربما شعرن بالدونية وكن راضيات ومنفذات أوامر الرجل ـ محور السلطة الأسرية ـ لذا لجأن إلى أقرب السبل لكسب وده، لإثبات ذواتهن كزيارة الأضرحة والسحر والشعوذة.

ـ اهتمت هذه الدراسة بموضوع الزواج الذي لازال له تأثير بالغ في المجتمع إلى غاية اليوم، واستنبطنا منه الملاحظات التالية:

ـ حظيت مؤسسة الزواج في فترة دراستنا بأهمية بالغة وتجلى ذلك في الكم الهائل من المعلومات الواردة في كتب الفقه والنوازل والفتاوى.

ـ زواج القرابة وخاصة منه الزواج من ابنة العم المعروف "بالزواج العربي" موجود بنسبة كبيرة والمعلوم أنه يحمل في طياته عدة دوافع سياسية واقتصادية واجتماعية.

ـ تعدد الزوجات والتسري ظاهرتان موجودتان في المجتمع لكنهما لا تمثلان الأغلبية فأغلب السكان يحافظون على الزواج الأحادي وقد مكنت المعلومات الوفرة بالمصادر إلى تحديد نسبة كبيرة من حكام المغرب الاسلامي مولودين من أمهات أولاد، فالجارية قد فرضت نفسها على الزوجة الحرة وانتزع ابنها حق وراثة السلطة وحكم الدولة من ابنها.

ـ اشترك مجتمع المغرب الاسلامي في العهد الوسيط مع باقي المجتمعات العربية الإسلامية في سوء فهم العلاقة السليمة بين الزوجين لفائدة الرجل على حساب المرأة، فقد ضيق الرجل على المرأة وفرض عليها حجابا شديدا وألزمها البقاء في المنزل وسعى إلى حرمانها من الميراث وأقدم على الإساءة لها وتزوج عليها دون رضاها وتعسف عليها في استعمال حقه في الطلاق... وعملت المرأة على الحد من سلطة الرجل وأهم ما حققته هو إلزامه شروطها التي وثقتها بعقود مكتوبة دون أن تقضي على واقعها المتردي الذي تواصل طويلا في الزمن.

ـ الاستعداد والاحتفال به مظاهر ثابتة يقوم بها الجميع لكن يتغير شكلها ومحتواها حسب الموقع الاجتماعي للمتزوجين وظروفهم ويستمدون طرق زواجهم مما ضبطه الدين و حسب ما جرت العادة العمل به عبر الزمن ، إذ يتفاعل الناس مع ما هو موجود في محيطهم فيستعملون المواد المتوفرة في اللباس وإعداد الطعام وطريقة البناء لإيواء المتزوجين... مما أعطى المغرب

الاسلامي طابعا مميزا له يجمع بين تمسكه بخصوصيته واستعداده للتفاعل مع المؤثرات الوافدة كما حصل مع الأندلسيين مثلا الذين كان لهم تأثير واضح على السكان الأصليين في مجالات عدة.

- خضع المجتمع الاسلامي في النصف الثاني من القرن السادس إلى غاية القرن التاسع الهجري لمجموعة من التقاليد والعادات، ولاشك أن عامل البيئة كان له أثر على مكانة المرأة وإسهامها في ذلك، وأهم ما يتصل بتلك التقاليد والعادات الحرص على صون المرأة والحفاظ عليها، وبالرغم من ذلك فقد ظهرت عينات من النساء نالت مكانة سياسية واجتماعية وثقافية مرموقة، كان لبعضهن أثر يتراوح بين القلة والكثرة في مجرى الأحداث العامة، فقد ظهرت...وأسهمت بعض منهن إسهاما اختلفت فعاليتها باختلاف الحيز الجغرافي الذي عاشت فيه.

- حضور نسوى كبير في الميدان الاقتصادي، فسواء اعترف المؤرخ المغربي بالفعالية النسوية، أولم يعترف بها، فكتب النوازل الفقهية للحقبة تحتفظ بالدور الكبير لنساء المغرب الاسلامي بصفة عامة، والبدويات بصفة خاصة في الميدان الاقتصادي، فمن يستطيع إنكار ما كانت، وما زالت تقوم به البدوية ؟ فعلاوة على أشغالها المنزلية بما فيها الأمومة، اشتغلت إلى جانب الرجل في الحقل وقامت بالرعي، والاحتطاب والسقي والبيع في السوق.

- بروز صنفين من النساء: حضريات وبدويات وكل من الصنفين مقسم بدوره إلى قسمين: نساء الطبقة الحاكمة والغنية والمحافظة، اللواتي فرض عليهن التقوقع في الدور ونساء العامة اللواتي كن يعشن عيشة أكثر حرية.

- إن ملكات المرأة الموحدية ومواهبها وطاقاتها تجعل من الواجب أن يكون لها دور مهم في ازدهار المجتمع ودفع عجلته إلى الأمام بقوة، إذ أحسن الحكام الموحدين توجيه هذه الملكات والمواهب والطاقات واستثمارها بصورة أفضل .

- إن دور المرأة الموحدية في المجتمع المغرب والأندلس كان لايقل شأنا عن دورها بعد هذا العهد، وذلك لأن عقيدة الموحدين لم تكن ضد المرأة كما ذهبت إليها بعض الدراسات الحديثة، بل أعطت للمرأة احترامها وتقديرها تأثرا بالقرآن والشريعة الإسلامية، فعلى الرغم من منع الموحدين لسفور المرأة إلا أنهم خلقوا لها مناخا واسعا للإسهام في الحياة الفكرية والثقافية، فهم الذين أحدثوا إجبارية تعليم المرأة، الأمر الذي لم يتأت في أي عهد قبله .

- فيما يتعلق بإسهام المرأة المغربية الفاعل في الميدان العلمي والفكري طوال الحقبة الوسطية، فإن الدراسة لم تقتصر على تعداد الشهيرات والعالمات من النساء الآئي نبغن في فنون العلمي وضروب المعرفة وحسب، بل أوضحت

أن تذييل مؤرخي التراجم والطبقات من المغاربة والأندلسيين لتآلفهم بقوائم تخص النساء فقط ممن بلغن شهرة علمية أسوة بمن عاصرهن من الرجال الأعلام له خير دليل على سبيل التمثيل لاالحصر ابن حيان وابن حزم والحميدي وابن الأبار وابن عذاري المراكشي والمقري التلمساني و...الخ.
- استطاعت هذه الزمرة من النساء العالمات والمعلمات أن يشاركن الرجال في تعليمهم، ونشرهم للفضيلة، وتحدين ظروفهن العصيبة، وفرضن أنفسهن على الساحة التعليمية، وانتزعن ألقابا كانت من خاصية الرجال كالعالم والفقيه، والشيخ المفتي
- تخصصت نساء المغرب الاسلامي في الطب النسائي والتقليدي، فقد أنجبت بلاد المغرب الاسلامي مجموعة من الطبيبات نذكر منهن الطبيبة الموحدية الشهيرة "أم عمرو" ابنة "ابن زهر" وابنتها" فاطمة"، والطبيبة "عائشة" المرينية....
- تقف عمائر المرأة في بلاد المغرب الاسلامي شاهد صدق على تقليد مغربي أصيل، وهو قيام المرأة مع الرجل على قدم المساواة في دفع مسيرة الحياة العامة، في كل وقت ما حفلت به تلك الحياة من نشاط عمران حضاري زاهر .
- شاركت المرأة المغربية في كثير من أعمال الخير والبر والإحسان، مما كان له أثر طيب في المجتمع، وكثير من المغربيات كانت لهن المآثر الخيرية، فقد كانت في كثير من الأحيان أكثر إغداقا من الرجال في الإنفاق بأموالهن الخاصة لأعمال البر والإحسان سواء من حيث بناء المساجد والجوامع والمدارس والكتاتيب أو في النفقة على الفقراء والمساكن وطلبة العلم، أو في تحبيس أموالها وممتلكاتها للصالح العام مما يعود نفعه على الإسلام والمسلمين، ومن الشواهد على ذلك ماقامت به ....والفلانة.......
- إماطة اللثام من سفور الكثير من النساء بالمغرب الاسلامي وعزوفها عن ارتداء الحجاب، وذلك إما بسبب الانتماء والمجال، فارتبط سفور المرأة الأندلسية بتأثرها بثقافة مجتمعها المختلط (من العرب والأمازيغ المسلمين والمسحيين واليهود)، أما سفور المرأة المغربية فيعود إلى تقليد الموروث عن الآباء والأجداد، وبالنسبة للمرأة من العامة سواء في البادية والحاضرة، فمرده الانهماك في أعمال الفلاحة والزراعة والرعي شأن الرجل، وفيما يتعلق بالجواري والإماء فإن سفورها غير محاسب عليه.
- كان الانتماء الطبقي عاملا هاما في تحديد أدوار ومكانة المرأة الاجتماعية والاقتصادية، فلم تكن الثروة والامتلاك نصيب جميع النساء بالمغرب الاسلامي، فبعضهن حظين باهتمام آبائهن فراحوا يملكوهن بعض أملاكهم، كما حظيت أخريات بحقوقهن من الميراث، ومثل هؤلاء النسوة كن

من الأسر الميسورة، أما غالبية نساء الطبقة العامة فإنهن مارسن الأنشطة الاقتصادية التي تحكمت في نوعها الانتماء البيئي .

ـ لم يكن الانتماء المذهبي والقبلي عاملين تحكما في حرية المرأة بالمغرب التي كانت تخرج لمقاصد عديدة ومختلفة باستثناء التشدد الذي فرضه الموحدون على حريتها في بداية أمرهم، بل يرجع ذلك لمدى سلطة الأب والزوج والأخ وحسب.

ـ مهما ألصقت بالنساء من صفات، يبقى حضورها كبير لأن التاريخ لا يصنعه الرجال وحدهم، فلم يتم ما أنجز من نجاحات أو إخفاقات إلا بمساهمة الجنسين معا كل بطريقته.

ـ تشابهت نساء المغرب الاسلامي في اهتمامهن بهندامهن وتزوقهن وحليهن، وفي مختلف الطبقات الاجتماعية، إلا أنه كان للمستوى المادي دور في تحديد مظهرهن، وقد اتخذن ذلك أشكالا مختلفة على مستوى طريقة اللباس أو الاعتناء بأشكالهن وأجسادهن، وبما أن التجمل طبيعي عند المرأة فإن المصادر تتحدث أساسا عن هذه الظاهرة عند الرجال مبيحة بعض الأشياء ومحرمة أخرى لدى المرأة.

ـ إن اللباس والحلي والتزوق تلقى الضوء على مستوى الحياة الاقتصادية، من خلال الأقمشة المستعلمة فيها والعطور وأنواع الحلي التي تتحلى بها سواء بالنسبة للنساء الحضريات والنساء الباديات، ونجد هذه الأشياء المستعملة عند النساء في هذه الفترة تدل على ما وصلت إليه بلاد المغرب الاسلامي من تطور وراثي حضاري.

ـ يبدو أن حب المرأة للحلي والمجوهرات أمر غريزي فهي تهتم لكل شيء يزيدها أناقة وجمالا، وبرغم الاختلاف الجغرافي والانتماء السياسي والعقائدي لها، وارتباط مركزها الاجتماعي بزيها، فثمة ذلك الذوق الفطري عند كل النساء الذي يبدو وكأنه يعمل على التقريب ببيئتهن في مختلف الظروف والأزمات، ذلك أن هذا الذوق يتعلق بالمرأة كامرأة بعيدا عن الطبقة التي تنتمي إليها، ويبدو أن هذه هي نقطة الالتقاء الوحيدة التي تربط بين النساء على اختلاف طبقاتهن، ونعني بذلك حب التأنق والتزوق بالحلي، فكثيرا من السيدات في بلاد المغرب الاسلامي يلبسن من ذلك الحلي ما يفوق ثروة أزواجهن، وليس من النادر أن نرى أنه هناك زوجة لحرفي بسيط تتزين بمجوهرات ثمينة لو أنه أتيح لواحدة من ثريات النساء في أوروبا أن ترتديها لأدركتها كل إمارات الزهو والخيلاء، ومع ذلك فقد تكون زوجة هذا الحرفي ممن يعانين في الحصول على قوتها اليومي.

ـ إنّ عملنا المتواضع هذا لا يهدف إلى إنصاف المرأة، أو الدفاع عنها، بل يعتبر التفاتة كان لابد منها، باعتبارها نصف المجتمع، ورغم ذلك فهو

مهمل في أغلب النصوص، كما لا ندعي أننا استوفينا البحث بصورة شاملة، بل مازال في حاجة إلى من يقويه ليشع أكثر.

وأخيرا نحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات ويستقيم الأمر في الأرض وفي السموات، على أن وفقنا في إنجاز هذا العمل، الذي نقر فيه بقصورنا وعجزنا، وعزائنا في ذلك أنها محاولة مبتدئة لاتزال تخطو خطواتها الأولى في طريق طويل، ولكننا نرجو أن نقدم هذا العمل على ما فيه إسهاما في الحضارة الإسلامية.

والله كفيل بإتمام النقص، وجبر الكسر، وهو برحمته يثيب العاملين وإن أخطئوا، وهو من وراء القصد الهادي إلى سواء السبيل، وقل رب زدني علما، هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر، وإني أحمد الله تعالى وأشكره على فضله وامتنانه، والحمد لله رب العالمين.

تمت بحمد الله وحسن عونه .



ملTق النdžو !

والآداوğ

ملاق النždو !

والاداوğ

أولا : الملاحـــــق

ملحـق رقـم : ٠١ * الرفـق بالقـوارير .

حكــى أبو عبد الله محمد بن التّمـار: "خرجت مـرّة مع الشيخ الشبان إلـى سوسـة ومعـه جاريـة راكبــة علـى زاملــة، وهـو علـى سـرج، فـإذا أمشـى قليلاً مضى إليها وقال: تحبّين أن تركب السرج ؟ فتقول: ـ نعم ! فينـزل لهـا ويرجـع هو الزاملة، ثم يمشـي قليلاً فيقول لهـا:ترجعـي علـى الزاملـة ؟ فتقول لـه: نعم، فيردّها عليها، فعل ذلك نحو أربع مـرات، فلما وصلنا سوسة، دخلت عليه فقلت لـه: غلبـت علـى عقلـك وسـاعدتها تنـزل مـن دابـة إلـى دابـة، والنـاس يرونـك ؟ فغضب ورفع بصره إلى السّماء وقال: اللّهم ابتليـه بما ابتليتني بـه .

قال الراوي: وبعد مدّة ابتلى أبو عبد الله محمد التّمار بجاريـة كـان باعهـا ونـدم علـى فعلـه وقد شبعتها نفسـه، وبلـغ منـه ذلـك أمـرًا عظيمًـا، فكـان يقـول: "أصابتني دعوة الشّيخ الشّبان".

ومن الحكم المروية على الشيخ الشّبان أنه قال لبعض الطلبة ممن يـدرس عليه : "خذ من النحو ودعّ ، وخذ من الشـعر وأقلل، وخذ مـن العلـم وأكثـر، فمـا أكثـر أخـذ مـن النحـو إلاّ حمّقـه، ولا مـن الشّـعر إلاّ أرذلـه، ولا مـن العلـم إلاّ وشرّفه".

القاضــي عيــاض : **المــدارك**،ج١، ص ١٧٥.

ـ ملحق رقم: ٠٢ * فارسة مرابطية في هيأة رجل .

" ... وكان القتال على القصر حتى إلى الظهر، ولم يدخل حتى ماتت فانو بنت بيذتان، وكانت ذلك اليوم تقاتل الموحدين وهي في هيأة رجل، وكان الموحدون يتعجبون من قاتلها، ومن شدة ما أعطاها الله من الشجاعة وهي بكر، فلما ماتت حينئذ دخل القصر ولم يعرف الموحدون هل هي امرأة أم لا حتى ماتت " ،وكان ذلك يوم السبت ١٧ شوال عام ٥٤١هـ/ ٢٢مارس سنة ١١٤٧م .

البيدق: **أخبار المهدي**، ص٦٤.

ـ ملحق رقم :   ٠٣ * لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله.

كانت بمدينة "أغمات " امرأة جميلة تعرف بزينب النفزاوية قد شاع ذكرها وأمرها في قبائل المصامدة وغيرها، فكان يخطبها أشياخهم وأمرائهم فتمتنع لهم وتقول: " لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله " فكانوا يرمونها بالحمق، وكان لها أخبار مستطرقة غريبة كمثل أخبار الكهنة، فبعض يقولون أن الجن يكلمها، وبعض يقولون هي ساحرة، وبعض يقولون كاهنة، فأعلم بجمالها الأمير أبو بكر بن عمر فخطبها وتزوجها فوعدته بمال كبير تخرجه له، ثم أدخلته في دار تحت الأرض معصب العينين ثم أزالت العصابة ففتح عينيه فرأى بيوتا فيها ذهب كثير وفضة وجواهر ويواقيت، فعجب من ذلك أبو بكر بن عمر كل العجب لما عاين من الذخائر والذهب والفضة، فقالت له زوجه زينب: هذا كله مالك ومتاعك أعطاك الله إياه على يدي فصرفته الآن عليك، وكان رؤيته له بضوء الشمع، ثم أخرجته معصب العينين من ذلك الموضع كما أدخلته فيه فلا علم من أين دخل ولا من أين خرج، وكان دخوله معرسا بزينب المذكورة في شهر ذي القعدة من عام ستين وأربع مائة وكانت هذه المرأة موسومة بالجمال والمال وكان لها محاسن وخصال محمودة وروية مستطرفة فقيل ـ والله أعلم ـ أن الجنّ كانت تخدمها .

ابن عذاري : **البيان المغرب**، ج٤، ص ١٨.

ـ ملحق رقم : ٠٤ * فراسة زينب النفزاوية .

" إن ابن عمك رجل متورع في سفك الدماء، فإذا لقيته فقصر عما كان يعهده منك من الأدب والتواضع ، واظهر له غلظة حتى كأنك مساو له ومقاومه ولاطفه مع ذلك بالأموال والهدية والخلع، والثياب والطعام ..."

ابن أبي زرع : **روض القرطاس**، ص ١٣٥.

ملحــق رقـم : ٠٥ * كرامة أم عبد المؤمن الموحدي .

يذكـر البيـدق : "أن أم عبد المؤمـن رأت فـي المنـام، وهـي حامل بــه، كــأن النار تخرج منها فتحرق المشرق والمغرب والقبلة والجوف، ويضيف المؤرخ أن المعبّر الذي توجّهت إليه قالت: "لابد لهـذه المرأة من مولـود يكون أمره بأخذ المشرق والمغرب والقبلة والجوف، وطلب منها أن تكتم هذا الأمر ولا تعرف به أحــد " .

البيـدق : **أخبار المهدي بن تومرت**، ص ٢٢.

ـ ملحق رقم: ٠٦ * الركب الحجيجي برئاسة أميرة مرينية .

".. واعتزمت حظية من حظايا السلطان أبي الحسن على الحاج في ركابه ذلك، فإذن لها وستبلغ في تكريمها ، وستوصى بها وافده وسلطان مصر في كتابه، وفصلوا من تلمسان، وأدوا رسالتهم إلى الملك الناصر وهديتهم ، فتقبّلها وحسن لديه موقعها، وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث به الناس دهرا، ولقاهم في طريقهم أنواع البربر والتكرمة حتى قضوا فرضهم، ووضعوا المصحف بحيث أمرهم صاحبهم، وأسنى هدية السلطان من فساطيطهم الغربية الهيكل والصنعة بالمغرب، ومن ثياب إسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ،ورجعهم بها إلى مرسلهم وقد استبلغ في تكريمهم وصلتهم ،وبقي حديث هذه الهدية مذكورًا بين الناس لهذا العهد".

ابن خلدون : **العبر**،مجلد ٧،ص٥٥٣.

ملحــق رقـم : ٠٧ * زواج مسلمات بمسيحيين :

(نمــوذج أول)

ـ زواج جميلة أخت محمود بن عبد الجبار المصمودي الثائر بماردة في سنة (٢١٤هـ/٨٢٢م) بعد وقوعها في أسر ملك جليقية من أحد قوامسة،وقد أنجبت منه ولدًا أصبح فيما بعد أسقفًا لمدينة شانت ياقت (Santinge) .

ابن القوطية القرطبي: **تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٧.**

(نمــوذج ثاني)

ـ زواج زايدة المسلمة،كنة المعتمد بن عبد ملك إشبيلية، في عصر دويلات الطوائف من ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون، وقد أنجبت منه ابنه الوحيد شانجة الذي لقي مصرعه في موقعة اقليش سنة (٥٠١ هـ/ ١١٠٧م) .

ابن عذاري : **البيان المغرب**،ج٤، ص ٥٠ .

(نمــوذج ثالث)

ـ امرأة مسلمة بنت أحد أحفاد المنصور بن أبي عامر من ولده عبد الله بن المنصور، تزوجت بمحض إرادتها من فارس مسيحي.

ابن حيان: **المقتبس من أنباء الأندلس**، ص 770.

ملحـق رقـم : ٠٨ * زينب النفزاوية وكنزها المخفي .

قـال ابـن عـذاري :" ...وفـي سـنة(٤٦٠ هــ/ ١٠٦٧م) اسـتقامت الأمـور للأمير أبي بكر بن عمر وطاعت له البلاد ووجه عماله إليها، وكان مستوطنا بمدينة أغمات، وكانت بها امرأة جميلة تعرف بزينب النفزاوية وقد شاع ذكرها وأمرها في قبائل المصامدة وغيرها، فكان يخطبها أشياخهم وأمراؤهم فتمتنع لهم وتقول: ((لا يتزوجني إلاّ من يحكم المغرب كله)) فكانوا يرمونها بالحمق، وكان لها أخبار مستطرفة غريبة كمثل أخبار الكهنة، فبعض يقولون إن الحق يكلمها، وبعض يقولون هي ساحرة، وبعض يقولون هي كاهنة، فأعلم بجمالها الأمير أبو بكر بن عمر فخطبها وتزوجها فوعدته بمال كثير تخرجه له، ثم أدخلته في دار تحت الأرض معصب العينين ثم أزالت العصابة ففتح عينيه فرأى بيوتا فيها ذهب كثير وفضة وجواهر ويواقيت ، فعجب من ذلك أبو بكر بن عمر كل العجب لما عاين من الذخائر والذهب والفضة، فقالت له زوجه زينب: هذا كله مالك ومتاعك أعطاك الله إياه على يدي فصرفته الآن عليك، وكان رؤيته لها بضوء الشمع، ثم أخرجته معصب العينين من ذلك الموضوع كما أدخلته فيه فلا علم من أين دخل ولا من أين خرج ، وكان دخوله معرسًا بزينب المذكورة في شهر ذي القعدة من عام ستين وأربع مائة ، وكانت هذه المرأة موسومة بالجمال والمال وكان لها محاسن وخصال محمودة ورؤية مستطرفة فقيل ـ والله أعلم ـ إن الجنّ كانت تخدمها وقيل غير ذلك كما تقدم" .

ابن عذاري: **البيان المغرب**، ج٤، ص ١٨.

ملحــق رقـم : ٠٩ * موقف المرأة من زوجها عندما يحقد على أخيها .

(...)" دخل في طاعة عبد المؤمن جميع ثوار إفريقية ومنهم منيع بن
بزوكش الصنهاجي صاحب زرعة وطبرية (ولأبيه خبر عجيب خلاصته أنه كان من فرسان صنهاجة وكانت أخته عند العزيز بن المنصور صاحب بجاية، وكان العزيز يسامره فجعل العزيز يفخر بماله ولآبائه من الملك فجعل بزوكش يصف ما جرى له من المواقف في القبائل ثم يتمثل بهذا البيت :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول.

فاحتملها له العزيز وأضمر الإيقاع به ففهمت ذلك أخته وأرسلت إليه : أحمّدت ملكًا وتقيم بلده ؟ أنظر لنفسك ـ فهرب ـ ولحق بباجة، فأكرمه شيخها وبعثه على زرعه".

الزركشي: **تاريخ الدولتين،** ١٢.

ملحق رقم : ١٠ * توكيل المرأة زوجها على بيع مالها .

أشهدت فلانة بنت فلان شهداء هذا الكتب في صحّتها وجواز أمرها أنها وكّلت زوجها فلان بن فلان على بيع دارها التي بموضع كذا وحدودها كذا بوكالة التفويض التّامة التي أقامته بها مقام نفسها وأنزلته منزلتها وقبل زوجها فلان ذلك من توكيلها شهد على إشهاد فلان بن فلان وزوجته فلانة ابنة فلان على أنفسهما بما ذكر في هذا الكتاب عنهما من عرفهما وسمعة منهما ، وهما بحال الصّحة وجواز الأمر وذلك في شهر كذا من سنة كذا فإن جعلت إليه مشورة أحد ذكرت ذلك ، وقلت قبل قولك ((وقبل)) عن مشورة فلان ورأيه .

عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص ٥١٨

ملحـق رقـم : ١١ * وثيقة إيجار المرأة ابنـها الصغير وحضانتـها.

ـ أجرت فلانـة بن فلان ابنها فلان بن فلان الصغير الذي لأحضـانـها من فلان ب فلان ليعمل له في تحويل غزل الكتان في المسومات أو لعمل كذا في حانوته أو في طرازه بحاضرة كذا لسنة أولها من سنة كذا بكذا يؤديها فلان منجمة على عدد شهور العام المذكور لكل شـهر مـا ينوبـه عند انقضـائه وذلك كذا وكذا وعرفًا قدر ما تعاملا عليه ، وشرع الصبي فلان في العمل عنده لأول استئجاره على سنة المسلمين في الاستئجار شهد ...

ــ وعقـد الأم الحاضـنة أو غيرهـا إن كانـت حاضـنة لـه علـى الصـغير الإجارة جائزة لا تنفسخ إلا أن يزاد الصبي في إجازته فتقبل لـه الزيـادة ويفسخ عقد الأم إلا أن يتزايد فيكون عند من تقف عليـه الزيـادة وتنظـر لـه في أحسن المواضع قرب موضع يكـون فـي العمـل أرفـق بـه لصـالح إلـى مستأجره فيترك فيه وإن كان بدون ما يعطيه غيره، ولا تقبل الزيادة في عقد الوصي على اليتيم إلا أن يثبت أنه كان في عقده الأول غبن لليتيم فتقبل الزيادة بثبوت الغني .

عبد الواحد المراكشي: **وثائق المـرابطين والموحـدين**، ص ٥١٣.

ملحـق رقـم : ١٢ * هـجـرة الزوج لزوجته .

قـال الشـيخ أبـو علـي عمـر بـن العبـاس الصـنهاجي المعـروف بـالحبـاك ، متجرد عن الدنيا، مجاهد لهوى النفس (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م).

قال : كان ابتداء أمري أن حضـرت دفـن ولـي الله وقطـب الصـالحين أبـي مـدين فلـم أر يومئذ أعـز مـن الفقـراء ، ولا أذل مـن الأغنيـاء، فقلـت هـذا فـي الدنيا، فكيف بهم فـي الأخـرى، فأعطيت فقيـرًا ثيـابي ولبسـت مرقعتـه، ودخلـت داري ، فصـاحت زوجـت : واويلاهـا، فقلـت لهـا: إن لـم تـوافقني علـى هـذا، وإلا فعدّيني ميّتًـا، ثـم تركـت لهـا مكسـبي كلـه وولـدي وخرجـت سـائحًا، فبعـد أربعـة أعـوام، رجعت إلى تلمسان واجتزت بسـويقة أجـادير فلقيتنـي زوجتـي وخـادمهـا، تحمل أحد أولادي على كاهلها، فأخذت خبزة من خبّاز،وناديت بهـا فـي السّوق: ((مـن يشـتري لـي هـذه ؟)) قصـد إياسـها منـي وسـارقتها النظـر، فـإذا الـدموع تنحدر علـى وجنتيها، فرددت الخبزة لربها، وذهبت .

يحـي ابـن خلـدون: **بغيـة الـرواد**،ج١،ص ص ١٠٧، ١٠٨

ملحـق رقـم : ١٣ * الحياة في الذّل عذاب والوجود بعدكم عدم .

قالـت " دعـد" ـ قهرمانـة القصـر الزيـاني ـ للسلطان :"إن حضـايا قصـركم ، وبنـات زيـان حـرمكم ، قالـت: مالنـا والبقـاء، وقـد أحـيط بكـم ،وأسـف عـدوكم لاتهامكم بالجبن، ولم يبق الافراق باكية لمصارعكم ، فأريحونا من معرة السبي وأريحـوا فينـا أنفسكم، وقربـوا إلـى مهالكتنـا، فالحيـاة فـي الـذل عـذاب والوجـود بعدكم عدم ."

يحي ابن خلدون: **بغية الرواد**،ج١،ص ٢١٢.

ـ ملحق رقم: ١٤   * أكل الأواني .

بلغني أن أحد أجداد القلشانيين (هم من بيت علم ورئاسة تلقب أفراده في المناصب العلمية العالية كالقضاء والإفتاء مدة طويلة على عهد الدولة الحفصية وبعدها). أنه صنع مرة طعام وليمة واستدعى إليه أعيان حضرة تونس من سائر الطبقات ، فالذي حضر أولا أكل الطعام المنصوب على الموائد من حلويات وغيرها، والذي حضر آخر الأكل أكل الأواني، وذلك أنه اتخذ تلك الأواني من السكر وقدّر لكل آنية كم تصبر لكل صنف من الطعام.

نقلاً عن حسن حسني عبد الوهاب :م س،
ق ٢ ،
ص ص ٤٣١، ٤٣٢.

ملحق رقم: ١٥ * عـادات وطريقة البكاء على الموتى بفاس .

" تجتمع النساء إذا مات لهـن زوج أو أب أو أم أو أخ، مرتديـات لباسًا خشنًا،ويلطخنا وجوههن بسـواد دخان القدور ثم يستدعين أولئك الأنذال الذين يتحولون وهـم يلبسون ثياب النسـاء،ليضربوا على دفوف مربعـة ويرتجلوا نظامًا حزينة مبكية في رثـاء الميت،وفي آخر كل بيت تصيح النســاء ويخدشــن صدورهـن وخـدودهـن حتى يسيل منها الدم بغزارة ،وينتفن شعورهـن نائحات مولــولات .

يـدوم ذلك سبعة أيــام، وبعـد أربعين يومًا يستأنف نحيبهن لمدة ثلاثة أيام، تلك من عادات العامة، ولا تسير النساء في مواكب الجنازة ولو كان الميت أبًا لهنّ أو أخًا ".

الوزان: **وصف إفريقيا**، ج١، ص ص ٢٥٨، ٢٥٩.

ملحق رقم: ١٦ * رمضان والمرأة الصغيرة.

كـانوا زوج ذا الشـريكات [١] : الكبيـرة كانـت قابضــة الـدين وتصـوم بالقاعدة وما كـاتفطرغير إلا كـان عندها داك العذر المعلوم دا العيـالات . وأمـا الصغيرة كانت كاتأكل رمضان بالسرقـة وإلا جاها الجـوع فـي النهـار كاتمشـي تتخبـع وتأكـل شي شويـة دا الخليـع وتشرب المـاء واحد النوبــة من أين يطلـع النهار صابوا واحد الراجل ميت مكفن فـي قلـب واحـد البيـت تحتـي مـا عرفـوا شي من أيـن جاء. مشى رجلهم سول العلماء. قالوا له : " شـي واحد فـي داركم كاياكل رمضان ودابا خصكم كل واحد فيكم يبـات ليلـة مـع داك الميت : الـي صايم بالقاعدة ما عنده من أش يخاف " .

رجع الراجل لداره وقال :" نباتوا بالنوبة مع دالك الميت " وبات هو الليلة الأولى وصبح لاباس عليــه، المــرأة الكبيرة باتت الليلة الثانية وصبحت لابـاس والصغيرة ما بغــات شي تبــات فـي داك البيــت، عملــوا عليها الــذراع بـاش باتــت ثـم، الا غــدا حلــوا البيــت ومـا صـابوا لا داك الرجل الميت ولا ديك المرأة الصغيرة.ودل الرجل الي بحال الميت هو رمضان : مشى واداها ! .

المجلــة الإفريقيــة، مجلــد ١٨، ١٨٥٦

ص ص

. ١٣٥ - ١٣٤

ملحق رقم: ١٧ * الصـداق في المغرب الاسلامي.

" هذا مـا أصــدق فـلان بـن فـلان زوجتــه فلانــة بنـت فـــلان أصـدقها صـداقا جملتــه نقـدا وكاليـا كـذا وكـذا دينــارا ذهبـا أميــرية الضــرب، النّقـد مـن ذلـك كذا وكـذا دينــار "

نقلاً عن، محمد حسن:**المدينة والبادية**، ج٢، ص ٧٨٨.

ملحـق رقـم : ١٨ * **صـداق الأميـرة الحفصـية زوجـة السـلطان أبـي الحسـن المريـني.**

قدم السلطان أبا الحسن المريني مهر لزوجته الثانية أخت زوجته بعد وفاة هذه الأخيرة بصداق قدره خمسة عشر ألف دينار ذهبا ومائتا خادم . .

الزركشي: **تاريخ الدولتين** ، ص٧٩.

ملحق رقم : ١٩ * مقام أميرات بني زيـان.

لمـا خرج السعيد الموحدي ليستـرد مـا ضـاع من دولتـه بجيش فــي شــهر ذي الحجـة سـنة (645هــ / 1248) قتـل فــي معركــة ضــد يغمراسن بن زيـان ، فاستولى هذا الأخير علـى الذخيرة التـي كانت فيـه مصحف عثمان بن عفـان ـ رضـي الله عنـه ـ أمّا حـرم السعيد الموحدي وأخته **تاغرونت** فقد تقدم إليهن يغمراسن، وأعرب لهن عن تأسفه علـى ما وقع، وألحقهن بالمغرب، فوصلن إلى مراكش آمنات سالمات، قال ابن خلـون : " كـان لـه بـذلك حـديث جميـل فـي الإبقـاء علـى الحـرم ورعـي مراتب الملك " .

مجهول : **الذخيرة السنية** ، ص ص ٨١ ، ٨٢.

ـ ملحق رقم : ٢٠ * وثيقة باستئجار خادم في الحاضرة.

استأجر فلان بن فلان فلانة بنت فلان لخدمة البيت من العجين والطبخ والخبز والكنس وعمل السرير واستقاء الماء وغسل الثياب والغزل والنسيج وغير ذلك من الأمور والتصرف داخله وخارجه لعام أو لعامين أو لعشرة أو لخمسة عشر عاما أولها شهر كذا من سنة كذا بكذا وكذا عليه نفقتها وكسوتها ومئونتها المدة المذكورة ودفع المستأجر فلان جميع الأجرة إلى فلانة بنت فلان أو دفع منها كذا وبقي كذا إلى انقضاء أمد الكراء أو تؤدى عند انقضاء كل عام ما ينوبه وشرعت فلانة فيما استأجرت له وعرفا قدر ما تعاملا عليه وأحاطا علمًا بمبلغه وعليها أداء الأمانة والاجتهاد بأبلغ طاقتها شهد...

ويجوز عقد الإجارة في العبيد والأحرار العشرة الأعوام والخمسة عشر عاما وشرط النقد في ذلك جائز وما كان من الأعمال يقرب بعضها من بعض فيجوز أن تقد الإجارة على جميعها مثل أن يستأجر لخدمة دوابه والاختلاف بها إلى بواديه والسفر معه إلى بعض معروفه أو يكتري المرأة لخدمة البيت العجين ويذكر معه الطبخ والخبز والغسل لقرب بعض ذلك من بعض ولو استأجره للحرث أو للرعاية وللسفر إن احتاج لم يجز لبعد كل حال من صاحبها ولا يجوز أن يستأجر الرجل المرأة الحرة أو المملوكة للخدمة إذا كان عزبًا وإنما يجوز ذلك له إذا كان معه أهل زوج أو خدم وكان مأمونًا مع ذلك.

عبد الواحد المراكشي:**وثائق المرابطين والموحدين**،ص ص٤٩٥، ٤٩٦.

ـ ملحق رقم : ٢١ * توكيل المرأة زوجها على بيع مالها .

أشهدت فلانة بنت فلان شهداء هذا الكتب في صحتها وجواز أمرها أنها وكلت زوجها فلان بن فلان على بيع دارها التي بموضع كذا وحدودها كذا بوكالة التفويض التامة التي أقامته بها مقام نفسها وأنزلته منزلتها وقبل زوجها فلان ذلك من توكيلها شهدا على إشهاد فلان بن فلان وزوجته فلانة ابنة فلان على أنفسهما بما ذكر في هذا الكتب عنهما من عرفهما وسمعه منهما وهما بحال الصحة وجواز الأمر وذلك في شهر كذا من سنة كذا.

فإن جعلت إليه مشورة أحد ذكرت ذلك وقلت قبل قولك " وقبل " عن مشورة فلان ورأيه .

عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين،** ص ٥١٧.

ـ ملحق رقم: ٢٢ * وثيقة إجارة المرأة ابنها الصغير وحضانتها.

أجرت فلانة بنت فلان ابنها بن فلان الصغير الذي لأحضانها من فلان ابن فلان ليعمل له في تحويل غزل الكتان في المسرمات أو لعمل كذا في حانوته أو في طرازه بحاضرة كذا لستة أولها كذا من سنة كذا بكذا وكذا يؤديها منجمة على عدد شهور العام المذكور لكل شهر ما ينوبه عنه انقضائه وذلك كذا وكذا وعرفا قدر ما تعاملا عليه وشرع الصبي فلان في العمل عنده لأول استئجاره على سنة المسلمين في الاستئجار... شهد.

وعقد الأم الحاضنة أو غيرها إن كانت حاضنة له على الصغير الإجارة جائزة لا تنفسخ إلا أن يزداد الصبي في إجارته فتقبل له الزيادة ويفسخ عقد الأم إلا أن يتزايدا فيكون عند من تقف عليه الزيادة وتنظر له في أحسن المواضع قرب موضع يكون فيه العمل أرفق به لصلاح إلى مستأجره فيترك فيه وإن كان بدون ما يعطيه غيره. ولا تقبل الزيادة في عقد الوصي على اليتيم إلا أن يثبت أنه كان في عقده الأول غبن لليتيم فتقبل الزيادة بثبوت الغبن.

عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين،** ص ٥١٣.

ـ ملحق رقم: ٢٣ * دخول النساء الحمام.

قال العقباني: "أما دخولهنّ الحمام فأصله الإباحة لأنه من نعومات الأبدان غير أنه لا يقضي على الزوج به للزوجة إذا انتفعت موانع الدخول لأنه ليس من الضروريّ كالقوت واللباس والسكنى فإن وقع الاضطرار إليه قضي عليه به .قال ابن الحاج في " نوازله " ولا يقضى لها عليه بدخول الحمام إلا من سقم أو نفاس وقال في الرسالة ولا تدخله امرأة إلا من علّة قال أبو إسحاق يريد مالك الخروج إلى الحمام ولم يرد أجرة الحمام.

قلت يريد إذا أخلي لها أما حالة الاجتماع مع غيرها فلا، قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد إن خلا لها فأرجو لها صحّته . قيل له فإن سترت نفسها كما يفعل مع الرجال فما وجه الكراهة فقال لأن المرأة عورة ولا محلّ لها أن تبدي محاسنها للنساء. قال بعض الشيوخ. وهذا على أحد القولين أن المرأة مع مثلها ذات المحرم مع محرمها أو كمثل الرّجل الأجنبي معها وهو قول عبد الوهاب في شرح الرسالة وأما على مذهب من يراها مع مثلها كالرجل فتجري على أحكامهم في الدخول وهو الذي صحّح ابن رشد رحمه الله تعالى وجعل القول الأول مقيّد الصّحّة.

وقد ضاع في هذا الوقت وذاع أنّ النّساء لا يستترن بحال إلا القليل وذلك يرى عورة غيره فأراه اليوم مجمعا على تحريمه إلا أن يخلو لها الحمام أو تكون مع من يجوز له الاطلاع عليها

العقباني : **تحفة الناظر وغنية الذاكر** ، ص ٢٦٨.

ـ ملحق رقم : ٢٤ * هل يجوز للنّساء النّظر إلى الأجانب من الرّجال لغير ضرورة.

قال العقباني : " ومن هذا المعنى ما سئل عنه عزّ الدين هل يجوز للنّساء النّظر إلى الرّجال الأجانب من غير حاجة أو لا وإذا كان في البيت طاق ينظر منها إليهم فهل يجب على الزّوج سدّ تلك الطاق أم يكفيه أن ينهي عن النّظر ؟ فأجاب بأنّه لا يجوز النّظر إلى من يشتهيها وتخشى الافتتان ..."

العقباني : **تحفة الناظر وغنية الذاكر** ، ص ٢٦٨.

ـ ملحق رقم: ٢٥ * اجتماع النّساء للتويـزة.

قال العقباني :" ومن ذلك خروج النّساء لمجالس تجتمعن كما يفعل عندنا فـي مجتمـع يسمّونه التّويزة يغزلن عند امرأة واحدة فـي منزلها مـا تدعوهن لغزلـه مـن كتّـان أو صـوف إعانـة ورفقـا . قـال فـي " جـامع الأحكـام" وكـذا خروجهن اليوم لمجالس النّساء واجتماعهن بعضهنّ ببعض لما ينتج عن ذلك من التّعرض لأخذ مل الزّوج أو فتنـة الصّغار ومنهنّ بهروبهنّ عن أزواجهنّ وكثرة خروجهنّ في الأزقة وتعرّضهنّ للفتن .

وقـد كـان يقـال لا شـيء علـيهنّ أضـرّ من كثـرة الخـروج ومـن انتصـبت منهنّ لهذه المجالس فإنما هو لجمعهنّ الدّنيا وتخليق النّساء عن أزواجهنّ فـي مجالسهنّ ما يخالف طرق الشّريعة ويجب على من ولاّه الله النّظر فـي أمـور المسلمين أن ينظر في ذلك بقطع مادّة مفسدتهنّ .

قلت وأمّا ما يقع فـي بلدنا ووطننـا من اجتماعهن علـى احتفـال أو تـزين فيحلّقن دائرة على رجل غير محرم يغنّيهنّ ويطربهنّ فمحرّم اتفاقا أعاذنـا الله ممّا يردي فاعلـه فـي النّـار ويحق عليـه عقاب المنتقم الجبّار. قـال فـي " جـامع الأحكـام " وتعليمهنّ من القراءة مـا يصـلّين بـه حسـن ويمتنـع تعليمهنّ الشّعر والرّسائل وترك تعليمهنّ الخط أصون ومن خروجهنّ إلى المقابر ولا حاجة لأكثرهنّ في الزّيادة ولا قصد إلا مجرّد التّعرض بأنفسه لما لا يحل " .

العقبـاني : **تحفـة النـاظر وغنيـة الـذاكر** ، ص ٢٦٤.

ـ ملحق رقم :٢٦ * خروج النّساء إلى المقابر.

قال العقباني أنه جاء في " تنبيه الحكّام" ومن ذلك اجتماعهنّ في الجبّانات والمواضع التي يتّخذ منها مجالس للتّنزّه على من يمرّ منهنّ من شبّان الرّجال وقد يعارضهنّ بتلك الحالة كثير من الفسّاق وربّما جلبهم إلى المرور عليهنّ ما اعتبر من اجتماعهنّ وعرف من أغراضهنّ . وقد يعمدن إلى نصب الأخبية على الجبّانات تباهيا وزعما أن يستتر من يطيل الجلوس منهنّ وهذا أدعى إلى الشهرة والشرّ وأشدّ لصرف أعين الفسّاق وقلوبهم إلى من فيها مع ما يتوقّع من جرأة من لا يتّقي الله تعالى على مواقعه المعاصي بها لاستتار الكائن بها عن كثير من الاطّلاع فهذا كلّه من المناكر الّتي يحب الاشتداد عليها والمنع منها بحول الله .

العقباني : **تحفة الناظر وغنية الذاكر** ، ص ٢٦٤.

ـ ملحق رقم: ٢٧ * **هذا كله من حب فلانـة.**

قـال الجـدميوي: " قـال لـي عبـد الله محمـد بـن علـي حمـزة : كانـت لـي زوجة وكانت عندها جارية حسنة الوجه فعلقتها فعلمت زوجتي بذلك فحجبتها عني وقاسيت شدة شديدة فبينما أنا ذات ليلة نائم ومولاتها زوجتي إلى جانبي إذ رأيت في النوم كأن الجارية حيالي وأنا أبكي إذ لاح لي إنسان وأنشد:

وقفت حيالك أذرف مني الدموع وأخل بالدمع مني دما
وأشكو الذي بي إلى عاذلي ولا خير في الحب أن يكتما
رضيت بما ليس فيه رضى بتسليم طرفك إن سلما
فتهت علي واقضيتني وأعزز علي بأن أرغما

قال : فانتبهت جزعا ودعوت بداوة وقرطاس وجلست في فراشي وكتبت الشعر فقالت زوجتي مالك ماذا تصنع فقصصت عليها الرؤيا فقالت : هذا كله من حب فلانة، قد وهبتها لك ...

الجدميوي: **رفع الإزار على محاسن الجوار**،مخ،عدد ٩٢٦٧،و٤٦ ب.

ـ ملحق رقم: ٢٨ *** مقتل الطبيبة فاطمة حفيدة ابن زهر الأندلسي.**

قال ابن أصيبعة : " حدثني القاضي أبو مروان الباجي قال: " كان أوزيد عبد الرحمن بن بوحان وزير المنصور يعادي الحفيد أبا بكر بن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله، وعلو منزلته وعلمه، فاحتال عليه في سم صره مع أحد من كان عند الحميد بن زهر فقدمه إلى الحميد بن زهر في بيض ، فكما أكلت الضبية من ذلك البيض وخالها ماتا جميعا ولم ينفع فيهما علاج " .

وكانت وفاتها رحمها الله في عام 596 هـ بمراكش ، وقد أثثها برفقة خالها ودفن ابن الحميد في الموضع المعروف بمقابر الشيوخ .

ابن أصيبعة :**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،ص ٥٢٢.

ـ ملحق رقم: ٢٩ * الهـديـة .

قـال ابـن خلـدون : " وذكـر لـي بعـض قهارمـة الـدار أنّـه كـان فيهـا خمسماية من عتاق الخيل المقربـات، بسـروج الـذهب والفضـة ولجمهـا، خـالص ومغثى وهموها. خمسماية حمل من متـاع المغـرب ومـا عونـة وأسلحته، ومـن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم، وأزرا معلمه وغير معلمـة، ومن نسيج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون، وساذجا منمقا، ومن الـدرّق المجلوبـة مـن بـلاد الصـحراء المحكمـة بالـدباغ المتعـارف، وتنسـب إلـى اللمط، ومن خرثى المغرب وما عونه ما يستظرف صناعته بالمشرق، حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجوهر والياقوت" .

ابن خلدون: **العبر** ، مجلد ٧،ص ص٥٥٢، ٥٥٣.

ـ ملحق رقم: ٣٠ * العادات المتبعة في الزواج (بفاس) .

يودع الزوج والد الزوجة وأهلها، ويدخل توا إلى بيته لينتظر زوجته في غرفته، ويرافق العروس أبوها وأخوها إلى باب الغرفة حتى يضع الزوج قدمه على قدمها، ثم يخلو بها في الغرفة . وفي هذه الأثناء يشتغل أهل المنزل بتهيئة طعام العرس، بينما تقف امرأة بباب الغرفة حتى تفتض العروس ويسلم لها الزوج ثوبا ملطخا بالدم. فتذهب المرأة والثوب في يدها، إلى المدعوين تعلق لهم بأعلى صوتها أن العروس كانت بكرا، وبعد أن يقدم أهل الزوج الطعام إلى هذه المرأة تذهب مع نساء أخريات لمقابلة العروس فتستقبل بحفاوة ويقدم لها الطعام مرة أخرى.

وهناك ثلاثة ولائم في العرس، الأولى ليلة الزفاف والثانية في الليلة التالية ولا يستدعى لها غير النساء، والثالثة بعد أسبوع يحضرها أبو الزوجة وجميع أقاربها . ومن العادة أن يبعث ابو الزوجة في ذلك اليوم بهدايا.

ويحمل العرس كمية من السمك ويسلمها إلى أمه او على امرأة أخرى لترميها على قدمي العروس، عادة قديمة .

وتقام وليمتان في بيت الزوجة، الأولى في بيت الزوجة في الليلة السابقة ليوم رواح الزوجة إلى زوجها، يدعو أبوها أصدقائه، وفي اليوم التالي تأتي النساء المتخصصات في تجميل العرائس فيمشطن شعورهن ويزين خدودهن بالحمرة. ويخصبن أيديهن وأرجلهن بالسواد . الوليمة الثانية، توضع العروس فوق منصة ليشاهدها الجميع، ويقدم الطعام للسيدات اللواتي قمن بتجميلها .وعندما تصل العروس على بيت زوجها، يرسل غليه أصدقاؤه الحميمين أوعية كبيرة مملوءة فطائر، وأخرى مثلها عسلا، وخرفانا وعازفاتهن .

كل شيء يجري هكذا إذا كانت العروس عذراء. فإذا سبق لها الزواج كانت حفلة العرس أقل أبهة .

الوزان: **وصف إفريقيا**،ج١، ص ص٢٥٦،٢٥٧

.

ملحق رقم : ٣١ * البكري ونساء برغواطة.

كتب البكري في وصفه فقرات عن جمال نساء برغواطة وكذا رجالها، فأفاد بأن نساء هذه القبيلة :" **كان حسنهن يواكب براعتهن وقوتهن. وأكد أن الرجال والنساء يهتفون بالجمال وبالقوة الخارقة التي تتميز بها أيديهم ، كما قال إن المرء كان يشاهد الفتاة العذراء المنتمية إلى هذه القبيلة تقفز فوق ثلاثة من الحمير مضمومة إلى بعضها فتتخطاها دون أن تلامسها بفستانها".**

البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص** ١٤٠.

ملحق رقم : **٣٢ * قصر البنات الغانيات.**

..." وسرح الناصر الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص لقتال يحيى بن إسحاق ابن غانية في أربعة آلاف من الموحدين سنة اثنتين وستمائة، فلقيه بجبل تاجرا من نواحي قابس وأوقع به وقتل أخاه جبارة... واستنقذ السيد أبا زيد من معتقله ثم افتتح الناصر المهدية....

ورج الناصر إلى المغرب .... وأجمع ابن غانية النهوض لقتال الموحدين... ثم نهض إلى المغرب في جموعه من العرب والملثمين فانتهى إلى سجلماسة، وامتلأت أيدي أتباعه من النهاب وخرقوا الأرض بالفساد والعبث....

وجمع أوباشا من العرب والبربر... وأتبعه السيد أبو زيد في الموحدين وتزحفوا بظاهر تونس سنة إحدى وعشرين فانهزم ابن غانية وجموعه... ولم يزل شريدا مع العرب بالقفار.... إلى أن هلك لخمسين سنة من إمارته سنة إحدى وثلاثين بجهة مليانة، وقد خلف ثلاث بنات بعثهن إلى الأمير أبي زكرياء لعهده بذلك إلى علجه (جابر) فوضعهن في يده وبلغه وفاة أبيهن وحسن ظنه في كفالتهن وبنى لهن بحضرته دارا لصونهن معروفة ـ يقول بن خلدون ـ لهذا العصر بقصر البنات.

قال ابن خلدون: أخبرني والدي رحمه الله : أنه أدرك واحدة منهن أيام حياته في سني العشر والسبعمائة، تناهز التسعين من السنين، قال: ولقيتها وكانت من أشرف النساء نفسا، وأسرارهن خلقا وأزكانهن خلالا".

ملحق رقم : ٣٣ * المرأة و الأمثال الشعبية في المغرب الاسلامي.

حرف الألف:

- العروس تشكرها أمها وخالتها.
- أربع نساء والقرية يابسة.
- أم البنين مشغولة لو كان هي غولة.
- أعطوني خديجة وإلا نريب لمتيجة.
- أسرار العروسة عند أمها مدسوسة.
- إذا حلفت فيك امرأة بات قاعد وإذا حلف فيك راجل بات راقد.
- أملى له فمه ينسى أمه.
- أخطب لبنتك، وما تخطبش لابنك.
- إذا تفاهمت لعجوزة والكنة، يدخل إبليس الجنة.
- اللي يتزوجها على مالها يموت فقير، واللي يتزوجها على رجالها يموت حقير، واللي على جمالها يحبه ربي والنبي البشير.
- اللي خلى البنات ما مات.
- أقلب القدرة على فمها تخرج البنت لأمها.
- أنا قلبي على تمرة وقلب يما على جمرة.
- أعطيه الدف والكف.
- أعطيني بنتك وهاك كذا و كذا هاك عولتها وهنيني منها.
- إلا مديت كراعي نجيب راعي.
- الاسم عالي والركن خالي.
- أستر عليها.
- الأقارب عقارب.

حرف الباء:

- بعض النساء كلمتهم ما تتنسى ومرقتهم ما تتحسى.
- بنت الأصل تحشم بالشكر.
- بهوت النسا بهوت كبير.
- براد يمنه.
- بنت الزنقى ما دير الدار.
- بنت الخلا ما تعمر.

ـ بكر لحاجتك أقضيها، وتصنت للفال، بنتك قبل الصوم أعطيها، قبل لا يكثر القيل والقال فيها.
ـ البنت أحبات تشوف يمها أسم خبات.
ـ البنت بنت أمها تعمرها و لاتخليها.
ـ بن عمك هو همك.

حرف التاء:

ـ تكبري يالكنة وتعودي حماة، وتحسي كما حسيت.
ـ اتزوج بالمرأة البعيدة واحرث الأرض القريبة.
ـ تحدر مراة عمي داود حيط ومعلق عليه مزاود.
ـ تبكي وتنوح وتقول يا لالا.
ـ تبدل السروج راحة.

حرف الجيم:

ـ جايحة في بيتها وحاذقة برّا.
ـ جيتي للحايرة تسحر لك.
ـ الجارة تصدق من بيت صحاباتها.

حرف الحاء:

ـ حديث النسا يونس ويوسوس.
ـ حديث الوسادة ينسي على الشهادة.
ـ حجرة من يد الحبيب تفاحة.
ـ حبت تفوت المشطة فوق لصلع.
ـ حبت تعمل المشطة فراس لصلع.
ـ الحنة عادي في ظفارها والناس سمعوا خبارها.
ـ الحرة تحمل الجوع والجدوع.
ـ الحرث بالروى والزواج بالرضى .
ـ الحب يعمي مولاه
ـ الحنة في ظفارها والخطار جابت خبارها.
ـ الحداد للشدايد.
ـ الحيا يولد الفروخة.
ـ حديث الولادة يولد الدين والشهادة.
ـ حب النسا كالحنا في الحين يفسخ لباسه.

ـ ***حرف الخاء:***

ـ خذ بنت العم ولو بارت، واتبع طرق الأمان ولو دارت واسكن المدينة ولو جارت.
ـ خلات منسجها ممدود وراحت تعزي فالقعود.
ـ خذ بنات الناس إذا صبت الهنا تصيب الخلاص.

ـ خمّم على القطة أما العروس تتغطى.
ـ الخير امرأة والشر امرأة.
ـ خد ندّك والبس قدّك واتبع عادة باباك وجدّك.
ـ خلات رجلها ممدود ومشات تطل على محمود.
ـ الخوف يجري لعجايز.
ـ خود حبات زوينة وفويلة.
الخوخو مرتة والهبيلة خته.
ـ خود بنت عمك اللي ترفد همك.
ـ خنفوسة وتوانسني ولا يوقته وتهاوسني.
ـ خنفوسة وتوانسني ولا غزالة وتهوسني.
ـ خليتها في دار بوها وصبتها في دار جارها .
ـ خطابها ميا واللي يعبيها واحد.
ـ خرجها وحب يوريلها باب الدار.
ـ الخدمة للبنيتات والتغزال للكبيرات.
ـ خد بنت الحسب والنسب.
ـ الخلطة تخسر.
ـ خدها صغيرة تربيها على يديك.
ـ خد الطريق الصحيحة ولودارت.

حرف الدال:

ـ دبسي زينك لاينشاف ودبسي شينك لاينعاف.
ـ دار ثلاثة طايحة، ودار زوج بايخة ودار وحدة طل تشوف.
ـ داري تستر عاري.
ـ الدار والمرأة ما فيهم شركة.
ـ دار البنات عمرت وخلات.
ـ الدروب للنساء والجوامع للرجال.
ـ الديبة تعمل و يقولوا غير الديب.
ـ الدار كبيرة والمال غواني والجوع فيها قطع مصارني.
ـ دور مع العودة واشري مرتها .

حرف الرّاء:

ـ رضيت بالهم والهم ما رضا بيا، كان عند راسي وصار عند رجليا.
ـ راجل وامرأة انجبوا جمرة.
ـ الربيب علّة.
ـ روح تحطب قبل ما تخطب.

حرف الزاي:

ـ الزّين واليدين.

ـ الزين راه في نوار الدفلة ويعيفوه لحمير.
ـ الزينة لقلبي والشينة لكلبي.
ـ الزين زين بلا شباح.
ـ الزواج سترة.
ـ زواج ليلة يليق له تدبير عام.
ـ الزهر بوهالي ماتحصي يجي الأول أو التالي.
ـ الزوجة البعيدة أيامها سعيدة.
ـ الزّواج الشر لابد منه .
ـ زوج من عود خير من قعود .
ـ زين النساء ضحكات.
ـ زين البنات زين الفعايل.
ـ زوج مساكين خير من ميات عريانين.
ـ الزين يطرب الشين .
ـ الزين يحبو ربي.
ـ الزين ما ينتكلش بالخبز.
ـ الزين زين ولو كان عريان.
ـ الزّواج مايكون إلا بالرضا، والحرث مايكون إلا بالرّوى.
ـ الزين فالدّفلى ويبات برّا.
ـ زوّج البنت صغيرة تعيش مهني.
ـ زواج لبدة تفتاش عام وزواج ليلة تفتاش نهار.
ـ فالزواج التدبير سنة والقطع سنة.
ـ زيننا في بيتنا.
ـ زيّر سنيك يرخف سنيها
ـ الزّواج حفظ للشرف (هنيني منها بدون مهر).
ـ الزواج مش ساهل.

<u>حرف السين:</u>

ـ سلاح المرأة هو البكى.
ـ السكة تحت العروسة ومواليها دلالين.
ـ السلالة سلالة والعرق جباد.
ـ سلّح بنتك وخرجها قدام النّاس.
ـ سبّق الحطب قبل ما يخطب.
ـ سمهم يتبارق تحت لعقارب.

<u>حرف الشين:</u>

ـ شوية من الحنّة وشوية من رطوبة اليدين.
ـ الشوّفة تشوف من قاع السطيلة.

ـ شحال علجة وهي مرجة.
ـ شكون اللي شكراتك يا فطيرة خالتي والمويمة.
ـ شافها وبكى وقال منها نخلا.
ـ شافها الطيف نسى مولات الدار
ـ شافها الطيف طلق مولات الدار.
ـ الشطحة عمرها ما تنسي هزّ الكتاف.
ـ الشين مع الشين يجيب الخنفوس، الشين مع الزين يجيب الطاووس والزين مع الزين يجيب الذهب الخالص.
ـ شبوب الرجال في عقولها، وعقول النسا في شبوبها.
ـ شاطرة ومولات ذراع.
ـ الشريكة هليكة.
ـ شمس الغيام يخرج النسا من الخيام.
ـ شوف بيتها واخطب بنتها.

<u>حرف الصاد:</u>

ـ صداق ومهر نحلة وفريضة حباء وأجر ثم عقر علائق.
ـ صام عام وفطر على جرادة.

<u>حرف الطاء:</u>

ـ طعام العروس ما مالح ما مسوّس.
ـ طعلم تفتله خيرة، والشيعة لمولاته.
ـ طريق ولو دارت وبنت الأصل ولو بارت.
ـ الطفلة نحت السحفة وحكها بالحلفة.
ـ الطرسة العليلة ولا زواج الهبيلة.
ـ الطفلة اللّيّ ما تغربل دقيقها ترجع على طرقها.

<u>حرف الظاء:</u>

ـ ظاهر المرأة جنّة وباطنها جهنّم.

<u>حرف العين:</u>

ـ العروس في دارنا وهنا لا خبر.
ـ عايشة راحلة.
ـ عروسة كل صبعة بصنعة.
ـ عرّة الثمار البرقوق، عرة الرجال اللي ياكل في السوق، عرّة النساء اللي تخلط وتذوق.
ـ عيش تشوف.
ـ العقوق دعاوية في قلبه، وما تفهمه غير أمه.
ـ العريس يعرس والمشؤوم يتهرّس.
ـ عز البنت مع بوها، وإذا غاب عيشها يمرار.

ـ عشاق الطاقة ما يتلاقى.
ـ عيشة وباندو في الصوق يتقاودو.
ـ عنق وبوس وخلي بلاصة العروس.
ـ عازب الفنطازية قدام الجهالة.
ـ العروسة فوق الكرسي ما تعرفها فين ترسي.
ـ عليك بالسانية القريبة والمرأة الغريبة.
ـ علّي كلمتك تركعلك مرتك.
ـ العاتق الونيسة تعزّي وتهنيّ النفيسة

حرف الغين:

ـ الغزالة تغزل على عود.
ـ غضبانة وقلبها ثمة.
ـ غضبانة وموليةكي القفة لمدلية.
ـ غرّبت وشرّقت.
ـ الغيرة اللي قتلت ميرة.
ـ الغيرة تخوّش التغيرة وترد الشارفة الصغيرة.

حرف الفاء:

ـ الفايدة ماهي في الزين، الفايدة في الخلق والدين.
ـ في الصباحة عرفت صلاحها.
ـ في عرس اليتيمة غاب القمر.
ـ فنطازية بالعرى.
ـ فدار بوها ولا زواج الفضايح.

حرف القاف:

ـ قم و إلا طلّق .
ـ القدرة بلا بصل كامرأة بلا عقل.
ـ قالت الحجرة: تبيلت قالت الطربة وأنا واش نقول.
ـ قالت موكة: أنا أحسن من ثلاثة: اللي قال الكلمة وماوفّاها، واللي دار القصعة وما ملاها، واللي كبّر بنته وما عطاها.
ـ قلّي في وقلي علي.
ـ قاع الناس تغلبنيوأنا نغلب مرتي خيرة.
ـ قبل ما تتزوّج خيّر أحوال أولادك.
ـ قلبي على تمرة وقلب أما على جمرة.
ـ القلب الرهيف ما يحمل تكليف.
ـ قابل الحبيب بالحبيب والزبيب.
ـ قابل الحبيب بالوجه اللي كاين.
ـ قلب القدرة على فمها تخرج البنت لأمها.

ـ قصاص ولنصاص ولا بدل لعتابي.

حرف الكاف:

ـ كل ولحدة تقرأ في لوحتها.
ـ كاين اللي جوابه في فمه وكاين اللي جوابه في كمه وكاين اللي جوابه عند أمه.
ـ كنتي دايمة وبنتي هايمة.
ـ كسيدي كي لالة.
ـ كل شيء بالسيف غير الزواج ماشي بالسيف.
ـ كل واحدة تقول عودي جراي.
ـ كي الصوفة الطايرة.
ـ كل يابسة عايبة.
ـ كل خديمة ولها غطاها.
ـ كلشي بالسيف غير المحبة اللي لا .
ـ كل أمحه ربي يجيبلها كيّالها.
ـ كي تنوّر الدفلة تهيج الطفلة.
ـ كي تطلق مرتك ما توريلهاش باب الدار.
ـ كي تشوف زوج متفاهمين قول باللب واحد راه رافد.
ـ كي اللفعة مين يمشيلها السّم.

حرف اللام:

ـ اللي ما جاء مع العروس ما يجي مع أمها.
ـ اللي بأمه يتوسّد الركبة، واللي باباه يتوسّد العتبة.
ـ اللي ما عند أخوات ما عرفت الناس باه مات .
ـ اللي بغات خوها تصاحب مرته.
ـ اللي تعرفه العازبة ما تعرفهش الهجالة.
ـ اللي خداته يما أناربيب.
ـ اللي تربي ما تعرف ربي.
ـ اللي ما رقعت ما لبست.
ـ لو كان ما لساني لحلاح ما خديت المداح.
ـ اللي خانوها يديها تقول بيا سحور.
ـ اللي سعدها في ربع ما تاكل نص.
ـ اللي ما رباوها والديها الأيام توريلها.
ـ اللي تحبيه قابليه واللي تكرهيه جانبيه.
ـ اللي طابت أكلها ثابت.
ـ اللي تطلقها ماتوريلها باب دارهم.
ـ اللي عينه في العذاب يكثر النساء والأصحاب.

ـ لقاها تبكي، قال لها: اسكتي ناخذك، ونأخذ أمك .
ـ اللي ما هو ليك يعييك.
ـ لا تمن في الشتاء إذا صحات ولا لعجوزة إذا صلات.
ـ اللي يوصل لنسيتو غير يشققها.
ـ اللي ينتكل على مرت جارتو يبات بلا عشاء.
ـ اللي يرقد معك في الفراش تلقفو برجليك.
ـ اللي يتزوج بخليلتو دليل فليلتو.
ـ اللي ماتت مواه يبات فالزوابي واللي مات بواه يبات على الزرابي.
ـ اللي ما عندوش بنات ما عرفوش باش مات.
ـ اللي ما حبش يتزوج يقول زهري معوّج.
ـ اللي ما جاء مع العروسة يجي مع مواها.
ـ اللي خلى البنات عمروا ما مات.
ـ اللي حبها كامل خلاها كامل.
ــ اللي حب العذاب يخالط راسو مع النساء والكلاب.
ـ اللي حب المرأة على رجالها يموت بالذل واللي حب المرأة على مالها يموت بالفقر واللي حب المرأة على زينها يموت مرحوم.
ـ اللي حب الزين يصبر لعذابو.
ـ اللي حب التهرهير والحجايات يمشي عند حناه.
ـ اللي تعرف بواها ما تخاف منو.
ـ اللي تزور عمها عمرها ماتبور.
ـ اللي يشوف الفوق يتعب.
ـ اللي مد بنتو على مال يموت مذلول.
ـ اللي تزوجها على مالها يموت فقير واللي تزوجها على رجالها يموت حقير واللي تزوجها على جمالها يحبو ربي والنبي البشير.
ـ لو كان النعجة تسرح مع الذيب حتى مرت البو تبغي الربيب.
ـ اللي كثر مالوا يبني ولا يتزوّج.
ـ اللي ما عندو البنات ما عرفوا فين مات.
ـ اللي ولد ما مات.
ـ اللي ما رباتو يماه ما يربيوه النّاس.
ـ لمرا نار إذا غفلت تحرقك.
ـ اللحم إذا خنزير يرفدوه ماليه.
ـ الوسة سوسة.
ـ لا تخطب البنت حتى تشوف أمها.
ـ اللي باع أرضه باع غرضه.
ـ اللي مربي من عند ربي.

- اللي يشوف الفوق يتعب.
- لايعجبك نوار الدفلى في الواد داير الظلايل ولا يعجبك زين الطفلة حتى تشوف الفعايل.

حرف الميم:

- من يوم ماتت المرحومة ما كليت الخبزة المرموقة.
- ما أحلى فراقك.
- ميمونة تعرف ربي وربي يعرف ميمونة.
- ما في الشتاء نهار دافئ و إلا في النساء عهد وافي.
- المرأة كالشعير وين زرعتها تنبت.
- ما يغر المرأة غير زينها.
- ما يتزاوجوا حتى يتشابهوا.
- مول الطاحونة والسانية والمرأة الثانية حتى ليلة ما يبات هاني.
- المرأة تخاف من الشيب كيما تخاف النعجة من الذيب.
- من خدمك يما قبل يا يمّا ما نزيد؟
- محقورتي يا جارتي.
- مشى حتى بر النساء وجاب لعجوزة لمهرسة.
- المرأة خشبة وسعدها نجارها.
- ملس من طين يسجى لك.
- مداحات العروسة أمها وخالتها.
- من يمدحك يالعروسة قالت: يما في حضور خالتي.
- ما يغرك زين الطفلة حتى تشوف لفعايل.
- ما تشكر لعروسة غير خالتها.
- مزوج في شعبان ومطلق في رمضان.
- مشات لعجالة وولات بالهجالة.
- مشى لبلاد هنية وجاب شيبانية.
- من زهر ليتيمة تهرست الطبيلة.
- من زهر مبروكة تهرست الدربوكة.
- المرأة في فساد الحباب.
- المرأة للتكحال والتخيال.
- المرأة فيها الزين واليدين والتدين.
- المرأة تربي وربي يشهد.
- المرأة تتدربل والبنت تتزعبل.
- المرأة بلا عقل كالسلاطة بلا بصل.
- المرى تتدربل والعتق تخرج كالمشموم.
- المرأة بلا زواج كالجنان بلا سياج.

ـ المرأة بلا تدين كالقدرة بلا يدين.
ـ المال في يد النسوان، الملح في الماء ذوبان.
ـ متشوفش للنخل شوف للدخل.
ـ مولات الدراع الوافي ما تحافي.
ـ ما سبعت ماربعت.
ـ المرأة الصالحة تشوف الذرية الصالحة.
ـ المرأة بلا ولاد كالمظلة بلا عماد.
ـميات زواج ولا معصية.
ـ المعيز خير من الفقر والبنت خير من العقر.
ـ المرأة نار تطيفها باش ما كان.
ـ المرأة والرياط، تستهل الضياط.
ـ المرأة لفعى.
ـ المعاونة في النصارى ولا لقعاد في الخسارة.
ـ مشى حتى لبحر وجاب لبعر.
ـ مشى حتى لبر النساء وجاب واحدة عورة.
ـ المرأة بلا ولاد كالخيمة بلا نساء.

<u>حرف النون:</u>

ـ النساء إذا حبوا يدبروا وإذا كرهوا يخبروا.
ـ نكرت أمها ورمات لحجر.
ـ النساء خواتات الشيطان.
ـ النساء هما بنات إبليس.
ـ النساء هما فساد الرجال.
ـ النسيبة مصيبة.
ـ النعجة ما تمشي للغرمول.
ـ النوطة مع النوطة كاللفعى المربوطة.
ـ النوطة مع النوطة في المجرى مشلوطة.
ـ النساء بقرات إبليس.

<u>حرف الهاء:</u>

ـ هذا تسعى الحرة في الصّرة.
ـ الهدرة عليّا والمعنى على جارتي.
ـ هو عند عياله و أنا نستنى في خياله.
ـ الهنى يضمن الغنى.
ـ هيّب لا تعيّب.

<u>حرف الواو:</u>

ـ واش يخرج العروس من دار بوها.

- وين ايبان حيطك يا لالة في البردعة.
- ورث النساء نص في الرجال.
- وين بها ياعاصي الوالدين.
- وخذ بنت العم ولو بارت.

حرف الياء:

- يرحل ويقيم معايا، وما شاتي غير نسايا.
- يستكثر في اليتيمة التنواح.
- يتزوج المسكين مع المسكينة تتهنى المدينة.
- يا ويح اللي دارت عولتها دقيق ويا ويح اللي دارت راجلها صديق.
- يا اللي شت بلّع فمك ويا اللي سقاوك قول لالا.
- يمشي زمان الحديدات ويجي زمان الوليدات.
- يغيب الزين ويبقاو خدّين لفعال والكلام.
- يد وحدها ما تصفق.

ملحق رقم ٣٤ : * يوضح وثيقة صداق القيرواني



بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

المرأة التونسية عبر العصور، م س، ص١٣٧

ملحق رقم ٣٥ : * يوضح وثيقة عقد الزواج



المرأة التونسية عبر العصور، م س، ص ١٣٦

ملحق رقم ٣٦ : * يوضح وثيقة موافقة السلطان المغربي على إرسال
الأميرة لالة مريم لأداء مناسك الحج عام ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م

فإنه ورد أورده الله تعالى الشهى على سمعهم .. وأنزل اعتمادهم فيالي حمل التشوق جمعهم .. من جلة الكرام
ومشفوعه ورفعه .. كتاب كريم نسبه .. جميع أدبه .. على قصبه .. فلو أدنا الخطب الخطاب بما دعاهم
من ومن إلى بيت الله وسعى من رسول الله الغريب فرسمه .. على يد رسوله الشيخ الأمير الأكبر
الأتقى الخطيب البليغ .. المؤثر .. القبر ابن إسحاق ابن الشيخ الصالح ابن زيد عبد الرحمن
ابن ابن يحيى نفع الله به .. وحاجبه الكريم المختار المرتضى الأمجد أبو زكريا عيسى
ابن الشيخ المرحوم أبي زكريا أيده الله تعالى .. وكلاهما الأخير الأشعر الأفضل الأكرم
الفتح ابن عبد الله .. ابن قريب .. وفقه الله تعالى ورشده .. وفرشهم من الخلافة والزهاد
والرضوان القاتلين به .. حضرة الجهة المصونة حفظها الله أربعا .. وقلت فيها .. النواصم
بمكة الجليلة النواحي والقرى .. العالم على الكلام من روائح الودى .. المحول سجم الصفيح
كما حمد السرا .. فمنصفا ختامه الزكي .. وأوضحه حرف كلم الزاهي .. وعرضنا فيه
حفظنا ورضيا بالغ الروض بهيج متكي .. وحصينا فوائدا على إعلام حافته وفوائده
على فضاء الثنا دره الجمع والكلي .. فتتبعنا فصوله المثبتة فإذا هي مقصورة على فوائد
محضة .. ومفصلات تؤدي في الحج مهمة .. ومعاني يعلم منها من يطلع إليه
ويتوقع منه .. وفوائد يحرزها علما بحور فيام الأشداد فيها وحشي ومعه

عبدالهادي التازي:م س،٢٤١.



الفهارس

أولا : فهـــرس المصادر والمراجــــع

أولا : المصادر :

١ ـ المخطوطة .

٢ ـ المصادر المطبوعة

ثانيـا : المراجـع :

١ ـ العربيــة .

٢ ـ المعربــة .

ثالثا : المقالات بالعربية :

رابعــا : الرسائل الجامعية .

خامسا : الموسوعات والمعاجم .

سادسا : **المراجع بالأجنبية** .

سابعا المقالات بالأجنبية :

أولا : المصادر:

١ ـ المخطوطـة:

٠١ ـ **ابن الخطيب**: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):

* آناسة الدكان، بعد انتقال السكان، دار الكتب بالقاهرة، رقم ١٩٨٧٥.

٠٢ ـ **ابن رشد القفصي**: محمد بن عبد الله (٧٣٦هـ/١٣٣٦م):

* الفائق في أحكام الوثائق،مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم ٣١٠٤ .

٠٣ ـ **ابن السراج** :

* فهرسة السراج، مخطوط الخزانة العامة،الرباط، رقم ١٢٢٤٢كـ .

٠٤ ـ **ابن الصباغ** :

* مناقب أولياء مدينة تونس،دار الكنب الوطنية بتونس، رقم ١٨٥٥٥.

٠٥ ـ **ابن عرفة محمد** :

* المختصر الفقهي، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس،٤ أجزاء رقم

٠٦ ـ **ابن مرّزوق** : أبو عبد الله محمد الخطيب (٧٨١هـ/١٣٧٩م) :

* المجموع : مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر، جزآن، تحت رقم ١٣٤٢.

٠٧ ـ **البرزلي**:الشيخ أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني:

* جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، مخطوط بدار

بتونس ، رقم ٤٨٥٠ ، ٤٨٥١.

٠٨ ـ **البوسعيدي**:

* اختصار جامع مسائل الأحكام ، دار الكتب الوطنية بتونس، رقم ٣٤،

٠٩ ـ **الدباغ** : علي بن أبي يوسف .

* الأسرار الجليّة في المناقب الدّهمانية، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس،

١٠ ـ **الصَقَلّي**، أبو العباس أحمد:

*حفظ الصحة أو الطب الشريف،مخطوط بدار الكتب الوطنية، رقم

١١ ـ **عبد الواحد الطواح**:

* سبك المقال لفك العقال ،مخطوط الخزانة الحسينية،الرباط رقم١٠٥/٢.

١٢ ـ **المازوني** : القاضي أبو زكريا يحي (٨٨٣ هـ/١٤٧٨م):

*الدرر المكنونة في نوازل مازونة،مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر،

١٣ ـ **المغازلي**، أبو العباس أحمد (عاش في القرن ٩هـ/١٥م) :

* تحفـة القـــادم (فــي الطــب)،مخطــوط دار الكتــب الوطنيــة بتــونس، رقــم ١٨٥٠٩.
١٤ ـ **مؤلف مجهول :**
* مناقـب السـيدة عائشـة المنوبيـة ، مخطـوط دار الكتـب الوطنيـة بتـونس رقـم ١٨٢٢١ .
١٥ ـ **مؤلف مجهول :**
* الأمثال المغربية،مخطوط خزانة باب شالة،الرباط،رقم ٣٨٥٩ E .
١٦ ـ **الهواري :**
* مناقب أبي سعيد الباجي،مخطــوط دار الكتب الوطنيـة بتونس، رقم ١٧٩٤٥
٢ ـ **المصادر المطبوعـة :**
١٧ ـ **ابن الأبار**:أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هـ/١٢٨٠م):
١٨ * التكملة لكتاب الصلة،تحقيق عبد السلام الهواس، دار المعرفة، المغرب، د ت ، ٤ أجزاء.
١٩ * تحفـة القـادم، تحقيق،إحسـان عبـاس،دار الغـرب الإسـلامي،ط ١،بيـروت ١٩٨٦.
٢٠ * الحلة السيراء،تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربيـة للطباعـة والنشر،ط ١، القاهرة ،١٩٦٣،
جزءان.
٢١ ـ **ابن أبي أصيبعة**: احمد بن القاسم (ت ٦٧٧ه /١٢٧٨ م):
* عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شـرح وتحقيق نزار رضــا، منشــورات دار مكتبة الحياة،
بيروت، ١٩٦٥.
٢٢ ـ **ابن أبي زرع**:أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي(كان حيًا قبل ٧٢٦هـ/١٣٢٥م):
٢٣ * الأنيـس المطـرب بـروض القرطـاس فـي أخبـار ملـوك المغـرب وتـاريخ مدينة فاس،ط. حجرية،
د.ت، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م،دار المنصور المغربية للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٣.
٢٤ * الـذخيرة السنية فـي تـاريخ الدولـة المرينيـة،دار المنصـور،الرباط،طبعة ١٩٧٢م.
٢٥ ـ **ابن أبي زيد القيرواني:**
* مـتن الرســالة، منشــورات وزارة الأوقــاف والشـؤون الإســلامية، مطبعــة فضالة،المحمدية،١٩٨٤
٢٦ **ابن أبي الدينار**:أبو عبد الله محمد الرعيني (ت١١١٠هـ/١٦٩٩م):
* المؤنس في أخبار إفريقيـــة و تــونس، تح، محمــد شمام، المكتبة العتيقة،

تونس، ط٣،
١٣٨٧هـ/١٩٦٧م،
٢٧ ـ **ابن أبي ضياف**:أحمد (ت ١٢٩١هـ/١٨٨٤م):
* إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط٢،دار التونسية للنشر،١٩٧٦.
٢٨ **ابن الأثير**: علي بن محمد بن عبد الكريم الجزيري(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
* الكامل في التاريخ،القاهرة ١٩٣٨م، بيروت، ١٩٦٥، دار صادر، ١٩٦٧، بيروت.
٢٩ **ابن الأحمر**:أبو الوليد إسماعيل (ت ٨٠٨هت/١٤٠٥م):
* روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق، عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية،
الرباط ، ١٩٩١.
٣٠ * بيوتات فاس الكبرى،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،١٩٧٢.
٣١ ـ **ابن الإخوة**: محمد بن محمد بن أحمد القرشي(ت ٧٢٩ هـ/١٣٢٧م):
* كتاب معالم القربة في أحكام الحسنة، تحقيق، محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى
المطيعي،الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٦.
٣٢ ـ **ابن إبراهيم** :العباس بن إبراهيم):
* الأعلام من حلّ مراكش وأغمات من الأعلام،تحقيق،عبد الوهاب بن منصور،المطبعة الملكية،
١٩٨٣الرباط ، ، ج١٠.
٣٣ ـ **ابن بسام** : الشنتريني أبو الحسن علي (ت٥٤٢ه/١١٤٧م):
* الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، طبعة دار الثقافة بيروت،
١٩٧٥.
٣٤ **ابن بشكوال**:أبو القاسم خلف بن عبد الملك،(ت٥٧٨هـ/١١٨٣م):
* كتاب الصّلة،،نشره عزّت العطار، القاهرة، ١٩٥٥.
٣٥ ـ **ابن بطوطة**: أبو عبد الله محمد (ت ٧٧٣ه/ ١١٢٢ م) :
* رحلة ابن بطوطة المعروفة بتحفة النظار في عجائب الأمصار ، دار التراث ، بيروت،
١٩٦٨و تحقيق علي المنتصب،بيروت ، ط٤، ١٩٨٥ ،
٣٦ ـ **ابن بلقين عبد الله**:
* كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٩٥،
٣٧ ـ **ابن تومرت**:محمد بن عبد الله الهرغي المصمودي،(ت٥٢٤هـ/١٠٢٩م):
* أعز ما يطلب، تحقيق، لوسياني، الجزائر،١٩٠٣، وتحقيق عمار طالبي، م، و، ك،

الجزائر، ١٩٨٥.

٣٨ - **ابن تغري بردي**: أبو المحاسن جمال الدين (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):
* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر،
القاهرة، د، ت.

٣٩ - **ابن تيجلات**:أبو عبد الله محمد:
* أثمد العينين في مناقب الشيخ أبي زيد محمد ,أبي زيد الهزمير، تحقيق رابطة الدين
محمد مرقون، الرباط، ١٩٨٤.

٤٠ - **ابن جني**:
* سر صناعة الإعراب ، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥.

٤١ - **ابن الحاج**، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي (ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م):
* المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسن النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انحلت
وبيان شناعتها وقبحها، مكتبة جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ط١٣٩٧هـ/
١٩٧٧م.

٤٢ - **ابن الحاج النميري**، ابراهيم بن عبد الله بن محمد (ت ما بعد ٧٧٤هـ/١٣٣٢م):
* فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، طبعة
١٩٨٤م.

٤٣ - **ابن حجر العسقلاني** :شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٢٥هـ/ ١٤٢١م) :
* الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي أحمد البخاري، دار النهضة، مصر، القاهرة،
ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،

٤٤ * فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه و أبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي،
صححه محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب راجعه، دار الريان للتراث،
القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١،و دار الفكر ، ط ١٩٩٣.

٤٥ * الدرر الكامنة في أعيان الثامنة ،٤أجزاء،مطبعة حيدر آباد،١٩٤٥-١٩٥٠م.

٤٦ - **ابن الحزم الأندلسي**:علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ه/ ١٠٨٣م):
* طوق الحمامة في الألفة والآلاف، حققه وقدم له صلاح الدين القاسمي، الدار التونسية
للنشر،تونس ،طبع المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ١٩٨٥.

٤٧ * جمهرة أنساب العرب، تحقيق، ليفي بروفنسال القاهرة، ١٩٤٨، تحقيق عبد السلام
هارون، القاهرة، ١٩٧١.
٤٨ ـ **ابن حماد**، أبو عبد الله محمد بن علي:
* أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم، نشره قون درهايدان ، الجزائر، ١٩٢٧.
٤٩ ـ **ابن حنبل**، أحمد (٢٤١هـ/٨٦٢م):
* مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف، مصر، ج١، ص ٢١٢.
٥٠ ـ **ابن حوقل**: أبو القاسم محمد،(ت ق٤هـ/١٠م):
* صورة الأرض،مطبعة بربل،لندن، ط٢، ١٩٣٨،ودار مكتبة الحياة ،بيروت،١٩٧٩
٥١ ـ **ابن الخطيب**،لسان الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني(ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م):
* أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال،
ط٢، دار المكشوف، بيروت،١٩٥٦،تحقيق العبادي وإبراهيم الكتاني،طبع دار الكتب،
الدار البيضاء، ١٩٦٤.
٥٢ * الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق وتقديم محمد عبد الله عنان، دار المعارف،القاهرة ،
١٩٧٣.
٥٣ * اللمحة البدرية في الدولة النصرية منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت،١٩٧٨.
٥٤ ـ **ابن خلدون**، أبو زيد عبد الرحمان بن عمر (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):
* العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان
الأكبر،المجلدان٦،٧، طبع بولاق١٨٦٧م،و دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،
بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
٥٥ * المقدمة، ج٢، ط٢، تحقيق علي عبد الواحد وافي، الناشر لجنة البيان العربي، القاهرة،
١٩٦٦، والمكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د، ت،ومطبعة الكشاف، بيروت، دت.
٥٦ ـ **ابن خلدون**، أبو زكريا يحي بن محمد(ت٧٨٠هـ/١٣٧٨م) :
* بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق ،حاجيات عبد الحميد،المكتبة الوطنية،
ج١، ١٩٨٠ ،الجزائر.

٥٧ - **ابن خلكان**،أبو العباس أحمد بن محمد (٦٨١هـ/١٢٨٣م):

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،٨ الأجزاء،القاهرة،١٩٤٩،

٥٨ - **ابن خفاجة** ،أبو إسحاق إبراهيم بن أبي فتاح (ت ٥٣٣هـ / ١١٣٧م):

* ديـوان ابـن خفاجـة، تحقيـق ، كـرم البسـتاني،دار الصـحافة،

٥٩ - **ابن رزين محمد التجيني**:

* فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان صورة من فن الطبخ في

عصر بني مرين، بيروت، ١٩٨٤.

٦٠ - **ابن رشيد الفهري**،محمد :

* ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الكريمة إلى الحرمين مكة

الحبيب بلخوجة،الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس،١٩٨١.

٦١ - **ابن الزبير**، أبو جعفر أحمد:

* صلة الصلة،٥ أجزاء تحقيق عبد السلام الهواس وسعيد أعرب،

٦٢ - **ابن زيات**:أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي:(ت٦٢٧هـ /١٢٣٠م):

* التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي،تحقيق أحمد

الآداب والعلوم الإنسانية،ط ١٩٨٤،١،الرباط .

٦٣ - **ابن زيدان**:عبد الرحمن (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م):

* إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، أو حسن الاقتباس من مفاخر

وتاريخ مكناس،٥أجزاء طبعة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٦٤ * قراضة العقبان في تحقيق استمرار أفراد الكهانة لآخر الزمن،طبعة

٦٥ - **ابن دحية**: أبو الخطاب،عمر بن حسن (ت٦٣٣هـ / ١٢٣٤م):

* المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط، دار العلم

٦٦ - **ابن دراج**: أحمد بن محمد بن العاصي(٤٢١هـ/١٠٣٤م) :

* الديوان، تحقيق محمود علي مّكي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢،

٦٧ - **ابن سعيد المغربي**، أبو الحسن علي بن موسى(٦٨٥هـ/١٢٦٨م):

* المغرب في حلي المغرب، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية،

كتاب الجغرافيا، تحقيق، إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري

والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٧٠.

٦٨ ـ **ابن سعد محمد:**
* الطبقات الكبرى، مطبعة ليدن، أبريل ،١٩٩٤.
٦٩ ـ **ابن الشماع** (أبو عبد الله محمد):
* الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهور بن محمد المعموري،
الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٤.
٦٤ ـ **ابن صاحب الصلاة:** أبو مروان بن عبد الملك (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) :
* المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة و جعلهم الوراثيين :تحقيق عبد الهادي
النازي، السفر٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٤م.
٦٥ ـ **ابن الصغير** (كان حيا ق٣هـ):
* أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق، محمد ناصر، بحاز ابراهيم، المطبوعات الجميلة،
٦٦ ١٩٨٦، الجزائر.
٦٧ ـ **ابن عباد:**
* الرسائل الكبرى، طبعة حجرية، فاس ،١٣٠٩هـ/١٨٩١م.
٦٨ ـ **ابن عبد البر:**الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي
(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م):
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب المطبوع.بهامش الإصابة لابن حجر،مطبعة السعادة، مصر،
ط١، ١٣٢٨هـ.
٦٩ ـ **ابن عبد الحكم:**عبد الرحمن بن عبد الله(ت٢٧٥هـ/٨٨٨م):
* فتوح افريقية والأندلس، حققه عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني للطباعة
والنشر، بيروت، ١٩٦٤.
٧٠ ـ **ابن عبد ربه:**
* العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
٧١ ـ **ابن عبدون** : الجرسيفي، ابن عبد الرءوف، (ت في القرن ٦هـ/ ١٢م):
* ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، نشر ليفي بروفنسال مطبعة المعهد
العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥.

٧٢ ـ **ابن عذاري:**أحمد بن محمد المراكشي بـ (استمر بقيد الحياة إلى عام٧١٢هـ/١٣١٢م):

* البيان المغرب في أخبار افريقية والمغرب، تحقيق ج، س كولان و إ.ليفي بروفنسال، دار
الثقافة، بيروت، ط٣،١٩٨٣،و ط٥،دار الثقافة، بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٧٣ **بن عيشون الشراط** :.
* الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق، زهراء النظام،فاس،
طبعة،١٩٨٩

٧٤ ـ **ابن غازي**،محمد العثماني:
* الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، مطبعة الأمنية، الرباط، ١٩٥١.

٧٥ ـ **ابن القاضي**، أحمد المكناسي(ت١٠٢٥ه /١٦١٦م) :
* جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،دار المنصور و الوراقة،الرباط،١٩٧٣.

٧٦ ـ **ابن قتيبة**:
* عيون الأخبار،دار الكتاب العربي،بيروت.

٧٧ ـ **ابن القطان الكتامي**،أبو علي حسن: (عاش في القرن ٧هـ/ ١٣م):
* نظم الجمان في أخبار الزمان،تح،محمود علي مكي،دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٧،.
طبعة جامعة محمد الخامس،الرباط، د ت .

٧٨ ـ **ابن قنفذ**، أبو العباس أحمد القسنطيني (ت٨١٠هـ/ ١٤٠٧م):
* أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي وأودلف فور، منشورات الجامعية
للبحث العلمي، كلية الآداب، الرباط، ١٩٦٥.

٧٩ * الفارسية، تحقيق محمد الشادلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس،الدار التونسية للنشر
١٩٦٨.

٨٠ * الوفيات ،تحقيق،عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت،١٩٧١.

٨١ ـ **ابن كثير**: أبو الفداء الحافظ (٧٧٤هـ/١٣٧٢م):
* البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٨٢ ـ **ابن ماجة**: الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القز ويني
* سنن ابن ماجة ،تحقيق مصطفى الأعظمى، ط١،المملكة العربية السعودية ،١٩٨٣م .

٨٣ ـ **ابن مرزوق**: أبو عبد الله محمد الخطيب (ت٧٨١هـ/ ١٣٧٩م):

* المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق، ماريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع، الجزائر ، ١٩٨١.
٨٤ ـ **ابن مريم**: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت١٠٢٠هـ/ ١٦١١م):
* البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشره محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية،
الجزائر، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، و ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٦.
٨٥ ـ **ابن منظور**:أبو الفضل جمال الدين محمد بن بكر الإفريقي المصري:
* لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٢، تعليق علي سيري، ونشر
دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٨.
٨٦ ـ **ابن ناجي**: أبو الفضل القاسم عيسى (ت٨٣٩هـ/١٤٣٨م)،
* معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تونس ٤أجزاء، ١٩٩٠.
٨٧ ـ **ابن هلال،ابراهيم** :
* الدر النشير على أجوبة أبي الحسن الصغير، طبعة حجرية، فاس، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.
٨٨ ـ **أبو إسحاق إبراهيم الأندلسي**:
* ديوان ابن خفاجة، تحقيق سيد غازي، منشأة المعارف، ط٢، الإسكندرية،١٩٦٠.
٨٩ **أبو بكر حجة الحموي**:
* بلوغ لأمل فيء فن الزجل ،تح،رضا محسن القرشي ،تصدير عبد العزيز الأهواني،وزارة
الثقافة والإرشاد القومي ،دمشق، ط، ١٩٧٤م.،
٩٠ ـ **أبو زكريا**، يحيى بن أبي بكر:
* سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، مطبعة أحمد زبانة، ١٩٧،الجزائر.
٩١ ـ **أبو العرب**، تميم محمد بن أحمد بن تميم القيرواني:
* طبقات علماء إفريقية وتونس،تحقيق على الشباني ونعيم حسن الباقي،الدار التونسية للنشر،
تونس، ط٢، د،ت.
٩٢ ـ **بوعشرين** : الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين الخزرجي المكناسي ثم المراكشي :
* التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب (السفر الأول) ، ط ١٤٨٥ هـ/ ١٩٩٤.

٩٣ ـ **الآبي**، أبو عبد الله بن خلفة الوشتاتي(٨٢٨هـ/١٤٢٤م):
* إكمال الإكمال المعلم، طبعة حجرية ، القاهرة، ١٩١٠.
٩٤ ـ **الإدريسي**: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٥٦٠هـ/١١٦٠م):

* نزهـة المشـتاق فـي اختـراق الآفـاق ، نشـره هنـري بيـريس، جامعـة الجزائر١٩٥٧.
٩٦ ـ **الألباني**،محمد ناصر الدين:
* صـحيح الجـامع الصـغير زيادتـه (الفتح الكبيـر)،المكتـب الإسـلامي ط ١، ١٩٦٩.
٩٧ ـ **الأنصاري**: محمد بن قاسم بن محمد الستبي :
* اختصـــار الأخبار عمن كـان بثغر سبتة من سني الآثار، المطبعـة الملكيـة، الرباط، ١٩٧٢.
٩٨ ـ **البخاري**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ/٨٦٦م) :
* صـحيح الإمـام البخـاري، و معـه فتح البـاري لابـن حجـر، رقـم كتبـه و أبوابه و أحاديثه
محمد فؤاد عبد الباقي، تصـحيح تجاربـه محمد الدين الخطيب، مراجعـة محب الدين
الخطيب، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ، القاهرة، و نشر مشترك، موفم للنشر،
الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة،د،ت،.
٩٩ ـ **البلاذري**:أحمد بن يحي بن جابر :
* فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، القاهرة، ١٩٣٢،و حققه و شرحه و علق
علـى حواشـيه عبـد الله أنـيس الطبـاع وعمـر أنيـر الطباع،منشـورات مؤسسة المعارف للطباعة
و النشر، بيروت، ١٩٨٧،
١٠٠ **البيدق**:أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت أواخر ق٦هـ/١٢م) :
* كتـاب أخبـار المهدي بـن تـومرت وبدايـة دولـة الموحدين، تحقيق ليفـي بروفنسال،باريس،
١٩٢٨، تقـديم وتعليـــق وتحقيــق عبـد الحميـد حاجيـات، المؤســسة الوطنيــة للكتاب،
الجزائر، ١٩٨٦
١٠١ ـ **التاسافتي** ،عبد الله بن إبراهيم:
* رحلة الوافدي ،تحقيق،علي صدقي أزايكو،الرباط،١٩٩٣.
١٠٢ ـ **التنبكي**، أحمد بابا (ت ١٣٠٢هـ/١٦٢٤م):
* نيـل الابتهـاج بتطـوير الـديباج، تقـديم عبـد الحميـد عبـد الله الهرامـة، منشورات كلية
الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط١، ١٩٨٩،

١٠٣ ـ **التجاني**: أبو محمد عبد الله بن محمد احمد (ت ٧١٧ه/ ١٣١٧م) :
* تحفـة العـروس و زينـة النفـوس تحقيـق جليـل العطية،مؤسسـة ريـاض

الريس للكتب النشر،
لندن قبرص، ١٩٩٢.
١٠٤ * رحلة التجاني،حسن حسني عبد الوهاب،نشر كتابة الدولة للمعارف، المطبعة الرسمية،
ط١،تونس، ١٩٥٨م
١٠٥ ـ **التسولي**، أبو الحسن علي بن عبد السلام :
* البهجة في شرح التحفة،دار الرشاد الحديثة،نقلا عن دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،
المكان مجهول،ط٢، ١٩٥١.
١٠٦ ـ **التنسي**،محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ (ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م):
* تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان، تح،
محمود بوعياد،م، و، ك، ١٩٨٥.
١٠٧ ـ **الثعالبي:** أبو منصور، عبد الملك بن محمد (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٤٤م) :
* يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة.
حجازي ، ط،١، القاهرة ١٩٤٧
١٠٨ ـ **الجراري** :عباس بن عبد الله :
* القصيدة ،الرباط ،طبعة ١٩٦٥،و طبعة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
١٠٩ ـ **الرصاع**، أبو عبد الله محمد الأنصاري:
* فهرست الرصاع ، تحقيق وتعليق محمد العنابي، المكتبة العتيقة تونس ١٩٦٧.
* شرح على حدود عرفة،دار الغرب الإسلامي، الرباط ،١٩٩٢.
١١٠ ـ **الرقيق القيرواني**:أبو إسحاق ابراهيم(ت،ق٥هـ/١١م):
* تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق الكعبي، تونس ١٩٦٨.
١١١ ـ **الزبيدي** ،محمد مرتضى:
* تاج العروس ،دون مكان، دون دار ،نشر، دون تاريخ.
١١٢ ـ **الزجالي**، أبو يحي:
* أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة، فاس، ١٩٧٥.
١١٣ ـ **الزر كلي**: الشيخ خير الدين:

* الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،الطبعة ٥،
دار العلم للملايين، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١١٤ ـ **الزركشي**: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (كان حيا سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م) :
* تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،تحقيق وتعليق محمد ناظور،المكتبة العتيقة،تونس،د،ت.
١١٥ **الزهري**: أبو عبد الله محمد:

* كتاب الجغرافيا،تحقيق محمد ماضور ،تونس،١٩٦٦.
١١٦ ـ **السجلماسي**:أبو عبد الله محمد بن قاسم السجلماسي الرباطي:
* شرح العمل الفاسي على ، طبعة حجرية، فاس، ١٣١٦هـ/١٨٩٨م.
١١٧ ـ **السخاوي**: شمس الدين محمد بن عبد الرحمان (٩٠٢هـ/١٤٩٧م):
* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،٦ أجزاء القاهرة، ط١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.
١١٨ ـ **السراج**،محمد بن محمد الأندلسي (ت١١٤٩هـ/ ١٧٣٧م):
* الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيلة، الدار
التونسية للنشر،١٩٧٠.
١١٩ ـ **السقطي أبو عبد الله محمد**: (عاش في القرن ٦هـ /١٢م):
* في آداب الحسية، نشر كولان وليفي ارنست لورو ،باريس ١٩٣١. Ernest Leroux
بروفنسال، مكتبة
١٢٠ **السمعاني**:
* الأنساب، نشر مرجليوس، تطوير ليدن، مطبعة بريل، ١٩١٢
١٢١ ـ **السوسي**، محمد المختار:
* المعسول، طبعة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
١٢٢ ـ **السيوطي**: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):
* نزهة الجلساء في أشعار النساء تحقيق سمير حسين حلي، مكتب التراث الاسلامي، القاهرة
١٩٨٩.
١٢٣ ـ **الشاذلي التونسي**، محمد:
* فرح الاسماع برخص السماع تحقيق، محمد شريف الرحموني، طبعة دار العربية للكتاب،
تونس،طرابلس، ١٩٨٥.

١٢٤ ـ **الشماخي**:أبو العباس أحمد بن سعيد (ت٩٢٥هـ/ ١٥٢١م):
* كتاب السير،ط حجرية ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م. قسنطينة، الجزائر.
١٢٥ ـ **صفي الدين الحلي**: أبو عبد الله محمد:
* العاطل الحالي والمرخص الغالي، نشر وتحقيق، ولهام هونرباخ، مطبعة فرانتز شنايىر ،
ويسبادن،ألمانيا، ١٩٥٥،
١٢٦ **الضبي**: أحمد بن يحي بن عميرة (ت٥٩٩ هـ / ١٢٢١٠٠٢م):
* بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق، إبراهيم الأبياري،الهيئة المعربة العامة
للكتاب،القاهرة،١٩٦٧ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

١٢٧ ـ **العباس بن ابراهيم:**
* الأعلام بمن حل مراكش وآغمات من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٥.
١٢٨ ـ **العبدري الحاجي**: أبو عبد الله محمد بن محمد توفي في أواخر(ق هـ/١٣م):
* ــ رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية،، حققه وعلق عليه محمد الفاسي،جامعة محمد
الخامس،الرباط،١٩٦٨.
١٢٩ ـ **العقباني**،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن القاسم بن سعيد (٨٧١هت/١٤٦٦م):
* تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي،نشره في:
Bulletin d'étude orientales,Institut de France à Damas, ,tome

19,année1965,1966 ;
١٣٠ ـ **العمري**:
* مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق مصطفى أوضيف أحمد،ط١،مطبعة دار الكتب
العربية القاهرة، ١٩٢٤،و مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء١٩٨٨.
١٣١ ـ **عياض**: القاضي أبو الفضل اليحصبي السبتي (ت٥٣٣هـ/١١٤٩م):
* ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،تحقيق،سعد أعراب، طبعة وزارة
الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،د ت.
١٣٢ ـ **الغبريني**:أبو العباس احمد بن محمد (ت ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م) :
* عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة ببجاية، تحقيق وتعليق عادل نويهض،
منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر،بيروت، ط١، ١٩٦٩،والمطبعة الثعالبية،
الجزائر، ١٣٢٨هـ.
١٣٣ **القاسمي**:محمد جمال الدين (١٣٣٢هـ/١٩٣٥م):
* تفسر القاسمي المسمى محاسن التأويل،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء الكتب
العربية ، ج١٠، طبعة١٣٧٦،١هـ .
١٣٤ ـ **القلقشندي**، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١ هـ / ١٤١٨م) :
* صبح الأعشى في صناعة الإنشا،القاهرة ١٩١٣، الطبعة الأميرية، القاهرة، د. ت .
١٣٥ ـ **الكتاني**:محمد بن جعفر الكتاني الحسني (١٣٥٥هـ/١٩٢٦م):
* سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس،طبعة حجرية،

١٣١٦هـ.
١٣٦ **مارمول كربخال:**
* إفريقيا،ترجمة محمد حجي،وآخرون، ٣ أجزاء، طبعة،١٩٨٨
١٣٧ **المازوني**:أبو زكريا يحي(ت٨٨٣هـ/١٤٧٨م):
* الـدرر المكنونـة فـي نـوازل مازونـة،تحقيق حسـاني محتار،جامعـة الجزائر،٢٠٠٤،٣ أجزاء.
١٣٨ **ـ المالكي**:أبو بكر عبد الله(ت ق٥هـ/١١م):
* ريـاض النفـوس فـي طبقـات علمـاء القيـروان و افريقيـة ،تحقيـق حسـين مؤنس،القاهرة، ١٩٥١.
١٣٩ **الماوردي**: أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م):
* الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٠ * أدب القاضـي، تحقيـق، محـي هـلال السـرحان، مطبعـة الإرشـاد، بغداد،١٣٩١هـ،
١٤١ **ـ المجذوب**، سيدي عبد الرحمان:
* الديوان، دار إحياء العلوم، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
١٤٢ **ـ المجليدي**،أحمد سعيد (١٠٩٤هـ/١٦٨٣م) :
* كتـاب التيسـير فـي أحكـام التسـعير، تحقيـق وتقـديم موسـى لقبال،الشـركة الوطنية للنشر والتوزيع،
الجزائر، ط٢ ، ١٩٨٧.
١٤٣ **ـ المراكشي**: محي الدين عبد الواحد:(ت٦٢١ه /١٦٣١م):
* المعجـب فـي تلخـيص أخبـار المغـرب، تحقيـق محمـد سـعيد العريـان، محمـد العربي العلمي، ط٧،
دار الكتاب، الدار البيضاء ،١٩٧٨.

١٤٤ **ـ المراكشي**: محمد ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي(٧٠٣هـ/١٣٠٣م):
* الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، تحقيق وتعليق محمد بن شريفة ،س١، تح،
محمد بن شريفة، ط١،دار الثقافة، بيروت، د.ت، والأسفار ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ تح، إحسان
عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤ ـ ١٩٧٣، ة س٨، تح، محمد بن شريفة،
مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ١٩٨٤
١٤٥ **ـ المقري**: الإمام شهاب الدين احمد بن محمد (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م):
* أزهار الرياض في أخبار عياض ثلاثة أجزاء، نشره مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد
الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٩٤٢.

١٤٦ * نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر، ط١،
بيروت، ١٩٦٨
١٤٧ ـ **المقريزي**: تقي الدين أحمد بن علي:
* المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، بولاق، ١٢٧٠هـ.
١٤٨ ـ **مسلم**:الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٦١هـ/٨٦٣م):
* صحيح مسلم ،تحقيق،محمد فؤاد عبد الباقي،طبعة أول ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م،دار إحياء
التراث العربي،بيروت.
١٤٩ ـ **المقديسي**:شمس الدين أبي عبد الله محمد(٣٩٠هـ/١٠٠٠م):
* أحسن التقاسيم في معرفة، تقديم وفهرسة محمد مخزوم،دار إحياء التراث العربي، بيروت،
١٩٨٧ A.Ferré دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢،
١٥٠ **مقيدش**: سعيد محمود بن مقيدش الصفاقسي(١٢٢٨هـ/١٨١٣م) :
* نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،تحقيق،الزواري ومحفوظ،بيروت، دار الغرب
الإسلامي، ١٩٨٨
١٥١ ـ **مؤلف مجهول** (مؤلف أندلسي من ق٨هـ):
* الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه سهيل زكار عبد القادر زمامة، دار الرشاد
الحديثة، الدار البيضاء، ط١ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٥٢ ـ **مؤلف مجهول**:
* كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق هويتي ميواندا، نشر في صحيفة
معهد الدراسات الإسلامية بمدريد المجلد ٩ ـ ١٠ سنة (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) من ص ١٥
إلى ص ٢٥٦
١٥٣ ـ **مؤلف مجهول**:
* رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية اعتنى بإصدارها ليفي بروفنسال، المطبوعات
معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، ١٩٤١
١٥٤ ـ **مؤلف مجهول**:
* وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر ١٩٩١.
١٥٥ ـ **مؤلف مجهول**:

* الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار
١٥٦ البيضاء، ١٩٨٥
- **مؤلف مجهول**:
* المقتبس من كتاب الأنساب، نشره ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٢٨،
١٥٧ - **الناصري**: أبو العباس أحمد (ت١٠٤١هـ/١٨٩٠م) :
* الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج٢، الدار البيضاء المغرب، ١٩٥٤م.
١٥٨ - **النفزاوي** (الشيخ محمد بن محمد):
* الروض العاطر في نزهة الخاطر، مكتبة المنار تونس،د،ت.
١٥٩ - **النعمان**: بن محمد بن حيون التميمي ، (٣٦٣هـ/٩٧٣م:
* افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات البشرواي،ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦ .
١٦٠ - **النميري (ابن الحاج)**:إبراهيم بن عبد الله بن محمد(٧٧٤هـ/١٣٣٢م):
* فيض العباب وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب،قام بإعداده ودراسته
محمد بن شقرون،الرباط،بدون تاريخ، ١٩٨٤،
١٦١ - **النويري** (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب - ت:
* ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)ن تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط من كتاب " نهاية الأرب
في فنون الأدب" ،تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دت.

١٦٢ - **النويري**:
* نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية،
الدار البيضاء، د،ت،
١٦٣ - **الوزان**:حسن بن محمد الفاسي(ت٩٥٧هـ/١٥٥٢م):
* وصف إفريقيا،ترجمة محمد حجي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،الرباط،
جزآن،١٩٨٠.
١٦٤ - **ولي الله محدث الدهلوي**:
* المستوى شرح الموطأ، دار الكتب العملية، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
١٦٥ - **الونشريسي**: أبو العباس أحمد بن يحي (ت٩١٤هـ/١٥١١م) :
* المعيار المعرب والجامع المغترب في فتاوى أهل افريقية والمغرب،أخرجه جماعة من العلماء بإشراف
محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الرباط،ط١٣،١٩٨١جز ء .
١٦٦ - **ياقوت الحموي، شهاب الدين**:

* معجم البلدان، دار المأمون، بيروت، ١٩٥٧هـ/١٩٣٨م.
١٦٧ * معجم الأدباء المسلمين بإرشاد الأريب، تح، إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، ط١، بيروت
١٩٩٣

ثانيا: المراجع

١- العربية:

١٦٨ ـ **أحمد أمين:**
* ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط٧،٣أجزاء، القاهرة، ١٩٦٤،
١٦٩ ـ **أحمد أمين وأخريات:**
* بنو هلال، سيرتهم وتاريخهم أعمال ملتقى دولي المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ
الأنتروبولوجيا والتاريخ، الجزائر،١٩٩٠.
١٧٠ * الدولة الرستمية، ط١، لافوميك، ١٩٨٥، الجزائر،
١٧١ ـ **أحمد القطان:**
* المرأة في الإسلام ـ حجابها ـ وواجباتها وحقوقها الإنسانية والسياسية ـ مكتبة السندس،الكويت،
ط٦ ، ١٩٨٩،

١٧٢ ـ **أحمد مختار العبادي:**
* الصقالبة في إسبانيا، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد،١٩٥٣.
١٧٣ ـ **إسماعيل العربي:**
* دولة بني حماد- ملوك القلعة و بجاية-_ش،و،ن،ت، الجزائر،١٩٨٠
١٧٤ * القارة الإفريقية، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق للشريف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،
١٩٨٣.
١٧٥ ـ **كمال السيد أبو مصطفى:**
* جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة
الإسكندرية،١٩٩٧.
١٧٦ * دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٤
١٧٧ ـ **أشباخ يوسف:**
* تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر، محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي،
القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
١٧٨ ـ **أمهنا:**

* معجم النّساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٠،

١٧٩ ـ **أمعمر علي:**

* الإباضية،دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم،المطبعة العربية،دت،غرداية،الجزائر.

١٨٠ ـ **أمين أحسن إصلاحي:**

* مقام المرأة في الإسلام (إسلامي معاشره مين عورت كالمقام) طبعة باكستان،دت

١٨١ ـ **الأهواني عبد العزيز:**

* الزجل في الأندلس، نشر معهد الدراسات العربية العالية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٧،

١٨٢ * أمثال العامة الأندلس، مقالة ، من كتاب إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين ، القاهرة، ١٩٦٢.

١٨٣ ـ **بحاز إبراهيم:**

* عبد الرحمان بن رستم، م، و، ك، ١٩٩٠، الجزائر

١٨٤ ـ **بكلي عبد الرحمان:**

* فتاوى البكيري، المطبعة العربية، جزءان، غرداية، ١٩٨٢،

١٨٥ ـ **بلحاج فرج:**

* دور المرأة في الحياة الأدبية بالأندلس ، إشراف محمود طرشونة، كلية الآداب منوبة، تونس.

١٨٦ ـ **بلحاج محمد:**

* مميزات الإباضية، نشأة و تأصيلا و تفريعا و سلوكا، مطبعة دار البعث، ١٩٩١، قسنطينة،

١٨٧ ـ **بن حامد المختار:**

* موسوعة حياة موريتانيا، ج١،التاريخ السياسي،ط١،دار الغرب الإسلامي، بيروت،٢٠٠٠.

١٨٨ * موسوعة حياة موريتانيا، ج٢،الحياة الثقافية،دار العربية للكتاب، تونس،١٩٩٠.

١٨٩ ـ **بن زيدان عبد الرحمان:**

* " قراضة العقبان في تحقيق استمرار أفراد الكهانة لآخر الزمن " ، طبعة ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤م

١٩٠ ـ **بن شريفة محمد:**

* أمثال العوام في الأندلس لأبي يحي الزجال ،فاس، ١٩٧٥،ذ

١٩١ ـ **بن عامر أحمد:**

* الدولة الصنهاجية، تونس، ١٩٧٠،

١٩٢ * الدولة الحفصية،دار الكتب،د ت،تونس

١٩٣ - **بن عبد الله عبد العزيز:**
* معجم أعلام نساء المغرب الأقصى،مطبعة فضالة المحمدية،المغرب،١٩٧٠
١٩٤ - **بن قربة صالح:**
*المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، ط،م، و،ك، الجزائر،١٩٨٦،
ص١٣٥.
١٩٥ * عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين ،م،و، ف، م، الرغاية، ١٩٨٥
١٩٦ - **بوتان قادة :**
* الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،١٩٨٧
١٩٧ - **بوتشيش إبراهيم القادري:**
* المغرب والأندلس في عصر المرابطين " المجتمع والذهنيات والأولياء ،دار الطليعة للطباعة والنشر،
بيروت، ط٣، ١٩٩٣.

١٩٨ - **بودينة محمد :**
* مشاهير التونسيين، دار سيراس للنشر، ط٢، تونس، ١٩٩٢،
١٩٩ - **بوروبية رشيد:**
* تاريخ الدولة الحمادية وحضارتها،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،١٩٧٧.
٢٠٠ - **بوقلي جمال الدين حسن :**
* ابن يوسف السنوسي في الذاكرة الشعبية و في الواقع ، منشورات الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،
٢٠٠٢،
٢٠١ - **بيغيرا.ج . ماريا:**
* أصلح المعالي عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس، الحضارة العربية في الأندلس، مركز الدراسات
الوحدة العربية، ط٢، بيروت،١٩٩٩.
٢٠٢ - **بيهم:** محمد جميل:
* المرأة في التاريخ والشرائع، بيروت، ١٣٣٩هـ/١٩٢١م.
٢٠٣ - **التازي عبد الهادي:**
* جامع القرويين، المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج١،ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت،
١٩٧٢م.
٢٠٤ * التاريخ الدبلوماسي للمغرب،١٠مجلدات،طبعة من ١٩٨٦ إلى ١٩٨٩.
٢٠٥ * المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، طبعة،١٤١٩هـ/١٩٩٢م،
٢٠٦ - **التوفيق أحمد:**
* التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن التاريخ وأدب المناقب، منشورات جمعية

المغربية للبحث التاريخي، ١٩٨٨.
٢٠٧ - **الجنحاني الحبيب:**
* القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي،الدار التونسية للنشر، ط١،
تونس، ١٩٦٨.
٢٠٨ * دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
طبعة ١٩٨٦ .

٢٠٩ - **الجيدي عمر:**
* العرف والعمل في المذهب المالكي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط ١٩٨٤.
٢١٠ - **جودت الركابي:**
* في الأدب الأندلسي، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٠، مصر.
٢١١ - **الجوهري محمد:**
* الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية، مصر، دار الكتاب، ١٩٧٨،
٢١٢ - **حافظ محمد أنور:**
* ولاية المرأة في الفقه الإسلامي، دار التوزيع الرياض ،١٤٢٠هـ،
٢١٣ - **حجي محمد:**
* الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، مطبعة فضالة المحمدية، جزآن ١٩٧٧،
٢١٤ * موسوعة أعلام المغرب، ط١، دار المغرب الإسلامي، ١٠أجزاء، ١٩٩٦
٢١٥ - **حركات إبراهيم:**
* المغرب عبر التاريخ،دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء،ج٢ ،ط١، ١٩٨٤، ج١، ط٣، ١٩٩٣
٢١٦ - **حسن إبراهيم حسن:**
* تاريخ_الدولة الفاطمية، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ١٩٥٨،
٢١٧ * تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي،مكتبة النهضة،مصر،ط٧، ٣أجزاء،١٩٦٥.
٢١٨ - **حسن أحمد محمود:**
* قيام دولة المرابطين، دار الكتاب الحديث القاهرة، ط١٩٥٧،١، ط٢، ١٩٩٦م،
٢١٩ - **حسن حسني عبد الوهاب:**
* شهيرات التونسيات، مكتبة المنار، ط٣، تونس، ١٩٨٥،
٢٢٠ * ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ق٣، جمع وإشراف محمد لعروسي المطوي، الناشر مكتبة
المنار، ط١، تونس، ١٩٧٢،

٢٢١ * كتاب العُمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين ، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير
البكوش ، تونس، ١٩٩٠،
٢٢٢ * خلاصة تاريخ تونس، دار الكتاب العربي، ط٣، تونس،

٢٢٣ **ـ حسن علي حسن:**
* الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ط١، مكتبة الخانجي، مصر،
١٩٨٠
٢٢٤ **ـ حسن محمد :**
* المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة تونس،
الأولى، تونس، جزآن ،١٩٩٩.
٢٢٥ **ـ حسين مؤنس:**
* فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص٢٤٦
٢٢٦ **ـ خالد عبد الرحمان الكعاك:**
* شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة،دار المعرفة،ط١، بيروت،٢٠٠١
٢٢٧ **ـ خلاص صلاح:**
* اشبيلية في القرن ٥ هـ ،دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في إشبيلية، دار الثقافة ،
بيروت، ١٩٨٠.
٢٢٨ **ـ الخميري الطاهر:**
* منتخبات من الأمثال العامية التونسية، جمع وإعداد ، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٧.
٢٢٩ **ـ درنيقة محمد أحمد:**
* أعلام العابدات والزاهدات،بيروت،١٩٩٦،
٢٣٠ **ـ دروزه محمد عزة :**
* المرأة في القرآن والسنة ، دار الجيل ،دمشق ،ط ٢،١٩٨٥ م،ص٣٢ .
٢٣١ **ـ دندش عصمت عبد اللطيف:**
* الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٣٢ * أضواء جديدة على المرابطين،ط١،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، ١٩٩١م.
٢٣٣ **ـ رشيدة بن مسعود:**
* المرأة والكتابة، إفريقيا الشرق، ط١، ١٩٩٤، الرباط .

٢٣٤ ـ **الرّيسوني:**
* الشعر النسوي في الأندلس،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
٢٣٥ ـ **الزحيلي:**
* الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق، ط٣، ١٩٨٩.
٢٣٦ ـ **سلمان قطاية:**
* محفوظات الطب و الصيدلة في المكتبات العامة بحلب،ط ١ ، ١٩٩٦.
٢٣٧ ـ **سعد الله ،أبو القاسم:**
* تاريخ الجزائر الثقافي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨،
٢٣٨ ـ **سعد الدين العثماني:**
* الخلع واشتراط موافقة الزوج، منشورات الفرقان، سلسلة الحوار، عدد ٥٠، دار قرطبة، الدار
البيضاء، ط١،٢٠٠١ .
٢٣٩ ـ **سناء الخوالي:**
* الزّواج والعلاقات الأسرية ،دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية،د.ت .
٢٤٠ ـ **السوسي محمد المختار:**
* المعسول، ،ط ١٣٨٠هـ /١٩٦١م.
٢٤١ ـ **السويدي محمد:**
* بدو الطوارق بين الثبات والتغيير(دراسة سوسيو أنتروبولوجية في التغيير الاجتماعي، المؤسسة
الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦
٢٤٢ ـ **شاوش الحاج محمد بن رمضان:**
* باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية،
الجزائر، ١٩٩٥،
٢٤٣ ـ **شوكت حمد عليان:**
* السلطة القضائية في الإسلام، دار الرشيد، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ،
٢٤٤ ـ **الصابوني،** محمد علي:
* صفوة التفاسير، قصر الكتاب، البليدة وشركة الشهاب، الجزائر، ط٥، ١٩٧٠.

٢٤٥ ـ **صبري القباني:**
* جمالك سيدتي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٧٨.
٢٤٦ ـ **الطالبي محمد:**
* الدولة الأغلبية، تر،المنجي العيادي،دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٥.
٢٤٧ * المغرب من الفتح إلى أواخر الربع الأول من القرن الثاني،بحث ضمن: أعمال ندوة الذاتية

العربية بين الوحدة والتنوع، تونس، ١٩٧٩.
٢٤٨ - **الطمار محمد بن عمرو**:
* تلمسان عبر العصور،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،١٩٨٤.
٢٤٩ - **العامري،محمد الهادي**:
* تاريخ المغرب في سبعة قرون، بين الازدهار والذبول، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس،
١٩٧٤.
٢٥٠ - **عبد الحميد إسماعيل الأنصاري**:
* قضايا المرأة بين تعاليم الإسلام و تقاليد_المجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩،
٢٥١ - **عبد الحميد سعد زغلول**:
* تاريخ المغرب العربي، مطبعة الشعب،١٩٧٩.
٢٥٢ - **عبد الحليم عويس**:
* دولة بني حماد، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠،
٢٥٣ - **عبد الحميد يونس**:
* الهلالية في التاريخ و الأدب الشعبي، القاهرة،١٩٥٦.
٢٥٤ - **عبد الرحمن زكي**:
* الحليّ في التاريخ والفن، من سلسلة المكتبة الثقافية عدد١٢٦، القاهرة ١٩٦٥،
٢٥٥ - **عبد العزيز سالم**:
* المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١.
٢٥٦ - **عبد القادر العافية**:
* الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري/
السادس عشر الميلادي، ط، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٢٥٧ - **عبد الله عنان**:
* دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق٢،
ـ عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى ـ ،ط١ القاهرة، ١٩٦٤، ط٢، ١٩٩٠
٢٥٨ * عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس،ق١،عصر المرابطين، ط١، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.
٢٥٩ - **علام عبد الله**:
* الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١

٢٦٠ ـ **عبد الكريم يوسف:**
* العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، م، و، ك، الجزائر، ١٩٨٤.
٢٦١ ـ **عبد المنعم سيد عبد العال:**
* الشامل لمجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، مكتبة غريب،ط١، ١٩٨٢.
٢٦٢ ـ **عز الدين عمر موسى:**
* الموحدون في الغرب الإسلامي،تنظيماتهم ونظمهم ،دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط،١٩٩١.
٢٦٣ ـ **عصام محمد الشريف:**
* مواقف نسائية خالدة، دار الإيمان، بدون ط، سنة ٢٠٠٠، الإسكندرية .
٢٦٤ ـ **عفيفي محمود إبراهيم:**
* الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢.
٢٦٥ ـ **العشراوي فرحات:**
* الخلافة الفاطمية بالغرب، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، ط١، بيروت،
١٩٩٤.
٢٦٦ ـ **العكاك عثمان:**
* التقاليد والعادات الشعبية أو لفولكلور التونسي، الشركة القومية للنشر والتوزيع، تونس، ط ١٩٦٣.
٢٦٧ ـ **علي أحمد:**
* الأندلسيون و المغاربة في الشام، دار طلاس، ط١، ١٨٩٩، دمشق.
٢٦٨ ـ **علياء شكري:**
* الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢.

٢٦٩ ـ **علي يحيى امعمر:**
* الإباضية في موكب التاريخ:الحلقة الأولى: نشأة المذهب الإباضي، ط١، مطابع دار الكتاب
العربي،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، مكتبة وهبة،القاهرة.
٢٧٠ ـ **عمر فاروخ:**
* تاريخ الأدب العربي، عصر المرابطين والموحدين،دار العلم للملايين،بيروت،ط٢، ١٩٨٥.
٢٧١ ـ **عوض محمد خليفة:**
* نشأة الحركة الإباضية، طبعة دار الشعب،عمان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.
٢٧٢ ـ **غزالي محمد:**

* مائة سؤال عن الإسلام، دار ثابت، القاهرة، ١٩٨٤.
٢٧٣ ـ **غلاب،محمد كمال:**
* عالم النساء في التاريخ دار الإيمان، الإسكندرية ١٩٩٩.
٢٧٤ ـ **فتحة محمد** :
* النوازل الفقهية والمجتمع ،أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي (من القرن ٦ـ٩هـ/١٢ـ١٥م)،
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الدار البيضاء ،١٩٩٩ .
٢٧٥ ـ **فتحي المراكشي:**
* السعادة الأبدية في التعريف بمشاهر الحضرة المراكشية ،دار الطباعة الحديثة ،الدار البيضاء،
ط٢ ، دت.
٢٧٦ ـ **فراد محمد أزقي:**
* القوى المغربية في الأندلس ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، بدون تاريخ.
٢٧٧ ـ **فيلالي عبد العزيز:**
* تلمسان في العهد الزياني ،موفم للنشر والتوزيع،جزآن،الجزائر،٢٠٠٢
٢٧٨ ـ **القاسمي، هاشم العلوي:**
* مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن ٤ هـ / منتصف ق ١٠م ، منشورات وزارة
الأوقاف والشؤون الإسلامية، جزآن، مطبعة فضالة، المحمدية،١٩٩٥
٢٧٩ ـ **كحالة عمر رضا:**
* أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام،مؤسسة الرسالة، ج٣،ط٢، بيروت،١٩٧٧ .

٢٨٠ ـ **لقبال موسى:**
* دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، منذ تأسيسها إلى منتصف (ق٥هـ/١١م)، مطبعة أحمد
زبانة، ١٩٧٩، الجزائر.
٢٨١ * المغرب الإسلامي- منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج- ش.و.ن.ت، الجزائر،
١٩٨١.
٢٨٢ ـ **ماجد عبد المنعم وآخرون:**
* بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية ،ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى أ حمد فكري، م.ش.
جامعة الإسكندرية، ١٩٨٣،
٢٨٣ ـ **محمد البهلي النيال:**
* الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، ، مكتبة النجاح، تونس ،١٩٦٤.

٢٨٤ ـ **محمد الرشيد ملين:**
* عصر المنصور الموحدي،الحياة السياسية و الفكرية و الدينية في المغرب من سنة ٥٨٠ هـ/
٥٩٥ هـ،مطبعة الشمال الإفريقي،ط٢ ،١٩٩٠
٢٨٥ ـ **محمد العربي الخطاب:**
* الطب و الأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٨، بيروت.
٢٨٦ ـ **محمد العروسي المطوي :**
* السلطنة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب
الإسلامي، ١٩٨٦.
٢٨٧ ـ **محمد جميل بيهم:**
* المرأة في التاريخ والشرائع،بيروت،١٣٣٩ هـ /١٩٢١م.
٢٨٨ ـ **محمد كمال غلاب:**
* عالم النساء في التاريخ، دار الإيمان، الإسكندرية، ١٩٩٩.
٢٨٩ ـ **محمد منير سعد الدين:**
* العلماء عند المسلمين، دار المناهل، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٩٠ ـ **محمود إسماعيل:**
* الخوارج في المغرب الإسلامي، مطبعة دار العودة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، بيروت.
٢٩١ ـ **محمود سلام زناتي:**
* الإسلام و التقاليد القبلية في إفريقية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩
٢٩٢ ـ **محمود شيت خطاب:**
* قادة فتح المغرب العربي،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت،٣أجزاء،ط ٢ ،١٩٧٣.
٢٩٣ ـ **مرتاض عبد المالك:**
* الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢
٢٩٤ ـ **معزوز عبد الحق والأخضر درياس:**
* جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، مطبعة سومر، الجزائر،جزآن،٢٠٠١
٢٩٥ ـ **مكي،الطاهر أحمد:**
* دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، ط٢، القاهرة، د.ت،
٢٩٦ ـ **منصف بن حسن:**
* العبيد والجواري، سيراس للنشر، تونس١٩٧٤.
٢٩٧ ـ **المنوني محمد:**

* تـاريخ الوراقـة المغربيـة، منشـورات كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية، الربـاط، ١٩٩١.
٢٩٨ * العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحدين،دار المغرب،الرباط،١٩٧٧.
٢٩٩ * حضارة الموحدين، دار طوبقال للنشر،الدّار البيضاء، ط١،١٩٨٩.
٣٠٠ * ورقات عن الحضارة المرينية، منشورات كلية الآداب بالرباط ط٢، ١٩٩٦
٣٠١ ـ **موسى عز الدين**:
* النشـاط الاقتصـادي فـي المغـرب الإسـلامي خـلال القـرن ٦ هــ، دار الشـروق، القاهرة، ١٩٨٣.
٣٠٢ ـ **الميلي مبارك**:
* تاريخ الجزائر في القديم والحديث،مكتبية النهضة الجزائرية،٣أجزاء، ١٩٦٣،
٣٠٣ ـ **نور الدين عبد القادر**:
* القـول المـأثور مـن كـلام الشـيخ عبـد الرحمـان مجذوب،المطبعـة الثعالبيـة، الجزائر،د.ت

٣٠٤ ـ **هاشم العلوي القاسمي**:
* مجتمع المغـرب الأقصـى حتـى منصـف القرن الرابـع الهجري، منتصف القرن العاشر الميلادي،
منشــورات وزارة الأوقــاف والشــؤون الإســلامية،جزآن، مطبعــة فضــالة، المحمدية، ١٩٩٥.

٢- المراجع المعربة:

٣٠٥ ـ **إدريس الهادي روجي إدريس**:
* الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن ١٠ إلـى القرن ١٢ م، ترجمة
حمادي الساحلي، ط١، بيروت،جزآن، ١٩٩٢.
٣٠٦ ـ **آدم متز**:
* الحضـارة الإسلامية فـي القرن الرابـع الهجري، ترجمة،محمد عبد الهادي أبو رندة، الدار
التونسية للنشر، جزآن، تونس، ١٩٨٦.
٣٠٧ ـ **ألفرد بل**:
* الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي،
بيروت، ط ٣، ١٩٦٩.
٣٠٨ **برانشفيك،روبار**:
* تـاريخ إفريقيـة فـي العهد الحفصـي- من القرن ١٣م إلـى نهاية ق١٥م- ترجمـة حمّادي الساحلي،
جزآن. دار الغرب الإسلامي،١٩٨٨ ، بيروت.

٣٠٩ **بروفنسال ليفي:**
* الإسلام في المغرب والأندلس،ترجمة عبدالعزيزسالم، ومحمد صلاح الدين حلمي،دار نهضة
مصر للطبع والنشر،القاهرة،د،ت .
٣١٠ **ـ بلاثيوس آسين:**
* ابن عربي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، الكويت .
٣١١ **بورويبةرشيد:**
* ابن تومرت ، ترجمة عبد الحميد حاجيات،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،١٩٨٢
٣١٢ **ـ جارولو:**
* شاعرات الأندلس، ترجمة أشرف علي دعدور، مراجعة علي محمود مكي، دار النهضة الشرق،
القاهرة، ١٩٩٦.

٣١٣ **ـ شارل أندري جوليان:**
* تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط ،
١٩٧٨.
٣١٤ **ـ العشراوي فرحات:**
* الخلافة الفاطمية بالغرب،ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت،
١٩٩٤.
٣١٥ **ـ لوطورنرو،روجي:**
* فاس قبل الحماية،ترجمة محمد حجي وحمد الأخضر،ط ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

ثالثا المقالات:

١ـ العربية:

٣١٦ **أحمد أمين وأخريات:**
* بنو هلال، سيرتهم و تاريخهم، أعمال ملتقى دولي المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل
التاريخ، الانترولوجيا و التاريخ، الجزائر، ١٩٩٠، ص ص ٢٤١، ٢٤٦.
٣١٧ **أحمد حماني:**
* "عباقرة من رجالنا تزهي بهم عواصمنا الصنهاجية "، مجلة الأصالة، عدد خاص، رقم ١٩
مارس١٩٧٤، الجزائر، ص ص٢٤١،٢٥٧.
٣١٨ **ـ ألفريد بال :**
* شاهد قبر تلمساني من القرن ١٥م،المؤتمر الأول الفيدرالية جمعيات العلماء، الجزائر، ١٩٣٥،

ص ص ١٥، ١٩.
٣١٩ ـ **بن عميرة محمد:**
* "موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي"، مجلة الدراسات التاريخية، ع٢،سنة ١٩٨٦.
٣٢٠ **بن قربة صالح:**
* "المسكوكات الفاطمية في حضارة المغرب الإسلامي"،مجلة الثقافة،ع١١٤، الجزائر،
١٩٩٧، ص ص٥٣،٦٢.
٣٢١ * " حسان بن النعمان و دوره في نشر الإسلام بالمغرب "،مجلة الأصالة، عدد خاص، رقم٦٤،
ص ص٥٨،١٠٥.

٣٢٢ * " مقدمة لدراسة الملابس المغربية"، مجلة تاريخ المغرب العربي، عدد ١٤، ٢٠٠٠، ص ص
٤٣، ٥٨.
٣٢٣ ـ **بن معمر محمد:**
* " عبد المؤمن بن علي في مدرسة ابن تومرت العلمية و الدينية و الحربية " مجلة عصور،
مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، السنة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ع٢،
ص ص١٣٢،١٤٥.
٣٢٤ ـ **بوبة مجاني:**
*" دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من ق ٣- ٦ هـ/٩- ١٢م"، مجلة الحياة، عدد٢،
جمعية التراث، قرارة، غرداية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٣٢٥ **التازي عبد الهادي:**
* "ابن زهر الحفيد"،الدرس الافتتاحي للسنة الأكاديمية ١٩٩٧-١٩٩٨، جامعة ابن زهر
بأكادير،ص ص١٨،٤.
٣٢٦ ـ **حركات إبراهيم:**
* "الحياة الاجتماعية في عصر بني مرين"، مجلة كلية الآداب والعلوم جامعة محمد الخامس،
الرباط، عدد ٥، ٦، ١٩٧٩،ص ص٥٢،٤٥.
٣٢٧ ـ **حسن حسني عبد الوهاب:**
* "المصاهرة بين العراق و إفريقية التونسية"، مجلة المجمع العلمي العراقي،١٩٥٦، ص ص
٢٥،٣٠.
٣٢٨ ـ **شاوش،الحاج محمد بن رمضان:**

* " ابن التريكي"مجلة جمعية الجغرافية والآثار لوهران، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، ١٩٨٠.
ص ص٢١ ،٢٦

٣٢٩ ـ **الطالبي محمد:**

* "المغرب من الفتح إلى أواخر الربع الأول من القرن الثاني"، بحث ضمن: أعمال ندوة الذاتية
العربية بين الوحدة و التنوع، تونس، ١٩٧٩، ص ص٢١، ٣٥.

٣٣٠ ـ **عبد العزيز بن عبد الله:**

* "المرأة المراكشية في الحقل الفكري"، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، بمدريد، عدد١، ٢ ،
١٩٥٨،ص ص٢٧٢،٢٨٠.

٣٣١ ـ **فتحة محمد:**

* "جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب المريني"، حوليات كلية الآداب عين الشق، البيضاء،
١٩٨٤،ص ص ٥،١١.

٣٣٢ ـ **محمد البهلي النيال:**

* " قصة الصداق القيرواني و منزلته من التاريخ و الفقه"، مجلة الندوة، عدد ٤، ١٩٥٤،
ص ص٢٢،٢٥.

٣٣٣ ـ **المسعودي محمد وبوشتى زكي:**

* "الشعر الغنائي الأمازيغي" مجلة شراع،العدد٥٩، يوليو ١٩٩٩،ص ص ٨،١٢.

٣٣٤ ـ **الملكي الحسين:**

* "تمازالت "،مجلة تيفاوت، عدد٧،جانفي ـ فيفري١٩٩٦،ص ص٥٨،٦٢.

٣٣٥ ـ **المنجي الشملي:**

* "نقد لكتاب شهيرات التونسيات"،لحسن حسني عبد الوهاب، حوليات الجامعة التونسية،
عدد٣ ،تونس،١٩٦٦،ص ص ٢٨٠،٢٩٠.

رابعا: الرسائل الجامعية

٣٣٦ ـ **إسكان الحسين:**

*" جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من القرن ٧هـ ـ ١٣م/٩هـ ـ ١٥م"، دبلوم
الدراسات العليا، الرباط، ١٩٨٨.

٣٣٧ ـ **بلمليح عبد الإله:**

* الرق في بلاد المغرب و الأندلس خلال القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢ م،دكتوراه الدولة، كلية

الآداب و العلوم الإنسانية، ظهر مهراز، فاس، ٢٠٠٠.
٣٣٨ ـ **بن مامي محمد الباجي:**
* مدارس مدينة تونس في العهدين الحفصي والحسيني، شهادة التعمق في البحث، كلية
الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ١٩٨١.
٣٣٩ ـ **حساني مختار:**
* "الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الزيانية"،ماجستير،معهد التاريخ،جامعة
الجزائر،١٩٨٧.

٣٤٠ ـ **حميدي مليكة:**
* المرأة المغربية في عهد المرابطين"،ماجيستر،جامعة الجزائر ، ٢٠٠٢.
٣٤١ ـ **صالح بن عمر اسماوي:**
* العزابة و دورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، رسالة ماجستير، ٢٠٠١، جامعة الجزائر.
٣٤٢ ـ **عبد الشكور نبيلة:**
* "القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية"،ماجستير، جامعة الجزائر، ١٩٩٧.
٣٤٣ ـ **محمد صالح الجون:**
* "أثر الأندلسيين في الأدب المغربي على عهد الموحّدين"، دكتوراه الدولة، جامعة دمشق،
١٩٨٧.
٣٤٤ ـ **المغراوي محمد:**
* العلماء والصلحاء و السلطة بالمغرب و الأندلس في عصر الموحدين"،دكتوراه دولة، الرباط،
٢٠٠١.
٣٤٥ ـ **الهلالي محمد ياسر:**
* " مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين ٨و٩هـ/١٤/١٥م"، مساهمة في دراسة بعض
مصطلحات التراتيب الاجتماعي "العامة والخاصة،الطبقة المرتبة"،دكتوراه ،كلية الآداب،
الرباط، ٢٠٠٠

خامسا:الموسوعات والمعاجم:

٣٤٦ ـ **المعلمة**: الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا.
٣٤٧ ـ **منجد في اللغة و الأعلام.**
٣٤٨ ـ **دائرة المعارف الإسلامية، ط ٢ .**
٣٤٩ ـ **هسبريس، ١٩٢٩.**

سادسا:المراجع بالأجنبية:

٣٥٠ **Alojali (G H)** :

* Lexique touareg – Français, Awgalel- Tamajeg Tafransit, Copenhague, AKademis Forlage, 1980.

*Art de la Coiffure traditionnelle, au Musée Nationale du Bardo, Institut National du Patrimoine 2000.

٣٥١ **Ashtor (L)** :

* Le coût de la vie, matériaux pour l'histoire des prix

٣٥٢ **Bargès (L, J, J L)** :

* rois de Tlemcen , Histoire des Beni zeiyan Paris ,1852 .

٣٥٣ * Complément de l'histoire des béni –Zeiyan rois de Tlemcen, Ernest laroux, librairie, Paris ,1887.

٣٥٤ **Bel Alfred**:

* Les Banou Ghania, Paris, 1903, pp3, 14.

* La religion musulmane en Berberie, Paris, 1938,

٣٥٥ **Blanche (R)** :

* l'épistémologie, P.U.F, 2eme édition, 1977.

٣٥٦ **Brignon et autres** :

* Histoire du Maroc, Hatier, Paris, 1967.

٣٥٧ **Bourouiba(R)** :

* Ibn Toumart, S.N.E.D, Alger.

٣٥٨ **Conte Edouard**:

* traité de paix et de commerce ; Hatier, Paris ,1868 .

٣٥٩ **Cortade (J.M)** :

* Essaie de grammaire Touareg - dialecte de l'Ahaggar, Université, d'Alger, 1969.

٣٦٠ **Daoulatli (A)**:

* Tunis sous les Hafsides, Tunis, 1976 .

٣٦١ **De Beylre (le Général)** :

* La Kalaa des Bani Hammad, une capitale Berbère du II siècle ; Paris,1908.

٣٦٢ **De champs (H)**:

* Histoire de la traite des noirs de l'antiquité à nos jours, l'histoire sans frontières, fayard, Paris 1972.

٣٦٣ **Duveyrier Henri** :

* Les Touaregs du Nord, Challamel Ainé, Paris, 1864.

٣٦٤ **Dozy René**:

* Dictionnaire détaillé des noms, des vêtements chez les Arabes, Amsterdam, 1845

٣٦٥ **Dozy (R)** :

* Histoire des Musulmans d'Espagne,E-J-Bril Leyde,1932,T2

٣٦٦ **Eudel (P):**

* L'Orfèvrerie Algérienne et Tunisienne,Alger,Jourdan,1902.

٣٦٧ **Farag Abdalmalik** :

* Relations médicales Hispano Maghrébines au XII siècles, Les éditions, Véga, Paris, 1935.

٣٦٨ **Fantar (M)** :

* La Kahina, Reine des Berbères, (R.E.P.P.A), 1987, T 3.

٣٦٩ **Foucauld (ch.)**:

* Dictionnaire touareg– Français, Imprimerie National, 4 vol, 1951, Paris.

٣٧٠ **Gabriel (R)**:

* Le Costume au Maroc, Edit, Bocard, Paris, 1938.

٣٧١ **Gaudio (A)** :

* Le dossier de la Mauritanie, nouvelles éditions latines, Paris, 1978.

٣٧٢ **Gautier (E.F)** :

* Le passé de l’Afrique du Nord, Payot, Paris, 1952.

٣٧٣ **GHRAB (S)**:

* IBN ARAFA et le Malikisme en Ifriqiya au 7-13 éme,Tunis, 1992.

٣٧٤ **Goichon (A.M)**:

* La vie Féminine au M’Zab,librairie orientaliste,1927, Paris.

٣٧٥ **Guichard Pierre**:

* Structures sociales orientales et occidentales dans l'époque musulmane, Paris, 1977.

٣٧٦ **Hanotau (A)** :

* Poésies Populaires de la Kabylie du Djurjura,Texte kabyle et traduction, imprimerie par ordre de l'empereur à l'imprimerie impériale, Paris 1867.

٣٧٧ **Idris Hady Roger** :

* la Berberie orientale sous les Zirides, paris, 1962,

٣٧٨ **Khanboubi(A)**:

* Les premiers sultans mérinides,ed, l’Armathan, Paris, 1986.

٣٧٩ **Lagardère Vincent** :

* Les Almoravides,L’Harmattan, Paris, 1989.

٣٨٠ **Levi-Provençal** :

* documents inédits sur ’histoire d’Almoravides, Paris, 1928.

٣٨١ **Marçais William et George**:

* Les Monuments Arabe de Tlemcen, libraire, thorin, Paris, 1903, pp 401,402

٣٨٢ **Marçais George** :

* Les Bijoux musulmans de la Afrique du nord,les conférences visites au musée Stéphane Gsell,1956-1957,Alger, Imprimerie officielle.

٣٨٣ **Marchesin (P)** :

* Tribus et hnies et pouvoir du Mauritanie, Ed,Karthala, 1982.

٣٨٤ **Massignon (L)** :

* le Maroc dans les premières années du 16é siècle, Alger,

٣٨٥ **Mercier (E)** :

* Histoire de l'Afrique septentrionale, Paris, 1888,

٣٨٦ **Pevrin Michel et (Autres)**:

* Dictionnaires des Sciences humaines, Paris, Edition Nathan, 1990.

٣٨٧ **Philips (W)**:

* Historie de la esclavitud en España traducción Leopoldo formes Bona vía, editorial playos, Madrid, 1990.

٣٨٨ **Seybold, Cristian Federico**:

* revista del centro de estudios de Granada y su reino, 1911.

٣٨٩ **Sonneck (A)**:

* Chants Arabes du Maghreb, étude sur le dialecte et la poésie populaire de l'Afrique du Nord, 3 Vol, Paris, 1902 – 1904.

٣٩٠ **Terrasse Henri** :

* Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français, Atlantide, Casablanca, 1949.

٣٩١ * note sur l'origine des Bijoux du sud Marocain,

٣٩٢ * Médersas du Maroc, Fès, 1927

سابعا:المقالات بالأجنبية:

٣٩٣ **Ariè (R)** :

* « quelques remarques sur le costume des Musulmans d'Espagne au temps des nasrides », in ARABICA, T, XII, 1965.pp 16

٣٩٤ **Basset(H) et Terrasse(H)** :

* « sanctuaire et Forteresses almohades »,Hesperis, t4, 1924. pp13,16.

٣٩٥ **Bourouiba(R)** :

* « A propos de la date de naissance d'Ibn Tûmart », Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, n°1,1967, pp19-55,

٣٩٦ **Bel Alfred** :

* Inscriptions Arabes de Fès, J.A. 1919, p159,

٣٩٧ * Quelques rites pour obtenir la pluie en temps de sécheresse chez les musulmanes maghrébins, in Recueil de mémoires et de textes publié en l'honneur du XIV éme congrès des orientalistes, PP.16,31.

٣٩٨ **Brosselard Charles** :

* « Mémoire epiraphique et histoire sur les tombeaux des émirs Beni zeiyan et de Bouabdil », J.A. Janvier – Février, 1876,pp 190 - 194.

٣٩٩ * « Mosquée d'Er-rouya,»Les inscriptions arabes de Tlemcen, R.A, 6 éme année, n° 33, Mai, 1862, pp 161 - 162.

* « Mosquée d'él-Korran», Les inscriptions arabes de Tlemcen» , R.A, 6ème année, n°33 Mai, 1862, pp164 – 167.

٤٠٠ **Bourouiba Rabah** :

* « A propos de la date de naissance d'Ibn Tûmart » Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, n°1,1967, pp19-55.

٤٠١ **Brunschvig Robert** :

* « Quelques remarques historiques sur les medersas de Tunisie », Revu, Tunisienne, n° 6 ,1931. p266.

٤٠٢ * « Polémiques médiévales autour du rite de Malik » dans Al-Andalus, XV, fasc, 2, 1950, pp377-387.

٤٠٣ **Camps Gabriel**:

* « Fatima, princesse hafside et reine mérinide 1325-1340 », In L'Afrique du nord au féminin, p.176 .

٤٠٤ **Chelhob Joseph** :

* «Une version populaire de la légende de SAIDA MANOUBIA», extrait du recueil Contes Tunisie, in marginales en terre de l'Islam, 1949, pp, 131,132.

٤٠٥ **Cherbonneau (A)** :

* « Aicha, poète de Bougie », au VII, R.A, n°12, p p34, 35.

٤٠٦ **Ferchiou (Sophie)** :

* « Catégorie des sexes et circulation des biens habous », in hasab wa nasab, pp 251,270.

٤٠٧ **Ferhat (H)** :

* « Le livre instrument de savoir et objet de commerce dans le Maghreb médiéval, Hesperis, Tamuda, 1994, pp60, 66.

٤٠٨ **Hamidou, Abdel Hamid** :

* « Aperçue sur le poésie vulgaire de Tlemcen – Les deux poètes populaires de Tlemcen ibn Amsaib et ibn Tirki »,in actes du 2eme congrès de la fédération des sociétés savants de l'Afrique du Nord, Alger, Publication de la société historique Algérienne, thème 2, 1936, pp 1007- 1046 , Hesperis, 1930.

٤٠٩ **Idris, Hady Roger** :

* « Le mariage en occident musulman, analyse dés fatuas dédiévales », in Studia islamica, 970, pp 157 ,167.

ثانيا : فهــرس الآيات القرآنيـة

سورة النور	ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض...	٤١	١٠٦
سورة النمل	قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة...	٤٦	٢٨٨
سورة النمل	قالوا اطّيرنا بك وبمن معك...	٤٧	٢٨٨
سورة الأحزاب	وردّ الله الذين كفروا بغيضهم...	٢٥	٠٤
سورة فاطر	وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه	١٢	٤٤٧
سورة يس	قالوا ربُّنا يعلم...	١٦	٢٨٨
سورة يس	وما علينا إلاّ البلاغ المبين....	١٧	٢٨٨
سورة يس	قالوا إنّا تطرينا	١٨	٢٨٨
سورة يس	قالوا طائركم معكم ...	١٩	٢٨٨
سورة الحجرات	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى....	١٣	٣٢٤
سورة المجادلة	الذين يظاهرون منكم من نسائهم ...	٢	٢٣٣
سورة المجادلة	والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون...	٣	٢٣٦
سورة المجادلة	فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ...	٤	٢٣٦
سورة الممتحنة	يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك	١٢	١٠٧
سورة الغاشية	وزرابي مبثوثة ...	١٦	٤٣٩
سورة العلق	اقرأ باسم ربك	١	٢٩٦
سورة العلق	خلق الإنسان من علقة...	٢	٢٩٦
سورة العلق	اقرأ وربك الأكرم	٣	٢٩٦
سورة العلق	الذي علم بالقلم	٤	٢٩٦
سورة العلق	علم الإنسان ما لم يعلم....	٥	٢٩٦

ثالثا : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

" كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " صحيح البخاري: ص ص 302 .
" طلب العلم فريضة على كل مسلم " ، ابن ماجة ، سنن ابن ماجة، المقدمة ، ص 296.
" أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدّبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوّجها فله أجران ":
صحيح الإمام البخاري، ص ٢٩٧ .
"ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة " :ابن حنبل مسند الإمام أحمد، ص ٢٩٧.
" خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء " : ابن حجر العسقلاني . الأصالة في تمييز الصحابة ، ص ٢٩٧.
" إنّما النساء شقائق الرّجال " : الألباني : صحيح الجامع الصغير وزيادته : ص ٣٩٥ .
" لا ينظر الله إلى من جد ثوبه خيلاء " : ابن إبي زيد، متن الرسالة، ص ٤٤٠ .
" عليكم بالأثمد فإنه يجلو البصر " : ابن السعد محمد، الطبقات الكبرى، ص ٤٦١.
" إن أحسن من غيرتم الشيب الحناء والكتم " : ابن أبي زيد، متن الرسالة، ص ٤٦٣.
" لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ": ص ٤٦٤.

ثانيا : الجـــداول

جدول رقم : ١٦ * قائمة شيوخ الدولة الرستمية الذين ينعتون بأسماء أمهاتهم
حسب " طبقات المشايخ " للدرجيني .

اسـم الشيــوخ	اسـم الأم	المصـــــــــدر
عـــروة	**أديــــة**	ج١ ، ص ٧.
أبـو جلال مرداس	**أديــــة**	ج 1، ص 7.
أبـــو دوح	**كتـــابة**	ج 1، ص 7.
مـــــازن	**كـــابة**	ج 1، ص 7.
أبو خزر يعلى	**زلتــاف**	ج 7، ص 8.

جدول رقم : ١٧ * تسمية الرجال المرابطين بأمهاتهم حسب المصادر المغربية

الرقم	الاسم	مكانته الاجتماعية	المصدر
١	بن **تافلويت** أبو بكر	والي على مرسيه، وقائد	ابن أبي زرع: **القرطاس**، ص 161
٢	بن **تورزكين**	قائد الجيش المرابطي	ابن القطان: نظم الجمان،ص 139
٣	بن **ورقاء**	قائد، ووالي	نفسه،ص ص 109،181،220
٤	بن **عائشة** أبو عبد الله	الأمير محمد بن يوسف بن تاشفين	نفسه ، ص 82
٥	بن **فاطمة**	والي بلنسية،أبو محمد بن عبد الله	نفسه، ص112
٦	بن **فاطمة**	الأمير محمد بن علي بن يوسف	ابن عذاري: م، س، ج٤،ص ص42 ،56
٧	ابن **الصحراوية**	والي فاس	ابن الأبار: **الحلة** ، ق2 ،م2 ص ٢٣٦.
٨	بن **قانونة**	والي قرطبة	ابن القطان: م، س، ص 190.
٩	بن **غانية** محمد	محمد بن علي المسوفي	عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص342
١٠	بن **غانية** يحي	محمد بن علي المسوفي عامل على مدينة قرطبة	ابن الخطيب: **الإحاطة**،ج4 ، ص344 .
١١	ابن **الياسمين**	الفقيه العالم عبد الله بن محمد بن حجاج	نفسه، ج3 ، ص107

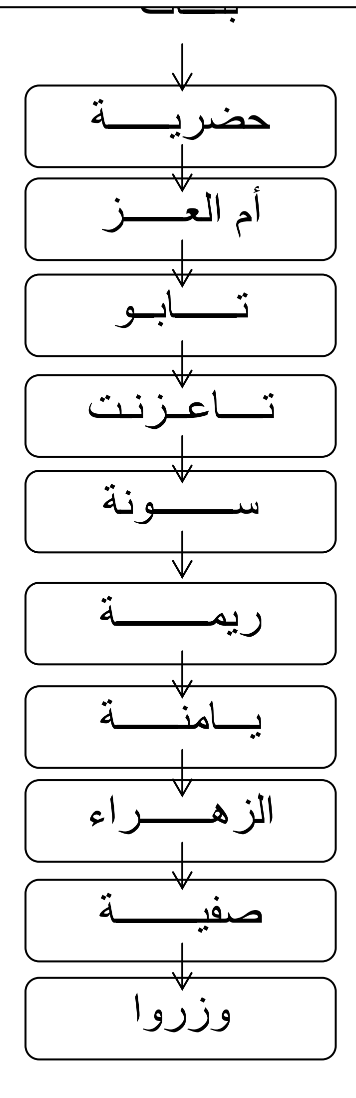
جدول رقم : ١٨ * تسمية الرجال المرابطين بأمهاتهم حسب المهدي ابن تورمت ، للبيدق .

اسم العلم/ اسم المرأة	مكانة العلم أو وظيفته	المصدر
بن **تاسكورت**	مسؤول بكر سيف	ص 21.
بن **تاكرطاسين**	والي على بكر سيف	ص ص21، 60.
بن **تيزمت** (اللبؤة)	وزير وقائد كبير	ص ص27،28،65،66،67،73
بن **حواء** دفال	قائد حصن تاز غدرا	ص، 93
بن **حواء** محمد	قائد	ص، 64
بن **صارة** أبو بكر	والي على سجلماسة	ص، 52
بن **صارة** صالح	قائد حصن تيونوين بالسوس	ص ص، 48، ٩١
بن **صارة** ميمون	قائد حصن تسغمرت	ص، 22
بن **عائشة**	الأمير إبراهيم ابن يوسف بن تاشفين	ص، 48
بن **عائشة** الزبير	قائد حصن	ص، 93
بن **عائشة** داوود	قائد تاكرارت بفزاز	ص، 50
بن **فانو** محمد	والي تلسمان	ص، 56
بن **فانو** يحي	والي بكر سيف	ص، 21، 22.
بن **مريم** يحي	والي درعة	ص، 13

- جدول رقم: ١٩ * نســاء في حياة المهدي ابن تومرت

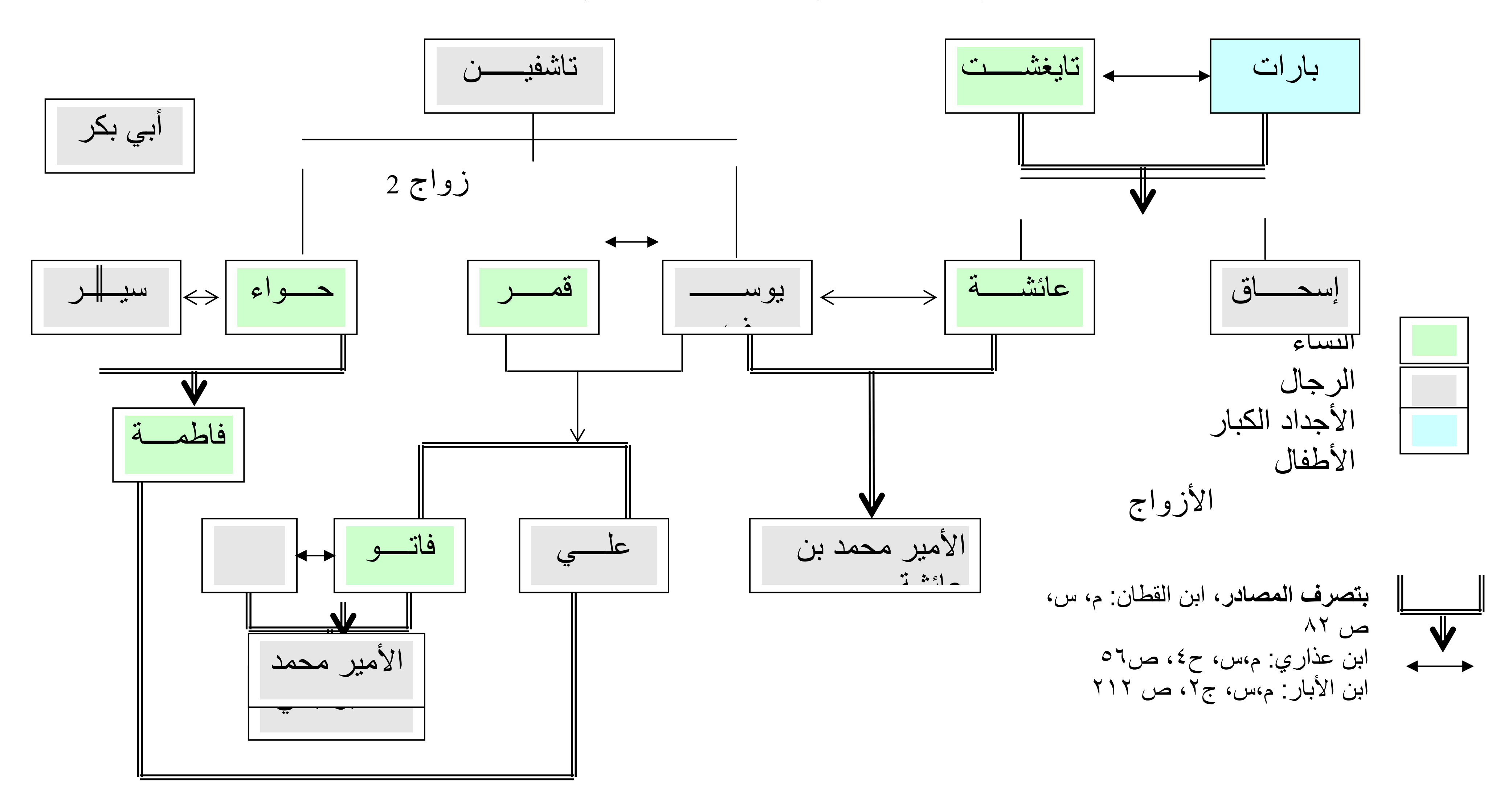
الاســم	مكانتها الاجتماعية	المصــــــدر
أم الحسن بين وابوركن	الوالـــــدة	البيدق: **أخبار المهدي بن تومرت**،ص ١٠
زينــــــب	الأخـــــت	نفســه ، ص ١١
حواء بنـت وجليد	العمــــة	نفســه ، ص ١٢

جدول رقم : ٢٠ * بنـــات السلطان أبو الحسن المريني .

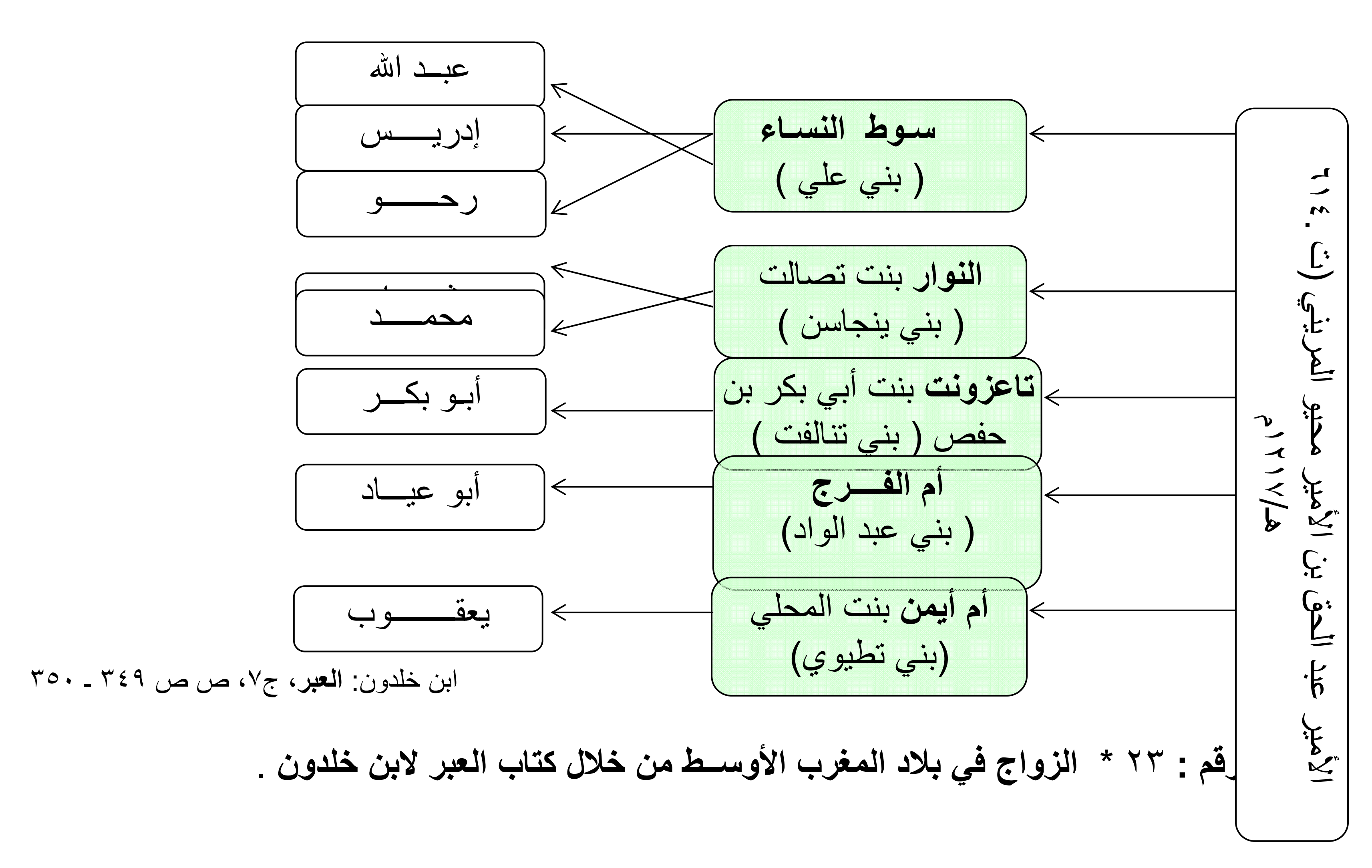


الناصــــــري : م س، **الاستقصاء**، ج٣.

جدول رقم :٢١ * نموذج للأسرة الأميسية في عهد المرابطين .



جدول رقم : ٢٢ * زواج الأمير عبد الحق المريني من بنات القبائل المحالفة له.



ابن خلدون: **العبر**، ج٧، ص ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠

رقم : ٢٣ * الزواج في بلاد المغرب الأوسـط من خلال كتاب العبر لابن خلدون .

مكانة المرأة	الأب أو الجد	اسم الزوج	البلد	القرن	ملاحظات	نوع الزواج	المصدر
ابنة	السلطان أبي حمو الأوسط	أبي العباس أحمد صاحب قسنطينة	تلمسان	ق 8 هـ/ ١٤م		زواج سياسي	ج7،ص، 268
ابنة	السلطان الحفصي أبي إسحاق بن أبي زكرياء	الأمير عثمان بن يغمراسن بن زياد	تلمسان	ق 7 هـ/١٣م	قاصر	زواج سياسي	ج7ص، 897
حفيدة	ثابت بن منذيل زعيم مغراوة	السلطان المريني يوسف بن يعقوب المرديني	تلمسان	ق 8 هـ ١٤م		زواج سياسي	ج7ص، 454
ابنة	السلطان الزياني أبي حمو الأوسط	العالم أبا عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني.		ق ٨ هـ ١٤م	إكراما لنسبه الشريف	زواج اجتماعي	ج7ص، 857

جدول رقم : ٢٤ * المصاهرة في المجتمع الحفصي عند الطبقة الحاكمة .

الفتـــرة	قطب التصـــاهـــر		المصـــــــدر
681هـ/ 1282م	الأمير عبد الوادي أبو الحسن عثمان بن يغمراسـن	**بنت** السلطان أبـي إسحاق إبراهيم	نقلاً عن : Brunschvig :TI,P.8
684هـ /1285م	محمد بن يوسف الهمداني الأندلسي (ابن الأمير)	**بنـــت** الحاجـــب بجايـــة ابـــن أبـــي جبي.	ابن خلدون:**العبر**،ج٦ ، ص 723
ق7هـ / 13م	ابن الحاجب (ابن الدّباغ)	**بنـت** أبـي الحسـن بن أبي الحكم	نفسه، ج٦، ص ٧١٢
ق8هـ / 14م	الحاجب يعقوب بن عمر	تـزوج من **ربيبـات القمر**	نفسه، ج٦،725
717 هـ/ ١٣١٧م	محمد ابن أبي بكر بـن عمـران(حـافظ طرابلس)	**بنت** ابن الليحاني	الزركشـــي:**تـــاريخ الدولتين** ص٦٥
731هـ/ 1331م	السلطان المريني	**الأميرة فاطمة** بنت أبي بكر	ابن خلدون:م،س،ج٦ ، ص 777
ق ٧هـ/ ١٣م	ابن تافراكين (شيخ الموحدين)	ابــن يزدوتـــــن (شيخ الدولة)	نفسه، ج٦،796
750هـ/ 1349م	أبـــي الليـــل بـــن حمزة	**أخـت** الفضـل بـن أبي يحي	ابــن الشــماع:**الأدلــة البينة**، ص 100
763هـ/ 1362م	صاحب تلمسان	**ابنة** أمير بجاية	بحي بن خلدون:**بغيـة الرواد**،ج٢ ،ص 160

جدول رقم : ٢٤ * تابع المصاهرة في المجتمع الحفصي عند الطبقة الحاكمة .

766هـ/ 1365م	السلطان أبو إسحاق إبراهيم	**بنت** الوزير إبن تافراجين	ابن الشماع:م،س،ص 105
ق 8 هـ/ 14م	أبو العباس أحمد	**امرأة** من العرب المحاميد(أم أبي فارس)	الزركشي:**تاريخ الدولتين**، ص 114
855 هـ/ ١٤٥١م	الأمير محمد مسعود	**ابنة** عمه شقيق المنتصر السلطان	نفسه،14
أواخر العهد	أبو يحي قاسم الرصاع	**ابنة** الأمير حميدة الحفصي	ابن مخلوف **:شجرة النور الزكية**، ص 293
أواخر العهد	أبو الفضل الرصاع	**ابنة** الأمير حميدة الحفصي	نفسه ، ص293

جدول رقم : ٢٥ * أسماء أمهات أولاد سلاطين بني حفص حسب تاريخ الدولتين للزركشي.

أسماء السلاطين	**أسماء أمهات الأولاد**	**أصلها**	**المصدر**
الواثق ـ ابن المستنصر	**ضرب**	رومية	ص ٤١
إبراهيم بن أبي زكرياء	**رويدا**	رومية	ص ٤٣
محمد بن مرزوق ابن أبي عمارة المسيلي	**فرحة**	بلاد الزاب	ص ٤٦
عمر ابن أبي زكرياء	**ظبية**	عربية	ص ٥٠
زكرياء ابن اللحياني	**محرم**	رومية	ص ٦٢
أبي بكر يحي بن إبراهيم	**أملح الناس**	رمية	ص ٦٦
عمر بن أبي بكر	**حباب**	رومية	ص ٨٠
أحمد بن أبي بكر	**سعد السعود**	رمية	ص ٨١
الفضل ابن أبي بكر	**عطف**	رمية	ص ٩١
إبراهيم بن أبي بكر (البقاء)	**قرب الرضا**	رمية	ص ٩٢
أبو العباس أحمد بن أبي بكر	**قشوال**	رومية	ص ١٠٦
أبي فارس عبد العزيز	**جوهرة**	عربية(طرابلس)	ص ١١٤
أبو عبد الله محمد المنتصر	**ريم**	علجية	ص ١٣١
أبو عمر عثمان	ريم	علجية	ص ١٣٤

جدول رقم : ٢٦ * أسماء أمهات أولاد سلاطين بني مرين حسب روضة النسرين، لابن الأحمر .

اسم السلطان	أمـــــه	بنـــــاته	زوجتـــه	ملاحظات	المصـــدر
عبد الحق بن الأمير محيو المرنيني (ت 614 هـ/١٢١٧م)		**ورتطليم**	**سوط النساء النوار تاغروت أم الفرج أم اليمـن**		ص٢٥.
يعقـوب بـن عبـد الحـق المريني	**الحاجة أم اليّمن** بنت محلي بن حازم البطوئي	**عربيـــــة**			ص٢٧.
يوســـف بـــن يعقـــوب المريني (ت ٧٠٦هـ/١٣٠٦م)	**أم العز** بنت محمد بن حازم العلوي				ص٣٠
ـ عامر بن عبد الحق بن يوسف المريني (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م)	**بزو** بنـت عثمـان بـن محمـد بـن عبد الحق المريني				ص ٣٢.
ـ سليمان بن عبد الله بن يوسف المريني		**ـ زيانة**		مولودة عربية	ص٣٣.

*** تابع جدول رقم : ٢٦ .**

ـ عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ٧٣١هـ/١٣٤٠م	**عائشة** بنت مهلهل بن يحي الخلطي	**ميمـــونـــة**		(حرة عربية)	ص ٣٤،
ـ علي بن عثمان أبي الحسن المريني ت ٧٥٢ هـ/١٣٥١م	**العنبر**	**ـ حضرية، أم العز. ـ تامو، تاعزرونت الزهراء ـ سونة ، ريمة، صفية، زروا.**		الصالحة المباركة	ص ص،٣٥، ٣٦
ـ فارس بن علي (أبي عنان المريني (ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٦م).	**شمس الضحى**	**ـ فاطمة الصالحة، ست العرب، عائشة، زونو، سكينة، سما،أم جعفر،أم هاني، جندروزة، أم العزيز (المدعوة يمندية)**		أم ولد رومية	ص ص ٣٧، ٣٩
محمد بن أبي عنان المريني (ت ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٦م)	**غـــزالـة**				ص ٤٠.
أبي بكر السعيد بن أبي عنان المريني	**الياسميـــــن**			مولدة	ص ٤٠.

*** تابع جدول رقم : ٢٦ .**

إبـراهيم بـن أبـي الحسـن المريني	**قمـــر**			أم ولـــد روميـــة	ص ٤١.
تاشـفين بـن أبـي الحسـن المريني	**ميمـــونة**			مولدة عربية	ص ٤٢.
محمد بن يعقوب بن أبي الحسن المريني	**فضـــــة**	**أم الفرج،ســـــــت العرب، حفصة، فاطمة**		مولدة عربية	ص ٤٣
عبـد العزيــز بـــن أبـــي الحسن المرينــــــــــــي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)	**مريـــم**			مولـــــدة	ص ٤٣
محمد بن عبد العزيز ابن أبي الحسن	**عائشـــة**			بنت القائد فارح العلج	ص ٤٤

*** تابع جدول رقم : ٢٦ .**

أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن ت ٧٨٦هـ/ ١٣٤٨م .	**نزهة** بنت أبي العباس خضر بن محمد السبائي القحطاني الأندلسي.	**درة بنات الملوك آمنة، أم الفرج، أم الفتح عائشة، فاطمة، سونة**		لقبها الحرة	نفسه، ص ص ٤٥، ٤٦.
موسى بن أبي عنان	**تاملانت**				نفسه، ص ٤٧.
محمد بن أحمد المكنى بأبي زيان	**رقية**			بنت السلطان أبي عنان	نفسه، ص ٤٧.
محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن المريني	**عسيلة**			أمة	نفسه، ص ٤٨.

جدول رقم: ٢٧ * أسعـــار الملابس في المغرب الإسلامي .

التـــاريـــخ	**المنتـــوج**	**الثمـــن**	**المصـــــدر**
ق٧هـ / ١٣ م	١ مئـــــزر	أقل من ٥ دراهم	الونشريسي: **المعيار**، ج٦، ص ٥٣
ق٨ هـ /١٤م	١ ثـــــوب	١ دينـــــار	نفســه ج١٠، ص ٤٣٩
ق ٧هـ/ ١٣م	١ فوطـــــة	دينـار وربـع	ابن ناجي: **معالم الإيمان**،ج٤، ص ٢١٨
ق ١٠هـ/١٦م	قبقـــــاب	مثقال أو مثقالين	الوزان: **وصف إفريقيا**، ج ١ ص ص ٢٤٣، ٢٤٤.
ق٧هـ / ١٣ م	عمـــــامـة	٥٠٠ أو ٦٠٠ دينار	المجهول: **الاستبصار**، ص ٢٠
ق٦هـ / ١٢ م	زوج من السكـــاء	٥٠ دينار	الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ج١، ٢٢٤
ق٦هـ / ١٢ م	زوج من البرنس	٥٠ دينار	نفســه ، ج١، ص ٢٢٤

جدول رقم : ٢٨ *أسمـــاء المتصوفات في المغرب حسب " التشوف " لابن الزيات .

الجنـــس	الأصــل	مكان البيـع	الزمـــــان	السعـــــر	ملاحظـــــات	المصـــــــدر
مملوكـــــة	-	قرطبـــــة	ق ٤ ـ ٥هـ/١٠ ـ ١١م	٦٠ دينار من ثمنها	بسبب وجود عيب بها.	الونشريسي لدى H.R.IDRIS Contribution;p.76
جاريـــــة	-	قرطبـــــة	ق ٤ـ٥هـ/١٠ ـ ١١م	٣٠٠ دينار		الضبي: م، س، ص ٤٧٩.
أمـــــــة	-	وارجـــلان	ق ٥هـ/ ١١م	ـ ٥ دنانير من ثمنها	في إطار التبايع .	الدرجيني:م،س، ج١، ص ١٨٩
جاريـــــة	-	الأنـــدلس	ق ٥هـ/ ١١م	٣٠٠٠ دينار	أديبة ومغنيـة	ابن بسام:م،س،ج٥،ص ١٢.
جـــاريـة	نوبيـــــة	الأنـــدلس	ق ٥ ـ ٦هـ/١١ ـ ١٢م	٢٥٠ دينار		الإدريسي:م، س، ج١، ص ٣١.
جاريـــــة	نوبيـــــة	الأنـــدلس	ق ٥ ـ ٦هـ/١١ ـ ١٢م	٣٠٠ دينار		نفســه، ج١، ص ٣١.
جاريـــــة	سودانيـة	أودغســت	ق ٥ ـ ٦هـ/١١ ـ ١٢م	١٠٠ دينار	طبـاخـــة	البكري:م، س، ص ١٥٨
مملوكـــــة	-	درعـــــة	ق ٦هـ / ١٢م	أقل من ٢٠ دينار		ابن الزيات : م، س، ص ٢٢٤.
جاريـــــة	-	دكـــــالة	ق ٦هـ / ١٢م	دراهم يسيرة	سبي موحدي	النويري :م، س، ص ٤١٢.
جـــاريـة	روميـــــة	الأنـــدلـس	ق ٦هـ / ١٢م	٣٤ مثقـالاً		ابن رشد: م، س ، ج٣، ص ١٦١٥.

المتصوفـــات	العصـــر	البلـــــــــد	الملاحظـــــات	المصـــــــادر
منية بنت ميمون الدكالي .	الموحدي	دكـالة (المغرب)	بلغت درجة الولاية	التشوف، ص ٣٨٨
أم عصفور تيعزات بنت حسين الهنتيقي	الموحدي	رباط ملولاسن (المغرب)	بلغت درجة الولاية	نفســـه ، ص ٣٨٨
ملوكة أخت عيسى بن علي	الموحدي	تادلـة (المغرب)	صـــالحـــة	نفســـه ، ص ٣٨٨
أم محمد تين السلامة	الموحدي	تايد فالت (دكالة)	تختـرق الهــواء	نفســـه ، ص ٣٨٧
فاطمة بنت عبد الرحيم الأندلسية	الموحدي	قصر متامة (المغرب)	يتربك الناس بزيارتها	نفســـه ، ص ص ٣٣١، ٣٣٢.

جدول رقم : ٢٩ * قائمة بأسعار الإيماء بالمغرب الإسلامي خلال القرنين ٥ ـ ٦ هـ/ ١١ ـ ١٢م

جدول رقم : ٣٠ * قائمة بأسعار الإيماء بالمغرب الإسلامي بعد ق ٦هـ / ١٢م

رقم ترتيبي	الجنس	الأصل	مكان البيع	الزمان	السعر	المصدر
١	مملوكة	-	فاس	ق ٨هـ /١٤م	٣٠ دينار ذهبي	الونشريسي لدى : H.R.IDRIS **Contribution**;p.76
٢	خادمة	سوداء	غرناطة	ق ٨هـ /١٤م	١٠٠ دينار فضي	OPCIT, 77
٣	خادمة	سودانية	تكدا (المغرب الأقصى)	ق ٨هـ /١٤م	٢٥ مثقالاً	ابن بطوطة: م، س٧٨.
٤	أمة	سوداء	درعة (المغرب الأقصى)	ق١٠هـ /١٦م	١٥ مثقالاً	نفسه : ج١، ص ١٧٤.

ـ جدول رقم : ٣١ * أسماء شهيرات الخطاطات في المغرب الإسلامي .

رقم الترتيب	إسم المرأة	تاريخ وفاتها	وطنها		هويتها	العصر	ملاحظات	المصادر التي ذكرت
			الأصلي	نزيلة				
Čč	ـ **زوجة** أبو العباس أحمد بن الحطيئة اللخمي الفاسي.		فاس	مصر	وراقة	المرابطي	ملازمة للنسخ	نقلاً عن المنوني: **ورقات عن الحضارة المرينية** ، ص ٢١
٠٢	ـ **ابنة** أبو العباس أحمد بن الحطيئة اللخمي الفاسي.		فاس	مصر	وراقة	الموحدي	ملازمة للنسخ	نفسه ، ص ٢١
٠٣	ـ **سعيدة** بنت محمد بن قُيرة الأموي التُّطيلي.	معاصرة لأبي العباس بن صقر	أندلس	مراكش	وراقة	الموحدي	ملازمة للنسخ	ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة**،ج٢، ص ٤٨٧
٠٤	ـ **أخت** سعيدة بنت محمد بن فيرة الأموي التطلي.	٥٦٩هـ/ ١١٧٣م	لأندلس	مراكش	وراقة	الموحدي	ملازمة للنسخ والقراءة	نفسه، ج٢، ص ٤٩٤.
٠٥	ـ **ورقاء** بنت بنتان الحاجة الطليطلة.	٥٤٠هـ/ ١١٤٥م	طليطلة	فاس	وراقة	الموحدي	ملازمة للنسخ	نفسه، ج٢، ص ٤٩٠.
٠٦	ـ **سارة** بنت أحمد بن عثمان بن صلاح الحلبية.		دمشق	تونس فاس	وراقة	الحفصي المريني	تكتب بالذهب	نفسه، ج٢، ص ٤٩٩

- **جدول رقم: ٣٢ * تراجم العالمات من خلال " التكملة لكتاب الصلة " لابن الأبّار:**

الإسـم	**البـلـد**	**الأعمـــال**	**المـصـدر**
الـبـهـاء بنت الأمير عبد الرحمـان بن الحـكم بن هاشـم	الأندلـس	كاتبة المصاحف	ج٤، ص٢٣٤، رقم ٦٧٥.
أم الـحـسـن بنت أبي لواء سليمان بن أصبغ بن عبد الله بن وانـسـوس بن يربـوع المكـناسي	الأندلـس	تعلمت الحديـث و ألفـقه	ج٤، ص٢٤٤، رقم ٦٧٨.
رقـيـة بنت الوزير تـمام بن عامـر بن علقـمة	الأندلـس	كاتبة للأمير عبد الرحمان بن محمد	ج٤، ص٢٤٥، رقم ٦٧٩.
أم الـولـيـد بنت النـضر بن مسلمة قاضـي الجماعة	الأندلـس	عالـمة	ج٤، ص٢٤٥، رقم ٦٨٠.

- جدول رقم: ٣٣ * تراجم العالمات من خلال " الصلة" لابن حيان :

الاسم	البلد	الوظيفة	الأعمال	المصدر
١. الأميرة "بهاء" بنت عبد الرحمان بن الحكم		تكتب المصاحف	ينسب إليها مسجد البهاء في مساجد ربض الرصافة	ج ٤، ص ٢٤٦، رقم٦٨٤.
٢. طونة (تكنى نجية) بنت عبد العزيز بن موسى (ت٥٠٠هـ/١١٠٦م)		مقرئة وخطاطة		ج ٣، ص٩٩٢، رقم١٥٤٣.
٣. عائشة القرطبية (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م)	قرطبة	عالمة و أديبة	تكتب المصاحف	ج ٣، ص٩٩٣، رقم١٥٤٣.
٤. لبنى (ت ٣٧٦هـ/٩٨٦م).		كاتبة	كاتبة الحكم المستنصر بالله	ج ٢، ص٢٤٧، رقم٦٨٥.
٥. الأميرة "مرجانة" أم الحكم المستنصر بالله		أديبة		ج ٤، ص٢٤٦، رقم٦٨٤.
٦. فاطمة بنت الكاتب الشبلاوي (ت٤٢٧هـ/١٠٣٥م)		كاتبة		ج ٤، ص٢٤٦، رقم٦٨٤.
٧. نظام	قرطبة	كاتبة الرسائل	صاحبة الخطاب الذي عزّى فيه المظفرعبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر،عن أبيه و جدّد له العهد بولايته (٣٩٢هـ/ ١٠٠١م)	ج ٤، ص٢٤٦، رقم٦٨٤.

- جدول رقم: ٣٤ * تراجم العالمات من خلال " الصلة" لابن حيان : (تابع)

٨. هـنـد بنت عبد الرحمان الناصر		أديبة		ج ٤، ص٢٤٩، رقم٦٩٦.
٩. أميـمـة		الكاتبة		ج ٤، ص٢٥٠، رقم٦٩٧.
١٠. زمـردة		الكاتبة		ج ٤، ص٢٤٦، رقم٦٨٣.
١١. حـسّانـة		شاعرة		ج ٤، ص٢٤٠، رقم٦٦٦.
١٢. عـابـدة		عالمة		ج ٤، ص٢٤٠، رقم٦٦٥.
١٣. الشفاء	قرطبة	عالمة	ابتنت مسجد الشفاء بوسط الربض الغربي لقرطبة	ص١١٨.
١٤. أم شريح المقرئ	أشبيلية	مقرئة القرآن		ج٤، ص ص٢٥٤، ٢٥٥، رقم٧٠٩،٧٠٨.

- جدول رقم: ٣٥ * تراجم العالمات من خلال" جذوة المقتبس" للحميدي:

الإسم	البلد	الوظيفة	الأعمال	المصدر
١. مريم بنت أبي يعقوب الفصولي	أشبيلية	أديبة - شاعرة		ج ٢، ص ٦٥٠، رقم ٩٨٦.
٢. الغسانية		شاعرة		نفسه، ج ٢، ص ٦٥١، رقم ٩٨٧.

- جدول رقم: ٣٦ * تراجم العالمات من خلال" "التكلمة لكتاب الصلة" لابن الآبّار.

الإســم	الـبـلـد	الأعـمـال	الـمـصـدر
١. أم شريـح	أشبيلية	مقرئة القرآن بحـرف نافـع	ج٤، ص٢٥٤، ٢٥٥، رقم ٧٠٨.
٢. أسمـاء العامرية	أشبيلية	شاعرة	ج٤، ص٢٥٦، ٢٥٧، رقم ٧١٥.
٣. أسـمـاء بنت أبي داود سليمان بن نجاح	بلنسية	رَاويـــة	ج٤، ص٢٥٤، رقم٧٠٥.
٤. العبـاديـة	دانية	كاتبـة و شـاعـرة	ج٤، ص٢٥١، ٢٥٢، رقم٧٠١.
٥. إشــراق مولاة سوداء	بلنسية	عالـمـة فـي العـروض و شـاعـرة	ج٤، ص٢٥٠، ٢٥١، رقم٦٩٩.
٦. أميـمـة		الكاتبـة	ج٤، ص٢٥٠، رقم٦٧٩.
٧. أسـمـاء بنت غالب		أديبـة	ج٤، ص٢٤٩، رقم٦٩٤.
٨. أم الولـيـد بنت النضر بن عياض الكلابي		صالـحـة زاهـدة	ج٤، ص٢٤٥، رقم٦٨٠.
٩. أم الحسـن بنت أبي لواء سليمان بن أصبغ بن يربوع المكناسي		صالـحـة مـعـلـمـة	ج٤، ص٢٤٤، ٢٤٥، رقم٦٧٨.
١٠. أم الهـنـاء بنت القاضي عبد الحق بن عطية	غرناطة	أديبـة شـاعـرة	ج٤، ص٢٥٧، ٢٥٨، رقم٧١٧.
١١. أم السـعـد	مالقة	أديبـة شـاعـرة	ج٤، ص٢٦٤، ٢٦٥، رقم٧٣٦.

- جدول رقم: ٣٦ * تراجم العالمات من خلال" "التكملة لكتاب الصلة" لابن الآبّار.(تابع)

١٢. أم المعز بنت أحمد بن علي بن هذيل	بلنسية	مقرئة ورش	ج٤، ص٢٦٤، رقم٧٣٥.
١٣. الشلبية		شاعرة	ج٤، ص٢٦٠، رقم٧٢٤.
١٤. بركة		صالحة	ج٤، ص٢٤٨، رقم٦٩٣.
١٥. الأميرة بهاء بنت عبد الرحمان بن الحكم		كاتبة تكتب المصاحف	ج٤، ص٢٤٣، رقم٦٧٥.
١٦. تميمة بنت يوسف بن تاشفين	فاس	أديبة شاعرة	ج٤، ص٢٥٥، رقم٧٠٩.
١٧. .... جارية الحكم المستنصر بالله		كاتبة عالمة بخدمة الاسطرلاب	ج٤، ص٢٤٧، رقم٦٨٨.
١٨. جُؤذُر	قرطبة	أديبة	ج٤، ص٢٤٦، رقم٢٤٦.
١٩. حواء بنت ابراهيم بن تيفوليت		صالحة	ج٤، ص٢٥٦، رقم٧١١.
٢٠. حبيبة (بطونة)		كاتبة	ج٤، ص٢٥٣، ٢٥٤، رقم ٧٠٤.
٢١. حميدة بنت معاوية بن صالح	الأندلس		ج٤، ص٢٣٩، رقم٦٦٤.
٢٢. حمزة بنت زياد العوفية	وادي آشى	أديبة شاعرة	ج٤، ص٢٦١، رقم٧٢٦.
٢٣. حفصة بنت الحجاج الركوني	غرناطة	أديبة شاعرة	ج٤، ص٢٦٠، ٢٦١، رقم ٧٢٥.
٢٤. حمدونة بنت زرياب			ج٤، ص٢٤٢، رقم٦٧٢.

- **جدول رقم: ٣٦ * تراجم العالمات من خلال" "التكملة لكتاب الصلة" لابن الآبّار.(تابع)**

٢٥. حفصة بنت حمدون	وادي الحجارة	أديبة شاعرة	ج٤، ص٢٤٨، رقم٦٩٢.
٢٦. خولة الفهرية بنت علي بن تميم	باجة	صاحبة بيان	ج٤، ص٢٤٨، رقم٦٩١.
٢٧. رقية بنت الوزير تمام بن عامر	قرطبة	كاتبة	ج٤، ص٢٤٥، رقم٦٧٩.
٢٨. رشيدة	الأندلس	الواعظة	ج٤، ص٢٥٩، رقم٧١٩.
٢٩. زُمُرُّد (هـ ٦٣٦ هـ)		الكاتبة	ج٤، ص٢٤٢، رقم٦٨٣.
٣٠. زينب بنت أبي عمر النميري	شرق الأندلس	صالحة	ج٤، ص٢٥٣، رقم٧٠٣.
٣١. زينب بنت ابراهيم بن تيفلويت	فاس	شاعرة	ج٤، ص٢٥٥، ٢٥٦، رقم ٧١٠.
٣٢. زينب بنت محمد بن عبد الرحمان الزهري (ت٦٣٥هـ /١٢٤٧م)	بلنسية	صالحة	ج٤، ص٢٦٤، رقم٧٣٤.
٣٣. زينب بنت الخليفة أبي يعقوب	الأندلس	عالمة (علم الكلام)	ج٤، ص٢٦٢، رقم٧٢٩.
٣٤. زينب أبو حسان بن عباد بن سرحان المعافري(٥٨٠هـ/١١٨٤م)	شاطبة	ديّنة	ج٤، ص٢٦٠، رقم٧٢٣.
٣٥. سيدة بنت عبد الغني بن علي العبدري(٦٤٧هـ/١٢٤٩م)	غرناطة	معلمة لها" إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي	ج٤، ص٢٦٥، رقم٧٣٧.

- جدول رقم: ٣٦ * تراجم العالمات من خلال" "التكملة لكتاب الصلة" لابن الآبّار(تابع)

٣٦. الشِّفاء زوجة الأمير عبد الرحمان بن الحكم	قرطبة	ينسب المسجد "الشفاء" لها في قرطبة	ج٤، ص٢٤٠، رقم٦٦٧.
٣٧. شعاع	قرطبة	ينسب المسجد لها بربض الرصافة في قرطبة	ج٤، ص٢٤٨، رقم٦٨٩.
٣٨. صواب الحاجة	الأندلس	الصالحة	ج٤، ص٢٥٤، رقم٧٠٧.
٣٩. طروب	قرطبة	ينسب المسجد لها بصدر الربض الغربي بقرطبة	ج٤، ص٢٥٤، رقم٧٠٧.
٤٠. عزيزة بنت القاضي أبي محمد بن حيان، كانت حية (٥٥١هـ/١١٥٦م).	قرطبة	خطاطة	ج٤، ص٢٥٧، رقم٧١٦.
٤١. عبدة بنت بشر بن حبيب المروانية		شاعرة	ص٢٤٣، رقم٦٧٦.
٤٢. عائشة بنت إبراهيم بن موسى	مصر	أديبة	ج٤، ص٢٤٧، رقم٦٨٧.
٤٣. عُلَية بنت زرياب			ج٤، ص٢٤٢، رقم٦٧٣.
٤٤. عتيقة	بلنسية	عالمة في التفسير والفقه	ج٤، ص٢٥١، رقم٧٠٠.
٤٥. غاية المنى	المرية	شاعرة	ج٤،ص٢٥٢،٢٥٣،رقم ٧٠٢.
٤٦. عائشة الأندلسية	الأندلس	حاجة	ج٤، ص٢٤٨، رقم٦٩٠.
٤٧. عابدة المدنية	الأندلس	عالمة	ج٤، ص٢٤٠، رقم٦٦٥.
٤٨. فضل المدينة	الأندلس	مغنية	ج٤، ص٢٤١، رقم٦٦٨.

- جدول رقم: ٣٦ * تراجم العالمات من خلال" "التكملة لكتاب الصلة" لابن الآبّار(تابع)

٤٩. فخر	قرطبة	لها مسجد بقرطبة	ج٤، ص٢٤٢، رقم٦٧١.
٥٠. فاطمة تكنى بأم الفتح (ت ٦١٣هـ /١٢١٣م)	قرطبة	عالمة	ج٤، ص٢٦٣، رقم٧٣١.
٥١. فتحونة	مرسية	لها تأليف " قيان الأندلس "	ج٤، ص٢٥٤، رقم٧٠٦.
٥٣. فاطمة بنت عبد الرحمان الوشقي المقرئ	دانية	عالمة	ج٤، ص٢٥٦، رقم٧١٢.
٥٤. فاطمة الأرجية	غرناطية	أديبة	ج٤، ص٢٥٩، رقم٧٢١.
٥٥. فاطمة بنت أبي علي ... الصدفي (ت ٥٩٢هـ /١١٩٥م).	مرسية	حافظة القرآن خطاطة	ج٤، ص٢٦٢، رقم٧٢٨.
٥٦. فاطمة بنت سعد ... البلنسي (ت ٦٠٠هـ /١٢٠٣م).	الأندلس	عالمة	ج٤، ص٢٦٢، ٢٦٣، رقم٧٣٠.
٥٧. قلم جارية الأمير عبد الرحمان	أندلسية	أديبة	ج٤، ص٢٤١، رقم٦٦٩.
٥٨. كتمان جارية	قرطبة	الكاتبة	ج٤، ص٢٤٧، رقم٦٨٦.
٥٩. قمر البغدادية	إشبيلية	أديبة ـ شاعرة	ج٤، ص٢٤٦،٢٤٥،رقم٦٨١.
٦٠. لبنى (ت٣٧٦هـ/ ٩٩٦م)		خطاطة كاتبة ـ الخليفة الحكم المستنصر بالله ـ الموقعة عنه العادلة	ج٤، ص٢٤٧، رقم٦٧٥.

- جدول رقم: ٣٦ * تراجم العالمات من خلال "التكملة لكتاب الصلة" لابن الآبّار(تابع)

٦١. مصابيح جارية	إشبيلية	مغنية	ج٤، ص٢٤٣ ،٢٤٤، رقم٦٧٧.
٦٢. مرجان أم الحكم المستنصر بالله	إشبيلية	أديبة	ج٤، ص ٢٤٦، ٢٤٧، رقم٦٨٤.
٦٣. متعة جارية زرياب		مغنية شاعرة	ج٤، ص٢٤٢، رقم٦٧٤.
٦٤. مسعدة		صالحة	ج٤، ص٢٥٩، ٢٦٠، رقم٧٢٢.
٦٥. مهجة بنت ابن عبد الرزاق	غرناطة	أديبة شاعرة	ج٤، ص٢٦٢، رقم٧٢٧.
٦٦. مهجة بنت الخطيب أبي محمد (ت ٦١٧هـ /١٢٢٠م)	قرطبة	أديبة شاعرة	ج٤، ص٢٦٤، رقم٧٣٣.
٦٧. نظام		كاتبة الإنشاء	ج٤، ص٢٤٩، رقم٦٩٠.
٦٨. نزهة الوهابية جارية	الأندلس	أديبة	ج٤، ص٢٥٠، رقم٦٩٨.
٦٩. نزهة بنت القليعي	غرناطة	أديبة ـ شاعرة	ج٤، ص٢٥٨، ؤقم٧١٨.
٧٠. هند جارية		أديبة شاعرة	ج٤، ص٢٥٩، رقم٧٢٠.
٧١. هند بنت عبد الرحمان الناصر		أديبة	ج٤، ص٢٤٩، رقم٦٩٢.
٧٢. ورقاء (الحاجة) بنت ينتان	طليطلة	أديبة شاعرة	ج٤، ص ٢٥٦، رقم٧١٤.

جدول رقم: ٣٧ * تراجم العالمات من خلال" المُقتضَب من كتاب تُحفة القادم " لابن الآبار.

الاسم	البلد	الأعمال	المصدر
١. حمدة بنت زياد بن العوفي	وادي آشي	شاعرة	ص٢١٥.
٢. حفصة الركونية	غرناطة	أديبة شاعرة	ص٢١٩.
. نزهون بنت القليعي		أديبة شاعرة	ص ص٢١٦،٢١٧.
٤. هند جارية		شاعرة	ص٢١٨..

- جدول رقم: ٣٨ * تراجم العالمات من خلال" "الصلة " لابن بشكوال:

الإسم	البلد	الأعمال	ملاحظات	المصدر
. أمة الرحمان (ت ٤٤٠ هـ /١٠٤٨م)		عابدة	توفيت بكرا	ج٣، ص٩٩٤، رقم١٥٤٧.
٢. الغسانية		أديبة شاعرة		ج٣، ص٩٩٥، رقم١٥٥٠.
٣. خديجة بنت جعفر بن نصير التميمي		عالمة		ج٣، ص٩٩٣، رقم١٥٤٤.
٤. خديجة بنت أبي محمد بن سعيد بن الشنتجالي	الأندلس	عالمة		ج٣، ص٩٩٦، رقم١٥٥١.
٥. راضية مولاة الإمام عبد الرحمان بن محمد (ت ٤٢٣هـ/١٠٣١م)	الأندلس	أديبة	لها مؤلفات	ج٣، ص٩٩٤، رقم١٥٤٦.
٦. صفية بنت عبد الله الريي (ت٤١٧هـ/١٠٢٦م)		أديبة شاعرة	حسنة الخط	ج٣، ص٩٩٤، رقم١٥٤٥.
٧. طونة تكنى حبيبة (ت ٥٠٦هـ/ ١١١٢م)	الأندلس	مقرئة	حسنة الخط	ج٣،ص٩٩٦، ٩٩٧، رقم ١٥٥٣.
٨. عائشة بنت أحمد بن محمد (ت٤٠٠ هـ/١٠٠٩م)	قرطبة	تكتب المصاحف	ماتت عذراء لم تنكح قط	ج٣، ص٩٩٢، ٩٩٣، رقم١٥٤٣.
٩. غالبة الأندلسية	الأندلس	معلمة		ج٣، ص٩٩١، رقم١٥٣٨.
١٠. فاطمة بنت محمد اللّخمي	أشبيلية	عالمة		ج٣، ص٩٩١، رقم١٥٤٠.

- جدول رقم: ٣٨ * تراجم العالمات من خلال" "الصلة " لابن بشكوال: (تابع)

١١. فاطمة بنت يحي المغامي (ت ٣١٩ هـ/٩٢١م)	قرطبة	عالمة		ج٣، ص٩٩١، رقم١٥٣٩.
١٢. فاطمة (ت ٤٢٧ هـ/١٠٣٥م).		كاتبة	ماتت بكرا	ج٣، ص٩٩٤، رقم١٥٤٨.
١٣. لبنى (ت ٣٧٤ هـ/٩٨٤م).		كاتبة		ج٣، ص٩٩٢، رقم١٥٤١.
١٤. مزنة (٣٥٨ هـ/٩٦٨م).		كاتبة	كاتبة الخليفة الناصر لدين الله	ج٣، ص٩٩٢، رقم١٥٤٢.
١٥. مريم بنت أبي يعقوب الفيصولي الشلبي	أشبيلية	أديبة شاعرة	حاجة	ج٣، ص٩٩٥، رقم١٥٤٩.
١٦. ولادة بنت المستكني بالله (٤٨٠ هـ/١٠٨٧م))		أديبة شاعرة		ج٣، ص٩٩٦، رقم١٥٥٢.

ـ جدول رقم: ٣٩ * تراجم العالمات من خلال" صلة الصلة " لابن الزبير الغرناطي.

الإسم	البلد	الوظيفة	الفترة	المصدر
١. حفصة بنت ابن عروس	غرناطة	عالمة		ص٥٦٧، رقم١١٤.
٢. عزيزة	مرسية	عالمة	كانت حية سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م	ص٥٦٥، رقم١١١.
٣. ليلى	مرسية		كانت حية سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م	ص٥٦٦، رقم١١٢.
٤. حفصة بنت القاضي	غرناطة	قارئة كاتبة		ص٥٦٦، رقم١١٣.

ـ جدول رقم: ٤٠ * تراجم العالمات من خلال" بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس " لابن عميرة الضبي.

الإسم	البلد	الأعمال	ملاحظات	المصدر
ألبسِية	بليس	شاعرة	+	ص٥٢٩.
ريحانة	المرية	مقرئة	+	ص٥٣١.
صفية		خطاطة	توفيت بكر سنة (٢١٧هـ/ ٨٢٥م).	ص ص٥٢٧، ٥٢٨.
الغسانية	بجانة	شاعرة	تمدح الملوك	ص ٥٢٩.
غاليمة	الأندلس	راوية	+	ص٥٣١.
فاطمة	أشبيلية	عالمة	+	ص٥٣١.
فاطمة	قرطبة	عالمة فقيهة	توفيت سنة (ت٣١٩ هـ/٩٢٨م)	ص٥٣١.
لبنى		كاتبة	توفيت(٣٧٢هـ/٩٨٢م)	ص٥٣٠.
مريم		أديبة شاعرة	الحاجة	ص٥٢٨.
مزنة		كاتبة	(ت ٣٥٨هـ/٩٦٨م).	ص٥٣١.
نزهون	غرناطة	شاعرة	+	ص٥٣١.
الوادي آشية	أشبيلية	شاعرة	+	ص٥٣٠.
ولادة	غرناطة	شاعرة	+	ص٥٢٩

ملحق رقم: ٤١ * أسماء السفيرات في المغرب الإسلامي .

الاسم	اسم السلطان المغربي	اسم السلطان المشرقي	الوجهة	الزمن	المصدر
العنبر - الوالدة -	أبو الحسن المريني	الملك الناصر	القاهرة	٧٣٦هـ / ١٣٣٥م	ابن خلدون: **العبر**، ج٦، ص ٣٢١.
مريم - المحظية -	أبو الحسن المريني	الملك الناصر	لقاهرة	٧٣٨هـ / ١٣٣٧م	نفسه، ج٧، ص٢٦٥.
مريم - الأخت -	أبو الحسن المريني	الملك الصالح - أبي الفداء -	لقاهرة	٧٤٥هـ / ١٣٤٤م	الناصري: **الإستقصا**، ج٣، ص ١٤٧.

جـدول رقم : ٤٢ * مصنفات النســـاء المغربيـــات.

رقـم ترتيـب	**اسم المرأة**	**تـاريخ وفـاتهـا**	**تأليفها**	**المصـدر**
٠١	**أم هـاني**		ـ مصنف في القبـور ـ الأدعيـة	ابـن عبـد الملـك المراكشـي:**الـذيل والتكملـة**، ص ص ٢٧٧، ٢٧٨.
٠٢	**أم العلاء** بنت عبـد الغنـي العبـدري الغرناطية	647 هـ/ ١٢٤٩م	ـ إحياء علوم الديـن	نفسـه ، ص 487
٠٣	**فتحونـة** بنـت جعفر بن جعفر مارسيه	×	ـ مصنف في قيـان الأندلس	نفسـه ، ص ٤٩١
٠٤	**عائشـة** بنـت أحمـد بـن الحسـن المديونـي	×	ـ مجموع في أدعيـة	ابن مريم: **البستان**، ص 212

جدول رقم : ٤٣ * أسمــاء المتصوفات في المغرب حسب " التشوف " لابن الزيات .

المتصوفــــات	العصــــر	البلـــــــــد	الملاحظـــــات	المصـــــــادر
منية بنت ميمون الدكالي .	الموحدي	دكـالة (المغرب)	بلغت درجة الولاية	**التشوف**، ص ٣٨٨
أم عصفور تيعزات بنت حسين الهنتيقي	الموحدي	رباط ملولاسن (المغرب)	بلغت درجة الولاية	نفســه ، ص ٣٨٨
ملوكة أخت عيسى بن علي	الموحدي	تادلـة (المغرب)	صـــالحـــة	نفســه ، ص ٣٨٨
أم محمد تين السلامة	الموحدي	تايد فالت (دكالة)	تختـرق الهـواء	نفســه ، ص ٣٨٧
فاطمة بنت عبد الرحيم الأندلسية	الموحدي	قصر متامة (المغرب)	يتربك الناس بزيارتها	نفســه ، ص ص ٣٣١، ٣٣٢.

جدول رقم : ٤٤ * بعض شهيرات المغرب الإسلامي ومآثرهن.

اسم المرأة	مكانها	عصرها	مآثرها	المصدر
الأميرة عطف	تونس	ق7هـ/١٣م	بناء جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية 659هـ/1260م	ابن الشماع:**الأدلة البيّنة**،ص ٦٣
أم يحي مريم	المنة/صفاقس	ق7هـ/١٣م	زاهدة متأثرة بالشيخ الدهماني	ابن ناجي: **معالم الإيمان، ج**٣، ص٢٢١.
عائشة المنوبية	تونس	ق7هـ/١٣م	زاهدة	مجهول : **مناقب السيدة عائشة النوبية**،مخ، و ٤ أ
زينب التجانية	تونس	ق7هـ/١٣م	شاعرة أديبة	نقلاً،حسن حسني عبد الوهاب: **شهيرات التونسيات** ، ص ٦٧
عائشة بنت عمارة بن يحي الشريف	بجاية	ق7هـ/١٣م	شاعرة أديبة	الغبريني:**عنوان الدراية**،ص 47
الأميرة فاطمة	تونس	ق٨ / ١٣	٧٤٢هـ/١٣٤١م	الزركشي:**تاريخ الدولتين**، ص71
أميرة **موحدية** زوجة المنصور	مراكش	ق٦هـ/١٢م	صنعت ثلاث تفاحات ذهبية على رأس الصومعة بجامع مراكش	الوزان: **وصف إفريقيا،** ج١، ص١٣١.
الأميرة **آمنة** بنت السلطان أحمد بن أبي سالم.	فاس الجديدة	ق٦هـ/ ١٢م	أنشأت بستان بالقصر الملكي يدعى - عرصة لالامينة -	الناصري: **الاستقصا،** ج٤، ص٨٩.

جدول رقم: ٤٥ * المساجد التي تحمل أسماء النساء في المغرب الاسلامي ..

اسم المسجد	المكان	المصدر
غزلان السيدة	قرطبة	ابن حيان : **الصلة** ، ج1، ص 361
طرفة	المدينة	ابن حزم: **جمهور أنساب العرب**، ص96
الزهراء	قرطبة	ابن عذاري:م، س، ج3، ص 95
إعتزاز	قرطبة	ابن الأبار :**التكملة** ، ص 61
أم معاوية	قرطبة	نفسه، ص 577
أم هشام	قرطبة	نفسه ،ص 251
أم الحكم المستنصر	قرطبة	نفسه ، ص ١٨٩
فاطمة الفهرية	فاس	التازي عبد الهادي: **جامع القرويين**،ج١،ص١٦،١٥.
لالة غريبة	تلمسان	Brosselard (CH) :« Mosquée d'él- Korran», **R.A**, pp164,167.
لالة رؤية	تلمسان	Brosselard (CH) : « Mosquée d'Er-rouya, », **R.A,** pp 161, 162.

رابعا : فهرس أعلام النساء .

(أ)

(د)

(ر)

(ز)

(غ)

(ف)

(ل)

(م)

خامسًا: فهرس أعلام الرجال

(أ)

(خـ)

سادسًا : فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

(ب)

(ت)



الأكǨ المميح

Ǽə

ǼمȆwâl ƙرǛال

ملحق الصور والاشكال

&

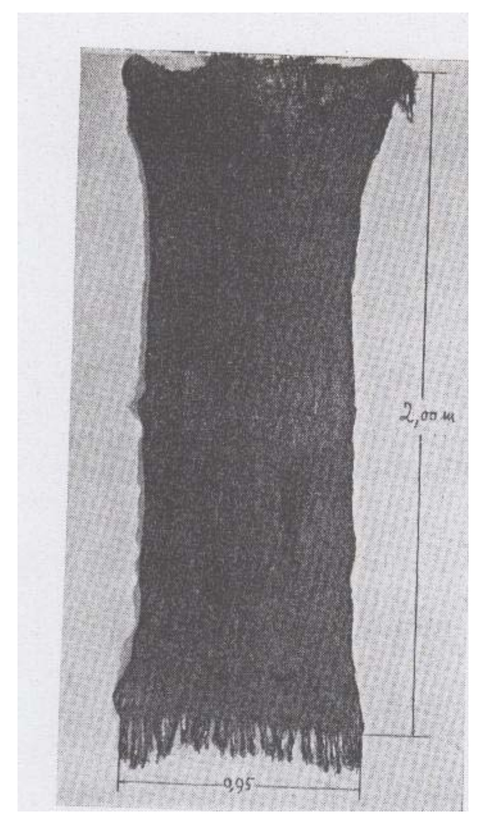


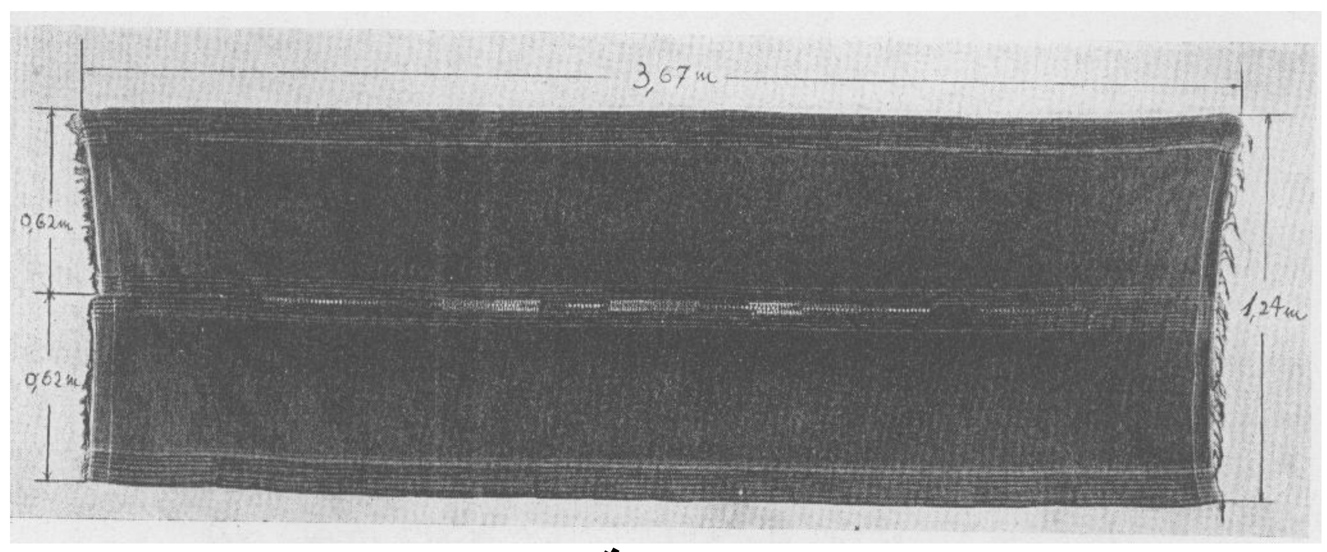


*** طبق الكسكسى**
انجاز الطالبة

اللباس

عصابة



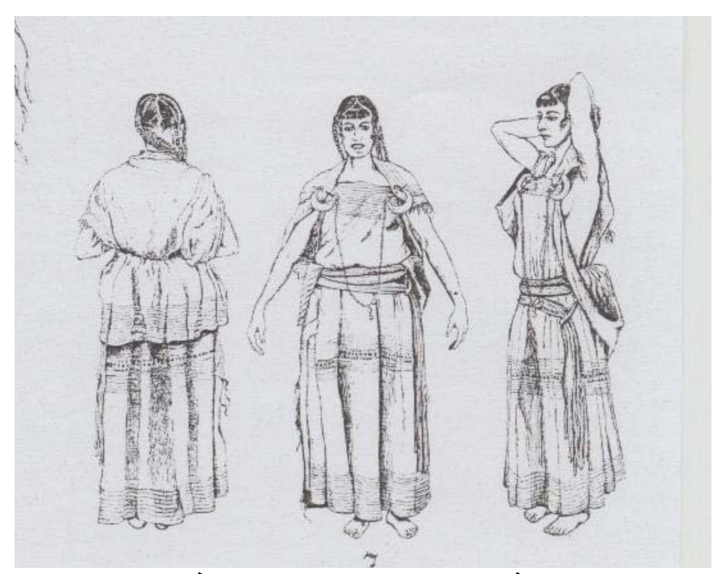


ملحفة

عن: Rackow (R) :Das Beduinenkodtum in tripolitanien, Berlin,
1943,Verlag Von Dietrich Reimer Andrews et steiner,pp31,3

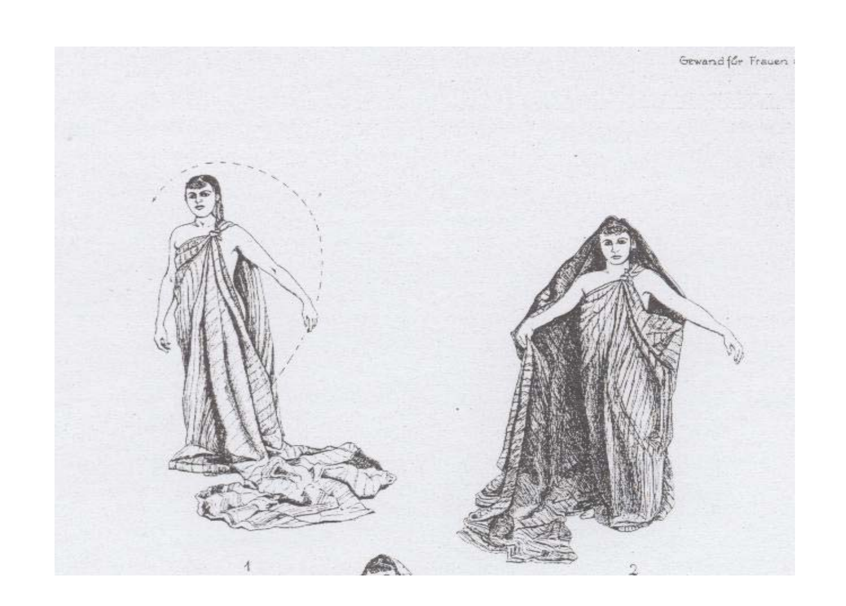






طريقة ارتداء الملحفة(١).

عن: Rackow (R): op -cit, P125







طريقة ارتداء الملحفة(٢).

عن: Rackow (R): op-cit; p32



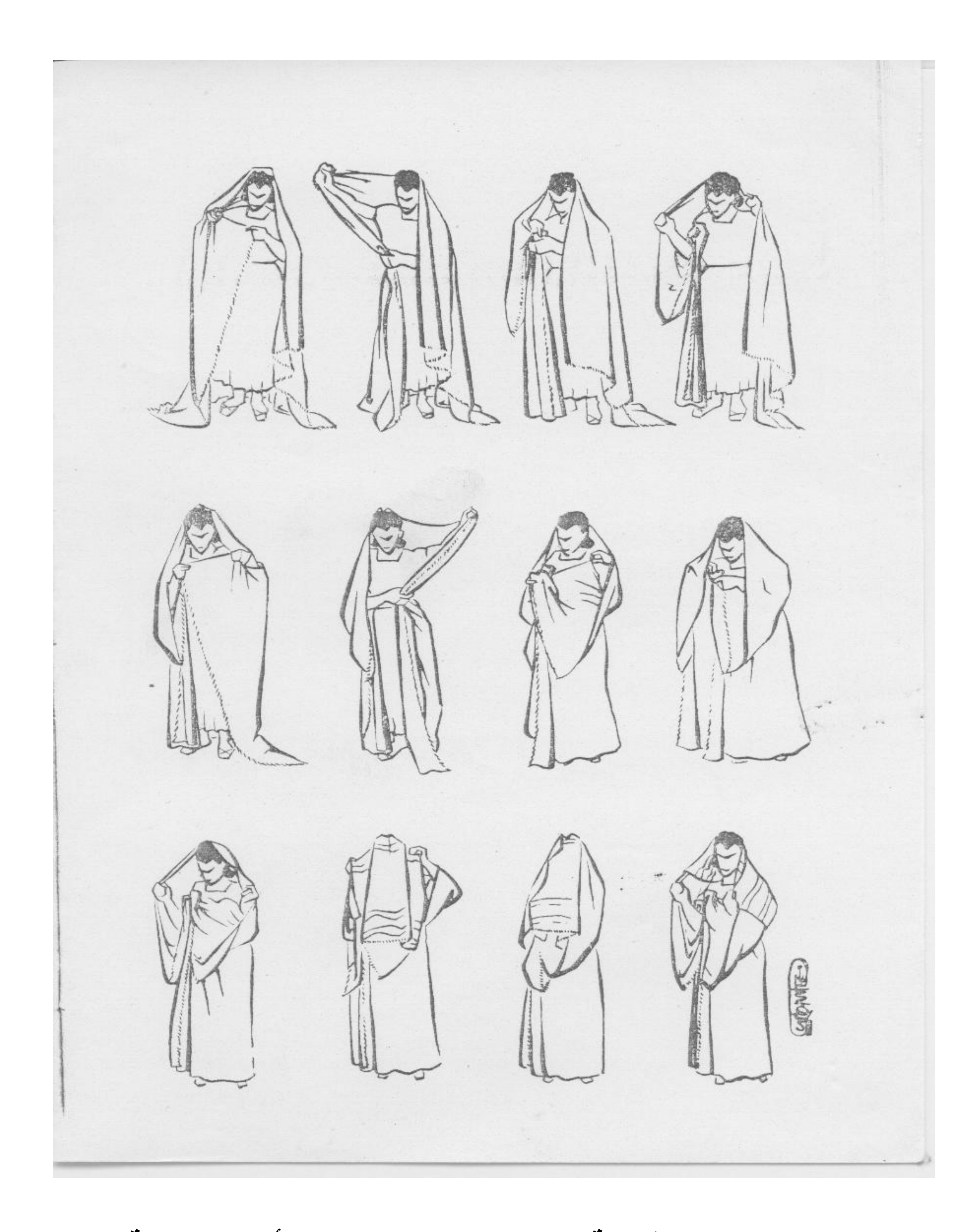
طريقة ارتداء الأزار عند المرأة الحضرية.

عن : Bessancenot Jean : Costumes du Maroc, Edi Sud La croisée des chemins, Casablanca, 2000, p153.



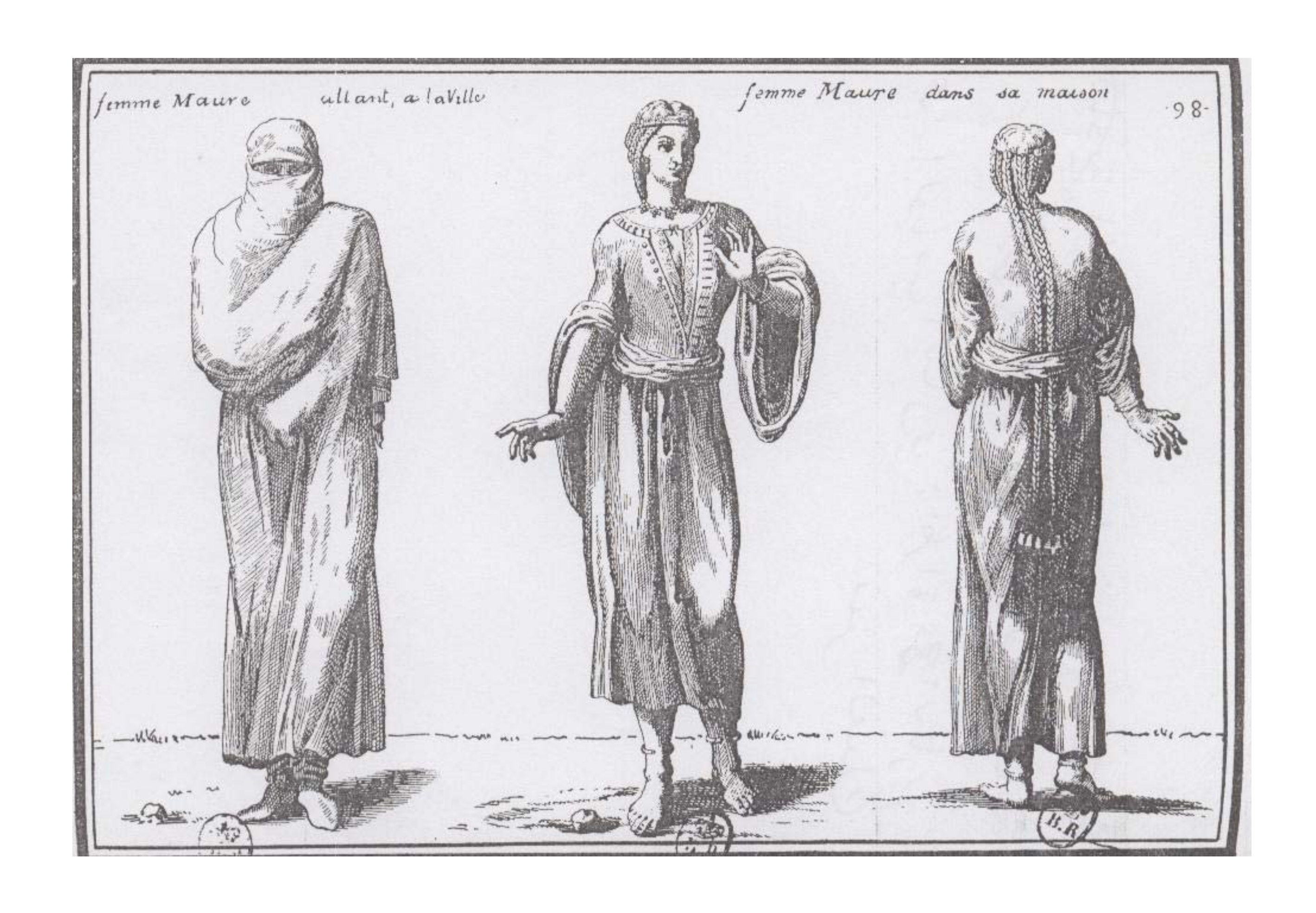
طريقة ارتداء الأزار أو الحيك عند المرأة البدوية.

عن : Bessancenot Jean : Op-cit, p155



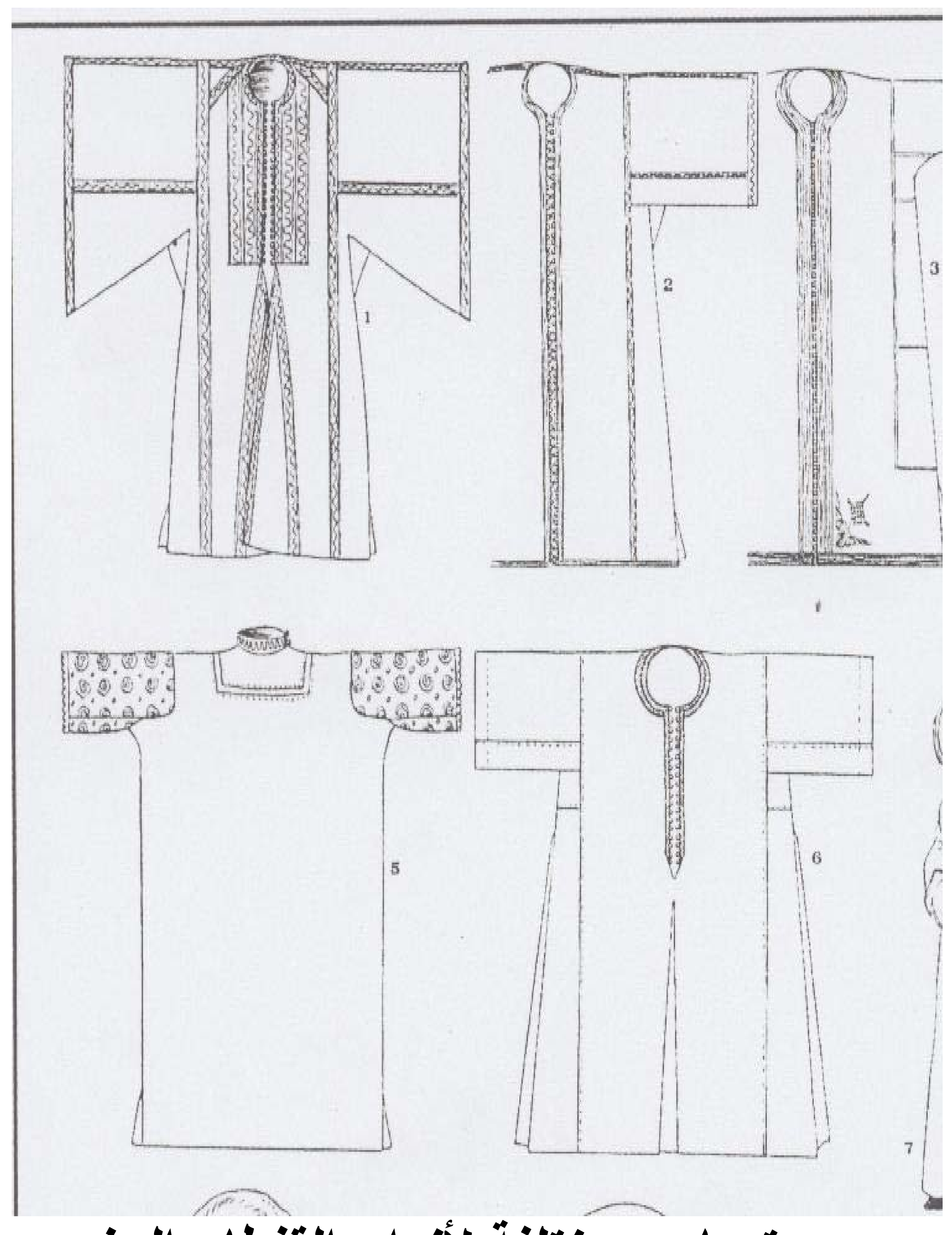
طريقة ارتداء الحيك عند المرأة الحضرية

عن Ginestous (L et P) : le vêtement féminin, usuel à Bizerte :
les Cahiers de Tunisie, 4éme tri, 1957, n°28.



لباس المرأة المغربية في بيتها، وفي خارج البيت

كما صورها سانت أولون Saint Olon
عبد الهادي التازي:المرأة في التاريخ الغرب الاسلامي، ص١٢٥.

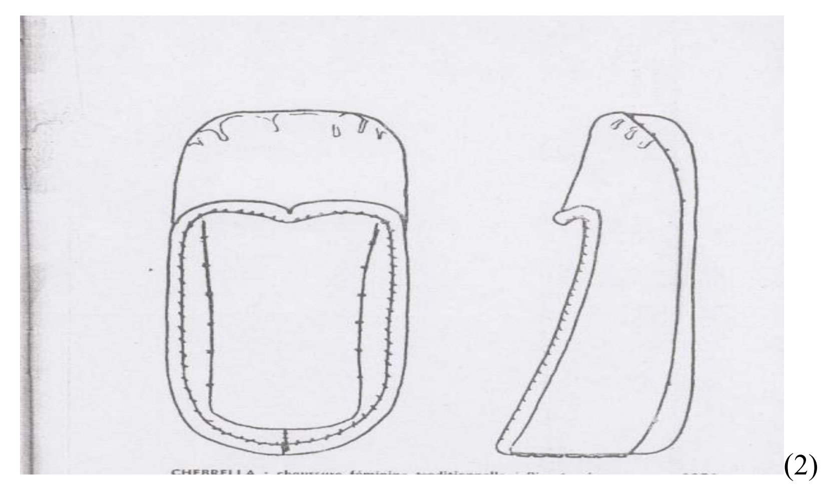


تصاميم مختلفة لأنواع القفطان المغربي.

عن : Bessancenot Jean : op-cit, p159



(1)


(2)

أنواع الأحذية عند المرأة في المغرب الاسلامي

عن:

(1) Bessancenot Jean : op-cit, p159.

(2) Ginestous (L et P) Op-cit, n°28, n° de P L xv.

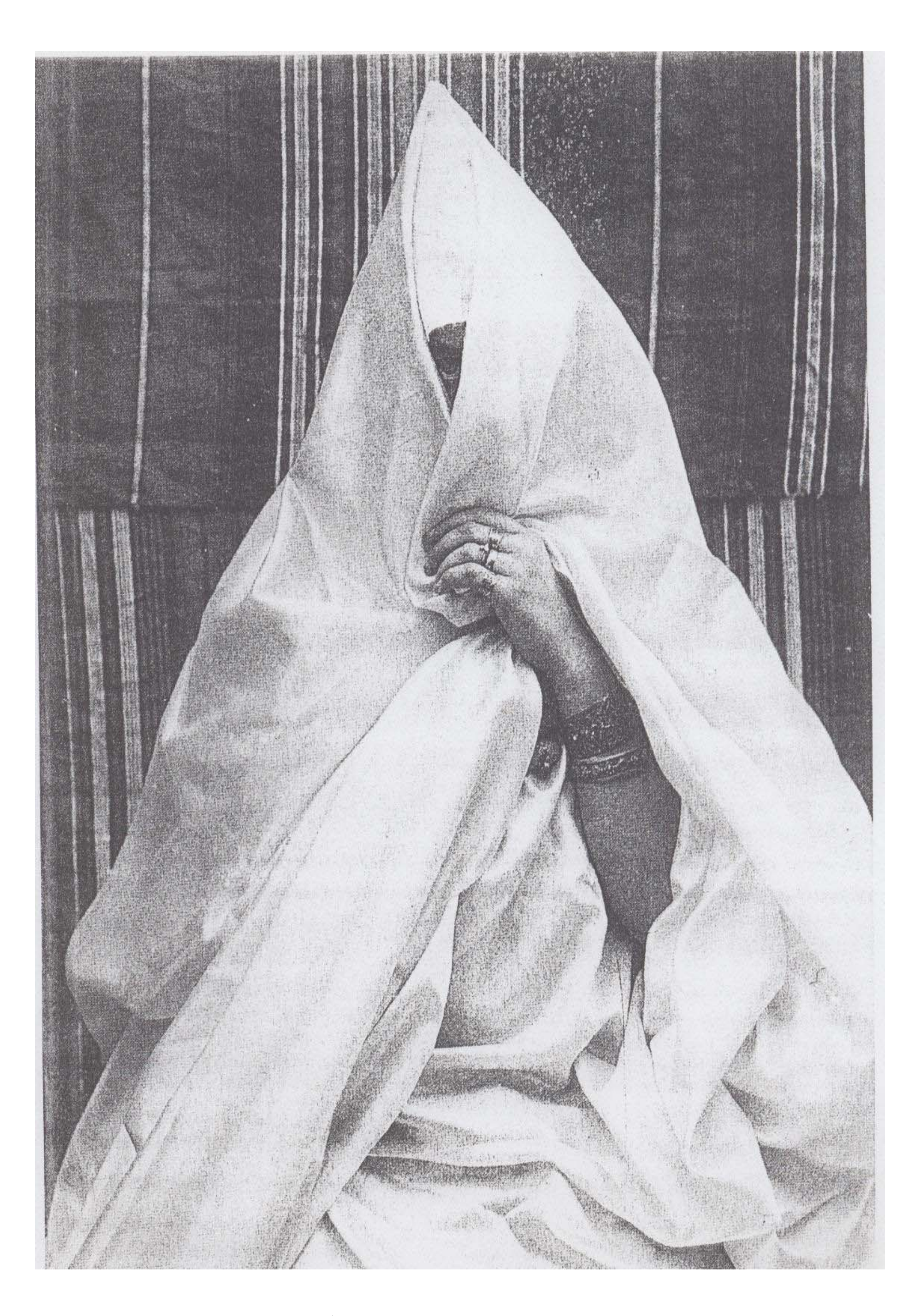




لباس المرأة في المغرب الاسلامي.

عن:

Gouzalez Valérie : Emaux d’Al-Andalus et du Maghreb, Edition 1994, Aix En Provence, p221.



صورة الحيك في الحاضر.
انجاز الطالبة

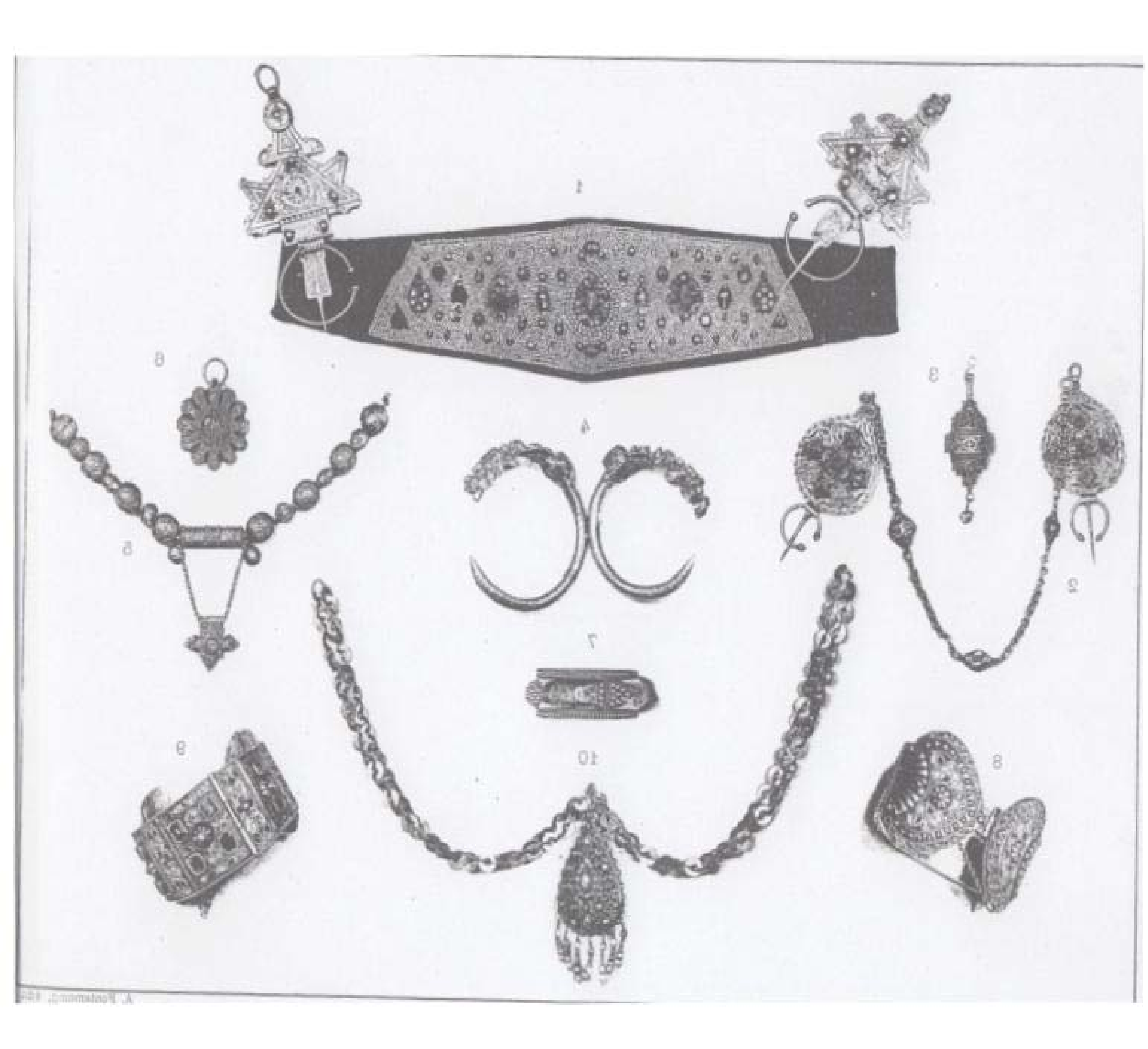

G. Viollon

صورة الملحفة في الحاضر.
انجاز الطالبة



صورة زينب النفزاوية
حسب تصور مارتان، تشخيص ١٩٢٩، الخزانة العامة، الرباط. ،
ينظر، المعلمة، ج٢، ص١٣٨

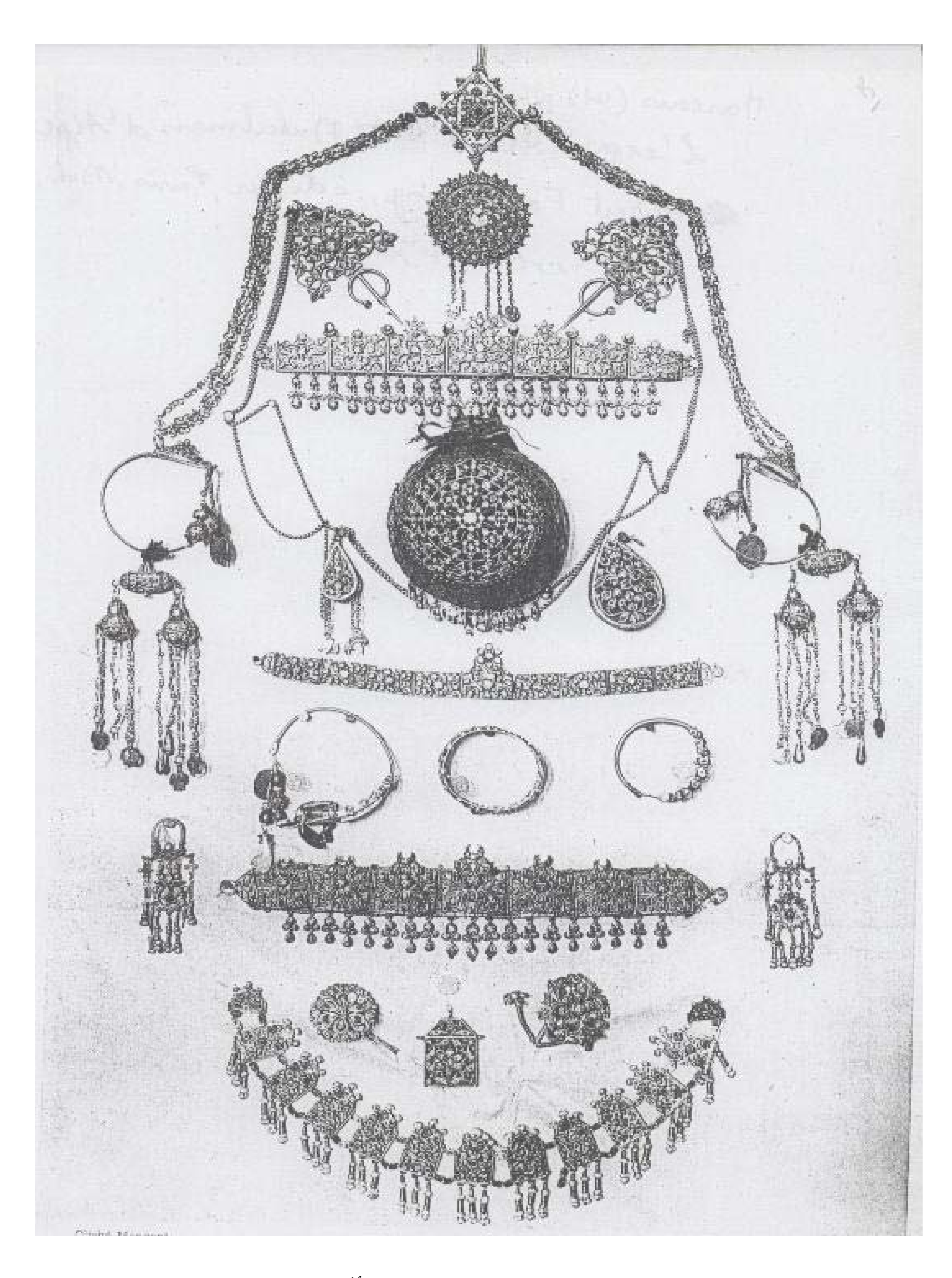
ǼʅƮJI



حلي المغرب الأدنى و المغرب الأوسط

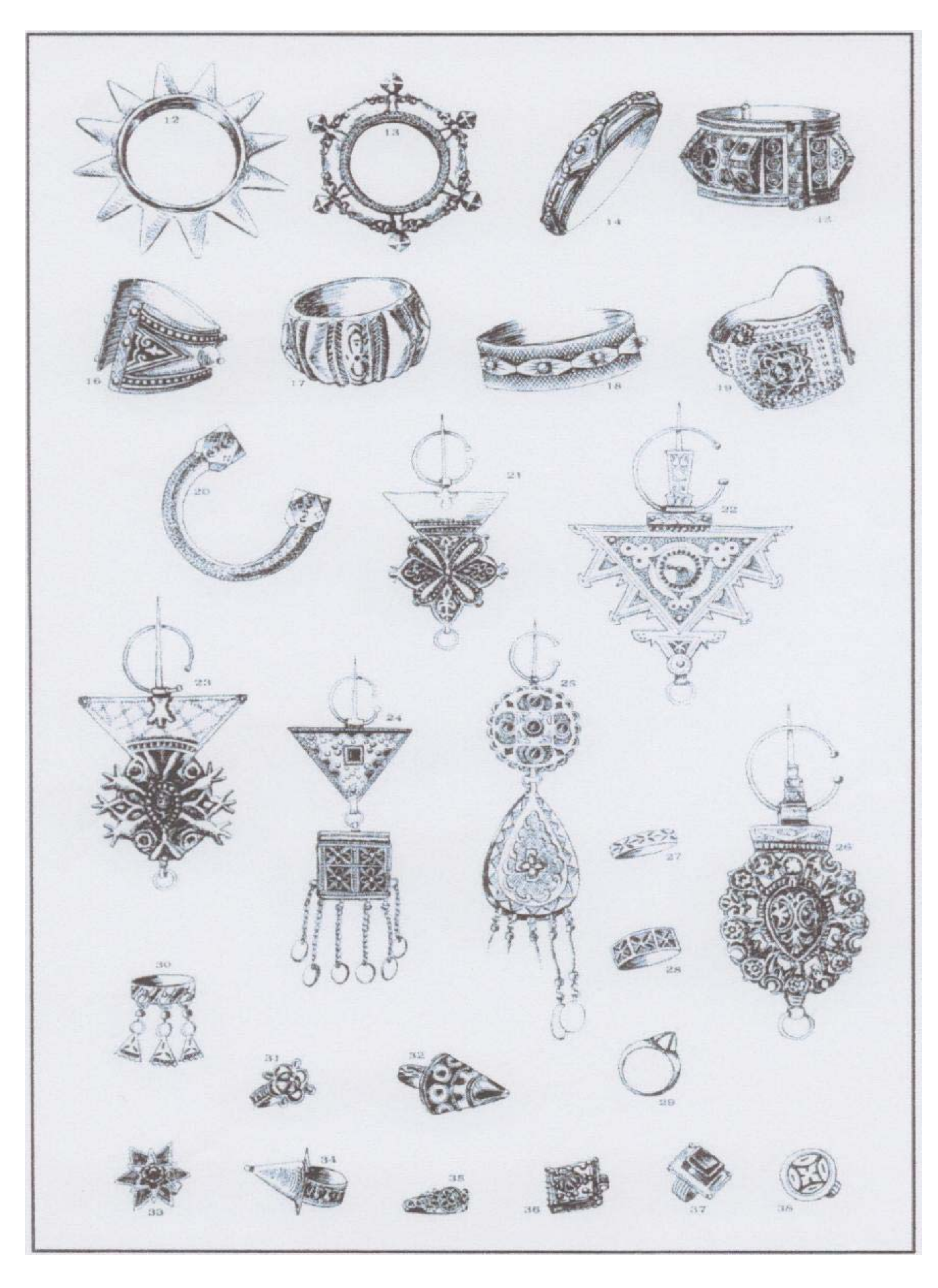
عن: Marçais (W) :L’exposition d’art Musulman, d’Alger

Albert Fontemoing, éditeur, Paris, 1906, p25.



حلي المغرب الأقصى

عن: **Marçais (w) : Op-cit, p69**



حلي المرأة الحضرية

عن : Bessancenot Jean : op-cit, p171



(تابع) حلي المرأة الحضرية

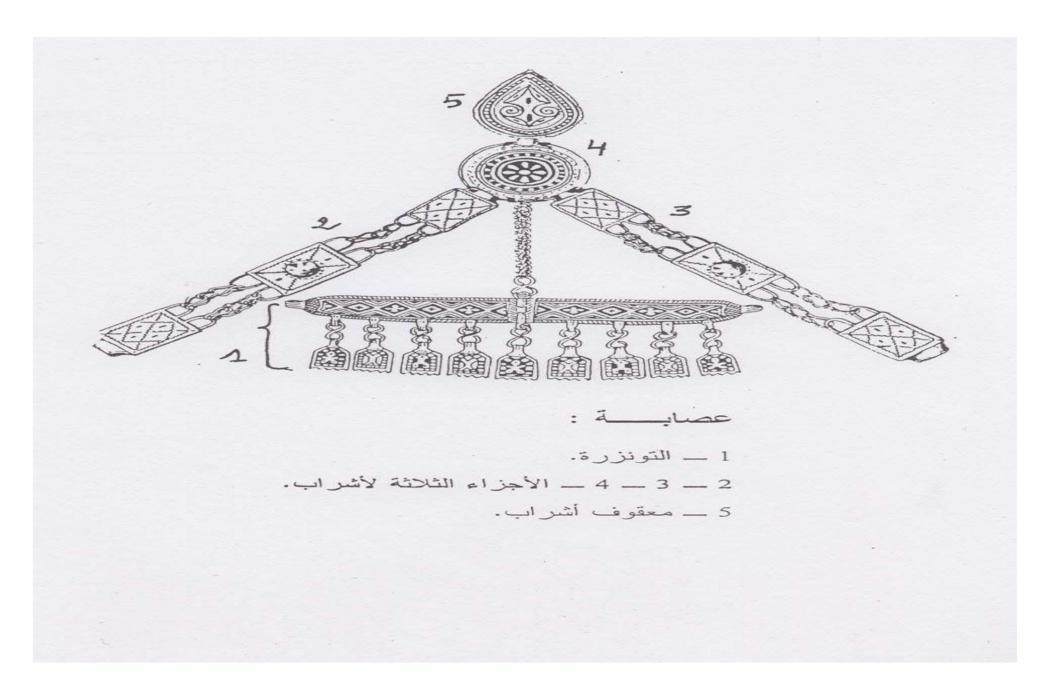
عن: Bessancenot Jean : op-cit, p167



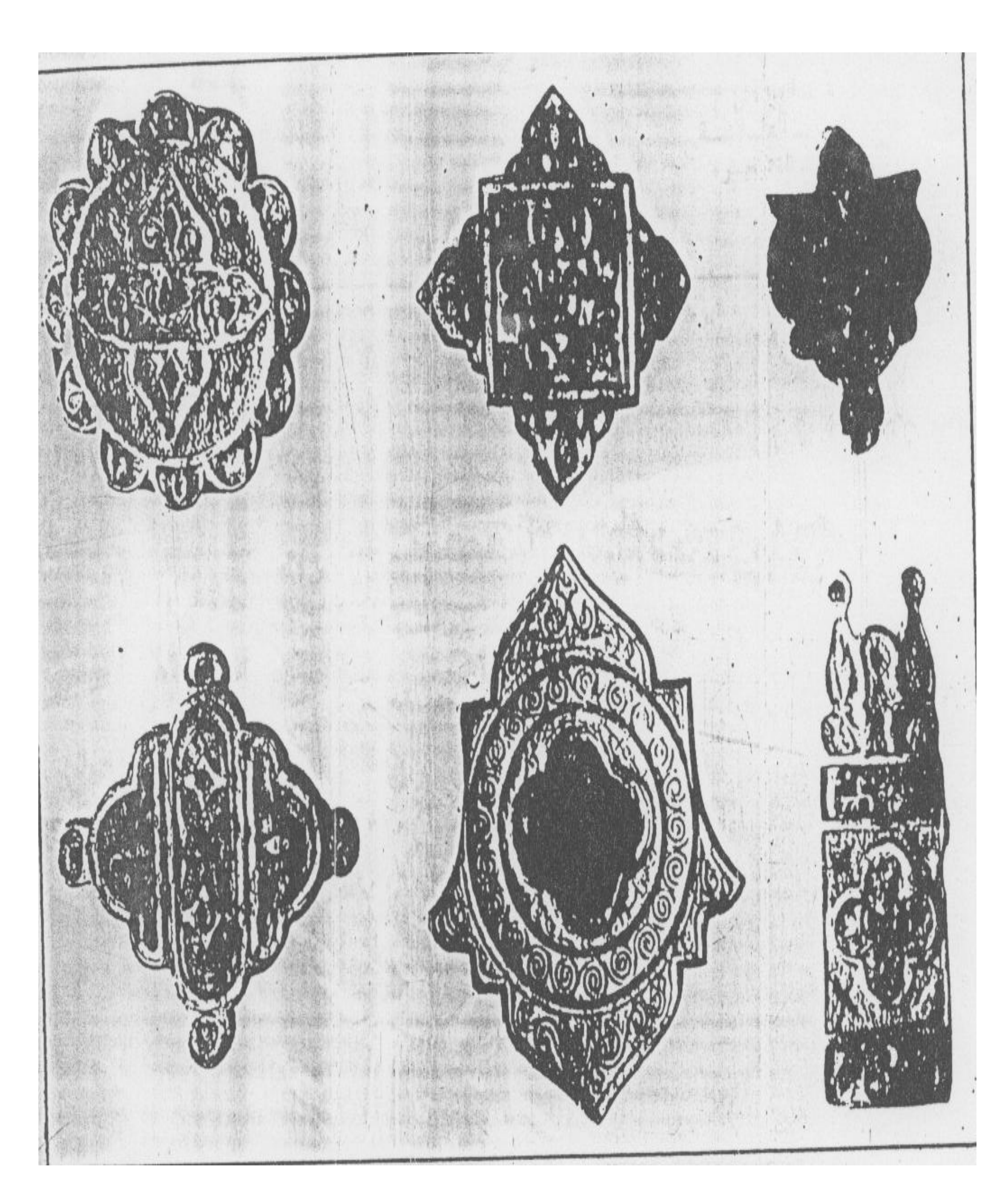
حلي المرأة البدوية

عن : Bessancenot Jean : op-cit, p16٩



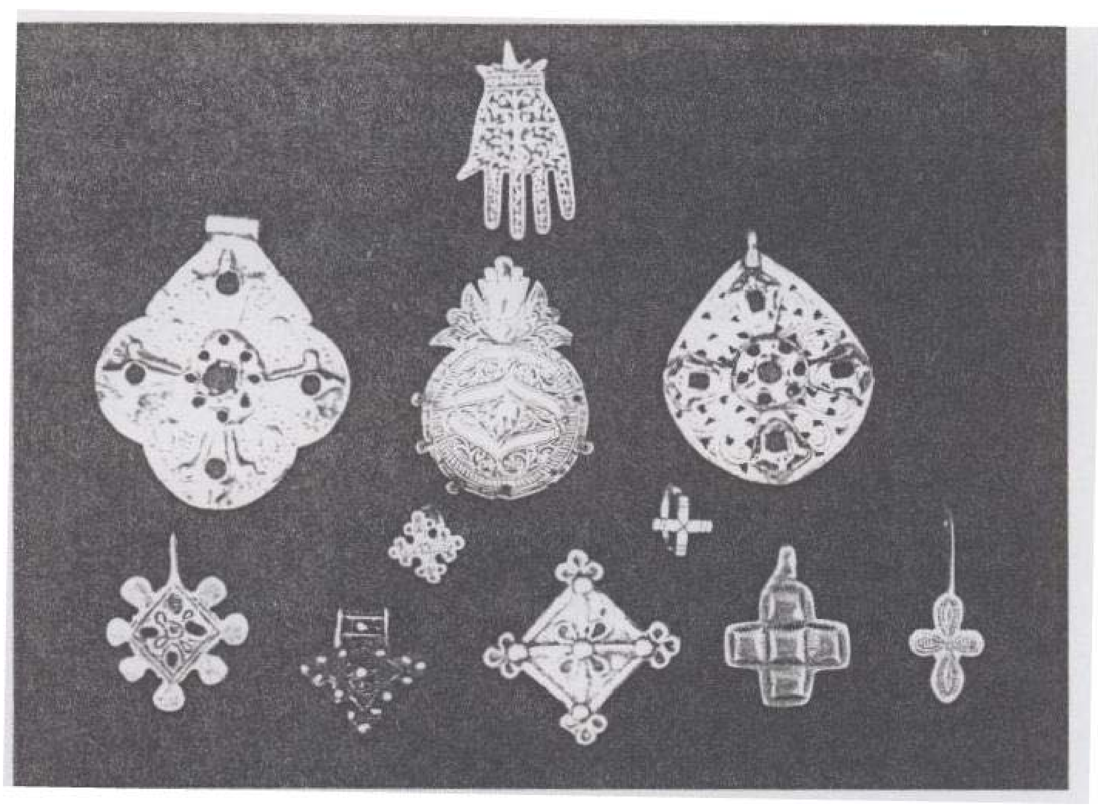


الخلخال المغربي والعصابة المغربية.
هسبريس١٩٢٩،ص٩٥.



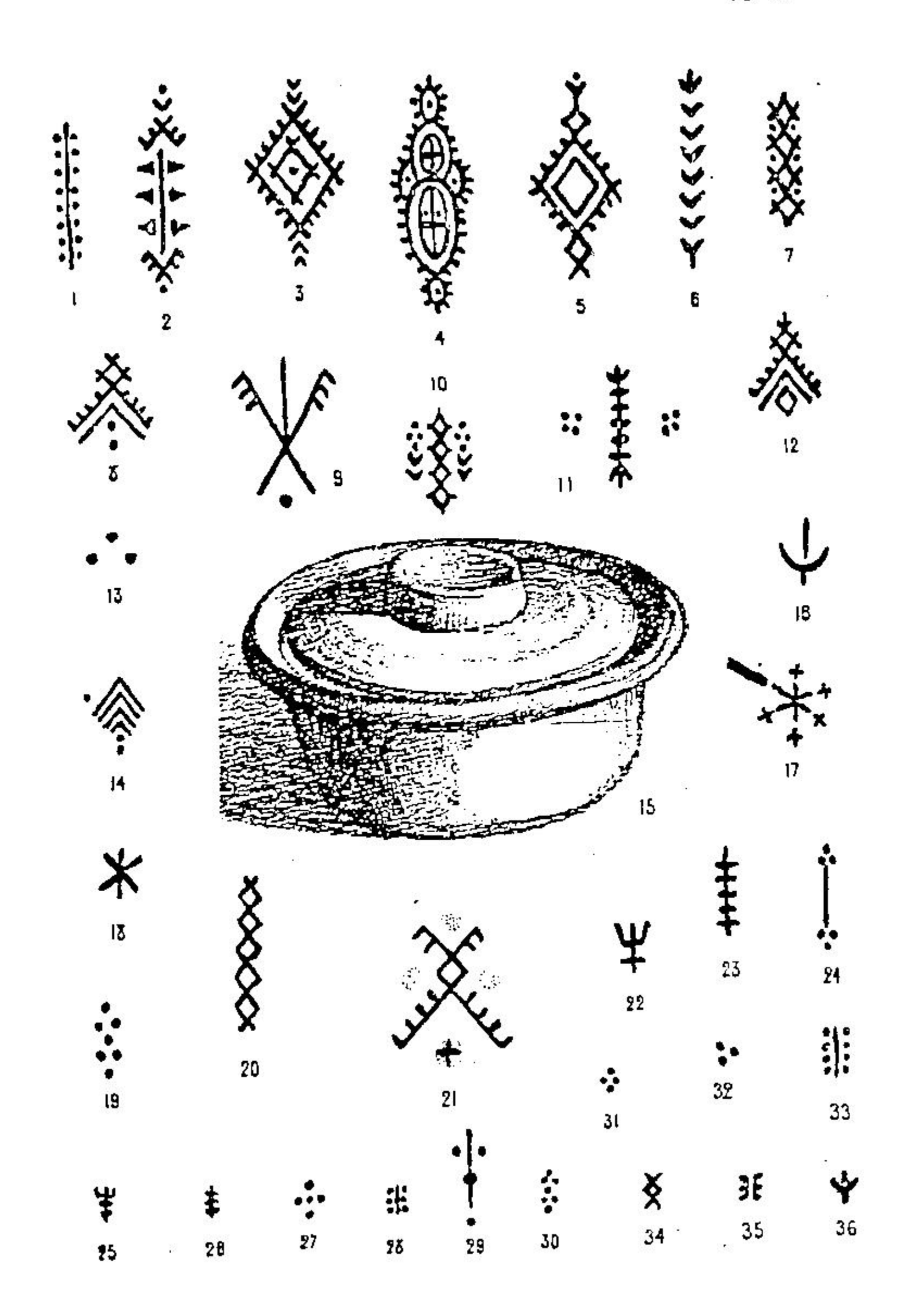
قطع برونزية إسلامية مدجنة ترجع إلى العهد النصري بالأندلس أواخر العصر الموحدي يحتفظ بها متحف بلنسية الاسبانية. **المعلمة، ج ٣، ص١٩٣.**





الخمسة والأشكال المنحدرة عنها.
المعلمة، ج٣، ص٢٢٣.

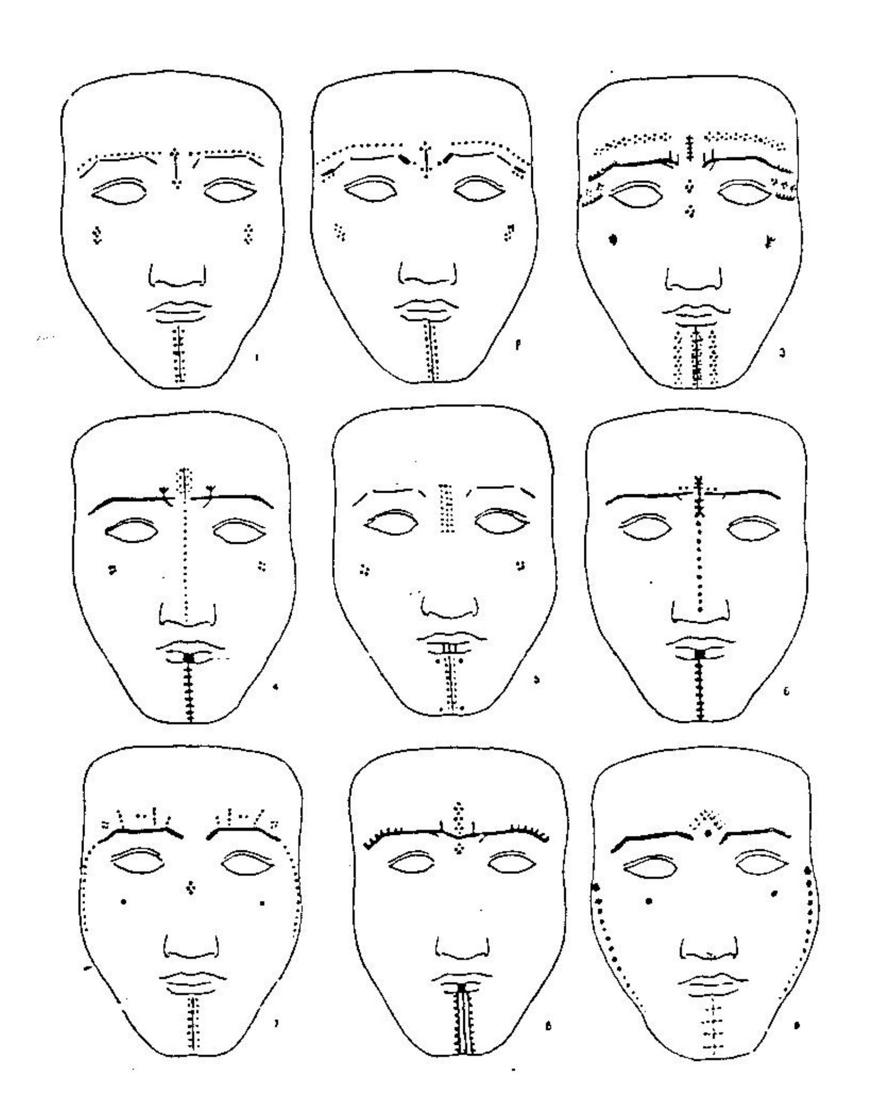
الهوة



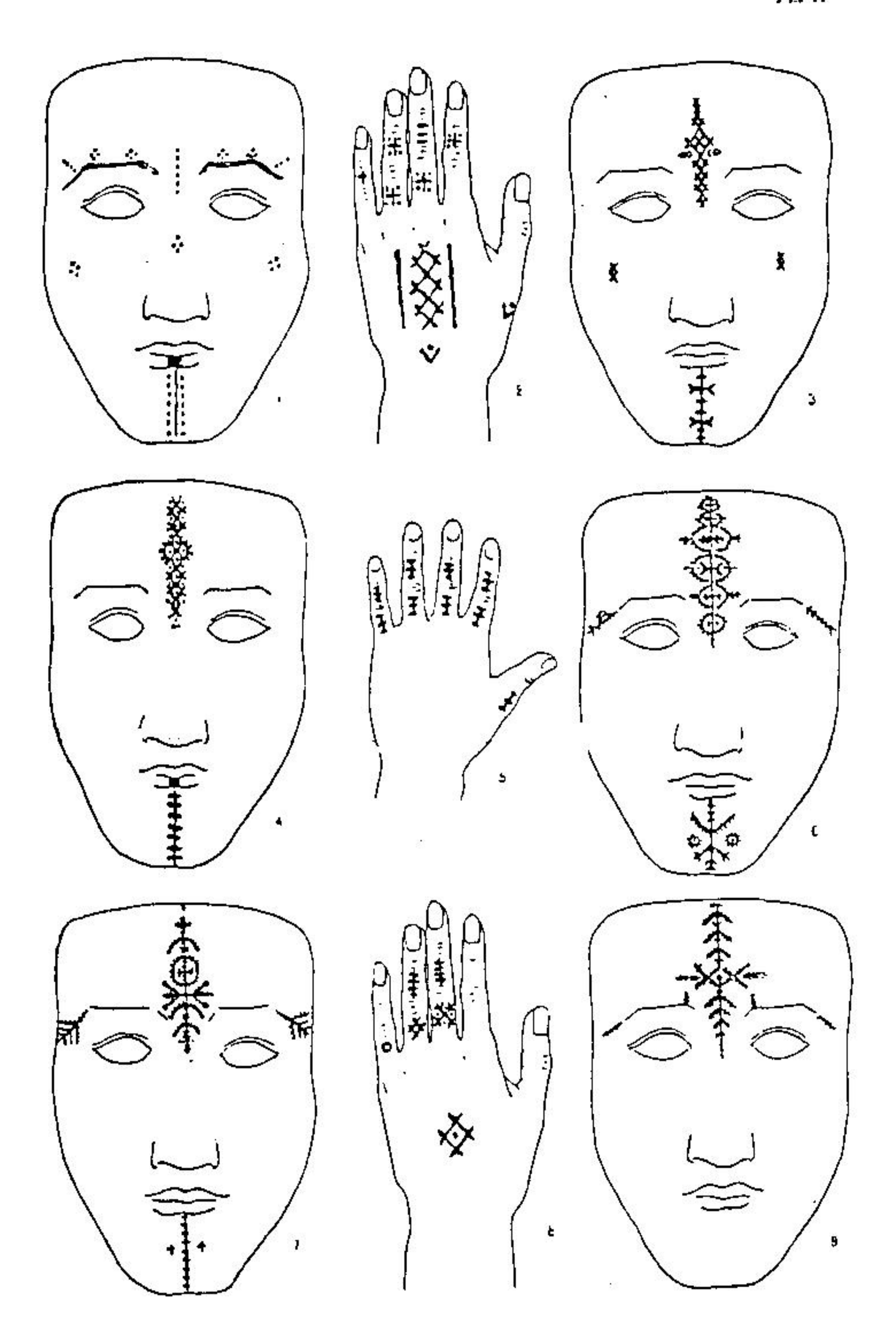
لوحة ١

طويجن الحرقوص و مختلف رسوم الحرقوص

هسبريس،١٩٢٩ ،ص٧



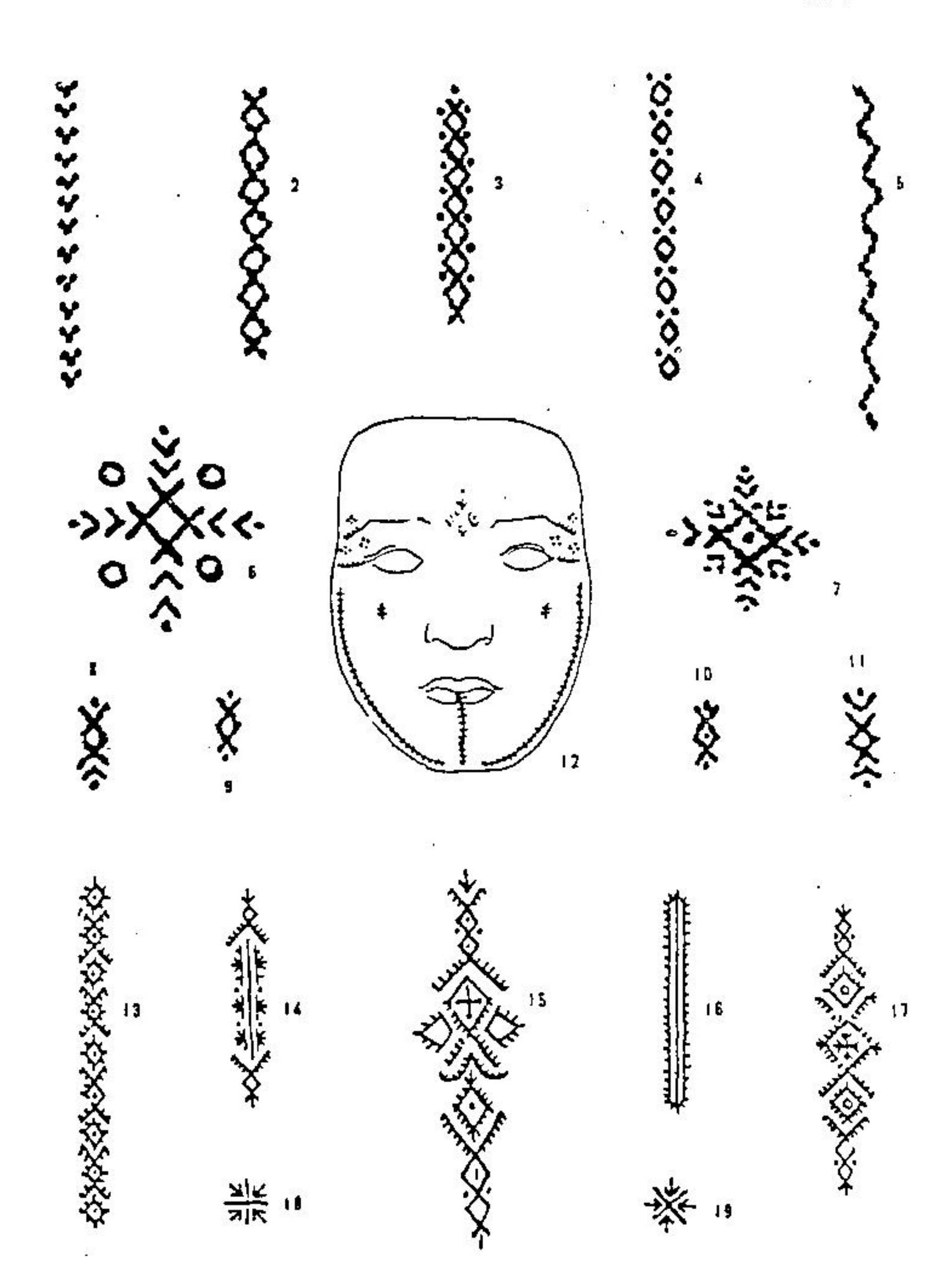
لوحة ٢
طريقة تزيين الوجه بالحرقوص
هسبريس، ١٩٢٩، ص٧١



لوحة ٣

طريقة تزيين الوجه وظهر اليد بالحرقوص

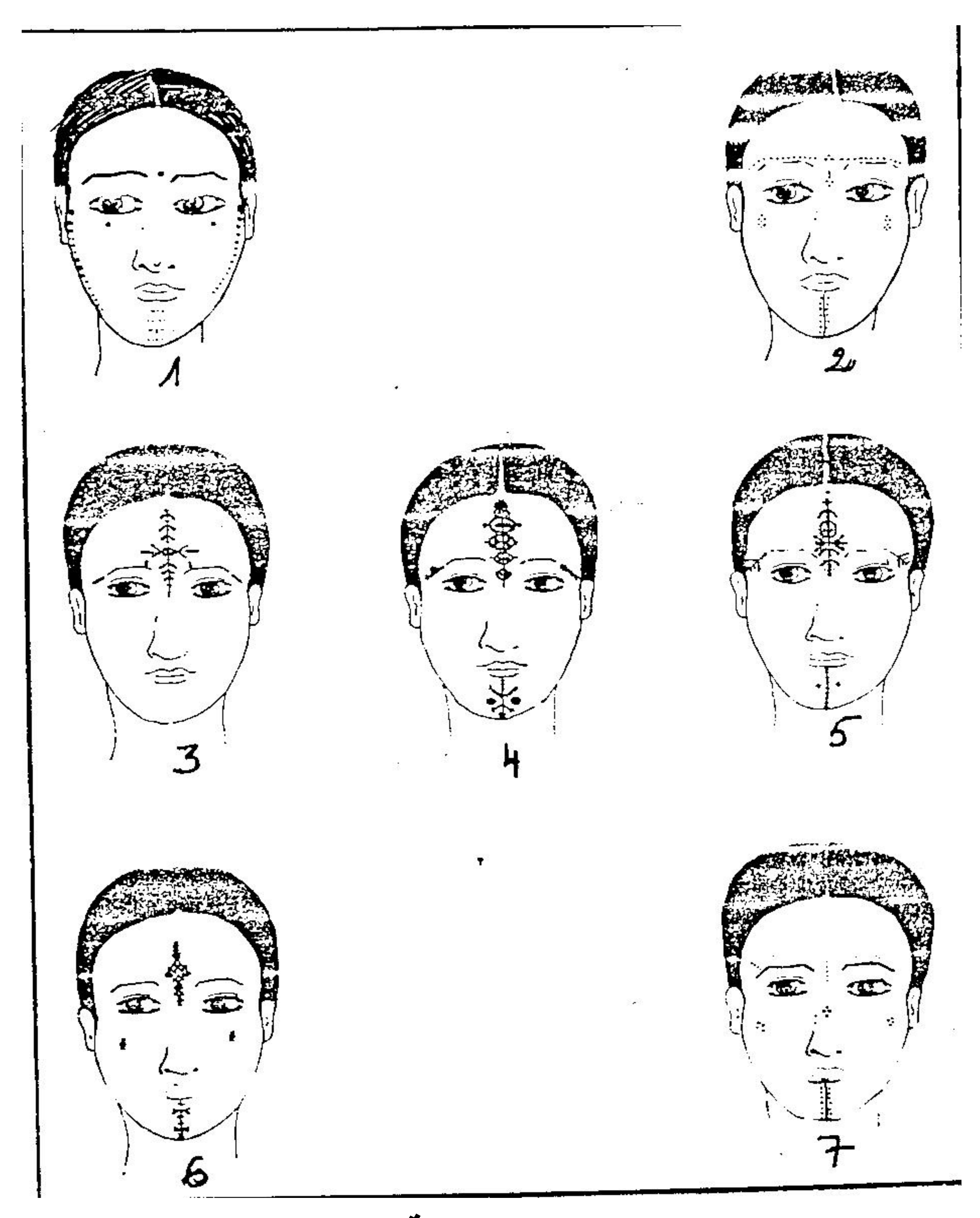
هسبريس،١٩٢٩، ص٧٣



لوحة ٤

أشكال تزيين الوجه

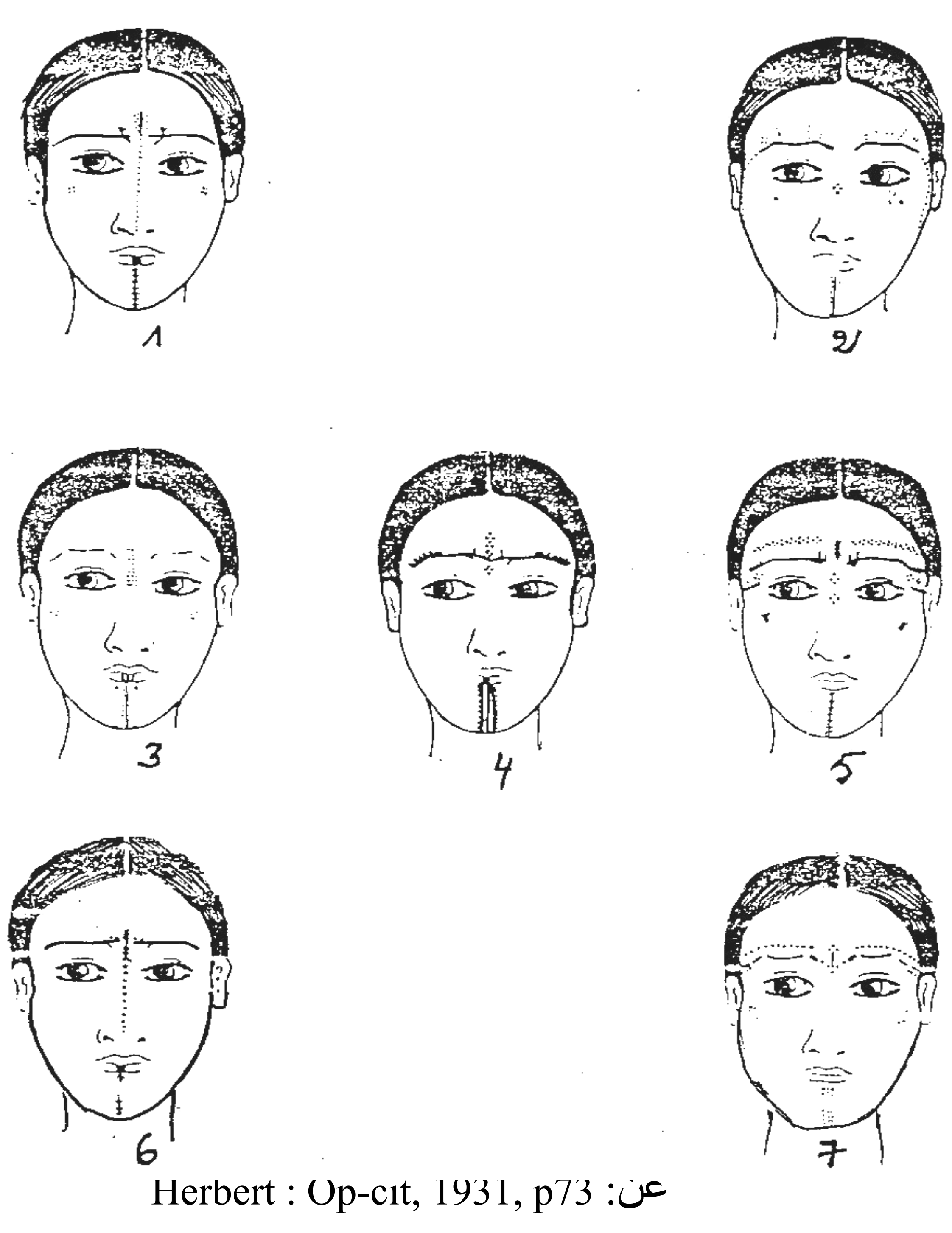
هسبريس، ١٩٢٩، ص٧



لوحة ه

أشكال تزيين الوجه بالوشم

عن: Herbert : les tatouages nord africains, 1931, p72



عن: Herbert : Op-cit, 1931, p73

Ăريقة تždفيù الǂůر



العكسة

شعر ملفوف في شكل كروي





ضفيرة وخجالي

طريقة تصفيف الشعر، المتحف الوطني باردو تونس، انجاز الطالبة

Ăريقة لبس المناϒيǨ



ترتيب الشعر وكيفية تغطيته عند النساء

عن : Bessancenot Jean : op-cit, p16١



شكل رقم١
المتحف الوطني باردو تونس
انجاز الطالبة



شكل رقم٢
المتحف الوطني باردو تونس
انجاز الطالبة



شكل رقم٣
المتحف الوطني باردو تونس
انجاز الطالبة



عصابة حلية







كبوس

قوفية



قوفية

المتحف الوطني باردو تونس، انجاز الطالبة

ÆĿŢĴا والزينة للشباءة لورDž

رشا⧺ال Ǹفيdžوت



صورة للعباءة والزينة والحلي وتصفيف الشعر
عن: المعلمة، ج٨، ص ص١٥٨.



صورة للعباءة والزينة والحلي وتصفيف الشعر
عن: المعلمة، م س، ج٨، ص، ١٥٩.



صورة عن لباس المرأة الحضرية

عن: Les Costumes Traditionnels, ouvrage collectifs réalisé par: le centre des Arts et tradition populaire, p145



صورة عن لباس المرأة البدوية

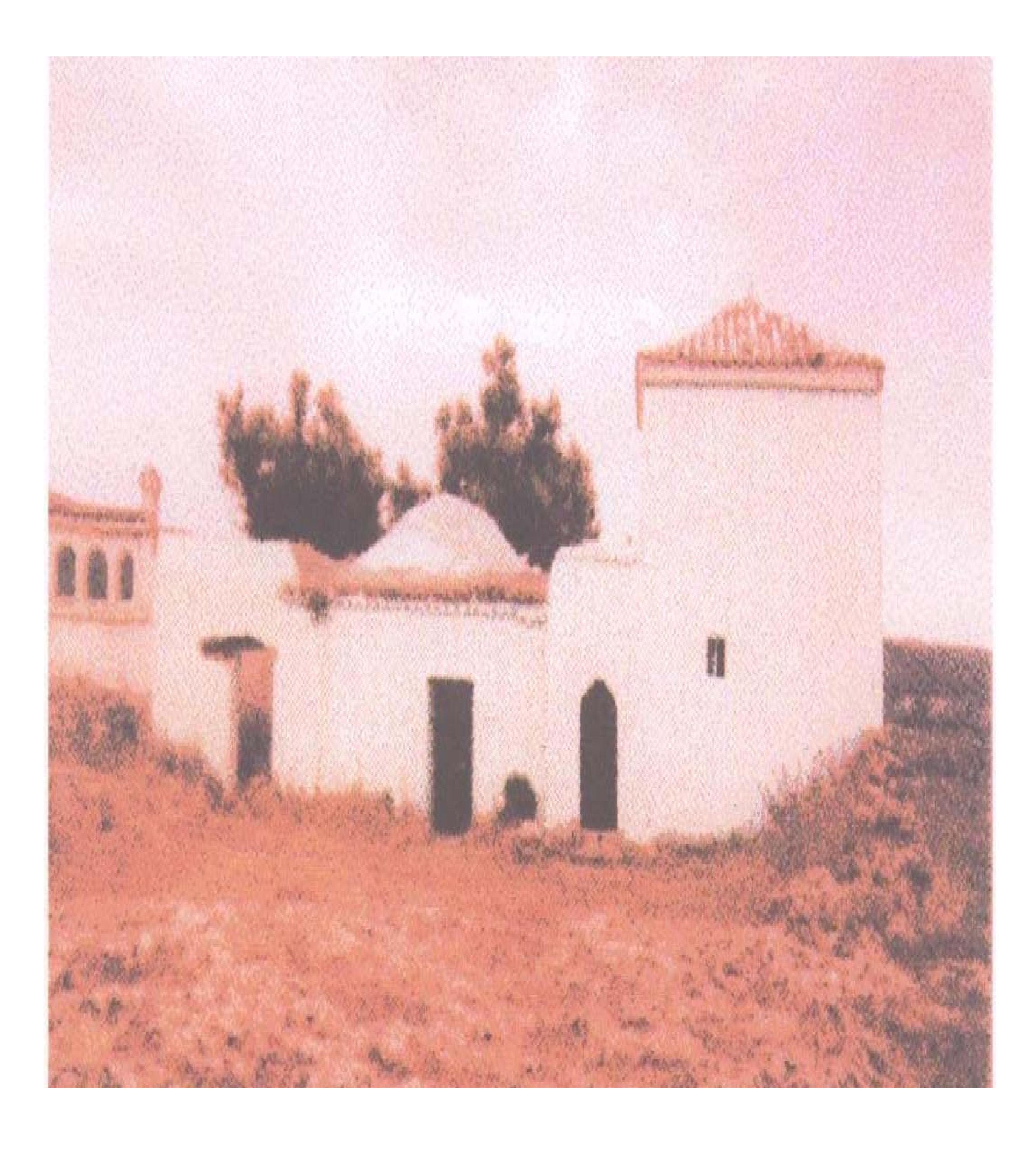
Les Costumes Traditionnels, Op-cit, p124



صورة عن لباس المرأة الصحراوية
Les Costumes Traditionnels, Op-cit, p54

ورDž

الزوايا والأزارحة والمساجد



الواجهة الخارجية لزاوية لالة سيتي (تلمسان)
انجاز الطالبة



قبر الصالحة لالة سيتي
انجاز الطالبة



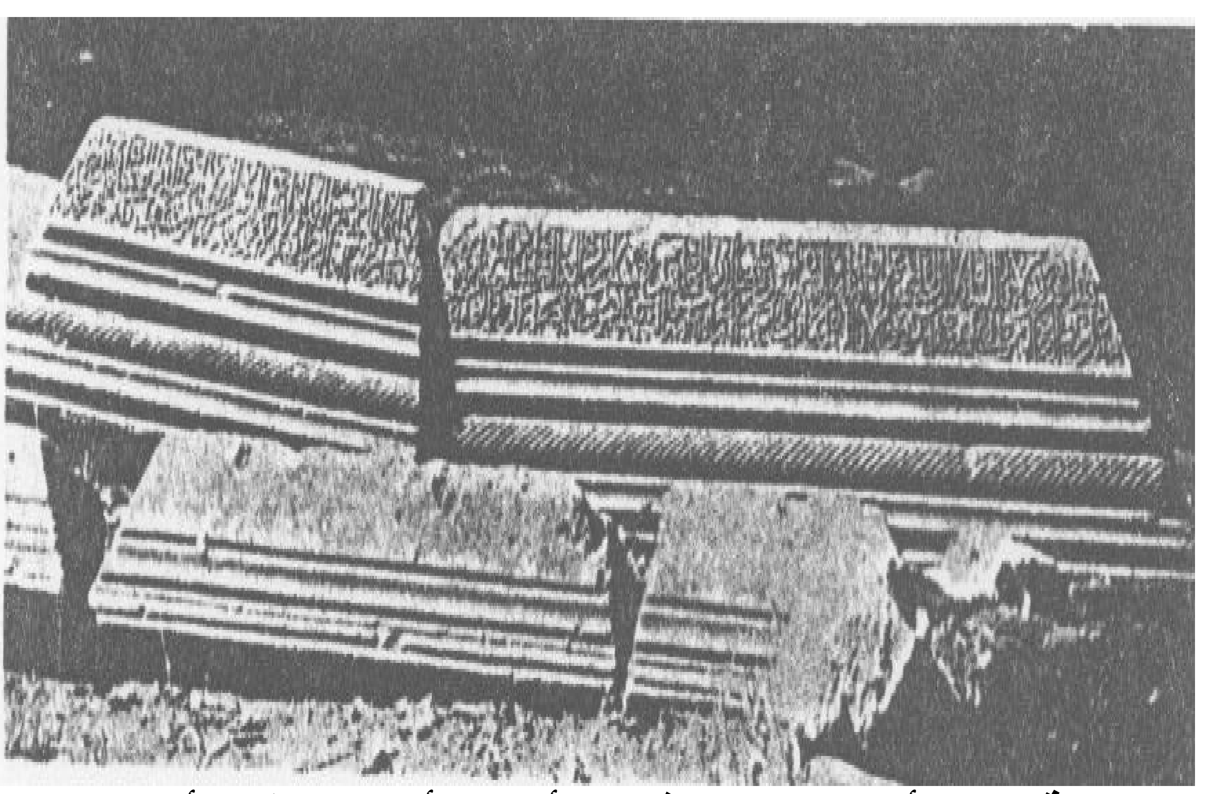
محراب داخل مصلى
زاوية " لالة سيتي"
انجاز الطالبة



ضريح أميرات بني زيان
بحي سيدي يعقوب (تلمسان)



ضريح الأمير المرينية أم السلطان أبي عنان إلى جوار ضريح ابنها
في مقبرة ملوك بني مرين بشالا (الرباط).
انجاز الطالبة



الكتابة المنقوشة على أوجه شاهد قبر الأميرة أم السلطان أبي عنان المريني

الوجه الأسفل:

السطر١ :الحمد لله هذا قبر مولاتنا الحرّة الطّاهرة التقيّة الصالحة أم السلطان الخليفة الإمام الذي جلت أواصفه الجميلة
ومحامده الجليلة عن أن تحصى بلسان أو ترسم ببنان مولانا أمير
السطر٢ : المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبا عنان ابن أمير المسلمين أبي الحسن بن الخلفاء الأيّمة العظماء الأعيان
اسكنها الله فسيح الجنّان وتلقها بالعفوة والغفران وكانت وفاتها في ليلة السبت

الوجه الأعلى:

السطر٣: الرابع لرجب الفرد عام خمسين وسبع مائة ودفنت في اثر صلاة الجمعة ت الخامس والعشرين من الشهر
المذكور بمشهد مولانا الخليفة المنصور ومن وفد لحضور دفنها
السطر٤ : من أعيان المشرق والمغرب أيد الله تعالى أوامره وشيد معاليه ومفاخره وأبد اثاره الكريمة ومأثره وكان وليه
وناصره وجمع له بين خير الدنيا والآخرة بمنه. ينظر:

Hesperis, T4, 1924, Edaraf, 1eme trimestre, Rabat.



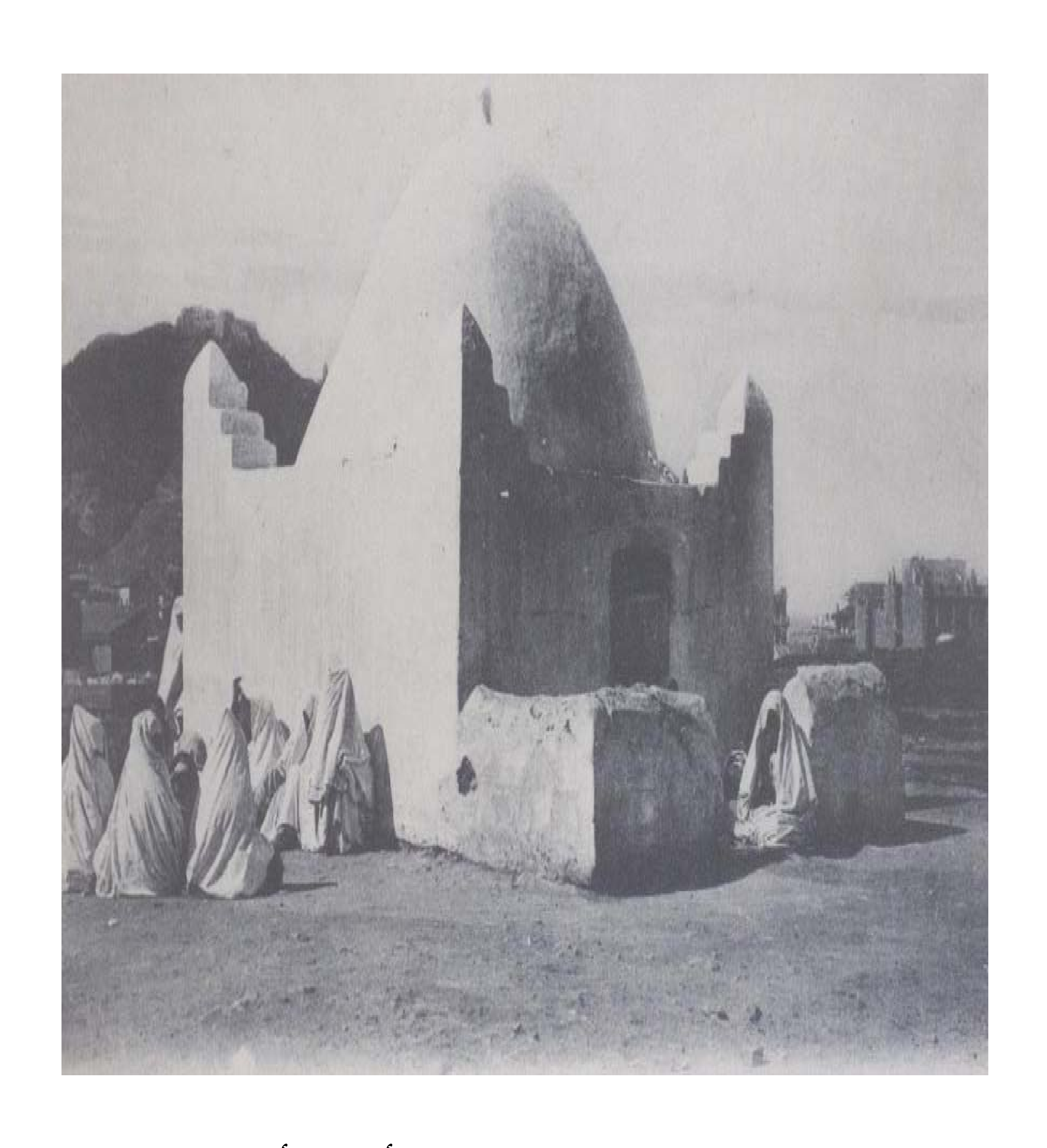
لقاء الباحثة مع المقدمة السيدة أم محمد وهي تشرح لها
طريقة زيارة ضريح الولية المنوبية



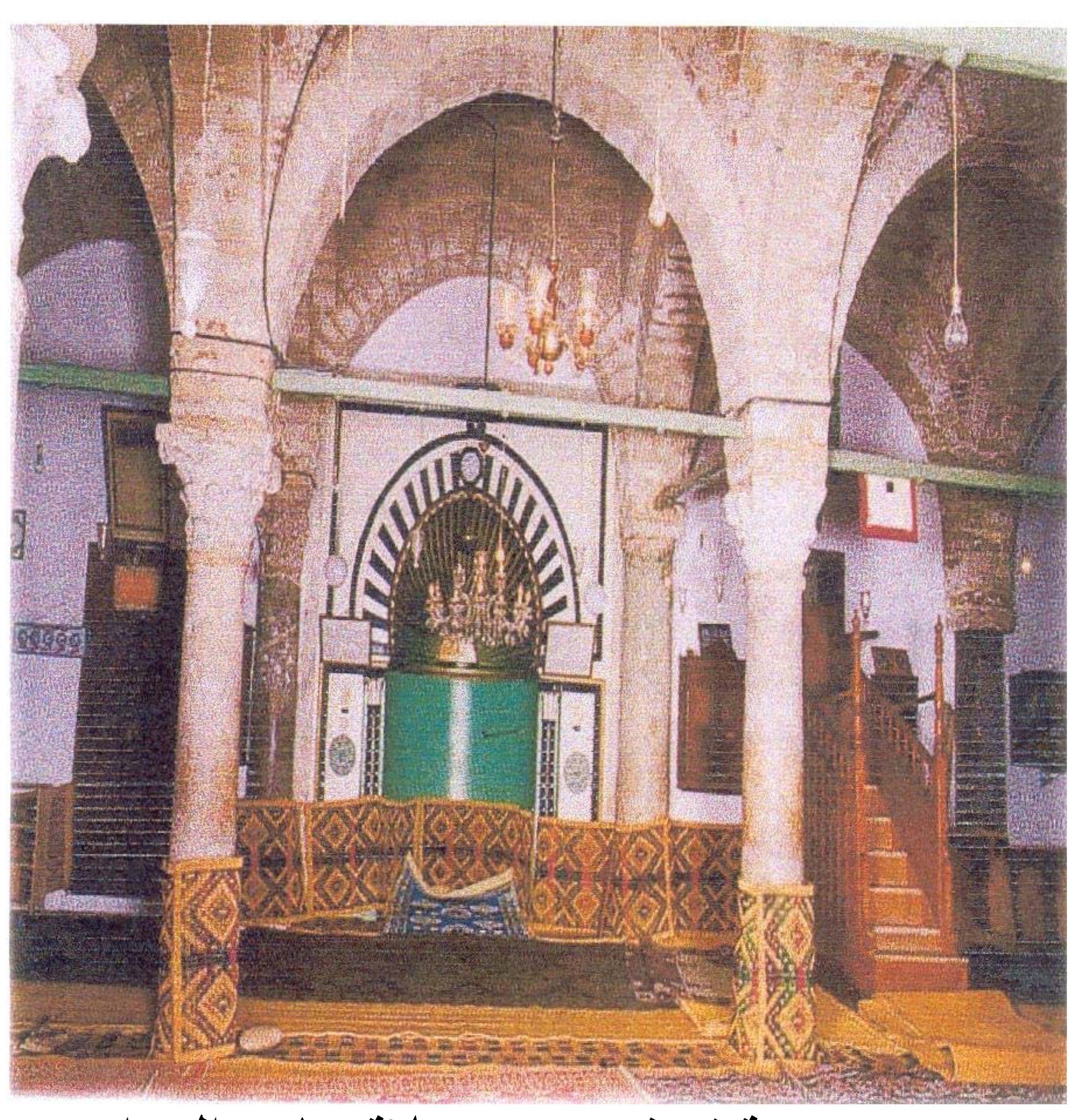
صحن زاوية السيدة المنوبية
(منوبة) تونس
انجاز الطالبة



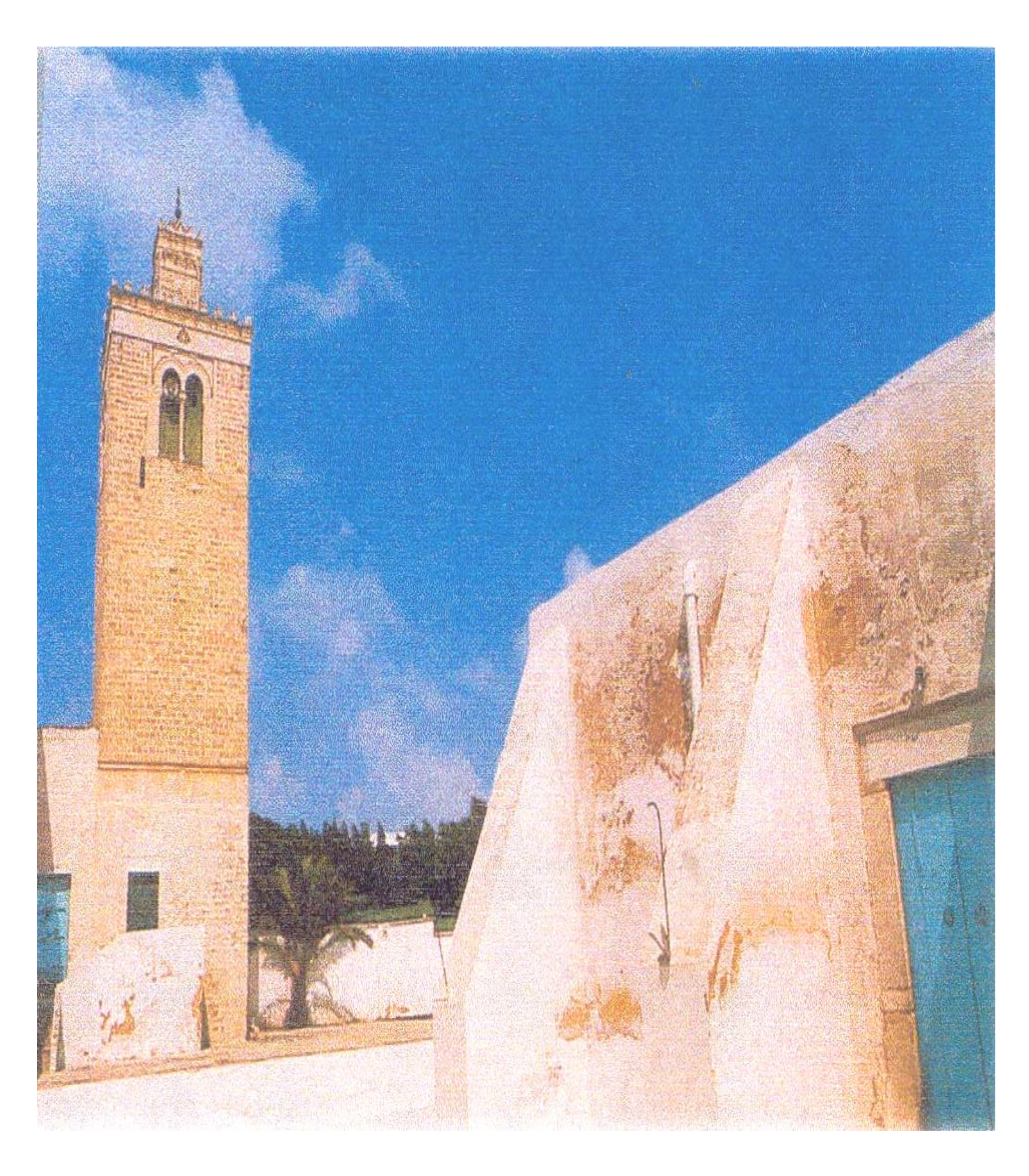
إقبال التلمسانيات على زيارة ضريح سيدي بومدين
(طريق العباد) تلمسان
انجاز الطالبة



صورة توضح زيارة النسوة لأحد الأولياء الصالحين
انجاز الطالبة

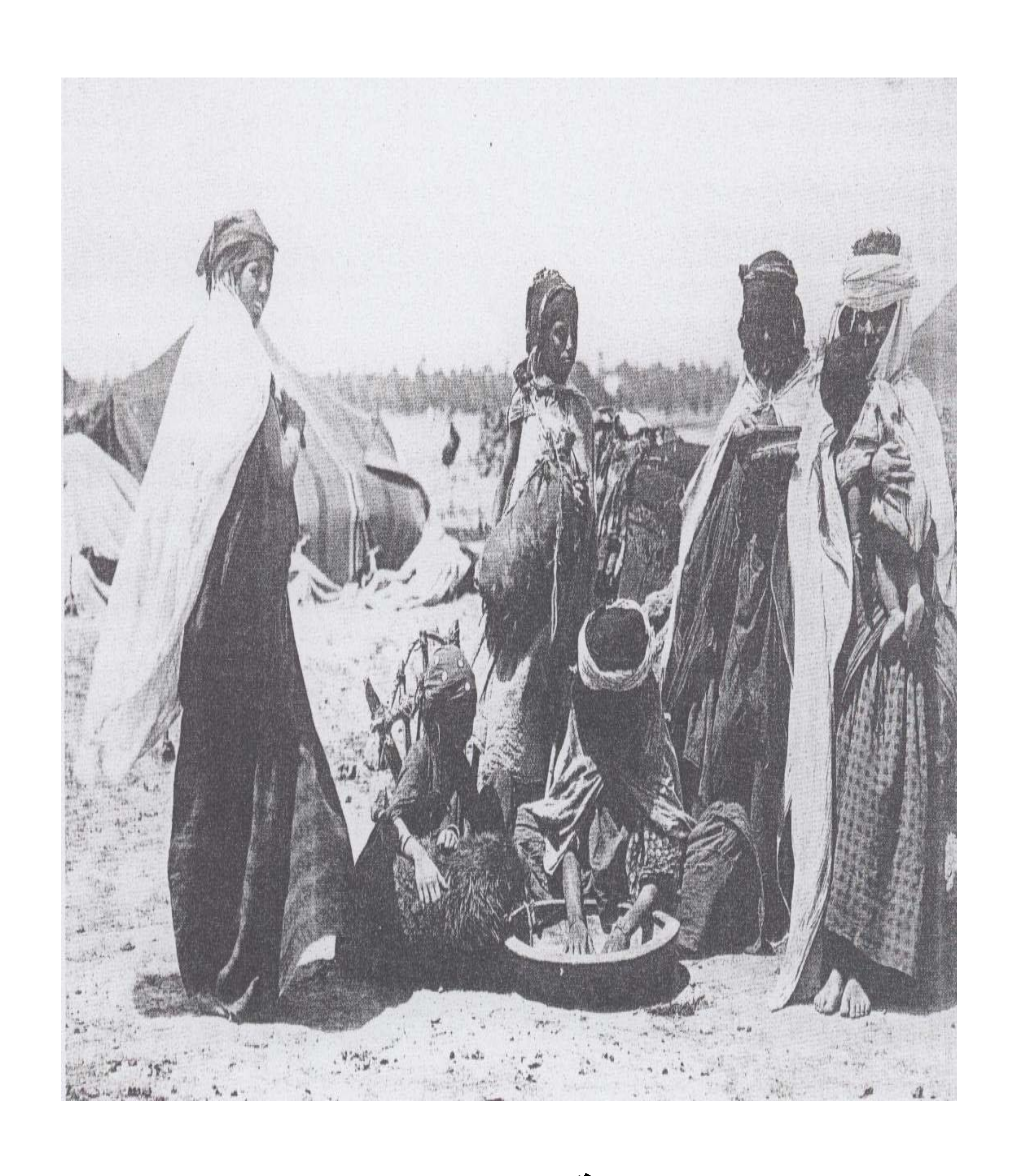


صورة توضح بيت صلاة جامع الهواء
تونس
انجاز الطالبة

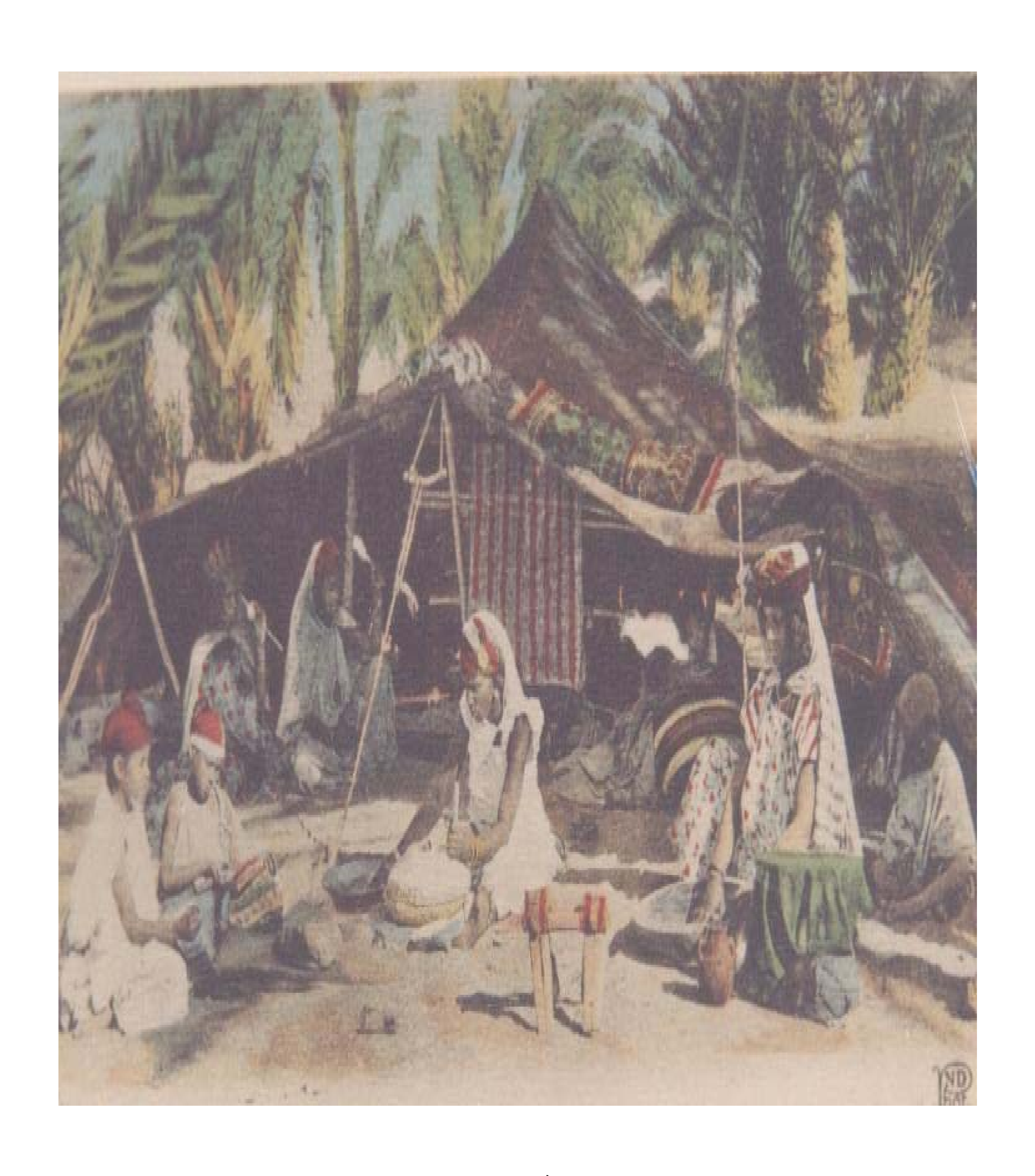


صورة توضح الواجهة الأمامية لمئذنة جامع الهواء تونس
انجاز الطالبة

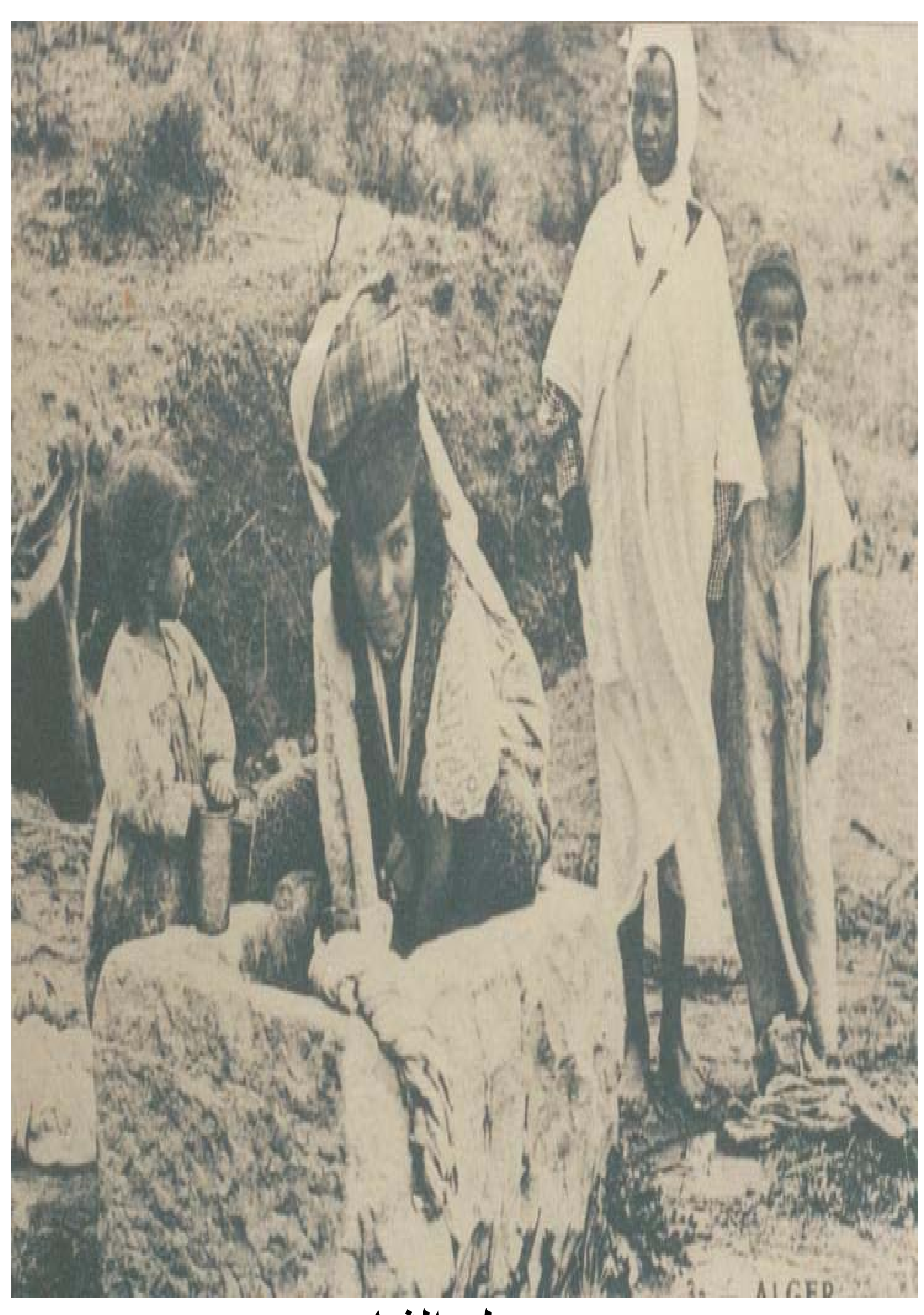
نماذج من أعمال النسوة



طريقة تحضير الكسكسى
انجاز الطالبة

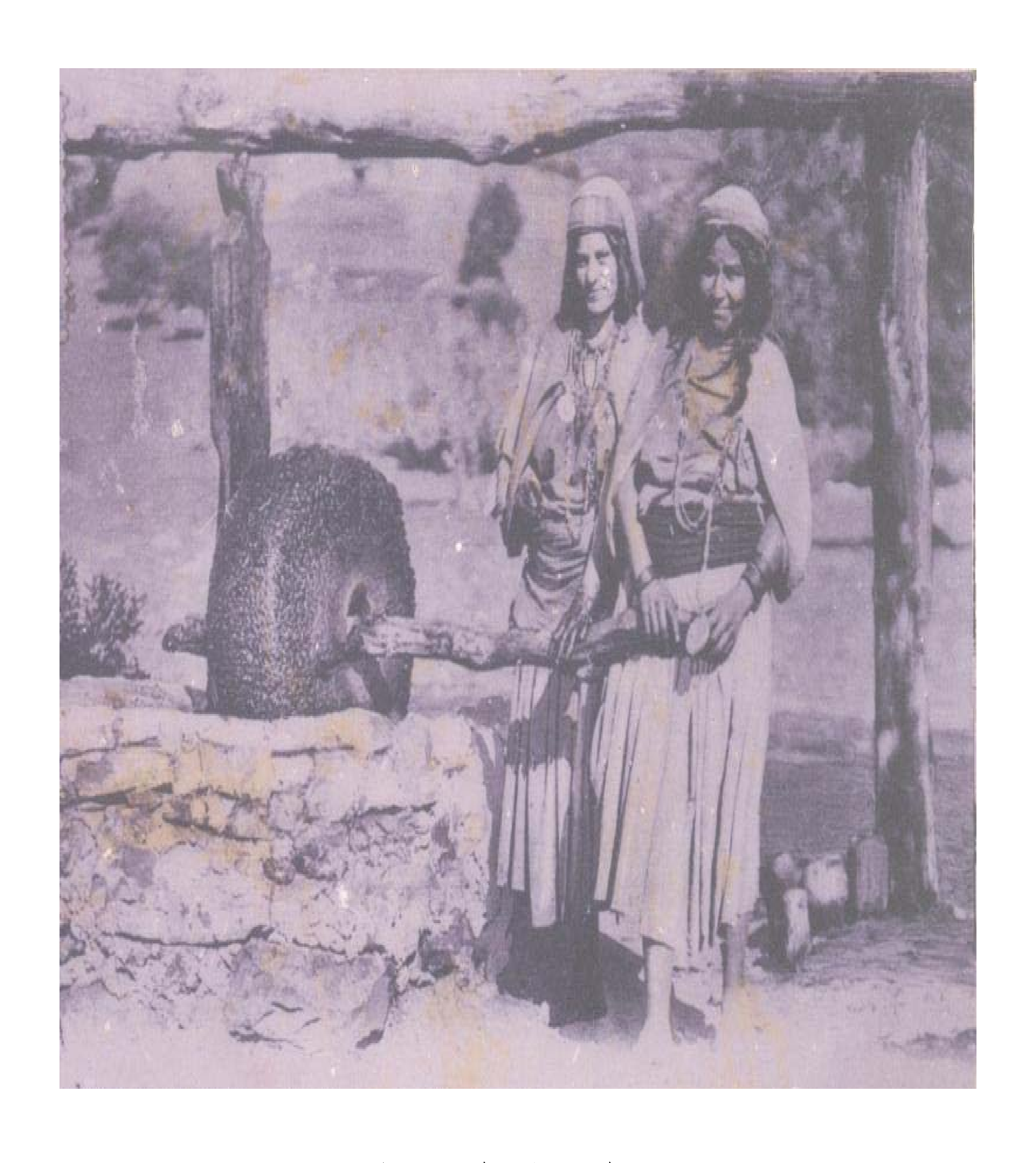


طريقة تحضير القهوة
انجاز الطالبة

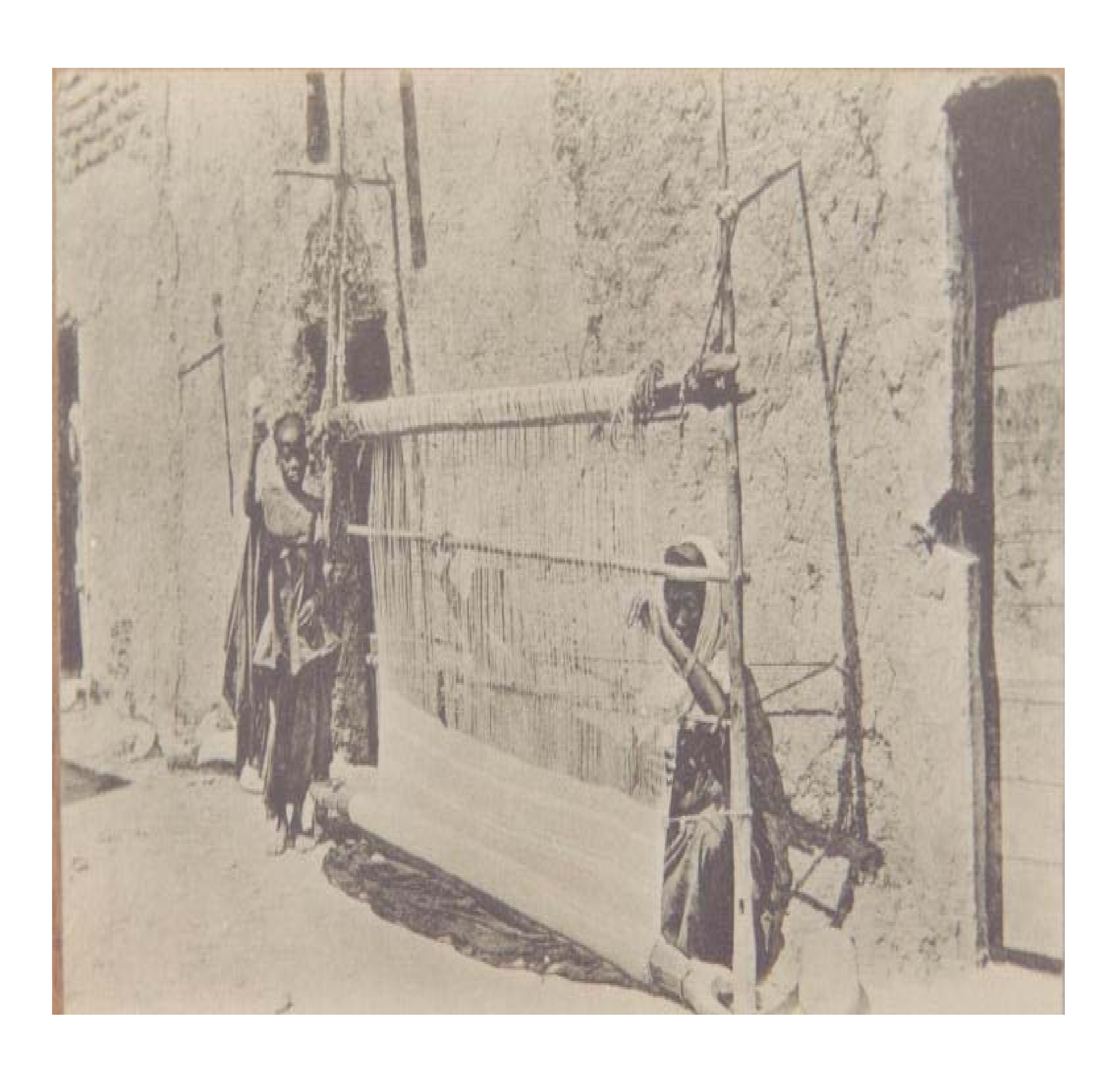


غسل الثياب

Leila Belkaid : costumes d’Algérie, Edition, Rais, Algérie, 2003.



طريقة طحن الزيتون
انجاز الطالبة



طريقة نسج الزربية
انجاز الطالبة